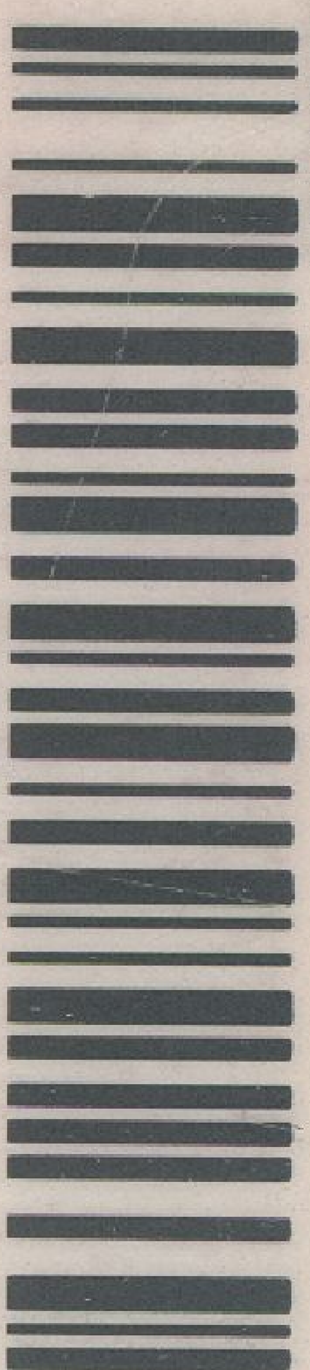
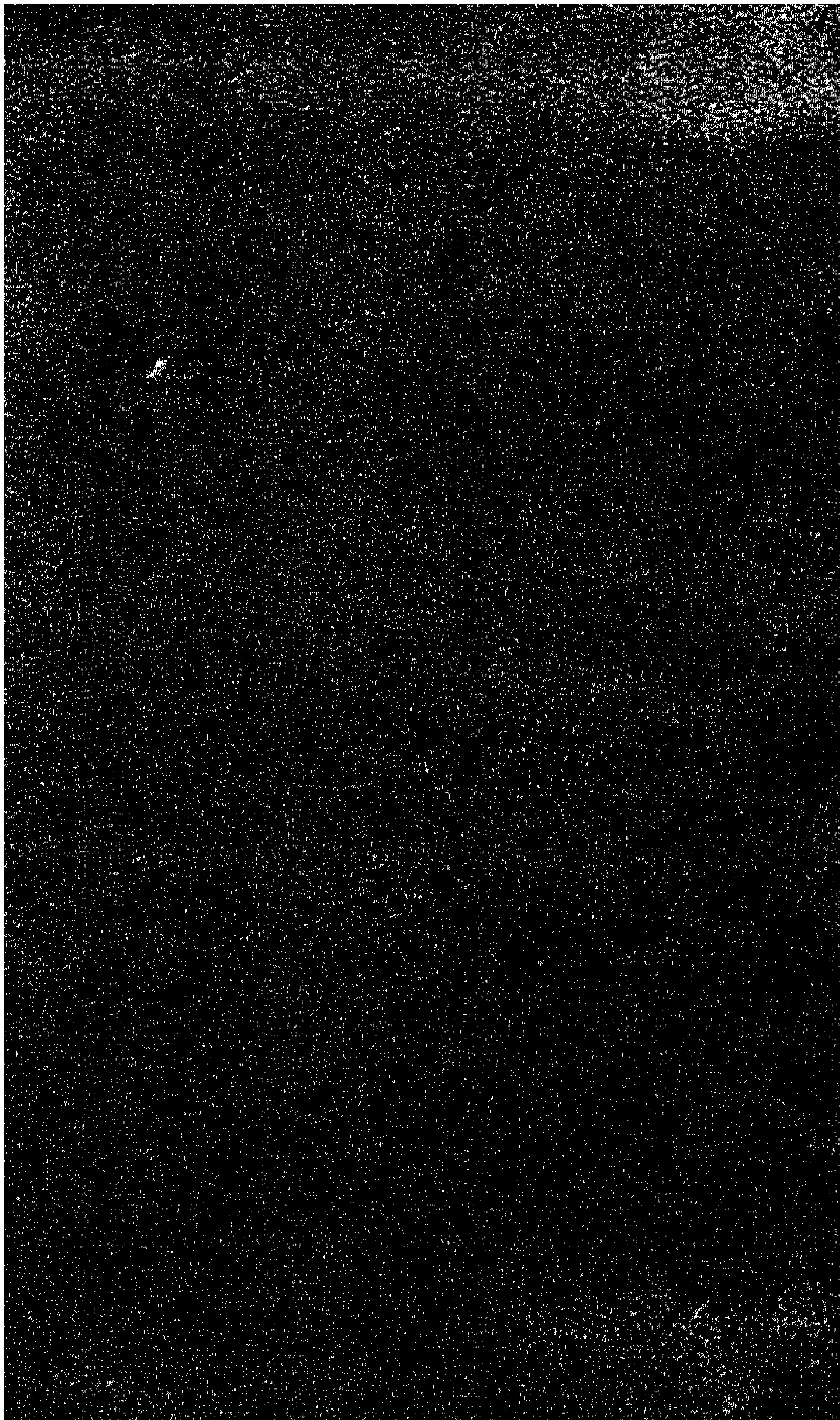






كتاب الهلال

قال الرئيس

روائع خالدة في أحداث مصر الكبرى

للرئيس جمال عبد الناصر

قروش ١٠ سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد ٧١

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٧١ ـ رجب ١٣٧٦ ـ فبراير ١٩٥٧

No. 71 — February 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

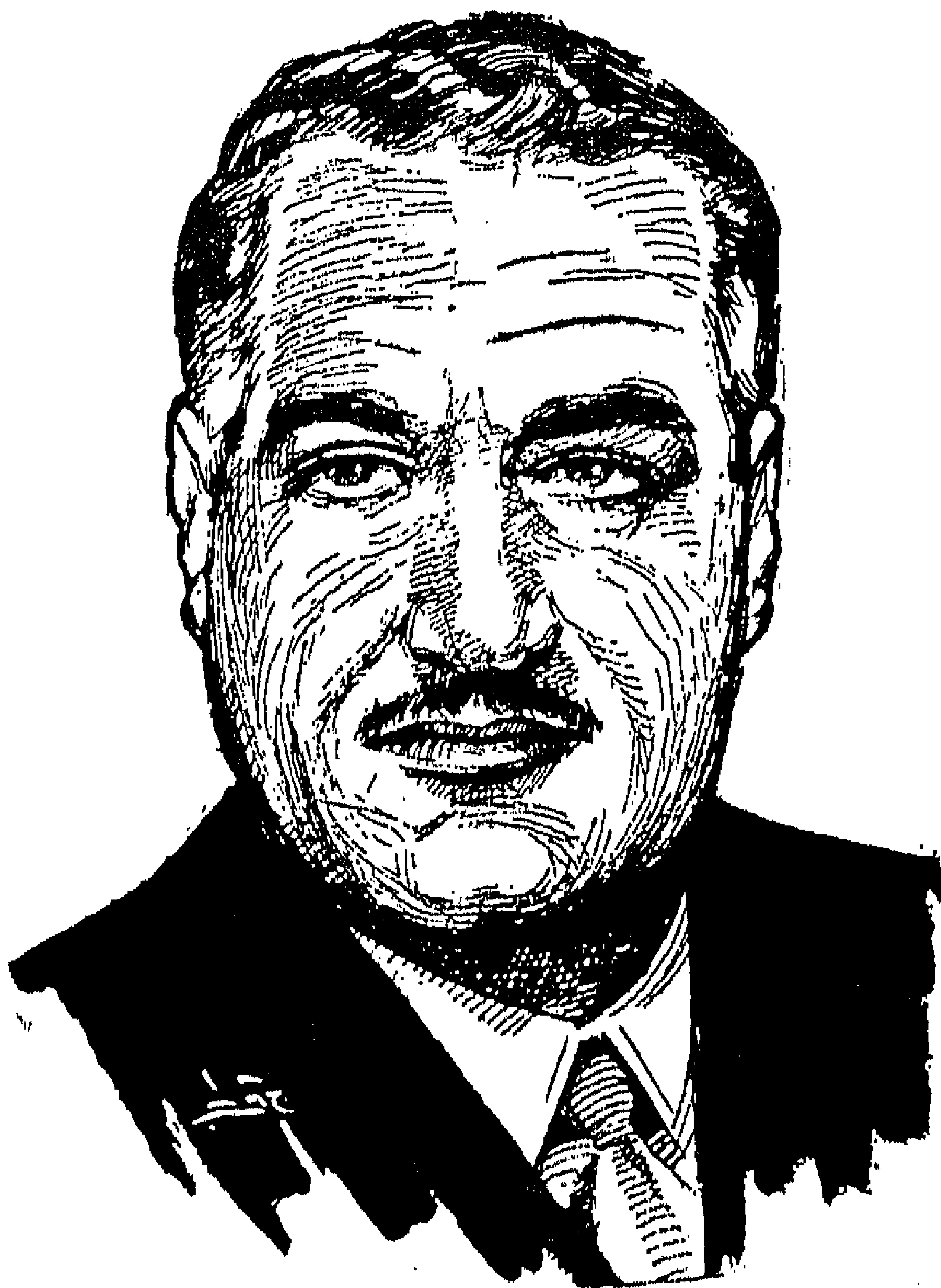
قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا ـ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ـ فى سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلنا

قال الرئيس

روائع خالدة
في أحداث مصر الكبرى

للرئيس جمال عبد الناصر

دار الهلال



الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمة

للأستاذ فتحي رضوان

وزير الارشاد القومي

لا احسب ان العالم قد شغل فى السنين المائة الأخيرة برجل ، مثلما شغل بجمال عبد الناصر ، ففى الصباح الباكر ، قبل أن تطلع الشمس ، وفى الليل المتأخر ، حين يخلد أكثر الناس الى مضاجعهم ، يتردد اسم جمال عبد الناصر ، فى الأنباء والبرقيات وعلى ألسنة المذيعين فى المحطات ، وتجمع حروفه فى مطابع الصحف والمجلات . ففى الدنيا ، نصف ينام حين يبقى أهل النصف الثانى ايقاظا ، تغمرهم الشمس بنورها ، وتدعوهم الى أن يضطربوا فيما يضطرب فيه الناس حينما يستقبلون النهار

وقد يرضى كبرياءنا ، ويتملق زهونا ، القومى أو الشخصى ، نحن المصريين أن يكون أول رئيس جمهورية لنا ، بعد أكثر من ستة آلاف سنة قضيناها فى ظل الملكية كانت راسخة البنيان ثابتة الجدران ، على هذا القدر من النجاح ، وأن يتلقف الناس كل كلمة يقولها ، فيتأملون فيها ، ويأولون معانيها ، ويتبارون فى استخلاص مراميها ، ثم يتضاربون فى تحليل بواعثها ودوافعها . وأن يكون العمل الذى يقدم عليه مستلهما فيه تاريخ أمته ، مستوحيا ماتنطوى عليه صدور اخوته المواطنين ، هو المحور الذى تدور حوله

سياسة الأقوياء ، سواء أقروا العمل ، أم خالفوه ، وتمنوا لنا النجاح ، أم تمنوا لنا الخيبة . ولكن فى الاحتفال بكلام الرئيس جمال وبعمله ، معاني تتجاوز مايرضى الكبرياء القومي ، وتتصل بمستقبل هذه الانسانية جمعاء

فقد ظهر على مسرح السياسة الدولية فى القرن الذى ولدنا فيه ، رجال استأثروا بالانتباه ، وظفروا من انصارهم واتباعهم ، بما يشبه العبادة كما أثاروا فى قلوب خصومهم وأعدائهم ، من الخوف أو الكراهية ، مااستحقوا معه أن يصبحوا عند هؤلاء اندادا للشيطان ، واشباها له . وقد لبث هؤلاء يهزون بأقوالهم وفعالهم العالم وكأنهم زلزال لايدرى أحد عما يسفر عنه ، فقد تغيب بسببه أرض ، أو يبرز بفضله جبل ، أو تعصف بالناس خلاله نار لاتبقى ولا تذر . ولكن حينما اختفى هؤلاء عن المسرح ، وهدأت الى الأبد ضجتهم ، بحث الناس عما تبقى بين أيديهم ، وما تأثرت به حياتهم ، فلم يجدوا شيئا جديدا ، يبقى على الزمن ، أو يؤثر على أصول حياة البشر . قد نبت هؤلاء فى امم ، ظفرت بالحرية والوحدة والاستقلال منذ جيلين أو ثلاثة أو أربعة ، وتوافرت لها أسباب القوة والمنعة والثراء ، من جيوش بزت بعدتها وعتادها ، اضخم ماعرفه تاريخ الجيوش والحروب من قوى عسكرية ، ومن ثراء عقلي وعلمي وفنى ، جعلها فى الصدر بين الأمم المتحضرة هذا كله الى أن سبيل هؤلاء الرجال الى ما دعوا اليه ، وآمنوا به ، كان القوة والقوة وحدها ، فاذا استقريت الظروف والحوادث التى أخرجت جمال عبد الناصر ، ووصلت به الى مكانه بين أمته ثم الى مكانه بين العرب ، ثم بين الأمم جميعا ، لأذهلك ــ فى غير مبالغة ولا تهويل ــ أن يكون جمال عبد الناصر ، محل هذا الاهتمام الذى يملك على رجال السياسة والمال ، والحرب والاقتصاد ، خواطرهم جميعا ، فلا يستطيعون ان يديروا عيونهم عنه ، ولا أن

يلفتوا اذهانهم عن تتبع فعله وقوله

فقد كانت مصر فى سنة ١٩٥٢ ، المثل الأدنى لما تصل اليه امور دولة . كانت محتلة بجيش انقضى على احتلاله لها ما كاد يكمل القرن من الزمان ، وكان هذا الجيش يرفض أن يترك من أرض الوطن شبرا الا اذا قبل أهل ذلك الوطن ان يسلموه أعناقهم ، طائعين راضين ، ليضعها فى أحبولة يعلن أن طرفيها سيبقيان فى يده ربع قرن آخر من الزمان ، وكان على رأسها ملك يقدم له حكام ينصبهم هو فيدينون له من دون الله بالعبودية ، فان أقصاهم عن رحمته ، أو حرمهم من حظوته نسبوا له كل نقيصة ، وعابوه ، حتى يشير اليهم بسبابته ، فتتحول اللعنات على ألسنتهم الى تسابيح ..! وكان الشعب منقسما بفضل أحزاب عالجت فقره وجوعه ، وعريه ومرضه ، وخوفه وضعفه بكلام متشابه ، متكرر ، كان الوزراء يتركونه ، ميراثا لمن يأتون بعدهم يجدونه فى الادراج والاضابير فلا يكلفون انفسهم الا مشقة تلاوته ، وكان دعاة الاصلاح يقولون ان الحياة الاقتصادية فى مصر ، مبتلاة بعلة ، لا أمل فى الشفاء منها ، الا بعملية «جراحية» ذلك لأن أساس حياتنا هو الزراعة ، والزراعة فى يد قلة لاتمارسها ، ولا تشقى فيها ، ولا تقوى على احتمال العيش مع عملائها واجرائها الذين يتصبب عرقهم من جباههم فيرويها ، ولأن الفارق بين من ينعم بخير الزراعة ، ومن يشقى فيها أضخم من أن يحتمله أو يطيقه مجتمع صالح سليم . وانه لذلك لا مناص من أن تضيق شقة هذا الفارق ، وتقلل الهوة الناجمة منه . ويهز الناس جميعا رءوسهم مؤمنين ، على هذا القول ، ثم يقولون : لقد عرفنا الجرس ، وأمسكناه بأيدينا ، ولكن من يضعه فى عنق القط ، الذى يأتى فيأكل الجرذان على غرة ، دون أن يدرى احدنا أين المفر ؟ ويقول المصلحون : « الأمر ايسر مما تظنون ، اذ لو اجتمعنا ، ولم نتفرق ، والتزمنا الجد ، ولم نله ، وواجهنا

الخطر ولم نفر ، ووفرنا طاقتنا للعمل ، ولم نسرف فى الكلام ، لأسلم لنا القط عنقه ، ولوضعنا فيه حبل الجرس : وقد نستغنى عنهما أى عن الحبل والجرس معا ، بأن نشد على عنق الفساد ، والفوارق الشاسعة ، ونستريح » ويقول الناس جميعا : « ما اجمل وما أعذب ! تعالوا نتفق ؟ تعالوا نجد ! تعالوا نوفر ماننفق من جهد فى الكلام ، لنعمل ! . . »

فلا نزداد الا فرقة ، والا تزاحما على أقدام (الاله) الذى يخاف منا ، ونخاف منه ، والذى يكرهنا والذى نكرهه ، فاذا التقينا ، انحنينا فى عبودية ، وقلنا له لا اله الا انت . . !

ولم يكن هذا كل مايجرى فى مصر ، فقد كان على حدودها الملاصقة ، او أطرافها المتاخمة ، خطر جديد ، ينمو نمو السرطان ، سرعة ، ويعربد عربدته فى خلايا الجسم السليم ، دع عنك ما يفعله فى جسم كان هذا بعض نصيبه من العلل والاورام وقد فرح الفساد فى الداخل ، بزميله الجديد ، الذى أخذ يشاغلنا من الخارج ، لأن فساد الداخل ما يكاد يرى فى مصر عزما على المقاومة ، واستعدادا للعمل ، حتى يغرى بنا ذلك الخطر المدخر ، فنذهب اليه غير مسلحين ، ولا مستعدين ، لنلقى هزائم مدبرة قبل المعارك ، ثم نعود فى ظل هذه الهزائم ، لتفشو بيننا الاتهامات والاغتيالات والمؤامرات فتتسرب من جنوبنا القطرات الباقية من حيويتنا . . .

فى هذا الجو ، خرج جمال عبدالناصر ، فلم يسمع باسمه أحد ، فقد كان مختفيا فى الفكرة التى كان يوم ٢٣ يولية مجرد السطر الاول فى كتابها . وقد جهدت الأضواء فى البحث عنه فلم تعثر عليه . ذلك انه لم يكن بطل يوم ٢٣ يولية وحده ، لأن هذا اليوم وحده لايحقق شيئا للوطن الذى صورنا لك صورته ، بقدر ما كان بطل ماتلاه من أيام . . .

ولقد أربكت الظروف التى خرج فى ظلها جمال عبدالناصر المؤرخين ، والمتكهنين ، والمضاربين فى حلبات السياسة ، وللسياسة بورصة أو بورصات ، كأسواق المال والتجارة — فقد ألف هؤلاء أن الذين يمسكون خيوط السياسة الدولية ، ويبدلون فى أوضاعها ، ويضيفون الى قواها المتصارعة ، أو يحذفون منها ، أو يغيرون فيها ، هم الزعماء الذين تبزغ نجومهم فى سماء الأمم القوية ذات المكانة التقليدية التى تجد فى متناول يدها القوات العسكرية المدربة المنظمة التى عرفت السلاح الجديد ، وأحسنت استعماله ومرنت عليه ، كما تجد طوع امرتها مدخرات لا حد لها من كنوز العلم والفن ، ومن خيرات الخبرة فى شئون الادارة والمال . ولم يسمعوا عن أمة محكومة فقيرة ، تنجب من يتطاول بعينيه الى هذه المنصات العالية « المحجوزة » للسادة الكبار ، وأعظم من عرفوه من عظماء البلاد المحكومة من الشرق كان أشبه بالقديس ، حول السياسة الى فلسفة ، وحول الفلسفة الى دين ، فاطمأنوا الى أنهم فضلا عن ذلك القديس ترك لهم أسلوب سياستهم الدولية ، يجرون عليه ، يفيدون منه ، ولكن الذى أحدثه جمال عبد الناصر ، فى المنصات « المحجوزة » لم يكن يخطر لهم ببال ، وما أحدثه فى سياساتهم التقليدية ، لم يطرق على خيال . . !

وقد يكون هذا القدر وحده كافيا لان يهز أعطافنا عموما أبناء الامم التى كانت محكومة الى وقت قريب ، زهوا وفخرا ، على الخصوص ويهز أعطاف المصريين أو العرب أو المسلمين ، ولكن لو قنعنا بهذا القدر ، ووقفنا عنده ، لاخطأنا فى حق تاريخنا وفى حق تقاليد بلادنا . فهذه البلاد — والبلاد العربية — لم تخرج عظماء تقتصر همتهم على هذه الرقعة من الأرض ، لقد خرج منها دائما من يتجاوز بفكره وبعمله بلاده الى أشقائه أبناء آدم الذين تتجدد أسباب شقوتهم ،

بما يتراكم عليهم على مر الحقب والازمنة من مظالم ومفاسد
ولو وجد جمال عبد الناصر ، الأمور هينة ، والسبل معبدة ، منذ اليوم الاول لثورة ٢٣ يوليــــة ، لكان ذلك تحديا لمنطق التاريخ . فالحركات التى تتجـــاوز بأثرها البلد الذى تولد فيه ، تمتحن أولا ، فى الوطن الذى نبتت فيه ـ ولاتزال تكوى ، وتتقلب على ماهو أحمى واقسى من النار ، حتى تصفو ، وتدرك حدود الالم التى تحكم حياة الناس ، وتقرر مصائر وجودهم ، وقد كان ... فقـــد قامت الصعاب فى طريق الثورة ، منها ما كان هشـــا زال بدفعة يد ، ومنها ما كان وضيعا ، أنتهى بركلة قــــدم ، ومنها ما كان راسيا ومتأصلا وقديما ، فاحتاج الى صبر ، والى أناة ، والى تدبر ومطاولة .. وهذه هى صفات جمال عبد الناصر ، التى يقوم عليها بناء شخصيته
ان أعمال الثورة منذ ٢٣ يولية كانت كلها شيئا عالميا ، ولست أعنى هنا تزكية هذه الاعمال أو الدفاع عنها ، او وصفها بأنها مجيدة أو عظيمة ، وانما أعنى هذه الأعمال ايا كان حكمك عليها ... مجرد القيام بعمل ضخم كالتفكير فى تدبير ثورة ٢٣ يولية ، دون أن يكون للاجانب فيه ضلع ، او على الاقل دون أن يكون لهم به «علم» ، كان شيئا غير مأذون به فى البلاد العربية ، والبلاد المحكومة بالنفوذ الاجنبى . اذ أن هذه التغييرات جميعا كانت من حق ذلك النفوذ الاجنبى هو وحده الذى يوافق عليها ، وهو وحده الذى يقرها .. ولم يكن تحديد الملـكية مجرد اجراء اقتصادى ، أو علاج اجتماعى ، بل كان تحويلا وتغييرا فى العقليـــة التى كانت تؤمن بالارض وتعبدها ، وتحبس فيهـــا كل المـدخرات القومية ، وتحبسها فى الوقت نفسه عن الصـناعة عموما والصناعة الثقيلة خصوصا . فان يحدث ذلك فى بلد قيل ان مصيره مرتبط بالزراعة ، ومستقبله قائم على الزراعة ، ان الزراعة وحدها سبيله الى المال والقوة ، فهذه هى الثورة

وقد أخذت معالم هذه الثورة تتضح شيئا فشيئا ، وكلما اتضح منها معلم ، وانكشف منها جانب ، زادت دهشة العالم كله ، وزاد رجال السياسة الذين ظنوا أنهم باتوا قادرين على التكهن بالاحداث قبل وقوعها ، كما يتنبأ الفلكى بحركات النجوم والشموس فى أبراجها ـ زاد هؤلاء فى لوم أنفسهم ـ اذ حكموا على ثورة يولية ١٩٥٢ ، بما فهموه عنها فى أيامها الاولى ..

والذى يطالع هذه المجموعة التى تضم أقوالا للرئيس مكتوبة ومنطوقة ، لايشعر أنها خطب تلقى ، أو أحاديث تسمع ، بل يستقر فى ادراكه أنها أقرب شىء الى لبنات فى بناء واحد ، ينمو ويتكامل ، ويتضح شكله . وهو بناء وان كان قد بنى فى سنوات كادت تكمل الاربعة ، الا أن أحجاره لم توضع بعضها فوق بعض ، على حسب ما اتفق ، بل جاءت كلها على نسق مقرر ، ورسم محدد ، يصوران عقيدة نمت بدورها على الايام ، واستمدت قوتها مما وقع فى القريب ، ومما وقع فى البعيد ، فى هذا الوطن الكبير ، وطن المصريين والعرب ...

فالذى يقرأ فى هذه المجموعة كتاب فلسفة الثورة ، يؤمن ايمانى ، بأن هذا الكتاب ليس سوى مقدمة هذه الفلسفة . وقد تكون مقدمات بعض الكتب ، فى مثل الكتاب أهمية ، وأحيانا تزيد المقدمة عن الكتاب خطرا ، لانها خلاصته ، وجماع أفكاره ، وايا كان قدر كتاب فلسفة الثورة من الثورة نفسها ، ومن الاقوال التى قيلت بعده ، فانك لاتجد شيئا فى أقوال الرئيس ، الا وتجد له فى هذه الفلسفة أصلا ، ولا تجد فى فلسفة الثورة عبارة ، الا وتجد ما يفسرها ، أو يؤكدها ، فيما قال ، أو فيما فعل

والانسان لا يبلغ فى الصدق مرتبة أعلى من المرتبة التى يبلغها اذ يصدق مع نفسه ، فقد يضطر الانسان الصادق الى أن يجامل الناس أو يداريهم ، أو يتقى شرهم فيقول

ما لا يؤمن به ، ولكن الانسان يخلو الى نفسه ، ويناجيها ويتحدث اليها ، فمن الناس من يصدق مع نفسه فى هذه الخلوة أو فى تلك المناجاة ، ومنهم من يخدعها ، ويكذب عليها . وجمال عبد الناصر ، فى حديثه كله الى الناس لا يتناقض ، ولا يتهاتر ، لانه يصدق مع نفسه ، ولانه يعرف ماذا يريد لها ، وماذا يريد منها . والذين يقرأون ما يقول ، فيستهجنونه ، أو يخافونه ، حينما يلقونه ويتحدثون اليه ، ويستمعون الى كلامه ، يخرجون دائما بحكم واحد : انه رجل صادق ، وصريح ، ومخلص ...

وهذه صفات عند الذين يفهمون معنى البلاغة ويقدرونها ، أكبر خصائصها ، وأعلى مراتبها .

نقل الى احد أصدقائى أنه سمع من الوزيرة البريطانية التى زارت مصر فى يناير سنة ١٩٥٦ أن الذى سرها من الرئيس عندما رأته فى شهر يناير سنة ١٩٥٦ انه لم يخف عليها المتاعب التى يكابدها ، فالرجل الذى يدعى أنه فوق البشر ، وأنه ملك زمام القدر ، قد يبهر الذين يسمعونه ، كما يبهرهم « الساحر » ، ولكن الناس سيبحثون بعد حين عما بقى من هذا القول ، فان لم يجدوا شيئا ، لم يعودوا يصدقون له قولا

والرئيس حينما يخطب ، تحس أنه يفكر ، يفكر فيما يقول ، وهو يقوله ، فكلامه ليس انفعالا عاطفيا ، وانما هو تدبر وتأمل . والغاية منه ليس التأثير بقدر ما هى الرغبة فى التوضيح والتفسير والاقناع . ولذلك فان من خصائصه البارزة ، أن يكرر المعنى الواحد فى الخطبة الواحدة ، ثم يكرر المعنى نفسه فى خطب كثيرة ، لانه لا يود أن يخطف ثقة السامع ، وانما يود أن يكسب هذه الثقة بما تستحقه . ولانه لا يود أن يسكت خوف السامع ، أو يبعث طمأنينته ، بل يبغى أن يحرك فيه رغبته فى أن يعمل

معه العمل الذى سيق اليه الرئيس نفسه ، أو دعا له .

وهو اذ يخطب يقف كما يقف الانسان بين أصدقائه ومعارفه ، فلا تؤثر عنه بعض المواقف الخطابية التى اشتهر بها بعض الخطباء المحترفين . والانفعال عنده يأتى طبيعيا ، بغير تكلف فهو يبدأ دائما هادئا ، ثم تجيش نفسه حسب مقتضى الحال فيستجيب للمناسبة حتى اذا أدى الانفعال دوره ، ونفدت طاقته عاد الى هدوئه ، يتحدث على سجيته كما كان ..

ومن الخطباء من يطيل ، فلا يحسن ولا يجيد القول الا اذا امتد به زمن الكلام ، واتسع له مجاله ، ومنهم من يوجز ، فيأتى كلامه مسنونا أشبه شيء بأبيات القصيدة ، والرئيس وان كان أميل الى الافاضة ، لانه لايتكلم الاعندما تقتضيه الظروف الى الكلام الا انه يستطيع فى كثير من الاحوال ، ان يقول العبارة الواحدة أو العبارتين ولا يغريه ضخامة الاجتماع ، ولا ضخامة المناسبة ، باطالة القول

وبعد فهذه خطب اشهر من أن تقدم بشيء ، فقد قيلت كلها ، أو كتبت ، فى مناسبات ، احتفل بها العالم احتفالا لا نزال نشهد آثاره ، بل نشهد تجدده ، الا أن اجتماع هذه الكلمات بعضها الى بعض ، قد يعطى للذين قرأوها متفرقة ، فرصة التأمل فى الصورة التى ترتسم منها ، كما أنها تمنح الفرصة للذين لا يعرفون البواعث التى خلف هذه العبارات ، أن يقدروا ويفكروا ، ليدركوا أن قوتها لا تصدر عن ملابسة عابرة ، وانما عن عالم فسيح من الاحداث التي جعلت من الشرق العربى ، طاقة لا سبيل الى تجاهل قوتها ، والى سير تقدمها ، وان هذه الكلمات البسيطة الواضحة هى التى تبين كيف سارت الثورة فى الماضى القريب ، وكيف ستسير باذن الله فى المستقبل القريب ، ثم المستقبل البعيد أيضا محفوفة برعاية الله وقلوب العرب ، والمؤمنين بالحق والعدل والحرية

الرئيس جمال
نشأته وجهاده الوطني

بقلم الأستاذ طاهر الطناحي

من صميم الشعب

هذا الزعيم المصرى الشاب الذى غير مجرى تاريخ مصر ، وتاريخ العالم بثورته السياسية ومبادئه السامية ، وأهدافه السلمية ، وحبه للاصلاح ، وسعيه لتحقيق السلام . ليس شابا ارستقراطيا ، ولا هو من أسرة ثرية ، بل هو من صميم الشعب ، ومن صميم الديمقراطية العربية . ومن أسرة مصرية عريقة فى العروبة ، تسكن قرية « بنى مر » ، من أعمال مركز أسيوط

ولد فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨ كما ولد ويولد غيره من الناس ، ونشأ كما ينشأ غيره من أبناء الطبقة المتوسطة ، وتعلم كما يتعلم الآخرون فى المدارس الابتدائية المصرية ثم المدارس الثانوية . والتحق بكلية الحقوق ، ثم تركها والتحق بالكلية الحربية ليرضى رغبة فى نفسه للدفاع عن حرية بلاده والعمل لعزتها وكرامتها

ولم تمض على ولادته بضعة أشهر حتى اندلعت نيران الثورة الشعبية عام ١٩١٩ وهبت مصر تطالب بحريتها وحقها فى الحياة الكريمة ، فرضع جمال لبان هذه الثورة وانعكست آثار مأساة وطنه عاما بعد عام على نفسه وقلبه وفكره ، وجرت الثورة فى كيانه مجرى الدم فى العروق

كان والده عبد الناصر حسين موظفا فى الدولة ، فتنقل بحكم وظيفته من بلد الى آخر ، ولذلك ولد جمال بالاسكندرية ، وتلقى علومه الاولية بمدرسة الخطاطبة . ثم استهل دراسته الابتدائية فى مدرسة النحاسين بالقاهرة . ولم يمض عام حتى نقل والده الى الاسكندرية ، فالتحق

جمال بمدرسة العطارين الابتدائية . ثم نقل والده مرة ثانية الى القاهرة ، فعاد الطفل الى مدرسة النحاسين ، وبقى فيها الى أن نال شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٣١ . وقبل حصوله على هذه الشهادة بقليل وقعت له مأساة كان لها أثر كبير فى نفسه ، فقد توفيت والدته ، فأحدثت وفاتها آلاما شديدة ، حفزته الى مصارعة الصعاب ..

فى دراسته الثانوية والحربية

وقد التحق بعدئذ بالقسم الداخلى بمدرسة حلوان الثانوية حيث مكث عاما واحدا أنتقل بعده الى مدرسة راس التين الثانوية بالاسكندرية . ثم عاد الى القاهرة ليلتحق بمدرسة النهضة حيث أتم فيها دراسته الثانوية . ونال شهادة البكالوريا سنة ١٩٣٦ . فرغب أن يلتحق بالكلية الحربية ، فلم يقبل طلبه لأن أباه لم يكن من ذوى الحول والطول ، فالتحق بكلية الحقوق ، ودرس بها خمسة اشهر عاكفا على دراسته للقانون الى أن اعلنت الكلية الحربية عن حاجتها الى طلاب جدد ، فقدم طلبه اليها ، وقبل مع أربعين طالبا فى مارس سنة ١٩٣٧ . وكان عمره وقتئذ ١٩ عاما . وقد تخرج فى هذه الكلية فى أول يوليه سنة ١٩٣٨ . وقال عنه تقرير الكلية : « حصل على درجة جيد فى العلوم العسكرية ــ محب للضبط والربط والالعاب الرياضية »

جمال فى الجيش

بعد تخرجه من الكلية الحربية التحق بكتيبة البنادق الخامسة المشاة فى منقباد بأسيوط فبقى فيها الى أن نقل الى كتيبة البنادق الثالثة المشاة . ورقى الى رتبة ملازم أول فى مايو سنة ١٩٤٠ والى رتبة يوزباشى فى سبتمبر سنة ١٩٤٢ . واسند اليه منصب اركان حرب الكتيبة على الرغم من انه برتبة يوزباشى . ولكنه كان ضابطا كفئا ممتازا يستحق هذا المركز

وقد التحق جمال بكلية أركان الحرب فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ . ثم تخرج من هذه الكلية فى ١٢ مايو سنة١٩٤٨ وجاء عنه فى التقرير النهائى :

« هادىء ــ على جانب كبير من الخلق ــ مسالم ــ بذل مجهودا خلال وجوده فى فرقة كلية أركان الحرب »

وبعد أن تخرج من هذه الكلية رقى فى٧يولية سنة١٩٤٨ الى رتبة الصاغ ، واشترك فى حرب فلسطين ، وابلى فيها بلاء حسنا ، وقد اعترفت اسرائيل بانتصاره الباهر على جيشها فى (معركة عراق المنشية) !!

وقد منح النجمة العسكرية والمشبك عام ١٩٤٩ وعين مدرسا بمدرسة الشئون الادارية فى يولية سنة ١٩٤٩ ، ثم رقى الى رتبة بكباشى ا.ح فى ٦ مايو سنة ١٩٥١ . وعين مدرسا فى كلية أركان الحرب فى نوفمبر سنة ١٩٥١

كفاحه السياسى

بدأ جمال عبدالناصر كفاحه السياسى منذ أن كان طالبا بمدرسة رأس التين بالاسكندرية فأسهم فى مظاهرات الطلبة الذين هم أكبر سنا منه ضد الحكم المطلق الذى حاول اسماعيل صدقى أن يبسطه على مصر . ووقف الطالب جمال لأول مرة فى حياته يهتف مع رفاقه للحرية فى ميدان المنشية بالاسكندرية وانهال الرصاص عليه وعلى رفاقه الطلبة من كل جانب ، وبدلا من أن يجزع أو يتقاعس ازداد ايمانا بنفسه وثقة برسالته ومنذ هذا الحادث وهب روحه للجهاد فى سبيل مصر

وقد عبر الرئيس عن تلك المرحلة من مراحل كفاحه فى الكلمة التى ألقاها ليلة ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤ بميدان المنشية بالاسكندرية فقال : « كنت شابا صغيرا عام ١٩٣٠ ومن هنا بدأت لأول مرة اهتف مع اخوانى من أبناء الشعب للحرية .. واليوم اشكر الله .. فلقد أثمر كفاح آبائكم واجدادكم

وجميع الشهداء الذين استشهدوا »

وسرعان ما أصبح جمال زعيما للطلبة وفى طليعة العاملين لمجد الوطن ، فقاد المظاهرات فى نوفمبر ١٩٣٥ بمناسبة تصريح هور وزير خارجية بريطانيا ضد الامانى القومية المصرية وشارك غيره من الطلاب حين طلبوا الى الزعماء ان ينبذوا أحقادهم ويدفنوا مطامعهم ليواجهوا الخطر المشترك ، وضربه رجال البوليس بهراوة شجت رأسه ولكنه أبى أن يستسلم لرجال الاسعاف ليضمدوا جراحه ووضع منديله فوق الجرح ومضى يهتف ضد الاستعمار وفى اليوم التالى نشرت الصحف اسمه بين أسماء المكافحين الاحرار

وعندما ذهب الى مدرسته علم انه فصل منها ، واضرب الطلبة تضامنا معه وهددوا بالمضى فى الاضراب ان لم يعد فعاد معززا مكرما

الضباط الأحرار

وفى داخل صفوف القوات المسلحة لم تخمد الثورة فى نفس جمال على الرغم من انه بدأ صفحة جديدة فى سجل حياته ..

كان الضباط فى ذلك الوقت يكونون شبه أحزاب داخل كل كتيبة ، وكان كل حزب يحاول أن يستميل أكبر عدد من الضباط ليتغلب على باقى الاحزاب .. وقام جمال يبشر بمذهب جديد يقوم على المحبة ويربط بها القلوب ويحل الصداقة والتفاهم محل التطاحن الحزبى فحل الاحزاب الموجودة وبدأ يغرس فى النفوس الصفاء والمحبة والسلام وبعد فترة وجيزة وجد أصحاب الاحزاب انفسهم وقد انفض الجميع عنهم

وبدأ كبار الضباط الذين وضعهم الاستعمار فى مناصبهم ليقتلوا الروح المعنوية فى صفوف الجيش ينظرون الى جمال

كمنافس خطير ، جاء ليحطم الاصنام ويبشر بدعوة جديدة فشنوا عليه حربا لا هوادة فيها وحاكوا الدسائس والمؤامرات حوله ولكنه استمر فى دعوته

وأحس جمال أن الطريق شاق وان الضباط الكبار الذين عاشوا على الدس والوقيعة لن يتركوه فلما حان وقت الترشيح للنقل الى السودان وضعوا اسمه ورحب هو بذلك والحق بالكتيبة الثالثة المشاة فى ديسمبر سنة ١٩٣٩

وكان جمال قد تعرف فى ابان اقامته فى منقباد بزكريا محيى الدين وانور السادات فتآلفت أرواحهم وتعاهدوا على تخليص وطنهم مما يكرهون

انتصاره فى فلسطين

وحينما دخلت مصر حرب فلسطين كانت كتيبة جمال عبد الناصر أول كتيبة دخلت الاراضى المقدسة واسهمت فى الحرب وكشف دوره فوق ثراها عن مآس ومخاز لمسها وجعلت أفكاره تتبلور ضد المسئولين وبخاصة ما كان يلمسه من احتياجات الجيش الى ذخيرة وعتاد وامكانيات غير متوافرة

وكذلك كشفت حرب فلسطين عن بطولات ، وامجاد له لمسها كل من كان له دور فى هذه المعركة خصوصا فى المجدل وأسدود وكان الصاغ جمال عبد الناصر وقتئذ أركان حرب الكتيبة السادسة المشاة المعسكرة فى عراق المنشية التى هزمت العدو هزيمة منكرة

وتتحدث التقارير الرسمية عن خطط الهجوم والدفاع السريعة التى كان يقودها جمال لمفاجأة الاسرائيليين وعزلهم عن مستعمراتهم فى «جات» بما كان لديه من أدوات دفاعية ضئيلة أمكنه بها أن يتغلب على دبابات العدو وأن يسيطر على الموقف ..

وفى التقارير صورة مشرفة لجهاد جمال فى عراق المنشية

الذى خرج منه برصاصة وصلت الى حدود القلب ولكن جمال لم يمكث فى المستشفى طويلا وسرعان ما غادر فراشه ولما يلتئم جرحه وعاد الى الميدان ليحارب من جديد على الرغم من أنهم كتبوا اسمه بطريق الخطأ فى قائمة القتلى . وقد كتب فى هذا الصدد يقول : « ان الحرص على الحياة أكثر ما يسلب المحارب روح القتال وان الاندفاع الى النصر كامن فى اللامبالاة بالنفس ونسيان كل شىء ومراعاة المعركة وحدها »

وقد اصطدمت فى الميدان عقليتان : عقليته المتحررة والعقلية الجامدة المتحجرة فقد حدث فى احدى المعارك أن صاح القائد فجأة : « العساكر بتموت » ثم أصدر أمرا بالانسحاب وكانت النتيجة أن انسحب نصف الكتيبة وبقى النصف الآخر مكشوفا ، وجاءت الاوامر تطالب القيادة بادارة رحى المعركة .ووصل جمال الى مركز القيادة فى الوقت المناسب، فسيطر على الموقف . وفى فجر اليوم التالى انجلت المعركة عن نصر ، ونقل القائد فورا .. وعبر هو عن هذا الموقف الدقيق بقوله : « حين يكون شرف الوطن مهددا وكيانه فى مهب العواصف فما من شىء ينقذه الا نيران المعركة »

وحوصرت كتيبته فى عراق المنشية وهوجمت مرتين ووصلت قوات العدو فى احدى هجماتها الى بعد أمتار معدودة من خندق جمال وانتصر جمال، انتصر بقوة اعصابه وبمبادئه فقد استدعى نصف القوات المعسكرة فى الجانب الآخر من حدود المعركة بدون أن يعلموا بأن العدو قد توغل هذا التوغل الخطير فى صفوفهم واقتحم جمال المعركة بالمدد الجديد وانتصر ، واعترف العدو بهذا النصر فى الكتاب الذى أصدره قبيل الثورة بعنوان « جيش اسرائيل » فقد قال ما يلى بالحرف الواحد : « لقد انتصرنا فى جميع المعارك التى تلت الهدنة الثانية فى اكتوبر ١٩٤٨ الا فى عراق المنشية »

بعد حرب فلسطين

انتهت حرب فلسطين وعاد جمال واخوانه بعد رفع الحصار عن الفالوجا وعسكرت كتيبته فى الاسماعيلية فى مارس ١٩٤٩

لقد كانت حرب فلسطين كما كانت حرب الحبشة قبل ثمانين عاما محكا للرجولة العسكرية

ففى حرب الحبشة أرسلت الحملة العسكرية تلو الاخرى ومصر غارقة فى ديونها والمستعمرون يوسعون رقعة نفوذهم سواء أكان سياسيا أم اقتصاديا والفساد والانحلال يدبان فى أوصال الدولة ..

ارسلت الحملة لا لشيء سوى اشباع نزوات الخديو الخليع اسماعيل ، فكانت النتيجة أن خسرت مصر المال والارواح والعتاد ، ولكن الضباط الاحرار عادوا من هذه الحرب وهم يحملون بين جوانحهم بذور الثورة التى افرخت فيما بعد فى صدور الفلاحين بزعامة احمد عرابى . كذلك كانت حرب فلسطين فقد تكشفت عن ضعف القيادة وحاجة الجيش الى العتاد والذخيرة ولطخت حكومة ذلك العهد بالعار بسبب الاسلحة الفاسدة التى كان يتاجر بها فاروق وأعوانه

ولكن الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر ما أن عادوا من هذه الحرب الى أرض الكنانة حتى غرسوا بذور الثورة فى نفوس بقية الضباط فشكلوا وحدتهم وبدأوا يعربون عن سخطهم بمختلف المنشورات السرية ويبحثون عن مخرج لانقاذ وطنهم مما يكرهون

ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢

أن ايمانهم العميق بالشعب صانع المعجزات ومبتدع الخوارق هو ايمان يفوق حد الوصف وان شعورهم بأن

حركتهم بدات تتفاعل مع الشعب خطوة فخطوة دفعتهم للوصول الى الهدف المنشود

وفى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حانت ساعة التنفيذ واستطاع الضباط الاحرار أن يسيطروا على الموقف سيطرة تامة حتى اذا أسفر صبح الاربعاء من اليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ بدت نواقيس الحرية تدق فى كل مكان فتنحت الوزارة القائمة عن الحكم واقصى الملك السابق عن العرش وانهارت دولة الفساد والطغيان فى ساعات معدودة

وهكذا انقذت مصر من مخالب الطغيان والفساد والرجعية وسارت قدما تحت لواء جمال نحو طريق العزة والكرامة ونحو النصر المتتابع والتوفيق والنجاح

انتصار على الدوام

* لقد انتصر جمال عبد الناصر فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ فى هذه الثورة التاريخية البيضاء

* وانتصر جمال فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ باعلان قانون الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية الزراعية لتحطيم الاقطاع والاستبداد

* وانتصر جمال يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٤ يوم اعلن الغاء الملكية واعلان الجمهورية والقضاء على الحزبية ومحو الالقاب وجعل السيادة للشعب

* وانتصر جمال يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ يوم وقع اتفاقية الجلاء فى مدى عشرين شهرا

* وانتصر جمال على الرجعية والسلبية والضلال والشر الذى اريد به فى ميدان المنشية بالاسكندرية يوم ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٥٤ ونجاه الله ليتم الدور الذى اراده القدر لمصر

* وانتصر جمال يوم أعلن دستور الشعب فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ ووضع فيه كل آمال مصر

* وانتصر جمال يوم رفع العلم المصرى ـ علم الاستقلال الكامل بعد انتهاء الجلاء على مدخل قناة السويس ببورسعيد يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٦ فى لحظة تساوى العمر كله ..

* وانتصر جمال فى ٢٤ يونية سنة ١٩٥٦ حينما اجمعت مصر على انتخابه أول رئيس شرعى لجمهورية مصر ، وعلى تأييد الدستور الذى وضعه لتأكيد سيادة الشعب ورفع شأنه ..

* وانتصر جمال يوم اعلن تأميم قناة السويس فى ٢٦ يولية سنة ١٩٥٦ ليرد الى بلاده حقوقها المهضومة

* وانتصر جمال على المؤامرة الحربية الثلاثية التى شنتها انجلترا وفرنسا وصنيعتهما الحقيرة اسرائيل فى آخر اكتوبر وأوائل نوفمبر سنة ١٩٥٦

وانتصر جمال فى المعركة الدبلوماسية بجمعية الامم المتحدة التى أيدته فيها ٧٥ دولة اعترفت بسيادة مصر فى أرضها وحقها فى الحرية والاستقلال

انتصر جمال على هذا كله ، وانتصر مع ذلك فى سياسته الخارجية ورفعه لشأن الشرق الاوسط والعالم العربى بتلك السياسة المستقلة ذات الشخصية المحترمة التى يتنافس عليها المعسكران الشرقى والغربى . بل انتصر فى توجيه دول العالم الى تأييد السلام والتعايش السلمى حبا فى سعادة الانسانية وليعيش العالم حياة جديدة شريفة تقوم على التفاهم والتعاون والسلام والخير العام

فلسفة الثورة

الجزء الأول

كلمة فلسفة

قبل أن أمضى فى هذا الحديث أريد أن أقف قليلا عند كلمة « فلسفة »

ان الكلمة ضخمة وكبيرة

وأنا أحس وأنا واقف حيالها أني أمام عالم واسع ليس له حدود ، وأشعر فى نفسى برهبة خفية تمنعنى من أن أخوض فى بحر ليس له قاع ، ولا أرى له على البعد ، من الشاطىء الذى أقف فيه ، شاطئا آخر أنتهى اليه ...

والحق أنى أريد أن أتجنب كلمة فلسفة فى هذا الذى سأقوله ، ثم انا أظن أنه من الصعب على أن أتحدث عن فلسفة الثورة

من الصعب لسببين :

أولهما أن الحديث عن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو يلزمه أساتذة يتعمقون فى البحث عن جذورها الضاربة فى أعماق تاريخ شعبنا

وقصص كفاح الشعوب ليس فيها فجوات يملؤها الهباء، وكذلك ليس فيها مقدمات تقفز الى الوجود دون مقدمات

ان كفاح أى شعب ، جيلا بعد جيل ، بناء يرتفع حجرا فوق حجر ...

وكما أن كل حجر فى البناء يتخذ من الحجر الذى تحته قاعدة يرتكز عليها ، كذلك الاحداث فى قصص كفاح الشعوب ...

كل حدث منها هو نتيجة لحدث سبقه ، وهو فى نفس الوقت مقدمة لحدث مازال فى ضمير الغيب ...

ولست أريد أن أدعي لنفسي مقعد أستاذ التاريخ ... ذلك آخر ما يجري به خيالي

ومع ذلك فلو حاولت محاولة تلميذ مبتدىء ، في دراسة قصة كفاح شعبنا ، فاني سوف أقول مثلا ان ثورة ٢٣ يوليو هي تحقيق للامل الذي راود شعب مصر ، منذ بدأ في العصر الحديث يفكر في أن يكون حكمه بأيدي أبنــائه ، وفي أن تكون له نفسه الكلمة العليا في مصيره

لقد قام بمحاولة لم تحقق له الامل الذي تمناه ، يوم تزعم السيد عمر مكرم حركة تنصيب محمد علي واليا على مصر ، باسم شعبها ...

وقام بمحاولة لم تحقق له الامل الذي تمناه ، يوم حاول عرابي أن يطالب بالدستور ...

وقام بمحاولات متعددة ، لم تحقق له الامل الذي تمناه، في فترة الغليان الـكبرى التي عاشها بين الثورة العرابية وثورة سنة ١٩١٩

وكانت هذه الثورة الاخيرة ـ ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول ـ محاولة أخرى لم تحقق له الامل الذي تمناه

٢٣ يوليو وحرب فلسطين

وليس صحيحا أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي أسفرت عنها حرب فلسطين، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التي راح ضحيتها جنود وضباط . وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال من ان السبب كان أزمة انتخابات نادي ضباط الجيش

انما الامر في رأيي كان أبعد من هذا وأعمق أغوارا

ولو كان ضباط الجيش حاولوا أن يثوروا لانفسهم لانه قد غرر بهم في فلسطين ، أو لان فضيحة الاسلحة الفاسدة أرهقت أعصابهم ، أو لان اعتداء وقع على كرامتهم في

انتخابات ضباط الجيش ، لما كان الامر يستحق ان يكون ثورة ، ولكان أقرب الاشياء الى وصفه أنه مجرد تمرد ، حتى وان كانت الاسباب التى أدت اليه منصفة عادلة فى حد ذاتها ...

لقد كانت هذه كلها أسبابا عارضة ...

وربما كان أكبر تأثير لها أنها كانت تستحثنا على الاسراع فى طريق الثورة ، ولكننا كنا من غيرها نسير على هذا الطريق

وأنا أحاول اليوم ، بعد كل ما مر بى من احداث ، وبعد سنوات طويلة من بدء التفكير فى الثورة ، أن أعود بذاكرتى وأتعقب اليوم الاول الذى اكتشفت فيه بذورها فى نفسى

ان هذا اليوم أبعد فى حياتى من أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٥١ ، أيام ابتداء ازمة نادى الضباط ، ففى ذلك الوقت كان تنظيم الضباط الاحرار قائما يباشر عمله ونشاطه ، بل أنا لا أغالى اذا قلت ان ازمة انتخابات النادى أثارها أكثر من أى شىء آخر نشاط الضباط الاحرار ، فقد شئنا فى ذلك الوقت أن ندخل معركة نجرب فيها قوتنا على التكتل وعلى التنظيم

وهذا اليوم — فى حياتى أيضا — أبعد من بدء فضيحة الاسلحة الفاسدة، فقد كان تنظيم الضباط الاحرار موجودا قبلها ، وكانت منشوراتهم أول نذير بتلك المأساة ، وكان نشاطهم وراء الضجة التى قامت حول الاسلحة الفاسدة

تجاربنا فى فلسطين

بل ان هذا اليوم فى حياتى أبعد من يوم ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ ، ذلك اليوم الذى كان بداية حياتى فى حرب فلسطين

وحين أحاول الآن ان استعرض تفاصيل تجاربنا فى فلسطين اجد شيئا غريبا ...

فقد كنا نحارب فى فلسطين ، ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر

كان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض أمامنا فى خنادق ولكن قلوبنا كانت تحوم حـول وطننا البعيد الذى تركنـاه للذئاب ترعاه ...

وفى فلسطين كانت خلايا الضباط الاحرار تدرس وتبحث وتجتمع فى الخنادق والمراكز ..

فى فلسطين جاءنى صلاح سالم وزكريا محيى الدين ، واخترقا الحصار الى الفالوجا ، وجلسنا فى الحصار لانعرف له نتيجة ولا نهاية ، وكان حديثنا الشاغل وطننا الذى يتعين علينا أن نحاول انقاذه ...

وفى فلسطين جلس بجوارى مرة كمال الدين حسين وقال لى وهو ساهم الفكر شارد النظرات :

ــ هل تعلم ماذا قال لى أحمد عبد العزيز قبل ان يموت؟

قلت :

ــ ماذا قال ..؟

قال كمال الدين حسين وفى صوته نبرة عميقة وفى عينيه نظرة أعمق :

ــ لقد قال لى : اسمع يا كمال ، ان ميدان الجهاد الاكبر هو فى مصر

التقاء بالافكار

ولم التق فى فلسطين بالاصدقاء الذين شاركونى فى العمل من اجل مصر ، وانما التقيت أيضا بالافكار التى أنارت أمامى السبيل ..

وانا اذكر أيام كنت اجلس فى الخنادق واسرح بذهنى الى مشاكلنا ...

كانت الفالوجة محاصرة ، وكان تركيز العدو عليها ضربا

بالمدافع والطيران تركيزا هائلا مروعا ..

وكثيرا ما قلت لنفسى :

«هانحن هنا فى هذه الجحور محاصرين ، لقد غرر بنا ، دفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات ، وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح »

وحين كنت أصل الى هذا الحد من تفكيرى كنت أجد خواطرى تقفز فجأة عبر ميادين القتال ، وعبر الحدود ، الى مصر ، وأقول لنفسى :

« هذا هو وطننا ، انه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ..

« ان الذى يحدث لنا هنا صورة من الذى يحدث هناك .. صورة مصغرة

« وطننا هو الآخر حاصرته المشاكل والاعداء ، وغرر به .. ودفع الى معركة لم يعد لها ، ولعبت بأقداره مطامع ومؤامرات وشهوات ، وترك هنـــاك تحت النيران بغير سلاح ! »

وأكثر من هذا ، لم يكن الاصدقاء هم الذين تحدثوا معى عن مستقبل وطننا فى فلسطين ولم تكن التجارب هى التى قرعت أفكارنا بالنذر والاحتمالات عن مصيره ، بل ان الاعداء أيضا لعبوا دورهم فى تذكيرنا بالوطن ومشاكله

ومنذ أشهر قليلة قرأت مقالات كتبها عنى ضـــابط اسرائيلى اسمه « يردهان كوهين » ، ونشرتها له جريدة « جويش أوبزرفر » وفى هـــذه المقالات روى الضـــابط اليهودى كيف التقى بى أثناء مباحثات الهدنة وقال :

« لقد كان الموضوع الذى تطرقه جمال عبد الناصر معى دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة

مقاومتنا السرية لهم فى فلسطين ، وكيف استطعنا أن نجند الرأى العام فى العالم وراءنا فى كفاحنا ضدهم »

بذور الثورة

ثم ان هذا اليوم ــ اليوم الذى اكتشفت فيــــه بذور الثورة فى نفسى ــ أبعد من حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، الذى كتبت بعده خطابا الى صديق قلت له فيه :

« ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين ؟

« الحقيقة انى اعتقد أن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده بقصد التهديد فقط ، ولكن لو أنه أحس أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقــوة لانسحب كأى امرأة من العاهرات »

وطبعا هذا حاله أو تلك عادته ..

أما نحن ، اما الجيش ، فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الروح والاحساس فيه ، فبعد أن كنت ترى الضبــاط لا يتكلمون الا عن الفساد واللهو ، أصبحوا يتكلمون عــن التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة ، واصبحت تراهم وكلهم ندم لانهم لم يتدخلوا ــ مع ضعفهم الظاهر ــ ويردوا للبلاد كرامتها ، ويغسلوها بالدماء، ولكن ان غدا لناظره قريب

لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئا بغيــة الانتقام ، ولكن الوقت كان قد فات ، اما القلوب فكلها نار واسى ..

والواقع أن هذه الحركة ... ان هذه الطعنة ردت الروح الى بعض الاجساد ، وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها ، وكان هذا درسا قاسيا

وكذلك فان هذا اليوم أبعد فى حياتى من الفوران الذى عشت فيه أيام كنت طالبا امشى مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور سنة ١٩٣٢ — وقد عاد الدستور بالفعل — فى سنة ١٩٣٥ ... وايام كنت اسعى مع وفود الطلبة ، الى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر ، وتألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على اثر هذه الجهود

وأذكر اننى فى فترة الفوران هذه كتبت خطابا الى صديق من أصدقائى ، قلت فيه ، وكان تاريخه ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ :

« أخى ...

« خاطبت والدك يوم ٣٠ اغسطس فى التليفون وقد سألته عنك فأخبرنى أنك موجود فى المدرسة

« لذلك عولت على أن اكتب اليك ما كنت سأكلمك فيه تليفونيا ...

«قال الله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم ؟

« ان الموقف اليوم دقيق ، ومصر فى موقف ادق .. ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت ، فان بناء اليأس عظيم الاركان ، فأين من يهدم هذا البناء ؟ »

ثم مضيت فى الخطاب الى آخره ..

واذن فمتى كان ذلك اليوم الذى اكتشفت فيه بذور الثورة فى أعماقى ؟

فاذا أضيف الى ذلك كله ، ان تلك البذور لم تكن كامنة فى أعماقى وحدى ، وانما وجدتها كذلك فى أعماق كثيرين غيرى ، هم الآخرون بدورهم لا يستطيع الواحد منهم أن يتعقب بداية وجودها داخل كيانه ، لاتضح اذا أن هذه

البذور ولدت فى أعماقنا حين ولدنا ، وانها كانت أملامكبوتا خلفه فى وجداننا جيل سبقنا

داخل الدوامة

ولقد استطردت وراء هذا كله لاشرح السبب الاول الذى من أجله وجدت من الصعب على ان أتحدث عن فلسفة الثورة وقلت ان هذا الحديث يلزمه أساتذة يتعمقون فى الحديث عن جذورها الضاربة فى أعماق تاريخ شعبنا

اما السبب الثانى فهو اننى كنت بنفسى داخل الدوامة العنيفة للثورة ..

والذين يعيشون فى أعماق الدوامة قد تخفى عليهم بعض التفاصيل البعيدة عنها ...

وكذلك كنت بايمانى وعقلى وراء كل ما حدث ، وبنفس الطريقة التى حدث بها ، واذن فهل أستطيع أن أتجرد من نفسى حين أتكلم عنه ، وحين أتكلم عن المعانى المستترة وراءه ؟

انا من المؤمنين بانه لا شىء يمكن أن يعيش فى فراغ .. حتى الحقيقة لا يمكن أن تعيش فى فراغ

والحقيقة الكامنة فى أعماقنا هى : ما نتصور نحن أنه الحقيقة ، أو بمعنى أصح : هو الحقيقة مضافا اليها نفوسنا

نفوسنا هى الوعاء الذى يعيش فيه كل ما فينا ، وعلى شكل هذا الوعاء سوف يتشكل كل ما يدخل فيه ، حتى الحقائق

وأنا احاول ــ بقدر ما تستطيع طاقتى البشرية ــ أن امنع نفسى من ان تغير كثيرا من شكل الحقيقة ، ولكن الى اى حد سوف يلازمني التوفيق ؟

هذا سؤال !

وبعده أريد أن أكون منصفا لنفسي ، ومنصفا لفلسفة الثورة ، فأتركها للتاريخ يجمع شكلها فى نفسى ، وشكلها فى نفوس غيرى ، وشكلها فى الحوادث جميعا ، ويخرج من هذا كله بالحقيقة كاملة

مشاعر وتجارب

واذن فما الذى أريد أن أتحدث عنه اذا كنت قد استبعدت كلمة « فلسفة » ؟ الواقع أن الذى أملكه فى هذا الصدد شيئان :

أولهما مشاعر اتخذت شكل الامل المبهم ، ثم شكل الفكرة المحددة ، ثم شكل التدبير العملى ، حتى منتصف ليل ٢٣ يوليو

وثانيهما تجارب وضعت هذه المشاعر ، بأملها المبهم ، وفكرتها المحددة ، وتدبيرها العملى ، موضع التنفيذالفعلى فى منتصف ليل ٢٣ يوليو حتى الآن

وعن هذه المشاعر والتجارب أريد أن أتحدث ...

لطالما ألح على خواطرى سؤال ، هو :

« هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟ »

لقد قلت منذ سطور ، ان ثورة ٢٣ يوليو كانت تحقيقا لأمل كبير راود شعب مصر ، منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه فى أيدى أبنائه ، وفى أن يكون له نفسه الكلمة العليا فى مصيره ...

واذا كان الامر كذلك ، ولم يكن الذى حدث يوم ٢٣ يوليو تمردا عسكريا ، وليس ثورة شعبية ، فلماذا قدر للجيش ، دون غيره من القوى ، أن يحقق هذه الثورة ؟

ولقد آمنت بالجندية طول عمرى ، والجندية تجعل للجيش واجبا واحدا ، هو أن يموت على حدود وطنه ،

فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطرا للعمل فى عاصمة الوطن ، وليس على حدوده ؟

ومرة أخرى دعونى أنبه الى ان الهزيمة فى فلسطين ، والاسلحة الفاسدة ، وازمة نادى الضباط . . . لم تكن المنابع الحقيقية التى تدفق منها السيل ، لقد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق ، ولكنها ـ كما سبق أن قلت ـ لا يمكن أبدا ان تكون هى الاصل والاساس

واذن لماذا وقع على الجيش هذا الواجب ؟

قلت ان هذا السؤال طالما الح على خواطرى . . .

الح عليها ونحن فى دور الامل والتفكير والتدبير قبل ٢٣ يوليو . والح عليها فى مراحل كثيرة من التجربة بعد ٢٣ يوليو

ولقد كانت امامنا مبررات مختلفة قبل ٢٣ يوليو تشرح لنا لماذا يجب أن نقوم بالذى قمنا به . . .

كنا نقول : اذا لم يقم الجيش بهذا العمل فمن يقوم به ؟

وكنا نقول : كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية احلام الشعب ، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول الى الطاغية فيبدد أحلامه هو . . .

وكنا نقول غير هذا كثيرا ، ولكن الأهم من كل ما كنا نقوله ، اننا كنا نشعر شعورا يمتد الى وجودنا بأن هذا الواجب واجبنا ، وأننا اذا لم نقم به نكون كأننا قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حملها . . .

ولكنى أعترف بأن الصورة الكاملة لم تتضح فى خيالى الا بعد فترة طويلة من التجربة عقب ٢٣ يوليو . . .

وكانت تفاصيل هذه التجربة . . . هى بعينها تفاصيل الصورة

ماذا وجدنا بعد ٢٣ يوليو

وانا أشهد انه مرت على بعد يوم ٢٣ يوليو نوبات اتهمت

فيها نفسي وزملائي وباقي الجيش بالحماقة والجنون الذى صنعناه فى ٢٣ يوليو ...

لقد كنت اتصور قبل ٢٣ يوليو أن الامة كلها متحفزة متأهبة ، وانها لا تنتظر الا طليعة تقتحم أمامها السور ، فتندفع الامة وراءها صفوفا متراصة منتظمة تزحف زحفا مقدسا الى الهدف الكبير ...

وكنت اتصور دورنا على أنه دور طليعة الفدائيين ، وكنت أظن أن دورنا هذا لايستغرق أكثر من بضع ساعات ، ويأتى بعدنا الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ، بل قد كان الخيال يشط بى أحيانا فيخيل الى أنى أسمع صليل الصفوف المتراصة وأسمع هدير الوقع الرهيب لزحفها المنظم الى الهدف الكبير ، أسمع هذا كله ويبدو فى سمعى من فرط ايمانى به حقيقة مادية ، وليس مجرد تصورات خيال ...

ثم فاجأنى الواقع بعد ٢٣ يوليو ...

قامت الطليعة بمهمتها ، واقتحمت سور الطغيان ، وخلعت الطاغية ، ووقفت تنتظر وصول الزحف المقدس للصفوف المتراصة المنتظمة الى الهدف الكبير ...

وطال انتظارها ...

لقد جاءتها جموع ليس لها آخر ... ولكن ما أبعد الحقيقة عن الخيال !

كانت الجموع التى جاءت أشياعا متفرقة ، وفلولا متناثرة ، وتعطل الزحف المقدس الى الهدف الكبير ، وبدت الصورة يومها قاتمة مخيفة تنذر بالخطر ...

وساعتها أحسست وقلبى يملؤه الحزن وتعطر منه المرارة ، أن مهمة الطليعة لم تنته فى هذه الساعة ، وانما من هذه الساعة بدأت ...

كنا فى حاجة الى النظام ، فلم نجد وراءنا الا الفوضى . . .
وكنا فى حاجة الى الاتحاد ، فلم نجد وراءنا الا الخلاف
وكنا فى حاجة الى العمل ، فلم نجد وراءنا الا الخنوع والتكاسل . . .
ومن هنا وليس من اى شىء آخر ، أخذت الثورة شعارها



ولم نكن على استعداد . . .
وذهبنا نلتمس الراى ، والخبرة من ذوى الراى ، والخبرة من أصحابها . . . ومن سوء حظنا لم نعثر على شىء كثير
كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل آخر !
وكل فكرة سمعناها لم تكن تهدف الا الى هدم فكرة أخرى !
ولو اطعنا كل ما سمعناه ، لقتلنا جميع الرجال وهدمنا جميع الافكار ، ولما كان لنا بعدها ما نعمله الا أن نجلس بين الأشلاء والأنقاض نندب الحظ البائس والقدر التعس !
وانهالت علينا الشكاوى والعرائض بالالوف ومئات الالوف ، ولو أن هذه الشكاوى والعرائض كانت تروى لنا حالات تستحق الانصاف ، أو مظالم يجب ان يعود اليها العدل ، لكان الامر منطقيا ومفهوما ، ولكن معظم ما كان يرد الينا لم يزد أو ينقص عن أن يكون طلبات انتقام . . . كأن الثورة قامت لتكون سلاحا فى يد الأحقاد والبغضاء !

كلمة (انا)

ولو ان احدا سألنى فى تلك الايام ، ما هو اعز امانيك ؟ لقلت له على الفور :
ـــ أن أسمع مصريا يقول كلمة انصاف فى حق مصرى آخر

ان أحس أن مصريا قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لاخوانه المصريين ...

أن أرى مصريا لا يكرس وقته لتسفيه آراء مصري آخر

وكانت هناك بعد ذلك كله أنانية فردية مستحكمة ...

كانت كلمة « أنا » على كل لسان ...

كانت هى الحل لكل مشكلة ، وهى الدواء لكل داء ...

وكثيرا ما كنت أقابل كبراء ــ أو هكذا تسميهم الصحف ــ من كل الاتجاهات والالوان ، وكنت أسأل الواحد منهم فى مشكلة ألتمس عنده حلا لها ، ولم أكن أسمع الا « أنا » ...

مشاكل الاقتصاد « هو » يفهمها ، أما الباقون فهم فى العلم أطفال يحبون

ومشاكل السياسة « هو » وحده الخبير بها ، أما الباقون جميعا فما زالوا فى « ألف باء » لم يتقـــدموا بعدها حرفا واحدا

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء ، ثم أعود الى زملائى فأقول لهم فى حسرة :

ــ لا فائدة ... هذا رجل لو سألناه عن مشكلة صــيد السمك فى جزائر هاواى لما وجدنا عنده جوابا الا كلمــة « أنا » ... !

صناعة المعجزة

أذكر مرة كنت أزور فيها احدى الجامعات ... ودعوت أساتذتها وجلست معهم أحاول أن أسمع منهم خبرة العلماء

وتكلم أمامى منهم كثيرون ... وتكلموا طويلا ...

ومن سوء الحظ أن أحدا منهم لم يقدم لى أفكارا ، وانما كل واحد منهم لم يزد على أن قدم لى نفسه ، وكفــاياته الخليقة وحدها بعمل المعجزات ، ورمقنى كل واحد منهم بنظرة الذى يؤثرنى على نفسه بكنوز الأرض وذخائر الخلود !

واذكر انى لم اتمالك نفسى فقمت بعدها أقول لهم :

« ان كل فرد منا يستطيع فى مكانه أن يصنع معجزة ، ان واجبه الاول أن يعطى كل جهـــده لعمله ، ولو أنكم كأساتذة جامعات ، فكرتم فى طلبتكم ، وجعلتموهم ــ كما يجب ــ عملكم الاساسى ، لاستطعتم أن تعطونا قوة هائلة لبناء الوطن

ان كل واحد يجب أن يبقى فى مكانه ويبــــذل فيه كل جهده

لا تنظروا الينا ، لقد اضطرتنا الظروف أن نخـرج من اماكننا لنقوم بواجب مقدس ، ولقد كنا نتمنى لو لم تكن للوطن حاجة بنا الا فى صفوف الجيش كجنود محترفين ، واذن لبقينا فيه »

ولم أشأ ساعتها أن اضرب لهم المثل من اعضاء مجلس قيادة الثورة ، ولم أشأ أن اقول لهم انهم قبل أن يدعوهم الطارىء الذى دعاهم الى الواجب الاكبر كانوا يبــذلون فى عملهم كل جهدهم

ولم أشأ أن أقول لهم ان معظم أعضاء مجلس قيــــادة الثورة كانوا أساتذة فى كلية أركان الحرب ، وهذا دليــــل امتيازهم فى ناحيتهم كجنود محترفين ...

وكذلك لم أشأ أن أقول لهم ان ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، هم عبد الحكيم عامر ، وصلاح سالم ، وكمال الدين حسين ، رقوا ترقيات استثنائية فى ميدان القتال فى فلسطين

لم أشأ أن أقول لهم شيئا من هذا ، لانى لا أريد أن أفاخر الناس بأعضاء مجلس قيادة الثورة وهم اخوتى وزملائى...

ازمة نفسية

واعترف ان هذه الحال كلها سببت لى ازمة نفسية كئيبة

ولكن التجارب فيما بعد، وتأمل هذه التجارب واستخلاص معانيها الحقيقية ، خففت من وقع الأزمة فى نفسى ، وجعلتنى التمس لهذا كله أعذارا من الواقع عثرت عليها حين اتضحت أمامى ــ الى حد ما ــ الصورة الكاملة لحالة الوطن ، وأكثر من هــذا أعطتنى الجواب على السؤال الذى قلت انه طالما راودنى ، وهو :

« هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو ؟ »

والجواب : نعم ، ولم يكن هناك مهرب أو مفر !

وأنا الآن أستطيع ان أقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة ...

ولكل شعب من شعوب الارض ثورتان :

ثورة سياسية يسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش معتد أقام فى أرضــه دون رضاه

وثورة اجتماعية ، تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الأمر على ما يحقق العدالة لأبناء الوطن الواحد

لقد سبقتنا على طريق التقــــدم البشرى شعوب مرت بالثورتين ولكنها لم تعشهما معا ، وانما فصل بين الواحدة والثانية مئات من السنين ، أما نحن فان التجربة الهائلة التى امتحن بها شعبنا هى أن تعيش الثورتان معا فى وقت واحد ...

حاجتنا الى ثورتين

وهذه التجربة الهائلة مبعثها أن لكل من الثورتين ظروفا مختلفة تتنافر تنافرا عجيبا ، وتتصادم تصادما مروعا ...

ان الثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحــدة جميع

عناصر الأمة وترابطها وتساندها وتكرانها لذاتها فى سبيل الوطن كله

والثورة الاجتماعية ، من أول مظاهرها ، تزلزل القيم وتخلخل العقائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم أفرادا وطبقات، وتحكم الفساد والشك والكراهية .. والأنانية..

وبين شقى الرحى هذين ، قدر لنا أن نعيش اليوم فى ثورتين : ثورة تحتم علينا أن نتحد ، ونتحاب ، ونتفانى فى الهدف . وثورة تفرض علينا ـ برغم ارادتنا ـ أن نتفرق، وتسودنا البغضاء ، ولا يفكر كل منا الا فى نفسه ...

وبين شقى الرحى هذين ـ مثلا ـ ضاعت ثورة ١٩١٩ ولم تستطع أن تحقق النتائج التى كان يجب أن تحققها

الصفوف التى تراصت فى سنة ١٩١٩ تواجه الطغيان ، لم تلبث الا قليلا حتى شغلها الصراع فيما بينهما أفرادا وطبقات

وكانت النتيجة فشلا كبيرا ، فقد زاد الطغيان بعدها تحكما فينا ، سواء بواسطة قوات الاحتلال السافرة ، أو بصنائع الاحتلال المقنعة التى كان يتزعمها فى ذلك الوقت السلطان فؤاد وبعده ابنه فاروق ، ولم يحصد الشعب الا الشكوك فى نفسه ، والا الكراهية والبغضاء والأحقاد فيما بين أفراده وطبقاته

وشحب الأمل الذى كان ينتظر أن تحققه ثورة ١٩١٩

الحوادث والجيش

ولقد قلت شحب الامل ، ولم أقل تلاشى ، ذلك لان قوى المقاومة الطبيعية التى تدفعها الآمال الكبيرة التى تراود شعبنا ، كانت لا تزال تعمل عملها وتستعد لمحاولة جديدة

وكان ذلك هى الحال التى سادت بعد ثورة سنة ١٩١٩ ،

والتى فرضت على الجيش أن يكون وحده القوة القادرة على العمل

كان الموقف يتطلب أن تقـوم قوة يقرب ما بين أفرادها اطار واحد ، يبعد عنهم الى حد ما صراع الأفراد والطبقات، وأن تكون هذه القوة من صميم الشـعب ، وأن يكون فى اسـتطاعة أفرادها أن يثق بعضـهم ببعض ، وأن يكون فى يدهم من عناصر القوة المادية ما يكفـل لهم عمـلا سريعا حاسما ، ولم تكن هذه الشروط تنطبق الا على الجيش

وهكذا لم يكن الجيش ـ كما قلت ـ هو الذى حدد دوره فى الحوادث ، وانما العكس كان أقرب الى الصحة ، وكانت الحوادث وتطوراتها هى التى حددت للجيش دوره فى الصراع لتحرير الوطن

مشيئة القدر

ولقد أدركت منذ البداية أن نجاحنا يتوقف على ادراكنا الكامل لطبيعة الظروف التى نعيش فيها من تاريخ وطننا ، فاننا لم نكن نستطيع أن نغير هـذه الظروف بجرة قلم ، وكذلك لم نكن نستطيع أن نؤخر عقارب الساعة أو نقدمها ونتحكم فى الزمن ... وكذلك لم يكن فى استطاعتنا أن نقوم على طريق التاريخ بمهمة جندى المرور فنوقف مرور ثورة حتى تمر ثورة أخـرى ونحـول بذلك دون وقوع حادث اصطدام ، وانما كان الشىء الوحيد الذى نستطيعه هو أن نتصرف بقدر الامكان وننجو من أن يطحننا شقا الرحى !

وكان لا بد أن نسير فى طريق الثورتين معا

ويوم سرنا فى طريق الثورة السياسية فخلعنا فاروق عن عرشه ، سرنا خطوة مماثلة فى طريق الثـورة الاجتماعية فقررنا تحديد الملكية

وما زلت حتى اليـوم أعتقـد انه ينبغى أن تظل ثورة

٢٣ يوليو محتفظة بقدرتها على الحـــركة السريعة والمباداة ، لكى تستطيع أن تحقق معجزة السير فى ثورتين فى وقت واحد ، مهما بدا فى بعض الأحيان من التناقض فى تصرفاتنا

وحين جاءنى واحد من اصدقائى يقول لى :

«أنت تطالب بالاتحاد لمواجهة الانجليز ، وأنت فى نفس الوقت تسمح لمحاكم الفدر أن تستمر فى عملها ... »

استمعت اليه ، وكانت فى خيالى أزمتنا الكبيرة ، أزمة شقى الرحى

ثورة تقتضينا أن نتحد صفا واحدا وننسى الماضى

وثورة تفرض علينا أن نعيد الهيبة الضائعة لقيم الأخلاق ولا ننسى الماضى !

ولم أقل لهذا الصديق ، أن منفذنا الوحيد الى النجـاة ، ان نحتفظ ـ كما قلت ـ بسرعة الحركة والمباداة ، وبالقدرة على أن نسير فى طريقين فى وقت واحد

ولم أشأ أنا ذلك ، ولا شاءه كل الذين شاركوا فى ٢٣ يوليو

ولكن القدر شاء ، وتاريخ شعبنا ، والمرحلة التى يمر بها اليوم

الجزء الثاني

العمل الايجابى

ولكن ما الذى نريد ان نصنعه ؟

وما هو الطريق اليه ؟

الحق انى فى معظم الأحيان كنت أعـرف الاجـابة على السؤال الاول ، واخال انى لم أكن وحـدى المنفرد بهـذه المعرفة ، وانما كانت تلك المعرفة أملا انعقد عليه اجماع جيلنا كله

أما الاجابة على السؤال الثانى « طريقنا الى هذا الذى نريد » فأنا أعترف انها تغيرت فى خيالى كما لم يتغير شىء آخر ، وأكاد أعتقد أيضا أنها موضوع الخلاف الأكبر فى هذا الجيل !

وما من شك فى أننا جميعا نحلم بمصر المتحررة القوية ... ذلك أمر ليس فيه خلاف بين مصرى ومصرى

أما الطريق الى التحرر والقوة .. فتلك عقدة العقد فى حياتنا

ولقد واجهت تلك العقد قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . وظللت أواجهها بعد ذلك كثيرا حتى اتضحت لى زوايا كثيرة كانت الظلال تسقط عليها فتخفيها ، وبدت أمام بصيرتى آفاق كان الظلام الذى سـاد وطننا قرونا طويلة يلفها فلا أراها !

ولقد أحسست منذ انبثق الوعى فى وجدانى ، أن العمل الايجابى يجب أن يكون طريقنا ... ولكن اى عمل !

ولقد تبدو كلمة « العمل الايجابى » على الورق كافيـة

لتحل المشكلة ، ولكنها فى الحياة ، وفى الظروف العسيرة التى عاشها جيلنا ، وفى المحن التى كانت تنشب اظفارها فى مقدرات وطننا ، لم تكن كافية !

وفى فترة من حياتى كانت الحماسة هى العمل الايجابى فى تقديرى

ثم تغير مثلى الاعلى فى العمل الايجابى واصبحت ارى أنه لا يكفى أن تضج أعصابى وحدها بالحماسة ، وانما على أن انقل حماستى كى تضج بها أعصاب الآخرين ...

وفى تلك الايام قدت مظاهرات فى مدرسة النهضة . وصرخت من أعماقى بطلب الاستقلال التام ، وصرخ ورائى كثيرون ، ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح اصداء واهنة لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور

ثم اصبح العمل الايجابى فى رايى ان يجتمع كل زعماء مصر ليتحدوا على كلمة واحدة ، وطافت جموعنا الهاتفة الثائرة ببيوتهم واحدا واحدا تطلب اليهم باسم شباب مصر أن يجتمعوا على كلمة واحدة ... ولكن اتحادهم على كلمة واحدة ، كان فجيعة لايمانى ، فان الكلمة الواحدة التى اجتمعوا عليها كانت معاهدة سنة ١٩٣٦

اسرار ورموز

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما سبقها بقليل على شبابنا فالهبته ، واشاعت النار فى خلجاته ، فبدأ اتجاهنا ، اتجاه جيل باكمله ، يسير الى العنف

واعترف ـ ولعل النائب العام لا يؤاخذنى بهذا الاعتراف ـ ان الاغتيالات السياسية توهجت فى خيالى المشتعل فى تلك الفترة على انها العمل الايجابى الذى لا مفر من الاقدام عليه اذا كان يجب ان ننقذ مستقبل وطننا

وفكرت فى اغتيال كثيرين وجدت انهم العقبات التى تقف

بين وطننا وبين مستقبله ، ورحت أفند جرائمهم ، وأضع نفسي موضع الحكم على أعمالهم ، وعلى الاضرار التي الحقتها بهـذا الوطن ، ثم اشفع ذلك كله بالحكم الذى يجب أن يصدر عليهم

وفكرت فى اغتيال الملك السابق وبعض رجاله الذين كانوا يعبثون بمقدساتنا

ولم أكن وحدى فى هذا التفكير

ولما جلست مع غيرى انتقل بنا التفكير الى التدبير

وما أكثر الخطط التي رسمتها فى تلك الايام ، وما أكثر الليالى التى سهرتها ، أعد العدة للاعمال الايجابية المنتظرة

كانت حياتنا فى تلك الفترة كأنها قصة بوليسية مثيرة

كانت لنا أسرار هائلة ، وكانت لنا رموز ، وكنا نتستر بالظلام ، وكنا نرص المسدسات بجوار القنابل ، وكانت طلقات الرصاص هى الأمل الذى نحلم به !

وقمنا بمحاولات كثيرة على هذا الاتجاه ، وما زلت أذكر حتى اليوم انفعالاتنا ومشاعرنا ونحن نندفع فى الطريق الى نهايته

ليلة حاسمة

والحق أننى لم أكن فى أعماقى مستريحا الى تصور العنف على أنه العمل الايجابى الذى يتعين علينا أن ننقذ به مستقبل وطننا

كانت فى نفسى حيرة ، تمتزج فيها عوامل متشابكة ، عوامل من الوطنية ومن الدين ، ومن الرحمة ومن القسوة ، ومن الايمان ومن الشك ، ومن الجهل

ورويدا رويدا وجدت فكرة الاغتيالات السياسية التى توهجت فى خيالى تخبو جذوتها وتفقد قيمتها فى قلبى كتحقيق للعمل الايجابى المنتظر

واذكر ليلة حاسمة فى مجرى أفكارى وأحلامى فى هــذا الاتجاه . . .

كنا قد أعددنا العدة للعمل

واخترنا واحدا قلنا انه يجب أن يزول من الطريق

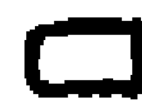
ودرسنا ظروف حيــاة هــذا الواحد ووضعنا الخطة بالتفاصيل

وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد الى بيته فى الليل

ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى اطلاق النار ، ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم ، ورتبنــا فرقة تنظيم خطة الافلات الى النجاة بعد تنفيذ العملية بنجاح

وجاءت الليلة الموعودة وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ

وسار كل شىء طبقا لما تصورناه



كان المسرح خاليا كما توقعنا ، وكمنت الفرق فى أماكنها التى حددت لها ، واقبل الواحد الذى كان يجب أن يزول ، وانطلق نحوه الرصاص

وانسحبت فرقة التنفيــذ ، وغطت انسحابهــا فرقة الحراسة ، وبدات عملية الافلات الى النجاة ، وأدرت محرك سيارتى وانطلقت اغادر المسرح الذى شهد عملنا الايجابى الذى رتبناه

وفجاة دوت فى سمعى اصوات صراخ وعويل ، وولولة امراة ، ورعب طفل ، ثم استغاثة متصلة محمومة

وكنت غارقا فى مجموعة من الانفعالات الثائرة ، والسيارة تندفع بى مسرعة

ثم ادركت شيئا عجيبا

كانت الاصوات ما زالت تمزق سمعى

الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة المحمومة

لقد كنت بعدت عن المسرح بأكثر مما يمكن ان يسرى الصوت ، ومع ذلك بدا ذلك كله يلاحقنى ويطاردنى

ووصلت الى بيتى ، واستلقيت على فراشى ، وفى عقلى حمى ، وفى قلبى وضميرى غليان متصل

وكانت أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة ما زالت تطرق سمعى

نحلم بمجد أمة

ولم أنم طول الليل

بقيت مستلقيا على فراشي فى الظلام ، اشعل سيجارة وراء سيجارة ، واسرح مع الخواطر الثائرة ، ثم تتبدد كل خواطرى على الاصوات التى تلاحقنى :

* أكنت على حق ؟

واقول لنفسى فى يقين :

ـ دوافعى كانت من أجل وطنى !

* أكانت تلك هى الوسيلة التى لا مفر منها ؟

واقول لنفسى فى شك :

ـ ماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل ؟

* أيمكن حقا ان يتغير مستقبل بلدنا اذا خلصناه من هذا الواحد أو من واحد غيره ، أم المسألة أعمق من هذا ؟

واقول لنفسى فى حيرة :

ـ أكاد أحس ان المسألة اعمق

* اننا نحلم بمجد أمة ، فما هو الأهم : أيمضى من يجب أن يمضى ، أم يجىء من يجب أن يجىء ؟

واقول لنفسى واشعاعات من النور تتسرب بين الخواطر المزدحمة :

ــ بل المهم أن يجيء من يجب أن يجيء ... اننا نحلم بمجد أمة ، ويجب أن يبنى هذا المجد !

واقول لنفسى وما زلت اتقلب فى فراشى فى الغرفة التى ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات :

ــ واذن ؟

واسمع هاتفا يرد على :

ــ واذن ماذا ؟

واقول لنفسى فى يقين هذه المرة :

ــ اذن يجب أن يتغير طريقنا ... ليس ذلك هو العمل الايجابى الذى يجب أن نتجه اليه ... المسألة اعمق جذورا واكثر خطورة وأبعد اغوارا

واحس براحة نفسية صافية ، ولكن الصفاء ما يلبث أن تمزقه هو الآخر اصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة ، تلك التى ما زالت أصداؤها ترن فى اعماقى

ووجدت نفسى أقول فجأة :

ــ ليته لا يموت !

وكان عجيبا أن يطلع على الفجر، وانا اتمنى الحياة للواحد الذى تمنيت له الموت فى المساء !

وهرعت فى لهفة الى احدى صحف الصباح... واسعدنى أن الرجل الذى دبرت اغتياله ... قد كتبت له النجاة

المشكلة الاساسية

ولكن تلك لم تكن المشكلة الأساسية

وانما المشكلة الأساسية ... هى العثور على العمل الايجابى !

ومنـذ ذلك الوقت بدأ تفكيرنا الحقيقى فى شىء أعمق جذورا وأكثر خطورة وأبعد أغوارا

وبدأنا نرسم الخطوط فى الصورة التى تحققت مساء ٢٣ يوليو ، ثورة منبعثة من قلب الشعب ، حاملة لأمانيـه ، مكملة لنفس الخطوات التى خطاها من قبـل على طريق مستقبله

ولقد بدأت هذا الحديث بسؤالين :

أولهما : ولكن ما الذى نريد أن نصنعه ؟

والثانى : وما هو طريقنا اليه ؟

وقلت ان الاجابة على السؤال الاول أمل انعقد عليـه الاجماع

أما السؤال الثانى ـ طريقنا الى الذى نريد أن نصنعه ـ فهو الذى أطلت فيه الكلام حتى وصلت الى يوم ٢٣ يوليو !

فرحة النجاح لم تخدعنى

ولكن أكان الذى حدث يوم ٢٣ يوليو هو كل ما نريد أن نصنعه !

المؤكد أن الجواب بالنفى ، فان تلك لم تكن الا الخطوة الاولى على الطريق

والحق أن فرحة النجاح فى ٢٣ يوليو لم تخدعنى ، ولم تصور لى ان الآمال قد تحققت ، وأن الربيع قد جاء ... بل لعل العكس هو الصحيح

لقد كانت كل دقيقة تحمل الى انتصارا جديدا للثورة ، تحمل الى فى نفس الوقت عبئا ضخما ثقيلا تلقيه بلا مبالاة فوق كتفى

ولقـد قلت فى الجزء الاول من هذا الحديث « انى كنت اتصور قبل ٢٣ يوليو أن الامة متحفزة متأهبـة ، وأنهـا

لا تنتظر الا طليعة تقتحم أمامها السور فتندفع الامة وراءها صفوفا متراصة منتظمة زاحفة »

وقلت : اني تصورت دورنا على أنه دور الطليعة ، وكنت اتصور أنه لن يستغرق اكثر من بضع دقائق يلحق بنا بعدها زحف الصفوف المتراصة المنتظمة

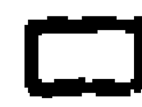
ورسمت ايضا فى ذلك الجزء صورة للخلافات والفوضى والأحقاد والشهوات التي انطلقت من عقالها فى تلك اللحظات ، كل منها يحاول بأنانيته ان يستغل الثورة لتحقيق أهداف بعينها

ولقد قلت وسأظل أقول ان تلك كانت اقسى مفاجأة فى حياتى !

ولكن اشهد انه كان يجب أن أتوقع ان يحدث الذى حدث

لم يكن يمكن أن نضغط على زر كهربائي فتتحقق أحلامنا

ولم يكن يمكن فى غمضة عين أن تزول رواسب قرون ومخلفات أجيال



ولقد كان من السهل وقتها ـ وما زال سهلا حتى الآن ـ ان نريق دماء عشرة أو عشرين أو ثلاثين فنضع الرعب والخوف فى كثير من النفوس المترددة ونرغمها على أن تبتلع شهواتها وأحقادها واهواءها

ولكن أى نتيجة كان يمكن أن يؤدى اليها مثل هذا العمل ؟

ولقد كنت ارى ان الوسيلة لمواجهة اى مشكلة من المشاكل هو ردها الى أصلها ومحاولة تتبع الينبوع الذى بدأت منه

وكان من الظلم ان يفرض حكم الدم علينا دون أن ننظر الى الظروف التاريخية التى مر بها شعبنا والتى تركت فى نفوسنا جميعا تلك الآثار وصنعت منا ما نحن عليه الآن

ولقد قلت مرة انى لا أريد أن أدعى لنفسى مقعد استاذ

التاريخ ، فذلك آخر ما يجرى اليـه خيـالى ، وقلت انى سأحاول محاولات تلميذ مبتدىء فى التاريخ

غابة تحكمها وحوش

لقد شاء لنا القدر أن نكون على مفرق الطرق من الدنيا

وكثيرا ما كنا معبرا للغزاة ، ومطمعا للمغامرين ، ومرت بنا ظروف كثيرة يستحيل علينا أن نعلل العوامل الكامنة فى نفوس شعبنا الا اذا وضعناها موضع الاعتبار

وفى رايى انه لا يمكن اغفال تاريخ مصر الفرعونى ، ثم تفاعل الروح اليونانى مع روحنا ، ثم غزو الرومان ، والفتح الاسلامى وموجات الهجرة العربية التى أعقبته

وفى رأيى أيضا انه يجب التوقف طويلا عند الظروف التى مرت علينا فى العصور الوسطى ، فان تلك الظروف هى التى وصلت بنا الى ما نحن عليه الآن

واذا كانت الحروب الصليبية بداية فجـر النهضة فى أوربا ، فقد كانت بداية عهود الظلام فى وطننا

فلقد تحمل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب الصليبية ، وخرج بعدها فقيرا ، معدما ، منهوك القوى

وفى نفس الوقت الذى هدته المعركة فيه ، شاءت له الظروف أن يعانى الذل تحت سنابك خيول الطغاة القادمين من المغول والشركس ...

كانوا يجيئون الى مصر عبيدا فيفتكون بأمرائهم ويصبحون هم الامراء

وكانوا يساقون اليها مماليك فلا تمضى عليهم فترة فى البلد الطيب الوديع حتى يصبحوا ملوكا

واصبح الطغيان والظلم والخراب ، طابع الحكم فى مصر على عهدهم الذى عاشت مصر فى مجاهله قرونا طويلة

فى تلك الفترة تحول وطننا الى غابة تحكمها وحوش ضارية . كان المماليك يعتبرونها غنيمة سائغة ، وكان الصراع الرهيب بينهم هو على نصيب كل منهم فى الغنيمة

وكانت أرواحنا ، وثرواتنا ، وأراضينا ، هى الغنيمة !

رواسب حكم المماليك

وأحيانا حينما اعود الى تقليب صفحات من تاريخنا ، احس بالاسى يمزق نفسى ازاء تلك الفترة التى تكون فيها اقطاع طاغ ، لم يجعل له من عمل الا مص دماء الحياة من عروقنا ، واكثر من هذا ، سحب بقايا الاحساس بالقوة والكرامة من هذه العروق ، وترك فى اعماق نفوسنا تأثيرا يتعين علينا أن نكافح طويلا لكى نتغلب عليه ...

والواقع أن تصورى لهذا التأثير يعطينى فى كثير من الاحيان تفسيرا لبعض المظاهر فى حياتنا السياسية

احيانا مثلا يخيل الى ان كثيرين يقفون من الثورة موقف المتفرج الذى لايعنيه من الامر الا مجرد انتظار نتيجة معركة يتصارع فيها طرفان لاتربطه بأيهما علاقة

وأحيانا اثور على هذا الوضع ، واحيانا اقول لنفسى ولبعض من زملائى :

لماذا لايقدمون ، ولماذا لايخرجون من المكامن التى وضعوا فيها انفسهم ، ليتكلموا ويتحركوا ؟

ولا أجد تفسيرا لهذا الا رواسب حكم المماليك

كان الامراء يتصارعون ، ويتطاحن فرسانهم فى الشوارع : ويهرع الناس الى بيوتهم يغلقونها عليهم بعيدين عن هذا الصراع الذى لادخل لهم فيه

وأحيانا يخيل الى أننا نلجأ الى خيالنا نكلفه ان يحقق لنا فى اطار الوهم ما نريده ، ونستمتع نحن بهذا الوهم ونقعد به عن محاولة تحقيقه

ولم يتخلص كثيرون منا من هذا الشعور بعد ، ولم يهضموا أن البلد بلدهم وانهم ســـادته وأصحاب الرأى والامر فيه

ولقد ظللت مرة أحاول أن أفهم عبارة كثيرا ماهتفت بها طفلا صغيرا حينما كنت أرى الطائرات فى السماء

لقد كنت أصيح :

« يا ربنا ياعزيز ... داهية تاخد الانجليز »

ولقد اكتشفت فيما بعد أننا ورثنا هذه العبارة عن أجدادنا على عهد المماليك ، ولم تكن يومها منصبة على الانجليز ، وانما حورناها نحن أو حورتها الرواسب الكامنة فينا والتى لم تتغير وان تغير اسم الظالم ، فقد كان أجدادنا يقولون :

« يارب يامتجلى ... اهلك العثمانلى ! »

ازمة جـديدة

وبنفس الروح التى لم تتغير جرى المعنى على لساننا وان تغير أسم « الانجليز » باسم العثمانيين طبقـــا للتغيرات السياسية التى توالت على مصر بين العهدين !

ثم ماذا حدث لنا بعد عهد المماليك ؟

جاءت الحملة الفرنسية ، وتحطم الستار الحديدى الذى فرضه المغول علينا ، وتدفقت علينا أفكار جديدة ، وتفتحت لنا آفاق لم يكن لنا بها عهد

وورثت أسرة محمد على كل ظروف المماليك ، وان حاولت أن تضع عليها من الملابس ما يناسب زى القــرن التاسع عشر .

وبدأ اتصالنا بأوربا والعالم كله من جديد

بدأت اليقظة الحديثة !

وبدأت اليقظة بأزمة جديدة ...

لقد كنا فى رايي اشبه بمريض قضى زمنا فى غرفة مغلقة ، واشتدت الحرارة داخل الغرفة المغلقة حتى كادت أنفاس المريض تختنق ...

وفجأة هبت عاصفة حطمت النوافذ والابواب ، وتدافعت تيارات الهواء الباردة تلسع جسد المريض الذى مازال يتصبب عرقا

لقد كان فى حاجة الى نسمة هواء ... فانطلق عليه اعصارات ، وانشبت الحمى أظافرها فى الجسد المنهوك القوى

هذا هو ماحدث لمجتمعنا تماما ، وكانت تجربة محفوفة بالمخاطر !

كان المجتمع الاوربى قد سار فى تطوره بنظام ، واجتاز الجسر بين عصر النهضة من أعقاب القرون الوسطى الى القرن التاسع عشر خطوة خطوة ، وتلاحقت مراحل التطور واحدة اثر أخرى

أما نحن فقد كان كل شىء مفاجئا لنا

كنا نعيش داخل ستار من الفولاذ فانهار فجأة

كنا قد انقطعنا عن العالم واعتزلنا أحواله ، خصوصا بعد تحول التجارة مع الشرق الى طريق راس الرجاء الصالح ، فاذا نحن نصبح مطمع دول أوربا ومعبرا الى مستعمراتها فى الشرق والجنوب

وانطلقت علينا تيارات من الافكار والآراء لم تكن المرحلة التى وصلنا اليها فى تطورنا تؤهلنا لقبولها

كانت أرواحنا ما زالت تعيش فى آثار القرن الثالث عشر ، وان سرت فى نواحيها المختلفة مظاهر القرن التاسع عشر ثم القرن العشرين

وكانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التى تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد ، وكان الشوط مضنيا والسباق مروعا مخيفا

وما من شك فى ان هذه الحال هى المسئولةعنعدموجود رأى عام قوي متحد فى بلادنا ، فان الفارق بين الفردوالفرد كبير ، والفارق بين الجيل والجيل شاسع

ولقد جاء على وقت كنت أشكو فيه من انالناس لايعرفون ماذا يريدون ، وان اجماعهم لاينعقد على طريق واحديسيرون فيه ، ثم ادركت بعدها اننى أطلب المستحيل ، واننى أسقط من حسابى ظروف مجتمعنا ...

اصول وينابيع

اننا نعيش فى مجتمع لم يتبلور بعد ، ومازال يفور ويتحركولميهدأ حتى الان او يتخذوضعهالمستقرويواصل تطوره التدريجى بعد مع باقى الشعوب التى سبقتنا

وانا أعتقد دون أن أكون فى ذلك متملقا لعواطف الناس ، ان شعبنا صنع معجزة ، ولقد كان يمكن أن يضيع أى مجتمع تعرض لهذه الظروف التى تعرض لها مجتمعنا ، وكان يمكن أن تجرفه هذه التيارات التى تدفقت علينا ... ولكننا صمدنا للزلزال العنيف

صحيح اننا كدنا نفقد توازننا فى بعض الظروف ، ولكننا بصفة عامة ، لم نقع على الارض

وانا انظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من آلاف الاسر التى تعيش فى العاصمة

الاب مثلا فلاح معمم من صميم الريف

والام سيدة منحدرة من أصل تركى

وابناء الاسرة فى مدارس على النظام الانجليزى

وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى

كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين ...

أنظر الى هذا واحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى نقاسيها

وللتخبط الذى يفترسنا ، ثم اقول لنفسى :

ــ سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ،وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، انما ينبغى أن نشد اعصابنا ونتحمل فترة الانتقال

تلك اذن هى الاصول التى انحدرت منها احوالنا اليوم ، وهذه هى الينابيع التى تجرى منها ازمتنا ، فاذا أضفت الى هذه الجذور الاجتماعية ، ظروفا من أجلها طردنا فاروق ، ومن اجلها نريد تحرير بلادنا من اى جندى غريب ــ اذا اضفت هذا كله ، لخرجنا الى الافق الواسع الذى نعمل فيه، والذى تهب عليه الرياح من كل ناحية ، وتزمجر فى جنباته العواصف الهوج ، وتتوهج فيه البروق وتهدر الوعود ، والذى قلت انه من الظلم أن يفرض علينا حكم الدم ، مع مراعاة كل هذه الظروف والملابسات

واذن ما هو الطريق ؟.. وما هو دورنا على هذا الطريق؟

أما الطريق فهو الحرية السياسية والاقتصادية

وأما دورنا فيه فدور الحراس فقط ، لايزيد ولا ينقص ... الحراس لمدة معينة بالذات موقوتة بأجل

وما اشبه شعبنا الآن بقافلة كان يجب أن تلزم طريقا معينا ، وطال عليها الطريق ، وقابلتها المصاعب ، وانبرى لها اللصوص وقطاع الطرق ، وضللها السراب ، فتبعثرت القافلة ، كل جماعة منها شردت فى ناحية ، وكل فرد مضى فى اتجاه ...

وما اشبه مهمتنا فى هذا الوضع بدور الذى يمضى فيجمع الشاردين والتائهين ليضعهم على الطريق الصحيح ثم يتركهم يواصلون السير

هذا هو دورنا ولا اتصور لنا دورا سواه

الحقائق والاوهام

ولو خطر لى أننا نستطيع أن نحل كل مشاكل وطننا لكنت واهما ، وأنا لا أحب أن أتعلق بالاوهام

اننا لانملك القدرة على ذلك ، ولا نملك الخبرة لنقوم به

انما كل عملنا ان نحدد معالم الطريق كما قلت ، وأن نجرى وراء الشاردين فنردهم الى حيث ينبغي أن يبدأوا المسير ، وأن نلحق بالسائرين وراء السراب فنقنعهم بعبث الوهم الذى يجرون وراءه

ولقد كنت مدركا منذ البداية انها لن تكون مهمة سهلة ، وكنت أعلم مقدما أنها ستكلفنا الكثير من شعبيتنا

لقد كان يجب أن نتكلم بصراحة ، وأن نخاطب عقول الناس ، وكان الذين سبقونا قد تعودوا أن يعطوا الوهم ، وأن يقولوا للناس مايريد الناس أن يسمعوه !

وما أسهل الحديث الى غرائز الناس ، وما أصعب الحديث الى عقولهم !

وغرائزنا جميعا واحدة ، أما عقولنا فموضع الخلاف والتفاوت ، وكان ساسة مصر فى الماضى من الذكاء بحيث أدركوا هذه الحقيقة فاتجهوا الى الغريزة يخاطبونها ، أما العقل فتركوه هائما على وجهه فى الصحراء

وكنا نستطيع أن نفعل نفس الشيء

كنا نستطيع أن نملأ أعصاب الناس بالكلمات الكبيرة التى لاتخرج عن حد الوهم والخيال ، أو تدفعهم وراء أعمال غير منظمة لم تعد لها العدة أو تتخذ لها اهبة ، أو كنا نستطيع أن نترك اصواتهم تبح من كثرة هتافهم :

« يارينا ياعزيز ... داهية تاخد الانجليز »

تماما كما كان أجدادنا تبح أصواتهم أيام المماليك من كثرة هتافهم : « يارب يامتجلى ... اهلك العثمانلى »

وبعدها لا شيء !.. لكن اكانت تلك مهمتنا التى شاءها لنا القدر ؟

وما الذى كنا نستطيع أن نحققه فعلا اذا سرنا فى هذا السبيل ؟

ولقد قلت فى الجزء الاول من هذا الحديث ان نجاح الثورة يتوقف على ادراكها لحقيقة الظروف التى تواجهها ، وقدرتها على الحركة السريعة . واضيف الآن الى ذلك أنها يجب أن تتحرر من آثار الالفاظ البراقة ، وأن تقدم على ماتتصور أنه واجبها مهما كان الثمن من شعبيتها ومن الهتاف بحياتها والتصفيق لها !

والا فاننا نكون قد تخلينا عن أمانة الثورة وعن واجباتها

لصـــالح الوطن

وكثيرا مايجيئنى من يقول لى :

ـ لقد اغضبتم كل الناس

وعلى مثل هذه الملاحظة أرد دائما :

ـ ليس غضب الناس هو العامل المؤثر فى الموقف ، وانما السؤال : هل كان الذى أغضبهم يعمل لصالح الوطن أو لغيره ؟

انا ادرك اننا أغضبنا كبار الملاك

لكن ، هل كان يمكن الا نغضبهم ونترك تربة وطننا وفينا من يملك منها عشرات الالوف من الافدنة وفينا من لايملك قطعة يدفن فيها بعد أن يموت !

وانا ادرك أننا أغضبنا الساسة القدماء

ولكن هل كان يمكن الا نغضبهم ونترك وطننا فريسة لشهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم ؟

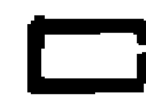
وانا ادرك اننا أغضبنا عددا كبيرا من الموظفين

ولكن هل كان يمكن أن نعطى أكثر من نصف ميزانية الدولة مرتبات للموظفين ولا نستطيع ـ كما صنعنا بالفعل ـ أن نخصص أربعين مليونا من الجنيهات للمشروعات الانتاجية

ماذا علينا لو كنا فتحنا ـ كما فعل غيرنا ـ خزائن الدولة ووزعنا مافيها على الموظفين وليكن بعد ذلك الطوفان ...

وليكن ـ ايضا ـ أن يجيء العام القادم فلا تستطيع الحكومة أن تدفع مرتبات موظفيها أصلا وأساسا ؟

وما كان أسهل أن نرضي هؤلاء جميعا وغيرهم ... ولكن ماهو الثمن الذى كان وطننا سيدفعه من آماله ومستقبله فى مقابل هذا الرضا ؟



ذلك دورنا الذى حدده لنا تاريخ وطننا ، ولا مفر أمامنا من أن نقوم به ، مهما كان الثمن الذى قد ندفعه

ولم نخطىء أبدا فى فهم هذا الدور ، ولا فى ادراك طبيعة الواجبات التى يلقيها علينا

تلك خطوات لاصلاح آثار الماضى ورواسبه مضينا فيها وتحملنا من أجلها كل شيء

فلما جاء الكلام عن المستقبل قلنا اننا لانملك هذا وحدنا

من أجل ضمان الحياة السياسية فى المستقبل ذهبنا الى عدد من قادة الرأى من مختلف الطبقات والعقائد وقلنا لهم :

ـ ضعوا للبلد دستورا يصون مقدساته

وكانت لجنة وضع الدستور

ومن اجل ضمان الحياة الاقتصادية فى المستقبل ذهبنا الى أكبر الاساتذة فى مختلف نواحى الخبرة وقلنا لهم :

ـ نظموا للبلد رخاءه واضمنوا لقمة العيش لكل فرد فيه

وكان مجلس الانتاج

تلك حدودنا لم نتعداها :

واجبنا ازالة الصخور والعقبات من الطريق ، مهما كان الثمن

والعمل للمستقبل من كل نواحيه مفتوح لكل ذوى الرأى والخبرة ، فرض لازم عليهم ، وليس لنا أن نستأثر به دونهم ، بل ان مهمتنا تقتضى أن نسعى لجمعهم من أجل مستقبل مصر ... مصر القوية المتحررة !



الجزء الثالث

حقائق لا ننساها

مرة ثالثة اعود الى فلسفة الثورة

أعود اليها بعد غيبة طويلة امتدت الى أكثر من ثلاثة اشهر حافلة بالاحداث السريعة والتطورات المتلاحقة

ثلاثة اشهر حاولت خلالها اكثر من مرة ان اجد الساعات التى اسجل فيها هذه الخواطر عن فلسفة الثورة ، فعصفت رياح الاحداث السريعة والتطورات المتلاحقة بهذه المحاولات وبعثرتها فى الفضاء

ولكن الرياح التى عصفت بمحاولات التسجيل لم تعصف بالخواطر نفسها ، وصحيح أن هذه الخواطر لم تجر على ورق ، ولكنها ظلت تدور فى تفكيرى وتتفاعل مع غيرها وتبحث عن تفاصيل اخرى ، سواء فى ذاكرتى أو فى الايام ، تضيفها اليها لتكمل بها صورة صحيحة واضحة

ولكن ماهى الصورة الصحيحة الواضحة التى أريد أن ارسمها هذه المرة ، وما هى علاقتها بالمحاولات التى قمت بها قبل ذلك ، فى الجزء الاول ثم فى الجزء الثانى من هذه الخواطر عن فلسفة الثورة ؟

لقد تحدثت فى الجزء الاول عن بداية الثورة فى نفوسنا كأفراد ، وفى نفوسنا كنماذج عادية من شباب جيلنا ، وعن الثورة فى تاريخ امتنا وعن يوم ٢٣ يوليو فى هذه الثورة

وفى الجزء الثانى تحدثت عن محاولات على طريق الثورة ، وكيف حدد لنا تاريخ شعبنا هذه الطريق ، سواء فى نظرتنا المليئة بالعبر الى الماضى ، أو فى تطلعنا المفعم بالامل الى المستقبل

واذن فقد كان حديثى فى الجزأين السابقين عن الزمان ، ومن هنا اشعر بأن المكان يطالب بحقه ، واذن فليكن الحديث فى هذه المرة عنه

وليس هدفى أن أدخل فى بحث فلسفى معقد عن الزمان والمكان ، وانما الذى لاشك فيه هو أن العالم كله ، وليس وطننا فحسب ، هو نتيجة لتفاعل الزمان والمكان

واذا كنت اقول اننا فى تصويرنا لاحوال وطننا لانستطيع أن ننسى عنصر الزمان ، فاننا أيضا وبنسبة متساوية لانستطيع أن ننسى عصر المكان

وبعبارة أبسط :

نحن الآن لانستطيع أن نعود الى القرن العاشر ، نرتدى ملابسه التى تبدو لعيوننا غريبة مضحكة ، ونتوه فى أفكاره التى تظهر أمامنا اليوم أطباقا من الظلام خلت من كل شعاع

وكذلك نحن الآن لانستطيع أن نتصرف على اننا قطعة من الاسكا المتعلقة بأقصى أصقاع الشمال ، أو على اننا جزيرة « ويك » النائية المهجورة فى تيه الباسفيك

الزمان اذن يفرض علينا تطوره

والمكان أيضا يفرض علينا حقيقته

ولقد حاولت مرتين أن أمضى مع الزمان ، فلأحاول هذه المرة أن أتجول فى عالم المكان

وثمة شىء يجب أن نتفق عليه أولا وقبل أن نمضى فى هذا الحديث ، ذلك هو تعريف حدود المكان بالنسبة لنا

ان قال لى أحد ان المكان بالنسبة لنا هو هذه العاصمة التى نعيش فيها فانى أختلف معه

وان قال لى أحد ان المكان بالنسبة لنا هو حدود بلادنا السياسية فانى ايضا اختلف معه

ولو كان الامر كله محصورا فى حدود عاصمتنا أو فى حدود بلادنا السياسية لهان الامر ، ولاقفلنا على انفسنا كل الابواب

وعشنا فى برج عاجى نحاول أن نبتعد به بقدر مانستطيع عن العالم ومشاكله وحروبه وازماته تلك التى تقتحم علينـــا أبواب بلادنا وتؤثر فينا دون أن يكون لنا فيها دخل أو نصيب

ولقد مضى عهد العزلة

وذهبت الايام التى كانت فيها خطوط الاسلاك الشائكة التى تخطط حدود الدول تفصل وتعزل

ولم يعد مفر أمام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حدود بلاده ليعلم من أين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن يعيش مع غيره وكيف ... وكيف ...

ولم يعد مفر أمام كل دولة من أن تجيل البصر حولهـا تبحث عن وضعها وظروفها فى المكان ، وترى ماذا تستطيع أن تفعل فيه وما هو مجالها الحيوى ، وميدان نشاطها ، ودورها الايجابى فى هذا العالم المضطرب

وأنا أجلس أحيانا فى غرفة مكتبى وأسرح بخواطرى فى نفس هذا الموضوع أسائل نفسى :

ـ ما هو دورنا الايجابى فى هذا العالم المضطرب ، وأين هو المكان الذى يجب أن نقوم فيه بهذا الدور ؟

واستعرض ظروفنا وأخرج بمجموعة من الدوائر لامفر لنا من أن يدور عليها نشاطنا وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقتنا

ان القدر لا يهزل ، وليست هناك احداث من صنع المصادفة ، ولا وجود يصنعه الهباء

وان نستطيع ان ننظر الى خريطة العالم نظرة بلهاء لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان

أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها ،

وارتبطت مصالحنا بمصالحها ... حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام ؟

أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة أفريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟

أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالما اسلاميا تجمعنا واياه روابط لاتقر بها العقيدة الدينية فحسب . وانما تشدها حقائق التاريخ

وكما قلت مرة : ان القدر لايهزل

فليس عبثا أن بلدنا فى جنوب غرب آسيا يلاصق الدول العربية وتشتبك حياته بحياتها

وليس عبثا ان بلدنا يقع فى شمال شرق افريقا ، ويطل من عل على القارة السوداء التى يدور فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمريها البيض واهلها السود من أجل مواردها التى لاتحد

وليس عبثا أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى الذى أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة — تراجع الى مصر وآوى اليها فحمته مصر وانقذته عندما ردت غزو المغول على أعقابه فى عين جالوت

كل هذه حقائق أصيلة ذات جذور عميقة فى حياتنا ، لا نستطيع ، مهما حاولنا ، ان ننساها او نفر منها

دور تفاعل وتجارب

ولست أدرى لماذا اذكر دائما عندما أصل الى هذهالمرحلة من افكارى وانا جالس وحدى فى غرفتى شاردا مع الافكار ، قصة مشهورة للشاعر الايطالى الكبير « لويد جى بيراندلو » اسماها : ست شخصيات تبحث عن ممثلين !

ان ظروف التاريخ مليئة بالابطال الذى صنعوا لانفسهم ادوار بطولة مجيدة قاموا بها فى ظروف حاسمة على مسرحه

وان ظروف التاريخ ايضا مليئة بأدوار البطولة المجيدة التى لم تجد بعد الابطال الذين يقومون بها على مسرحه ، ولست ادرى لماذا يخيل الى دائما أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دورا هائما على وجهه يبحث عن البطل الذى يقوم به ، ثم لست أدرى لماذا يخيل الى أن هذا الدور الذى أرهقه التجوال فى المنطقة الواسعة الممتدة فى كل مكان حولنا ، قد استقر به المطاف متعبا منهوك القوى على حدود بلادنا يشير الينا أن نتحرك ، وأن ننهض بالدور ونرتدى ملابسه فان أحدا غيرنا لايستطيع القيام به

وابادر هنا فأقول أن الدور ليس دور زعامة

انما هو دور تفاعل وتجاوب مع كل هذه العوامل ، يكون من شأنه تفجير الطاقة الهائلة الكامنة فى كل اتجــاه من الاتجاهات المحيطة بها ، ويكون من شأنه تجربة لخلق قوة كبيرة فى هذه المنطقة ترفع من شأن نفسهاوتقوم بدورايجابى فى بناء مستقبل البشر

الدائرة العربية

وما من شك فى أن الدائرة العربية هى أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا

فلقد امتزجت معنا بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الازمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك

وامتزجت هذه الدائرة معنا أيضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الدينى ، فى حدود عواصمها ، من مكة ، الى الكوفة ... ثم الى القاهرة

ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية

وانا اذكر فيما يتعلق بنفسي أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وانا طالب فى المدرسة الثانوية اخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطنا قوميا فى فلسطين اغتصبته ظلمــا من اصحابه الشرعيين

وحين كنت أسائل نفسى فى ذلك الوقت : لماذا اخرج فى حماسة ، ولماذا أغضب لهذه الارض التى لم أرها ؟ لم أكن اجد فى نفسى سوى أصداء العاطفة

ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيرى حول هذا الموضوع لما أصبحت طالبا فى الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة ، وادرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الاخير فريسة سهلة تتخطفها أنياب مجموعة من الوحوش الجائعة !

ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الاعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وانا طالب فى كلية اركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل

ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعا فى أعماقى بأن القتال فى فلسطين ليس قتالا فى أرض غريبة ، وهو ليس انسياقا وراء عاطفة ، وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس

الضباط الاحرار وفلسطين

واذكر يوما ، عقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، عقد فيه الضباط الاحرار اجتماعا واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين ، وذهبت فى اليوم التالى أطرق باب بيت الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ، وكان مايزال يعيش فى الزيتون ، واقول له :

ــ انكم فى حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون

المتطوعين ، وفى الجيش المصرى عدد كبير من الضباط يريد أن يتطوع ، وهم تحت أمرك فى أى وقت تشاء !

وقال لى الحاج امين الحسينى انه سعيد بهذه الروح ، ولكنه يرى ان يستأذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئا . ثم قال لى الحاج امين :

ـ سوف اعطيك ردى بعد استئذان الحكومة

وعدت اليه بعد ايام ، وكان رده ، الرد الذى حصل عليه من الحكومة ، هو الرفض !

ولم نسكت ...

وبعدها كانت مدفعية أحمد عبد العزيز تدك المستعمرات اليهودية جنوبى القدس . وكان قائد المدفعية هو كمال الدين حسين عضو اللجنة التأسيسية للضباط الاحرار التى تحولت اليوم الى مجلس قيادة الثورة

وأذكر سرا آخر كان ذات يوم أغلى أسرار الضباط الاحرار

كان حسن ابراهيم قد سافر الى دمشق واتصل ببعض ضباط فوزى القاوقجى . وكان القاوقجى يقود قوات التحرير العربية ويستعد لمعركة حاسمة فاصلة فى المنطقة الشمالية من فلسطين

ووضع حسن ابراهيم وعبد اللطيف بغدادى خطة جريئة للقيام بعمل حاسم فى المعركة التى تستعد لها قوات التحرير

وكانت الخطوط البارزة فى تلك الخطة هى أن قوات التحرير العربية لاتملك طيرانا يساعدها فى المعركة ويرجح النصر الى كفتها ، ولو انها حصلت على معونة من الجو بضرب مركز فوق ميدان العملية ، لكان ذلك عاملا فاصلا ، ولكن من أين لقوات التحرير العربية بالطيران لتحقيق هذا الحلم ؟

ولم يتردد حسن ابراهيم وعبد اللطيف بغدادى ، وانما قررا أن يقوم سلاح الطيران المصرى بهذه المهمة

ولكن كيف ؟.. ولم تكن مصر قد دخلت حرب فلسطين ، وكان جو الرقابة على القوات المسلحة ـ بما فيها سلاح الطيران ـ حذرا متيقظا !

ومع ذلك لم يجد اليأس ثغرة ينفذ منها الى تفاصيل الخطة

بدات فى مطار سلاح الطيران حركة عجيبة ... وبرز فيها نشاط واسع لاصلاح طائرات واعدادها ، وجهود واضحة فى التدريب سرت كالحمى فى نفوس عدد من الطيارين

ولم يكن هناك الا قلائل يعرفون السر ...

يعرفون ان الطائرات وقوادها قد أعدوا ليوم تجىء فيه من سورية اشارة سرية ، فينطلقون بعدها الى الجو ليشتركوا بكل قوتهم فى معركة حاسمة على الارض المقدسة . ثم يتجهون بعد ذلك الى مطار قرب دمشق ، ينزلون فيه ويترقبون الاحوال فى مصر ، ويتعرفون صدى هذه الحركة التى أقدموا عليها ، ثم يقررون كيف يتصرفون بعدها !

وكان أرجح الاحتمالات أن يحاكم كل طيار اشترك فى هذه العملية ، وأذكر أن كثيرين كانوا قد رتبوا أمورهم على أن الظروف ربما تحول بينهم وبين العودة الى الوطن قبل سنوات قد تطول وتمتد ...

وكان شعورنا فى اللجنة التنفيذية للضباط الاحرار ، والمؤكد أن نفس الشعور كان يراود خواطر كل الطيارين المشتركين فى السر الكبير ، ان هذه المخاطرة الجريئة لم تكن حبا فى المغامرة ، ولا كانت رد فعل للعاطفة فى نفوسنا ، انما كانت وعيا ظاهرا لايماننا بأن رفح ليست آخر حدود بلادنا ، وان نطاق سلامتنا يقضى علينا أن ندافع عن حدود

اخواننا الذين شاءت لنا أحكام القدر أن نعيش معهم فى منطقة واحدة

درس عجيب

ولم تتم الخطة يومها ... لاننا لم نتلق الاشارة السرية من سورية

وقضت الظروف بعدها ان تدخل الجيوش العربية كلها الحرب فى فلسطين

ولست أريد أن ادخل فى تفاصيل حرب فلسطين ـ الآن ـ فذلك بحث تتشعب فيه الاحاديث ، وانما يعنيني من حرب فلسطين درس عجيب

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحـدة من الحماسة ، واذن فهذه الشعوب جميعا تتشارك فى شعورها وفى تقديرها لحدود سلامتها

ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة ، واذن فهى جميعا ، كل منها فى بلاده ، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست رأسها بالذل والعار

ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق « عراق المنشية » وفى جحورها

وكنت يومها أركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تقف فى ذلك القطاع وتدافع عنه احيانا وتهاجم فى أكثر الاحيان

وكنت أخرج الى الاطلال المحطمة من حولى بفعل نيران العدو ، ثم أسبح بعيدا مع الخيال

واحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آفاق النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة كلها

وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة أمام بصيرتى هذا هو المكان الذى نقبع محاصرين فيه ، هذه مواقع

كتيبتنا ، وهذه مواقع الكتائب الاخرى المشتركة معنـا على الخط

وهذه قوات العدو تحيط بنا

وهذه قوات أخرى لنا ... هى أيضا محاصرة لاتستطيع الحركة الواسعة وان بقى لها مجال للمناورة المحدودة

ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التى نتلقى منها الاوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا أكثر من الذى تصنعه بنا نحن القابعين فى منطقة الفالوجة

ثم هذه قوات اخواننا فى السلاح وفى الوطن الكبير وفى المصلحة المشتركة وفى الدافع الذى جعلنا نهرول الى أرض فلسطين

هذه هى جيوش اخواننا ... جيشا جيشا ... كلها هى أيضا محاصرة ... بفعل الظروف التى كانت تحيط بها والتى كانت تحيط بحكوماتها ... لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ماتحركها أيدى اللاعبين

وكانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا حقيقة مايجرى ، وضللتها حتى عن وجودها نفسه

واحيانا كنت أهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض ، فأحس أننى أدافع عن بيتى وعن أولادى ، ولا تعنينى احلامى الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ !

وكان ذلك عندما التقى فى تجوالى فوق الاطلال المحطمة ببعض أطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصار بعد ان خربت بيوتهم وضاع كل مايملكون ، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى ، وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص الطائش مندفعة أمام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش أو خرقة قماش

وكنت دائما أقول لنفسى :
ـ قد يحدث هذا لابنتى !
وكنت مؤمنا أن الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث ـ وما زال احتمال حدوثه قائما ـ لاى بلد فى هذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الآن

اسرائيل وليدة الاستعمار

ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة فى تصورى قد أصبحت كلا واحدا
وأيدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى
كنت أتابع تطورات الموقف فيها فأجده أصداء يتجاوب بعضها مع بعض
كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا ، وفى بيروت ، وفى عمان ، وفى بغداد ، وغيرها
وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى
منطقة واحدة ، ونفس الظروف ، ونفس العوامل ... بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعا !
وكان واضحا أن الاستعمار هو أبرز هذه القوى
حتى اسرائيل نفسها ، لم تكن الا أثرا من آثار الاستعمار
فلولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطانى لما استطاعت الصهيونية أن تجد العون على تحقيق فكرة الوطن القومى فى فلسطين ، ولظلت هذه الفكرة خيالا مجنونا ليس له أى أمل فى واقع
وأنا أكتب هذه الخواطر وامامى مذكرات حاييم وايزمان

رئيس جمهورية اسرائيل ومنشئها الحقيقى ، وهى المذكرات التى نشرها فى كتابه المشهور « التجربة والخطأ » وثمة عبارات معينة ذات طابع خاص تستوقفنى فيه

يستوقفنى قول وايزمان :

« لقد كان يجب أن تساعدنا دولة كبرى ، وكانت فى العالم دولتان تستطيع كل منهما مساعدتنا ألمانيا وبريطانيا

أما المانيا فقد آثرت أن تبتعد عن كل تدخل

واما بريطانيا فقد احاطتنا بالرعاية والعطف »

ويستوقفنى بعد ذلك قول وايزمان :

« ولقد حدث فى المؤتمر الصهيونى السادس الذى عقدناه فى سويسرا ، أن وقف هرتزل يعلن يهود الدنيا أن بريطانيا العظمى ، وبريطانيا العظمى وحدها دون كل دول الارض ، قد اعترفت باليهود كأمة ذات كيان مستقل ، منفصلة عن غيرها

« واننا نحن اليهود خليقون بأن يكون لنا وطن ، وبأن تكون لنا دولة ، وقرأ هرتزل خطابا من اللورد لانرسون نائبا عن الحكومة البريطانية يتضمن هذا المعنى . وكان هذا الخطاب يقدم لنا أرض أوغندا لتكون وطنا قوميا

« وقرر اعضاء المؤتمر قبول هذا العرض

« ولكننا بعد ذلك كتمنا انفاسه فى المهد ودفناه دون ضجة

« وعادت بريطانيا تريد ان تسترضينا

« وعلى اثر هذا العرض الفنا لجنة من عدد كبير من علماء اليهود سافروا الى مصر لدراسة منطقة سيناء وقابلوا فى القاهرة اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر الذى اظهر كل العطف على أمانينا فى الوطن القومى

« ولكن اللجنة لم تجد فى منطقة سيناء ما يفى بالغرض الذى كنا من اجله نريد الوطن القومى

« ولقد قابلت بعدها لورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذى بادر بسؤالى على الفور :

ـ لماذا لم تقبلوا اقامة الوطن القومى فى أوغندا ؟

« وقلت لبلفور :

ـ ان الصهيونية حركة سياسية قومية . هذا صحيح ، ولكن الجانب الروحى منها لايمكن اغفاله ، وأنا واثق تمام الوثوق اننا اذا اغفلنا الجانب الروحى فاننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسى القومى

« ثم قلت لبلفور :

ـ ماذا تقول لو أن أحدا قال لك خذ باريس بدلا من لندن ، هل تقبل ؟ »

ويستوقفنى أيضا قول وايزمان :

« وعدت الى لندن فى خريف سنة ١٩٢١ وكان الفــرض من رجوعى أننى دعيت الى لندن لاشرف على كتابة مشروع وثيقة الانتداب البريطانى فى فلسطين

« وكان يجب أن تعرض هذه المســودة على عصبة الامم لتصدر بها قرارا بعد أن وافق مؤتمر سان ريمو على فكرة الانتداب نفسها

« وكان لورد كيرزون قد ولىوزارةالخارجيةمحل بلفور، وكان هو المسئول عن وضع مشروع الوثيقة

« وكان معنا فى لندن القانونىالشهيرابن كوهين ، وهو من أقدر واضعى الصيغ القانونية فى العالم ، وكان أيريك فوربس آدام سكرتير كيرزون يتعاون معنا

« ووقع بيننا وبين كيرزون خلاف اول واخير :

« كتبنا نحن فىمشروعالوثيقةعبارةاردناانتقيد بريطانيا بوعد بلفور ، وبأن تكون خطتها فى فلسطين قائمة على أساس الوطن القومى لليهود ، وكان نص العبارة التى كتبناها نحن :

« والاعتراف بحقوق اليهود التاريخية فى فلسطين »

« وقال كيرزون انه يقترح تخفيف العبارة حتى لايهيج العرب عند قراءتها ، وقال انه يرى أن تكون كما يلى :

« والاعتراف بصلات اليهود وعلاقاتهم التاريخية فى فلسطين »

وكنت اود ان استطرد طويلا مع وايزمان فى « التجــربة والخطأ » . ولكننا جميعا نعلم أن هذه الحوادث القديمة كانت الجراثيم الاولى للمضاعفات التى مزقت كيان فلسطين ودمرت وجودها !

توحيد الكفاح

واعود الى الذى كنت اقوله من أن الاستعمار هو القوة الكبرى التى تفرض على المنطقة كلها حصارا قاتلا غير مرئى ، اقوى وأقسى مائة مرة من الحصار الذى كان يحيط بخنادقنا فى « الفالوجة » وبجيوشنا جميعا وبحكوماتنا فى العواصم التى كنا نتلقى منها الاوامر

ولقد بدأت بعد أن استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى ، اومن بكفاح واحد مشترك ، وأقول لنفسى :

ــ ما دامت المنطقة واحدة ، وأحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحدا . . . والعدو واحدا مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة ــ فلماذا تتشتت جهودنا ؟

ثم زادتنى تجربة مابعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته

فلقد بدأت خبايا الصورة تتكشف ، والظلام الذى كان يحيط بتفاصيلها ينقشع

واعترف انى كذلك بدأت ارى العقبات الكبرى التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكنى بدأت أومن بأن هــذه

العقبات نفسها ينبغى أن تزول ، لانها من صنع ذلك العدو الواحد نفسه

ولقد بدأت أخيرا فى اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهما كانت وسيلته ، وخرجت بعد شهر من هذه الاتصالات بنتيجة هامة ، هى أن العقبة الاولى فى طريقنا هى « الشك » ، وكان واضحا أن بذور هذا الشك قد بذرها فى نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه ، لكى يحول بيننا وبين الكفاح الواحد !

وأذكر أنى جلست فى الايام الاخيرة أتحدث مع أخ من ساسة العرب ، وكان معنا زميل له ، وبدأت أتكلم ، وبدأ هو يرد على الذى أقوله

وكان يقول العبارة ثم يلتفت إلى زميله ليرى أثر الذى يقوله فى وجهه ، بدل أن يحاول استكشاف أثره فى أنا

وبدأت أقول له : تغلب على كل ما فى نفسك من شكوك ، وقل لى كل ما فى قلبك ، وانظر الى وفى عينى ولا تدر وجهك !

ولست أريد بذلك أن أهون من أمر العقبات التى تحول بيننا وبين توحيد الكفاح ، فلاشك أن بعضها معقد تمتد أصوله الى طبيعة البيئة وظــروف شعوبها التاريخية والجغرافية ، ولكن المؤكد أنه يمكن مع شىء من المرونة القائمة على بعد النظر ، لا على التفريط ، ايجاد الخط الذى يستطيع الجميع أن يقفوا فيه ، بلا تحرج ، وبلا عنت ، لمواجهة الكفاح الواحد

نحن اقوياء

ولست أشك دقيقة أن كفاحنا الواحد يمكن أن يعــود علينا وعلى شعوبنا بكل الذى نريده لها ونتمناه

ولسوف اظل دائما أقول اننا أقوياء ولكن الكارثة الكبرى أننا لاندرك مدى قوتنا !

اننا نخطىء فى تعريف القوة ، فليست القوة أن تصرخ بصوت عال ، انما القوة أن تتصرف ايجابيا بكل ماتملك من مقوماتها

وحين أحاول أن أحلل عناصر قوتنا لا أجد مفرا من أن اضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب أن تكون أول مايدخل فى الحساب

أول هذه المصادر أننا مجموعة من الشعوب المتجاورة ، المترابطة بكل رباط مادى ومعنوى يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة انبعثت فى جوها الاديان السماوية المقدسة الثلاثة ، ولا يمكن قط اغفالها فى محاولة بناء عالم مستقر يسوده السلام

هذا هو المصدر الاول

اما المصدر الثانى فهو أرضنا نفسها ومكانها على خريطة العالم ، ذلك الموقع الاستراتيجى الهام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم ، ومعبر تجارته ، وممر جيوشه

يبقى المصدر الثالث وهو البترول الذى يعتبر عصب الحضارة المادية ، والذى بدونه تستحيل كل أدواتها ــ المصانع الهائلة الكبيرة لكافة أنواع الانتاج ، وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو ، أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب او الغواصة المتسترة تحت اطباق الموج ــ تستحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصدأ لاتنبعث منها حركة ... أو حياة

وبودى لو وقفت قليلا عند البترول . فلعل وجوده كحقيقة مادية تقررها الاحصائيات والارقام يصلح ليكون نموذجا للمناقشة فى أهمية مصادر القوة فى بلادنا

ولقد قرأت أخيرا رسالة طبعتها جامعة شيكاغو عن ظروف البترول ، وبودى لو كان لكل فرد من أفراد شعوبنا

ان يقراها ويتدبر معانيها ويسرح بفكره فى المعنى الكبيرالكامن وراء أرقامها واحصائياتها

* تقرر هذه الرسالة مثلا أن العمل لاستخراج بترول البلاد العربية لايتكلف كثيرا من المال

لقد صرفت شركات البترول ٦٠ مليونا من الدولارات فى كولومبيا ابتداء من سنة ١٩١٦ ولم تعثر على قطرة زيت الا فى سنة ١٩٣٦

وصرفت هذه الشركات ٤٤ مليونا من الدولارات فى فنزويلا ولم تحصل على قطرة من الزيت الا بعد مرور ١٥ سنة

وصرفت هذه الشركات ٣٩ مليونا من الدولارات فى جزر الهند الهولندية واخيرا عثرت على الزيت

وكانت النتيجة الاخيرة التى قررتها هذه الرسالة فى هذا الموضوع :

ان راس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى امريكا هو ٧٨ سنتا

وان رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى امريكا الجنوبية هو ٤٣ سنتا

وان راس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى البلاد العربية هو ١٠ سنتات

* ان عاصمة انتاج البترول فى العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التى استنزفت آبارها وارتفع سعر الارض فيها وزادت أجور الايدى العاملة لابنائها ، الى المنطقة العربية التى مازالت آبارها بكرا ، والتى مازالت أراضيها الشاسعة بلا ثمن ، والتى مازالت يدها العاملة تقبل مادون الكفاف

ولقد ثبت أن نصف الاحتياطى المحقق من البترول فى العالم يرقد تحت أرض المنطقة العربية ، والنصف الباقى

موزع بين الولايات المتحدة وروسيا ومنطقة الكاريبى وغيرها من بلاد العالم

وثبت أيضا أن متوسط انتاج البئر الواحدة فى اليوم من الزيت هو :

١١ برميلا فى الولايات المتحدة

٢٣٠ برميلا فى فنزويلا

٤٠٠٠ برميل فى المنطقة العربية

هل أوضحت مدى اهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟ أرجو أن أكون قد وفقته

واذن فنحن أقوياء ، أقوياء ليس فى علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، انما أقوياء حين نهدأ ، أو حين نحسب بالارقام مدى قدرتنا على العمل ، وفهمنا الحقيقى لقوة الرابطة بيننا ، هذه الرابطة التى تجعل من ارضنا منطقة واحدة لايمكن عزل جزء منها عن كلها ، ولا يمكن حماية مكان منها بوصفه جزيرة لاتربطها بغيرها رابطة

الدائرة الافريقية

هذا عن الدائرة الاولى التى لامفر من أن ندور عليها وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقتنا ، وهى الدائرة العربية

فاذا اتجهت بعد ذلك الى الدائرة الثانية ، وهى دائرة القارة الافريقية ، قلت دون استفاضة ودون اسهاب : اننا لن نستطيع بحال من الاحوال — حتى لو أردنا — أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق افريقيا بين خمســـة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين

لا نستطيع لسبب هام وبدهى ، هو اننا فى افريقيا ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين

نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجي كله

ولن نستطيع بحال من الاحوال ان نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل مانستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء

ويبقى بعد ذلك سبب هام ، هو أن النيل شريان الحياة لوطننا يستمد ماءه من قلب القارة

ويبقى أيضا أن السودان ـ الشقيق الحبيب ـ تمتد حدوده الى أعماق أفريقيا ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة فى وسطها

والمؤكد أن افريقيا الآن مسرح لفوران عجيب مثير ، وأن الرجل الابيض الذى يمثل عدة دول اوربية يحاول الان اعادة تقسيم خريطتها ، ولن نستطيع بحال من الاحوال ان نقف أمام الذى يجرى فى أفريقيا ونتصور أنه لايمسنا ولا يعنينا

وسوف أظل أحلم باليوم الذى أجد فيه فى القاهرة معهدا ضخما لافريقيا يسعى لكشف نواحى القارة امام عيوننا ويخلق فى عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا ويشارك مع كل العاملين من كل انحاء الارض على تقدم شعوب القارة ورفاهيتها

الدائرة الاسلامية

ثم تبقى الدائرة الثالثة ... الدائرة التى تمتد عبر قارات ومحيطات ، والتى قلت انها دائرة اخوان العقيدة الذين يتجهون معنا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة ، وتهمس شفاههم الخاشعة بنفس الصلوات

ولقد ازداد ايمانى بمدى الفاعلية الايجابية التى يمكن أن تترتب على تقوية الرباط الاسلامى بين جميع المسلمين أيام ذهبت مع البعثة المصرية الى المملكة العربية لتقديم العزاء فى وفاة عاهلها الراحل الكبير

ولقد وقفت امام الكعبة وأحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من العالم وصل اليها الاسلام ، ثم وجدتنى أقول لنفسى :

ـ يجب ان تتغير نظرتنا الى الحج ، يجب أن لا يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة

يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم الى متابعة أنبائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صورا طريفة لقراء الصحف ، وانما بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها ، وعلماؤها فى كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ، ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا ، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام

يجتمعون خاشعين ... ولكن أقوياء ، متجردين من المطامع ... لكن عاملين ، مستضعفين لله ... ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم ، حالمين بحياة أخرى ... ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة

وأذكر انى قلت بعض خواطرى هذه لجلالة الملك سعود ، فقال لى الملك :

ـ ان هذه هى فعلا ، الحكمة الحقيقية فى الحج

وفى الحق انى لا أستطيع ان أتصور للحج حكمة أخرى

وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى اندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان ، واكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الاوسط ، واربعين مليونا داخل الاتحاد السوفييتى ، وملايين غيرهم فى ارجاء

الارض المتباعدة ــ حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لايخرج عن حدود ولائهم لاوطانهم الاصيلة بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة

ثم أعود الى الدور التائه الذى يبحث عن بطل يقوم به ...
ذلك هو الدور ، وتلك هى ملامحه ، وهذا هو مسرحه ونحن وحدنا بحكم « المكان » نستطيع القيام به !



وحدة العرب والمسلمين

عدو واحد ومرض واحد

انعقد فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٥٣ مؤتمر عربى اسلامى عام فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير بالقاهرة حضره الرئيس ورجال الثورة ، والوزراء وأعضاء هيئة التحرير وغيرهم . وقد ألقى الرئيس فى هذا المؤتمر الخطاب الآتى الذى دعا فيه الى وحدة العرب والمسلمين وتعاونهم للتخلص من ذل الاستعمار عدو الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما فى السموات وما فى الارض ، وله الحمد فى الاولى والآخرة ، وهو الحكيم الخبير ، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد ، عبده ورسوله ، انزل عليه القرآن ، ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا

اخوانى فى العروبة والاسلام ، السلام عليكم ورحمة الله

منذ أربعة عشر قرنا ، أشرقت السموات والارض بنور الله عز وجل ، وهبطت الرسالة المحمدية ، فأضاءت الكون بنور الهداية والتوحيد ، وفاضت على البشرية نعمة السلام والاسلام ، وحررت النفوس من الذل والعبودية ، ومنحت الانسانية الحرية والعدالة والمساواة ، ووطدت بذلك دعائم السلم نظاما للمجتمع العالمى ، الذى طالما نادت به الثورات فى جميع بقاع العالم حتى اليوم

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

وهكذا جاء الاسلام ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الضلالة الى الهدى

قوة الايمان

فلما آمن المسلمون بالله وباليوم الآخر ، وآمنوا أن حياتهم الدنيا الى نهاية ، وأن الموت ملاقيهم ، ولو كانوا فى بروج مشيدة ، ثم يردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون ، وانه ما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ، كتابا مؤجلا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، وان حياتهم الدنيا وما فيها من زخرف وزينة ، لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ولما آمنوا أن الله ما خلقهم الا لأداء رسالة عرضها على السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وانها الحرية والعدالة والعزة والكرامة ، وانها السلام والسعادة فى الدنيا والآخرة

لما آمنوا ، هبوا من غفوتهم ، وصحوا من كبوتهم ، تدفعهم هذه العقيدة الفياضة ، وهذا الايمان القوى الجبار ، مجاهدين مناضلين فى سبيل الله ، داعين الى الله ، مؤمنين بأن الله كتب على نفسه ليغلبن ورسله ، أنه لقوى عزيز ، متخذين من حياتهم تجارة لن تبور

« يا أيها الناس هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

وكيف تبور تجارتهم ، وقد قال الله تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهــده من الله »

معجزات الايمان

وهكذا قام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بعدهم أبطال الاسلام الأول ، فهزوا العالم ، شرقه وغربه ،

بعقيدتهم السمحة ، فاستسلمت لجيوشهم شعوب ودول ، وهوت تحت أقدامهم عروش وأمم

وأذهلوا العالم بانتصاراتهم ، وما أوتوه من معجزات ، سطرها لهم التاريخ بأحرف من نور

ورفعوا راية الاسلام خفاقة فى العالمين ، تروى قصص البطولة والجهاد ، والحرص على الموت والاستشهاد فى سبيل الله . فمكن الله لهم فى الارض ، واستخلفهم فيها ، حتى أتى على الاسلام حين من الدهر ، فقد المسلمون فيه ايمانهم بالله ، واختلطت عليهم عقيدتهم ، فاعتبروا دينهم عبارات تؤدى وفرائض تقتضى ، ونسوا أن الاسلام صبر وجهاد ، وانه ما فرضت سائر العبادات ، الا لاعداد المسلم المؤمن ، لخوض المعارك دفاعا عن دينه ووطنه وحريته وعزته ، وياليتهم حافظوا على هذا التراث العظيم ، والدين القديم، فقد استذلتهم الشهوات ، واشتروا الضلالة بالهدى ، والحياة الدنيا بالآخرة ، واستحوذ عليهم الشيطان ، الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

ثم أصيب الاسلام بأكبر ضربة فى صميمه ، وهى تفرق المسلمين شيعا وأحزابا ، فبدأت كتلة الاسلام والعرب تتفكك ، وقوتها تتحطم ، وما بينهـا من روابط تتزعزع ، فتسرب الضعف اليهـا ، وتألبت الدول عليها ، وتآمرت عليها قوى الشر ، وأعلنتها عليها حربا بعد طول انتظار ، فتمكنت منها فى ضعفها ، وتحكمت فيها فى محنتها ، فاذا بهذا البناء الشامخ يرزح تحت نير الاستعمار والاستعباد .

استسلام فى كل مكان

واذا بالعرب والمسلمين فى كل دولة يستسلمون للذل والطغيان ، ويستكينون للمهانة والاستبداد ، واذا بهم رحماء على العدو المستعمر ، اشداء على أنفسهم ، يصلون

فى عدوانهم الى محالفة العدو وخيانة دينهم وأوطانهم

وبدأت غضبة الله تحل بنا ، وبدأ نوره يتخلى عنا ، لاننا تركنا طريق الحق والتعاون فى سبيل الله ، طريق الصبر والجهاد والتضحية لاعلاء كلمة الله

وهكذا ، ايها المواطنون ، عادت الظلمة تنشر سوادها على العرب والمسلمين ، فراحوا فى سبات عميق ، وتوالت ضربات الاستعمار ولطماته هنا وهناك ، وما أفاق النيام ، وما ثارت الكرامات ، واطمأن المستعمر ، وراح يسود ويتحكم ، بل راح يدمر كل مقومات العروبة والاسلام ، وينشر الفساد والظلم والطغيان فى كل مكان ...

الاستعمار يعتمد على الخونة والمنافقين

ولو حاولنا أن نتساءل كيف تمكن الاستعمار منا ، لوجدنا الحقيقة المؤلمة تبرز أمامنا ، بأننا نحن الذين مكنا لهذا الاستعمار منا . فلم يكن هذا الاستعمار يعتمد على سلاحه وبطشه لانه يعلم أن السلاح والبطش لا يجديان شيئا ، أمام ارادة شعب حريص على حريته وعزته ، ولكنه كان يعتمد على الخونة والمنافقين من أبناء البلاد ، ولو عدتم لتاريخ مصر ، لرايتم قوى الاستعمار وأسلحته تتحطم أمام أبناء رشيد ، لا لأنه التقى بشعب آمن بالله ، وآمن بوطنه ، وآمن بنفسه ، فحسب ، بل لانه لم يجد خائنا واحدا فى القوم ، ففر المستعمر المسلح ، أمام الحر الأعزل

واذا ما قلبنا صفحات التاريخ ثانية ، ووقفنا عند الصفحة السوداء ، لوجدنا الاستعمار ينجح ويدخل مصر ، لا بقوة السلاح ، ولا بكثرة الجند ، لكن بفضل الخونة والمنافقين من أمثال يوسف خنفس ، ورجال الحكم فى ذلك الوقت ، وعلى رأسهم الخائن الاول توفيق

وان ما ترويه قصة الاستعمار فى مصر هو نفس ما ترويه

فى كل مكان ، وفى كل زمان ، واليوم نرى التاريخ يسطر نفس السطور على أرض مراكش ، وما الجلاوى الذى باع نفسه للشيطان ، وابتغى العزة عند المستعمر ، الا واحدا من كثيرين ، ففى كل بلد أكثر من جلاوى ، وفى كل بلد اكثر من منافق

« بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فان العزة لله جميعا »

أيها المواطنون :

يجب أن نعرف أن العالم العربى ، والعالم الاسلامى ، يقفان اليوم أمام عدو واحد ، ويتهاويان أمام مرض واحد

أما عدونا فهو الاستعمار ، وأما مرضنا فهو الدعة والتخلى عن الجهاد فى سبيل الله

« يا أيها الذين آمنوا ، مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير »

نحن فى مفترق الطرق

ان الاستعمار يضرب الآن ضرباته الدامية فى كل مكان ، وان العالم العربى ، والعالم الاسلامى ، ليقفان اليوم فى مفترق الطرق ، فاما طريق الذل والعبودية ، واما طريق العزة والحرية ، وعلينا وحدنا أن نقرر أى الطريقين نسلك ، فاما استخذاء واستسلام وفرقة تمكن عدونا منا ، واما كرامة وعزة ووحدة تخلصنا من هذا العدو

يجب أن يؤمن العرب والمسلمون ، فى مشـــارق الارض ومغاربها ، أنهم يصارعون عدوا واحـــدا هو الاستعمار ، وعليهم أن يتجمعوا من جديد تحت راية الاتحاد والجهاد . وأن تؤمن كل أمة بأن بقاءها وعزها مرتبطان ببقاء وعزة المجموع

كما يجب أن يؤمن العرب والمسلمون ، بأن عهـــد اللغو والكلام قد انقضى ، وأن عهدا جديدا يجب أن يبدأ ، عهدا قوامه الايمان بالله ، وعماده العمل فى سبيل الله

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهـــم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »

يد الاستعمار بين الصفوف

ان يد الاستعمار ما زالت تسعى بين الصفوف ، تبحث عن الأيدى الخائنة ، فليكن كل منكم على حذر ، وان هناك أيديا مصرية غادرة تريد أن تمتد الى يد عدوكم لتمكنـــه منكم ، ولتحيا فى ظله ، فتحسسوا هـــذه الأيدى وابحثوا عنها ، واقطعوها دفاعا عن حريتكم وكرامتكم ومصـــير أبنائكم ، واليكم حكم الله فى الخونة والمنافقين :

«لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا »

أيها المواطنون :

ان مصر التى ظلت ترزح تحت أقدام المستعمر ٧٠ عاما ، وقد أخذت اليوم تحطم القيود والاغلال ، لتنتظر من كل مواطن أن يؤدى واجبه ، وأن يحمى شرفه ، فللمستعمر

«جلاويون» بين الصفوف ، يعملون فى ظلمة الليل ، وينفثون سمومهم ، ويثيرون دعاياتهم الرخيصة ، ويتربصون بكم الدوائر . وهؤلاء يعلمون أنهم هم الذين كانوا يعيشون على حساب الشعب ، ولا يرتوون الا اذا امتصوا دماءه ونهبوا أرزاقه ، فاحذروهم وقاتلوهم ، وليكن شعاركم صبرا وتضحية ، وبذلا وجهادا

هبوا كما هب أجدادكم

أيها العرب ، أيها المسلمون :

اذا أردتم الخلاص فهبوا كما هب أجدادكم من قبل ، فى وجه الصليبيين ، فقد وقف العرب مسلمهم ومسيحيهم ، يدفعون عن حريتهم وكرامتهم ، حتى علت راية العروبة ، بينما هوت أعلام الظالمين

أيها العرب :

اذا أردتم النصر ، فعليكم بالعودة الى الله ، عليكم بجهاد المستعمر ، الذى جاء الى بلادكم ، يستتر غدره تحت شعار الحروب أينما كان ، لا تخشوا بطشه ولا قوته ، فالله أشد قوة وبأسا

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء »

مصر تقطع على نفسها عهدا

انى لأشهد الله ، على ان مصر التى طالما انبعث منها صوت الحق والحرية ، والتى طالما امتشقت حسامها للدفاع عن العروبة والاسلام ، تقطع على نفسها عهدا ، كما جاء فى ميثاق هيئة التحرير ، أنها ما قامت الا لتحرير مصر

والسودان ، ودعم اتصالاتها مع الشعوب العربية ، لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين ، وتعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ، ليكون أداة لخدمة شعوبها المشتركة

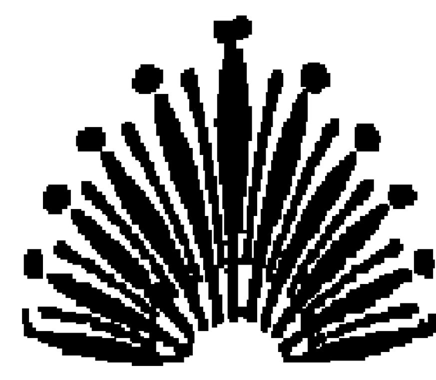
ايها الاحرار هبوا

أيها الاحرار فى كل دولة عربية ...

أيها الاحرار فى كل شعب عربى ...

أيها الاحرار فى كل مكان ...

هبوا وجاهدوا فى الله حق جهاده ، واحرصوا على الموت ، توهب لكم الحياة



سياسة الشرق الأوسط

هدفنا .. أن تكون لنا شخصية حرة

• فى افتتاح الموسم الثقافى يوم اول ابريل سنة ١٩٥٥ القى الرئيس خطابا رائعا عن سياسة الشرق الاوسط ، والنزاع القائم بين المعسكر الشرقى والغربى ، وموقف مصر والدول العربية من الدفاع عن هذه المنطقة . فقال :

بعد انْنعرف ما يجرى فى العالم ، يجب انْنعرف مايجرى فى منطقتنا ، وهى منطقة الشرق الاوسط ، وسنجد فى هذه المنطقة روحا تحريرية ، نجد هذه الروح فى الشعوب وان لم توجد فى بعض الحكومات

عمل للغرب لم نقبله

وعندما نرجع الى عامى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، نجد ان الدول الغربية حاولت ان تسد هذه الثغرة بايجاد طريقة لتنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط ، ولكن لم تستطع أى حكومة من الحكومات الموجودة فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت ان تقبل هذا العمل ، اى اتفاق الدفاع المشترك لسبب واحد هو ان الكراهية كانت شديدة ، بعد فلسطين ونكبة فلسطين ، كانت تؤثر على العرب ، فقد اعتبروا أن الغرب قد تعاونوا معه دائما ، ولكنه لم يوف لهم بعهد ، كما تعاونوا معه فى الحرب العالمية الاولى ، وبعد الحرب العالمية الاولى والوعود التى اعطاها الغرب للملك حسين وللعرب الذين عملوا مع الغرب وساعدوه . كل وعود الغرب نقضها ، وكانت النتيجة أن المنطقة العربية لم تحصل على استقلالها ، ولكنها

جميعا اصبحت مستعمرات قسمت بين انجلترا وبين فرنسا

وبعد الحرب العالمية الثانية ، بقيت الحالة على ما هى عليه ، وكل ما حدث من جديد هو تحرير سوريا ولبنـــان ولعلكم قراتم السبب فى تحريرهما فقد اراد الغرب اخراج فرنسا من النفوذ الدولى ، فوجد الجماعة الكبار انها فرصة مناسبة فكان الاستقلال وكانت مساعدة سوريا ولبنان ، لم يكن الغرض منه هو تحرير البلدين ، ولكن كان الغرض منه هو تقلص النفوذ الفرنسي ، واعتبار فرنسا دولة من الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة

وبعد ان تحررت لبنان وتحررت سورية ، جاء ضياع فلسطين واعطاؤها لاسرائيل . . ومن اجل ذلك لم يتمكن الغرب من تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة

كانوا يعتبرون ان مصر هي العامل الاساسى فى هذا الموضوع وان مصر اذا وافقت على الدفاع المشترك الذى وضعوه ، قد ينظم الدفاع عن هذه المنطقة فى صالح الغرب

انهم يرون وجوب تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، وقد اوضحنا لهم وجهة نظرنا فى اثناء المفاوضات ، وقلنا لهم اننا لانستطيع أن نقبل ميثاق الدفاع عن الشرق الاوسـط مرة اخرى . . والحقيقة ان المسألة ليست كلاما يقال ، ولكنها اساس اكبر فى هذا ، فهذا الدفاع كله موجه ضد الشيوعية

الاستعمار اخطر من الشيوعية

وقد اعتبر ان الشيوعية خطر ، ولكني لا زلت اعتقد ان الاستعمار او السيطرة علينا من الجانب الاخر يمثـــل خطرا آخر

نحن دولة عاشت تحت نير الاستعمار لمدة ٧٥ سنة فى

احتلال بريطاني ، وقبل الاحتلال البريطاني كان الاستعمار التركي لمدة ٣٠٠ سنة او ٤٠٠ سنة ، وتخلصنا من الاحتلال البريطاني باتفاقية لاحتلال القاعدة لمدة سبع سنوات ، يعني ان هناك التزاما علينا ، فاذا حدثت حرب سيأتون لاحتلال القاعدة ، ولكن هذا الالتزام نعتبره التزاما بسيطا اما في حالة التحالف او تنظيم الدفاع عن الشرق سنرتبط بالتزامات اخرى ، لست ادرى هل موقفي اليوم يمكنني من استبقاء السيادة اذا قبلت القيام بهذه الالتزامات ام لا ؟

فلنتخلص من النفوذ الاجنبى اولا

انني اعتبر ان مصر في وقتها الحالي ، وهي تبدأ مرحلة من مراحل التحرير ، يجب ان تتخلص من كل نفوذ اجنبي تخلصا كاملا ، حتى تستطيع ان تقف على اقدامها وبعد ذلك اذا وجدت ان مصلحتها ان تدخل مع اية دولة في اتفاق دخول الند للند فانها ستدخل لتحقق مصلحتها ، ولا تدخل ابدا نتيجة لضغط . لا تدخل وهي شاعرة انها ليست قوية .. فنحن من الناحية الاقتصادية لسنا اقوياء .. وارشادا وتوجيها لم نصبح بعد اقوياء

هناك اناس يقولون انه من الناحية الاقتصادية يمكن ان نعتمد على نواح خارجية ، وانا ارد على هذا قائلاً اننا اذا اردنا ان نبني اقتصادنا القومي على اساس سليم ، يجب ان يعتمد علينا اعتمادا كليا

ان المعونة الامريكية التي حصلنا عليها في العام الماضي وهي ٤٠ مليون دولار ، وجهنا هذه المبالغ على انها ليست اسسا من اسس الاقتصاد ، بل وجهناها الى نواحي الخدمات وجهنا هذه المعونة الى الطرق ، واصلاح الموانى ، وجهناها الى تقصير المدة اللازمة لتوصيل المياه النقية الى القرى ، فنحن لم نبن عليها ابدا اقتصادنا القومي

مجتمع اشتراكى

نحن اليوم وضعنا يختلف ، لاننا نمر بفترة حاسمة من تاريخنا ، ونعتبر ان هذه الفترة الحاسمة اذا لم توجه التوجيه السليم ، فلن نستطيع تحقيق هدف الثورة الخاص بالوصول الى مجتمع اشتراكى يرتفع فيه مستوى المعيشة ويقوى فيه الوطن اقتصاديا وانتاجيا

قلنا فى حديثنا اثناء المفاوضات اننا مستعدون لتنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط . ولكن على اى اساس ؟.. قلنا لهم انه يجب ان ينبثق الدفاع من المنطقة . يجب ان يكون الدفاع عن هذه المنطقة بسواعد ابنائها . لدينا ميثاق الضمان الجماعى . هذا الميثاق تشترك فيه الدول العربية ونحن مستعدون لتقوية هذا الميثاق ، فقط اعطونا اسلحة ، فاذا حصل اعتداء علينا فنحن ندافع ، وستجدون فى هذه المنطقة قوات عربية جديرة بهذه المهمة بدون اى تحالف مع الغرب ، وبدون اى ضغط من الغرب ، وبهذا نطمئن من الخطر الاخر . اذا كنتم تريدون دفاعا ضد الخطر الشيوعى ، فنحن ايضا لا نرضى بالخطر الشيوعى ، ولكننا نخشى السيطرة الغربية كما نخشى الخطر الشيوعى ، وعلى هذا الاساس يجب ان ينبثق الدفاع عن هذه المنطقة من دولها وبسواعد ابنائها ، بدون اى تدخل اجنبى

اذا وجدتم فى التسليح تحقيقا لاى مصلحة من مصالحكم ، فيسروا لنا التسليح

فى ابريل سنة ١٩٥٣ ، جاء الى هنا وزير خارجية امريكا وتكلمنا معه فى هذا الشأن

القيادة المشتركة

وقلنا اننا مستعدون للسير خلف قيادة مشتركة منا نحن العرب ، وجيش موحد منا ، لاننى عندما ادخل فى قيادة مشتركة

مع انجلترا وامريكا فسأكون بينهما صورة ، اناس يتقاضون مرتبات فى القيادة ، ولكن الاساس الذى سيبنى عليه العمل فى القيادة المشتركة سيقوم على كلامهم النافذ ، وبعدها يصبحون هم كل شىء ، ويعيدون من جديد حكاية البعثة العسكرية البريطانية فى العهد الماضى ، وأنتم تعلمون ماذا كانت تصنع هذه البعثة فى الجيش المصرى

سيكون لهم كل النفوذ ، انهم يأتون بالمال ويأتون بالسلاح ويضعون الخطة . وسيقول الباقون حاضر يا فندم . وبهذه الطريقة سنفقد شخصيتنا فقدانا كاملا

من اجل ذلك رفضنا الدفاع المشترك

قالوا ان ميثاق الضمان الجماعى حبر على ورق .. قلنا نحن مستعدون لتقويته اذا كنتم ستعطوننا اسلحة يدافع بها الميثاق عن المنطقة . لا تحاولوا ان تجرفوا دول هذه المنطقة فى طريقكم ، فاننى شخصيا أعتقد انه لو أن دول هذه المنطقة او بعضها مشى فى هذا التيار ، فسيؤثر ذلك على قوة المنطقة كلها

ولكن كل ما يهمهم فى هذه الناحية هو سد ثغرة . الثغرة الموجودة بين باكستان وتركيا . وهى اصلا افغانستان وايران وانهم يعتبرون منطقة ايران غير عميقة ، اذا لم تنضم اليهم العراق

دفاعهم .. وحريتنا

اذن فهم يهتمون بالدفاع ، ونحن نهتم بحريتنا . لقد استعمرنا . احتلت أراضينا ، تقدمنا الحيوى أهمل ليمشى ارتجالا ، لكى يضعف الشعب

كل ما نريده اليوم هو ان نخلق لنا شخصية مستقلة ، قوية ، ليست تابعة ، حرة ، توجه سياستها الداخلية

كيف تريد وكذلك توجه سياستها الخارجية تحقيقــــا لمصالحها

انا لا اريد ان اسأل غيرى ماذا اصنع فى اى موضوع ؟

انني اعطى مندوبى فى هيئة الامم مبادىء اساسية واقول له اعمل علي هذه المبادىء ولا اخاف ولا اتردد فى ان اقول رايى بحرية

فمبادئنا فى هيئة الامم ، كما اعطيناها للدكتور محمود عزمى ـ رحمه الله ـ هى كما يأتى :

ـ نحن مع تقرير المصير
ـ نحن ضد الاستعمار والسيطرة الاجنبية
ـ نحن مع حرية الشعوب

هذا هو طريقنا الذى نستطيع السير فيه ، ونحن لا نستطيع السير فيه ما دامت هناك سيطرة علينا

راينا حر فى مشكلات العالم

اننا لا نستطيع ان نقول رأينا بحرية فى مشاكل العالم ما دمنا تحت الســـيطرة ، فمثلا عندما عرضت مشكلة قبرص ، قلنا رأينا فيها بحرية قلنا اننا مع مبدأ تقرير المصير ، فلو كنت تحت السيطرة والارتباط لابد ان اذهب فاسأل السفير الانجليزى واقول له : ان مصالحنا متفقــة مع بعضها ، وسياستنا الخارجية مرتبطة ببعض فماذا اقول ، فيقول هو ان قبرص نريدها ان تبقى فى وضعهــا الحالى تحت السيطرة البريطانية فاذهب هنـــاك لاعطى صوتي مع بريطانيا

هكذا تسير تركيا اليوم

اننا نرى اننا بهذا الوضع ، ندخل فى معركة كبرى ، وهدفنا هو ان تكون لنا شخصية حرة مستقلة

تيتو فى يوغوسلافيا

تيتو فى يوغوسلافيا حاول ان يصل بالطريق الاخر ،

فظل سائرا مع الروسيا حتى عام ١٩٤٨ ، وفعلا استطاع ان يحصل لبلأده على انعاش اقتصادى ، ثم اراد مخالفة السياسة التى كانت تأتيه من الروسيا ، فلم يسمحوا له ، فخالفهم ، وانقطعت بذلك جميع الارتباطات التى عقدتها يوغوسلافيا مع الروسيا ، وحدث انهيار فى يوغوسلافيا ، واستطاعت يوغوسلافيا أن تخرج من تلك الازمة بصعوبة ، وبدأ تيتو يوازن الامور فى بلاده

ونحن فى هذه المنطقة ، ننظر الى المسألة من ناحيتين :

١ ـ مصر ، وهى تريد ان تقى نفسها ضد اى غدر

٢ ـ على ان تحافظ على كيانها وعلى شخصيتها وعلى استقلالها وعلى حريتها ، ولا اسمح بوضع بلادى تحت اى نوع من انواع السيطرة

كنا نعتقد اننا نستطيع تحقيق الغرضين معا ، بمعنى ان انظم دفاعى لمصر مع ميثاق الضمان الجماعى العربى ، واذا كان الغرب يجد فى ذلك مصلحة له ييسر تسلحنا ، واحافظ على استقلالى وشخصيتى فى جميع النواحى الداخلية والخارجية بدون اية سيطرة اجنبية

فاعتبر الغرب ان هذا التصرف لا يحقق هدفهم ، وهو تكملة الحلقة حول روسيا

تقوية ميثاق الضمان

اتصلنا بالدول العربية ، ذهب صلاح سالم الى العراق ، وقابل ملك العراق ، وقابل ولى عهد العراق ، وقابل رئيس وزراء العراق ، وتحدث اليه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى والكتلة العربية واتحاد الاخوة الخ ..

وبحكم العادة والمجاملات قال له كلاما جميلا واقيمت المآدب ، والاستقبالات اللطيفة ، ونعم وحاضر ، حقيقة اننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى

وجاء صلاح من العراق على اساس ان العراق موافق على تقوية ميثاق الضمان الجماعي واعتبرنا هذا نصرا باهرا اذ كيف وصلت العراق الى هذا المستوى وهي تحت نوري السعيد

وجاء نوري السعيد الى مصر ، وبدأنا نتكلم معه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى : « نعم .. هذه خطوة عظيمة ولابد ان نخطوها ولابد انتسيروا فيها ونحنمعكم يدا بيد »

قلنا له : وكيف يقوى ميثاق الضمان الجماعى ؟

قال : ارى ان نستدعي سفير بريطانيا وسفير امريكا ونقول لهما اننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فما هى الوسائل وما هى اقتراحاتكم ؟

قلت له : انا اعرف ما هى وسائلهم وما هى اقتراحاتهم فقد مضى على عامان وانا اتكلم معهم فى هذا الموضوع ، واذا سألتهم اليوم فان ذلك يعتبر بداية للمفاوضات والمباحثات الجديدة الخاصة به ، وكل الذى اريد هو معرفة وجهة نظرك

الباكستان .. والخطر الشيوعى

وبعد حيرة ومراوغة قال : تقوية ميثاق الضمان الجماعى هى أن نوسع هذا الميثاق كمجموعة من الدول العربية

قلت له : وكيف نوسع هذا الميثاق ؟

قال : نضم الباكستان

قلت : وماذا نفيد من ضم الباكستان ؟

قال : ضدنا الخطر الشيوعى ونحن نريد الوقوف فى وجه الخطر الشيوعى

قلت : وماذا تفيد من الباكستان وعندها خمس فرق عسكرية ، والمفروض ان الجهة الخلفية هى التى تنقذ الامام ، وليس الامام هو الذى ينقذ الخلف

قال : بلاش الباكستان . نضم تركيا

قلت : افرض انه حدث هجوم شيوعى . وانت تريد ضم تركيا . فهل تعتقد ان تركيا بالخمس عشرة فرقة التى عندها يمكن ان تستغني عن عسكري واحد تبعث به اليك ام ان تركيا ستحتاج اليك لانك خلفها ؟

قال : بلاش تركيا

فلما قلت له ان الباكستان وتركيا لا تستطيعان نجدتك

قال : بلاش تركيا والباكستان . احنا نعمل تحالف مع من ينجدوننا حقا . نتحالف مع امريكا وانجلترا وبلاش فرنسا . . نعمل تحـــالف مع أمريكا وانجلترا وايران وباكستان ، معهم جميعا ، ونوسع ميثاق الضمان الجماعى ، وبهـــذا نضمن التسليح ونكون عمليين و . . و . . وان فكرة القومية العربية التى نتكلم فيها هذا الكلام الكثير . . ايش الاردن . . وايش سورية . . وايش العرب . . وهذا كلام لا اومن به

فقلت له : ان هذا الطريق لانستطيع السير فيه . واننا نعتبر اشتراك اى دولة من الدول الكبرى فى هذا الدفاع ، قد يحد من موجة التحرر التى نسير فيها . اننا نريد أن نأخذ وضعنا . نريد تقوية شخصيتنا . نريد الدفاع ينبثق من هذه المنطقة

ولم نتفق

ولكنه كتب بلاغا اننا اتفقنا على جميع النقط ، فقلت له : لا يمكن

فقال : لابد ان نصدر بلاغا بهذه الصورة

فقلت له : لا يمكن ان يصدر بلاغ باتفاقنا . واصدرنا البلاغ الغامض الذى لا معنى له وقد نشر

وسافر نورى السعيد . . وذهب يتباحث هنا وهنا ، ولنورى السعيد فى هذه العملية تاريخ طويل ، تاريخ وليد فلسفة خاصة عبر عنها فى كتاب ارسله لمستر كايزى وزير الدولة البريطانى سنة ١٩٤٢ ، وفيه يعتبر دول الهـلال

الخصيب وهى الاردن وسورية والعراق ، هى الدول التى يمكن ان تتكون منها وحدة ، تتألف منها الجامعة العربية ، ومصر لا تدخل فى نطاق العرب

بقينا نحن فى مصر على نظريتنا وعلى فلسفتنا فى الدفاع وحاولنا بكل الطرق ان نقنع ، ولكن الاخرين - الغرب - حاولوا بكل الطرق تكملة الدرع الشمالى الذى يرونه ناقصا

لا تملى علينا شروط

تحدثوا معنا فى المساعدات العسكرية والمساعدات الاقتصادية ، وقالوا اننا سنعطيكم كل هذا فقلنا اننا نقبل المساعدات العسكرية ولكن لا تملى علينا شروط . اننا غير مستعدين للتوقيع على الشروط التى تربطون بها الدول . تساعدوننا عسكريا ونحن طبعا لن نستخدمها الا فى الدفاع الشرعى ، قالوا سنعطيكم أسلحة امريكية بدون توقيع شروط

قلنا لهم : لا .. نريد سلاحا بالثمن . اذا كنتم تريدون مساعدتنا . فانتم قد وضعتم اسعارا مختلفة للأسلحة . فقالوا سنعطيكم أسلحة بعشرين مليون دولار فى عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥

وحتى الان تمخضت العملية الطويلة العريضة عن كلام حلو ..

قلنا لهم : مستعدين نشترى

ولكنا لم نصل معهم الى نتيجة سوى ان هناك اسلحة ستأتى ، وقد قلت لكم هذا منذ عامين ، وسافرت بعثة من النكلاوى وعلى صبرى ، ذهبا الى هناك ، وطالت المفاوضة ، ولكنا لم نصل الى شىء

ان النفوذ اليهودى والنفوذ الصهيونى له هناك تأثير كبير جدا ، واننى كنت اعتقد انها ستكون معجزة من المعجزات ان نحصل على اى شىء

كنا وما زلنا نقول ان تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، لن يتم مطلقا الا اذا اعطيت الدول العربية كمنظمة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لاقامة جيش عربى خاص يدافع عنها طبقا لميثاق الضمان الجماعى

طبعا هذا الرأى لا ينسجم مع الخطط الاخرى . هذه الخطط التى تصر على التحالف . ونتيجة هذا التحالف هى انه اذا حصل اى هجوم يؤدى الى حرب عالمية تستخدم فيها القنابل الذرية

ثم فوجئنا بالبيان العراقى الصادر فى ١٢ يناير ١٩٥٥

باش اعيان كان المتحمس لنا

وكان هناك اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية فى ديسمبر الماضى ، وتقابلت معهم واحدا واحدا ، وتحدثت معهم فى انشاء جيش عربى يدافع عن العرب ، ويكون جيشنا ونحن الذين نسيره فقد وافقوا جميعا على هذا الرأى ، وكان اكثرهم حماسا له شهبندر وزير خارجية العراق وطلب منا ان تعقد العراق اتفاقية جلاء مع بريطانيا على غرار الاتفاقية المصرية ، وان تشمل ايران وتركيا بدلا من تركيا ، يعنى فى حالة وقوع اعتداء على تركيا او ايران ، تعود القوات البريطانية الى احتلال مطارى الحبانية وشيبة بالعراق

قلنا له اننا لا نمانع ، قال : وبعد ذلك نقوى ميثـــاق الضمان الجماعى ، ان نورى السعيـــد قد اقتنع برايكم وبفكرتكم ، وانه لن يتحالف مع باكستان ولا مع ايران ولا مع احد ، وكل امله الان تقوية الميثاق العربى ، كان ذلك يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ ، واتخذنا قرارات توصى الدول العربية جميعها بعدم عقد اى تحالف والاعتماد على الميثاق العربى ووقع عليها جميع الوزراء

وبعد ذلك أعلن الحلف التركى العراقى فى ١٢ يناير ١٩٥٥

فى بغداد ، ووجهت الدعوة لتوقيعه الى الدول العربيـــة الاخرى

الحقيقة ان هذا الموضـوع نعتبره الحل لمشكلات الغرب جميعا فى هذه المنطقة ، وخصوصا ان مشكلات العرب معلقة ولكن ارتماءنا فى الاحضان على هذه الصورة ، سيجعلنا نفقد شخصيتنا ويفقدنا استقلالنا الا فى نواح معينة محددة داخلية محلية ، وسيجعل بلادنا ميدانا من ميادين القتال لندافع عن انفسنا .

ان الغرب سيدافع هنا بالقنابل الذرية وانا القاطن هنا ، وانا الموجود بهذه المنطقة كيف استطيع ان ادافع عن نفسى وكيف احمى نفسى عندما تأتينى الطائرات بالهيدروجينية او بالقنابل الذرية وانا المقيم فى هذه المنطقة،بلادى،ماذا أصنع ؟

منظمة عربية للدفاع عن الشرق

كل هذه مسائل لابد ان نفكر فيها ، كل هذه مسائل تكلمنا فيها ، قلنا لهم انكم ستدافعون عن هذه المنطقـــة بالطائرات والقنابل الذرية ، افرضوا انكم لم تنجحوا ، هل تتركوننا هكذا فى الميدان .. قلنا لهم ان الحل الوحيـــد لهذا ان توجد منظمة للدفاع عن هذه المنطقة منظمة عربيـــة خالصة قوية وليس لها اى ارتباط بالغرب . وبهذا يفكر العدو بدل المرة عشر مرات قبل ان يهاجم هذه المنطقة ، لان هذه اذا تركت فراغا ، ستغرى بالهجوم . اما اذا كانت هذه المنطقة فيهـــا قوة من ابنائها فان المهاجم يتردد فى الهجوم .. نحن هنا كعرب نستطيع ان ننشىء ١٥ فرقة لكن هذه النظرية لم تقبل

ودخلت العراق فى الحلف التركى ، واعتبرت ان التحالف قد يكون ضمانا لها ضد اى غزو وعندما جلست اتناقش

مع باش اعيان ، وافقنى على راى مصر ، ثم قال الحق انهم ضغطوا علينا

قلت له : ولماذا اذعنتم واستجبتم وانت كنت رجلا من المستقلين وكانت لك جبهة قومية قبل ان تكون وزيرا ولكن الان لماذا تغيرت الدنيا ؟

قال : نحن واقعيون .. كنا قوميين واصبحنا واقعيين والحق اننا تحت ضغط !



مؤتمر باندونج

الثورة ومبادئها الستة

دعيت مصر الى المؤتمر الاسيوى الافريقى الذى عقد فى باندونج بالجمهورية الاندونيسية فى ١٨ ابريل سنة ١٩٥٥ ، وقد اشتركت فيه ٢٩ دولة هى : اندونيسيا ، ومصر ، والهند ، والباكستان ، وبورما ، والصين الشيوعية ، وسيلان ، وافغانستان ، والملكة العربية السعودية ، وسورية ، ولبنان وتركيا ، والعراق ، وايران ، واليمن ، وليبيا ، واليابان ، والسودان ، والفلبين ، وكمبوديا ، ولاووس ، ونيبال ، وفيتنام الشمالية ، وفيتنام الجنوبية ، وساحل الذهب ، وأثيوبيا ، وليبريا ، وتايلاند

وذلك لبحث أخطر المشاكل العالمية المتعلقة بالسلم ، وقضايا الحرية ، والتعاون الاقتصادى بين آسيا وافريقا ، وقد عنى هذا المؤتمر بأن يرسم الطريق لحل هذه المشاكل . وقد القى الرئيس جمال فى هذا المؤتمر الخطبة التاريخية الآتية :

سيادة الرئيس ، سادتى :

انه ليسرنى أن أنتهز هذه الفرصة لتقديم خالص الشكر للدول الخمس الداعية ، على ما بذلته من جهـود فى سبيل عقد هذا المؤتمر ، وانها حقا لمناسبة عظيمة ، وحـدث جليل ، كنا جميعا ننتظره بفارغ الصبر ، ويسرنى ، بصفة خاصة ، بل يشرفنى ، أن قد أتيحت لى فرصة الوجود فى عاصمة هذه الدولة العظيمة ، التى ضربت بطول كفاحها ـ حتى نالت استقلالها ـ مثلا للشعوب المهضومة فى أنحاء العالم

ولطالما اعجبنا ببطولة الشعب الاندونيسى ، ولهذا فانى أقدم لاندونيسيا ، شعبا وحكومة ، عظيم اجلالى وتقديرى ازاء ما لقينا من حسن الاستقبال وكرم الوفادة فى هـذا البلد الامين

مشاكلنا متشابهة

لقد اجتمعنا فى هذا المؤتمر ممثلين للدول الاسيوية والافريقية ، وثمة تشابه يسترعى النظر ، بين الظروف القائمة فى بلاد القارتين ، وهو تشابه من شأنه أن يوحد بينها ، وقد تخلصنا من عهد طال أمده ، كنا فيه تحت تأثير نفوذ أجنبى فى شئوننا الاقتصادية والسياسية سواء . وتواجهنا الآن مشاكل النهوض الاقتصادى ، والتطور الاجتماعى والسياسى ، فليس بعجيب أن تقرب هذه الامور بعضنا من بعض ، فنسعد بشعور واحد ، وهو ما يبدو جليا فى وجهات نظرنا نحو السلم العالمى والعدالة الدولية

ان ايماننا بعظيم امكانيات بلادنا ، وهى تعمل متعاونة فى سبيل عزة البشرية وكرامتها ، ليقوى ويشتد ، اذا نظرنا الى ما أصبح معروفا باسم « الكتلة الاسيوية الافريقية » ، وقد اثبتت الاحداث أن التعاون الوثيق بين أعضاء هذه الكتلة ، من أقوى العوامل على تقدم الشعوب المتخلفة ، وحماية حقوقها

وان مصر، بوصفها احدى دول الجامعة العربية، ليسرها أن تسجل تقديرها لما تظهره الدول الاخرى من أعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية ، من تأييد دائم لقضايا الدول العربية أمام هيئة الامم المتحدة

انا مقدرون ، كل التقدير ، أهمية الموضوعات التى عقد هذا المؤتمر لدراستها ، والحق انها ذات أهمية بالغة لبلادى ، فى هذا العهد الدقيق ، الذى تجتازه مصر ، عقب ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

اهداف الثورة المصرية

لقد كانت أهداف ثورتنا أن تحرر الشعب المصرى من حكم الفساد والطغيان ، وتعيد اليه حقوقه وكرامته ، وهى العزة والحرية كأفراد ، والاستقلال والاتحاد كأمة

ولم تكن الثورة حدثا له أهمية محلية فحسب ، بل كانت أوسع مدى ، بحيث تهم دول الشرق الاوسط ، أو كل دول العالم أجمع ، ولهذا أراني غير مثقل على سيادتكم ، اذا أنا تحدثت قليلا فى هذا الصدد :

ان ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، لم تكن ثورة على العهد الماضي فحسب ، بل ان اهدافها وأهميتها كانت أبعد أثرا ، وأعمق صدى ، اذ كانت ثورة على السيطرة الاجنبية

ويمكن تلخيص أهداف الثورة ، وما تنطوى عليه فلسفتها من مبادىء ، فيما يأتى :

١ ــ رفع مستوى معيشة الفرد العادى فى مصر ، ماديا ومعنويا

٢ ــ اقامة حياة دمقراطية حقة ، على أساس سليم فى البلاد

٣ ــ القضاء على الاقطاع بالاصلاح الزراعى

٤ ــ تخليص الاقتصاد القومي من قبضة الاحتكار، الذى يحرم الفرد من حريته ، والدولة من سيادتها

٥ ــ تقوية الجيش للمحافظة على سيادتنا وحماية مسئولياتنا الدولية

٦ ــ نشر العدالة الاجتماعية

سياسة مصر الخارجية

ما كان انشغال مصر باصلاحاتها الاجتماعية والاقتصادية ليعوقها عن القيام بالتزاماتها الدولية ، فى مثل هذه الظرف العصيب ، الذى تجتازه البلاد . أن مصر التى ظلت أمدا طويلا خاضعة للسيطرة الاجنبية ، تقف الآن وقفة المدافع عن الحرية والرفاهية للشعوب ، كلما سنحت الفرصة لذلك ، وتأييد مبدأ تقرير المصير لكافة الشعوب، وهذا أظهر ما تتسم به سياستنا الخارجية ، ولطالما أيدت مصر الجهود التى تبذل فى سبيل نصرة الشعوب المتخلفة ،

لتحقيق مالها من حقوق ومصالح مشروعة طبقا لنصوص ميثاق هيئة الامم

بيد أن هذا الميثـاق تضمن ارتباطات وقيـودا محددة من جانب المنظمة العالمية ، والتزامات ومسئوليات من جانب أعضائها بشأن المناطق غير المتمتعة بالحكم الذاتى فقـد حدد الميـثاق التزامات خاصـة فرضـها على الدول الحاكمة ، ومن بينها تنمية الحكم الذاتى فى تلك المناطق ، وأن تأخذ فى حسبـانها الاهداف السيـاسية لهذه الشعوب ، وتعينها على النهوض بمؤسساتها السياسية ، غير أن الدول الاستعمارية لم تراع ذلك ، وقد كافحنـا ، وسنظل نكافح ، فى تطبيق هذه الالتزامات التى فرضهـا الميثاق على الدول الاستعمارية

والميسم الثانى ، الذى تتسم به سياستنا الخارجيـة ، ايماننا الراسخ ، وتأييدنا الدائم ، لهيئة الامم المتحـدة ، كمنظمة عالمية فعالة ، تعمل على صيانة الامن والسلام العالمى وتوفير الرفاهية لشعوب العالم

وفى فترة التوتر بين الدول الكبرى ، الذى عاق تقدم هيئة الامم ، كانت مصر من أنصار الميثاق ، وما نص عليه من مبادىء . ومع أن الدول العربية كانت من أكثر الدول خلوا من الاوهام ، بشأن عدم قيام هذه المنظمة بما يطابق حقوق الانسان ، ولا سيما فيما يتعلق بدول شمال أفريقا وفلسطين ، الا أننا لم نفقد ثقتنا فيها ، ولم يقل اهتمامنا بشأنها ، وما كان موقفها ليعوقنا عن التعـاون معهـا فى نواحي نشاطها ، أو ليضعف ايماننا بمبادئها الرفيعة وأهدافها العالية

والسمة الثالثة لسياستنا الخارجية ، توسيع نطـاق التعاون بين دول الكتلة الاسيوية الافريقية ، وانى على يقين من أن التعاون بين الدول الاسيوية الافريقية ، من شأنه أن

يقلل من حدة التوتر العالمى القائم ، ويساعد على دعم السلم ونشر الرخاء والرفاهية فى العالم

وان شعوبنا ، وغيرها من الشعوب الاخرى ، لترقب فى لهفة هذا الاجتماع ، الذى هو بداية نشاط المؤتمر ، وفى هذا دليل على رغبة الشعوب وايجاد وسيلة لتهيئة جو من السلم العالمى ، الذى يقوم مع العدالة والمساواة فى الحقوق بين جميع الشعوب

التعاون الدولى

وفى هذا الوقت الذى تجتاز فيه هيئة الامم مرحلة ، لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أنها « أزمة » ، تقع على المؤتمر مسئولية ذات طابع خاص ، الا وهى أن يعيد الى شعوب العالم ، بخطوات عملية ، واجراءات متفق عليها ، ثقتهم فى واقعية العدالة والتعاون الدولى

ويسود العالم الآن احساس بعدم الضمان ، يزداد نموا ومما زاد شعور الخوف من الحرب ، زيادة انتاج الاسلحة ذات التدمير الشامل ، والتى لا تبقى ولا تذر . ما أجسم الخطر الذى يتعرض له العالم مر الحرب ، وما أغلى الثمن الذى يدفع من أرواح البشر ، حتى ليخيل الى المرء ان قد دنت الساعة ، واذنت شمس العالم بمغيب

ولست أعرف عصرا أجمعت شعوب العالم فيه على هدف واحد ، بمثل ما أجمعت عليه الآن ، بتضافرها فى بذل الجهود لتحقيق نظام دولى فعال . هلا حولنا الامانى الى يقين واقعى ؟ عندى أن خير ما تفعله الدول ، هو العمل على تحقيق السلم العالمى . وللوصول الى هذه الغاية لابد من توافر خمسة شروط :

الشرط الاول :

نجاح الجهود التى كانت هيئة الامم ، ولازالت ، تبذلها

لتنظيم وتحديد وتخفيض القوة المسلحةوالتسليح، وكذلك القضاء على الاسلحة ذات التدمير الشامل .

ان مصر ، وكافة الدول الممثلة فى هذا المؤتمر ، وغير الممثلة سواء ، لتدرك تمام الادراك ، ويؤلمها اشد الالم ، ما تتكلفه أعباء التسلح من نفقات وجهود ، توشك أن تقصم ظهر الاقتصاد العالمى ، وتعوق النهوض الاجتماعى ، ونأمل بحماس وحرارة وقف هذا التسلح فورا ، حتى يفيق العالم من كابوس الفزع المروع ، الذى يقض مضجعه من جراء هذا التسليح

وثمة علاقة وثيقة بين رفع مستوى معيشة الشعوب، وخفض التسليح ، ولاشك فى أن العلوم والخبرة الفنية الحديثة ، اذا استخدمت لاغراض سلمية ، سوف تتيح للجنس البشرى من الرفاهية قدرا لا يعادله أى قدر فى أى زمان ومكان. فالطاقة الذرية مثلا، اذا استخدمت فىأغراض سلمية ، تهيىء للشعوب فرصا لا نظير لها للرخاءالاقتصادى ولاسيما فى البلاد المتخلفة ، حيث يعيش السواد الاعظم فى فاقة وعلل

الشرط الثانى :

تمسك هيئة الامم بالميثاق ومبادئه ، لتحقيق السلم العالمى ، فيجب أن تكون كافة القرارات والاجراءات التى تتخذها هذه المنظمة العالمية ، أساسها الميثاق ، ولو روعى هذا ، لما نزل بشعب فلسطين ذلك الظلم البين ، ولما وقع عليه هذا الاعتداء الذى لم يسبق له مثيل

الاعتداء على فلسطين

اسمحوا لى أن أبدى بعض الملاحظات على موضوع يثير فى نفسى أعمق الاسى ، ذلك أن شعب فلسطين طرد من وطنه وشرد ، ليحتل مكانه شعبدخيل، فرضعليه فرضا،

وكل هذا حدث على مرأى من هيئة الامم المتحدة ، بل بمساعدتها وموافقتها

لست أعرف فى تاريخ الشعوب حدثا فيه مثل هـــذا الخرق الوحشى الاثيم للمبادىء الانسانية ، هل من ضمان يكفل للشعوب الصغيرة ، أن الدول الكبيرة ، التى ساهمت فى تلك المأساة ، لا تسمح لنفسها بتكرار حدوث مثـــل هذا الاعتداء على شعب وادع لا حول له ولا قوة ؟

والله لا يستطيع انسان أن يتصور أن ظلما بينـا كهذا يمكن حدوثه فى القرن العشرين ، عصر النظام والعـدالة العالمية ، على مرأى من هيئة الامم المتحدة ، حاميةالقانون الدولى والعدالة الدولية

الشرط الثالث :

وجوب احترام الالتزامات الدولية

هناك شرط ثالث لقيام السلم العالمى ، لا يقل أهميـة من سابقه ، الا وهو احترام الدول لالتزاماتها الدوليـة ، فبمقتضى ميثاق هيئة الامم المتحدة ، واعلان حقـــوق الانسان ، لم تعد معاملة الدول لبعض الافراد ، أو لجماعة تعتنق مبدأ معينا ، سواء أكان هذا تفرقة عنصرية ، أم سموا مستندا على انتماء الى أصل عريق ، مسألةداخلية، كما تذهب بعض الدول فى ادعائها ، بل أصبحت مسـألة دولية ، تهم العالم أجمع ، والتمييز فى اى صورة من صوره، لا يعد اخلالا بالالتزام الدولى ، وانما هو أمر يخـــل بالعلاقات الودية بين الدول

ومما يؤسف له ، أن التفرقة العنصرية مازالت قائمـة فى جنوب أفريقا ، وقد وصفت هذا الوضع لجنة الامم المتحدة بشأن مسألة الاجناس فى اتحاد جنوب أفريقا ، بالفقرة الآتية :

« ان نظرية التفريق العنصرى ، والسياسة التى قامت استنادا اليها ، نظرية باطلة علميا ، وتهدد السلم والامن العالمى بالخطر ، كما انها تتنافى مع عزة الانسان وكرامته »

الشرط الرابع :

الضغط السياسى

هناك شرط رابع ، احب أن أشير اليه : فكثيرا ما تغفله الدول، ولاسيما الكبيرةمنها، الاوهو وجوب وقف الضغط السياسي ، الذى تعمل به الدول الكبيرة ، على استخدام الدول الصغيرة كأداة لتحقيق اغراض الاولى ، هذا يجب وقفه فورا ، اذا أردنا ان نضع حدا للتوتر الدولى الموجود فى الوقت الحاضر

ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة ، له اثره الضار على الدول الصغيرة ، فهو يعزلها، ويفرق فيما بينها ، كما يضعف الروابط والتعاون الذى قد يكون قائما بينها ، وبذا تقع تحت السيطرة الاجنبية، فان على الدول الصغيرة أن تقوم بدورها الانشائى فى سبيل تحسين العلاقات الدولية ، وتخفيف حدة التوتر الدولى

الشرط الخامس :

تصفية الاستعمار

وثمة موضوع تصفية الاستعمار الذى طالما كان سببا فى الاحتكاك بين الدول ، وما يستتبعه من قلق ، فانه منذ أن اتسعت رقعة الاستعمار ، اتسعت معه مشكلة نظام الحكم الاستعمارى الاجنبى الذى كان دائما مثار الحروب

ولقد شاهدنا منذ سنين ، ومازلنا نشاهد ، ارتفاع موجة القومية ، لا فى بلادنا والمناطق المجاورة لها فحسب ، بل فى عدة اقطار اسيوية وافريقية ، ولقد علمتنا تجارب الحياة ،

ان القـومية اذا احبطت ، ترتبت عليها عواقب وخيمـة ، ونشأت عنها مشاكل عويصـة ، وأن الدول اذا تناولتها فى حكمة وهوادة وواقعية ، أثمرت ثمرا طيبـا من الصداقة والتفاهم والمحبة . وانا لنرجو أن نضع ذلك دائما نصب اعيننا بشأن بقية بلاد العالم، التى مازالت شعوبها متعطشة الى ارواء قوميتها ، ولكنها لم ترتو بعد ، ولم تشبع رغبتها فى هذا الصدد

واراني فى غير حاجة الى القول بأننا نعيش الآن فى عصر جديد ، يختلف عن العصـور الماضية ، فلقد استيقظ فى الشعوب وعى جديد ، لا يمكن معـه وقف تيار القـومية والنهوض

شعوب شمال افريقا

على اى اساس يستطيع انسان أن يستسيغ ان أقطار شمال افريقـا ، التى ظلت قرونا مستقلة ، ومقرا للعلم والعرفان والحضارة العريقة ، تنحط مرتبتها الى حـد أن تصبح مناطق لا تتمتع بالحرية والاستقلال ؟ أتتفق مثل هذه السياسة مع السـلم والتعـاون بين الشـعوب ؟ ان اكثر الحروب ، وما جرته من ويلات للبشرية ، كانت تعـزى فى الغالب ، الى أن القرارات التى اتخذت ، وان كانت فى ذاتها صحيحة سليمة ، الا أنها لم يختر لها الوقت المناسب. الا أن التباطؤ والأحداث تسير ، واغفال الحاجـة الملحة الى تكييف الأمور، منذ العهدالجديد الذى ترجعبدايته الى سنة ١٩٤٥، وتجاهل التقدم الانسانى ، ومقاومة قوانين التطور رغم شدته ، والاصلاح رغم قوته ، كل هـذا جسيم الضرر ، لا للشعوب التى ترتكب الخطأ فحسب ، بل للأنسانية جمعاء . وهذا أحد أسباب القلق الذى يسود العالم فى عصرنا الحالى

التعاون الأسيوى الأفريقى

ان التعاون بين الشعوب الآسيوية والأفريقية ليس عاملا

على تخفيف حدة التوتر الدولى القائم فحسب ، بل معوان لتلك الدول ــ التى تمثل اكبر قارتين ، وسكانها أكثر من نصف سكان العالم ــ على التقدم وتحقيق مستوى معيشة ارفع ، وتحقيق هذا الغرض كما لا يخفى ، لازم لهدف تال ، هو السلم العالمى ، فليس معنى السلم مجرد « لا حرب » ، بل انه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسي ، والنمو الاقتصادى ، والعدالة الاجتماعية ، وكلها مقومات لا غنى عنها لانشاء مجتمع عالمى سليم . . .

ان التعاون الذى اجتمعنا هنا من أجل تنميته فيمابيننا، انما يأتى بالغرض المقصود منه ، اذا آمنا جميعا بضرورة تحقيق المبادىء الأساسية الآتية :

اولا ــ يجب على كل دولة أن تحترم الأستقلال السياسى لكل دولة أخرى ، وأن ترعى العدالة الاقليمية فيها ، والا تتدخل فى شئونها

ثانيا ــ لكل دولة الحق فى ان تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والأقتصادية

يقينى انه ما دامت هذه الأغراض والمبادىء رائدنا ، فسوف يحقق لنا هذا المؤتمر الوصول الى اتفاق على ما يعرض فيه من مقترحات وخطوات عملية ، من شأنها ايجاد التعاون المنشود بين بلادنا ثقافيا ، واقتصاديا واجتماعيا

انى جد واثق من انى اعبر عن رغبات شعوبنا جميعها ، عندما اعبر عن أحر تمنياتى . ان مباحثات المؤتمر ستكون بمثابة نقطة تحول نحو تحسين الموقف الدولى ، وبداية لطور جديد فى سبيل تحقيق السلم والعدالة ، ولئن كان هذا اليوم قد سبقته ايام لازمها الفشل ، فستتلوه أيام لا تخلو من صعاب ، سيحدوها الامل ، وبالتالى لا يكون بها مجال للفشل

دستور الشعب

عهد جديد

فى المؤتمر التاريخى الذى انعقد فى ميدان الجمهورية بالقاهرة فى ١٦ يناير ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر « دستور الشعب » وقد قدمه بخطاب تاريخى بليغ تحدث فيه عن مراحل الكفاح الذى مرت بمصر ، وسجل باعلانه لهذا الدستور بداية عهد جديد من الكفاح ، وبعد الخطاب قرأ القائمقام أنور السادات مواد هذا الدستور ، ثم قام الرئيس فشرح هذا الدستور الذى يعتبر الوثيقة الوطنية التى تمخضت عنها الثورة ، كما ترى فى الصفحات الآتية :

ايها المواطنون :

هذا يومكم ، من أجل هذا اليوم كافح الشعب ، من أجل هذا اليوم كافح الآباء والاجداد ، من أجل هذا اليوم سقط شهداؤنا ، من أجل هذا اليوم قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

أن الدستور الذى نعلنه اليوم هو تتويج لكفاح هذا الشعب على مدى السنين والايام

نعم .. لقد كافح هذا الشعب سنين طويلة لم يسلم ولم يستسلم ، رغم ما قابله من صعاب ، لقد كافح هذا الشعب ضد الاستبداد ، وضد الاستعباد ، وضد السيطرة ، وضد التحكم ، لقد كافح هذا الشعب لينال حقه فى الحرية والحياة ، فاذا قمنا نحتفل اليوم بالدستور فانما نتوج هذا الكفاح ، كفاح هذا الجيل ، وكفاح الاجيال الماضية ، كفاح هذا الجيل وكفاح الآباء والاجداد

انتصار ارادة الشعب

أيها المواطنون :

ان الدستور الذى نعلنه اليوم هو نهاية معركة طويلة ضد السيطرة المعتدية الاجنبية ، وضد السيطرة المستغلة الداخلية ، وأن هذا الشعب كافح طويلا ضد الاعتداء الخارجى ، وضد الاستبداد الداخلى ، وفى أواخر القرن الثامن عشر قام هذا الشعب يطالب بحريته ، ويطالب بحقه فى الحياة

قام هذا الشعب وطالب الامراء والمماليك بأن يشترك فى حكم الوطن ، وأن يشترك فى تصريف أموره ، ولكنهم رفضوا ، ولكن الشعب اجبر الامراء ، اجبرهم على أن يطيعوا رغبته ، واجبرهم على أن يلبوا ارادته ، ووقع الامراء فى أواخر القرن الثامن عشر وثيقة بناء على رغبة الشعب ، وبناء على طلب الشعب ، قالوا فى هذه الوثيقة : ان الامراء تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه الناس

وانعقد الصلح على شروط منها : أن يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس ، وأن يسيروا فى الناس سيرة حسنة

هذا يا أخوانى ما أجبر الشعب الامراء فى أواخر القرن الثامن عشر على أن يعلنوه . ولكن الشعب اطمأن بعد أن وقعوا هذه الوثيقة . ولكن الشعب آمن بعد أن وقعوا هذه الوثيقة الى انهم سيطبقونها والى انهم سيكفون اتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس . والى انهم سيسيرون بالناس سيرة حسنة ، ولكن هل اتبع الامراء هذه الوثيقة .. هل عملوا بما وقعوه . ابدا يا أخوانى . لقد اطمأن الشعب وخدعه الامراء فساروا سيرتهم الاولى مرة أخرى ليستبدوا بحريته ويستبدوا بارادته فاستبدوا وسيطروا وتحكموا

هزيمة الوالى التركى ..

فهل استكان هذا الشعب ؟ وهل سلم هذا الشعب ؟ وهل استسلم هذا الشعب ؟ .. لم يسلم ابدا يا أخوانى ولكنه كافح كفاحا مريرا ، كافح كفاحا طويلا . من أجل الحرية التى نادى بها آباؤه وأجداده واستمر فى الكفاح واستمر فى النضال ، حتى كانت سنة ١٨٠٥ حينما كافح ضد سيطرة الوالى التركى وطالبه بأن يشترك فى حكم نفسه بنفسه ، وطالبه بأن يقيم دستورا ليدير به شئون البلاد

ولكن الوالى العثمانى قال : « اننى هنا وال بأمر السلطان . ولا يمكن أن البى رغبة الفلاحين » فاجتمع الشعب وعلماء الشعب . اجتمعوا وقرروا عزل السلطان وقرروا عزل الوالى . وقال الوالى : « أنا لا يمكن أن أعزل الا بأمر من السلطان ولا يمكن أن أعزل بأمر من الفلاحين » ، فوقعوا هذه الوثيقة وقالوا : كتب ممثلو الشعب وثيقة بعزل الوالى التركى واثبتوا حقهم الدستورى فى هذا

الشعب يعزل الوالى

وكانت الوثيقة تقول : « ان للشعوب طبقا لما جرى العرف به ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الاسلامية الحق فى أن يقيموا الولاة ، ولهم أن يعزلوهم اذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم ، لان الحكام الظالمين خارجون عن الشريعة » وعزلوا الوالى واقاموا محمد على . وولى الشعب محمد على كحاكم جمهورى

محمد على خان عهده

ولا بأس أيها المواطنون ولا ملامة على الشعب أن نكث محمد على بالعهد . فليس هو أول من خان العهود . ليس هو أول من خان العهود المقطوعة . لقد ولى الشعب محمد

على الولاية بارادته . ولكن محمد على استبد وطغى وصمم على أن يحكم سواء أكان حكمه من ارادة الشعب أم ضد ارادة الشعب ، فاستمر الشعب فى نضاله، واستمر الشعب فى كفاحه من أجل حقه فى الحياة ومن أجل حقه فى الحرية

وقام عرابى سنة ١٨٨١ وطالب الخديو ، طالب الخديو بأن يحقق للشعب حريته . وبأن يحقق للشعب حقه فى الحياة ، قام عرابى وهو ينادى بما كان ينادى به الشعب . يطالب بالدستور . ويطالب بحق الشعب أن يقر الضرائب وأن يقر القوانين ، ولكن الخديو رفض . واستعان بالقوة الاجنبية . فكان الاحتلال

ثورة ١٩١٩

كان الاحتلال البريطانى . . فهل استسلم الشعب ؟ وهل سلم الشعب ؟ ان الشعب لم يستسلم ولم يسلم . ولكنه كافح بعزم وايمان لا ضد السيطرة المستغلة الداخلية فحسب ، ولكن ضد العدوان الخارجى ، وضد السيطرة الداخلية ، واستمر الشعب رغم المآسى ورغم العذاب ورغم ما قاسى من ضروب الاهوال ومن ضروب المقاومة . استمر الشعب يحارب ويكافح ويناضل بعزم وصبر وايمان

قامت الثورة الكبرى بعد كفاح طويل ضد العدوان الخارجى وضد السيطرة الداخلية ، قامت هذه الثورة تطالب بالدستور الذى يعلن حق هذا الشعب فى الحياة ، وحق هذا الشعب فى الحرية

وكافح الشعب واستشهد من ابنائه من استشهد ، وسجن من سجن ، وعذب من عذب ولكن ارادة الشعب انتصرت فى سنة ١٩٢٣ باعلان دستور سنة ١٩٢٣

الدستور الذى اقر الاقطاع

واعلن دستور سنة ١٩٢٣ فاطمأن الشعب . وآمن

الشعب بأن هذه الوثيقة التى أعطيت له منحة من الملك سترتب له الحق فى الحياة وسترتب له الحق فى الحرية

فماذا كانت النتيجة ؟ لقد نكثوا أيضا بالعهود . لقد نكثوا أيضا بالوعود . ولم تغن الشعب هذه الوثيقة المكتوبة شيئا . فاستمر يكافح أيضا مرة أخرى . استمر يكافح كفاحا طويلا فان الدستور الذى أعلن سنة ١٩٢٣ كان دستورا استخدمت بوساطته كل الوسائل التى تتحكم فى هذا الشعب

دستور سنة ١٩٢٣ أقر الاقطاع واقر السيطرة . واقر التحكم . واقر الرشوة . انهم اعتبروا الدستور وثيقة شرعية يثبتون بها الاقطاع . ويثبتون بها الفساد ، ويثبتون بها الاستبداد ، ويثبتون بها الاستبداد السياسى ، ويثبتون بها الظلم الاجتماعى . واتخذ الاستعمار من هذه الوثيقة أيضا ـ أيها المواطنون ـ وسيلة حتى يمكن لنفسه فى هذا الوطن ، وفى أرض هذا الوطن ، فهل خدع المواطنون ؟

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

أن المواطنين الذين اطمأنوا فى سنة ١٩٢٣ للدستور والذين وثقوا فى سنة ١٩٢٣ بالدستور ، اطمأنوا ولكنهم لم ينخدعوا . ولكنهم لم يسلموا ولم يستسلموا ، فكافحوا كفاحا طويلا مريرا من أجل حقهم فى الحرية . ومن أجل حقهم فى الحياة . حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لتحقق للوطن حقه فى الحرية وحقه فى الحياة

انتصار عظيم للشعب

وكانت ثورة ٢٣ يوليو أيها المواطنون ، تتويجا لكفاح المواطنين بنصر عظيم حتى يتولى امره بنفسه وحتى يمسك زمام شأنه بيده ، ولكن الوطن ، ولكن الشعب استلهم العظة من ماضيه فقرر الا يخدع كما خدع فى أيام ابراهيم بك .

وفى أيام محمـد على فلم يطمئن الى الامراء ولم يطمئن الى الحكام . لم يطمئن ابدا كما اطمأن فى الماضى ، لم يطمئن ابدا ولم يثق كما اطمأن فى الماضى وكما وثق فى الماضى ، ولكنه قرر أن يستمر فى كفاحه

وأعلنت الثورة فى أول يوم من أيامها أنها تهدف الى اقامة حياة دستورية سليمة لهذا الوطن . لهذا الشعب . لينظم امور هذا الوطن وينظم امور هذا الشعب . ينظم عمل هذا الوطن وكفاح هذا الوطن ، وعمل هذا الشعب وكفاح هـذا الشعب

أعلنت الثورة هذا الاعلان من أول يوم قامت فيه وهى لم تعتبر أن الطريق سهلة ، ولكنها قابلت طريقا شاقة وصعبة لانها قررت الا تخدع ، وقررت الا تطمئن ، فقابلت الحكام ، وقابلت الامراء ، واصطدمت الثورة مع الحكام ، واصطدمت الثورة مع الامراء لانها كانت تتسلح بالشك ولم تستكن الى الاطمئنان والى الثقة فأعلنت الثورة فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ انها لاقت مصاعب ومشاق كثيرة من الحكام السابقين ومن الحزبيين ومن الاحزاب وانها حتى يمكن ان تحق الاهداف التى قامت من أجلها لا بد لها من فترة انتقال لمـدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ ، أى اليوم

بيان الثورة فى ١٦ يناير ١٩٥٣

وفى هذه الفترة تمهد الطريق وتقضى على المخـادعين ، وتقضى على المضللين ، وأصدرت الثورة فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ بيانا يقول « لقد استمدت ثورة الجيش قوتها من ايمانها الـكامل بحق جميع المواطنين فى حياة قوية شريفة وعدل تام مطلق وحرية كاملة شاملة فى ظل دستور سـليم يعبر عن رغبات الشـعب وينظم العـلاقة بين الحـاكمين والمحكومين ، ولما كان أول أهداف الثورة هو اجلاء الاجنبى عن أرض الوطن ، ولما كنا آخذين الآن فى تحقيق هذا الهدف

الاكبر والسير به الى غايته مهما تكن الظروف والعقبــات فاننا كنا ننتظر من الاحزاب أن تقدر مصلحة الوطن العليا فتقلع عن أساليب السياسة المخربة التى أودت بكيان البلاد وفرقت وحدتها ، ومزقت شملها لمصلحة نفــر قليل من محترفى السياسة وأدعياء الوطنية ، ولكن على العكس من ذلك اتضح لنا ان الشهوات الشخصية والمصالح الحزبية التى افسدت أهداف ثورة سنة ١٩١٩ تريد أن تسعى سعيها ثانية بالتفرقة فى هذا الوقت الخطير من تاريخ الوطن »

واذن فان الثورة حينما قامت سنة ١٩٥٢ لم تطمئن ، ولم تثق كما اطمأنت الثورات السابقة ، كما اطمأنت ثورة ١٩١٩، وكما اطمأنت ثورة عرابى وكما اطمأنت ثورة الشعب ضد الوالى التركى ، وكما اطمأنت ثورة الشعب ضد ابراهيم بك ومراد بك أيام المماليك ، ولكنها أخذت من الماضى عظة وعبرة ، وتسلحت حتى تقضى على جميع الاســباب التى يمكن أن تسير بهذه الثورة الى الانحراف

ولهذا أعلنت فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تهدم فيها الفساد وتهدم فيها الاستغلال ، وتهدم فيها الاستبداد ، وتهدم فيها الاستعباد

واليوم يا أخــوانى انتهت هــذه الفترة ، انتهت فترة الانتقال ، وحقق الوطن ما حقق ، وحقق الشعب ما حقق، لقد انتصر الشعب فى هذه السنوات الثلاث ، انتصر على الرجعية ، وانتصر على الاقطاع ، وانتصر على الاستعمار ، وانتصر على الاستعباد ، وانتصر على الاستغلال

مجتمع وطني سليم

وسارت الثورة أيها المواطنون فى طريقها فى هذه السنوات الثلاث لتحقق لهذا الوطن أساسا متينا نظيفا ، لقد تخلص الوطن من الرجعية ، وتخلص من الاستعمار ، وتخلص من أعوان الاستعمار ، ســارت الثورة وهى ترسم مبــادىء

الانسانية ، سارت الثورة نحو هدف كبير ، نحو هدف عظيم ، سارت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم ، تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية لا مكان فيه لسادة ، ولا مكان لعبيد ، كلنا أحرار فى هذا الوطن ، كلنا نشعر بالحرية ، كلنا نشعر بالمساواة

سارت الثورة وهى لا تثق ولا تطمئن ، لا تثق فى الوثائق ولا تطمئن للعهود فقد خدعنا كثيرا فى الماضى ، ولا بد ان نأخذ من ماضينا عبرة لمستقبلنا ، سارت الثورة لتحقق الاهداف التى أعلنتها فى اول يوم من أيامها ، وكانت هذه الاهداف أيها الاخوة المواطنون .. هذه الاهداف هى عبارة عن آمال هذا الشعب وعن أحلام هذا الشعب . أحلام من استشهدوا من أبناء هذا الشعب ، وآمال من كافحوا من أبناء هذا الشعب ، آمال آبائنا ، وآمال أجدادنا

قامت الثورة وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى قوى تسوده العدالة وترفرف عليه الرفاهية ، قامت الثورة وهى تعلن اهدافها حتى تحقق هذا الغرض ، واعلنت الثورة انها تهدف أول ما تهدف الى القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة

وسارت الثورة لتحارب الاستعمار ولكنها اصطدمت بأعوان الاستعمار . ولكنها تبينت انأعوان الاستعمار خطر على هذا البلد . وخطر على هذا الشعب . خطر بل أشد خطرا من الاستعمار . فان الاستعمار لا يمكن أن يثبت اقدامه الا مستندا الىأعوانه منأبناء هذا الوطن . فاتجهت الثورة الى أعوان الاستعمار لتقتلعهم من جذورهم . هؤلاء الاعوان اللذين باعوا بلدهم للشيطان لقاء دراهم معدودات

هؤلاء الاعوان الذين باعوا الشرف وباعوا الامانة . وباعوا الوطن . وباعوا أرض الوطن لقاء الجاه والسلطان والشهوات اتجهت الثورة نحو أعوان الاستعمار لتقضى عليهم وعلى نفوذهم . ولتعرف الشعب بهم . وحينما قضت عليهم

استطاعت أن تقضي على الاستعمار . فقد ترنح الاستعمار ولم يجد بين أراضى هذا الوطن وبين أركان هذا الوطن من يسنده ، فاستسلم الاستعمار

التخلص نهائيا من الاستعمار

واليوم يا اخوانى .. بعد ثلاث سنوات نحس جميعا ؛ ونشعر جميعا ، اننا يمكن أن نطمئن وقد قضينا على أعوان الاستعمار . وقد تخلصنا نهائيا بعون الله من الاستعمار

واليوم أيها المواطنون ونحن نبدأ مرحلة جديدة من تاريخ وطننا ، لن ننسى الماضى أبدا بل سنأخذ من الماضى عظة وعبرة

سنتسلح بالماضي ، سنتسلح بتاريخ الماضى . لن نخدع مرة اخرى . لن نخدع ولن نضلل مرة اخرى . ولكنا سنحمى ما حققناه . وسنحمى حريتنا . سنتكاتف جميعا . سيتكاتف جميع أبناء هذا الوطن من أجل حراسة ما حققناه ، لن يخدعنا الاستعمار . ولن يكون هناك أبدا أعوان الاستعمار . لان الشعب أيها المواطنون قد تولى امره بيده . لان الشعب أيها المواطنون قد تولى سلطانه بيده لان الشعب أيها المواطنون أصبح اليوم هو الذى يمثل السلطة وهو الذى يمثل السلطان

القضاء على الاقطاع

واتجهنا بعد هذا أيها المواطنون لنحقق الهدف الثانى وهو القضاء على الاقطاع الذى تحكم فينا ، والذى تحكم فى أراضينا، والذى تحكم فى حريتنا، ولم يكن هدفنا من القضاء على الاقطاع أن نملك الناس ، وان نملك الفلاحين ، فان أرض مصر لا يمكن أن تملك جميع أبنائها ولكننا كنا نهدف الى الحرية والى التحرير . حرية النفس وحرية الفرد . اذ لا حرية فى بلد اذا لم يكن ابناؤه احرارا . ولا يمكن أن

نشعر بالحرية اذا كان أفراد هذا الوطن يشعرون بالذل . ويشعرون بالأستعباد

اتجهنا الى القضاء على الاقطاع واستطعنا بعد معركة طويلة شاقة أن نقضى على الاقطاع واستطاع أبناء هذا الوطن .. جميع أبنائه ، جميع الافراد أن يشعروا بأنهم احرارا . ليسوا ملكا لاحد . ليسوا ملكا لصاحب الارض . ليسوا ملكا لصاحب جاه . لن يهددوا فى عيشهم

اننا بهذا يا أخوانى نخلق مجتمعا تسوده الحرية الحقيقية لا الحرية الزائفة . الحرية التى يشعر بها العامل فى أرضه والعامل فى مصنعه والموظف فى عمله

الحرية الحقيقية

هذه هى الحرية . ولا يمكن ان نقول أن هناك حرية وأن هناك برلمانا ، وأن هناك دستورا ، اذا كان الفرد مهددا فى رزقه واذا كان الفرد مهددا فى عيشه . واذا كان الفرد مهددا فى يومه . واذا كان الفرد مهددا فى غده

لا يمكن ان نقول هذا يا اخوانى . لقد كنا نشعر بهذا . وكان آباؤنا يشعرون أيضا بهذا ، وكافحوا لكى يتخلصوا منه

وحينما قضينا على الاقطاع شعرنا جميعا بان هناك روحا جديدة من الحرية ترفرف فوق هذا الوطن . شعر بهذا الفلاح فى أرضه ، والعامل فى مصنعه ، والموظف فى عمله . شعرنا جميعا بالحرية الحقيقية التى تولدت من القضاء على الاقطاع

القضاء على الاحتكار

ثم اتجهنا الى القضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم

هذه هى أهدافنا التى كنا نشعر بها فى الماضى . وهذه

هي أهدافنا التي تنبثق من آمالنا في الماضي . وهـذه هي أهدافنا التي تنبثق من أحلامنا في الماضي ، أحلام من كافحوا منا . وأحلام من استشـهدوا من أبناء هذا الوطن . فاتجهنا الى الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم . لقد سيطر راس المال على الحكم . فاستشرى الفساد وانتشر . فاستطاع راس المال أن يشتري الحكام . ويشتري الوزراء ويشتري العهود جميعا . ولم يكن الوزراء والحكام الا موظفين عنـد راس المال

تحرير الحكم من السيطرة

فاتجهنا للقضاء على هذه السيطرة وقلنا لراس المـال انك حر في هذا الوطن على الا تشتري الحكام . انك حر في هذا الوطن على الا تسيطر على الحكم

استطعنا يا أخواني في خلال هذه السنوات الثلاث أن نقضي على الاحتكار . وأن نقضي على سيطرة راس المال على الحكم . وأن نقيم حكما نظيفا ينبثق من ضمير هذا الشعب وينبثق من نفسية هذا الشعب . وينبثق من آمال هـذا الشعب

كانت هذه أهداف ثورة ٢٣ يوليو . لم نطمئن ولم نثق ولم ننخدع كما انخدعنا في الماضي

واليوم يا أخواني وأنا اتحدث اليكم بعد مرور السنوات الثلاث . وبعد انتهاء فترة الانتقال . أقول لكم وأقول معكم اننا سنكافح دائما من أجل حقنا في الحرية . وسنكافح دائما من أجل حقنا في الحياة

ارساء مبادىء العدالة الاجتماعية

ولقد استمرت الثـورة في تحقيق أهدافها الكبرى التي قامت من أجلها . وأعلنت الثورة أنها سـتعمل على اقامة عدالة اجتماعية . ولكي يمكن أن تقيم عدالة اجتماعية في

ارض هذا الوطن لا بد ان نعمل ولا بد ان ننشىء ، ولا بد أن نشيد ، ولا بد أن نبنى ، ولا بد ان نقيم مصانع ، ولا بد ان نقيم الاعمال الكبرى لتكون هناك فعلا عدالة اجتماعية

واتجه الوطن جميعا وابناء الوطن جميعا الى العمل ، كل مطمئن الى نفسه ، وكل مطمئن الى وقته ، وكل مطمئن الى وطنه . لا رشوة ولا فساد . ولكنا نعمل جميعا . نعمل من أجل زيادة الانتاج حتى يمكن أن نقيم عدالة اجتماعية . فلا يمكن ان نقيم عدالة اجتماعية بالكسل . ولا يمكن أن نقيم عدالة اجتماعية بالتراخى . ولكننا يمكن ان نقيم عدالة اجتماعية بالعمل وحده والجد . فاستطعنا يا اخوانى فى هذه السنوات الثلاث ان نرسى فقط مبادىء العدالة الاجتماعية. فأن أمامنا شوطا طويلا ، وان أمامنا عملا شاقا كبيرا

جيش وطنى قوى

واعلنت الثورة أيضا ، انها ستعمل على اقامة جيش وطنى قوى . وأوفت الثورة يا اخوانى بوعدها واصبح الجيش .. هذا الجيش الذى كنت بين افراده والذى كنت بين صفوفه . فكنت أشعر انه ليس جيش الوطن . ولكنه كان دائما على الوطن . وكنت اتمنى اليوم الذى ارى فيه هذا الجيش للوطن وللشعب وأنا سعيد اليوم يا اخوانى وأنا بينكم . وأنا سعيد حينما اشعر ان هذا الجيش اصبح جيشا وطنيا قويا لكم انتم ولابنائكم لا للرجعيين ولا للمستبدين ولا للمخادعين

هذا الجيش الذى قام فى ٢٣ يوليو يحمل الرسالة ويؤدى الامانة ويشعر ان عليه واجبا كبيرا . واجبا عظيما من أجل اخوانه فى هذا الوطن . من أجل اخوانه فى مصر . هذا الجيش الذى قام يوم ٢٣ يوليو ليعبر عن آمالكم ويعبر عن آلامكم ، هذا الجيش الذى كان الحكام يعتقدون انه اداة طيعة

فى أيديهم ضدكم انتم وضد آمالكم وضد حقكم فى الحرية وضد حقكم فى الحياة

هذا الجيش قام فى ٢٣ يوليو ليغتصب للشعب حقه فى الحرية وحقه فى الحياة

وبهذا أيها المواطنون فانا سعيد اليوم . واننى اشعر بالاطمئنان حينما أقول لكم أن لكم اليوم جيشا وطنيا قويا يحمى حقكم فى الحرية ويحمى حقكم فى الحياة

الجيش يعود الى واجبه الرئيسى

لقدقام هذا الجيش أيها المواطنون بجميع ضباطه وجميع جنوده . بجميع أفراده فى ٢٣ يوليو ليغتصب هذا الحق ويغتصب حقنا فىالحرية . ويكتسب حقنا فى الحياة . ولكنه بعد هذا آثر من كل نفسه وآثر من ضميره ، وآثر من قلبه أن يعود الى عمله الاصلى . أن يعود الى واجبه الرئيسى وهو الدفاع عن هذا الوطن . وعن أبناء هذا الوطن

أن جيشكم الوطنى القوى أيها المواطنون يوجد الآن على الحدود وهم يستمعون الينا ، وأشعر انهم يشعرون بالسعادة ، ويشعرون بالعزة لانهم يستمعون الى .. يشعر الجيش الآن بالسعادة وهو يرى أن الاهداف التى قام من أجلها فى ٢٣ يوليو قد تحققت

هذا الجيش الذى قام ليكتسب لنا حقنا فى الحرية وليعيد لنا حقنا فى الحياة . يقف الآن على حدودنا ليدافع عنا . وليدافع أيضا عن حقنا فى الحرية . وليدافع أيضا عن حقنا فى الحياة ضد العدوان الخارجى . ضد العدوان الصهيونى

هذا الجيش الوطنى القوى كان هدفا من أهدافنا فى ٢٣ يوليو وكان هدفا من اهدافنا قبل ٢٣ يوليو

حياة ديمقراطية سليمة

واتجهنا بعد هذا أيها المواطنون لنحقق هدفا آخر وهو

اقامة حياة ديمقراطية سليمة فقد كنا نؤمن بها

وقد أعلنت الثورة كما قلت لكم فى أول بيان لها أنهـا تهدف الى اقامة حياة ديمقراطية ، حياة ديمقراطية سليمة وليست كديمقراطية ابراهيم بك ومراد بك ، وليست كديمقراطية محمد على

ولكنها حياة ديمقراطيـة تستمد ارادتها من ارادتكم وتستمد وجودها من وجودكم

حياة ديمقراطية لا تحكم فيها الاقلية باسم الاغلبية ، ولا تحكم فيها الاقلية لتخدع الاغلبية ولا يتحكم فيها الاستغلال ولا يتحكم فيها الاستبداد

كافحنا وعملنا من أجل اقامة هذه الحياة الديمقراطية ، فقابلتنا صعاب كبرى ، وقابلتنا مشاكل عظمى فجابهناها .. جابهناها بقوة ، وجابهناها بعزم ، لاننا كنا نؤمن بحقنا فى الحرية ، وكنا نستلهم من الماضى عظـة وعبرة وقلنا لن نخدع أبدا ولن نثق ولن ننخدع أبدا بالوثائق والعهـود ، ولن ننخدع بهذا كله كما انخدعنا فى الماضى

واستطعنا فى هذه السـنين الثلاث أن نهـدم كل آثار الرجعية تقريبا ، وأن نهدم كل آثار الاستعمار

واليوم يا أخوانى ونحن نجتمع فى هـذا المكان احتفالا بانتهاء فترة الانتقال واعلان الدستور الجديد نشـعر اننا حققنا مرحلة كبيرة من مراحل الكفاح فى سبيل اقامة الحياة الدمقراطية السليمة

عضويتنا فى الكيان العربى

اننا اذا أخذنا من التاريخ عبرة نشعر أن موقع بلادنا كان دائما سببا رئيسيا وعاملا أساسيا من عوامل العدوان الخارجى ، اننا نشعر بأهمية موقعنا ، واننا نشعر بخطورة موقعنا ، اننا نشعر بأهمية المكان الذى خلقنا فيه فى ملتقى البحار والقارات ، ولهذا فاننا حينما نتجـه الى المـاضى

وحينما نتجه الى دروس الماضى ، نجد أننا يجب أن نتقوى ويجب أن يكون لنا من قوتنا ما يحمينا ضد العدوان الخارجى ، كما يجب أن يكون لنا من عزيمتنا ما يحمينا ضد الاستبداد وضد الاستغلال الداخلى

ولهذا يا أخوانى فاننا نشعر أيضا اننا عضو فى الكيان العربى الكبير ، ان هذا الشعب يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ، ويشعر أيضا أن ما يحيق بأى بلد عربى لا بد أن يؤثر علينا

لقد ارادوا فى الماضى ان يفرقونا ، وارادوا فى الماضى أن يقطعوا أوصالنا ، وأرادوا فى الماضى ان يدسوا بيننا قوميات أخرى ، ولكنا اليوم قد تنبهنا ، ولكنا اليوم سنأخذ من الماضى عظة وعبرة

لقد انتهت الحرب العالمية الاولى ، فماذا كانت النتيجة ؟ لقد قسم العرب وقطعت أوصالهم ووزعوا كغنائم وأسلاب . ولكن العرب كافحوا وكانوا يتفاعلون فى كفاحهم ، وكانت مصر تتفاعل مع العروبة جميعا من أجل تحقيق الحرية بين ربوع العالم العربى جميعا

لن نخدع بعد اليوم ابدا

ولهذا يا أخوانى فنحن اليوم حينما نعلن أننا نتفاعل مع الشعوب العربية ، ونعلن أننا جزء من الكيان العربى . نعلن هذا من أجل مصلحتنا . ومن أجل مصلحة العالم العربى كله

لقد حاولوا أن يخدعونا ، وحاولوا أن يضللونا ، وكانوا يقولون لنا : ما لكم والعرب ؟ ولكنا اليوم وقد تنبهنا ، لن نخدع أبدا

أن الكيان العربى يمتد من المحيط الاطلسى الى الخليج الفارسى . كلنا شعب واحد . شعب عربى واحد . نكافح جميعا متحدين متكاتفين من اجل حقنا فى الحرية . ومن

اجل حقنا فى الحياة ، نكافح جميعا ضد الاستعمار وضد اعوان الاستعمار ، لن تقطع اوصالنا مرة اخرى، كما قطعت بعد الحرب العالمية الاولى

وبعد الحرب الثانية أيها الاخوان ماذا تم وماذا حدث ؟ لقد اغتصبت قطعة من قلب العروبة ، من قلب بلادنا لأننا خدعنا ولأننا تفرقنا

واليوم أيها المواطنون نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ، ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا حتى لا يتكرر ما مضى وحتى لا يتكرر ما فات ، لقد ضاعت قطعة من ارضنا . لقد محيت قومية العروبة من فلسطين ، لاننا انخدعنا ولاننا تبعنا الاستعمار وتبعنا أعوان الاستعمار وكانوا يقولون هنا فى مصر ما لكم وللعرب . وكانوا يقولون للبلاد الاخرى ما لكم ولمصر

تكاتف مصر والعرب

ولكننا اليوم وبعد أن تنبهنا ، وبعد أن انتصرنا فى ثورتنا التى انبثقت من شعورنا، نعلن اننا نتكاتف مع العرب جميعا من المحيط الاطلسى الى الخليج الفارسى من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ومن أجل الحق فى الحياة

وهذا يا اخوانى هدف رئيسى من أهدافنا يمليه علينا مكاننا . هذا المكان الذى كان دائما سببا لتهديدنا والذى كان دائما سببا لغزونا ، والذى كان دائما سببا للعدوان الخارجى علينا

نعلن هذا ونعلن اننا نتضامن جميعا من أجل الدفاع عن حريتنا ونتضامن جميعا من اجل الدفاع عن استقلالنا ، ونتضامن جميعا من أجل الدفاع عن حقنا فى الحياة

دستور اليوم بداية الكفاح

اليوم ، ونحن نعلن هذا الدستور ، نحن الشعب ، شعب

مصر . أحب أن أقول لكم أن الدستور كان يعتبر فى الماضى خاتمة للكفاح فماذا كانت النتيجة ؟ كانت وبالا على الشعب كانت النتيجة خداعا للشعب وتضليلا للشعب . وكانت استبدادا وتحكما واستعبادا واستغلالا ، وسيطرة وانتهازا للفرص من فئة قليلة من الناس . ولكنا اليوم نعلن ان الدستور الذى يعلن اليوم هو بداية الكفاح . ولم تكن فترة الانتقال فى السنين الثلاث الماضية الا تمهيدا لهذا الكفاح ، لم تكن فترة الانتقال فى السنين الثلاث الماضية الا حربا مع الرجعية وحربا مع المستغلين ، وحربا مع المريدين للسلطة والجاه والسلطان

الثورة الحقيقية تبدأ اليوم

كانت فترة السنين الثلاث الماضية فترة هدم وفترة تصفية للرجعية والاستعمار ولاعوان الاستعمار ، ولكنا اليوم نعلن أن هذا الدستور هو بداية الكفاح من أجل العمل والبناء .

ان الدستور لم يكن هدفنا ولكن الدستور يرسم الطريق الى غرضنا الاكبر

أن الدستور هو تعبئة كاملة لابناء هذا الشعب . ان الدستور الذى نعلنه اليوم ليس وثيقة تنسى ولا وثيقة للخداع ولا وثيقة للتضليل لاننا نعلنه نحن الشعب، لا يعلنه فرد من الافراد ولا سلطان ولا صاحب

ان الدستور الذى نعلنه اليوم يبين خطة الكفاح لا نهاية الكفاح . ان الدستور الذى نعلنه اليوم يبين وسيلة الكفاح ويرسم وسيلة الكفاح

ان الثورة الحقيقية تبدأ اليوم . ثورة من أجل العمل ، ثورة من أجل البناء ، ثورة يمارسها الشعب، ثورة يحرسها الشعب . تحرسونها انتم جميعا ويحرسها أولادكم من بعدكم ويحرسها أحفادكم

الشعب مجلس الثورة الأكبر

ان الدستور الذى نعلنه اليوم يجمع الوطن جميعا ، كلنا سنكون مجلس الثورة الاكبر . كلنا سنكون مجلس الثورة الاعلى ، كل هذا الشعب كل أبناء هـذا الشعب . سيكونون مجلس الثورة

هذا الدستور أيها المواطنون هو دستور الشعب الذى سيحرسه الشعب وسيمارسه الشعب

هذا الدستور أيها المواطنون يمثل الثورة الحقيقة ، ثورة الانشاء . ثورة البناء . ثورة التعمير ، لانه دستور الشعب

اليوم ايها المواطنون تعلو سـيادة الشعب . لا سيادة الأمراء . ولا سيادة الحكام ، اليـوم ايها المواطنون تنتصر سياسة الشعب ، اليوم أيها الموطنون تتحقق احلام الآباء والإجداد . اليوم أيها المواطنون تعلو سيادة الشعب . هذا الشعب الذى سيباشر هذه السـيادة لا ليلهو كما كان يلهو الحكام ، ولا ليلعب كما كان يلعب الحكام . ولا ليقامر كما كان يستبد الحكام ولا ليستبد كما كان يستبد الحكام ، ولكن لتعلو سيادة الشعب ليسير قدما الي الامام متحررا من الذل . متحررا من الخوف . ترتفع بين ارجائه أعلام الحرية واعلام العزة وأعلام العدالة . وأعـلام الكرامة . وأعلام المساواة

اليوم ايها المواطنون ترتفع سيادة الشعب ليحكم الشعب بأمر الله وبروح الله . ليعمل الشعب وليبني وينشيء ويعمر من أجل تحقيق الهدف الاكبر . وهو اقامة عدالة اجتماعية وبناء مجتمع تسود فيه الرفاهية والمسـاواة بين الناس وفقكم الله جميعا الى ما فيه الخير

والسلام عليكم ورحمة الله

دستور الشعب

مقدمة

نحن الشعب المصرى :

الذى انتزع حقه فى الحرية والمساواة بعد معركة متصلة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل

نحن الشعب المصرى :

الذى تولى أمره بنفسه وامسك زمام شأنه بيده، غداة النصر العظيم الذى حققه بثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ وتوج به كفاحه على مدى التاريخ

نحن الشعب المصرى :

الذى استلهم العظة من ماضيه واستمد العزم من حاضرة فرسم معالم الطريق الى مستقبل :

متحرر من الخوف

متحرر من الحاجة

متحرر من الذل

يبنى فيه بعمله الايجابى، وبكل طاقته وامكانياته، مجتمعا تسوده الرفاهية ويتم له فى ظلاله :

* القضاء على الاستعمار واعوانه

* القضاء على الاقطاع
* القضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم
* اقامة جيش وطني قوى
* اقامة عدالة اجتماعية
* اقامة حياة ديمقراطية سليمة

نحن الشعب المصرى :
الذى يؤمن بأن :
لكل فرد حقا فى يومه !
ولكل فرد حقا فى غده !
ولكل فرد حقا فى عقيدته !
ولكل فرد حقا فى فكرته !
حقوقا لا سلطان عليها ابدا لغير العقل والضمير

نحن الشعب المصرى :
الذى يقدس الكرامة والعدالة والمساواة باعتبارها جذورا أصيلة للحرية والسلام

نحن الشعب المصرى :
الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ويقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك، لعزة الامة العربية ومجدها

نحن الشعب المصرى :
الذى يعرف مكانه على ملتقى القارات والبحار من هذا العالم ، ويقدر تبعات رسالته التاريخية فى بناء الحضارة . ويؤمن بالانسانية كلها ، ويوقن ان الرخاء لا يتجزأ ، وان السلام لا يتجزأ !

نحن الشعب المصرى :
بحق هذا كله . . ومن اجل هذا كله . .

نرسى هذه القواعد والاسس دستورا ينظم جهادنا ويصونه ، ونعلن اليوم هذا الدستور ، تنبثق أحكامه من صميم كفاحنا ، ومن خلاصة تجاربنا ، ومن المعانى المقدسة التى هتفت بها جموعنا ، ومن القيم الخالدة التى سقط دفاعا عنها شهداؤنا ، ومن أحلام المعارك التى خاضها آباؤنا وأجدادنا جيلا بعد جيل ..

من حلاوة النصر ، ومن مرارة الهزيمة

نحن الشعب المصرى :

وبعون الله وتوفيقه وهداه ،

نملى هذا الدستور ونقرزه ونعلنه ، مشيئتنا وارادتنا وعزمنا الاكيد ، ونكفل له القوة والمهابة والاحترام



الباب الاول
الدولة المصرية

مادة ١ ـ مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة ، وهي جمهورية ديمقراطية ، والشعب المصري جزء من الامة العربية
مادة ٢ ـ السيادة للامة ، وتكون ممارستها على الوجه المبين في هذا الدستور
مادة ٣ ـ الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية

الباب الثاني
المقومات الأساسية للمجتمع المصري

مادة ٤ ـ التضامن الاجتماعي اساس للمجتمع المصري
مادة ٥ ـ الاسرة اساس المجتمع ، قوامها الدين والاخلاق والوطنية
مادة ٦ ـ تكفل الدولة الحرية والامن والطمانينة وتكافؤ الفرص لجميع المصريين
مادة ٧ ـ ينظم الاقتصاد القومي وفقا لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف الى تنمية الانتاج ورفع مستوى المعيشة
مادة ٨ ـ النشاط الاقتصادي الخاص حر ، على الا يضر بمصلحة المجتمع او يخل بامن الناس او يعتدى على حريتهم او كرامتهم
مادة ٩ ـ يستخدم راس المال في خدمة الاقتصاد القومي ، ولا يجوز ان يتعارض في طرق استخدامه مع الخير العام للشعب
مادة ١٠ ـ يكفل القانون التوافق بين النشاط الاقتصادي العام والنشاط الاقتصادي الخاص تحقيقا للاهداف الاجتماعية ورخاء الشعب
مادة ١١ ـ الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون اداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون
مادة ١٢ ـ يعين القانون الحد الاقصى للملكية الزراعية بما لا يسمح بقيام الاقطاع ، ولا يجوز لغير المصريين تملك الاراضي الزراعية الا في الاحوال التي يبينها القانون
مادة ١٣ ـ يحدد القانون وسائل حماية الملكية الزراعية الصغيرة

مادة ١٤ ـ ينظم القانون العلاقة بين ملاك العقارات ومستاجريها
مادة ١٥ ـ تشجع الدولة الادخار ، وتشرف على تنظيم الائتمان ، وتيسر استغلال الادخار الشعبي
مادة ١٦ ـ تشجع الدولة التعاون ، وترعى المنشئات التعاونية بمختلف صورها ، وينظم القانون الاحكام الخاصة بالجمعيات التعاونية
مادة ١٧ ـ تعمل الدولة على ان تيسر للمواطنين جميعا مستوى لائقا من المعيشة اساسه تهيئة الغذاء والمسكن والخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية
مادة ١٨ ـ تكفل الدولة وفقا للقانون دعم الاسرة وحماية الامومة والطفولة
مادة ١٩ ـ تيسر الدولة للمراة التوفيق بين عملها فى المجتمع وواجباتها فى الاسرة
مادة ٢٠ ـ تحمى الدولة النشء من الاستغلال وتقيه الاهمال الادبى والجسمانى والروحى
مادة ٢١ ـ للمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشيخوخة وفى حالة المرض او العجز عن العمل • وتكفل الدولة خدمات التامين الاجتماعى والمعونة الاجتماعية والصحة العامة وتوسعها تدريجيا
مادة ٢٢ ـ العدالة الاجتماعية اساس الضرائب والتكاليف العامة
مادة ٢٣ ـ المصريون متضامنون فى تحمل الاعباء الناتجة عن الكوارث والمحن العامة
مادة ٢٤ ـ تكفل الدولة ، وفقا للقانون، تعويض المصابين باضرار الحرب
مادة ٢٥ ـ تكفل الدولة ، وفقا للقانون ، تعويض المصابين بسبب تادية واجباتهم العسكرية
مادة ٢٦ ـ الثروات الطبيعية ، سـواء فى باطن الارض او فى المياه الاقليمية ، وجميع مواردها وقواها ملك للدولة ، وهى التى تكفل حسن استغلالها مع مراعاة مقتضيات الدفاع الوطنى والاقتصاد القومى
مادة ٢٧ ـ للاموال العامة حرمة ، وحمايتها واجب على كل مواطن
مادة ٢٨ ـ الوظائف العامة تكليف للقائمين بها • ويستهدف موظفو الدولة فى ادائهم اعمال وظائفهم خدمة الشعب
مادة ٢٩ ـ انشاء الرتب المدنية محظور

الباب الثالث

الحقوق والواجبات العامة

مادة ٣٠ ـ الجنسية المصرية يحددها القانون • ولا يجوز اسقاطها عن مصرى ولا الاذن فى تغييرها او سحبها ممن اكتسبها الا فى حدود القانون
مادة ٣١ ـ المصريون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة

مادة ٣٢ ـ لا جريمة ولا عقوبة الا بناء على قانون ، ولا عقاب الا على الافعال اللاحقة لصدور القانون الذى ينص عليها
مادة ٣٣ ـ العقوبة شخصية
مادة ٣٤ ـ لا يجوز القبض على احد او حبسه الا وفق احكام القانون
مادة ٣٥ ـ حق الدفاع اصالة او بالوكالة يكفله القانون
مادة ٣٦ ـ كل متهم فى جناية يجب ان يكون له من يدافع عنه
مادة ٣٧ ـ يحظر ايذاء المتهم جسمانيا او معنويا
مادة ٣٨ ـ لايجوز ابعاد مصرى عن الاراضى المصرية او منعه من العودة اليها
مادة ٣٩ ـ لايجوز ان تحظر على مصرى الاقامة فى جهة ، ولا ان يلزم الاقامة فى مكان معين ، الا فى الاحوال المبينة فى القانون
مادة ٤٠ ـ تسليم اللاجئين السياسيين محظور
مادة ٤١ ـ للمنازل حرمة ، فلا يجوز مراقبتها ولا دخولها الا فى الاحوال المبينة فى القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه
مادة ٤٢ ـ حرية المراسلة وسريتها مكفولتان فى حدود القانون
مادة ٤٣ ـ حرية الاعتقاد مطلقة • وتحمى الدولة حرية القيام بشعائر الاديان والعقائد طبقا للعادات المرعية فى مصر ، على الا يخل ذلك بالنظام العام او ينافى الآداب
مادة ٤٤ ـ حرية الرأى والبحث العلمى مكفولة • ولكل انسان حق التعبير عن رأيه ونشره بالقول او بالكتابة او بالتصوير او غير ذلك فى حدود القانون
مادة ٤٥ ـ حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة وفقا لمصالح الشعب وفى حدود القانون
مادة ٤٦ ـ للمصريين حق الاجتماع فى هدوء غير حاملين سلاحا ودون حاجة الى اخطار سابق ، ولا يجوز للبوليس ان يحضر اجتماعاتهم • والاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات مباحة فى حدود القانون • على ان تكون اغراض الاجتماع ووسائله سليمة ولا تنافى الآداب
مادة ٤٧ ـ للمصريين حق تكوين الجمعيات على الوجه المبين فى القانون
مادة ٤٨ ـ التعليم حر فى حدود القانون والنظام العام والآداب
مادة ٤٩ ـ التعليم حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف انواع المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها تدريجيا • وتهتم الدولة خاصة بنمو الشباب البدنى والعقلى والخلقى
مادة ٥٠ ـ تشرف الدولة على التعليم العام ، وينظم القانون شئونه • وهو فى مراحله المختلفة بمدارس الدولة بالمجان فى الحدود التى ينظمها القانون
مادة ٥١ ـ التعليم فى مرحلته الاولى اجبارى وبالمجان فى مدارس الدولة
مادة ٥٢ ـ للمصريين حق العمل ، وتعنى الدولة بتوفيره
مادة ٥٣ ـ تكفل الدولة للمصريين معاملة عادلة بحسب ما يؤدونه من اعمال وبتحديد ساعات العمل وتقدير الاجور والتامين ضد الاخطار وتنظيم حق الراحة والاجازات

مادة ٥٤ - ينظم القانون العلاقات بين العمال وأصحاب الاعمال على أسس اقتصادية مع مراعاة قواعد العدالة الاجتماعية

مادة ٥٥ - انشاء النقابات حق مكفول ، وللنقابات شخصية اعتبارية وذلك على الوجه المبين فى القانون

مادة ٥٦ - الرعاية الصحية حق للمصريين جميعا ، تكفله الدولة بانشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها تدريجيا

مادة ٥٧ - المصادرة العامة للاموال محظورة ، ولا تكون عقوبة المصادرة الخاصة الا بحكم قضائى

مادة ٥٨ - الدفاع عن الوطن واجب مقدس واداء الخدمة العسكرية شرف للمصريين والتجنيد اجبارى وفقا للقانون

مادة ٥٩ - أداء الضرائب والتكاليف العامة واجب وفقا للقانون . وينظم القانون اعفاء الدخول الصغيرة من الضرائب بما يكفل عدم المساس بالحد الادنى اللازم للمعيشة

مادة ٦٠ - مراعاة النظام العام واحترام الآداب الاجتماعية العامة واجب على المصريين

مادة ٦١ - الانتخـــاب حق للمصريين على الوجه المبين فى القانون . ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم

مادة ٦٢ - للمصريين مخاطبة السلطات العامة كتابة وبتوقيعهم ، ولا تكون مخاطبة السلطات باسم الجماعات الا للهيئات النظامية والاشخاص الاعتبارية

مادة ٦٣ - للمصريين حق تقديم شكاوى الى جميع هيئات الدولة عن مخالفة الموظفين العموميين للقانون أو اهمالهم واجبات وظائفهم

الباب الرابع

السلطات

الفصل الاول

رئيس الدولة

مادة ٦٤ - رئيس الدولة هو رئيس الجمهورية ويباشر اختصاصاته على الوجه المبين فى هذا الدستور

الفصل الثانى

السلطة التشريعية

مادة ٦٥ - مجلس الامة هو الهيئة التى تمارس السلطة التشريعية

مادة ٦٦ - يتولى مجلس الامة مراقبة اعمال السلطة التنفيذية على الوجه المبين فى هذا الدستور

مادة ٦٧ ـ يتالف مجلس الامة من اعضاء يختارون بطريق الانتخاب السري العام • ويحدد القانون عدد الاعضاء وشروط العضوية ويقرر طريقة الانتخاب واحكامه

مادة ٦٨ ـ يجب الا تقل سن عضو مجلس الامة يوم الانتخاب عن ثلاثين سنة ميلادية

مادة ٦٩ ـ مدة مجلس الامة خمس سنوات من تاريخ أول اجتماع له• ويجرى الانتخاب لتجديد المجلس خلال الستين يوما السابقة لانتهاء مدته

مادة ٧٠ ـ اذا خلا مكان احد الاعضاء قبل انتهاء مدته انتخب خلف له بالطريقة المنصوص عليها في الدستور في مدى ستين يوما من تاريخ ابلاغ مجلس الامة بخلو المكان • ولا تدوم مدة العضو الجديد الا الى نهاية مدةسلفه

مادة ٧١ ـ في الحالات التي يتعذر معها اجراء الانتخابات في الميعاد المقرر لظروف استثنائية تمد بقانون مدة مجلس الامة الى حين انتخاب المجلس الجديد

مادة ٧٢ ـ يدعو رئيس الجمهورية مجلس الامة للانعقاد ويفض دورته

مادة ٧٣ ـ مقر مجلس الامة مدينة القـــاهرة • ويجوز في الظروف الاستثنائية دعوته للانعقاد في جهة اخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية • واجتماعه في غير المكان المعين له غير مشروع والقرارات التي تصدر فيه باطلة بحكم القانون

مادة ٧٤ ـ يدعى مجلس الامة للانعقاد للدور السنوى العادى قبـل الخميس الثاني من شهر نوفمبر • فاذا لم يدع يجتمع بحكم القانون فيالیوم المذكور • ويدوم دور الانعقاد العادى سبعة أشهر على الاقل ولا يجوز فضه قبل اعتماد الميزانية

مادة ٧٥ ـ لا يجوز أن يجتمع مجلس الامة ، دون دعوى ، في غير دور الانعقاد والا كان اجتماعه باطلا وبطلتبحكم القانون القرارات التيتصدر منه

مادة ٧٦ ـ يدعو رئيس الجمهورية مجلس الامة لاجتماع غير عادى ، وذلك في حالة الضرورة أو بناء على طلب بذلك موقع من أغلبية اعضاء مجلس الامة • ويعلن رئيس الجمهورية فض الاجتماع غير العادى

مادة ٧٧ ـ يلقي رئيسالجمهورية عند افتتاح دور الانعقاد العادى لمجلس الامة بيانا متضمنا السياسة العامة للحكومة والمشروعات التي ترى القيام بها ، كما يجوز ان يلقى بيانات اخرى عن المسائل العامة التي يرى ضرورة ابلاغ مجلس الامة بها

مادة ٧٨ ـ يقسم عضو مجلس الامة امام المجلس في جلسة علنية قبل ان يتولى عمله اليمين الآتية : « اقسم بالله العظيم ان احافظ مخلصا على النظام الجمهوري ، وان ارعى مصالح الشعب وسلامة الوطن ، وان احترم الدستور والقانون »

مادة ٧٩ ـ ينتخب مجلس الامة في أول اجتماع للدور السنوى العادى رئيسا ووكيلين ويتولون عملهم الى بدء الدور السنوى العادى التالى •واذا خلا مكان احدهم انتخب المجلس من يحل محله الى نهاية مدته

مادة ٨٠ ـ جلسات مجلس الامن علنية • ويجوز انعقاده في جلسـة

سرية بناء على طلب الحكومة او بناء على طلب رئيسه أو عشرة من اعضائه ، ثم يقرر المجلس ما اذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح امامه تجرى في جلسة علنية أو سرية

مادة ٨١ ـ لا يجوز لمجلس الامة ان يتخذ قرارا الا اذا حضر الجلسة اغلبية اعضائه • وفي غير الحالات التي تشترط فيها اغلبية خاصة تصدر القرارات بالاغلبية المطلقة للحاضرين • وعند تساوى الآراء يعتبر الموضوع الذى جرت المداولة في شأنه مرفوضا

مادة ٨٢ ـ يحال كل مشروع قانون الى احدى لجان المجلس لفحصه وتقديم تقرير عنه

مادة ٨٣ ـ يحال كل مشروع قانون يقترحه عضو او اكثر الى لجنة لفحصه وابداء الرأى في جواز نظر المجلس فيه • فاذا رأى المجلس نظره اتبع فيه حكم المادة السابقة

مادة ٨٤ ـ لايصدر قانون الا اذا قرره مجلس الامة • ولا يجوز تقرير مشروع قانون الا بعد اخذ الرأى فيه مادة مادة

مادة ٨٥ ـ كل مشروع قانون اقترحه احد الاعضاء ورفضه مجلس الامة لا يجوز تقديمه ثانية في دور الانعقاد ذاته

مادة ٨٦ ـ يضع مجلس الامة لائحته الداخلية لتنظيم كيفية ادائه لاعماله

مادة ٨٧ ـ لمجلس الامة وحده المحافظة على النظام في داخله ، ويقوم رئيس المجلس بذلك • ولا يجوز لاية قوة مسلحة الدخول في المجلس ولا الاستقرار على مقربة من أبوابه الا بطلب من رئيسه

مادة ٨٨ ـ يسمع الوزراء في مجلس الامة كلما طلبوا الكلام • ولهم أن يستعينوا بمن يرون من كبار الموظفين أو ينيبوهم عنهم • وللمجلس أن يحتم على الوزراء حضور جلساته • ولا يكون للوزير صوت معدود عند أخذ الرأى الا اذا كان من الاعضاء

مادة ٨٩ ـ يختص مجلس الامة بالفصل في صحة عضوية اعضائه • وتختص محكمة عليا ، يعينها القانون ، بالتحقيق في صحة الطعون المقدمة الى مجلس الامة وذلك بناء على احالة من رئيسه • وتعرض نتيجة التحقيق على المجلس للفصل في الطعن • ولا تعتبر العضوية باطلة الا بقرار يصدر بأغلبية ثلثى عدد اعضاء المجلس • ويجب الفصل في الطعن خلال ستين يوما من عرض نتيجة التحقيق على المجلس

مادة ٩٠ ـ لكل عضو من اعضـــاء مجلس الامة ان يوجه الى الوزراء اسئلة أو استجوابات وتجرى المناقشة في الاستجواب بعد سبعة ايام على الاقل من يوم تقديمه ، وذلك في غير حالة الاستعجال وموافقة الوزير

مادة ٩١ ـ يجوز لعشرة من اعضاء مجلس الامة ان يطلبوا طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه وتبادل الرأى فيه

مادة ٩٢ ـ لمجلس الامة ابداء رغبات او اقتراحات للحكومة في المسائل العامة ••

مادة ٩٣ ـ لا يجوز لاى عضو من اعضاء مجلس الامة ان يتدخل في الاعمال التى تكون من اختصاص اى من السلطتين التنفيذية او القضائية

مادة ٩٤ ـ انشاء الضرائب العامة او تعديلها او الغاؤها لا يكون الا بقانون • ولا يعفى احد من ادائها فى غير الاحوال المبينة فى القانون • ولا يجوز تكليف احد اداء غير ذلك من الضرائب او الرسوم الا فى حدود القانون

مادة ٩٥ ـ ينظم القانون القواعد الاساسية لجباية الاموال العامة واجراءات صرفها

مادة ٩٦ ـ لا يجوز للحكومة عقد قرض أو الارتباط بمشروع يترتب عليه انفاق مبالغ من خزانة الدولة فى سنة أو سنوات مقبلة الا بموافقة مجلس الامة

مادة ٩٧ ـ يعين القانون قواعد منح المرتبات والمعاشات والتعويضات والاعانات والمكافآت التى تقرر على خزانة الدولة ، وينظم حالات الاستثناء منها والسلطات التى تتولى تطبيقها

مادة ٩٨ ـ ينظم القانون القواعد والاجراءات الخاصة بمنح الالتزامات المتعلقة باستغلال موارد الثروة الطبيعية والمرافق العامة • كما يبين أحوال التصرف بالمجان فى العقارات المملوكة للدولة والنزول عن أموالها المنقولة والقواعد والاجراءات المنظمة لذلك

مادة ٩٩ ـ لا يجوز منح احتكار الا بقانون والى زمن محدد

مادة ١٠٠ ـ يعين القانون طريقة اعداد الميزانية وعرضها على مجلس الامة ، كما تحدد السنة المالية

مادة ١٠١ ـ يجب عرض مشروع الميزانية العامة للدولة على مجلس الامة قبل انتهاء السنة المالية بثلاثة اشهر على الاقل لبحثه واعتماده • وتقر الميزانية بابا بابا ولا يجوز لمجلس الامة اجراء اى تعديل فى المشروع الا بموافقة الحكومة

مادة ١٠٢ ـ اذا لم يتم اعتماد الميزانية الجديدة قبل بدء السنة المالية، عمل بالميزانية القديمة الى حين اعتمادها

مادة ١٠٣ ـ تجب موافقة مجلس الامة على نقل اى مبلغ من باب الى آخر من ابواب الميزانية وكذلك على كل مصروف غير وارد اليها أو زائد على تقديراتها

مادة ١٠٤ ـ يعتمد مجلس الامة الحساب الختامى لميزانية الدولة

مادة ١٠٥ ـ الميزانيات المستقلة والملحقة وحساباتها الختامية تجرى عليها الاحكام الخاصة بالميزانية العامة وحسابها الختامى

مادة ١٠٦ ـ ينظم القانون الاحكام الخاصة بميزانيات الهيئات العامة الاخرى وحساباتها الختامية

مادة ١٠٧ ـ لا يجوز فى أثناء دور انعقاد مجلس الامة وفى غير حالة التلبس بالجريمة ان تتخذ ضد اى عضو من اعضائه اية اجراءات جنائية الا باذن المجلس • وفى حالة اتخاذ اى من هذه الاجراءات فى غيبة المجلس يجب اخطاره بها

مادة ١٠٨ ـ لا يؤاخذ اعضاء مجلس الامة عما يبدونه من الافكار والاراء فى اداء اعمالهم فى المجلس او فى لجانه

مادة ١٠٩ ـ لايجوز اسقاط عضوية أحد من أعضاء مجلس الامــة الا بقرار من المجلس بأغلبية ثلثى اعضائه بناء على اقتراح عشرة من الاعضاء ، وذلك اذا فقد الثقة والاعتبار او اخل بواجبات وظيفته او قصر فى حضور جلسات مجلس الامة او لجانه

مادة ١١٠ ـ مجلس الامة هو الذى يقبل استقالة اعضائه

مادة ١١١ ـ لرئيس الجمهورية حق حل مجلس الامة ، فاذا حل المجلس فى امر فلا يجوز حل المجلس الجديد من أجل ذلك الامر

مادة ١١٢ ـ يجب أن يشتمل القرار الصادر بحل مجلس الامة على دعوة الناخبين لاجراء انتخابات جديدة فى ميعاد لا يجاوز ستين يوما وعلى تعيين ميعاد لاجتماع المجلس الجديد فى العشرة الايام التالية لتمام الانتخاب

مادة ١١٣ ـ اذا قرر مجلس الامة عدم الثقة بأحد الوزراء وجب عليه اعتزال الوزارة • ولا يجوز طلب عدم الثقة بالوزير الا بعد استجواب موجه اليه • ويكون الطلب بناء على اقتراح عشر أعضاء المجلس • ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره فى الطلب قبل ثلاثة ايام على الاقل من تقديمه • ويكون سحب الثقة من الوزير بأغلبية أعضاء المجلس

مادة ١١٤ ـ لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الامة وتولى الوظائف العامة • ويحدد القانون أحوال عدم الجمع الاخرى

مادة ١١٥ ـ لا يجوز لاى عضو من أعضاء مجلس الامة أن يعين فى مجلس ادارة شركة فى أثناء مدة عضويته الا فى الاحوال التى يحددها القانون

مادة ١١٦ ـ لا يمنح أعضاء مجلس الامة مدة عضــويتهم أوسمة أو أنواطا الا من كان منهم يشغل وظيفة عامة لا تتنافى مع عضوية مجلس الامة

مادة ١١٧ ـ لا يجوز لاى عضو من اعضاء مجلس الامة فى أثناء مدة عضويته أن يشترى أو يستأجر من اموال الدولة أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئا من امواله أو أن يقاضيها عليه

مادة ١١٨ ـ يتقاضى أعضاء مجلس الامة مكافاة يحددها القانون

الفصل الثالث
السلطة التنفيذية

مادة ١١٩ ـ يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية ويمارسها على الوجه المبين فى الدستور

الفرع الاول
رئيس الجمهورية

مادة ١٢٠ ـ يشترط فيمن ينتخب رئيسا للجمهورية أن يكون مصريا من أبوين وجدين مصريين وأن يكون متمتعا بحقوقه المدنية والسياسية والا تقل سنه عن خمس وثلاثين سنة ميلادية ، والا يكون منتميا الى الاسرة التى كانت تتولى الملك فى مصر

مادة ١٢١ ـ يرشح مجلس الامة بالاغلبية المطلقة لعدد اعضائه رئيس الجمهورية ويعرض الترشيح على المواطنين لاستفتائهم فيه • ويعتبر المرشح رئيسا للجمهورية بحصوله على الاغلبية المطلقة لعدد من اعطوا اصواتهم فى الاستفتاء • فان لم يحصل المرشح على هذه الاغلبية رشح المجلس غيره وتتبع فى شانه الطريقة ذاتها

مادة ١٢٢ ـ مدة الرياسة ست سنوات ميلادية تبدا من تاريخ اعلان نتيجة الاستفتاء

مادة ١٢٣ ـ يؤدى الرئيس امام مجلس الامة قبل ان يباشر مهام منصبه اليمين الاتية : « اقسم بالله العظيم ان احافظ مخلصا على النظام الجمهورى وان احترم الدستور والقانون وان ارعى مصالح الشعب رعاية كاملة وان احافظ على استقلال الوطن وسلامة اراضيه »

مادة ١٢٤ ـ يحدد القانون مرتب رئيس الجمهورية • ولا يسرى تعديل المرتب فى اثناء مدة الرياسة التى تقرر فيها التعديل • ولا يجوز لرئيس الجمهورية ان يتقاضى اى مرتب او مكافاة اخرى

مادة ١٢٥ ـ لا يجوز لرئيس الجمهورية ، فى اثناء مدة رياسته ، ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا او ماليا او صناعيا او ان يشترى او يستاجر شيئا من اموال الدولة او ان يؤجرها او يبيعها شيئا من امواله او ان يقايضها عليه

مادة ١٢٦ ـ قبل انتهاء مدة رئيس الجمهورية بستين يوما تبدا الاجراءات لاختيار رئيس الجمهورية الجديد ، ويجب ان يتم اختياره قبل انتهاء المدة باسبوع على الاقل ، فاذا انتهت هذه المدة دون ان يتم اختيار الرئيس الجديد لاى سبب كان ، استمر الرئيس السابق فى مباشرة مهام وظيفته حتى يتم اختيار خلفه

مادة ١٢٧ ـ اذا قام مانع مؤقت يحول دون مباشرة رئيس الجمهورية لاختصاصاته اناب عنه احد الوزراء بعد موافقة مجلس الامة عليه

مادة ١٢٨ ـ فى حالات استقالة الرئيس او عجزه عن العمل او وفاته يقرر مجلس الامة باغلبية ثلثى اعضائه خلو منصب الرئيس • ويتولى الرياسة مؤقتا رئيس مجلس الامة ويحل محله فى رياسة هذا المجلس احد الوكيلين بناء على اختيار المجلس • ويتم اختيار رئيس الجمهورية خلال مدة لا تجاوز ستين يوما من تاريخ خلو منصب الرياسة

مادة ١٢٩ ـ اذا قدم الرئيس استقالته من منصبه وجه كتاب الاستقالة الى مجلس الامة

مادة ١٣٠ ـ يكون اتهام رئيس الجمهورية بالخيانة العظمى او عدم الولاء للنظام الجمهورى بناء على اقتراح مقدم من ثلث اعضاء مجلس الامة على الاقل ولا يصدر قرار الاتهام الا باغلبية ثلثى اعضاء المجلس • ويقف عن عمله بمجرد صدور قرار الاتهام • ويتولى رئيس مجلس الامة الرياسة مؤقتا • وتكون محاكمته امام محكمة خاصة ينظمها القانون • واذا حكم بادانته اعفى من منصبه مع عدم الاخلال بالعقوبات الاخرى

مادة ١٣١ ـ يضع رئيس الجمهورية بالاشتراك مع الوزراء السياسة

العامة للحكومة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة والادارية ويشرف على تنفيذها

مادة ١٣٢ ــ لرئيس الجمهورية حق اقتراح القوانين والاعتراض عليها واصدارها

مادة ١٣٣ ــ اذا اعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون رده الى مجلس الامة في مدى ثلاثين يوما من تاريخ ابلاغ المجلس اياه • فاذا لم يرد مشروع القانون في هذا الميعاد اعتبر قانونا واصدر

مادة ١٣٤ ــ اذا رد مشروع القانون في الميعاد المتقدم الى المجلس واقره ثانية بموافقة ثلثي اعضائه اعتبر قانونا واصدر

مادة ١٣٥ ــ اذا حدث فيما بين ادوار انعقاد مجلس الامة ، او في فترة حله ، ما يوجب الاسراع في اتخاذ تدابير لا تحتمل التاخير ، جاز لرئيس الجمهورية ان يصدر في شأنها قرارات تكون لها قوة القانون • ويجب عرض هذه القرارات على مجلس الامة خلال خمسة عشر يوما من تاريخ صدورها، اذا كان المجلس قائما ، وفي اول اجتماع له في حالة الحل، فاذا لم تعرض، زال باثر رجعي ، ما كان لها من قوة القانون بغير حاجة الى اصدار قرار بذلك • اما اذا عرضت ولم يقرها المجلس زال باثر رجعي ماكان لها من قوة القانون ، الا اذا راى المجلس اعتماد نفاذها في الفترة السابقة او تسوية ما ترتب على آثارها بوجه آخر

مادة ١٣٦ ــ لرئيس الجمهورية في الاحوال الاستثنائية ، بناء على تفويض من مجلس الامة ان يصدر قرارات لها قوة القانون • ويجب ان يكون التفويض لمدة محدودة وان يعين موضوعات هذه القرارات والاسس التي تقوم عليها

مادة ١٣٧ ــ يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ويشرف على ادارتها

مادة ١٣٨ ــ يصدر رئيس الجمهورية لوائح الضبط واللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين وله ان يفوض غيره في اصدارها • وتصدر قرارات الرئيس في هذا الشأن بناء على عرض الوزير المختص • ويجوز ان يعين القانون من يصدر القرارات اللازمة لتنفيذه

مادة ١٣٩ ــ رئيس الجمهورية هو القائد الاعلى للقوات المسلحة

مادة ١٤٠ ــ يعين رئيس الجمهورية الموظفين المدنيين والعسكريين والممثلين السياسيين ويعزلهم على الوجه المبين في القانون كما يعتمد ممثلي الدول الاجنبية السياسيين

مادة ١٤١ ــ لرئيس الجمهورية حق العفو عن العقوبة او تخفيضها ، اما العفو الشامل فلا يكون الا بقانون

مادة ١٤٢ ــ رئيس الجمهورية هو الذي يعلن الحرب بعد موافقة مجلس الامة

مادة ١٤٣ ــ رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ويبلغها مجلس الامة مشفوعة بما يناسب من البيان ، وتكون لها قوة القانون بعد ابرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للاوضاع المقررة • على ان معاهدات الصلح والتحالف

والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التي تتعلق بحقوق السيادة او التى تحمل خزانة الدولة شيئا من النفقات غير الواردة فى الميزانية ، لاتكون نافذة الا اذا وافق عليها مجلس الامة

مادة ١٤٤ ـ يعلن رئيس الجمهورية حالة الطوارىء على الوجه المبين بالقانون • ويجب عرض هذا الاعلان على مجلس الامة خلال الخمسة عشر يوما التالية له ليقرر ما يراه فى شانه • فان كان مجلس الامة منحلا ، عرض الامر على المجلس الجديد فى اول اجتماع له

مادة ١٤٥ ـ لرئيس الجمهورية ، بعد اخذ راى مجلس الامة ، ان يستفتى الشعب فى المسائل الهامة التى تتصل بمصالح البلاد العليا ، وينظم القانون طريقة الاستفتاء

الفرع الثانى
الوزراء

مادة ١٤٦ ـ يعين رئيس الجمهورية الوزراء ويعفيهم من مناصبهم • واذا انتهت مدة رياسته لاى سبب كان ، استمروا فى مباشرة اعمالهم الى ان يتم انتخاب خلف له

مادة ١٤٧ ـ يجتمع رئيس الجمهورية مع الوزراء فى هيئة مجلس وزراء لتبادل الراى فى الشئون العامة للحكومة وتصريف شئونها

مادة ١٤٨ ـ يتولى كل وزير الاشراف على شئون وزارته ويقوم بتنفيذ السياسة العامة للحكومة فيها • ويجوز تعيين وزراء دولة

مادة ١٤٩ ـ يشترط فيمن يعين وزيرا ان يكون مصريا بالغا من العمر ثلاثين سنة ميلادية على الاقل وان يكون متمتعا بكامل حقوقه المدنية والسياسية

مادة ١٥٠ ـ يؤدى الوزراء امام رئيس الجمهورية قبل مباشرتهم مهام وظائفهم اليمين الآتية : « اقسم بالله العظيم ان احافظ مخلصا على النظام الجمهورى وان احترم الدستور والقانون وان ارعى مصالح الشعب رعاية كاملة »

مادة ١٥١ ـ لا يجوز للوزير ، فى اثناء توليه منصبه ، ان يزاول مهنة حرة او عملا تجاريا او ماليا او صناعيا او ان يشترى او يستاجر شيئا من اموال الدولة او ان يؤجرها او يبيعها شيئا من امواله او ان يقايضها عليه

مادة ١٥٢ ـ لرئيس الجمهورية ولمجلس الامة حق احالة الوزير الى المحاكمة عما يقع منه من جرائم فى تاديته اعمال وظيفته • ويكون قرار مجلس الامة باتهام الوزير بناء على اقتراح مقدم من خمس اعضائه على الاقل • ولا يصدر قرار الاتهام الا باغلبية ثلثى اعضاء المجلس

مادة ١٥٣ ـ يقف من يتهم من الوزراء عن العمل الى ان يفصل فى امره • ولا يحول انتهاء خدمته دون اقامة الدعوى عليه او الاستمرار فيها ويعين القانون الهيئة المختصة بمحاكمة الوزراء وينظم اجراءات اتهامهم ومحاكمتهم

مادة ١٥٤ ـ يجوز تعيين نواب للوزراء • وتسرى على نواب الوزراء الاحكام الخاصة بالوزراء

مادة ١٥٥ ـ يجوز للوزراء ونواب الوزراء أن يكونوا اعضاء فى مجلس الامة

مادة ١٥٦ ـ يجوز تعيين أعضاء مجلس الامة وكلاء للوزارات لشئون مجلس الامة • ويبين القانون الاحكام الخاصة بهم

الفرع الثالث

الادارة المحلية

مادة ١٥٧ ـ تقسم الجمهورية المصرية الى وحدات ادارية ، ويجوز أن يكون لكل منها او لبعضها الشخصية الاعتبارية وفقا للقانون

ويحدد القانون نطاق هذه الوحدات وينظم الهيئات الممثلة لها

مادة ١٥٨ ـ يمثل الوحدة الادارية ذات الشخصية الاعتبارية مجلس يختار أعضاؤه بطريق الانتخاب ، ومع ذلك يجوز أن يشترك فى عضويته أعضاء معينون على الوجه المبين فى القانون

مادة ١٥٩ ـ تختص المجالس الممثلة للوحدات الادارية بكل ما يهم الوحدات التى تمثلها ، ولها أن تنشىء وأن تدير المرافق والاعمال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية بدائرتها وذلك على الوجه المبين فى القانون

مادة ١٦٠ ـ جلسات المجالس الممثلة للوحدات الادارية علنية ، ويجوز انعقادها فى جلسة سرية فى الحدود التى يقررها القانون

مادة ١٦١ ـ تدخل فى موارد الوحدات الادارية ذات الشخصية الاعتبارية الضرائب والرسوم ذات الطابع المحلى ، أصلية كانت أو اضافية ، وذلك كله فى الحدود التى يقررها القانون

مادة ١٦٢ ـ تكفل الدولة ما تحتاجه الوحدات الادارية ذات الشخصية الاعتبارية من معاونة فنية وادارية ومالية وفقا للقانون

مادة ١٦٣ ـ ينظم القانون تعاون الوحدات الادارية ذات الشخصية الاعتبارية فى الاعمال ذات النفع المشترك ووسائل التعاون بينها وبين مصالح الحكومة

مادة ١٦٤ ـ يعين القانون اختصاصات المجالس الممثلة للوحدات الادارية والاحوال التى تكون فيها قراراتها نهائية وتلك التى يجب التصديق عليها من الوزير المختص

مادة ١٦٥ ـ ينظم القانون الرقابة على أعمال المجالس الممثلة للوحدات الادارية

مادة ١٦٦ ـ يجوز حل المجالس الممثلة للوحدات الادارية وذلك بقرار من رئيس الجمهورية وينظم القانون تأليف هيئة مؤقتة تحل محل المجلس خلال فترة الحل

الفرع الرابع
الدفاع الوطنى

(أ) مجلس الدفاع الوطنى

مادة ١٦٧ ـ ينشأ مجلس يسمى « مجلس الدفاع الوطنى » ويتولى رئيس الجمهورية رياسته

مادة ١٦٨ ـ يختص مجلس الدفاع الوطنى بالنظر فى الشئون الخاصة بوسائل تأمين البلاد وسلامتها • ويبين القانون اختصاصاته الاخرى

(ب) القوات المسلحة

مادة ١٦٩ ـ القوات المسلحة فى الجمهورية المصرية ملك للشعب ، ومهمتها حماية سيادة البلاد وسلامة اراضيها وأمنها

مادة ١٧٠ ـ الدولة وحدها هى التى تنشىء القوات المسلحة • ولايجوز لاية هيئة او جماعة انشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية

مادة ١٧١ ـ يجوز تعيين القائد العام للقوات المسلحة وزيرا للحربية مع الجمع بين الوظيفتين

مادة ١٧٢ ـ تنظم الدولة، وفقا للقانون، تدريب الشباب تدريبا عسكريا كما تنظم الحرس الوطنى

مادة ١٧٣ ـ تنظم التعبئة العامة وفقا للقانون

مادة ١٧٤ ـ يعين القانون شروط الخدمة والترقى للضباط فى القوات المسلحة

الفصل الرابع
السلطة القضائية

مادة ١٧٥ ـ القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون ، ولا يجوز لاية سلطة التدخل فى القضايا او فى شئون العدالة

مادة ١٧٦ ـ يرتب القانون جهات القضاء ويعين اختصاصاتها

مادة ١٧٧ ـ جلسات المحاكم علنية ، الا اذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الآداب

مادة ١٧٨ ـ تصدر الاحكام وتنفذ باسم الامة

مادة ١٧٩ ـ القضاة غير قابلين للعزل ، وذلك على الوجه المبين بالقانون

مادة ١٨٠ ـ يعين القانون شروط تعيين القضاة ونقلهم وتاديبهم

مادة ١٨١ ـ ينظم القانون وظيفة النيابة العامة واختصاصاتها وصلتها بالقضاء

مادة ١٨٢ ـ يكون تعيين أعضاء النيابة العامة فى المحاكم وتاديبهم وعزلهم وفقا للشروط التى يقررها القانون

مادة ١٨٣ ـ ينظم القانون ترتيب المحاكم العسكرية وبيان اختصاصها والشروط الواجب توافرها فيمن يتولون القضاء فيها

الباب الخامس

أحكام عامة

مادة ١٨٤ ـ مدينة القاهرة عاصمة الجمهورية المصرية

مادة ١٨٥ ـ يبين القانون العلم الوطنى والاحكام الخاصة به · كما يبين القانون شعار الدولة والاحكام الخاصة به

مادة ١٨٦ ـ لا تسرى أحكام القوانين الا على ما يقع من تاريخ العمل بها ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبلها · ومع ذلك يجوز ، وفى غير المواد الجنائية ، النص فى القانون على خلاف ذلك بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الامــة

مادة ١٨٧ ـ تنشر القوانين فى الجريدة الرسمية خلال اسبوعين من يوم اصدارها ويعمل بها بعد عشرة ايام من تاريخ نشرها · ويجوز مد هذا الميعاد او تقصيره بنص خاص فى القانون

مادة ١٨٨ ـ يشترط فى القوانين المشار اليها فى المواد ٦٧ و٨٩ و٩٨ و ١٠٠ و ١١٤ و١٣٠ و١٤٤ و١٤٥ و١٥٣ موافقة ثلثى الاعضاء الذين يتكون منهم مجلس الامة

مادة ١٨٩ ـ لكل من رئيس الجمهورية ومجلس الامة طلب تعديل مادة او اكثر من مواد الدستور ، ويجب أن يذكر فى طلب التعديل المواد المطلوب تعديلها والاسباب الداعية الى هذا التعديل · فاذا كان الطلب صادرا من مجلس الامة وجب أن يكون موقعا من ثلث أعضاء المجلس على الاقل · وفى جميع الاحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل ويصدر قراره فى شأنه بأغلبية أعضائه · فاذا رفض الطلب لا يجوز اعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضى سنة على هذا الرفض · واذا وافق مجلس الامة على مبدأ التعديل ، يناقش ، بعد ستة أشهر من تاريخ هذه الموافقة ، المواد المراد تعديلها · فاذا وافق على التعديل ثلثا عدد أعضاء المجلس عرض على الشعب لاستفتائه فى شأنه · فاذا ووفق على التعديل ، اعتبر نافذا من تاريخ اعلان نتيجة الاستفتاء

مادة ١٩٠ ـ كل ماقررته القوانين والمراسيم والاوامر واللوائح والقرارات من احكام قبل صدور هذا الدستور يبقى نافذا ، ومع ذلك يجوز الغاؤها او تعديلها وفقا للقواعد والاجراءات المقررة فى هذا الدستور

مادة ١٩١ ـ جميع القرارات التى صدرت من مجلس قيادة الثورة . وجميع القوانين والقرارات التى تتصل بها وصدرت مكملة او منفذة لها ،

وكذلك كل ما صدر من الهيئات التى أمر المجلس المذكور بتشكيلها من قرارات او احكام ، وجميع الاجراءات والاعمال والتصرفات التى صدرت من هذه الهيئات او من آية هيئة اخرى من الهيئات التى انشئت بقصد حماية الثورة ونظام الحكم،لا يجوز الطعن فيها او المطالبة بالغائها او التعويض عنها باى وجه من الوجوه وامام اية هيئة كانت

الباب السادس

احكام انتقالية وختامية

مادة ١٩٢ ـ يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف التى قامت من اجلها الثورة ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية • ويتولى الاتحاد القومى حق الترشيح لعضوية مجلس الامة • وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية

مادة ١٩٣ ـ يجرى الاستفتاء على هذا الدستور يوم السبت الثالث والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٥٦

مادة ١٩٤ ـ يجرى استفتاء لرياسة الجمهورية يوم السبت ، الثالث والعشرين من شهر يونية سنة ١٩٥٦ وتبدأ مدة الرياسة ومباشرة مهام منصبها من تاريخ اعلان نتيجة الاستفتاء

مادة ١٩٥ ـ يستمر العمل بالاعلان الدستورى الصادر فى ١٠ من فبراير سنة ١٩٥٣ ، الى تاريخ العمل بهذا الدستور

مادة ١٩٦ ـ يعمل بهذا الدستور من تاريخ اعلان موافقة الشعب عليه فى الاستفتاء



الرئيس يشرح الدستور

بعد الانتهاء من تلاوة الدستور نهض الرئيس جمال عبد الناصر يوضح أهدافه ويجلي أبوابه ومواده فى عبارات تفيض وطنية وحماسة وحرصا على الاتحاد والتضافر لتكون الامة رجلا واحدا وقلبا واحدا تعمل لخير المجموع ورفاهيته فلا تسمح لاجنبى او عميل لاجنبى ان يسعى بين الصفوف المتراصة لتفريقها وتمزيق وحدتها ، وفيما يلى نص هذه الكلمة :

وثيقة الثورة

هذا الدستور هو الوثيقة التى تمخضت عنها الثورة . هو الوثيقة التى يعلن بها الشعب سيادته وكما قلت أن اعلان هذه الوثيقة لا ينهى كل شىء ، ولكنه بداية العمل من أجل ارساء القواعد التى بينت فى هذا الدستور

السيادة للامة

فقد بين الباب الاول أن السيادة للامة ، وأننا سنعمل جميعا متكاتفين متحدين قلبا واحدا ورجلا واحدا على أن نحافظ على هذه السيادة للامة ولن نمكن أى فرد أو جماعة من أن يدعيها ، ستبقى هذه السيادة التى كافحنا من أجلها طويلا وعثرنا عليها

والشعب هو حامى هذه السيادة

ستبقى للامة والشعب وهو الحامى لهذه السيادة وهو الحريص على هذه السيادة

والشعب لن يخدع أو يضلل

والشعب سيأخذ من الماضي عبرة ، لن يخدع ولن يضلل ولن يطمئن ولن يتهاون أبدا فى سيادته

اقامة عدالة اجتماعية

أما الباب الثانى من هذا الدستور فيبين المقومات الاساسية للمجتمع المصرى ، وهذه المقومات هى التى تحقق أهداف الثورة التى قلتها قبل الآن ، هذه المقومات هى التى سترسم لنا الطريق حتى نحقق الهدف الاكبر من هذه الثورة وهو اقامة عدالة اجتماعية تسودها الرفاهية والعدالة والمساواة بين الناس

وثيقة تكتب وتنفذ

واننا جميعا سنحافظ على أن تكون هذه المقومات الاساسية موجودة فعلا ، معمولا بها فعلا ، لاوثيقة تكتب وتنسى ، ولكن وثيقة تكتب وتنفذ ، ويعمل بها ، وسنكون نحن الشباب الامناء على تنفيذ هذه المقومات

الحقوق التى كفلها الدستور

أما الباب الثالث فهو الذى يبين الحقوق والواجبات العامة وهناك فرق أيها المواطنون بين الحقوق وبين الفوضى ، الحقوق التى بينت فى هذا الدستور لا تسمح للاستعمار أن يلعب بيننا ولا تسمح لاعوان الاستعمار أن يضللونا ، الحقوق التى بينت فى هذا الدستور حقوق للشعب ، للامناء من هذا الشعب ، وانتم جميعا الامناء على هذه الحقوق ، انتم جميعا مسئولون مسئولية كبرى للدفاع عن هذه الحقوق ، ولمنع اى فرد من أبناء هذا الوطن من ان يحيد عنها أو أن يستخدمها ضد مصلحة الجماعة أو ضد مصلحة الوطن أو ضد مصلحة الشعب . فان دستور ١٩٢٣ قد حمى الجريمة ، وحمى الرشوة ، وحمى الفساد ،

وحمى الاستغلال ، وكافحتم من اجل حقوقكم ولكنا اليوم سنكون اشد عزما واشد كفاحا واشد ايمانا من اجل تأمين هذا الوطن ومن اجل حراسة هذا الوطن .

لن نمكن اجنبيا أو عميلا له من تفرقتنا

كلنا نعلم أن الحرب الباردة التى تسود العالم تتجه اليوم الينا ، كلنا نعلم أننا فى هذه المنطقة من العالم قد نتعرض لهذه الحرب الباردة بكل آثارها وبكل عواملها وبكل مقوماتها ، ولهذا فاننا من الآن لن نمكن ابدا لاى أجنبى أو لاى عميل للاجنبى من أن يعمل بيننا ليفرقنا وينفذ بيننا ليقضى على الحقوق التى اكتسبناها بهذه الثورة

حقوق المرأة

واجب ايضا فى هذه المناسبة أن أقول لكم أن هذه الحقوق قد باشرتها المرأة ايضا كما باشرها الرجل ، فقد قامت المرأة جنبا الى جنب مع الرجل طوال الكفاح المرير

وقد استشهد بعض نسائنا فى سبيل الكفاح المشترك من أجل الحرية ومن أجل الحياة ، واننا اليوم نريد أن نعطى للمرأة حقوقها ، نريد أن نعطى للمرأة هذه الحقوق لمن يريد منهن

.. حق اختيارى لها

انه حق اختيارى لهن تقديرا من الوطن وتقديرا من الشعب ، لان تسير المرأة بجانب الرجل

وكما قلنا فى أول الباب الثانى أن الاسرة أساس المجتمع قوامها الدين ، الاسرة أساس المجتمع قوامها الدين وقوامها الاخلاق وقوامها الوطنية . وكما كافحت المرأة من أجل الحصول على حق الشعب فى الحصول على الحرية والحياة فمن حقها أن تسترد حقوقها ولكنا نقول ان هذا الحق اختيارى لمن تريد منهن أن تباشره

دستور لا يساعد على الانقسام

ايها المواطنون : هذا الدستور هو دستور تنظيمى ، ولن يعفى اى فرد من الخطأ ، ولكنه لن يساعد ابدا على التفرقة ولن يساعد على الانقسام .

نحن اشد ما نكون الى الاتحاد

فنحن اليوم ، بعد ثلاث سنوات من الثورة ، أشد ما نكون الى الاتحاد ، واشد ما نكون الى الشعور بالقوة وأنا اذكر في سنة ١٩٣٦ حينما كان الشباب يتجه الى الزعماء فى هذا الوقت ويناشدهم باسم الوطن وباسم حق الوطن ان يجتمعوا ليكونوا جبهة وطنية او وزارة قومية من اجل المصلحة العليا، مصلحة الشعب وأبناء هذا الشعب، ولكنهم كانوا يرفضون وكانوا يتعززون من أجل مغانم ذاتية ومن اجل أسباب شخصية

لن نسمح بالانقسام والتفرقة

ولنحن اليوم فى الباب الاخير فى الاحكام الانتقالية لن نسمح بالتفرقة ولن نسمح بالانقسام

ولن نمكن الحرب الباردة فى أى جزء من أجزاء العالم ان تعمل بيننا وان تحصل على النتاج والثمرات لاننا سنسير قدما الى الامام لنحقق الاهداف التى حددها هذا الدستور ونطبق النظام الذى حدده هذا الدستور متحدين متكاتفين ، رجلا واحدا وقلبا واحدا ، نعمل جميعا من أجل مصلحة الجماعة ومن أجل اقامة عدالة اجتماعية ومن أجل اقامة مجتمع تسود فيه الرفاهية وتسوده الكرامة وتسوده العدالة وتسوده المساواة . وفقكم الله جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

التعاون القومي
وتسليح الجيش

فى مؤتمر التعاون

فى أول يونيه سنة ١٩٥٦ انعقد المؤتمر التعاونى بالقاعة الكبرى بجامعة القاهرة ، وقد القى فيه الرئيس هذا الخطاب التاريخى الخطير الذى استعرض فيه ماضى البلاد وحاضرها وشرح الاهداف التى قامت عليها الثورة وعدد أعمال الثورة فى ميدان البناء والعمل وزيادة الدخل والانتاج . واعلن فيه نهاية فترة الانتقال والاتجاه الى المستقبل . فقال :

أيها المواطنون :

اننى اشعر بتقدم التعاون حينما أجتمع بكم اليوم . فقد سعدت بدعوتكم لحضور هذا المؤتمر لعدة أسباب

السبب الاول : أننى أومن بالتعاون . وان ثورتكم حينما قامت انما ارتكزت على تعاون أفراد من أبناء هذا الوطن . . . تعاونوا على الخير . وتعاونوا من أجل وطنهم . وتعاونوا من أجل مصلحة مصر

فأنا أعلم أن التعاون كلمة ضخمة . . وكلمة لها معنى كبير

والسبب الثانى هو موعد انعقاد هذا المؤتمر فى الاول من شهر يونيو

فأنا أعتبر هذا الشهر نقطة تحول فى تاريخ وطننا . . .

ففى شهر يونيو تنتقل الثورة . . ثورتكم ثورة الشعب . . ثورة مصر . . الثورة التى كافح آباؤنا وأجدادنا طويلا من اجلها . . ومن أجل تحقيقها . .

فى شهر يونيو تنتقل من مرحلة الى مرحلة اخرى

وأنا أريد أن أتحدث اليكم اليوم حديثا هادئا . . حديثا الى القلب والى العقل . . أريد منكم أن تستعرضوا الحوادث

والعوامل ، وانا حينما أتكلم معكم فانما أتكلم الى المواطنين جميعا

فى كثير من الاحيان يبدى الفرد حكمه فى موضـــوع من الموضوعات دون تمعن ، ولكنه اذا فكر فى الاسباب والدوافع يجد أن حكمه لم يكن سليما

ولكى يبدى الانسان حكمه سليما على عمل من الاعمال لابد أن يبحث أولا ماهى الاسباب والعوامل التى أدت الى اتخاذ قرار فى موضوع ما

فلنستعرض الماضى والحاضر والمستقبل

واليوم عندنا فرصة نستعرض فيها الماضى والحاضر .. ونتكلم عن المستقبل ، لان الوطن عبارة عن الماضى والحاضر والمستقبل ، ولان المجتمع هو عبارة عن عدة تفاعلات بين الماضى والحاضر ، وهذا التفاعل يقرر المجتمع فى المستقبل .. وكذلك الهدف ، والهدف والعمل من أجل المستقبل يقرر الوطن ويقرر المجتمع

فالوطن مجموعة من الافراد ، عاشـــوا بالامس .. ويعيشون اليوم .. وسيعيشون فى المستقبل .. ولابد أن يحمى الوطن باحساس واحد .. وأن يتجه اتجاها واحدا .. حتى يكون له كيان قوى سليم

واذا أردنا ان نعرف مستقبلنا .. وأهدافنا فىالمستقبل ، والطريق السليم الذى يجب أن نسير فيه فلابد أن نذكر ماضينا ، ونستعرض حاضرنا ، ونرى ماذا عملنا حتىنعوض هذا الماضى ،وحتىنتخلص منآثاره .. ونتجه الىمستقبلنا ، نضع الخطة بعزم وقوة ، ونحقق الامل والهدف

لقد قلت لكم اننى أريد أن أتكلم كلاما هادئا .. أخاطب فيه العقل والقلب . ولا أقصد منه أى نوع من أنواعالاثارة . لنتعرف فى هدوء الى كل مايهمنا ..

حينما ننظر الى الماضي لنعرف كيف كانت سياستنا الداخلية ، وعلاقتنا الخارجية فماذا نرى ؟ نرى أننا قبل الثورة كنا نشعر بآلام متمكنة فى نفوسنا ، وفى كل فرد من أبناء الوطن . كان الكل يتألم من الحالة التى وصلت اليها البلاد ، وكان الجميع يحلم ببلد قوى سليم . تسوده العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، والحرية والمساواة

كنا فى الماضي ننظر الى المستقبل ونأمل ونقول متى تتحقق هذه الاحلام ، كان كل واحد فينا يكلم أخاه ويقول له متى ينتهى هذا الوضع . متى نتخلص من الاستعمار .. لماذا يحرمنا الاستعمار من حريتنا . ولماذا يحرمنا الاستغلال من لقمة عيشنا . لماذا لايكون لنا حق فى الحرية والمساواة ؟

هذه هى الآلام التى كان يشعر بها أبناء الوطن جميعا وحينما انبثقت الثورة كانت تعبر عن هذه الآلام والآمال فى أهداف عدة .. أهداف قليلة ، ولكنها كانت تعبر عن أهداف هذا الشعب ، وهذا الوطن ..

أهداف الثورة .. أهداف الشعب

كانت الثورة حينما استمدت وجودها وقوتها من آمال هذا الشعب وآلامه ، تعبر عن أهدافه ، وحينما أعلنت الثورة أهدافها أعلنت أنها تهدف الى القضاء على الاستعمار الذى قاسيناه منه زمناطويلا .. والقضاء على أعوان الاستعمار الذين تحكموا فينا والذين تآمروا علينا ، والذين تحالفوا مع الاستعمار من أجل استغلالنا واستعبادنا ، ومن أجل تحقيق مصلحتهم الذاتية على حساب الشعب وعلى حساب الغالبية العظمى من الشعب

وكان كل واحد منا يسأل نفسه ويسأل صاحبه لماذا تتحكم فينا فئة قليلة وحينما اعلنت الثورة أنها تهدف الى القضاء على الاستعمار كان ذلك صدى لما يتردد فى نفوس جميع أبناء الشعب ..

ثم اتجهت الثورة الى اعلان هدفها الثانى الذى تمثل من آمال الشعب وآلامه .. كنا فى الماضى .. فى عهد الاقطاع والرق نشعر بأن هذا البلد ليس ملكا لنا ولكنه ملك لقوم آخرين ، يتحكمون فى أرضه وفى ثروته وفى أهله الذين كانوا يحسبون بأنهم ملك للاقطاع والسيطرة والاستغلال والتحكم وأعلنت الثورة فى هدفها الثانى انها تريد القضاء على الاقطاع واقامة اصلاح زراعى وتحديد الملكية ، وكانت بهذا تعبر عن آمال الشعب وآلامه ..

وبعد ذلك اتجهت الثورة للقضاء على سيطرة راس المال على الحكم ، وليس معنى ذلك أن الثورة كانت تعتبر نفسها ضد راس المال .. ضد راس المال الخاص ، ولكنها كانت تعبر عن الآلام التى كنا نحس بها قبل الثورة

كان الشعب قبل الثورة يشعر أن رأس المال ابتدأ يخرج من وظيفته الطبيعية فبدلا من ان يتجه راس المال الى الاستثمار وزيادة الانتاج والدخل القومى لهذا البلد ، بدأ يتجه الى الاستغلال والسيطرة والتحكم ابتدأ رأس المال يتجه الى السيطرة على الحكومات ، ويتآمر معها على الشعب بالرشوة وغيرها

وكانت الحكومات فى هذه الاوقات تيسر لرأس المال عقباته حتى اذا انتهت الحكومة وجد كل عضو فيها مكانا له فى شركة من الشركات أو فى عمل عند أحد الرأسماليين الفاسدين ، وبهذا كان رأس المال يسيطر على الحكومة ، وكانت العملية عملية استغلال مزدوج تتحكم فيه الفردية وتتحكم فيه الانتهازية

وحينما أعلنت الثورة أنها تهدف الى القضاء على سيطرة راس المال على الحكم كانت تهدف بهذا الى أن رأس المال يجب أن يوجه الى مصلحة البلد والانتاج وزيادة الدخل القومى لا الى الافساد

واتجهت الثورة أيضا لتحقيق آمال الشعب فأعلنت أنها تهدف الى اقامة عدالة اجتماعية بين أبناء هذا الوطن ، فكانت بهذا أيها المواطنون تحقق كل حلم كان يشعر به اى فرد من أبناء هذا الوطن

ثم اتجهت الثورة الى الجيش واعلنت أنها تهدف الى بناء جيش وطني قوي سليم يحمي الشعب وأهدافه من العدوان والتدخل والنفوذ الاجنبي

كنا دائما نريد أن نشعر بأن الجيش جيشنا وأنه ملك البلد وابنائه .. ملك للشعب ، وليس ملكا للمتحكمين او المستغلين أو المستعمرين

وكنا نحن فى الجيش نشعر بهذا الاحساس ، وكل فرد من أبناء الشعب يتجاوب معنا فى هذا الاحساس ، ولهذا فان الثورة حينما أعلنت أنها تهدف الى اقامة جيش وطنى قوى كانت تعبر عن آلام الشعب وآماله ثم اتجهت الثورة فأعلنت أنها تهدف الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة نظيفة وبهذا أيضا كانت تعبر عن الآلام الماضية الطويلة وتعبر عن الآمال التى كنا نشعر بها

لقد قامت حياة ديمقراطية فى الماضى ولكن هل كانت هذه الحياة الديمقراطية هى الديمقراطية الحقيقية ؟

هل كانت هذه الحياة الديمقراطية ديمقراطية سليمة ؟

هل كانت هذه الحياة الديمقراطية تحقق تكافؤ الفرص وتحقق الحرية ؟

هل كانت هذه الحياة الديمقراطية تنشر المساواة بين أفراد هذا الشعب ؟



فى عام ١٩١٩ قامت ثورة فى مصر ، وكانت هذه الثورة تهدف الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وكانت هذه الثورة تنادى بالاستقلال التام ، واستشهد من استشهد .. وقتل

من قتل . ومات من مات من أبناء الشعب المكافحين الاحرار الذين خرجوا وليس لهم من مطمع أو هدف الا أن يموتوا ويستشهدوا فى سبيل تحقيق هذه الاهداف الكبرى التى كانت تنادى بها البلاد من الشمال الى الجنوب .. كان كل بلد ينادى بها .. وكان كل فرد من أبناء هذا البلد ينادى بها

أسلمت البلد قيادها الى زعماء اعتبرتهم أمناء على هذه الأهداف وعلى هذه الآمال .. وبعد ذلك ماذا حدث ؟

هل تحققت الديمقراطية ؟

هل تحققت الحرية التي مات من أجلها أبناء هذا الوطن ؟

هل طبق دستور سنة ١٩٢٣ حسب مواده ؟ وحسب أبوابه وبنوده ؟

هل طبقت الديمقراطية . بحيث تكون الحرية حرية شاملة ..

ما الذى حدث ؟

بدات العوامل تتداخل .. العوامل الرجعية والعوامل الانتهازية .. والعوامل الاستعمارية وبدأ اعوان الاستعمار يتآمرون مع الاستعمار على هذا الشعب

بدأوا يعطون الشعب كلاما جميلا .. كلاما براقا .. وعودا خلابة ، ولكن ماذا كانت نتيجة هذه الوعود الخلابة وماذا كانت نتيجة هذا الكلام الجميل ؟

انتكست ثورة ١٩١٩ وأصبحت الحرية هى حرية التحكم وحرية السيطرة ، وحرية الاستبداد وحرية الاستغلال .

وبدات فئة قليلة من أبناء هذا الشعب تعتبر أن هذه فرصة لتكسب .. لتغتنى وتجمع اكبر كمية ممكنة من المال ونسيت هذا الشعب الذى قام وثار وقتل وقاسى وجابه الاستعمار

الشعب لايمكن أن يخدع

الشعب المصرى شعب مرت به محن كبيرة واحداث

عظيمة ، ولا يمكن ان يخدع . قد يخدع الى وقت ولكنه لايخدع كل الوقت . كان الشعب يسمع الكلام ويسمع الوعود .. ويسمع العبارات الطنانة عن الحرية وعن الديمقراطية ولكنه كان يحس بأنه ــ باسم هذه الديمقراطية ــ يستغل وتوضع السلاسل فى رقبته من أجل تحقيق منفعة عدد قليل تجمع وتآمر لكى يتمتع بالسلطة والسلطان . لكى يثرى ويستغل نفوذه

وكان هناك عدد من الناس الذين قاموا عام ١٩١٩ .. مازالوا باقين على مثلهم العليا .. على أهداف الثورة ولكنهم وجدوا أن البقاء على هذه المثل العليا يضر بهم وبمصالحهم وتفاوتت المدد .. ولكن تساقطت القلاع وتساقطت الحصون .. وفى النهاية قال كل فرد لافائدة من السير فى هذا الطريق

وابتدأنا نرى كيف تحكمت فينا السلطات المختلفة والقوى المختلفة فى هذا البلد ، وكيف أن أحدا لم يكن يعمل حسابا لصالح الشعب ، وكيف جرف التيار الناس الباقين

قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وهى تشعر بهذا الشعور وكان الناس الذين قاموا بهذه الثورة من الشعب قد عاشوا معه وأحسوا باحساسه وتألموا كما تألم ، وكانوا يشعرون بالأمل كما كان الشعب يشعر بالامل

قامت الثورة وكانت تشعر انها تمثل الطليعة فى هذا البلد .. وخرج الجيش فى ٢٣ يوليو يمثل الطليعة التى يتبعها زحف مقدس وزحف عظيم من أبناء هذا الشعب ..

كانت الثورة تعتقد أن الشعب كله سيتقدم متراصا ، نحو هذه الاهداف التى تعبر عن آلامهم والتى تعبر عن آمالهم والتى كانوا يتحدثون عنها سنين طويلة .. والتى كافح من أجلها آباؤهم والتى كافح من أجلها أجدادهم ..

كانت الثورة تعتقد أن الطريق سيكون سهلا .. أن الطريق سيكون معبدا .. ولكن ماذا حدث

شعرت الرجعية بالخطر ، وشعرت الانتهازية بالخطر ايضا . وتكتلت الرجعية ، وتكتلت الانتهازية ، واستندت الى الاستعمار الذى كانت تلتجىء اليه دائما ضد الشعب ، لكى تستغل الثورة .. لمصلحتها . لا لتقاومها فقط ، ولكن لتستغلها لمصلحتها أيضا

الاحزاب

وكانت الاحزاب فى هذا الوقت تمثل اقصى مراحل الرجعية ، وأقصى مراحل الانتهازية .. كانت الاحزاب تضلل الشعب وتقدم له الوعود ولكنها كانت تتعامل مع الاستعمار وتتآمر معه وتيسر مهمته

هذه الاحزاب كانت تتجه الى استغلال هذا الشعب من اجل فئة قليلة تكتلت فى الاحزاب .. كانت تبحث عن مصلحتها .. مصلحة الاقطاعيين .. مصلحة الانتهازيين .. مصلحة الرجعيين .. مصلحة المستغلين .. مصلحة فئة من الرأسماليين الفاسدين

أما الغالبية العظمى من هذا الشعب فكانت مهملة لاينظر اليها ، ولا يعتد بها .. كانت الاحزاب تمثل هذه المعانى كلها

ظنوا الثورة انقلابا

وعندما قامت الثورة ، وجدت أن فى قيامها خطرا على الاستغلال .. خطرا على السلطة والسلطان . ولم تقاوم الثورة فقط ولكنها ارادت أن تستغل الثورة .. فهمت الاحزاب ان الثورة هى عبارة عن انقلاب كالانقلابات التى كانت تحدث .. الانقلابات التى كان يدبرها الانجليز ضد ارادة الشعب ، أو الانقلابات التى كانت تدبرها السلطات العليا ضد ارادة الشعب ، أو الانقلابات التى كنا نحس بها كل شهر وكل شهرين وكل ثلاثة اشهر فى أواخر أيام الثورة

ولكنها كانت ثورة

ولم يبلغ بهم الذكاء درجة يفهمون معها أن هذه الثورة ليست انقلابا ولكنها ثورة بكل المعانى ، ثورة سياسية وثورة اجتماعية .. ثورة تشعر بآلام الشعب الطويلة على مر السنين .. وثورة تشعر بآمال هذا الشعب التى كان يأمل فيها .. ثورة تحس بنفس الاحساس الذى يحس به الشعب .. وتحس بنفس الشعور الذى يحس به الشعب

الاساليب القديمة

وبدأت هذه الاحزاب .. بدأت الرجعية وبدأت الانتهازية تتبع الاساليب القديمة .. الاساليب التى اتبعوها بعد عام ١٩١٩

ومن الذين كانوا يستخدمونه ؟ كانوا يستخدمون الشعب .. يعدون ويخدعون ويبثون فى نفسه روح الشك .. يبثون فى نفسه روح الخوف من الاستعمار ، ويقولون ان هؤلاء لم يقدموا ليمثلوا مصر .. وبدأت الحزبية تستخدم هذه الاساليب كلها

لماذا تحركت الاحزاب لمقاومة الثورة ؟

لماذا ؟

لكى تعود ثانية لتتحكم ، وتعود ثانية لتستغل وكما استخدم الشعب فى سنة ١٩١٩ ليثور ويتعرض للموت ، ثم يسلم القياد .. والذين تسلموا القياد اتجهوا الى الاستغلال والسيطرة والاستبداد ، أو انقسموا بعضهم على بعض .. كل منهم كان يرمى الى أن يصل الى السلطة .. وكان كل منهم يتجه الى المستعمر ليتصل به ، ويبحث كل منهم عن قوة تسنده

وكانت الاحزاب تخدع الشعب وتشكك الشعب ..

ونحن كشعب قاسينا طويلا ، ووعدنا وعودا كثيرة ولم تنفذ هذه الوعود ..

نحن كشعب طيب .. كنا دائما ننظر الى الوعود ونصدقها

وننتظر أن تتحقق ، ولكن كنا نجد أننا نأخذ وعودا براقة لاتتحقق ، فنحن لذلك شعب كثير الشك

بدأت الاحزاب تستغل هذه الطبائع .. وهذه الوقائع ، والحقائق فى الاستغلال للثورة .. وبدأت المعركة بين الثورة وبين الاحزاب ..

لم ينخدع الشعب ، كان الشعب احيانا يتساءل عن الحقيقة ، ولكن فى هذه المرة كان الشعب يحس ويشعر أن هذه الثورة التى اثبتت ان لها آماله وآلامه انما ستتجه قدما الى الامام لتحقيق هذه الآمال ولتحقق المثل العليا التى كان يشعر بها

لم يخدع الشعب ابدا .. كان يشك فى بعض الاحيان ، ولكنه كان على حذر من الخداع ومن التضليل ، وكان يشعر بأن الثورة تتربص بها الرجعية والانتهازية والاستعمار واعوانه .. وكان الشعب يسند هذه الثورة ، لانه كان يحس انها تمثل احساسه وتعبر عن شعوره ، وبهذا دخلت الثورة فى معركة مع الحزبية والرجعية والانتهازية التى تبحث عن السلطة والسلطان والاستغلال والاستبداد

انتصرت الثورة على الاستعمار والرجعية

واليوم استطاعت الثورة بعد أربع سنوات إن تحقق كثيرا من أهدافها . استطاعت الثورة فى هذه المرحلة القصيرة إن تنتصر على الاستعمار واعوانه واستطاعت ان تنتصر على الرجعية والانتهازية ، واستطاعت أن تثبت دعائم المجتمع الجديد الذى كنا نحلم به ، ونتمناه جميعا

لقد بنيت هذه الثورة على المحبة والتعاون ، وقد تحدثت اليكم فى اول كلامى عن انكار الذات والاخوة ، ولن نبنى هذه الثورة على الحقد او الكراهية .. أبدا هذه الثورة حينما قامت ، جمعت بين ابنائها المحبة والتضحية وانكار الذات ،

والناس الذين قاموا بها كان كل واحد منهم يشعر بالمحبة نحو أخيه ، وهذه المحبـــة هى التى جمعتنا .. وليست الاطماع أبدا ، وليس الحقد ، ولا الكراهية .. هذا التعاون الذى يجمع بيننا ، وكذلك انكار الذات كانا عاملا كبيرا جدا فى نجاح هذه الثورة وفى التدابير لهذه الثورة لمدة سنين طويلة

وبدأت الثورة تسير ، ولم تكن هذه الثورة ثورة قاسية ولـكنهـا كانت رحيمة ، تنعكس عليهـا طبـاع هـذا الشعب وعادات هذا الشعب .. ولم نكن أبدا شعبا قاسيا فنحن شعب طيب يشعر بالرحمة .. وهذه الثورة أيضا ثورة طيبة تشعر بالرحمة واذا قارناها بجميع الثورات نجد أن هناك فرقا كبيرا بالنسبة للاهداف التى تحققت على الرغم من أننا دخلنا فى معركة مع الاستعمار وأعوانه ومع الاحزاب والمستغلين

لماذا اعتقلت الثورة من اعتقلتهم

ولكن ماهى الدوافع والاسباب التى دفعتنا الى الاعتقال .. علينا أن نفكر فى الاسباب والدوافع ، قبل الحكم على قرار ما كما قلت لكم من قبل حتى نستطيع أن نحكم عليه حكما سليما ..

فى السنوات الماضية أقيمت محاكم عسكرية وحكمت على الاشخاص الذين كانوا يقاومون هذه الثورة ، والذين كنا نعتبر أى نجاح لهم انتكاسا لهذه الثورة ، وأن أى نجاح لهم قد يثبت الاستعمار وأعوانه .. المحاكم العسكرية حكمت على ٢٥٤ بأحكام متفاوتة أقصاها على ما أعتقد ٨ سنوات

ومحاكم الشعب

كما أقيمت محاكم الشعب التى حاكمت الجهاز السرى .. الجهاز السرى والتنظيمات المسلحة التى كانت موجودة فى شبرا ، وفى مصر القديمة ، وفى امبابة ، وفى كل مكان

.. ولم يكن المقصود بذلك جمال عبد الناصر .. أبدا .. كان المقصود به الانقضاض عليكم انتم وعلى حريتكم .. هذه المحاكم التى حاكمت الجهاز السرى الذى كنا نعتبر وجوده خطرا على الشعب ، وكنا دائما نقول ، كما قلنا فى الدستور ، اننا امة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة المستبدة فى الداخل ... لا يمكن ان نعيش فى بلد ونشعر فيها بالحرية وبالامن والطمأنينة .. اذا كانت البنادق موجهة الى صدورنا .. والارهاب مسلطا على قلوبنا وعقولنا

وبعد أن انتهت معركة الجهاز السرى ولم تكن خسائر هذه المعركة كبيرة ، حكمت محاكم الشعب على ٨٦٧ عضوا من اعضاء الجهاز السرى البالغ عددهم حوالى أربعة آلاف أو خمسة آلاف موجودين فى شعب وفى خلايا مسلحة .. يمثلون فصائل وجماعات ومناطق . جيش داخل الجيش .. جيش حر فى داخل البلد

هذه هى كل الخسائر التى وصلنا اليها فى هذه الفترة القصيرة .. المعتقلون ٢٩٤٣ وسيفرج عنهم جميعا فى ٢٣ يونيو ومنهم اناس حكم عليهم مع ايقاف التنفيذ وافرج عنهم .. وهؤلاء نطلب لهم الهداية وان يحسوا بقيمة بلدهم وقيمة وطنهم

وفى المحاكم العسكرية حكم على ٢٥٤ : وفى محاكم الشعب حكم على ٨٦٧

ولو قارنا هذه الثورة بثورات العالم اجمع ، نجد أنه ما من ثورة قامت فى العالم واستطاعت ان تثبت اقدامها ، وتقاوم الرجعية ، والانتهازية والسيطرة والتحكم ... الا ببحر من الدماء

.. نحن بعد ٤ سنوات

والحمد لله اننا اليوم .. وبعد اربع سنوات .. نجد أن الثورة رغم هذه المعارك ورغم هذه المقاومات ، استطاعت أن

تثبت انها ثورة رحيمة ، وأنها تمثل بهذا الشعور هذا الشعب .. تمثل شعوركم واستمدت احساسها من احساسكم ، وتصرفت كما يتصرف المصرى الصميم الكريم ، لانها ثورة قامت على المحبة ، وعلى التعاون ، والاخوة ، وعلى التآلف ، ولم تقم على الطمع ، أو الشهوات ، ولم تقم على الحقد والكراهية ..

محكمة الثورة كانت درسا وعظة

محكمة الثورة : كانت درسا ، سمعتم ما كان فيها وعرفتم ماذا كان يجرى فى الماضى وراء الستار .. وعرفتم كيف كانت تحكم مصر ، ومن أين كانت تحكم .. كان يحكمها الخدم والشماشرجية

وعرفتم كيف كانت الامور تساس ، وكيف كانت الامور تتقرر .. وعرفتم كيف كان الوزراء يتقربون الى الخدم من اجل أن يصلوا بهم الى السلطة والسلطان

وعرفتم كيف انحدرت القيم وانحطت والناس الذين كانوا أمامنا فى منتهى العظمة والوجاهة . كانت نفوسهم صغيرة لأنهم كانوا يقومون بأى عمل وضيع من أجل مصالحهم ، لايتورعون عن الاعمال الوضيعة من أجل مصالحهم ، ومن أجل الوصول الى السلطان

هذا هو الدرس الذى أخذناه من محكمة الثورة أما من حكم عليهم من محكمة الثورة فقد أفرج عنهم جميعا تقريبا فلم يكن الغرض حقدا ولم يكن هناك اى عامل الا عوامل الدرس والعظة والاعتبار

الثورة لم تنته

وليس معنى هذا أن الثورة قد انتهت أو استكملت أهدافها ، وليس معنى هذا أن الثورة تفسح الطريق للرجعية والانتهازية والاستعمار . أبدا هذه الثورة التى تمثل هذا الشعب ..

تعتقد ان الشعب سيكون حريصا على اهدافه . فالشعب اليوم لن يضلل كما ضلل فى الماضى

ولن تستطيع الرجعية ـ إلى مدى كبير ـ أن تقيد الشعب بالاغلال والسلاسل كما قيدته فى الماضى

والثورة حينما تتصرف هـذا التصرف انما تعتقد أن اهدافها استقرت فى قلب كل مواطن وأن اهدافها ارست قواعد سليمة .. وأن اهدافها سارت فى طريق تحقيقها .. وأن جزءا كبيرا من هذه الاهداف قد تحقق .. وان الشعب فعلا كما كنا نريده فى اول الثورة يجتمع ككتل متراصة وراء هذه الاهداف يتبع الطليعة ويحقق هذه الاهداف ، ويضحى بدمه وبجسده وبماله فى سبيل تحقيقها

الثورة معمل للانتاج

فالثورة كانت تحس بأهداف هذا الشعب وكنا نعلم ، اننا لكى نتقدم لابد ان نعمل .. ونعمل باستمرار .. نعمل من اجل زيادة الدخل القومى .. ونعمل من اجل زيادة الانتاج

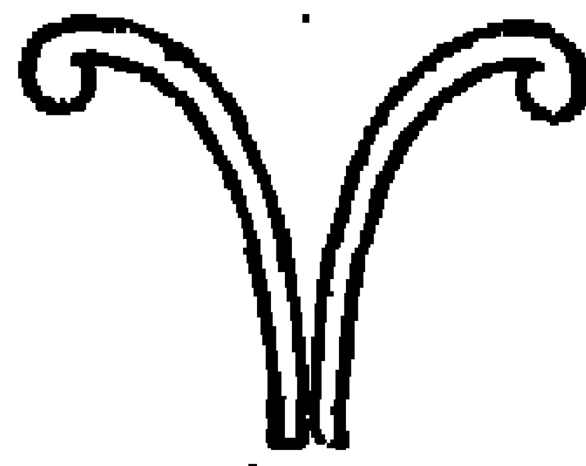
وبدات الثورة تعمل فى الانتاج ، وزيادة الدخل القومى

ونحن حين نستعرض حاضرنا اليوم بعد ان استعرضنا ماضينا ، ورأينا كيف كان حالنا فى الماضى .. نجد أن الاستقرار اخذ مكانه . نجد ان الاقتصاد والانتاج يتقدم .. نجد أن اصلاح المجتمع الذى كنا نقول انه كلام .. ليس كلاما ولكنه عمل وبناء ، لاننا لانستطيع ابدا أن نصلح المجتمع بالكلام ، والتكاسل . ولكن اذا أردنا أن نصلح المجتمع .. ونحن شعب نزيد كل سنة نصف مليون فرد . فيجب أن نعمل عملا مستمرا

لانستطيع أن نرفع مستوى المعيشة بكلام فهذا الكلام ينتهى عند حد ، ولكن السبيل الوحيد لرفع مستوى المعيشة هو العمل .. والاستثمار والكد المتواصل . والثورة سارت فى

هذا الطريق وكانت تجد أن السياسة ليست هى الـكلمات البراقة، والوعود الجميلة، ولكن السياسة هى العمل والانتاج واقامة الخدمات لهذا الشعب .. الخدمات التى حرمنا منها مدة طويلة

انا اذا نظرنا اليوم نجد أننا نجحنا فى جميع هذه الميادين .. نجحنا نجاحا يدعو الى الامل .. ولا استطيع أن أقول اننا نجحنا كل النجاح ... أو حققنا كل ما نريد تحقيقه .. فلا زلنا نحتاج الى المزيد من العمل والجهد المتواصل لاننا نهدم أسسا قديمة ونبنى أسسا جديدة



مولد قوة جديدة

على اثر حصول مصر على صفقة الاسلحة التشيكية قامت ضجة فى الخارج ، اثارها المستعمرون ضد تسليح الجيش المصرى، ولما زار السيد الرئيس فى هذه الاثناء الجيش المصرى فى الجبهة الشرقية القى عدة كلمات تناول فيها سياسة مصر فى تقوية الجيش ورد فيها على ساسة المستعمرين ذات الوجهين . فقال :

ان الجيش المصرى لابد أن يكون اقوى جيش فى المنطقة سواء رضيت اسرائيل أم لم ترض ، وسواء رضى الاستعمار أم لم يرض، ولن يخيفنا أو يفت فى عضدنا أن يعطوا اسرائيل سلاحا ...

مؤامرة الغرب الكبرى

لقد ادركنا المؤامرة الكبرى علينا منذ وقت طويل ، ان المسالة ليست مسالة اسرائيل ، لقد أدركنا هذه المؤامرة منذ بدانا نطلب السلاح من الغرب الذى كان يعتبر نفسه المورد الطبيعى للسلاح فى هذه المنطقة ، ولم ناخذ بالطبع سلاحا ، ولم يكن معقولا أن الذين انشاوا اسرائيل ، سوف يرضون أن يعطونا السلاح لنواجه به عدوان اسرائيل ...

لم يكن معقولا ان الذين أعطوا وعد بلفور سوف يرضون لنا القوة التى تضمن لنا مواجهة الخطر الذى صنعه هذا الوعد المشئوم

ان المؤامرة على القومية العربية ما زالت مستمرة . هذه المؤامرة التى بدات مع وعد بلفور ، واستمرت حتى أضاعت فلسطين ، ولا زالت تتآمر على باقى المنطقة العربية

التآمر لابقاء الجيش المصرى ضعيفا

ولقد كان أول شيء وجهوا اليه مؤامراتهم هو الجيش المصرى . كانوا يريدون بقاءه ضعيفا عاجزا

لقد رفضوا اعطاءنا السلاح ، ولكنا عندما استطعنا أن فحصل عليه من غيرهم قامت قيامتهم ، ثاروا وهددوا ، وبدأوا يهذون ويصرخون

قالوا ان ميزان القوى قد اختل ...

قالوا ان ميزان السلاح فى الشرق الاوسط قد مال ...

قالوا ان الشيوعية قد تسربت ...

قالوا ان روسيا دخلت الشرق الاوسط ...

محاولة التأثير على أعصابنا

قالوا وقالوا ولم يكن قصدهم الا التأثير على أعصابنا وبث روح التردد فى نفوسنا . ولكننا مضينا فى طريقنا حافظنا على الغرض ، والمحافظة على الغرض مبدأ من أهم مبادىء الحرب

كنا نريد تقوية جيشنا ، ولم نشأ أن يشغلنا عن ذلك اى اعتبار فرعي ، وتركناهم يقولون ما يشاء لهم سوء النية ، ولم يسكتوا

الغرب يسلح اسرائيل فى صمت وسكون

بدأوا يسلحون اسرائيل ...

اقول بصراحة بدأ الغرب يسلح اسرائيل ، أعطاها الطائرات والدبابات والمدافع ..

بدأ الغرب يسلح اسرائيل من غير ضجة ، من غير ثورة ، من غير صخب فى صمت وسكون فتسلمت اسرائيل من فرنسا ٢٤ طائرة من طائرات الاوريجون

وفى صمت وسكون تسلمت اسرائيل ١٢ طائرة من طراز « ميستير » وأول أمس أعلنوا أن اسرائيل تسلمت ١٢

طائرة اخرى من طائرات « ميستير »

اننى اود ان أقول لكم شيئا عن طائرات « الميستير » ان انتاج هذه الطائرات خاضع لمنظمـــة حلف الاطلنطى وجيوش هذا الحلف وحدها هى التى تستعملها واسرائيل الآن هى البلد الوحيد خارج حلف الاطلنطى الذى اعطيت له هذه الطائرات

ليست فرنسا وحدها بل الغرب معها

اننى لا أقول ان فرنسا هى التى أعطت اسرائيل السلاح وحدها وانما أنا أعتبر أن الغرب كله تآمر فى هذا مع فرنسا لمصلحة اسرائيل وضد مصلحة العرب

خرافة توازن القوى

انهم يتحدثون عن اعادة التوازن بين العرب واسرائيل بعد ان اختل هذا التوازن كما يدعون حين استطاعت مصر أن تسلح جيشها

اى توازن هذا الذى يمكن ان يقوم بين ٤٠ مليونا من العرب ، ومليون ونصف مليون فى اسرائيل ، بل اى توازن هذا الذى يمكن أن يقوم بين ٢٣ مليونا من المصريين ومليون ونصف مليون فى اسرائيل

اننى اعلن امامكم من هنا أن الجيش المصرى سوف يظل اقوى جيش فى المنطقة وأن التفوق سيظل معه سواء رضى الغرب أم لم يرض ، وسواء رضيت اسرائيل ام لم ترض

حرب مع الزمن

اننى اعتبر اننا الآن فى مرحلة يجب ان يعلم فيها كل فرد لماذا نعمل بسرعة ، ولماذا نحارب الوقت والاحداث فى سبيل تكوين قوات مسلحة لها قيمتها ؟

فنحن حقيقة فى حرب مع الزمن ، فى حرب مع الحوادث ، كل ساعة نكسبها ، هى تأمين لنا ، كل يوم نكسبه ، فيه

تثبيت لاستقلالنا ، وفيه تمكين لحريتنا وفيه تدعيم لقوة بلدنا

يجب أن نعرف جيدا اننا بغير قوة مسلحة مليئة بالعزم والايمان والتصميم لن نستطيع أن نبنى الوطن

انجلترا والجيش

كلكم تعلمون انه كان دائما يحال بين مصر وبين بناء جيش قوى . كلكم تعلمون أيضا أن من أهداف الثورة التى كبتت والتى كنا نحس بها قبل الثورة ، هو بناء جيش وطنى قوى ... وذلك شيء طبيعى فى هذا العالم ، فنحن كدولة صغيرة نريد أن تنشأ وتبنى عزتها واستقلالها وحريتها وكرامتها ، لا بد أن نعلم أن هناك محاولات للحد من قوتنا ... لابد أن نحس أيضا أن هناك ناسا لايريدون أن نكون أقوياء ... هناك دول لا تحب أن نكون أقوياء ... انجلترا مثلا ، سياستها منذ دخلت مصر كانت منصبة على الجيش فكان أول عمل لها هو حل الجيش ، وتركت قوة بسيطة ، لانها تعرف أن الجيش الذى قام يطالب للبلد بأهداف وآمال كانت تتمناها ، فى ذلك الوقت دخل الانجليز . ولا استطيع أن اقول انهم نجحوا فى الفترة ما بين ١٨٨٢ و١٩٥٢، فقد قام الجيش . وكان هو الذى اخرجهم . وحقق للبلاد الاهداف التى كانت تطالب بها فى عام ١٨٨٢

سياسة مستقلة

واليوم نرى الدول الكبرى ، الدول التى تعتبرنا فى منطقة نفوذها . سواء أردنا أم لم نرد . تعتبر أن قوتنا ستكون عاملا من عوامل القضاء على هذا النفوذ ... النفوذ الذى يمتص دماءنا ، ويتدخل فى شئوننا ، ويقضى على شخصيتنا، ويؤثر فى استقلالنا ، ويؤثر فى حريتنا ...

ونحن باعتبارنا الجيل الذى قام يطالب بأن تكون لبلادنا

سياسة مستقلة تنبعث من أهدافنا وتنبعث من ارادتنا ، وتنبعث من مصلحتنا .. نحن مصممون على ذلك

أما هم ، باعتبارهم مستعمرين فلم يقبلوا هـذا مطلقا . انهم يريدون أن نكون ذيولا لهم . يريدون أن يكون بلدنا تابعا لهم . اقتصاديا وسياسيا وعسكريا فرفضنا وصممنا على هذا الرفض

صممنا على أن نبنى بلدنا مستقلا استقلالا حقيقيا ، واقمنا من القوات المسلحة الدرع التى تحمى هذا الاستقلال ، ومن أجل ذلك فنحن نتعجل الامور ، نريد ان نشعر بأننا قد وصلنا الى نتيجة فى أسرع وقت ممكن

تسليح الجيش المصرى

عندما كنا نطالب بالسلاح ، لم يقبلوا أن يعطونا سلاحا ... رفض الاستعمار تسليمنا السلاح

فلما حصلنا على السـلاح من الكتلة الشرقية ثارت ثورتهم ، وارتفع صخبهم وقالوا هذا السـلاح سيخل بالتوازن بين مصر واسرائيل

ومن قال ان هنـاك توازنا يمكن أن يحدث بين مصر واسرائيل ؟

ان مصر ٢٣ مليونا ، وهم مليون ونصف مليون ، أو مليون و ٧٥٠ الفا لا يمكن أبدا أن نكون فى مستوى قوة اسرائيل ، مهما كان رأى الذين يسندون اسرائيل ويشجعونها

مسألة التحكم والسيطرة

ثم قالوا ان هذا السلاح سيخل بتوازن القوى فى المنطقة ، وانه سيوجه للقضاء على النفوذ البريطانى ... سـيوجه لحماية البترول ... ان مصر سوف تفرض نفوذها ...

وبذلك لم تصبح المسألة مسألة مصر واسرائيل فقد بدأ

يظهر الاصل ، وهو ان المسألة مسألة مصر وانجلترا ... مسألة التحكم والسيطرة ومناطق النفوذ ... وبقيت اسرائيل عاملا مساعدا لهم

عندما حصلنا على السلاح ، ثاروا وقلبوا الدنيا راسا على عقب ، وقالوا ان مصر حصلت على السلاح . وبدأ ممثلو اسرائيل فى مجلس العموم البريطانى ، أقول الانجليز الذين يمثلون مصالح اسرائيل فى مجلس العموم ، بدأوا يتكلمون عن السلاح الذى حصلت عليه مصر ، ولا يكاد يمر أسبوع دون أن يتحدثوا فيه عن السلاح الذى حصلت عليه مصر ، ويطالبوا بالاسراع فى تسليح اسرائيل

هذه هى حقيقة الموقف ، وذلك يكشف عن واقع الحال وما يبيتونه لنا . ليست لديهم أية نية حسنة . انهم لا يريدون أن يتركونا دولة مستقلة تنبعث سياستها من نفسها . هناك محاولات استعمارية هناك متاعب تثار

وقد صممنا نحن على أن نكون وطنا مستقلا قويا يشعر بالعزة ...

اذن فلا بد أن تكون قواتنا المسلحة مستعدة فى كل وقت لكى تقوم بهذا الواجب

الجلاء وعهد الحرية

يوم عظيم

فى يوم الثلاثاء ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ تم توقيع اتفاقية جلاء الانجليز عن الاراضي المصرية فى البهو الفرعوني بالبرلمان بين الجانبين المصرى والبريطانى . وعلى أثر توقيع هذه الاتفاقية اذاع الرئيس بالراديو هذه الكلمة التاريخية التى أشار فيها الى كفاح الاجيال المصرية فى سبيل تحقيق الجلاء ، والى أن هذا اليوم هو اليوم السعيد ، وهو عيد الاعياد الوطنية . وابتهل فيها الى الله أن يعطى مصر على الدوام الأمل والثقة والشجاعة والقدرة على بناء العهد الجديد ـ عهد الحرية والاستقلال التام وهذا نص هذه الكلمة الخالدة :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المواطنون ...

لعل أجدادنا يتطلعون الينا من المثوى الذى تسكنه أرواحهم فى هذا اليوم برضي وفخر ...

ولعل أحفادنا الذين ما زالوا في مجاهل المستقبل ، سوف يعودون ، بعد مئات من السنين ، الى ذكرى هذا اليوم باعزاز وتقدير ...

لعل هؤلاء وهؤلاء : الاجيال التى مضت ، والاجيال التى ستجيء ، تلتقى نظراتهم عند هذا اليوم ، يباركون الجهد الذى قام به جيلنا ، استكمالا لكفاح من ذهبوا ، وتمهيدا لكفاح القادمين ...

لقد شاءت ارادة الله أن تستقر على أكتافنا أمانة الماضى والمستقبل ، وكانت رعايته لنا عونا على الحاضر ..

لقد حاولنا أن نرتفع لمستوى ماضينا العظيم، واستطعنا أن ندرك أن هذا الماضى لا قيمة له اذا كانت أمجاده تاريخا

يروى ، يشب خيالنا اليه ، وتقصر أعمالنا عن الوصول الى مستواه ...

فانه لا فائدة من الامجاد الماضية ، اذا لم تكن معانيها خصائص كامنة فى نفوس شعبنا ، تطبع كفاحه عبر الزمن ، وتلازم جهاده جيلا بعد جيل ...

هذا هو ايمانى بالماضى ...

وهو فى نفس الوقت ايمانى بالمستقبل ...

أيها المواطنون ...

ان يومنا الحاضر يوم عظيم ، يرتفع الى مستوى الماضى الغريق ، ويعطى بشائر الامل فى مستقبل لاتحده آفاق

أيها المواطنون ...

ان مرحلة من كفاحنا قدانتهت ، ومرحلة جديدة توشك أن تبدأ ...

هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبن وطننا من جديد ، بالحب والتسامح والفهم المتبادل ...

اللهم اعطنا المعرفة الحقة، كى لايستخفنا النصر وتدور رءوسنا غرورا من نشوته ...

اللهم أعطنا الامل الذى يجعلنا نحلم بما سوف نحققه فى الغد ، أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه فى الامس واليوم ...

اللهم أعطنا الشجاعة ، لنستطيع أن نتحمل المسئوليات التى لابد أن نتحملها ، فلا نستهين ولا نهرب منها ...

اللهم أعطنا القدرة على أن نواجه أنفسنا ، ونتقبل أن يواجهنا الآخرون بالحق والعدل ...

اللهم أعطنا القوة ،لندرك أن الخائفين لا يصنعون الحرية، والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء ...

أيها المواطنون : الله فى عوننا ، وهو ولى التوفيق ...

مكانة الوطن عادت اليه

وفى ١٨ يونية سنة ١٩٥٦ . وهو الموعد الرسمى لتحقيق الجلاء التام عن الاراضى المصرية وجهه الرئيس جمال الى الامة المصرية عن طريق الاذاعة ، التهنئة التالية بهذا الحادث التاريخى السعيد

أيها المواطنون :

ان هذا الجيل من شعب مصر على موعد مع القدر ، فمنذ أكثر من الفى سنة ، ووطننا يحكمه الغزاة ، والحلم الضائع لأبنائه أن يعود وطنهم يوما اليهم . وقد قدر لهذا الجيل ان يعيش ليرى عودة الحلم الضائع ، ومنذ أكثر من خمسمائة سنة ووطننا يئن تحت سنابك خيل المماليك وأجناد المماليك وأحفاد المماليك ، يفرضون عليه الايتقدم ولايتطور، وأن يقعد أسير ظلام القرون الوسطى وخرافاتها ، وقدر لهذا الجيل أن يتمكن من الانطلاق الى نور الحضارة وأن يخلص أفكاره من بقايا الاغلال . ومنذ أكثر من مائة وخمسين سنة ووطننا لأسرة واحدة : تملكه وتحكمه تبعثر ثروته وتبدد تراثه لحسابها أو لحساب وجودها . وقدر لهذا الجيل أن يشعر بانتفاضة الحرية التى أسقطت الأسرة المالكة الحاكمة

ومنذ أكثر من سبعين سنة ووطننا يتكبر ويتجبر فيه محتل غريب ، الكلمة كلمته والامر امره

وقدر لهذا الجيل أن يشهد بعينيه فلول المحتل الغريب ، تتسلل خارجه عائدة من حيث اتت

ومنذ سنين طويلة تستعصى على الحساب ووطننا يعيش

تحت أوضاع محزنة . مكانته التاريخية فى الدنيا لم يبق منها الا حكايات وأساطير ، أبناؤه الذين غرسوا فى التاريخ أول بذور المدنية لم يجدوا ما يحصدونه ، بل أصبحوا هم أنفسهم حصـــادا للفقر والمرض . جيشه الذى كان أعظم الجيوش ، تألبت عليه القوى و فرضت عليه الضعف والهزيمة

ان قيمه الروحية بدأت تعانى من هذه الظروف كلهـــا أشد صنوف العذاب والارهاق ، والطغيـــان يصنع الذل ، الجوع يقتل الكرامة ، الاستبداد يعلم الخوف ، الاستغلال يفقد العمل الشريف معناه ، ويجعل انتهاز الفرصة بأى ثمن وعن اى طريق قانون المجتمع وسنته

وقدر لهذا الجيل أن يلمس بيده النعيم الكبير

مكانة الوطن عادت اليه بحق وجدارة !

أبناؤه لم يعودوا حصادا للفقر والمرض ، وانما هبوا لمعركة مستميتة ضد الفقر والمرض

جيشه لم يبق كما كان

قيمه الروحية عادت اليها معانيها ، فتأكد الا شرف بغير حرية ولا كرامة بغير عدل ، ولا رزق بغير عمل ، ولا فرصة بغير كفاية ، جيلنا لم يصنع ذلك وحده

ولكن جيلنا لم يصنع هذا كله

فخلال قرون طويلة كانت أجيال شعبنا تكافح وتناضل . كان الشهداء يسقطون على الارض ، وبجـوارهم أعلامهم مضرجة بالدماء ولكن لا يستسلمون أبدا . كانت المعـارك لا تنقطع بين مد وجزر ، وتقدم وتأخر ، ولكن قوى المقاومة فينا ظلت تخفق وتنبض

كانت الجموع تحتشد وتتكتل وتتقـدم ، فلا يستطيع الحديد أن يوقف تقدمها ، ولا يستطيع البارود أن يخنق صيحة الحرية تنطلق من صدورها

ثم جاء موعدنا مع القدر . أتيح لجيلنا ان يشارك فى المرحلة الحاسمة من المعركة وأن يسمع باذنيه دقات أجراس النصر تتجاوب فى الآفاق

كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية

أيها المواطنون :

ولكن هذا الموعد مع القدر ليس مجرد ليلة عيد ولا هو مجرد أغانى فرح

ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية . انه طريق بعيد المدى ، مدى الحياة نفسها ، كلما بلغ منه الشعب مرحلة ، لاحت أمامه فى المنى مراحل . ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد ساعة النصر أو تتراخى . انها فى ذروة شعورها بالقوة تدرك أن النصر الذى حققته ، انما هو مرحلة على الطريق ، وليس هو بحال من الاحوال خاتمة المطاف

تلك هى حكمة طريق الكفاح

ذلك أنه فى نفس الوقت الذى تتحقق فيه للشعوب أمانيها القديمة ، تترسب وتتجمع فى ضميرها ووجدانها أمانى جديدة

ان كفاح الشعوب طاقة دائمة مستمرة متجددة العمر خالدة الشباب

أيها المواطنون :

هذا هو موعد جيلنا مع القدر

فرحة بنصر شهدناه يبلغ غايته

ومسئولية غايات جديدة لا بد لها من كفاح

أيها المواطنون :

سودوا بأمر الله فى وطنكم .. واحكموا وشاركوا شعوب الارض فى بحثها عن السلام وعن حياة مطمئنة . والله ولى التوفيق

لحظة العمر كله

الرئيس يرفع العلم

سافر الرئيس يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٦ الى بور سعيد وقصد وصحبه الى السرادق الكبير الذى اقيم فى مبنى البحـرية وقد ازدان السرادق باعلام التحرير والزهور ، واصطفت القطع البحرية المصرية امام منصة الرئيس . وقد ازدانت هى والسفن الراسية فى الميناء بالاعلام المختلفة الالوان . ثم غادر الرئيس ، وتبعـه قادة الثورة الى مكان سارية العلم . ثم حمل علم مصر الاخضر وقبله فى خشوع ثم رفعه بيده ، فاخذ يرتفع على السارية خفاقا على أرض مصر الحرة . ووسط موجة الفرح والحماسة التى غمرت الجميع القى هذه الكلمة

أيها المواطنون :

هذه اللحظة هى لحظة العمر ، بل ان هـذه اللحظة هى العمر كله .. لقـد كنا نحلم ونتمنى . كنا نحلم ونتمنى اليوم الذى نقابل فيه هذه اللحظة، ان هذه اللحظة هى لحظة العمر، اننا اليوم أيها المواطنون نعيش لحظة تساوى العمر كله، اننا اليوم أيها المواطنون نعيش لحظة حرم منها الآباء، وحرم منها الاجداد . حرم منها اخوان لكم كافحوا على مر السنين لتتحقق هذه الأمنية وليرتفع العلم وحده فى السماء.

اننا أيها المواطنـون ، نرجو من الله التوفيق ونرجو من الله الهداية ، عسى ألا يرفرف على هذا الوطن وعلى هـذه الارض سوى هذا العلم ، الله يوفقكم ويهـديكم ويرعاكم جميعا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عهد الحرية

اقيم فى يوم ١٩ يونية سنة ١٩٥٦ مؤتمر شعبى عام استمعت فيه مصر والعالم الى خطبة الرئيس فى عيد الجلاء . وقد حضر هذا المؤتمر جماهير الشعب ورؤساء البعثات الدبلوماسية الاجنبية فى مصر ، كما حضره أولياء عهود ووزراء وكبراء من الدول الشرقية والغربية، كذلك اشتركت فيه بعثات عسكرية من جميع الدول العربية واعلن الرئيس فى هذا الخطاب سياسة مصر الداخلية والخارجية

أيها المواطنون

الحمد لله

الحمد لله

فقد جاء النصر من عند الله

أيها المواطنون لقد تكلمت اليكم مئات المرات منذ قامت الثورة ولكنى حينما أتكلم اليكم اليــوم أحس أحاسيس جديدة .. أشعر باختلاف فى الظروف ، وفى العوامل ، وفى المرامى وفى المعانى

لقد تكلمت معكم كثيرا . وكنت اتحدث اليكم وأخطب فيكم من ٢٣ يوليو حتى الامس ولكنى حين كنت أتكلم كنت احس ان هناك ثقلا على قلبى ، وان هناك غمة على نفسى

كنت اتكلم وانا أشعر بأنكم تحسون هذا الاحساس ، وتشعرون بهذا الشعور . كنت أشعر أن أبناء مصر جميعا يحسون هذا الاحساس ويشعرون هذا الشعور

كنت اتكلم معكم عن الماضى ، وعن الاحتلال . . . مرات عديدة كثيرة كنت أتكلم وانا أرى الشعور المتبادل والاحساس المتبادل الذى كنا نحس به جميعا . كنت أختم كلامى دائما

بأنه لابد من تحرير مصر ولابد من الجلاء

كان هذا الكلام تعبيرا عن شعوركم ... تعبيرا عن احساساتكم . تعبيرا عن المعانى التى كانت ترتفع بها الهتافات سنة ١٩٣٠ ، ١٩٣٦ والتى كان يقولها اخوان لنا ماتوا فى سبيلها ... تعبيرا عن كفاح الآباء ... كفاح الآباء والاجداد

كان هذا شعورى وشعوركم بالامس

اما اليوم فقد اختلفت الظروف ، واختلفت العوامل فلم يعد يرتفع على مصر اليوم سوى علم واحد هو علم مصر

اليوم يا اخوانى اشعر كما تشعرون ، أن الآمال تحققت ، وان الغمة قد زالت ، وان القلب يشعر بالحرية وان النفس تحس بالانطلاق

اليوم اشعر كما تشعرون

اليوم لايرفرف فى سماء مصر سوى علم واحد هو علم مصر

ايها المواطنون

لقد مر علينا حين من الدهر ونحن نجاهد ونكافح ، كنا نجاهد وكان آباؤنا واجدادنا يجاهدون من اجل حقهم فى الحرية وفى العدالة ، وفى المساواة

كنا نخرج من محنة لنقع فى محنة

ولكنا مع ذلك كنا نجاهد ونكافح ، فلم نسلم أبدا ولم نستسلم أبدا ...

وظلت روح هذا الشعب قوية لم تضعف ..

استطاع هذا الشعب مئات السنين ان يحافظ على كرامته وان يحافظ على معنوياته ..

مصر مقبرة الطغاة

فقد كانت مصر مقبرة للطغاة والغزاة فكم من دولة غزت

مصر ثم انصهرت وذهبت وبقيت مصر محافظة على شخصيتها وروحها وقوميتها ووحدتها رغم أنف الطغاة المستبدين ورغم الاحتلال

استطاع هذا الشعب على مر السنين ان يحافظ على وحدته وكيانه

كان هذا الشعب يهب ويكافح ويستشهد وكان بعد هذا يسكن ويلاقى الذل والمحن سنين طويلة ولكن هل انصرف هذا الشعب عن ان يفكر فى حريته وفى استقلاله وفى حقه فى الحياة ..؟ هل صرف الخوف هذا الشعب عن أن يجاهد ويكافح ..؟

كنا نخاف حينا ونستضعف أحيانا وقام من هذا الشعب رجال ماتوا واستشهدوا

واليوم يا اخوانى ونحن نبدأ حياة جديدة ... ونجنى الثمرة والحرية نشعر بجهود من سبقونا ... نشعر بكفاح الاجيال الماضية

اليوم يا اخوانى ونحن نبدأ مرحلة جديدة . وندخل فى فترة جديدة من حياة هذا الوطن نتجه الى الماضى ونحيى الاجيال الماضية ، التى استبسلت وقاومت حتى استطعنا فى هذا الجيل ان نصل الى هذا النصر ، ونرفع على مصر علما واحدا هو علم الحرية .. وعلم العزة .. علم الكرامة ..

اليوم أيها الاخوة أصبحت مصر لابنائها ... مصر بقيت لنا كلنا ، لكل أبنائها ، ليست ملك فئة قليلة ولا ملك الخونة ولا المستغلين .. ملككم .. ملككم جميعا

مصر اليوم لم تعد للمحتلين أو المغتصبين او المستبدين ولكن مصر اليوم أصبحت للمصريين

كنت فى سنة ٣٠ وأنا شاب صغير فى المدارس الثانوية فى ثانية ثانوى كنت انادى بالحرية ولم أكن أعلم معنى الحرية فى سنة ١٩٣٠ بالاسكندرية . وفى ميدان المنشية بالذات

كنا ننادي بالحرية وبالاستقلال .. أحاسيس توارثناها جيلا عن جيل ، مشاعر تعاقبنا عليها فى هذا البلد ، من أب الى ابن

كنا ننادي بالحرية وبالاستقلال وبالعزة وبالكرامة ، ولم نكن نعرف المعانى الكبيرة لهذه الكلمات .. ولكنا مع ذلك كنا نعبر عن روح هذا الشعب وكانت هذه الالفاظ هى الارث الذى انتقل الينا من هذه الاجيال : الحرية والعزة والكرامة

فى سنة ٣٠ ثار الشعب يطالب بحريته .. رأيت بعينى اناسا ماتوا واناسا أصيبوا لم يكن هذا سببا يدعو الى الخوف أو الفزع

وفى ٣٦ تكررت نفس القصة تكررت هنا فى القاهرة وعلى كوبرى قصر النيل . رأيت الشعب ينادى نفس النداءات التى كان ينادى بها سنة ١٩٣٠ ، سنة ١٩١٩ . نفس النداءات التى كان ينادى بها عرابى . كنا ننادى يا اخوانى بهذه الالفاظ دائما ولم نكن نعرفها . « ماكناش حسين بيها » ولدنا فى عهد الاحتلال والاستبداد فلم نتمتع بالحرية . وانما كانت ألفاظا لم نختبرها

اما اليوم وانا اتكلم اليكم ايها المواطنون وانا اشعر بشعور الرجل الحر ، اشعر بهذا الشعور الذى كنا ننادى به دون ان نعرفه .. اليوم نحس فعلا بالحرية .. والعزة .. والكرامة

اليوم أيها المواطنون أشعر انى أتكلم كرجل حر فى شعب حر تخلص من الاحتلال ومن الاستعباد ومن الذل .. تخلص من كل شيء

شعرنا بالعزة والكرامة

نعم يا اخوانى .. الحمد لله

لقد انتهت مرحلة من مراحل الكفاح .. الكفاح الطويل المرير الذى استمر عشرات السنين ومئات السنين

واليوم ونحن نشعر بالحرية ونشعر بالعزة ونشعر

بالكرامة . لا اريد ابدا ان نزهو بالنصر ولا اريد أن يجرفنا الفخر ابدا

الكفاح يا اخوانى لايتوقف عند غاية

الكفاح ليست له نهاية .. مدى الـكفاح فى أى شعب يستمر مدى الحياة ..

الكفاح مستمر حتى تنتهى هذه الحياة اذا اردنا ان تثبت الحرية والاستقلال والعزة والكرامة

الكفاح مرحلة طويلة لا تنتهى عند غاية من الغايات لان الغايات تتجدد

اننا اليوم يا اخوانى قد انهينا مرحلة من مراحل الكفاح .. والطريق أمامنا لايزال طويلا

ان الفجر الذى انبلج بالامس .. كان مجرد بداية فقط

وهذا الكفاح يا اخوانى مرحلة من مراحل الطريق ولن ننظر بعد هذا اليوم الى الخلف ولن ننظر الى الوراء .. سننظر الى الامام .. الى الامانى الجديدة .. الى الغايات الجديدة .. الى الاهداف الجديدة ..

اننا اليوم نسود فى وطننا لاول مرة منذ زمن طويل ..

ولابد أن نعرف ماهى غايتنا ..؟ هل غايتنا الجـلاء لاغير ..؟ انهاء الاحتلال فقط ..؟ ماهى أهدافنا .. هل انتهت بجلاء الاجنبى ؟ كانت لنا مطالب .. كنا نعتقد ان الاستعمار يحرمنا منها .. اما اليوم فلابد ان نتجـه الى المستقبل ونعرف ما غاياتنا وما اهدافنا ؟

حينما قامت هذه الثورة قامت على مبادىء وكانت مبادىء تنبعث من احساس هذا الشعب ومن شعور هذا الشعب

كنا نحس أنها مبادىء تعبر عن احساسكم وعن مشاعركم لقد قلت ذلك مئات المرات ولكنى سأستمر أذكركم بهذه المبادىء وسأظل أثبتها وأؤكدها حتى تنطبع فى صـدوركم وتعلموها لابنائكم

هذه المبادىء التى انبثقت من آمال هذا الشعب قامت الثورة على أسسها

واليوم ونحن نشعر بالحرية نستطيع أن نقول ان الهدف الاول من أهداف هذه الثورة قد تحقق .. وهو الجلاء ذلك الهدف الذى كنا ننادى به على مر السنين

القضاء على الاقطاع

وكان الهدف الثانى من اهداف هذه الثورة هو القضاء على الاقطاع من اجل حرية الفرد . من اجل حرية الفلاح . من اجل القضاء على الاستعباد . من اجل اقامة حرية حقيقية . اذ لاحرية اذا لم تكن للفرد حرية . لاحرية مع السيطرة ومع الاستبداد ومع الاستغلال ومع التحكم . لاحرية اذا كان الفلاح عبدا فى الارض يشعر بالرق ولا يشعر بحرية عيشه ورزقه

من اجل هذا ايها المواطنون بدانا بالقضاء على الاقطاع حتى نحقق بين ربوع هذا الوطن حرية حقيقية . فاذا شعر الفرد بحريته وشعر الفرد بحرية عيشه وبحرية رزقه فلابد أن تكون فى هذه الارض وفى هذا الوطن حريات حقيقية

واليوم أيها المواطنون نشعر أن هذا الهدف قد تحقق . وان الفلاح لاول مرة فى تاريخ هذا الوطن قد تخلص من العبودية وانه حر وليس مهددا فى رزقه ولا فى عيشه ولا فى كرامته ولا فى أمنه ولا فى اسرته

... وعلى الاحتكار

أيها المواطنون . كان الهدف الثالث من اهداف هذه الثورة هو القضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم

كم قاسيتم من الاحتكار وكلنا قاسينا من سيطرة راس

المال على الحكم ، يستغلنا ويستبد بنا ويتحكم فيناويستطيع أن يحقق من وراء ذلك منافع . كانت العملية عملية استعواض فكانوا يتاجرون بنا ويتاجرون بمصائرنا . وكان هذا الشعور يحس به كل فرد من أبناء هذا البلد

واليوم يا اخوانى قد تحقق هذا الهدف . فقد قضى على الاحتكار وقضى على سيطرة رأس المال على الحكم . وأصبح راس المال يتجه الى عمله الحقيقى من أجل رفع الانتاج ومن أجل رفع مستوى هذا البلد ويعمل من أجل مصلحة الجماعة وهذا هو مانص عليه الدستور فى أن رأس المال حر على ألا يضر بأمن الجماعة وأصبحت لاتوجد هناك فرصـــة ليقوم الاحتكار أو تعود الالاعيب القديمة مرة أخرى حتى لايعمل رأس المال الفاسد على السيطرة على الحكم . .

وعدالة اجتماعية

والهدف الرابع هو اقامة عدالة اجتماعية . لقد كنا نكافح دائما من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص . وكنا نجاهد من أجل الوصول الى هذا الهدف الذى يجب أن نكتل كل قوانا من أجل الوصول اليه وتحقيقه

لانستطيع أيها المواطنون أن نقيم عدالة اجتماعية بين ربوع هذا الوطن اذا لم نعمل عملا مستمرا . اذا لم نجد ونعرق لنزيد من ثروة هذا الوطن ولنزيد من الدخل القومى لهذا الوطن . لن نستطيع أن نحقق عدالة اجتماعية الا اذا تكاتفنا جميعا لنعمل عملا مستمرا شاقا مضنيا من أجـل الامة جميعها . من أجل الاغلبية كلها . لا من أجل فئة قليلة من الناس . ولا من اجل فرد من الافراد بل نعمل جميعا متكاتفين متحدين من اجل تحقيق عدالة اجتماعية

ولن نستطيع أيها المواطنون أن نحقق هذه العوامل الا بالعمل المتواصل . بالعمل الشاق بالجد والجهاد والكفاح . بالبناء المستمر لابد أيها الاخوة أن نزيد من دخل هذا البلد .

ومن ثروة هذا البلد . لابد أن نزيد الدخل القومى وبهذا فقط نستطيع أن نحقق هذا الهدف وانا اعتقد اننا اليوم بعد أن شعرنا بأننا أسياد فى هذا الوطن بتخلصنا من الاحتلال الاجنبى وتخلصنا من الاغتصـــــاب الداخلى والمستغلين والمستبدين ... ســـنعمل جميعا بعزم وايمان وتصميم وجد من أجل رفعة هذا الوطن . وزيادة دخل هذا الوطن . ولهذا سنتكاتف جميعا من أجل اقامة عدالة اجتماعية

لن يكون هناك احتكار ولن يكون هناك اقطاع أو سيطرة لرأس المال على الحكم ولن تكون هناك فئة مستغلة، لن تكون هناك فئة مستبدة . ولن يكون هناك رق أو عبودية . ولكن ستكون هناك حرية فردية

لننس الماضى

ان العامل أيها المواطنون مؤمن على رزقه وأن الفـلاح يشعر بأن رزقه مؤمن اذ كل فرد فى هذا الوطن يشعر اليوم بالحرية الحقيقية . ولهذا انا اعتقد وأومن بأننا سنعمل جميعا . وان مصر لن تتخلى عن فرد من ابنائها وأن مصر ايوم ايها المواطنون تحتاج الى جميع ابنائها . فلننس مامضى .. لننس مافات ونتجه جميعا الى المستقبل وننسى الماضى بمآسيه . ولن نأخذ من الماضى الا العظة والعبرة حتى نكون على حذر وبهذا يا اخوانى نستطيع ان نحقق لهذا الوطن عدالة اجتماعية حقيقية تسود فيها العزة ويتحقق فيهـا المجد والرفاهية للمجتمع ، وهذا هو هدف من أهـداف الثورة لم نستطع تحقيقه حتى الآن لانه يحتاج الى وقت وعمل مستمر متواصل . وهذا العمل أيها المواطنون هو عمل كل فرد منكم وواجب كل فرد منكم .. وكلما حققنا هدفا وجدنا أهدافا أخرى . فتحقيق العدالة الاجتماعية عمل مستمر متواصل يحتاج الى كفاح الشعب والى قوى الشعب والى امكانيات الشعب وسواعده . وباذن الله أيها

الاخوة سنتجه الى المستقبل بعزم وايمان وتصميم حتى نرسى بين ربوع هذا الوطن العدالة الاجتماعية الحقيقية

جيش وطنى قوى

وكان الهدف الخامس من أهداف الثورة التى تعبر عن آمال الشعب وعن آلامه .. الهدف الذى كتب قبل ٢٣ يوليو . الهدف الذى عبرت عنه احاسيسكم التى كنا نحس بها ومشاعركم التى هى عبارة عن مشاعرنا لاننا كنا نحس بهذه الاحاسيس ولازلنا نحس بها ، فقد كنا افرادا بين جيش هذا الوطن ... كان هذا الهدف الخامس هو اقامة جيش وطنى قوى جيش للشعب لاهداف الشعب . لحماية الشعب . كان هذا الهدف الذى كنا نحس به ونحن أفراد فى الجيش هو اقامة جيش وطنى أولا لايعمل لفرد أو لافراد أبدا بل يعمل لكم أنتم . لابناء هذا الشعب . فهو الجيش الذى يمثلكم والذى يتكون منكم ومن أبنائكم ومن اخوانكم

كنا نشعر دائما اننا نريد أن نحقق هذا الحلم لهذا البلد . جيش وطنى قوى واليوم أيها الاخوة نحمد الله أن تحقق هذا الامل . وأصبح لمصر جيش وطنى قوى جيش للشعب . يحرس الشعب . واهداف الشعب وآمال الشعب

... ديمقراطية سليمة

وكان الهدف السادس من أهداف الثورة اقامة حياة ديمقراطية سليمة . ولم نقل حياة ديمقراطية فحسب . فقد كنا نعيش جميعا تحت اسم الديمقراطية وتحت اسم البرلمان والبرلمانية . ولكنا لم نكن نتمتع من الديمقراطية الا باسمها اما معناها واصولها وجذورها فكانت مفتقدة كنا لانحس بها ولا نشعر بها وكنا نشعر ان هذه الديمقراطية ليست لنا ولكنها كانت علينا من اجل فئة من الناس .. ففقدت الديمقراطية معناها وروحها واسبابها . وتحت اسم

الديمقراطية تحكم فينا الرجعيون والمستغلون والانتهازيون. تحكمت فئات قليلة كانت تتاجر بالديمقراطية وكان الشعب ينظر ويكتشف ويعرف ويعلم ونحن كشعب قاسيناطويلا. كانت الديمقراطية كفاحا من اجل الحكم وكفاحا من اجل السيطرة والاستغلال والثراء والسلطة والسلطان ولهذا حينما كتبت هذه المبادىء قبل الثورة كنا بهذا نعبر عن احساس هذا الشعب. وعن آمال هذا الشعب. كتبنا الهدف السادس من اهداف الثورة وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة نتلافى بها ما فات، ولا نكتفي منها بالبرلمانية ولا بالاسم ولكن حياة ديمقراطية من اجل ابناء هذا الشعب جميعا من اجل الاغلبية العظمى. لا من اجل الاقلية ولا من اجل المستغلين والمستبدين. كانت هذه هى اهدافنا وكانت هذه هى اهداف الشعب

واليوم نشعر اننا فى سبيل تحقيق هذه الاهداف. فى سبيل تحقيق الهدف السادس من اهداف هذه الثورة. اننا نسعى بعد هذه السنوات الاربع الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة بين ربوع هذا الوطن. اننا بعد هذه السنوات الاربع من الثورة التى كافحنا فيها وكافح الشعب ولم يخدع ولم يضلل، بل كافح ضد التضليل وضد الخداع فى هذه السنين الاربع فى سبيل اقامة حياة ديمقراطية سليمة

اليوم يا اخوانى علينا ان ننظر الى هذه الاهداف ونعيها ونرى ماذا حققنا منها وماذا نريد. وماذا نطلبه

اليوم كلنا يستطيع نسيان الماضى بمآسيه وعفا الله عما مضى. ننساه ونتجه الى المستقبل

الزحف المقدس

فى رياسة الجمهورية

انتخب الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية فى الاستفتاء الشعبى الذى حدث فى يومى ٢٤ و٢٥ يونية سنة ١٩٥٦ باغلبية ساحقة بلغت ٩٩٫٩ ٪ كما فاز دستور الشعب باغلبية ٩٩٫٨ ٪ فى الاستفتاء الشعبى الذى اجرى فى نفس الوقت . وهذه النتيجة اثبتت اجماع الامة على الموافقة التامة ، على هذا الدستور ، كما اثبتت اجماعها على انتخابه لرياسة جمهورية مصر

وفى مساء يوم الاثنين ٢٥ يونية سنة ١٩٥٦ اقام نادى الضباط حفلا تاريخيا تكريما للرئيس جمال وقادة الثورة ، القى فيه الخطبة الآتية التى اعلن فيها الزحف المقدس ــ زحف الشعب المصرى نحو اهدافه الكبرى من اجل حياته وحريته

ايها الاخوة ، فى هذا اليوم الذى اعلن فيه شعب مصر للعالمين انه قد آل على نفسه أن يسير قدما فى زحفه المقدس فى سبيل حريته وفى سبيل حياته .. فى هذا اليوم الذى تقابله مصر لاول مرة فى تاريخها ، لاول مرة يجرى الاستفتاء على الدستور فى مصر ، ولاول مرة يجرى الاستفتاء على الرياسة لاحد ابناء مصر

زحف مقدس نحو اهداف الفرض

لقد اعلنت مصر جميعا انها تسير فى زحف مقدس نحو الاهداف الكبرى التى كانت تشعر بها على مر السنين ... اعلنت مصر فى هذه الايام انها تعى وتعرف وتحس وتشعر ، واعلن كل فـــرد من ابناء مصر انه كان فى المعركة يكافح ويقاتل ، واعلن كل فرد من ابناء مصر ، بل اعلنوا انهم كانوا

جميعا فى صميم المعركة ، وفى داخلها ، وانهم لم يكونوا ابدا سلبيين

هذا اليوم الذى اعلن فيه رسميا ان شعب مصر يتجه فى زحفه المقدس نحو غايات كبرى عظام

فى هذا اليوم ايها الاخوة يسعدنى ان التقى بالطليعة طليعة هذا الزحف المقدس ، يسعدنى الله ان التقى برجال القوات المسلحة الذين آلوا على انفسهم ان يكونوا طليعة لهذا الزحف فخرجوا فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من اجل الاهداف الكبرى التى كان الشعب ينادى بها ، ومن اجل آمال هذا الشعب

يسعدنى ايها الاخـــوة ان التقى بكم واتكلم اليكم .. ويسعدنى ايضا حينما اتكلم اليكم ان اوجه كلامى الى مصر كلها

ان هذه الطليعة التى قامت فى ٢٣ يوليو من اجل هدف كبير ومن اجل هدف عظيم ، خرجت تعتمد على الله وكانت اول ما تستهدف ان تضرب المثل للعالم ولمصر ، ان فى مصر رجالا آلوا على انفسهم ان يطالبوا بحقوقهم مهما كانت النتيجة .. مهما كانت النتيجة ، هزيمة ام نصر .. فاذا هزموا واذا لم يوفقوا فانهم بهذا يضربون لمصروابنائها وللاجيال القادمة الامثلة فى التضحية وفى انكار الذات حتى لا يقول التاريخ انه فى عام ١٩٥٢ حين كانت مصر تئن تحت الاستغلال والاستعباد لم يخرج رجل من ابنائها ولم تقاوم مقاومة حقيقية

وكنا نشعر ايها الاخوة فى داخل الجيش ان هذا الواجب واجبنا .. نحن القوات المسلحة الذين نشعر بمسئوليتنا نحو الشعب واهداف الشعب .. خرجت الطليعة لتنتصر او لتضرب المثل حتى تشعر الاجيال القادمة ان هنـاك فى مصر رجالا وان هناك فى مصر تضحية وان هناك فى مصر عزيمة

خرجت الطليعة فى ٢٣ يوليو وهى لا تهدف الا لتحقيق الاهداف الكبرى التى كان يحن اليها الشعب .. وانتصرنا بحمد الله فى ٢٣ يوليو

تحقيق الاهداف وانكار الذات

ويحق لى ايها الاخوة اليوم ان اتكلم الى شعب مصر عن الطليعة بعد الانتصار .. كان امامنا طريق واحد ، طريق انكار الذات والتوجه الى الاهداف الكبرى،وكان من الواضح ان الطليعة لابد ان تسير فى هذا الطريق ولا تتخلى عن مثلها العليا ولا مبادئها . سارت الطليعة فى هذا الطريق متمسكة بالمثل العليا وبالمبادىء السليمة وبانكار الذات وبالتضحية

وبهذا ايها الاخوة استطعنا ان نصل الى هذا اليوم الذى اعلنت فيه مصر تضامنها واتحادها فى الزحف المقدس بانكار الذات وبالتعاون والمحبة وبعدم الانانية استطاعت الطليعة ان تشعر اليوم بالانتصار الحقيقى للزحف المقدس ، وقد خرجت الطليعة فى ٢٣ يوليو وهى لا تمثل نفسها ، ولكنها كانت تمثل آمال الوطن ، كانت تمثل الاهداف الكبرى فخرجت لتضحى ، ولتضرب المثل ، خرجت متمسكة بالمثل العليا والمبادىء السليمة وعلى هذا يا اخوانى فقد نصرنا الله فى ٢٣ يوليو وحينما تمسكت الطليعة بالمبادىء التى قامت من اجلها نصرنا الله اليوم

الطليعة تمثل شعب مصر

ان هذا المثل ، مثل فريد فى نوعه ، وكما قلت مرارا ان شعب مصر شعب طيب ، وعلى هذا الاساس لابد ان تكون الطليعة ممثلة تمثيلا حقيقيا لشعب مصر .. هذا يا اخوانى كان اساسا رئيسيا للنجاح ، وهذا كان سببا فعالا فى الوصول الى ما وصلنا اليه .. الى تحقيق الجلاء وتثبيت العزة والاستقلال والى اعلان مصر جميعا اعلانا رسميا

للعالم اجمع انها تسير مع الطليعة فى زحفها المقدس

اليوم قد انتهت مرحلة من مراحل الكفاح واعلن الشعب اعلانا قويا راسخا داويا انه يزحف . اننا جميعا نزحف فى سبيل اهداف كبرى ، ولهذا اردت ان ابين لشعب مصر الدور الذى قامت به الطليعة والمثل العليا التى قامت بها

لقد قلت فى فلسفة الثورة ان الطليعة خرجت وهى تنتظر الزحف المقدس ، تنتظر ان يسير الزحف من خلفها كتلا متراصة ، وقلت فى فلسفة الثورة : « ولكن الامال خابت وكانت الاحزاب والتكتلات والمحن والضغائن ... اما اليوم فقد اختلف عما مضى .. اليوم اصبحت مصر جميعها تشعر بقوتها متعاونة متحدة متحابة متآلفة ، واصبحت مصر تعرف طريقها وتحدد اهدافها وتعرف موقفها من العالم وموقف العالم منها ، وتعرف ايضا سبيلها فى الداخل والخارج ولم يكن فى الامكان ان نصل الى ما وصلنا اليه الا بانكار الذات والتعاون والمحبة

قامت الطليعة بهذا الدور وضربت لمصر المثل فى انكار الذات وفى خدمة هذا الوطن

وانا حينما اتكلم عن طليعة القوات المسلحة يجب على ان اتكلم عن افراد القوات المسلحة الذين تحملوا المسئولية الكبرى .. يجب على ان اتكلم عن اخوانى اعضاء مجلس الثورة .. لقد قاموا مع القوات المسلحة ، مع الطليعة ، وسارت القوات المسلحة فى طريقها تقوم بواجبها الشاق وتشعر بمسئوليتها الشاقة .. وتركت لرجال مجلس الثورة مسئولية عظمى

ففى هذا اليوم الذى اعلن فيه شعب مصر زحفه المقدس يحق لى ان اتكلم عن اخوة كافحوا هذه السنين الطويلة منذ ٢٣ يوليو حتى الان ، ومن قبل ٢٣ يوليو ، لقد كانت المحبة سبيلهم والتعاون شعارنا ، وبالمحبة والتعاون وبانكار الذات وبالمثل العليا .. بهذه المبادىء التى اتبعتها الطليعة

حينما قامت بدورها وحينما بدات تزحف فى ٢٣ يوليو ..
هذه المبادىء حافظ عليها مجلس الثـورة وهو يؤمن بحق كل مصرى فى الحياة وهو يؤمن بواجبه ، كل فرد من افراد مجلس الثورة كان يؤمن بوطنه ، وبحق وطنه فى الحرية والحياة ، بانكار الذات ايها الاخوة ، وبالتعاون وبالمحبة رغم المشاكل والصعاب التى قابلتنا استطاع مجلس الثورة ان يسير فى طريقه ، واستطعنا ان نصل الى هدفنا

هذه المثل مثل الطليعة ، ومثل مجلس الثورة فى هذه السنين الاربع .. مثل الطليعة التى قامت فى ٢٣ يوليو ، مثل ستذكر على مر التاريخ وعلى مر الزمن

لقد اثبتت مصر بهذه الطليعة رجولة ابنائها وعزة وكرم ابنائها وانكارهم للذات وتمسكهم بالمبادىء وتمسـكهم باستقلالهم ..

ارادة الشعب .. امر وتكليف

واليوم وقد اعلنت نتيجة الاستفتاء واعلن الشعب ارادته التى كنا ننتظرها وعن نفسى انا اعتبر هذه الارادة امرا وخدمة عامة

وكما تمسكت الطليعة بالمبادىء وبالمثل العليا وبالمحبة والتعاون فهذا سبيلى دائما .. وانا فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن .. اشعر بالمسئولية الكبرى ، فقد كنت اتتبع نتيجة الاستفتاء وكلما زادت الاصوات المؤيدة كنت اشعر بهذه المسـئولية ، واشـعر بان الواجب يكبر والمسئولية تعظم

هدفى الاوحد مصلحة مصر

وانا ادخل اليوم وفى هذه المرحلة كما دخلت فى ٢٣ يوليو لقد بدات مع الطليعة فى ٢٣ يوليو وليس امامى سـوى هدف واحد كان يتمثل فى مصلحة مصر ، وفى اهداف مصر

لم افكر ابدا فى مصيرى ، ولم افكر ابدا فى نتيجة هـــذا العمل ، ولكنى كنت افكر اننى اعمل بما يمليه على ضميرى

انا اليوم فى هذه المناسبة اقول اننى ابدا هذه المرحلة كما بدأت المرحلة الاولى فى ٢٣ يوليو ، لا افكر الا فى اهداف مصر ، ولا افكر الا فى مصلحة مصر ، لم افكر مطلقا فى مصيرى ولكننى ساعمل ما يمليه على ضميرى .. هـــذه هى وسيلتى وهذا هو سبيلى مع المسئولية الكبرى

وانا اليوم ايها الاخوة اشعر بالثقل واشعر بالقوة ، اليوم اشعر ان مصر جميعا تزحف زحفا مقدسا نحو الحرية والحياة .. اليوم اشعر ان مصر جميعا تمثل طليعة المستقبل تمثل طليعة العزة والكرامة اليوم يا اخوانى وانا اعلم ان امامنا مجهودا شاقا وعملا متواصلا وزمنا طويلا حتى نحقق لهذا الوطن عدالة اجتماعية ، اشعر بالطمأنينة والثقـــة اشعر بالطمأنينة لان مصر جميعا اليوم تزحف زحفا مقدسا لتحقيق اهدافها

مصر جميعهـــا اليوم متكتلة كتلة واحـــدة . قلب واحد ، تعرف طريقها وتعرف اهدافها . مصر اليوم كتلة متراصة فى زحف مقدس .. فى زحف كبير نحو اهداف عظام

مصر اليوم ايها الاخوة تمر بمرحلة جديدة فى تاريخهـــا حرمت منها على مر الاجيال وعلى مر السنين ، ارجو من الله الهداية وارجو من الله التوفيق والسلام عليكم

التعايش السلمي
وسياسة الاستقلال الكامل

فى مؤتمر يوغوسلافيا

وفى ١٢ يولية سنة ١٩٥٦ سافر الرئيس جمال عبد الناصر الى يوغوسلافيا فى زيارة رسمية لحضور مؤتمر الثلاثة الكبار فى جزيرة بريونى بالبحر الادريانيكى وهم : شرى نهرو رئيس وزراء الهند ، والمرشال تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا ، والرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ، وقد وضع هذا المؤتمر فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ قرارات جليلة هدف منها الى تحقيق التعايش السلمى العالمى ، وتقوية الروابط مع الدول التى ترفض الانحياز ، وتحريم اسلحة الدمار ، ونزع السلاح . ووجوب حل مشكلات فلسطين والجزائر والمانيا وتمثيل الصين الشعبية فى الامم المتحدة . وقد نجح هذا المؤتمر . وقد القى الرئيس هذه الخطبة السياسية فى المادبة التكريمية رد فيها على خطبة المارشال تيتو . فقال :

السيد الرئيس

تتيح لى هـذه الدعوة الكريمة لزيارة بلادكم العظيمة ، فرصة الاجتماع بكم مرة أخرى ، وتجديد روابط صداقتنا ، وتوثيق الصلات الودية والتعـاون المثمر بين الشـعبين اليوغوسلافى والمصرى

لقـد اغتبط الشـعب المصرى اغتبـاطا كبيرا بزيارتكم لمصر ، تلك الزيارة التى أتاحت لنـا التعبـير عمـا نكنـه لكم من اعجاب وتقدير كجندى عظيم وجـد فيه الشعب اليوغوسلافى قائدا لحركة المقاومة ، التى قام بها ضـد الجيوش الغازية ، ورمزا لكفاحه المستميت فى الدفاع عن وطنه وتراثه . كما وجد فيكم الشعب اليوغوسلافى زعيما سياسيا استطاع بشجاعته وحكمته وبعد نظره أن يحافظ على استقلال بلاده ، وأن يشق لها فى علاقاتها الدولية طريقا

ممهدا مستقلا ، وأن ينتزع لهـــا فى المجتمع الدولى مكانا كريما مرموقا

واليوم تتيح لى هذه الزيارة أن اعبر للشعب اليوغوسلافى عما نكنه له من مودة خالصة وصداقة وطيدة . ولقد ملأ قلبى ونفسى ذلك الاستقبال الودى الكريم ، الذى استقبلنى به الشعب اليوغوسلافى ورأيت فيه مثلا حيا وبرهانا قاطعا على الروابط والصلات الوثيقة التى تزداد قوة واحكاما بين يوغوسلافيا ومصر

وتستند هـــذه الروابط بين بلدينا على أسس مكينة ، واول هـــذه الأسس هى التجربة المشـــتركة التى مـــرت بها كل من يوغوسلافيا ومصر من أجل التحرر والاستقلال وقد عرفتا فيها معنى مشتركا من معانى الــكفاح من أجل كيانهما وحريتهما وما أن نجحنا فى تحرير بلادنا واستكمال استقلالنا حتى وجدنا أنفسنا أمام التبعات الجســـام التى يتطلبها رفع مستوى شعوبنا ، والسير بها نحو الطليعة . كما وجدنا أنفسنا بعد هذا التاريخ والــكفاح المضنى أمام المشاكل الضخمة للتنمية الاقتصادية والنهضة الصناعية ، وغيرهما من الميادين التى فرض علينا وأكرهنا على التخلف فيها ، فى الوقت الذى قطعت فيه كثير من الدول الاخرى أشواطا بعيدة

دعم السلام ومكافحة التدخل

ومما يزيد فى عرى الروابط والتفاهم بين بلدينا : وحدة الاساس الذى تقوم عليه سياستنا الخارجية ووحـــدة القيم التى نؤمن بها لدعم السلام العالمى ووحدة الهدف الذى نسعى اليه لانماء التعاون بين الامم والشعوب . فكلانا يؤمن بأن السلام العالمى انما يتحقق بالاعتراف لكل دولة بالحق فى رسم سياســـتها الخارجية وتوجيه علاقاتها الدوليـــة وفقا

لظروفها وأحوالها الخاصة دون تدخل أو سيطرة من جانب أية دولة أخرى

سياسة الاستقلال

كما اننا وقفنا من الحرب الباردة التى اعترضت طريق التعاون الدولى خلال العقبة الاخيرة موقفا ايجابيا موضوعيا يقوم على الامتناع عن اتخاذ سياسة من شأنها توسيع الهوة بين المعسكرين ، وازدياد حدة التوتر الدولى فكانت سياسة الاستقلال وعدم الانحياز وسيلتنا فى ذلك وبالرغم مما تعرضت له هذه السياسة من نقد واستياء من من جانب بعض الدول التى بذلت محاولات عديدة وباشرت كثيرا من الضغط علينا لكى تحملنا على تغيير سياستنا فاننا قد تمسكنا بسياسة عدم الانحياز ايمانا منا بأنها أدعى الى توفير الجو المناسب لحفظ السلام الدولى

ويسرنى أن سياستنا هذه قد بدأ يقتنع بها الكثيرون ممن ظلوا فترة يقفون منها موقف الشك والريبة وسوء التقدير

أساس العلاقات بين الامم والشعوب

أما القيم التى نؤمن بها كأساس للعلاقات بين الامم والشعوب فقد أوضحناها فى البيان المشترك الذى وقعناه فى ٦ يناير سنة ١٩٥٦ وهذه القيم هى احترام استقلال الدول ، وتمكين الشعوب من مزاولة حقها فى تقرير المصير ومساعدة البلاد المتخلفة فى النهوض باقتصادياتها واستغلال مواردها ورفع مستوى أفرادها

قرارات مؤتمر باندونج

ولقد كان لما تضمنه بياننا المشترك من اشارة صريحة الى قرارات باندونج ، والتى حرصتم بها على اعلان تأييدكم

لهذه القرارات ، وما اشتملت عليه من مبادىء ، وقع عظيم فى نفوس الشعوب الاسيوية والافريقية ، التى مازال الكثير منها محروما من حقوقه الطبيعية فى الحرية والاستقلال ، بسبب سياسة البطش والاستبداد التى ما زالت بعض الدول الاستعمارية تتشبث بأذيالها

تحية من شعب مصر

سيادة الرئيس :

يسعدنى أن أجتمع بكم مرة أخرى لاستئناف جهودنا فى انماء التعاون التام بين بلدينا ، والمساهمة فى خدمة قضية السلام العالمي وتفاهم الشعوب • كما يسعدنى أن أزور بلادكم العظيمة وأن أقف بنفسى على المظاهر المختلفة لنهضتها الفتية ، وأن أحمل معى من الشعب المصرى تحية مقرونة بأصدق تمنياته للشعب اليوغوسلافي وقادته



تأميم قناة السويس

القناة لنا

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ، باسم الامة فى المؤتمر الشعبى المنعقد بالاسكندرية فى ٢٦ يوليو لسنة ١٩٥٦ ان اموالنا وحقوقنا ردت الينا ، وان مصر ستبنى السد العالى معتمدة بعد اليوم على سواعد ابنائها ، وعلى اتحادهم ودمائهم واعلن قائد الثورة فى المؤتمر الشعبى الاكبر بالاسكندرية اخطر قرار تاريخى يرد به على الاعيب واساليب الغرب فيما يتعلق بتمويل مشروع السدالعالى ، وهو صدورقرار رئيس جمهورية مصر بتأميم شركة قناة السويس ، فينقل الى الدولة ما لها من أموال وحقوق ، وما عليها من التزامات ، مع تعويض المساهمين وحملة حصص التأسيس عما يملكون بقيمتها كآخر اقفال ، وتجميد اموال الشركة وحقوقها فى جمهورية مصر والخارج

وفى الوقت الذى كان الرئيس العظيم يعلن فيه قرار التأميم، كان رجال الهيئة المصرية التى ألفت لادارة الشركة ، يتسلمون بالفعل منشآت الشركة ومرافقها المختلفة .

وفيما يلى نص الخطاب الخطير الذى تحدث فيه الرئيس جمال عبد الناصر عنقصة المفاوضات، ثم الاسلحة ، ثم مشروع السد العالى ومراحل تمويله ، والاتصالات الخاصة بين البنك الدولى وامريكا وبريطانيا .

أيها المواطنون : نحتفل اليوم باستقبال العيد الخامس للثورة ، واستقبال السنة الخامسة للثورة ، بعد أن قضينا أربع سنوات نكافح ، ونجاهد ، ونقاتل ، للتخلص من آثار الماضي البغيض ، وللتخلص من آثار الاستعمار الذى استبد بنا قرونا طويلة ، وللتخلص من آثار الاستبداد ، وللتخلص من آثار الاستغلال الاجنبى والاستغلال الداخلى

اننا اليوم ، أيها المواطنون ، ونحن نستقبل العام الخامس للثورة ، نستقبله أشد عزما ، وأمضى قوة ، وأشد ايمانا ،

نعم أيها المواطنون ، لقد اتحدنا ، وثرنا ، وكافحنا ، وقاتلنا ، وجاهدنا ، وانتصرنا

واليوم ، ونحن نتجه الى المستقبل ، بعد سنوات أربع من الثورة ، نتجه بقوة وعزم وايمان ، نعتمد على الله ، ونعتمد على أنفسنا ، نعتمد على الله وعلى عزيمتنا ، نعتمد على الله وعلى قوتنا ، من أجل تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها هذه الثورة .. من أجل تحقيق هذه الاهداف التى جاهد من أجلها الآباء ، والتى كافح من أجلها الاجداد ، نتجه الى المستقبل ، ونحن نشعر بأننا سننتصر بعون الله ، انتصارات متتالية ، انتصارات متتابعة ، من أجل تثبيت مبادىء العزة ، ومن أجل تثبيت مبادىء الحرية ، ومن أجل تثبيت مبادىء الكرامة ، ومن أجل اقامة دولة مستقلة ، استقلالا حقيقيا ، لا استقلالا زائفا ، استقلالا سياسيا ، واستقلالا اقتصاديا

أيها المواطنون : حينما نتجه الى المستقبل نشعر أن معاركنا لم تنته ، فليس من السهل أبدا أن نبنى أنفسنا فى وسط الأطماع الدولية المتنافرة ، والاستغلال الدولى ، والمؤامرات الدولية ، ليس سهلا أبدا أن نبنى أنفسنا ، نبنى وطننا ، ونحقق استقلالنا الاقتصادى .. أمامنا أيها الاخوة معارك طويلة ، لنعيش أحرارا ، لنعيش كرماء ، لنعيش أعزاء

اليوم ، أيها الاخوة ، وجدنا الفرصة ، ووضعنا أساس العزة ، ووضعنا أساس الحرية ، ووضعنا أساس الكرامة ، سنتجه أيها الاخوة دائما الى المستقبل لنثبت هذه العزة ولنثبت هذه الحرية ، ولنثبت هذه الكرامة

وضعنا اليوم مبادىء من أجلنا ، من أجل مصر ، ووضعنا مبادىء ننادي بها فى السياسة العالمية والسياسة الدولية ، من أجل حرية الانسان ، ومن أجل رفاهية الانسان ، ولابد أن نجد الفرصة لنشر هذه المبادىء ، سنتجه قدما الى

الامام ، نؤيد الحرية ونؤيد التحرير ، نقاوم الاستعمار واعوان الاستعمار

أمامنا أيها الاخوة ، معارك طويلة مستمرة من أجل تحقيق المبادىء التى آمنا بها ، والتى آمن بها كل فرد من أبناء هذا البلد ، هذه المعارك لم تنته ، ولن تنتهى ، ويجب أن نكون دائما على حذر ، وعلى حيطة من الاعيب المستعمرين واعوان المستعمرين

حاول الاستعمار ، بكل وسيلة من الوسائل ، أن يضعضع قوميتنا ، وأن يضعف عروبتنا ، وأن يفرق بيننا ، فخلق اسرائيل صنيعة الاستعمار

فى الايام الماضية استشهد اثنان من أخلص أبناء مصر لمصر ، اثنان أنكرا ذاتهما ، وكانا يكافحان ، ويجاهدان ، فى سبيل تحقيق غرض اسمى .. فى سبيل تحقيق غرض كبير ، فى سبيل تحقيق المبادىء والمثل العليا ، من أجلكم ، ومن أجل مصر ، ومن أجل العرب

كان كل منهما يؤمن بقوميته وبعروبته ، وبمصريته ، وكان يعتبر انه يستطيع أن يقدم روحه ودمه فداء لهذا الايمان ، وفداء لهذه المبادىء

مصطفى وصلاح

من أيام قليلة ماضية ، استشهد اثنان من أعز الناس الينا ، بل من أخلص الناس لنا ، استشهد مصطفى حافظ قائد جيش فلسطين ، وهو يؤدى واجبه من أجلكم ، ومن أجل القومية العربية ، مصطفى حافظ الذى آلى على نفسه أن يجرد جيش فلسطين ، وأن يبعث جيش فلسطين وان يبعث اسم فلسطين ، فهل سها عنه أعوان الاستعمار ، هل سهت عنه اسرائيل صنيعة الاستعمار

أبدا ، انهم كانوا يجدون فى مصطفى حافظ تهديدا مباشرا لهم ، وتهديدا مباشرا لاطماعهم ، وتهديدا مباشرا ضد

المؤامرات التى كانوا يحيكونها ، ضدكم وضد قوميتكم ، وضد عروبتكم ، وضد العالم العربى ، فاغتيل مصطفى حافظ بأخس أنواع الاغتيال والخداع

اغتيل مصطفى حافظ ، ولكن هل يعتقدون انهم بقتل مصطفى حافظ ، لن يجدوا من يحل محل مصطفى حافظ ؟.. انهم سيجدون فى مصر وبين ربوع مصر ، جميع المصريين ، كل منهم يحمل هذه المبادىء ، ويؤمن بهذه المبادىء

أما صلاح مصطفى ، اخوكم ، أخى الذى قام معى فى ٢٣ يوليو ، قام يجاهد من أجل مصر ، وهو يؤمن بالمبادىء والمثل العليا، صلاح مصطفى، قام وهو يؤمن بكم، وبحريتكم وبعزتكم ، وبكرامتكم فى ٢٣ يوليو ، ولكنه آثر أن يكافح ويجاهد فى صمت وسكون ، ولم يكن أحد منكم يعرف من هو صلاح مصطفى .. وماذا عمل صلاح مصطفى .. وماهو دور صلاح مصطفى فى ثورة ٢٣ يوليو

آثر صلاح مصطفى ان يكافح ويجاهد ، وهو يؤمن بأنه قد وهب نفسه وروحه ودمه فى سبيلكم وفى سبيل مصريتكم وفى سبيل مبادئكم ، ومثلكم ، كان يؤمن بأنه قد وهب روحه، ونفسه ، ودمه ، فى سبيل القومية العربية ، وفى سبيل الوطن العربى ، فاذا كانوا اغتالوا صلاح مصطفى وقتلوه بأبشع أساليب الغدر والخيانة ، اذا اغتالوا صلاح مصطفى بهذه الوسائل التى كانوا يستعملونها قبل سنة ١٩٤٨ ، فأنا أشعر ان العصابات التى تحولت الى دولة ، تتحول اليوم مرة اخرى الى عصابات ، هذا يبشر بالخير أيها المواطنون ، ان اسرائيل اليوم بدأت تتبع أساليب العصابات التى كانت تتبعها سنة ١٩٤٨ ، ان يوم النصر قريب

انهم اذا كانوا يعتقدون انهم بقتل صلاح مصطفى والتخلص من مصطفى لن يجدوا فى مصر امثال صلاح مصطفى ، فانهم واهمون ، اذا كانوا يعتقدون انهم بهذه الاساليب

الغادرة ، يستطيعون أن يبثوا الرعب فى نفوسنا ، أو فى نفوس الامة العربية ، فانهم واهمون ، فكلنا نعمل من أجل هذه المبادىء العليا ، والمثل ، وكلنا نعمل من أجل قوميتنا، وعروبتنا ، ولنحمي أنفسنا من الاستعمار ، وأعمال الاستعمار ، واسرائيل صنيعة الاستعمار ، كلنا سنجاهد ، وسنكافح ، كلنا سنفدى أرضنا بأرواحنا ، وبدمائنا

هذه أيها المواطنون هى المعركة التى نسير فيها ، هذه أيها المواطنون المعركة التى نخوضها الآن ، معركة ضد الاستعمار ، وضد وسائل الاستعمار ، معركة ضد اسرائيل صنيعة الاستعمار ، التى خلقها الاستعمار .. ليقضى على قوميتنا كما قضى على فلسطين . قضوا على فلسطين ، وسندوا اسرائيل بالعصابات ، وقووا اسرائيل، لكى يقضوا علينا ، ويحولونا الى دولة من اللاجئين وشجعوا اسرائيل حتى تعلن على الملا أن أرضها المقدسة تمتد من النيل الى الفرات

الوطن العربى

نحن نشعر بهذا الخطر ، وسندافع عن قوميتنا ، كلنا سندافع عن عروبتنا ، كلنا سنعمل حتى يمتد الوطن العربى من المحيط الاطلسى الى الخليج الفارسى

أيها المواطنون :

ان القومية العربية تتقدم ، ان القومية العربية تنتصر ، ان القومية العربية تسير الى الامام ، وهى تعرف طريقها ، ان القومية العربية تشعر من هم أعداؤها ومن هم أصدقاؤها .. ان القومية العربية تعلم أن وجودها فى اتحادها وأن قوتها فى قوميتها

وأنا اليوم ، أيها المواطنون ، أتجه الى اخوان لكم فى سورية العزيزة ، سورية الشقيقة ، وقد قرروا وأعلنوا

أن يتحدوا معكم اتحادا حرا ، كريما ، عزيزا سليما ، لندعم سويا مبادىء الحرية ، ومبادىء العزة ، ومبادىء الكرامة ولنرسى سويا الوحدة العربية

اننى اليوم أقول لاخوان لكم فى سورية ، باسمكم : اننا نرحب بكم أيها الاخوة ، فقد قلتم فى دستوركم أنكم جزء من الامة ، وقلنا فى دستورنا اننا جزء من الامة العربية ، وسنسير معا ، أيها الاخوة ، متحدين يدا واحدة وقلبا واحدا ، ورجلا واحدا ، لنرسى مبادىء العزة الحقيقية ، ولنقيم بين ربوع الامة العربية استقلالا سياسيا حقيقيا ، واستقلالا اقتصاديا حقيقيا

العالم ومصر

أيها المواطنون : منذ أعلنت مصر سياستها الحرة المستقلة وبدأ العالم ينظر الى مصر ، ويعمل لها حسابا ، وكانوا من قبل لا يقيمون لنا وزنا ، ولا يحسبون لنا حسابا ، أصبحوا اليوم يحسبون حسابنا ، وبدأوا يحسبون للعرب حسابا ، وللقومية العربية حسابا ، كنا فى الماضى « نتلطع » على مكاتبهم ومكاتب المندوب السامى والسفير البريطانى ، واليوم ، بعد تحقيق حريتنا السياسية ، وبعد اعلان مبادئنا وتكاتفنا ، واقامة جبهة وطنية متحدة من جميع أبناء هذا الشعب ، ضد الاستعمار وضد الطغيان ، وضد التحكم والسيطرة والاستغلال والتدخل الاجنبى ، يعملون لنا حسابا ، ويعلمون أننا الآن دولة لها قيمتها تستطيع أن تفعل ما تريد

اليوم ، قيمة مصر فى المجال الدولى كبرت ، وقيمة العرب فى المجال الدولى كبرت ، وعظمت . وعلى هذا الاساس أيها الاخوة تم مؤتمر بريونى

مباحثات بريونى

سافرت لاجتمع بالرئيس تيتو رئيس وزراء يوغوسلافيا والرئيس نهرو رئيس وزراء الهند ، الاثنين اللذين أعلنا سياسة عدم الانحياز .. السياسة الحرة المستقلة

وزرت وانا ذاهب الى بريونى يوغوسلافيا ، والتقيت بالشعب اليوغوسلافى ، ووجدت ولمست صداقة الشعب اليوغوسلافى للشعب المصرى ، وتقدير الشعب اليوغوسلافى للشعب المصرى

واتجهت الى بريونى ، وبدأنا نبحث الوسائل ونتبادل الراى فى المشاكل العالمية وفى مشاكلنا

مبادىء باندونج العشرة

وانتهى مؤتمر ريونى بانتصار كبير للسياسة التى تتبعها مصر ، وهى سياسة عدم الانحياز ، انتصار كبير للقضايا العربية ، واعلنت فى المجالات الدولية

فقد قرر مؤتمر بريونى اتباع مبادىء باندونج العشرة ، وقال فى القرار الذى أصدره أن رؤساء الحكومات الثلاث : يوغوسلافيا والهند ومصر ، استعرضوا التطورات الدولية وادى تشابه نظرتهم للمشاكل الدولية الى التعاون الوثيق بينهم كما لاحظوا باغتباط أن السياسات التى تتبعها دولهم قد ساهمت الى حد فى تخفيف التوتر الدولى وفى انماء العلاقات بين الدول على أساس المساواة

وبعد هذا أصدر المؤتمر قرارا بأن مؤتمر باندونج الذى عقد فى العام الماضى ، قد أقر مبادىء معينة يجب اتخاذها اساسا للعلاقات الدولية ، ويؤكد رؤساء الدول الثلاث من جديد هذه المبادىء العشرة التى لقيت دائما التأييد من جانبهم ، وهم يدركون ان النزاع والتوتر الدولى قد أديا الى ما يسود العالم من مخاوف فى الحاضر والمستقبل ، وطالما

ظلت هذه المخاوف تسيطر على العالم فانه لا يمكن ارساء السلام على قواعد ثابتة

مبادىء باندونج العشرة التى تقررت فى العام الماضى تقول :

من الطبيعى أن يكون لجميع الامم الحق فى أن تختار بحرية نظمها السياسية والاقتصادية وطريقة حياتها وفقا لاغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، والتحرر من الشك والخوف . وبالثقة وحسن النية المتبادلين، يجب على الامم أن تمارس التسامح وتعيش معا فى سلام ، يجب على الامم أن تعيش جيرانا صالحين ، يعملون لتمثيل التعاون الصادق على الاسس الآتية وعلى أسس مؤتمر باندونج

المبادىء العشرة

١ ــ احترام حقوق الانسان الاساسية ، واغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة

٢ ــ احترام سيادة جميع الامم وسلامة اراضيها

٣ ــ الاعتراف بالمساواة بين جميع الاجناس وبين جميع الامم كبيرها وصغيرها

٤ ــ الامتناع عن اى تدخل فى الشئون الداخلية لبلد آخر

٥ ــ احترام حق كل أمة فى الدفاع عن نفسها انفراديا أو جماعيا

٦ ــ الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لاية دولة من الدول الكبرى

٧ ــ امتناع اى بلد عن الضغط على غيره من البلاد

٨ ــ تجنب الاعمال أو التهديدات العدوانية أو استخدام العنف ضد السلامة الاقليمية ، أو الاستقلال السياسى ، لاى بلد من البلاد

٩ ــ تسوية جميع المنازعات الدولية بالطرق السلمية

١٠ ـ تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل واحترام العدالة والالتزامات الدولية

هذه هى المبادىء التى أقرها مؤتمر باندونج للعلاقات بين الدول حتى لا تستخدم الدول الكبيرة الدول الصغرى ألعوبة فى يدها تستخدمها كمخلب للقط تنفذ بهاسياستها من أجل السيطرة والنفوذ

هذه المبادىء التى أقرها مؤتمر باندونج ، أعاد مؤتمر بريونى تأكيدها وأعلن تمسكه بها وأن هذه المبادىء يجب أن تكون أساس العلاقات بين الدول

ثم تحدث الرئيس عن مؤتمر بريونى فى زيارته الى يوغوسلافيا وعن مشكلة الجزائر ، وعن الاستقلال الاقتصادى والسياسى ، وعن قصة السد العالى وما حدث من مناقشات بينه وبين أمريكا وانجلترا والبنك الدولى ، ثم انتقل الى ما يلى :

ذكرت دى لسبس

ولما قررنا تأجيل مشروع السد العالى تكلموا هم وطلبوا التنفيذ ، لما وصل بلاك مدير البنك الدولى وقال اننا بنك دولى وليس بنكا سياسيا وليس لى دعوة بأمريكا ولا أقول الا الرأى الذى أومن به ، فقلت له ان مجلس الادارة يتألف من الدول ، فهو على هذا الاساس بنك سياسى ، وكنت أنظر الى مستر بلاك وأتصور أن الذى يجلس أمامى فرديناند دى لسبس . . عادت بى الذاكرة الى الكلام الذى كنا نقرأه من عام ١٨٥٤ حينما وصل الى مصر وذهب الى الخديو وقال له نريد حفر قنال السويس الذى سيفيدك ، وهو مشروع سيعود على مصر بالكثير ، وكان كلما قعد بلاك يتكلم أحس بالعقد فى كلامه ، ويعود بى التفكير الى دى لسبس ، وقلت له اننا لا نريد أن نعيد كرومر آخر الى مصر ، فأرجو منك فى كلامك معى أن تضع هذا الاعتبار فى نفسك . . لدينا عقدة من كرومر ومن دى لسبس . هذه هى صورة دى لسبس حينما وصل الى مصر فى ٧ نوفمبر ١٨٥٤ ، جاء الى الاسكندرية وبدأ يعمل فى ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ بعد اتصاله

بالخديو محمد سعيد ، حصل على امتياز القنال ، وفى صدرالامتياز قال حيث أن صديقنا دى لسبس لفت نظرنا الى الفوائد التى تعود على مصر من اتصال البحرين وأخبرنا عن تكوين شركة من أصحاب رؤوس الاموال أعطيناه التفويض بحفر القناة

القناة لنا

هذا كان فى عام ١٨٥٤ من مائة سنة تكونت الشركة وأخذت منها مصر ٤٤ فى المائة من الاسهم والتزمت بالتزامات الشركة ، تعهدت بتقديم العمال لسخرة ١٢٠ ألف عامل ماتوا فى حفر القناة .. حفرت القناة بجماجمنا وعظامنا ودمائنا ودفعنا تعويضات لدلسبس ، وكان المفروض أن نأخذ ١٥ فى المائة من الارباح فوق ٤٤ فى المائة من الاسهم فتنازلنا عنها . وبعد أن كانت القناة محفورة للخديو أصبحت مصر ملكا للقناة · هل خضعت القناة لقوانين البلاد وعرفها ؟ كلا بل انها تعتبر نفسها دولة داخل الدولة . المنازعات تختص بالفصل فيها المحاكم المصرية ويفض فيها طبقا للقوانين المصرية ، فكانت نتيجة كلام دى لسبس للخديو سنة ١٨٥٦ والصداقة والديون .. احتلال مصر سنة ١٨٨٢ . وقد ادينت مصر واضطرت الى بيع نصيبها ، الـ ٤٤ فى المائة من الاسهم ، فاشترتها انجلترا بمبلغ ٤ مليون جنيه وتنازل اسماعيل أيضا عن الارباح ، أن انجلترا حصلت مجانا على ٤٤ فى المائة من الاسهم

هل يعيد التاريخ نفسه بالخداع والتضليل ؟ وهل يكون الاستغلال والتحكم الاقتصادى سببا فى القضاء على حريتنا السياسية ؟ لا يمكن مطلقا ايها الاخوة .. فنحن لا نكرر الماضى ، نحن نقضى على الماضى ، نحن نبنى بلدنا بناء سليما جديدا ونتجه للقضاء على آثار الماضى البغيض التى حدثت رغما عنا خداعا وتضليلا

قناة السويس التى ضحينا فيها ، قناة مصرية .. شركة مصرية .. اغتصبت بريطانيا حقنا فيها ، ومازالت بريطانيا من وقت افتتاح القناة تتلقى الفوائد والجميع يأخذون ، ومع ذلك فهى شركة مساهمة مصرية .. أن دخل القناة ٣٥ مليون جنيه اى ١٠٠ مليون دولار ،تأخذ منها مصر ــ التي مات من أبنائها ١٢٠ ألف عامل ــ مليون جنيه أى ٣ مليون دولار ، الشركة التى قامت حسب الفرمان من أجل مصلحة مصر ، والدخل يذهب لهم طبعا . العيب أن تمتص دماء الشعوب لا أن تقترض من أجل البناء . اننا لن نكرر الماضى أبدا ، ولكن نستعفى عليه ، ستعاد حقوقنا فى قناة السويس

هذه القناة ملك لمصر ، فهى شركة مساهمة مصرية ، حفرت بواسطة المصريين ، ١٢٠ ألف مصرى ماتوا أثناء حفرها .. هـذه الشركة التى مقرها باريس ، مغتصبة مثل دى لسبس ، مثل بلاك عندما جاء .. سنبنى السد العالى .. سنبنيه وسنحصل على حقوقنا ، سنبنيه كما نريد ، وسنصمم على هذا وان ٣٥ مليون جنيه كل عام تأخذها شركة القناة سنأخذها نحن

١٠٠ مليون دولار تحصلها القناة كل سنة سنحصلها نحن لمنفعة مصر ، ولهذا ونحن اليوم حينما نشرع فى بناء السد العالى فاننا نبنى أيضا سد العزة والحرية والكرامة ، ونقضي على سدود الذل والهوان ، ونعلن أن مصر كلها جبهة واحدة ، كتلة واحدة متكاتفة ، وسنقاتل لآخر قطرة من دمائنا، كصلاح مصطفى ومصطفى حافظ ، فى سبيل بناء بلدنا لن نلجأ الى تجار الحروب ، سنعتمد على سواعدنا وعلى دمائنا ، فنحن أغنياء .. كنا متهاونين فى حقوقنا أما اليوم فسنسترد هذه الحقوق خطوة خطوة ، وسنبنى مصر القوية .. مصر العربية .. وقد وقعت اليوم ووافقت الحكومة على القانون الآتى :

قرار من رئيس الجمهورية
بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس

باسم الامة رئيس الجمهورية

مادة ١ — تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية الى شركة مساهمة مصرية ، وينتقل الى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حاليا على ادارتها ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكون من أسهم وحصص بقيمتها المقدرة عند صدور هذا القانون ويتم هذا التعويض بعد استلام الدولة لجميع مهمات الشركة المؤممة

مادة ٢ — يتولى ادارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية وتلحق بوزارة التجارة ويصدر بتشكيل هذه الهيئة قرار من رئيس الجمهورية ويكون لها جميع السلطات دون التقيد بالنظم والاوضاع الحكومية . ومع عدم الاخلال برقابة ديوان المحاسبة يكون لها ميزانية مستقلة ، وتبدأ الميزانية فى اول يوليو

مادة ٣ — تجمد أموال الشركة وحقوقها فى جمهورية مصر والخارج ، ويحظر على البنوك والهيئات والافراد التصرف فى تلك الاموال فى اي وجه من الوجوه او صرف اى مبالغ أو أداء أية مطالبات أو مستحقات عليها الا بقرار من الهيئة المنصوص عليها فى المادة الثانية

مادة ٤ — تحتفظ الهيئة بجميع موظفى الشركة المؤممة ومستخدميها وعمالها الحاليين وعليهم الاستمرار فى اداء اعمالهم ولا يجوز لاى منهم ترك عمله او التخلى عنه باى وجه من الوجوه ، او لاى سبب من الاسباب الا باذن من الهيئة المنصوص عليها فى المادة الثانية

مادة ٥ ـ كل مخالفة لاحكام المادة الثالثة يعاقب مرتكبها بالسجن وبغرامة توازى ثلاثة أمثال قيمة المال موضوع المخالفة . وكل مخالفة لاحكام المادة الرابعة يعاقب مرتكبها بالسجن فضلا عن حرمانه من أى حق فى المكافأة أو المعاش أو التعويض

مادة ٦ ـ ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية ويكون له قوة القانون ويعمل به من تاريخ نشره ولوزير التجارة اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه

يبصم هذا القرار بخاتم الدولة وينفذ كقانون من قوانينها

أيها المواطنون :

اننا لن نمكن منا المستعمرين أو المستبدين ، ولن نقبل أن يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى ، سنبنى مصر بناء قويا متينا ونتجه الى الامام ، نحو استقلال سياسى واستقلال اقتصادى ونحو اقتصاد قومى من أجل الشعب واذا التفتنا الى الخلف فلنهدم آثار الماضى .. آثار الاستعباد والاستغلال والسيطرة

واليوم ، وقد عادت الحقوق الى أصحابها ، بعد مائة سنة ، انما نحقق التحرر الحقيقى من روح السيادة لقد كانت قناة السويس دولة داخل الدولة ، تعتمد على مؤامرات الاستعمار وأعوانه . لقد بنيت القناة من أجل مصر ولكنها كانت منبعا للاستغلال وليس عيبا أن أكون فقيرا ولكن العيب هو امتصاص الدماء

اليوم سنعيد هذه الحقوق وأقول باسم شعب مصر اننا سنحافظ على هذه الحقوق ودونها دماؤنا وأرواحنا

وقد كانت قناة السويس صرحا من صروح الاستبداد ، واليوم هذه أموالنا ردت الينا ، هذه حقوقنا عادت الينا

ودخل قناة السويس ٣٥ مليون جنيه فى السنة أى ١٠٠ مليون دولار ، وعلى ذلك فلن ننظر الى المعونة الامريكية التى كانت ٧٠ مليونا فقط

اليوم ، بعرقنا ودموعنا وأرواح شهدائنا وجماجمهم نستطيع أن نحمى هذا البلد وسنعمل وننتج ونزيد فى الانتاج برغم كل المؤامرات وكل ما يصدر من كلام من واشنطن. سأقول لهم موتوا بغيظكم ، فهم لا يريدون أن نكون دولة صناعية حتى لا تبور تجارتهم عندنا

لم أر معونة أمريكية متجهة الى التصنيع ، ولكن كل معونة متجهة الى الاستغلال ، نحن نشعر اليوم أننا أصلب عودا واشد عزما وقوة وايمانا . اليوم نشعر مع استعادة القناة ، كما طردنا فاروق ، أننا نحقق أمجاداً لمصر .. سنتجه قدما الى الامام ، شعب واحد يؤمن بنفسه وقوته ، وآلى على نفسه أن يعمل ويزحف زحفا مقدسا نحو البناء والتصنيع والانشاء ، كتلة متراصة تقف ضد الغدر والاستعمار ، سنفعل مانريد لاشريك لنا ، وحينما نسترد حقوقنا المغتصبة سنزداد قوة ، وسيزداد أنتاجنا وعملنا

والآن أيها المواطنون ، يتجه اخوة لكم من أبناء مصر لادارة القنال ، الآن فى هذه اللحظة ، يتسلمون شركة القناةالمصرية ويديرون ملاحتها وهى جزء من مصر ، نقوم بهذا العمل لنستعيض الماضى ونبنى العزة والكرامة وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

فى الاعتداء على مصر...

سنقاتل ٠٠ولن نسلم

وفى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٥٦ هاجمت اسرائيل الحدود المصرية ، فردتها مصر وأوقعت بها هزيمة منكرة . ولم تمض على ذلك أربع وعشرون ساعة حتى بعثت انجلترا وفرنسا انذارا مشتركا الى الحكومة المصرية طلبتا فيه وقف جميع الاعمال الحربية وسحب قوات مصر واسرائيل الى مسافة عشرة أميال من قناة السويس ، وأن تقبل مصر احتلال القوات البريطانيـــة والفرنسية المواقع الرئيسية فى بور سعيد ، والاسماعيلية ، والسويس ، وأن تجيب هذه المطالب خلال ١٢ ساعة من تسلم الانذار ، والا نفذت الدولتان بالقوة ماورد فى هذا الانذار

وقد رفضت مصر هذا الانذار الظالم ، وأبلغت الدولتين انها ستدافع عن حقوقها وحريتها ضد هذه المؤامرة العدوانية الثلاثية . وما كادت تمضى هـــذه المدة حتى اعتدت الطائرات البريطانية والفرنسية على الاراضى المصرية

وفى هذه الاثناء اذاع الرئيس بالراديو البيان الآتى على الشعب المصرى :

أيها المواطنون

السلام عليكم ، فى هذه الاوقات الحاسمة ، من تاريخ وطننا ، أتحدث الى كل فرد منكم ، وفى هذا الوقت ، يتجه تفكيرنا جميعا ، الى الوطن وسلامته وشرفه وكرامته ، فاما ان نحيا حياة حرة شريفة كريمة ، أو نحيا حياة ذليلة . وانا أشعر واحس ان كل واحد منكم يريد ان يعيش حياة يتمتع فيها بالحرية والشرف والكرامة

ان الحياة الذليلة هى العبودية ، وان الموت خير من الذل

أيها الاخوة : لنفكر جميعا اليوم فى وطننا . فى مصر ، وليكن

هدف كل منا ان يحيا حياة شريفة كريمة ، هذه هي سياستنا التي اعلناها ، وهذه هي اهدافنا التي آمنا بها : حياة حرة شريفة كريمة

لقد اعلنت مصر سياستها الحرة المستقلة التي تنبع منها ، وصممت على أن تسير في هذه السياسة ، وكان كل ذلك من اجل هدف اكبر ، هو اقامة حياة تسودها الرفاهية لجميع أبناء الوطن ولكن هل تركنا الاستعمار نفعل من أجل هذا الهدف الكبير ؟ !

كان الاستعمار لنا دائما بالمرصاد .. كان الاستعمار يريد منا أن نكون اذلاء تابعين نحيا حياة جردت من الشرف ، ومن الكرامة

كنا ننادي بالسلام ، وكنا نقول اننا نعمل من أجل رفاهية مصر ، ولكن الاستعمار كان يريد منا ان نعمل من اجل اهدافه وان نعمل من اجل تنفيذ سياسته ..

كنا نقول اننا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا ، وليست لنا أية نوايا عدوانية .. كانت هذه هي سياستنا الواضحة . وكانت هذه هي اهدافنا التي اعلناها ..

ولكن هل تخلت انجلترا عن حقدها ؟ وهل تخلت عن مكرها ؟ لقد كانت انجلترا دائما تقف لمصر بالمرصاد ..

ووقف لها في ايام محمد علي ، حينما وجدت ان قواتها المسلحة ، اصبحت قوية ، وان قواتها المسلحة اصبحت عاملا في القضاء على النفوذ البريطاني

وتآمرت بريطانيا على مصر ، واستطاعت في هذا الوقت أن تنزل بمصر ضربة ، حينما قضت على اسطولها في معركة « نفارين »

وبعد هذا في سنة ١٨٨٢ ، لم تقبل انجلترا ان تنهض مصر وان تخلق لنفسها شخصية قوية ، فتآمرت عليها ، واستطاعت بالخديعة أن تثبت أقدامها هذا هو التاريخ ، تاريخنا في الماضي

واليوم ، بعد ان اصبحت مصر كتلة واحدة متحدة متآخية متماسكة متساندة .. هل سيعيد التاريخ نفسه ؟

ان ماحدث فى الماضى ، كان بسبب الانقسام والتفرقة والتخاذل ... اما اليوم ، فنحن نقابل هذه المؤامرات ،كتلة واحدة ، وقلبا واحداً ، ورجلا واحداً ..

لقد بدأت هذه المؤامرات ، بمؤامرة انجلترا وفرنسا واسرائيل ، بهجوم اسرائيل الفجائى يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر ، بدون اى سبب الا التآمر ، والا حقد بريطانيا

وقامت قواتنا المسلحة بتأدية واجبها ببسالة كبيرة ، فقام سلاحنا الجوى بتأدية واجبه ببسالة خالدة فى تاريخ وطننا

وحينما هجمت اسرائيل ، أعلنت بريطانيا انها لن تستغل الفرصة .. ولكن حينما ظهر ان مصر استطاعت ان تسيطر على ارض المعركة ، وحينما تبين لانجلترا ، ان السلاح الجوى المصرى استطاع ان يسيطر على سماء المعركة . بدأت فى اظهار نواياها

وفى يوم ٣٠ أكتوبر ، قدم الينا انذار بريطانى فرنسي يطلب وقف القتال .. وقف القتال ، والقوات الاسرائيلية المعتدية لاتزال فى داخل الاراضى المصرية .. ويطلب من مصر ومن اسرائيل ، الانسحاب عشرة اميال من قناة السويس .. ويطلب من مصر ، ومن اسرائيل ايضا ، قبول احتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس بواسطة القوات المسلحة البريطانية الفرنسية من اجل حماية الملاحة فى القناة .!

حدث هذا ، فى وقت كانت الملاحة فيه مستمرة ، ولم تهدد اطلاقا .. وحدث هذا ، فى وقت كانت القوات المصرية تحتشد لمقابلة القوات الاسرائيلية المعتدية ، وكانت القوات المصرية ترد القوات الاسرائيلية على اعقابها

وقالت بريطانيا فى انذارها : « اذا لم يصل الرد فى ١٢ ساعة ، فانها ستعمل على تنفيذ ذلك .. »

هل نقبل احتلال بريطانيا وفرنسا لقطعة من ارض مصر ؟ هل نقبل راضين هذا الاحتلال ؟ او هل نقاتل فى سبيل حرية وطننا ، وفى سبيل سلامة اراضينا ، وفى سبيل الشرف وفى سبيل الكرامة ؟

وأعلنت مصر بعد هذا الانذار موقفها .. انها لايمكن أن تسمح ، ولا يمكن ان تقبل ، ولا يمكن ان توافق على احتلال بورسعيد ، والاسماعيلية ، والسويس بقوات أجنبية ، بريطانية فرنسية

وأعلنت مصر أن هناك انتهاكا لحريتها .. لحرية الشعب المصرى وسيادته وكرامته

واعلنت اسرائيل ، حليفة بريطانيا وحليفة فرنسا ، انها وافقت على هذه الشروط !.

طبعا .. اسرائيل توافق ان تنسحب عشرة أميال من القناة ، وهى بعيدة جدا عن القناة !

وهذا سينصب على مصر

.. وقف القتال ، اسرائيل توافق عليه طبعا لانها المعتدية . وكانت قواتنا منتصرة ، وترغمها على الارتداد ..

واحتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس ! اسرائيل توافق عليه طبعا لان اسرائيل كانت هى الدولة الوحيدة التى عارضت فى جلاء بريطانيا عن منطقة قناة السويس

أبلغنا مجلس الامن ، ومجلس الامن عقد جلسة ، ولكن بريطانيا وفرنسا استهانتا بجميع القوانين الدولية ، واستهانتا بميثاق الامم المتحدة ، واستهانتا بالرأى العام العالمى ، واعترضتا على قرار بوقف القتال ، وقال ايدن ان بريطانيا لاتعترف بقرارات مجلس الامن وستعمل ما فى وسعها كى لاتعتبر اسرائيل معتدية ، لان عملها من احسن الاعمال .!

وقد لا يستطيع مجلس الامن أن يصل الى قرار

وامس ، ٣١ اكتوبر ، كانت قواتنا متفوقة تفوقا ساحقا ،

كان سلاحنا الجوى متفوقا على السلاح الجوى الاسرائيلى تفوقا ساحقا . . وأنا متأكد أن جميع البلاغات الحربية المصرية التى صدرت كانت سليمة ، فسياستنا أن نبين لكم الحقائق جميعا ، لان هذه المعركة معركتكم

الحقائق . . مالنا وما علينا . كانت خسائر اسرائيل فى الجو حتى أمس ١٨ طائرة ، وكانت خسائرنا طائرتين

وقواتنا التى كانت موزعة وحشدت لتقابل العدوان الاسرائيلى ، استطاعت بسرعة فائقة ان تتجمع لمقابلة هذا العدوان

وامس ظهرت طائرات فرنسية تساند اسرائيل وبرغم هذا ، فان قواتنا أبلت بلاء حسنا ، وسيطرت قواتنا الجوية على سماء المعركة

وفى الساعة السابعة من مساء أمس ، بعد هذا النجاح لقواتنا الجوية وقواتنا البرية ، أصدرت وزارة الدفاع البريطانية بلاغا بأنها ستضرب المطارات المصرية نتيجةلرفض مصر الانذار البريطانى الموجه اليها والى اسرائيل بسحب قواتهما على بعد عشرة أميال من القناة

طبعا . . هذا الكلام يظهر فيه الخداع ، فنحن رفضنا احتلال بلدنا ، لانوزارة الدفاعالبريطانية تقولانها ستضرب المطارات المصرية لان مصر رفضت سحب قواتها . . وهذا الكلام ينطوى على الكذب الصريح ، والكذب الواضح

وبدأت بريطانيا وفرنسا فى الساعة السابعة من مساء امس ، بغاراتهما الجوية على القاهرة وعلى منطقة القناة ، وعلى الاسكندرية

وكان الغرض من هذا واضحا ، كان غرضهما غارات مركزة على مطاراتنا ، كان الغرض تدمير السلاح الجوى المصرى الذى أظهر تفوقا ساحقا فى اليومين الماضيين . .

هذا السلاح الذى سيطر على المعركة ، واعجز السلاح الجوى الاسرائيلى وبهذا اتضحت خطة العدو الذى يؤلف التحالف الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى ، اتضحت الخطة وتبين أنهم كانوا يقصدون تدمير طائراتنا ، وسحب قواتنا الى داخل سيناء وعزلها وتدميرها ، ثم احتلال مصر بدون أية مقاومة

وكان لابد من اتخاذ قرار خطير .. هل نترك قواتنا على الحدود بدون حماية جوية ، لان السلاحين الجويين الانجليزى والفرنسى ، وكذلك السلاح الاسرائيلى يعملون جميعا ضد السلاح الجوى المصرى ؟

بحث الامر ، وبحث الموقف العسكرى ، وكان لابد من اتخاذ قرار حاسم حتى يمكن احباط خطط بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، وحتى يمكن المحافظة على قواتنا الرئيسية ، وحتى يمكن ان تكون القوات المسلحة دائما مساندة للشعب

كلف القائد العام للقوات المسلحة ، اللواء عبد الحكيم عامر ، بحماية قواته المسلحة ، والعمل على ان ينضم اكبر جزء منها الى الشعب ، والعمل على احباط محاولات بريطانيا وفرنسا واسرائيل فى عزل وتدمير قواتنا الرئيسية فى صحراء سيناء وبدأ أمس تنفيذ هذه الخطة

والآن أيها المواطنون ، ونحن نواجه هذا الموقف ، هل نقاتل .. أو نسلم ؟

ان تاريخ الشعوب فى الكفاح هو الذى يكتب لها المستقبل فان الايام العصيبة ، تحتاج الى مزيد من الصبر ، والثقة ، والايمان ، والثبات ، حتى يتحقق النصر

لقد اعلنت مصر دائما انها ستقاتل دفاعا عن سيادتها ، وعن حريتها ، وعن كرامتها

سنقاتل ايها المواطنون ، قوى الظلم التى تريد انتهاك

حريتنا ، سنقاتل أيها الاخوة ، فى سبيل حرية مصر وفى سبيل حرية الشعب المصرى

سنقاتل كما كنا دائما ، فى حرب شاملة جنودها الشعب .. الشعب المصرى جنبا الى جنب مع قواته المسلحة

لقد قاتلت شعوب من قبلنا ضد قوى الظلم التى تفوقها عتادا وعدة ، فانتصرت ..

قاتلت يوغوسلافيا .. قاتلت بأسلحتها الصغيرة الفرق المدرعة الالمانية ، والسلاح الجوى الالمانى ، وانتهت المانيا المعتدية ، وانتصرت يوغوسلافيا ..

قاتلت اليونان قوات تفوقها عددا وعدة ، وانتصرت اليونان ، وانتهت القوات المعتدية ..

قاتلت اندونيسيا قوات تفوقها عددا وعدة ، وانتصرت أندونيسيا ، وانتهت القوات المعتدية

والآن ان لكم اخوة فى الجزائر يقاتلون قتالا مريرا ، ضد نصف مليون جندى فرنسى فى سبيل حريتهم ، وفى سبيل كرامتهم

والآن يوجد مجاهدون فى قبرص يجاهدون ويقاتلون ضد الجيش الانجليزى وضد الجيش الفرنسى الموجودهناك الآن .. من اجل حريتهم ، ومن اجل استقلالهم

وكانت قوات منكم فى الفالوجة فى حرب فلسطين ، قد حوصرت اربعة أشهر ودافعت عن كيانها ضد القوات الاسرائيلية المعتدية ، وكنت موجودا ضمن هذه القوات ، وطلب منا ان نسلم ، وكان ردى على الضابط اليهودى الذى طلب منى ذلك : « اننا الآن ندافع عن شرف مصر وشرف القوات المسلحة المصرية »

ايها المصريون

اننا نقاتل قتالا مريرا ، ولن نسلم دفاعا عن شرف مصر ،

ودفاعا عن حرية مصر ، ودفاعا عن كرامة مصر
أيها الاخوة :

ان كل فرد منكم جندى فى جيش التحرير الوطنى

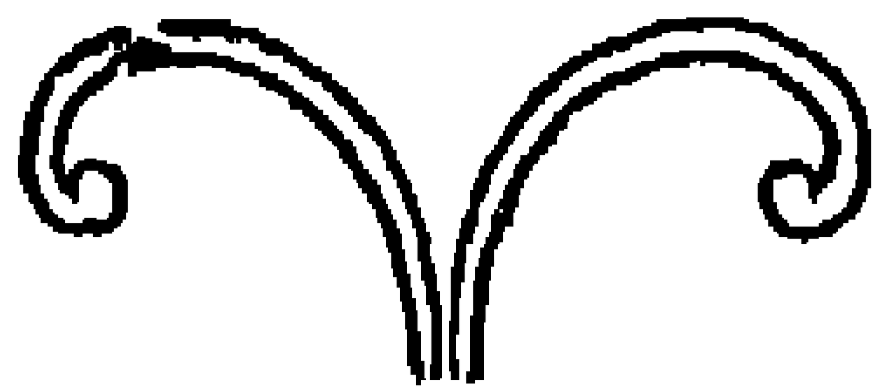
لقد صدرت الاوامر بتوزيع السلاح ، وعندنا منه الكثير ، وسنقاتل فى معركة مريرة ، سنقاتل فى معركة من قرية الى قرية ، ومن مكان الى مكان ، ليكن كل فرد منكم ايهـا المواطنون جنديا فى القوات المسلحة ، حتى ندافع عن شرفنا ، وحتى ندافع عن كرامتنا ، وحتى ندافع عن حريتنا

وليكن شعارنا اننا سنقاتل ولن نسلم .. سنقاتل ، سنقاتل ، ولن نسلم ..

اننا اليوم ايها الاخوة ، نكتب صفحة جديدة فى تاريخنا .. اننا الآن نريد الصبر والايمان حتى ننتصر

وانا أعاهدكم انى سأقاتل معكم من أجل حريتكم كمـا عاهدتكم من قبل لآخر قطرة من دمائى ..

وفقكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله



انتهى الغزاة

وبقيت مصر

مصر الظافرة

توقف العدوان على مصر فى يوم ٧ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بعد القرار الاخير لهيئة الامم المتحدة ..

ولم تشهد القاهرة من قبل مظاهر الحماسة الثائرة التى استقبل بها الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر وهو فى الطريق الى الجامع الازهر لاداء فريضة الجمعة يوم ٩ نوفمبر .. صيحات الحرب ترتفع فى كل مكان ، والجماهير تحيط بموكب الرئيس ، والشباب والشيوخ والنســـــاء والاطفال على وجوههم مظاهر الحماسة وفى قلوبهم نيران متأججة وعلى السنتهم نداء النصر ترتفع به حناجرهم الى عنان السماء .. النصر لنا .. النصر لنا.. الموت للاعداء .. الله أكبر .. الله أكبر ..

ومضت سيارة الرئيس تشق جموع الشعب حتى بلغت الجامع الازهر ، وما أن ظهر الرئيس حتى ارتفعت أصوات المصلين مهللة مكبرة ، داعين بالنصر والثأر من الاعداء

وعقب انتهاء الصلاة ، صعد الرئيس الى المنبر وألقى كلمة جامعة ، استغرقت ساعتين ، وفيما يلى نص خطاب الرئيس

أيها الاخوة :

ان العالم اليوم يعيش الساعات الفاصلة فى تاريخـــه ، العالم اليوم يعيش الساعات التى تقرر مصيره ، بل مصير الانسانية جميعا . العالم اليوم يمر بلحظة حاسمة سيتقرر فيها مصائر البشر أجمعين

العالم اليوم مهدد من اقصاه الى أدناه ، الانسانية اليوم مهددة ، هل نحن هنا فى مصر المسئولون عن هذا التهديد ، هل نحن هنا فى مصر مسئولون عما يحيط بالعالم اليوم

مصر أعلنت سياستها التى تتلخص فى محافظتها على حريتها وعلى استقلالها والتى تتلخص فى تمسكها بالسلام

نحن فى كل وقت وفى كل مكان أعلنا ، وكنت أنا اتكلم باسمكم ، كنت أنادى بالسلام فى باندونج وفى بريونى

فى مصر كنا ننادى بالسلام ، ولكننا ايضا كنا ننادى بمحافظتنا على حريتنا وعلى استقلالنا وعلى حقنا فى الحياة ، هناك فرق بين السلام والاستسلام

ان سياستنا التى أعلناها هى ان نعيش أحرارا كراما فى بلادنا ، ان سياستنا هى ان مصرنا سياستها مستقلة ، ولن نكون ذيلا لأحد ، ولن نكون تابعين لاحد ، ولن نتلقى أوامر من لندن ، ان سياستنا تنبعث من ارادتنا ومن روحنا ونريد أن نعيش عيشة حرة ، عيشة مستقلة ، وان نحيا حياة كريمة عزيزة . وكنا فى الوقت ذاته ننادى بالسلام

من المسئول عن تهديد السلام ؟

من المسئول اليوم عن هذا التهديد الذى يحيط بالعالم اجمع ؟ هل مصر هى المسئولة ؟ هل مصر الدولة الناشئة التى انتفضت لتبنى نفسها ، ولتنشىء وتعمر وتدافع عن كيانها ؟ ام المسئولون هم الطامعون الذين كانوا يريدوننا ذيلا لهم ومستعمرة لهم ، نأخذ أوامرنا منهم ، ونترك حريتنا واستقلالنا وأن نتنازل عن كرامتنا وعزتنا ؟

من المسئول اليوم عن تهديد العالم بالدمار ؟ المسئولون هم الطامعون المستعمرون تجار الحروب الذين يريدون استعباد الشعوب ، المسئولون عن التهديد بالحرب الكبرى التى قد تفنى الانسانية كلها ، هم المعتدون الذين جاءوا الى اراضينا واعتدوا على ارضنا واعتدوا على رجالنا . حاولنا بكل وسيلة ان ننقذ السلام ، وننقذ كرامتنا وعزتنا ، وان نحافظ على استقلالنا

وقلت دائما ان هناك فرقا كبيرا بين السلام والاستسلام ، فاذا كنا ننادى بالسلام فاننا ننادى بسلام مع عزة وكرامة وشرف ، اننا نحمى السلام بدمائنا ونحمى السلام بعرقنا ،

ونحمى السلام بعملنا ، ولكننا نعلم علم اليقين ماهو الفرق بين السلام والاستسلام

ان السلام أيها الاخوة أن نعيش عيشةحرة كريمة ، نتمتع فيها بحريتنا وكرامتنا وعزتنا واستقلالنا ، نتمتع فيها بأرضنا نتمتع فيها بحكم انفسنا بأنفسنا هذا هو السلام

اما الاستسلام الذى كان يريده المستعمرون فهو ان نأخذ منهم الاوامر ونكون ذيلا لهم

فرق بين السلام والاستسلام

ان مصر حينما تدافع عن حريتها وكرامتها ، فهى تعلم علم اليقين ماهو الفارق بين السلام والاستسلام ، لقد أعلنت مصر انه فى سبيل المحافظة على هذه الاهدافالكبرى ستقاتل فى سبيل السلام ، وفى سبيل الحرية والاستقلال ، وان كل فرد من أبنائها يعلم ماهو السلام ، وكل فرد يعلم أن المحافظة على السلام تحتاج الى جهد وجهاد ، والى عرق ودماء . وكل فرد فيها يهدف للمحافظة على السلام ، وان هذه المحافظة لاتعنى الاستسلام ، هذا هو موقفنا منذقامت الثورة لتنقذ مصر من الاستعمار ، ولتبنى لمصر قوتها المعنوية هذه هى أهدافنا الكبرى فهل تركنا الاستعمار ؟ هل تركنا تجار الحروب ؟

ان الاستعمار لم يرض أبدا أن يرى مصر ، وقد تحررت منذ زمن طويل من العبودية ، وقد رفعت رأسها الى السماء متحدة قوية تنادى بالحرية والسلام

ان الاستعمار كان يتربص بنا دائما ، وكان يطلب منى ومنكم ان نكون أذيالا ، وأنا حين كنت أرفض ، كنت أرفض باسمكم وباسم عزتكم . حينما كنت أقول اننا سنعيش أحرارا ، كنت أعبر عن مشيئتكم وباسمكم ، كنت أعبر عن مشاعر كل فرد منكم وعن آمال كل فرد منكم حينما اعلنت باسمكم أن مصر تعيش حرة كريمة ولن تكون تابعة للندن ،

وكنت أعبر عن كل فـرد منكم واعبر عما قاله آباؤكم وأجدادكم

انني حينما اعلنت أيها الاخوة أننا سنقاتل فى سـبيل حريتنا واستقلالنا وكرامتنا ، كنت أعبر عن كل فرد منكم وعن آبائكم وأجدادكم

ان وطننا ايها الاخوة استمر على مر الزمن يكافح كفاحا مريرا فى سبيل تحقيق الحرية والاستقلال والسلام ، ان آباءنا واجدادنا استشهدوا فى سبيل هذه الاهداف

ان الاستعمار كان يتربص بنا ، ويتحكم فينا ، فهـل سلمنا ؟ اننا لم نسلم ابدا ، لقد مات منا الاجداد والآباء ، وماتوا فى سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٦ وسنة ١٨٨٢ ، على مر السنين يموت المصريون فى سبيل تحقيق هذا الهـدف الاكبر ، الحرية والاستقلال ، والوحدة والعزة والكرامة ، اننا اليوم نسير فى نفس المعركة ، اننا ايها المواطنون نموت أيضا فى سبيل العزة والاستقلال والحرية والكرامة .. نموت ونقاتل ولن نسلم .. فان الآباء لم يسلموا والاجداد لم يسلموا .. ولن نسلم ابدا بل سنقاتل ونقاتل قتالامريرا ، وأنا أيهـا الاخـوة حينمـا أتكلم ، كنت أفهـم انى أعبر عن ارادتكم ومشاعركم وآمالكم وعن آمال كل فرد منكم ، حينما كنت أعلن هـذا فى كل مناسبة كنت أومن بهذا الشعب وبقوة هذا الشعب .. كانوا يقولون فى الخارج أن مصر لن تقاتل .. لن تستطيع أن تقاوم أو تقاتل .. فكنت أقول انني من هذا الشعب ، وأعرف عنصر هـذا الشعب وقيمة هذا الشعب . ومتانة هذا الشعب

ان مصر قد وطدت عزمها على ان تتحرر ، كانت تكافح طويلا اساليب الاستعمار .. ان مصر كانت دائما مقبرة للغزاة الطامعين ، ان مصر قد عاشت آلاف السنين وانتهت الامبراطوريات وانتهى الغزاة ..

ان هـذا الشعب استطـاع ان يحـافظ على قوته

ووحدته ، ان هذا الشعب كافح دائما وسيكافح دائمـا فى سبيل تحقيق هذه الاهداف .

ان العالم اذا كان اليوم يتعرض للدمار ، فليست المسئولية مسئوليتنا .. اننا كنا ننادى بحقوقنا المشروعة فى الحرية وفى الحياة ، ونطالب بان نكون اعزاء فى وطننا ، ولكن هـذه المسئولية تقع على عاتق المستعمرين ، هذه المسئولية تقع على عاتق الطغاة تجار الحروب الذين خرقوا تجار القوانين الدولية وانتهكوا القيم الاخلاقية

ثم تحدث الرئيس عن مطامع ايدن فى مصر ، ومطامع الاستعمار التى تنفذها اسرائيل ثم قال :

بورسعيد تفدى مصر والعروبة

ويوم الاثنين أعلن ايدن فى مجلس العموم ان بورسعيد سلمت ، انا لم أصدق هذا لانى كنت اشعر بايمان وتصميم وعزم هذا الشعب ، الشعب الذى اعلن انه سيقاتل الى آخر نقطة من دمه لايمكن ان يسلم ، بورسعيد لم تسلم وانما قاتلت وقاست وقاومت وانضربت بقنابل الاسطول والطائرات والقوات المعتدية ، بورسعيد هى التى فدت مصر والعروبة ، بورسعيد استطاعت ان تحبط خطط الاستعمار الذى قال انه سيأخذ مصر فى ٢٤ ساعة

بالامس وزير الحربية قال فى مجلس العموم ان المقاومة لازالت مستمرة وان امامه ثلاثة أيام ليعود الوضع العادى فى بورسعيد

لقد عشت يا اخوانى فى معركة بورسعيد بأعصابى ودمائى وقلبى .. كانت أعصابى معهم لأنهم كانوا يقاتلون قتالا فرض علينا حينما كنا ننادى بالسلام ، ولابد ان نقاتل ولابد أن نتحمل الضحايا فى سبيل المحافظة على شرفنا وكرامتنا وعزتنا وحريتنا .. بورسعيد فدت مصر .. فدت العرب .. فدت الدول الصغرى كلها الدول التى تدافع عن الحرية

والاستقلال ، شهداء بورسعيد سقطوا فى سبيل المثل العليا .. أيام النبى محمد سقط شهداء ، وايام المسيحية سقط شهداء وايام الاسلام سقط شهـداء حينما فرض عليهم القتال ، واليوم يسقط منا شهداء لاننا نقاتل بعد ان فرض علينا القتال ، أما الاستسلام فلن يفرض علينا ابدا ولـكننا سندافع عن كرامتنا وعزتنا وشرفنا

بورسعيد يا اخوانى دفعت ضريبة الدم ، بورســعيد يا اخوانى فى محنتها كانت تفدى كل واحد منكم بدمائها ، تفدى مصر بدمائها ، كانت تحمى شرفنا وشرف الوطن ٠

وكما قلت لكم فان شرف الوطن لايتجزأ .. بورسعيدضحت وقاتلت وانا اعلم أن أهالى بورسعيد مروا بمحنة ولـكنها اظهرت للعالم أجمع أن مصر ستقاوم مقاومة مســتمرة مستميتة

الملك سعود يعرض جيشه وماله

اخواننا فى الدول العربية ، القومية العربية ، موقف العرب ، حدثت دعايات معادية كانت تهدف الى القضاء على القومية العربية ، ارادت ان تبث فى نفوسنا الشك نحـو وحدة العرب ولـكنى ارد على هذه الدعايات فأقول انه فى يوم الاربعاء الماضى اتصل بى الملك سعود تليفونيا وقال لى ان جيش المملكة السعودية تحت تصرفنا واموال المملـكة السعودية تحت تصرفنا ، وان المملكة السعودية مستعدة تعمل أى شىء نطلبـه منهـا ، وكان ردى أننا قلقون على الاردن لان الجيش المصرى يستطيع ان يصـد العدوان اليهودى وان يلقن اسرائيل درسا ، وابلغته اننا سنتصل بالاردن ، ولـكن الملك سعود ابلغنى ان جيش السعودية مستعد لمعاونة مصر ومستعد لتلبية اى طلب وان اموال المملكة السعودية تحت تصرف مصر

استعداد الملك حسين لتنفيذ معاهدة الدفاع

وفى نفس اليوم اتصل بى الملك حسين بالتليفون وقال لى ان الجيش الاردنى مستعد بناء على الاتفاق الثلاثى الذى وقع منذ ١٥ يوما ان ينفذ كل ماتراه القيادة المشتركة ، وان الاردن متعاون معنا كل التعاون ، وكان الملك حسين يعنى كل كلمة يقولها ، وقال لى ان اى خطة مشتركة سينفذها ، وانا قلت للملك حسين ان هدفنا الا تكون هناك جبهة فى الاردن وان ينحصر القتال بين الجيش المصرى والاسرائيلى ، وان تتعاون السعودية والاردن حتى يقاتلوا القوات الاسرائيلية اذا حصل اعتداء على الاردن

الملك سعود عرض وكان يعنى كل كلمة ، ولكن خطتنا كانت تمنع ارسال قوات الى مصر لان الاردن كان مهددا ، الملك حسين عرض جميع المعاونات الممكنة ، ولكن خطتنا كانت أن لا تورط الاردن ... هذا حدث يوم الجمعة

سورية تعرض استعدادها لتنفيذ أية خطة

سورية ، الرئيس شكرى القوتلى اتصل بى وقال انه مستعد أن يقوم بأى عمل تكلفه به القيادة المشتركة ولكن خطتنا كانت عدم فتح اية جبهة اخرى

هذا موقف الدول التى تحالفنا معها موقف مشرف يدعو الى الاعتزاز والى الثقة .. هذه دولنا الحليفة ، لماذا أقول هذا ؟ ، لان راديو الاعداء يقول أين القومية العربية ، والاعداء يهدفون الى القضاء على القومية العربية ، الشعوب العربية فى كل مكان تعاونت معنا ضد الاستعمار وضد مصالح الاستعمار من العراق الى مراكش ، دخلنا المعركة وكانت القومية العربية كلام .. وخرجنا وقد اصبحت عملا حقيقيا .. الشعوب العربية عرضوا انفسهم للخسارة ، ولكنها كانت ضربة قاضية للاعداء .. القومية العربية هى الهدف .. هى الغرض .. هدف الاستعمار لأنهم يريدون أن

يقضوا على هذا التكتل ، وانا قلت لـكم من أشهر ان القومية العربية قد انبثقت

ان القومية العربية لم تكن كلاما يقال ، بل أصبحت عملا فعالا ، بريطانيا اليوم لا يصلها بترول ، والعرب تعاونوا معكم فى كل الميادين .. نسفوا انابيب البترول ، وعرضوا انفسهم للخسارة .. انها خسارة لهم ولكنها ضربة قاضية للاعداء وكسب للقومية العربية ، القومية العربية اليوم عمل فعلى متماسك ، اذ ان الهدف الذى كانت تهدف اليه بريطانيا قد فشل ، فالقومية العربية اليوم أقوى مما كانت عليه فى أى يوم ، العرب اليوم رؤساء وشعوبا وحكومات رجل واحد . واحد مع مصر فى هذه المحنة . بل فى هذه المعركة ، وهى معركة يضرب بها المثل فى سبيل الحرية والكرامة

ثم تحدث الرئيس عن قوة العرب وعن انتصار اسلحتنا الثلاثة فى المعركة ... ثم قال :

مصر تخرج من العدوان اقوى مما كانت

حينما اقول لكم ان موقفنا بعد عشرة ايام اقوى مما كان ، فانني أعني ما أقول ، القومية العربية تحققت واصبحت عملا بعد ان كانت قولا ، الشعب قوة متحدة ، الجيش والطيران والبحرية قوة متماسكة

اثنتان من الدول الكبرى ضد العدوان ، روسيا هددت فعلا انها ستسحق هذا العدوان ، وامريكا ستعمل على القضاء عليه

هذا هو الموقف

الامم المتحدة قامت بعمل مستمر ، مستر همرشلد ، لما وجد ان انجلترا وفرنسا رفضتا وقف اطلاق النار ، وغير راغبين أن يسمعوا الكلام ، قرر الاستقالة من منصبه، وأنا أرسلت له وقلت له نحن لا نريد منك أن تستقيل بل نريد أن تقف وتحارب معنا فى معركة الانسانية والسلام

وقد قالوا ان مصر ستنسحب من الامم المتحدة ، وقلنا ان مصر لن تنسحب ، وانهـــا ستستعمل كل الاسلحة السياسية وغير السياسية فى سبيل حريتها ، وبعد ان تطور الموقف ، ووقف العالم كله ضد انجلترا وفرنسا ، وظهرت الحرب العالمية فى الافق ، وافقت انجلترا وفرنســا على وقف اطلاق النار

وبالامس انذر ايزنهاور اسرائيل ان تعود فى الحال ، وكانت اسرائيل حتى اول أمس ترفض الانسحاب ، وانذر بولجانين اسرائيل فأعلنت اسرائيل انها مستعدة للانسحاب

واليوم .. هل انتهت المعركة .. لا .. ان المعركة لم تنته اننا نكافح قوى الغدر والظلم والاستعمار وتجـــار الحروب ، اننا نقاوم اليوم ومعنا العالم اجمع ضد العدوان وضد مجرمى الحروب وضد تجار الحروب

ان المعركة لم تنته ، فهى لازالت قائمة ، ان الاستعمار لم يحقق اهدافه ولم يستطع ان يتحكم فيكم ، وان يتمكن من مصر ومن رقابكم .. الاستعمار هزم ، ومصالحه فى هذه المنطقة اصيبت بأضرار ، فهل يعود الاستعمار ادراجه ، ان المعركة لازالت قائمة ..

فان هناك معركتين .. معركة سياسية .. ومعـــركة حربية

قرارات الامم المتحدة التى اتخذت اول امس لم نرد عليها حتى الآن ، ولازلنا ندرسها بدقة ، لان مصر لن تقبل اى شىء يمس سيادتها أو كرامتهـــا ، ومصر مصممة على المحافظة على سيادتها واستقلالها وكرامتها واراضيها ..

مصر ، هذه المعركة السياسية ستكون على حذر حتى لاتؤخذ بالخديعة والغدر كما اخذنا بالغدر فى المعـــركة العسكرية

أما معركتنا الحربية فنحن على اتم استعداد كل فـــرد

مستعد ، الانجليز يقولون انهم أتوا معهم بفنيين لتصليح القناة ، ولكننا اعلنا انه طالما هناك قوة اجنبية ، جندى أجنبى واحد فى مصر ، فان مصر لن تبدأ فى اصلاح القناة أو تطهيرها ، لان هذا يؤثر على خطتنا الدفاعية ولا نؤخذ بالغدر مرة أخرى

هذا أيها المواطنون هو شعارنا ، عزم وتصميم وايمان ، هذا هو شعارنا اليوم اننا نريد السلام ولن يفرض علينا الاستسلام

هذا هو شعارنا اليوم ، اتحاد ، وقوة ، وعمل ، وتصميم ، وكفاح ، وجهاد

ان العالم كله يساندنا ، الاحرار فى كل مكان ، وأحب أن اقول لكم ان العالم كله يمر بأخطر فترة من تاريخه ، وانني أعلن للعالم اجمع أن مصر لم تكن السبب ، ولم تعتد على احد ، وانما تدافع عن سيادتها

ان الذين يتسببون اليوم فى تهديد الانسانية هم تجار الحروب الذين اعتدوا على اراضينا

ان شعارنا اليوم أيها الاخوة ان نتجه الى الله ليملأ قلوبنا بالايمان والتصميم ، ان نتجه الى الله أن يشد أزرنا ويعيننا على مقاومة الطغاة

شعارنا اليوم ، سنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل .. دفاعا عن ارضنا ولن نفرط فى سيادتنا ..

شعارنا اليوم .. اذا أردنا السلام وفرض علينا القتال ، فلن يفرض علينا الاستسلام

والسلام عليكم ورحمة الله

فهرس

صفحة

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركه فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن علي نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio N° 3,
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذى تعتز سلسلة كتاب الهلال بنشره على الشعب العربى فى جميع انحاء الاقطار العربية ، ليس كتابا يشتمل على مجرد آراء فى موضوع من المواضيع التى تتفرع من الحياة الانسانية ، ولكنه كتاب جمع أهداف زعيم مصر والعروبة ، التى ترسم السياسة الدقيقة الحازمة لمستقبل مصر ، ومستقبل القومية العربية . هذه السياسة الصريحة الحاسمة التي كان لها فضل أيما فضل فيما تبوأته مصر والبلاد العربية معا من مكانة دولية رفيعة بين الامم

وهذه المجموعة التى يحويها هذا الكتاب هى الاقوال الخالدة والآراء الصائبة التى صارح بها مصر والعالم فى مواقفه الكبرى عام ١٩٥٦ منذ اعلان دستور الشعب الى حادث العدوان البريطانى على مصر . وقد تضمن آراءه وأهدافه فى سياسة الشرق الاوسط ، ووحدة العرب والمسلمين والتعاون القومى وتأميم القناة ومبادىء باندونج وغيرها

هو كتاب يسجل تاريخ مصر والعروبة فى أحرج أوقاتها ، وأدق مواقفها ، وهى حقبة من الزمن مليئة بالأحداث الجسام

كتاب الهلال

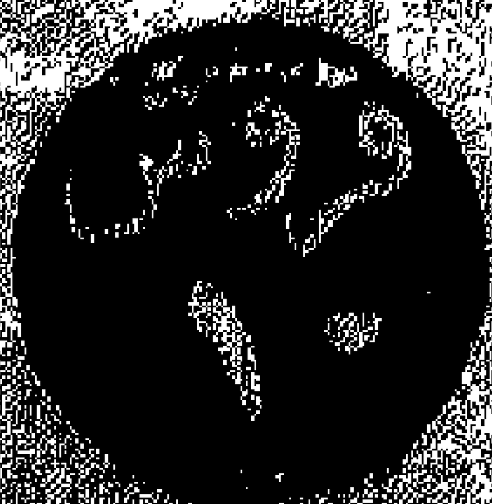
بُناة النّهضة العربية

بقلم

[illegible]

سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال





كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٧٢ ـ شعبان ١٣٧٦ ـ مارس ١٩٥٧

No. 72 — March 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

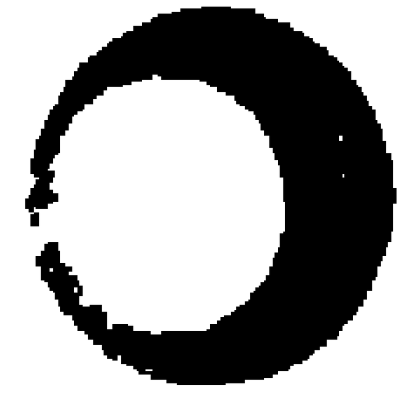
كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا أو لبنانيا ـ الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ قروش صاغ ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ـ فى سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلنا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

بُناة النهضة العربية

بقلم

جرجي زيدان

دار الهلال



جرجى زيدان مؤسس الهلال

مقدمة

امتاز عهدنا الجديد ـ عهد الثورة ـ بتوطيد دعائم النهضة العربية ، والعمل لتقدمها ، والدعوة الى توحيد جهود العرب للمحافظة على القومية العربية ، لأنها كما قال الرئيس جمال عبد الناصر : « الدرع الواقية التى تحمى مصر وتحمى سائر الدول العربية من مؤامرات المستعمرين وأطماع الطامعين »

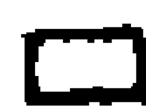
والواقع ان هذه الاطماع والمؤامرات التى يدعو اليها الرئيس اليوم تمتد الى عشرات السنين . فقد عمل المستعمرون والطامعون للقضاء على القومية العربية ، وتقطيع أوصال الاقطار العربية من المحيط الاطلسى الى خليج العرب ليتمكنوا من السيطرة على هذه الاقطار ، واستعباد أهلها العرب ، وتمزيق وحدتهم ، ومحو عروبتهم

وقد كانت الحروب الصليبية ترمى الى هذه الغاية ، فلم تكن ـ كما اثبت بعض المؤرخين ـ حروبا دينية ، بل كانت حروبا استعمارية يريد بها الغرب استعمار الشرق كما حدث فى فتوحات اليونان فى عهد الاسكندر وقبل عهده ، وكما فعل الرومان فى غزواتهم للشرق الاوسط واستيلائهم على مصر ونحوها من البلاد الشرقية حتى أطلق هؤلاء المؤرخون على الصليبيين الفرنجة أو الافرنج

كان الشرق الاوسط اذن مطمع المستعمرين الغربيين منذ اقدم العصور ، لأنه مهد الحضارة ومهبط الوحى ، ومطلع

العلوم والآداب ، وملتقى قارات العالم . وكانت شعوب البلاد الغربية فى جهلها ووحشيتها تنظر اليه باعتباره بلاد المدنية والرقى والثروة الروحية والمادية ، فكانت مطامعهم على الدوام تتجه اليه وتتهافت على خيراته ، والاستبداد بأهله وسلبهم أقواتهم وأموالهم وثمرات أرضـــهم ، ليـــأخذوها هم الى بلادهم ، ويخدموا بها شـــعوبهم ويضـــاعفوا بها قوتهم ، ويزدادوا بالشرقيين ظلما واستبدادا وعدوانا

ولما ظهرت الحضارة العربية ، وتغلبت على هؤلاء المستعمرين من الرومانيين واليونانيين وغيرهم من الفرنجة اســـتطاعت البلاد العربية أن تعيش حرة مســـتقلة ردحا من الزمان . بل استطاعت أن تقابل القوة بأقوى منها حتى انتشرت من خليج العرب الى المحيط الاطلسى ، وغزت أوربا وامتلـكت اسبانيا وارخبيل الجزائر الايطالية ، وحاولت أن تفتح أوربا كلها ، ولكن الخلافات الداخلية ، وأطماع الملوك والامراء أضعفت الامبراطورية العربيـــة وقضت على وحدتها ، فاســـتطاع الغرب أن يعود الى أطماعه الاولى للسيطرة على هذه البلاد



وفى القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية قد شارفت نهايتها فتنافست الدولتان الغربيتان الكبيرتان فى ذلك الحين وهما انجلترا وفرنسا فى احتـــلال مصر وشـــمال افريقا وشرقها وجنوب الجزيرة العربية ، وانتهزتا فرصة القضـــاء على الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الاولى ، فاحتلتا فلسطين وســـورية ولبنان والعراق وتمكنت انجلترا من نشر نفوذها واستعمارها الاقتصادى والسياسى فى البلاد الاسلامية الاخرى

فى هـــذا الحين ظهرت طائفة من القادة المخلصين وزعماء الاصلاح للدفاع ضد الاستعمار الذى يريد القضاء على العرب والقومية العربية ، فكان فى مقدمتهم عبد القادر الجزائرى فى شمال افريقا ، وأحمد عرابى ، وعبد الله نديم ، ومصطفى

كامل فى مصر ، وعبد الرحمن الكواكبى فى سورية . وكان المصلحون الاســـلاميون والاجتماعيون وفى مقدمتهم جمال الدين الافغانى ، ومحمد عبده ، وقاسم أمين ، وكان العلماء والادباء الذين تولوا تأسيس النهضة العلمية والادبية فى الشرق العربى أمثــال محمود الفلــكى ، ورفاعة رافع الطهطــاوى ، ومحمود ســـامى البارودى ، وعلى باشـــا مبارك وناصيف اليازجى ، وبطرس البســـتانى ممن نهضوا بخدمة العلوم والآداب والفنون التى هى أساس نهضات الشعوب وتقدمها الى الامام

ولقد سجل المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال جهود هؤلاء القادة بناة هذه النهضة العربية فى هذا الــكتاب الذى اقتبسناه من كتابه الكبير « مشاهير الشرق » ليقف القراء ــ فى هــذه الآونة التى تتضاعف فيها الجهود لتقدم النهضة العربية ــ على تاريخ هؤلاء الاعلام وما قاموا به من خدمات جديرة بأن تتصل بما يبذل اليوم من خدمات جليلة فى هذا السبيل لخدمة العروبة ومستقبل الوطن العربى

وقد قسمنا هذا الــكتاب الى أربعة أقسام تشتمل على تاريخ سبع عشرة شخصية بارزة كما يأتى :

القسم الاول : قادة وساســة
القسم الثاني : رجال اصـــلاح
القسم الثالث : رجال علم وتعليم
القسم الرابع : رجال أدب وفن

ولا ريب أن لهذا الكتاب رسالته القيمة فى خدمة الثقافة العربية ، ونهضة العرب فى مختلف البــلاد ، فهو يمثل وحدة العروبة من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، ويدل على أن اهداف الامة العربية فى الحصول على الكرامة والحرية ، وفى الاصلاح العام وتوحيد الجهـــود ، ترمى الى التخلص من الاستعمار والمستعمرين ، واعادة ماكان للعرب من مجد وسؤدد

طاهر الطناحي

قادة وساسة

١ - عبد القادر الجزائرى
٢ - أحمد عرابى
٣ - محمود سامى البارودى
٤ - مصطفى كامل

عبد القادر الجزائرى

١٢٢٢ - ١٣٠٦ هـ الموافق ١٨٠٧ - ١٨٨٨ م

هو الامير عبد القادر ناصر الدين ، ابن الامير محيى الدين الحسينى . يتصل نسبه بالامام الحسين . ولد في شهر مايو سنة ١٨٠٧ فى قرية « القيطنة » التابعة لايالة وهران فى جزائر الغرب . وكان والده من أكابر العلماء العاملين ، محترما لدى أعيان الجزائر ، لبسط يده ، وكرم أخلاقه ، ووداعته .

وقد بذل والده قصارى جهده فى تثقيفه ، لما آنس فيه من الذكاء والدراية ، فتمكن فى مدة قصيرة من اكتساب جانب عظيم من العلم ، وحفظ القرآن الشريف حفظا جيدا . واشتهر فى السابعة عشرة من عمره بشدة البأس وقوة البدن والفروسية ، حتى كان يشار اليه بالبنان بين الفرسان ، لمهارته فى ركوب الخيل ، واللعب على ظهورها . وكان يطارد الخنزير البرى فى الغابات ويصطاده ، على أن ذلك لم يشغله عن القيام بواجباته الدينية

وفي نوفمبر سنة ١٨٢٥ ، صحب والده الى الحرمين لأداء فريضة الحج والزيارة ، فمرا بالاسكندرية وزارا القاهرة ، وذلك فى عهد محمد على « باشا » فأكرمهما وحاشيتهما ، ثم واصلا رحلتهما الى الحجاز عن طريق السويس . وعرجا بعد الحج على دمشق فأمضيا فيها زمنا . ثم سارا منها الى بغداد لزيارة مقام سيدى عبد القادر الكيلانى ، فنالا هناك كل رعاية واكرام . ومن هناك عادا الى الحرمين ثم الى وطنهما ، فوصلا اليه فى أوائل سنة ١٨٢٨



عبد القادر الجزائرى

وازداد عبد القادر بعد هذا السفر شغفا بالعلم ، فاعتزل لتحصيله ، ولزم الخلوة حيث عكف على مطالعــة كتب العلم والفلسفة ، فدرس رسائل أفلاطون وفيثاغورس وارسطاطاليس وتعمق في درس الفقه والحديث ، والجغرافيا والفلك والتاريخ ، وكتب العقاقير • وجمع مكتبة من أثمن مكتبات تلك الايام

وفي سنة ١٨٣٠ ، استولى الفرنسيون على الجزائر ، ووزعوا منشورات أعلنوا فيها امتلاكهم للبــلاد ، واخراجها من أيدي العثمانيين ، فشق ذلك على القبائل العربية القاطنــة في تلك الانحاء ، وثاروا ضد الفرنسيين • وكانت قوات هؤلاء بقيادة الجنرال « برمونت » • قد بلغت جبــال الاطلس ، فاضطرت الى التقهقر حتى السواحل وأخــذت في تحصينها ، ثم عادت فاستولت على مدينة وهران

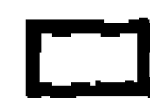
وكانت نتيجة احتــلال الفرنسيين لتلك البــلاد ، وخروج بعضها من حوزة الدولة العلية « تركيا » أن اختلت الاحوال فيها ، فسادت الفوضى ، واجتمع المرابطون ورؤساء القبائل وفي مقدمتهم الامير محيي الدين والدصاحب الترجمة • وتشاوروا في الامر ، فاستقر الرأي على الانضمام الى سلطان مراكش ، وكان يومئذ مولاي عبد الرحمن ، ووافقهم على ذلك ، فدخلت الجزائر في سلطانه ، وبايعه الجزائريون وخطبوا باسمه

وغضب الفرنسيون ، وبعثوا الى مولاي عبد الرحمن مهددين بالحرب ان لم يسحب جنوده من الجزائر ، فآثر الانسحاب • وعلى أثر ذلك اجتمع كبار الجزائريين للتشاور في الامر واستقر رأيهم على اقامة الامير محيي الدين سلطانا على البلاد ، وذهبوا اليه في بلدته « القيطنة » حيث عرضوا عليــه الامر وأرادوا مبايعته ، ولما أمسك عن الاجابة هــددوا بقتله ان لم يقبــل • فاستجاب لرغبتهم ، على أن تكون السلطة لولده عبد القادر ، وقبلوا ذلك راضين مغتبطين

كان الامير عبد القادر في ذلك الوقت يحارب الفرنسيين في

موضع يقال له « حصن فيليب » • فبعثوا اليه وبايعوه، وسنه اذ ذاك ٢٥ سنة • وعلى أثر مبايعته قصد الى المسجد الجامع حيث صلى بالناس وخطبهم حاثا اياهم على الطاعة ، والعمل بمقتضى الشرع الشريف ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين

ثم جمع كلمة القبائل ، وضم بعضها الى بعض لكى تقوى على مقاومة العدو الاجنبى واخراجه من البلاد • وخاض عدة وقائع فاز فيها على الفرنسيين ، ولا سيما موقعة وهران ، اذ انتصر فيها انتصارا مبينا ، وكانت قوات الفرنسيين فيها بقيادة الجنرال «ميشيل» فهابه الفرنسيون ، وأخذوا يخشون بطشه منذ ذلك الحين . ولم تر حكومة فرنسا ــ برغم شدة رغبتها فى بسط سلطتها على الجزائر ــ أن تخاطر بارسال حملة كبيرة اليها لمحاربة الامير عبد القادر ، وأوعزت الى الجنرال «ميشيل» أن يعقد معه معاهدة صلح ، وتم عقدها سنة ١٨٣٤ م



ولما هدأت الاحوال ، تفرغ الامير عبد القادر لاصلاح الشئون الداخلية فى بلاده ، وواصل فى الوقت نفسه اعداد العدة لمواجهة الحرب ، لاعتقاده أنها آتية . فأنشأ مصانع للأسلحة وصب المدافع وانتاج البارود ، ونظم الجيش . وكان هذا يحتاج الى نفقات طائلة ، فطالب القبائل بأداء الزكاة عن ماشيتها ، وامتنع بعضها ، لكنه تمكن بحسن درايته من اخضاعها ولم شعثها ، فاتسعت سلطته وامتد نفوذه

وشق ذلك على الجنرال « دى أورلين » ــ القائد العام للقوات الفرنسية ــ فطلب الى الامير عبد القادر أن يلزم حدوده ، ولايمد سلطته الى خارج مدينة وهران . وأجاب الامير بأن دائرة سلطته غير محدودة بمقتضى المعاهدة بين الفريقين . وطالت المفاوضات فى هذا الشأن ، وادرك سوء نيتهم . ثم تحقق ذلك حينما رفضت بعض القبائل المقيمة

خارج وهران أمره اليها بالانتقال الى الداخل ، واحتمت هذه القبائل بالفرنسيين ، فقبلوا أن يحموها برغم طلبه اليهم الا يفعلوا . ثم ساروا لقتاله فى خمسة آلاف من المشاة وعدة من الفرسان وبعض المدافع . ولكنهم سرعان ما انسحبوا أمام رجاله . وماكادوا يصلون الى مضيق هناك ، حتى باغتهم الامير ورجاله بهجوم خاطف ، انتهى بالقضاء على أكثر قواتهم فلم ينج منها الا قليل !

وكان لهذه الهزيمة النكراء صدى بعيد فى فرنسا ، وقام الخطباء هناك يلومون حكومتها ويحضونها على الانتقام من ذلك الامير العربى . وكان هو على علم بكل مايجرى فى باريس من اطلاعه بانتظام على ماينشر فى الصحف الفرنسية ، بواسطة مترجمين خصصهم لذلك . فضاعف استعداده . حتى اذا جاءت قواتهم الى وهران فى نوفمبر سنة ١٨٣٥ ، خف الى قتالهم . ولكن كثيرا من رجاله لم يثبتوا معه وتفرقوا عنه ، فلم يجد بدا من الرجوع الى « مسكرا » ـ العاصمة التى اتخذها لنفسه ـ ولم يستطع دخولها أول الامر لوجود القوات الفرنسية بها ، فنزل ببلدة قريبة منها وهو فى حالة يأس شديد . ثم جاءته الانباء بأن الفرنسيين أخلوها ، فانتقل اليها حيث وافاه رجاله المخلصون ، واشتد أزره مرة أخرى ، وأخذ فى معاقبة الذين خالفوه !

وكان الفرنسيون قد احتلوا « تلمسان » . ورحب بهم أهلها ، ولكن اليهود فيها ضاقوا بالفرنسيين لفرضهم ضرائب باهظة عليهم وارغامهم على أدائها . فانتهز الامير عبد القادر هذه الفرصة ، وقام على رأس رجاله بهجوم سريع على تلك المدينة ، وتمكن من الاستيلاء عليها وطرد الفرنسيين منها بعد معركة حامية !

واشتد غضب الفرنسيين فى باريس على الامير المنتصر ، وبعثوا الى الجزائر بنجدات قوية أخرى . ووقعت معارك عدة

كان النصر فى اكثرها حليف الامير . ثم حدث أن خسر احدى المعارك ، فانتقض عليه كثير من مواطنيه ، وتزعم العصاة قاض اسمه ابراهيم ، كان يعتزم خلع الامير ليحل محله . فاشتد غضب الامير عليه ، وجرد سيفه وعلقه بسرج جواده ، مقسما لايغمده حتى يقطع به رأس ذلك الخائن . وقد بر بقسمه ، وضرب عنق ذلك القاضى الخائن على مشهد من رجاله ، فكان لذلك وقع عظيم فى قلوب كل مواطنيه . وسرعان ما عاد المتخلفون الى صفوف قواته ، فواصل الهجوم بهم على مواقع الفرنسيين ، وضايقهم مضايقة شديدة ، حتى قلت المؤن لديهم ، كما قلت الذخائر لديه . فاتفق الفريقان على عقد هدنة ريثما يتزود كل منهما بما يحتاج اليه . وعلى ذلك هدأت الحالة فى البلاد بعد وقف القتال

وبعد ذلك بقليل ، وصل الجنرال « بوجيد » الى الجزائر ، موفدا من الحكومة الفرنسية لاعادة تنظيم قواتها هناك ، والقضاء على الامير ورجاله

وأرسل « بوجيد » الى الامير ، مطالبا اياه بأن يعترف بسيادة فرنسا على الجزائر ، وبأن يؤدى لها جزية لقاء اعترافها بسلطانه على منطقة محددة لاتتجاوز نهر الخليف . فرفض الامير هذه المطالب معلنا الا حق لفرنسا فى أن تفرضها عليه ، لأنها ليست المنتصرة فى الحرب . وشق ذلك على الفرنسيين ، ولكنهم لم يجدوا بدا من الصلح معه ، لما عاينوا من بسالته وقوة جلاده . وانتهت المفاوضات بين الفريقين بعقد معاهدة « النافنا » سنة ١٨٣٧ ، وهى تقضى بتبادلهما التمثيل القنصلى ، وبألا يسلم الامير أى ساحل من سواحل بلاده لدولة أجنبية الا بعد مشاورة فرنسا



وجه الامير عبد القادر بعد ذلك عنايته الى اصلاح الشئون

الداخلية لبلاده ، كما واصل الاستعداد العسكرى على عادته لمواجهة الطوارىء . وفى خلال ذلك انتقضت عليه بعض القبائل، وفى مقدمتها قبيلة « ازراق » . فتمكن من اخضاعها بالسيف وحسن السياسة . ثم أنشأ مدينة تجارية سماها « تقدمة » . كما أنشأ كثيرا من المعاقل واستعان بقواد أوربيين لتنظيم جيشه ، وأنشأ مصانع لانتاج المدافع ومختلف الاسلحة فى تلمسان وغيرها. وعمل لاستخراج المعادن، وتنشيط الصناعة والزراعة والتجارة . ونشر التعليم بالاكثار من المدارس . واعتزم انشاء جامعة كبيرة فى « تقدمة » تجمع بين العلوم الدينية الاسلامية والعلوم الحديثة . وضرب نقودا فضية ونحاسية نقش على أحد وجهيها « هذه مشيئة الله وعليه توكلت » . وعلى الوجه الآخر « ضرب فى تقدمة ، السلطان عبد القادر »

وكان شديد التيقظ ، دائم السهر على مصالح بلاده ، حريصا على تفقدها بنفسه. ولكن الظروف لم تسمح باستمرار الامن فى الجزائر ، اذ طمع الفرنسيون بعد استيلائهم على « قسطنطينية » فى مد سلطانهم على البلاد المجاورة لها ، برغم وقوعها فى حدود سلطة الامير ، بمقتضى المعاهدة . وأصروا على عزمهم ، متعللين بتحريف كلمة فى تلك المعاهدة . وعبثا حاول الامير حمل حكومة باريس على انصافه ، فأخذ فى تحصين المناطق المختلف عليها والاستعداد للدفاع عنها . وارسل الى قائد الحملة الفرنسية، والى المسيو «تيبرس» ــ الوزير الفرنسي الشهير ــ منذرا بأن الاصرار على ذلك الطلب لن ينتج الا سفك الدماء ، فلم يعبأوا بانذاره ، وتظاهروا بالتأهب لقتاله ليرهبوه بضخامة عددهم وعدتهم ، ولكنه ثبت على عزمه . ومانشبت الحرب حتى تمكن من دحر القوات الفرنسية وطردها الى السواحل

وعظم الامر على الحكومة الفرنسية ، وارسلت الى قواتها

المندحرة فى الجزائر نجدات كبيرة ، فاستأنفت الهجوم على الامير ورجاله ، ودارت بين الفريقين معركة شديدة بالقرب من جبال الاطلس ، فتغلب الفرنسيون أول الامر ، ولكن الامير سرعان ماتدارك الموقف ، واعاد تنظيم رجاله على النظام القديم بدلا من النظام الافرنجى الحديث . ثم كر على القوات الفرنسية فما لبث أن هزمها واضطرها الى الانسحاب !

وتوالت المعارك بعد ذلك طيلة ست سنوات ، واضطرت فرنسا فى نهايتها الى تغيير قائد قواتها فى الجزائر ، بقائدها القديم الجنرال «بوجيد» ، وبعثت معه بامدادات كثيرة من الجند والاسلحة ، ولكنه لم يثبت فى هذه المرة أيضا أمام الامير البطل المغوار !



ولما رأى الامير أن البلاد أصبحت كلها ميدانا للحرب ، أنشأ مدينة متنقلة سماها « الزملة » . وهى مؤلفة من خيام تقام على نظام شوارع المدن ، وتتبع الجيش فى حله وترحاله ، حيث يعمل فيها الصناع ، ويحتفظ بالاسرى ، ويلجأ اليها المتعبون من الجند ، كما يقيم بها النساء والاطفال ، وتعد الاطعمة للجنود العاملين . وقد انتفع الامير بهذا النظام الى حد كبير حمل الفرنسيين على توجيه الجانب الاكبر من نشاطهم الى حرمانه من تلك المدينة ، واستطاعوا الوصول اليها بواسطة بعض الخونة ، فأحرقوها ، كما أحرقوا قبل ذلك مدينة « تقدمة » التى أنشأها الامير ، ونهبوا ماكان فى « الزملة » من مؤن ومعدات ، كما قتلوا عددا كبيرا ممن كانوا بها .

وكان الامير وقت حريق « الزملة » فى أحراج « سيرسو » فلما علم به ، أهمه الامر كثيرا ، ولكنه تجلد وقال لمن حوله : « لاتهنوا ولا تحزنوا ، ان الله معنا ، وان اخواننا الذين قتلوا لأحياء عند ربهم يرزقون » . ثم جدد قواته ، وأنشأ « زملة » جديدة . وكان قد استنجد بحكومة انجلترا ، وبسلطان

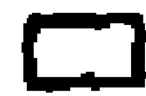
مراكش ، فلم ينجداه . فى حين تلقى الفرنسيون نجدات كبيرة ، وتمكنوا من حمل سلطان مراكش على معاضدتهم ضده . ولكن هذا كله لم يثن عزمه عن مواصلة الجهاد ، فظل يقاتل بشجاعة فى مختلف ميادين القتال التى شملت الجزائر كلها ، حتى نهاية سنة ١٨٤٦ . وكان التعب والملل قد نالا من رجاله ، فانحاز بعضهم الى جانب سلطان مراكش . وحاول الامير أن يثنى جاره هذا عن محاربته ، مذكرا اياه بصداقتهما القديمة ، وبما بين بلديهما من علاقات وروابط دينية ولغوية وتاريخية ، ولكن سلطان مراكش لم يستجب له ، وخيره بين التسليم ، أو الرحيل الى برارى الجزائر ، فكظم الامير غيظه ، وآثر اعتزال الناس والعكوف على العبادة

وفى أواخر سنة ١٨٤٧ ، علم بتحرك القوات المراكشية لغزو « زملتة » . ولم يكن معه اكثر من خمسة آلاف ، بينما عدد الغزاة القادمين عشرة أمثالهم أو يزيدون . على انه مع ذلك تمكن من صدهم وتفريق شملهم برجاله القليلين ، اذ فاجأهم بالهجوم المضاد ليلا . ولما أعادوا تنظيم قواتهم وكروا عليه ، تمكن من صدهم مرة أخرى ، وانزل بهم خسائر فادحة ، وواصل مطاردتهم حتى داخل بلادهم . غير أنه آثر الرجوع الى بلاده لقلة رجاله . وفيما هو عائد بهم وقد انهكهم السفر والتعب ، علم بأن القوات الفرنسية تستعد لقتاله على مسيرة ثلاث ساعات ، كما علم فى الوقت نفسه بأن القوات المراكشية قادمة من خلفه للانتقام لهزيمتها السابقة ، فجمع رجاله وخطب فيهم مصرحا لهم بحقيقة الخطر المزدوج المحيق بهم ، ثم قال لهم : « لقد وفيتم بما بايعتمونى عليه ، وبذلتم جهدكم فى معاضدتى . اما وحالتنا الآن تقتضى التسليم ، فأرى أن التسليم للفرنسيين خير لنا من التسليم للمراكشيين . والرأى لكم فى الحالين ! » . فأجابوا بأنهم على رأيه

وحددت ليلة ٢١ ديسمبر سنة ١٨٤٧م للتوقيع على شروط التسليم ، وفى مقدمتها أن يغادر الامير وحاشيته البلاد الى

الاسكندرية أو مدينة بورصة للاقامة بها ، وكانت ليلة ممطرة شديدة العواصف فأناب الامير رجلين من خاصته وحملهما خاتمه للتوقيع على الشروط فى معسكر الفرنسيين ، وما علم القائد الفرنسي برغبة الامير فى التسليم طبقا لهذه الشروط حتى وافق فورا ، وكذلك تلقت الحكومة الفرنسية هذا النبأ بالاغتباط الشديد ، واحتفلت به باريس وأهلها احتفالا عظيما ، لأنه وضع حدا للمتاعب التى عانتها فرنسا طيلة خمسة عشر عاما . ولما ذهب الامير بعد ذلك الى المعسكر الفرنسي قوبل بالتكريم والاجلال

وفى ٢٥ من ذلك الشهر ، أبحر الامير وحاشيته وعدد افرادها ثمانون ، على سفينة حربية ، أقلتهم الى طولون . وهناك قوبل الامير بالترحاب ، وعرض عليه أن يقيم بفرنسا ضيفا مكرما على حكومتها هو ومن معه ، فلم يقبل . ثم حدث أثناء ذلك أن وقع انقلاب فى نظام الحكم الفرنسي ، وتحولت من الملكية الى الجمهورية ، فطال الاخذ والرد بين الامير والمسئولين الفرنسيين الجدد ، ثم وافقوا على مغادرته فرنسا الى حيث شاء ، على أن يتعهد هو ورجاله كتابة بعدم رجوعهم الى الجزائر ، وكتب هذا التعهد فى مارس سنة ١٨٤٨ م



بقى الامير ومن معه فى فرنسا ، فى انتظار اعداد العدة لسفرهم ، وفيما هم كذلك فوجئوا بصدور أمر من الجمهورية الفرنسية الجديدة ، اعتبرت فيه الامير أسيرا ، بحجة أنها تسلمته من الحكومة السابقة على هذا الاساس . ثم زج به وبرجاله الى السجن فى بلدة « ابيس » . فلبثوا فيه حتى أكتوبر سنة ١٨٥٢ ، حيث عكف الامير على الكتابة والتأليف . والح على رجاله مرارا خلال ذلك فى أن يتركوه وحده فى الاسر، لأن السلطات الفرنسية لاتمانع فى اطلاق سراحهم ، ولكنهم أبوا الا أن يبقوا معه ليشاركوه فى السراء والضراء

وكان اطلاق سراحهم جميعا عقب زيارة الامير نابليون للأمير

فى معتقله ببضعة أيام ، ثم توجه الى باريس بدعوة من نابليون حيث قوبل بالتجلة والاكرام من أهلهـا جميعا ، وأقام له نابليون مأدبة كبيرة فى قصره ، وأهـدى اليه جوادا عربيـا أصيلا . ثم اتفق بعد شهر من ذلك أن اعيدت الامبراطورية الفرنسية ، وانتخب نابليون امبراطورا ، فلمـا زاره الامير عبد القادر مهنئا ، لقى منه كل رعاية وتكريم ، وأهدى اليه سيفا مكتوبا عليه « من الامبراطور نابليون الثالث الى الامير عبد القادر بن محيى الدين »

وفى ٢١ من ديسمبر سنة ١٨٥١ ، برح الامير فرنسا مودعا باحتفال شائق ، قاصدا الى مدينة « بورصـة » فى الديار العثمانية للاقامة بها ، وتعهدت حكومة فرنسا بتخصيص نفقة سنوية له وحاشيته قدرها أربعة آلاف من الجنيهات . وبقى مدة يتردد بين بورصة وباريس ، ثم استقر رأيه على الاقامة الدائمة بدمشق ، فوصل هو ورجاله الى بيروت فى ٢٤ يونية سنة ١٨٥٦ ، ومنها توجه الى دمشق حيث قوبل بترحيب شعبى كبير ، وأقام بمبنى فيها يدعى « العمارة » مقسما وقته بين العبادة والمطالعة والتأليف ومجالسة العلماء والفضلاء



ولما قامت الثورة ضد المسيحيين فى دمشق سنة ١٨٦٠ ، كان الامير عبد القادر فى مقدمة العاملين على اخمادها ، بعد أن فشلت محاولاته العديدة لمنع وقوعها . فبذل قصـارى جهده فى كف الاذى عن المسيحيين . وما علم باندلاع نيران الثورة فى اليوم التاسع من يوليو فى تلك السنة حتى جمع كل من كانوا فى دمشق من المغاربة وفرقهم فى مختلف أنحائها لانقاذ من يستطيعون انقاذه من المسيحيين ، ونقلهم الى داره ليكونوا فى حمايته . ولما امتلأت هذه الدار باللاجئين ، أخلى الدور المجاورة لها لاستقبال بقية اللائذين به ، وفى مقدمتهم قناصل الدول الاجنبية . وكان ينفق عليهم بسخاء ، وعضده فى ذلك كثيرون من الفضلاء وفى مقدمتهم العالمان الجليلان : محمود حمزة

وأخوه أسعد . وقد اشتركا مع الامير ورجاله فى صد الهجوم الذى قام به الاكراد فى اليوم الثالث للثورة للقبض على أولئك اللاجئين

وكان والى دمشق قد اعلن حمايته لكل من يلجأ الى قلعة المدينة من المسيحيين ، فهرع اليها منهم نحو خمسة آلاف ، وما كادوا يستقرون هنـــاك حتى علم الامير بأن جموعا من الدروز فى طريقهم الى القلعة للفتك بهم ، فسارع الى نجدتهم وتمكن من رد تلك الجموع الزاحفة على أعقابها ، بعد أن هددها باطلاق الرصاص . وظل الامير طول أيام الثورة الســبعة ، متأهبا لانقاذ المسيحيين ورد العدوان عنهم ، وايواء اللاجئين منهم وحمايتهم، واسعاف الجرحى، وتعزية الارامل واليتامى . وكان يقضى أكثر الليل ساهرا وبندقيته فى يده للدفاع عمن فى حماه ، وفى ١٥ يوليو من تلك السنة وصل الى دمشق وال جديد ، وعزل الوالى القديم ، وأخذت الحالة فى الهدوء . وكان فى القلعة وقتئذ من اللاجئين نحو ستة آلاف ، وفى دار الامير نحو أربعة آلاف . ثم جاء فؤاد باشـــا وتولى محاكمة المعتدين . وكانت حماية الامير المسلم للمسيحيين خلال الثورة ، وتكريمه للاجئين منهم ، موضع تقدير من الجميع ، واهديت اليه أوسمة عدة من الدول الاوربية ومن الدولة العلية اعترافا بفضله وبما أبداه من شهامة ومروءة وسخاء

وعاد الامير بعد ذلك الى عكوفه على العبـــادة والمطـــالعة والتدريس ، ثم قام بأداء الحج وزيارة الحرمين الشريفين سنة ١٨٦٣ ، ومر بالاسكندرية فى طريق عودته فى السنة التالية ، وانضم الى الجمعية الماسونية بها . ثم رجع الى دمشق حيث استأنف معيشته البسيطة بها ، معظما مكرما من الجميــع ، واشتهر بورعه وتقواه بجانب علمه وفضـــله ، حتى اعتبره الصوفيون من أهل الكشف وانزلوه منزلة ابن عربى والنابلسى، حتى توفاه الله سنة ١٨٨٨ بعد أن ألف بعض الكتب فى التوحيد والتصوف

احمد عرابى

١٢٥٧ — ١٣٣٠ هـ الموافق ١٨٤١ — ١٩١١ م

طلبنا من أحمد عرابى بعد عودته من المنفى أن يذكر تاريخ حياته ، فكتب عن نفسه وقال ما ملخصه :

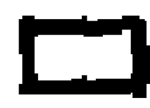
ولدت فى ٧ صفر سنة ١٢٥٧ هـ من أبوين شريفين من ذرية العارف بالله السيد صالح البلاسى البطائحى ومقامه الشريف بقرية فاقوس بمديرية الشرقية وهو أول من قدم الى بلاد مصر من بلاد البطائح بالعراق فى أواسط القرن السابع للهجرة وهو من ذرية الامام على الرضا بن الامام موسى الكاظم من سلالة الامام الحسين بن على بن أبى طالب وابن فاطمة الزهراء البتول بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم . واسم والدى محمد عرابى بن السيد محمد وفى بن السيد محمد غنيم بن السيد ابراهيم بن السيد عبد الله الى آخر السلسلة الشريفة . واسم والدتى فاطمة بنت السيد سليمان بن السيد زيد تجتمع مع والدى فى جدى الثالث عشر المسمى ابراهيم مقلد رحمه الله تعالى . ومولدى كان بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقية على ميلين من شرقى بندر الزقازيق وهى بلدة قديمة جدا من ضواحى مدينة بوباسطة كرسى مملكة العائلة ٢٢ فى زمن شيشاق بن نمرود التى يقال لها الآن «تل بسطة» . وعشيرتى فيها نحو ربع تعدادها وكان والدى رحمه الله تعالى شيخا عليها الى أن توفى فى شهر شعبان سنة ١٢٦٤ هـ فى زمن الهواء الاصفر عن ثلاث نسوة وأربعة أولاد وست بنات . وكنت ثانى أولاده الذكور وسنى ٨ سنوات وترك لنا ٧٤ فدانا ولو شاء



احمد عرابي

لاستكثر من الاطيان الزراعية ولكنه كان رحمه الله تعالى يراعي صالح أبناء عمومته حيث أن أطيان القرية كغيرها كانت مكلفة باسماء المشايخ يوزعونها بمعرفتهم على أهل بلادهم بحسب الاحتيــــاج الى عهــــد عباس باشا الاول وهو أول من كلف الاطيان بأسماء الافراد وألزمهم بدفع خراجها وما زاد عنهم يترك للميرى ويسمونه المتروك . وكان والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان عالما فاضلا تقيا نقيا أقام بالجامع الازهر ٢٠ سـنة تلقى فيها الفقه والحديث والتفسير وبرع فى كثير من العلوم النقلية والعقلية على كثير من المشايخ كشيخ الاسلام القويسنى رحمه الله تعالى وغيره من العلماء الاطهار ، ولما آلت اليه وظيفة الشياخة على عشيرته جدد عمارة المسجد المنسوب الى عشيرته بالقرية المذكورة وفيه أربعة أعمدة من الحجر الصوان القديم ومنبر من الخشب عجيب الصنعة وأنشأ بجوار المسجد مكتبا لتعليم القرآن الشريف وجعل له فقيها صالحا عالما يسمى الشيخ نجم من سلالة السيد العزازى وألزم الاهالى بتعليم أولادهم وكان رحمه الله يشدد عليهم فى ذلك حتى صار نحو نصف تعداد الناحية المذكورة يحسنون القراءة والكتابة وكل منهم يعـرف واجباته الدينية ومنهم نحو مائة وخمسين فقيها عالما ومنهم المرحوم الشيخ محمد حسين الهراوى من علماء الجامع الازهر والشيخ العارف بالله ابراهيم المصيلحى نفع الله به المسلمين . فلما بلغت سنى خمس سنوات أرسلنى والدى الى المكتب المذكور فأقمت فيه ثلاثة أعوام ختمت فيها القرآن الشريف وعمرى اذ ذاك ثمانى سنين وبضعة شهور . فلما توفى والدى كفلنى أخى الاكبر المرحوم السيد محمد عرابى الذى توفى فى ٢٥ شعبان سنة ١٣١٨ رحمه الله تعالى وأخذت عنه مبـــادىء علم الحســـاب وتحسين الخط مع ملاحظة بعض أشغال الزراعة ثم بدا لى المجاورة فى الازهر حين بلغت اثنى عشر عاما فكنت أجود القرآن على أقاربى وأهل بلدى نهارا وأتوجه الى بيت عمتى ليلا وتلقيت شيئا قليلا من الفقه والنحو وبعد سنتين رجعت الى بلدى

وكان الامير سعيد باشا قد تولى الحكومة الخديوية فى ١٥ شوال سنة ١٢٧٠ هـ وأمر بدخول أولاد مشايخ البلاد وأقاربهم فى العسكرية فدخلت من ضمنهم وانتظمت فى سلك الاورطة السعيدية المصرية بقناطر فم البحر فى شهر ربيع أول عام ١٢٧١ هـ وجعلت فيها وكيل بلوك أمين من اول يوم صار انتظامى فى سلك العسكرية بعد امتحانى بحضور ابراهيم بك أمير الالاى وحسن أفندى الالفى حكيم الالاى ثم ترقيت الى رتبة بلوك أمين فى شهر رجب من السنة المذكورة بعد اعادة الامتحان مع الطالبين لذلك من غير واسطة أحد غير الجد

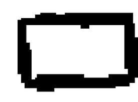


وبعد عام نظرت فرأيت بعض الباشجاويشية المصريين ترقى الى رتبة الملازم الثانى وعلمت أن البلوك أمين لايرتقى الا الى رتبة الصول قول اغاسى وفيها يفنى عمره . فجزعت من ذلك وذهبت الى امير الالاى وطلبت منه ترتيبى فى رتبة جاويش فى أورطة كانت أفرزت لارسالها الى مدينة المنصورة فسألنى الاميرالاى المذكور عن سبب ذلك حيث أن راتب الجاويش اقل ١٠ قروش من راتب البلوك امين وان كانت الرتبتان متساويتين فأفصحت له عما خالج فكرى وانى اذا صرت جاويشا سهل على الحصول على رتبة الباشجاويش ثم الانتقال الى رتبة ضابط . فعجب لذلك الخاطر وأمر فى الحال بجعلى جاويشا فمكثت فى هذه الرتبة سنتين

وفى تلك المدة حبب الى الاعتزال عن الناس والاشتغال بدراسة قوانين العسكرية مع التدبير فى معانيها حتى اتقنت قانون الداخلية وقوانين تعليم النفر والبلوك والاورطة وبعض فصول من تعليم الالاى . وفى أوائل عام ١٢٧٤ هـ أمر راتب باشا بجمع صف ضباط فاجتمعنا حوله فى فسحة قصر النيل وبلغنا ارادة سعيد باشا وقال : «ان أفندينا بلغه أنكم تقولون فيما بينكم كيف يصير ترقى الصف الضباط الجدد وتأخير من هو أقدم

منهم فى الرتب وانه امر ان لايترقى أحد بعد الآن الابعد الامتحان علما وعملا فمن فاق أقرانه فى الامتحان ترقى الى الرتبة التى يستحقها ولو لم يلبث فى رتبته الاولى غير شهر واحد فمن أراد منكم الامتحان فليتقــدم الى الامام . فعنــد ذلك تقدمت أمام سعادته وأحجم الآخرون خوفا وهلعا ظنا منهم انه يريد معاقبة من يتظاهر بذلك . ولما كرر عليهم الطلب خرج آخر وآخر حتى بلغ عدد الراغبين فى الامتحان نحو ٣٠ شخصا فصار امتحانهم بحضوره تحت رئاسة المرحوم اسماعيل باشا الفريق فكنت أول فائز فى الامتحان . ثم جمع الضبـــاط والصف ضبــاط بمعرفة راتب باشا الذى كان وقتئـــذ اميرالاى وطلبت أمام الجميع ووضع فى صدرى نيشان الباشجاويش وأعلنت ترقيتى الى هذه الرتبة . وبعد عام أى فى أول عام ١٢٧٥ صار امتحان الباشجاويشية بحضور سعادة راتب باشا أيضا والمرحوم اسماعيل سليم باشا الفريق فكنت الفائز الاول وترقيت الى رتبة الملازم ثانى التى كنت أداب فى الحصول عليها منذ البدء . ثم بعد سبعة اشهر صار امتحان الضباط فى القصر العالى فكنت أول فائز فيه وكتب اسمى فى أول جدول الامتحان . ولما عرض الجدول على سعيد باشا أمر باعادة امتحانى وانتدب لذلك سليمان باشا الفرنساوى رئيس رجال العسكرية . فطلبت ثانيا الى الامتحان وكان يوما مشهودا وبعد الامتحان التمس سليمان باشا المشار اليه خروج الخديو الى ميدان الامام الشافعى رضى الله عنـــه وهناك يصير امتحانى فى الميدان بأورطة من العساكر بحضرته فســأله الخــديو عما يقصـــده بذلك فقال انه مســتحق لرتبة الميرالاى لان الذين ترقوا الى هــذه الرتبة من المــدارس الحربية لم يكونوا فى أجوبتهم مثله . فقال الخديو لايمكن ذلك. فقال له يحسن اليه على الاقل برتبة بكباشى فأبى عليه ذلك وقال يلزم أن يتدرج فى كل رتبة ليعرف واجباتهــا ومنحنى رتبة ملازم أول وأمر باعتبار جدول هذا الامتحان وأن يكون الترقى على مقتضاه بدون تجديد امتحان لمدة مجهولة وقبل

مضى شهرين رقيت الى رتبة يوزباشي والتحقت بمعيته . وفى أوائل سنة ١٢٧٦ ترقيت الى رتبة صاغقول أغاسى فى بنى سويف

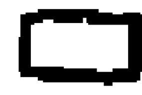


وفى عام ١٢٧٨ رأى سعيد باشا أن الحكومة سقطت فى دين يبلغ مقداره ٦ ملايين جنيه مصرى وذلك يساوى ايراد الحكومة فى ذاك الوقت سنة كاملة تقريبا وكان ذلك المبلغ ثمن اسلحة ومهمات حربية وملابس وذخائر عسكرية موصى عليها فى معامل أوربا وردت بعد وفاته . فأمر برفت جميع الالايات وأبقى أورطة واحدة كان فيها يوزباشي «مصطفى فهمى» وعلى فهمى باشا الذى نفى معنا الى سيلان . وأمر باستيداع الضباط بالمحافظات والمديريات على حسب رغبتهم ومن له بلد يتوجه الى بلده ويصرف لهم نصف مرتباتهم فى مدة استيداعهم ، وأمر أن تضاف مرتباتهم على الاطيان مؤقتا ريثما يتم تسديد الدين . فخص الفدان الواحد ٥٠ فضة أى قرش واحد وربع . وقد حصل ذلك فعلا ثم صار بيع الخيول وماكولات العساكر ومفروشاتها وكذا الفضيات الموجودة فى الخزائن

وفى أوائل عام ١٢٧٩ هـ سافر سعيد باشا الى أوربا لمعالجة نفسه من داء السرطان وكان بمعيته محمد على باشا الحكيم المصرى الذى استشهد فى حرب الحبشة عام ١٢٩٣ هـ فصدر أمره الى قائمقام خديو اسماعيل باشا «الخديو الاسبق» بطلب جميع الضباط المصريين من بلادهم واقامتهم فى قصر النيل ومداومتهم على التدريس فى القوانين العسكرية يقول فيه : «ان الضباط الوطنيين المترقين من تحت السلاح قد اشتغلوا بملازمة نسائهم وتركوا دروسهم ولو تركناهم على هذا الحال الذى لا يؤول عليهم منه الا بالوبال لفقدوا العافية والنظر وصاروا عبرة لمن يعتبر . وبما أننا نحن الذين ربيناهم ورقيناهم واظهرناهم فلا يصح لنا تركهم فى هذا الحال فقد اقتضت ارادتنا جمعهم من بلادهم وعدم تمكنهم من نسائهم حتى ولا

بالنظر اليهن بالعين والتشديد عليهم بمداومة التدريس ليـلا ونهارا فى قصر النيل»

وبنـــاء على هذه الآراء صار اجتماعنـــا فى قصر النيل . وفى ربيع الاول انتدبت لفرز الصف ضباط فى الوجه القبلى وتعين معى حكيما للفرز المرحوم سالم باشا سالم الحكيم



ولما تولى الخديوية اسماعيل باشا وأمر بانشـــاء ٦ الايات بيادة كنت قائمقاما فى الالاى السادس وكان المرحوم خسرو باشا أميرالايا على الالاى الثانى ثم ترقى الى رتبة لوا باشا وكان متعصبا لابناء جنسه تعصبا أعمى وترتب قومندانا على الالاى ٥و٦ ولما وجدنى وطنيا قحا عظم عليه وجودى فى الالاى ، وسعى فى رفتى من الالاى لاجل اخلاء محلى لترقية أحد أبناء المماليك مصطفى افندى سليم بن سليم بك المشهور بالحجازى . ولاجل هـــذه الغـــاية صار يترقب الفـــرص للايقاع بى الى ان صدر امر الجهادية بامتحان الضباط لاجل استكمال النقصان . وبعد أن صار الامتحان وتحررت العرائض للمســتحقين وختم عليها من أرباب الامتحان وكنت من ضمن أعضاء مجلس الامتحان تحت رئاسة الباشا المذكور ارسل لى عريضة أحـــد الملازمين اســـمه ســـيد أحمد أفنـــدى وطلب أخـــذ ختمى من عريضتـــه والختم على عريضـــة ضابط آخر من أورطـــة مصطفى أفنـــدى سليم البـكباشى لـكونه دائمـــا يباشر خدمة منزل البكباشى المذكور . فشق على هذا الامر وتوجهت الى مركز اللوا باشا واخبرته أن يعفينى من الختم على عريضة من لايستحق . فقـــال لابد من الختم لاجل خاطر البـــكباشى المذكور . فقلت أن هذا ظلم لا افعله واذا كنت تراعى خاطر البكباشى فى الظلم فأولى لك أن تراعى خاطر رئيسه فى العدل . وذكرته بعاقبة هذا الامر اذا تشكى المظلوم الى ديوان الجهادية وطلب امتحـــانه مع الآخر كمـــا حصـــل مثـــل ذلك

فى زمن سعيد باشا وصار عزل جميع أعضاء مجلس الامتحان مع رئيسهم بسبب ظلم نفر مستحق رتبة أونباشى وهى أدنى رتب الصف ضباط . ثم ذكرته بعاقبة الظلم غدا بين يدى العزيز الجبار . فحنق لذلك حنقا شديدا وذهب الى ناظر الجهادية المرحوم اسماعيل باشا سليم واخبره انى لا أطيع له أمرا ولا أعبأ بأوامر ديوان الجهادية . وناظر الجهادية عرض للخديو الاسبق بذلك ثم صدر الامر برفتى من الجهادية بالقول انى صلب الرأس شرس الاخلاق «وما بى والله من شراسة ولكن جبلنى الله سبحانه على حب العدل والانصاف وكره الظلم والاعتساف» فترتب على ذلك رفتى من الخدمة وحرمانى من المئتى فدان التى صدر أمر الخديو بمنحها لكل من القائمقامات الجهادية عقب مناورة عسكرية حضرها الخديو . وكنت من ضمن من حضرها وكان أصدر ادارة سنية للمديريات بوجه بحرى بتسليم تلك الاطيان الى المنعم بها عليهم . فصدرت ارادة سنية ثانية بتوقيف التسليم فيما يخصنى وقد حصل . ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون فانتقم بعدله ممن ظلم من غير امهال وذلك أنه صدر أمر الخديو فى الاسبوع الذى رفت فيه بالغاء الالاى ٥و٦ أى اللواء الثالث وأرسل خسرو باشا الى السودان وأصيب حسين باشا الطوبجى بالفالج ومحمد بك أمين القبرصلى بالفالج أيضا حتى ماتا وأمين بك رئيس قلم تركى بديوان الجهادية انتحر بعد تكبيله فى الحديد وارساله الى السودان وهكذا كل من اشترك فى هذه المظلمة أصيب بقارعة عظيمة . وأما مصطفى سليم المذكور فقد رفت أيضا واقام فى بيته مرفوتا نحو عشر سنين حتى أذله الله . وأما اسماعيل سليم باشا ناظر الجهادية فانه مات فى حرب كريد



ولما تولى الامير توفيق باشا منصب الخديوية وحضر الى الاسكندرية أنعم على برتبة أميرالاى على الالاى الرابع فتوجهت الى رأس التين وقدمت شكرى وامتنانى ثم جعلت من ضمن

ياوران الخديو . ولما تولى عثمان رفقي باشا الشركسي نظارة الجهادية سولت له نفسه ان يمنع ترقية المصريين من العساكر العاملين في الالايات والاكتفاء بما يتخرج من المدارس الحربية وصدرت أوامره بذلك . ثم أردفها باحالة عبد العال حلمي بك أميرالاي السودان على ديوان الجهادية ليكون معاونا وكان عمره اذ ذاك أربعين سنة ليس الا ورتب بدله خورشيد نعمان بك من جنسه على الالاي المذكور وكانت سنه فوق الستين وهو ضعيف لايقدر على الحركة العسكرية . وقد رفت أحمد بك عبدالغفار قائمقام السواري وعين شاكر بك طمارة من جنسه بدله وهو طاعن في السن ثم ختم تلك الاوامر وصار قيدها بدفاتر الجهادية. وكنت لا أعلم بشيء من ذلك أصلا. وقد دعيت الى وليمة وسماع تلاوة القرآن الشريف بمنزل المرحوم نجم الدين باشا لمناسبة مودته من اداء فريضة الحج الشريف ولما وصلت الى منزل الداعي وجدته غاصا بالذوات العسكرية وغيرهم فجلست بجوار نجيب بك وهو رجل كردي الاصل وبجانبه اسماعيل كامل باشا الفريق وهو شركسي الاصل ولكنه يتظاهر بحب العدل والانصاف فأخبر نجيب بك بما حدث وأنه نصح ناظر الجهادية بالاعراض عن هذا الاجحاف فلم يصغ لقوله ولذا فهو ساخط ومضطرب ثم أوعز اليه أن يخبرني بما سمع منه . فأخبرني نجيب بك بحقيقة الحال همسا في أذني فقلت لاسماعيل باشا كامل : «أحق هذا ؟» فقال : «نعم وأعطيت الاوامر الى الكتبة للاجراء على مقتضاها» فقلت له : «ان تلك لقمة كبيرة لايقوى ناظر الجهادية عثمان رفقي على هضمها»

وبعد تناول طعام المأدبة حضر لي أحد الضباط وأخبرني بأن كثيرا من الضباط ينتظرونني بمنزلي وفيهم عبد العال بك حلمي وعلى بك فهمي . فأسرعت اليهم وهم في هياج عظيم وقد بلغهم صدور أوامر ناظر الجهادية قبل ارسالها اليهم . فلما رأوني اخبروني بما سمعته من المرحوم اسماعيل باشا كامل . فقلت لهم : « قد سمعت من غيركم فماذا تريدون ؟» فقالوا : «انه ليس

ذلك فقط بل انه قدكثر اجتماع الشراكسة ــ بمنزل خسرو باشا الفريق ــ صغيرا وكبيرا وهم يتذاكرون فى تاريخ دولة المماليك فى كل ليلة بحضور عثمان رفقى باشا ويلعنون حزبك ويقولون قد حان الوقت لرد بضاعتنا وانهم لايغلبون من قلة وظنوا أنهم قادرون على استخلاص مصر وامتلاكها كما فعل أولئك المماليك».
وقد تحققوا ذلك ممن يوثق بخبره فقلت لهم : «وماذا تريدون اذا ؟» فقالوا : انما جئناك لاخذ رايك فيما دهمنا من الخطب العظيم» . فقلت لهم : «أرى أن تطيبوا نفوسكم وتهدأوا روعكم وتعتمدوا على رؤسائكم وتفوضوا لهم النظر فى مصالحكم وهم ينتخبون لهم رئيسا منهم يثقون به كل الوثوق ويطيعون أمره ويحفظونه بمعاضدتكم» . فقالوا كلهم : «قد فوضنا اليك هذا الامر وليس فينا من هو أحق به وأقدر عليه منك» . فقلت لهم : «لا . . انظروا غيرى وأنا أسمع له واطيع وانصح له جهدى» فقالوا : «لانبغى غيرك ولا نثق الا بك» . فقلت : «ارجعوا لانفسكم فان هذا أمر عصيب لايسع الحكومة الا قتل من يقوم به أو يدعو اليه» فقالوا : «نحن نفديك ونفدى الوطن بأرواحنا» فقلت لهم : «اقسموا لى على ذلك» فاقسموا . وفى الحال كتبت عريضة الى دولة رئيس النظار رياض باشا مقتضاها : الشكوى من تعصب عثمان رفقى لجنسه والاجحاف بحقوق الوطنيين ، والتمست فيها :

أولا : تشكيل مجلس نواب من نبهاء الامة المصرية تنفيذا للامر الخديو الصادر ابان توليته

ثانيا : ابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفا تطبيقا لمنطوق الفرمان السلطانى . .

ثالثا : تعديل القوانين العسكرية بحيث تكون كافلة للمساواة بين جميع أصناف الموظفين بصرف النظر عن الاجناس والاديان والمذاهب

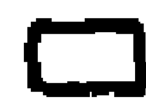
رابعا : تعيين ناظر الجهادية من ابناء البلاد على حسب القوانين العسكرية التى بأيدينا . . ثم تلوت هذه العريضة على مسامع

الجميع فوافقوا كلهم عليها فأمضيتها بامضائى وختمتها بختمى وختم عليهـا أيضـا على فهمى بك أمير الاى الحرس الخديو وعبد العال بك أمير الاى السودان

ولما تم ذلك صار ترتيب مايلزم لحفظ الذات الخـديوية ، وحفظ أعضاء العائلة الخديوية وحفظ الوزراء والامراء الوطنيين اذا حدث أي حادث من الضباط الشراكسة الطامعين فى التغلب على البلاد مع ترتيب اللازم لحفظ البيوت المالية وبيوت التجار من الاجانب والوطنيين من مطامع الرعاع ، وعملنا لحفظنا أيضا من بطش الحكومة اذا أرادت الايقاع بنا

وارفض الاجتماع على ذلك . وما دعانا الى طلب انشاء مجلس نواب للامة ينظر فى مصالحهـا الا ما حل بالمرحوم اسـماعيل صديق باشا الحائز لرتبة المشـيرية التى من لوازمها حفـظ صاحبها ولو باستعمال السلاح فى عهد الخديو الاسبق اسماعيل باشا بسبب كلمة حق قالها ، وما حل بحضرة السيد حسـن موسى العقاد بسبب كلمة عدل اراد بها مساواة الاهالى الذين دفعـوا للحـكومة ...ر...ر١٧ من الجنيهـات المصرية باسم المقـابلة و...ر...ر٥ أخرى باسم السهام بالاجانب أصحاب الديون ، وما حصل لكثير من القتل والخنق فى السجون بغير حق ولا تحقيق بل بمجرد ظلم واجحاف واستيلاء على الناس بالقهر والجبروت بما تأباه النفوس الشريفة . .

وفى ضحوة الغد ذهبت الى ديوان الداخلية و قدمت العريضة المذكورة الى دولة رئيس النظار ، فقال لنا : «سأنظر فى هذا الامر وأتكلم مع ناظر الجهادية»



وبعد يومين ذهبت الى بيت الرئيس المذكور ومعى الاميران المذكوران فلما قابلناه وسألناه عما تم فى هذا الامر قال : « ان هذا الطلب مهلك وهو أشد خطرا من العرض الذى قدمه أحمد أفندى فنى الذى أرسل بسببه الى السودان» . ان أحمد

افندى فنى كان كاتبا بديوان المالية فطلب المساواة مع خدمة الديوان المذكورلظلم حاق به، فكان جزاؤه النفى الى السودان فأجبته : «بأننا لم نطلب الاحقاوعدلا وليس فى طلب الحق من خطر، على اننا نعتبرك ابا للمصريين فما هذا التعريض وماهذا التهديد» فقال: «انه ليس فى البلاد من هو اهل لمجلس النواب» فقلت له : «عجبا انك مصرى وباقى النظار مصريون والخديو ايضا مصرى اتظن ان مصر ولدتكم ثم أعقمت لا بل فيها العلماء والفضلاء والنبهاء والبلغاء ، وعلى فرض أنه ليس فيها من يليق كما ظننت أفلا يمكن انشاء مجلس يستمد معارفكم ويكون كمدرسة ابتدائية وبعد خمسة أعوام يتخرج منها رجال يخدمون الوطن بصائب فكرهم ويعضدون الحكومة فى مشروعاتها الوطنية» فانبهر لذلك وقال لنا : «سننظر بدقة فى طلباتكم هذه» فانصرفنا على ذلك



ولما كان غرة ربيع الاول سنة ١٢٩٨ هـ انعقد مجلس تحت رياسة الخديو بعابدين حضره جميع الباشوات المستخدمين والمتقاعدين وكلهم من الترك والشراكسة الا قليلا من الاوربيين وقرروا فيه لزوم توقيف الثلاثة أمراء الالايات الذين أمضوا على العريضة المتقدمة الذكر ثم اجراء محاكمتهم فى مجلس مخصوص مختلط من رجال الجهادية . فقال رئيس النظار رياض باشا : « انى أرى أنه اذا صار توقيف الامير الايات المذكورين يلزم أيضا توقيف ناظر الجهادية لانه فى عدم توقيفه مثلهم خطر عظيم وذلك لما رأيته فيهم من الجراءة» فلم يوافق الخديو وتعهد ناظر الجهادية بأنه ضامن لاخذنا بسهولة

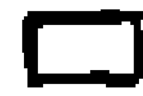
وفى الحال دعى المرحوم أحمد خيرى باشا الشركسى وكان مهردار الحضرة الخديوية وصاحب الراى النافذ فحضر وتلا بالمجلس المذكور أمرا فحواه : «أن هؤلاء الثلاثة امراء أحمد عرابى ، وعلى فهمى ، وعبد العال حلمى مفسدون فى الارض وانه يقتضى توقيفهم من الخدمة ومحاكمتهم على افسادهم

ومجازاتهم بأشد انواع الجزاء فى مجلس عسكرى فوق العادة تحت رياسة ناظر الجهادية ويكون من أعضائه «ستون باشا» رئيس أركان الحرب ، وهو أمريكى ، وناظر المدارس الحربية «أرفى باشا» وهو فرنساوى ، فوقع الخديو عليه وسلمه الى ناظر الجهادية عثمان رفقى باشا وارفض المجلس بعد ذلك . وفى المساء أرسل ناظر الجهادية لكل منا تذكرة، يدعونا فيها للحضور الى ديوان الجهادية بقصر النيل فى غد يوم ٢ شوال سنة ١٢٩٨ لنشهد الاحتفال بزفاف شقيقة الحضرة الخديوية جميلة هانم . وكان وقت زفافها لم يحن بعد فتيقنا أنه يريد خدعتنا والبطش بنا . فالتجأنا الى جانب الحق سبحانه وتعالى وأخذنا حذرنا ثم أعددنا ما يلزم لنجاتنا اذا اقتضت الحال ذلك . وحين حلول الوقت المعين ذهبنا الى ديوان الجهادية فوجدناه غاصا بجمع الشراكسة من رتبة الفريق الى رتبة الملازم الثانى وجميع شبانهم بأيديهم الطبنجات ذوات ٦ طلقات مملوءة بالخراطيش وكلهم فى فرح ومرح ولا فرح هناك ولا زفاف . فلما حضرنا دعينا للحضور أمام مجلس الهلاك فأجبنا طائعين وتلى الامر الخديوى الآنف ذكره ثم أمرنا بتسليم سيوفنا فأطعنا هذا الامر ومايعقبه من السجن وهو مخالف للفظ الحكم بالتوقيف. ثم تعين بحضرتنا من يستلم أمرة الالايات ، وساقونا الى السجن فى قاعة بقصر النيل . فمررنا بين صفين من الشراكسة المسلحين . وبعد اقفال باب السجن جاء خسرو باشا وكان رجلا صلفا جاهلا فوقف خارج السجن وقال : «ايه زنبيل لى هرفلر» يعنى فلاحين شغالين بالمقاطف

ولما اقفل علينا باب الغرفة قال على فهمى بك أحدنا : «والله لانجاة لنا من الموت وأولادنا صغار» وجزع جزعا شديدا ، فأردت تثبيته ، وقلت له متمثلا بقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لاتفرج

فلا وأبيك ما كان الا هنيهــة حتى جاءت أورطتــان من الآى الحرس الخديوى بقيادةالشهم الهمامالبكباشىمحمدأفندىعبيد وأحدقوا بديوان الجهــادية ثم أسرع بعض الضبــاط والصف ضباط وفتحوا الابواب وأخرجونا من الســجن وقد فر ناظر الجهادية الغشوم هاربا وكذا رجالالمجلس وغيرهم منالمجتمعين



ولما فرج الله علينا أسرعت الى العساكر وحذرتهم وأنذرتهم وقلت لهم : «لاتمدوا أيديكم بسوء الى أحد من الجراكسة فانهم موالينا واخواننا استأثروا بأنفسهم علينــا وتريد الانصــاف والمساواة معهم ليس غير» . ثم نظرت فوجدت بجانبىاسماعيل كامل باشا،انفت نفسه أن يفر مع الفارينفأخذته بيده وضممته الى صدرى امام العســاكر ، وقلت : «هذا جركسى كما تعلمون ولكنه أخى حرام على دمه وماله وعرضه ، وكذلك غيره من الجراكسة » فانصرفوا بانتظام علىبركة الله ثم سرنا جميعا الى قشلاق عابدين وكانت الاورطة الاولى من الحرس الخديوى حكمدارية البكباشى المرحوم أحمد افندى فرج واقفة أمامسراى الخديو لحفظها ، كما أمرت بذلك من قبل أميرالاى الحرس على فهمى بك ، ولما تم وجود عســاكر الالاى المذكور أمر أمير الالاى العســاكر بحمل أسلحتهم بحركة «سلام دور» وعزفت الموسيقى بالسلام الخديوىونادوا جميعا«يعيشالخديو»ثلاثاوذلككاناشارة واعلانا للقوم بأننا على اخلاصنا للحضرة الخديوية وكان جميع الذوات الذين كانوا بديوان الجهــــادية التجــــأوا الى حمى الخديو . ثم أنهم تشاوروا فيما بينهم فقال «ستون باشا» الامريكى :«هذا عصيان ظاهر والواجب حصر القشلاق المذكور بالطوبجية وآلايات البيادة ويطلب من هذا الالاى تسليم الثلاثة أمراء فان أبوا تضرب عليهم المدافع وتمطر عليهم البنادق نارا حامية حتى يضطروا الىالتسليم»،فاستحسنالجميع ذلكالراى الامريكى ولكن ابتدره اسماعيل كامل باشا المذكور آنفا وقال :

«انا اعتقد اتفاق جميع اصناف العساكر على رأى واحد فلا يجدى هذا الرأى نفعا » . .

وفى أثناء مفاوضاتهم حضر آلاى السودان من طره وانضم الى آلاى الحرس ثم عزفت الموسيقى بالسلاى الخديوى وهتفوا جميعا : «افندمز جوق يشا» وانا العاجز الضعيف كتبت الى وكيل فرنسا السياسى فى مصر الكونت «دورنج» من غير أن يكون لى به ولا بغيره من قناصل الدول الاوربية سابق معرفة ولا مقابلة التمس منه مخابرة باقى قناصل الدول بما حصل بيننا وبين حكومتنا من الخلاف وأطلب منهم التوسط فى اصلاح ذات البين . ثم بتنـــا على ذلك وفى صباح الغد حضر لنا أحمد خيرى باشا مهردار الخديو ومعه محمود سامى باشا ناظر الاوقاف من قبل الخديو وقالا لنا : «ماذا تريدون ؟» فقلنا : «العدل والمساواة» . قالا : «ثم ماذا ؟» قلنا : «استبدال ناظر الجهادية برجل وطنى . وتشكيل مجلس نواب للامة ينظر فى مصالحها ، وتعديل قوانين العسكرية ، وابلاغ الجيش الى ثمانية عشر الفا ونحن على طاعتنا للحضرة الخديوية» . فذهبا الى الخديو ثم رجعا وقالا : «قد عزل عثمان رفقى فمن الذى تريدونه ناظرا للجهادية ؟ «قلنا» الذى يختاره الخديو من الوطنيين . فذهبا وعادا ثانية وقالا : «ان الخديو يقول اختاروا أنتم من ترضونه حتى لايحصل منه مثل ما حصل من عثمان رفقى» فقلنا : «قد اخترنا هـذا محمود سامى باشا وهو من أولاد المماليك الاول ولكنه صدق معنا ولم يقصد الغدر بنا» ثم صدرت الاوامر الخديوية باعادة كل منا الى آلايه وعزل عثمان رفقى وصار تولية محمود سامى على نظارة الجهادية مع نظارة الاوقاف وأخذ فى سن القوانين العادلة وتعديل القوانين الاصلية وتنقيحها

ثم لما شاعت الاراجيف الكاذبة فى أوربا بخروج العســــاكر المصرية عن الطاعة حضر من الحكومة العثمانية وفد برئاســـة المشير على نظامى باشا وبمعيته أحمد راتب باشا «والى الحجاز

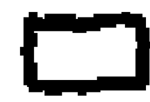
حينئذ» لتحقيق أمر العصيان فرده الخديو قائلا : «ان عساكرى على طاعتى وان ليس ثم عصيان» . وبعد ذلك اجتهدت الحكومة فى غدرنا واخذنا على غرة أو بحيلة من ضروب الحيل ولما لم يوافقها ناظر الجهادية محمود سامى باشا على نواياها صار عزله بتذكرة من رياض باشا رئيس النظار وتشدد عليه بأن لا يجتمع بنا ولا يقيم بالعاصمة وتعين بدله داود باشا يكن وهو عديل الخديو ولكنه رجل جاهل أحمق مشؤوم فأسرع باصدار أوامر لا يستطاع قبولها فردت اليه ونفرت القلوب منه . فكتبت له فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بأننا سنحضر بجميع العساكر الموجودين فى القاهرة الى ساحة عابدين لعرض طلباتنا على الخديو فى الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وكلفته عرض ذلك على الخديو ثم كتبت الى جميع قناصل الدول بذلك وأعلنتهم بحفظ جميع رعاياهم فلا خوف عليهم ولا على أموالهم . وفى الوقت المعين اجتمعت الالايات البيادة والسوارى والطوبجية فى رحبة عابدين وكان ما هو مسطر فى بطون التاريخ وهو اسقاط الوزارة وترتيب مجلس النواب وابلاغ الجيش الى القدر المحدد بالفرمان السلطانى . وقد حبانا الخديو باجابة تلك الطلبات العادلة . وقد تعرض لنا المستر كوكسن قنصل انجلترا بالاسكندرية حينذاك وهددنا فلم نعبأ بتهديده لاعتمادى على صدق عزيمتى وطهارة ذمتى . ثم صار استدعاء المرحوم شريف باشا من الاسكندرية وتعيينه رئيسا للوزارة على حسب اختيارنا له وتعين محمود سامى باشا ناظرا للجهادية ثانية وقد توقف شريف باشا فى قبوله ٧ أيام ثم رضى بعد ذلك وصار توظيفى وكيلا للجهادية . وفى تلك النظارة صارت الامتحانات وترقى كثير من الباشاوات وأمراء الآلايات والقائمقامية وغيرهم من جميع الرتب واستكملت الالايات وانشئت القوانين العادلة وتعدلت الرواتب والماهيات بنسبة كل رتبة الى ما دونها . وصرفت

الحقوق الموقوفة من زمن مديد وانشىء مجلس النواب وجعل رئيسه سلطان باشا واستقامت الامور وحين ذاك عرضت على رتبة لواء «باشا» فرفضتها لئلا يقال انى انما اشتغل لمصلحتى فقط وبقيت فى رتبة الميرالاى مدة وكالتى للجهادية

وأما رفقائى عبد العال حلمى وعلى فهمى فقد نالا رتبة الباشوية الرفيعة

ثم أن مجلس النواب قرر فى لائحته الاساسية أن يكون له الحق فى نظر ميزانية الحكومة ومعرفة كيفية ايرادها ومصروفها بشرط عدم الخروج عن دائرة التعهدات الدولية وقانون التصفية فلم يجبهم المرحوم شريف باشا لذلك لانه سامحه الله أخذ رأى السير مالت وكيل انجلترا السياسي فى مصر وقنصل فرنسا أيضا فأشارا عليه بعدم قبول لائحة المجلس فأصر مجلس النواب على الطلب فى تنفيذ لائحتهم فلم يوافقهم وقدم استعفاءه واستعفت هيئة نظارته ثم تشكلت هيئة جديدة تولى رئاستها محمود سامى باشا وجعل من رجالها حسن باشا الشريعى وسليمان باشا أباظة وعبد الله باشا فكرى ومحمود باشا فهمى ومصطفى باشا فهمى . وجعلونى أيضا ناظرا للجهادية لاجل اطمئنان خاطر العساكر الذين لايأمنون غيرى فى ذاك الوقت فقبلت ذلك . ثم انعم على برتبة لواء «باشا» وكنت لا أريد . ولكن قالوا انه لايليق أن يكون ناظر الجهادية برتبة اميرالاى وفى نظارته اللواءات والفرقاء . فقبلتها للضرورة وشكرت الخديو وقد انتظمت الامور وهدأت الاحوال وصارت العساكر فى أمن من الغدر . ولكن أوربا لايروق فى نظرها انتظام حكومات الشرق فاقلقوا حكومة الدولة العلية فأرسلت وفدا مندوبا من طرفها تحت رئاسة المشير المرخص درويش باشا لتحقيق مايقال من العصيان فجاء درويش باشا وبحث الامر وكتب للسلطان بأن العساكر على الطاعة وكذلك كتب الخديو بالحقيقة فأرسل السلطان الى الخديو اربعمائة

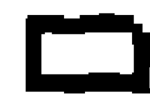
نيشـــان من أنواع مختلفـــة للانعـــام على المستحقين من ضباط العساكر وأنعم على بنيشان الدرجة الاولى المجيـدى وحضر بوابور مخصوص يحمله سعادة سليم بك ياورالسلطان فأبيت استلام النيشـــان المذكور الا من الخديو . ثم كتبت تلغرافا الى «المابين الهمايونى» برفع تشكراتى للسلطان



وفى شهر مايو سنة ١٨٨٢ جاءت الاساطيل الحربية الانجليزية والفرنساوية الى ثغر الاسكندرية وتقدمت للحكومة المصرية لائحة مشتركة «انذارا مشتركا» من دولتى فرنســا وانجلترا مجحفة باستقلال الحكومة المصرية وحقوق الدولة العلية وتقدمت نسخة منها للخديو فرفضها مجلس النظار وقبلهـــا الخديو فاستعفت النظارة من وظائفها . وهاجت الافكار وطاشت العقول الزكية واجتمع النواب والقناصل حولى يطلبون منى حفظ الامن والراحة العموميـــة فقلت لهم : «لاقدرة لى على ذلك لانى قد استعفيت» . فذهب وفد من مجلس النواب وطلب من الخديو اعادتى الى نظارة الجهادية حفظا للنظام والراحة فصدر الامر الخديوى باعادتى الى النظارة المذكورة ثم دعيت لمقابلة الخديو فوجدت عنـــده جميع قنـــاصل الدول ما عدا وكيـــل انجلترا السياسى وبحضرته درويش باشا المندوب السلطانى فأخذ على تعهدا بحفظ رعايا الدول الاجنبية وصار اعلان جميع مصالح الحكومة بذلك

وفى ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ حدثت حادثة اسكندرية المشؤومة بتدبير ذوى الغايات لاجل تشويه أعمالى فى نظر أوربا وخدش تعهدى بالحفظ والامن العمومى فأسرعت بارسال العساكر الى الاسكندرية حتى ملئت شوارعها بالعساكر وانتهت الفتنة التى ابتدأ بها أحد المالطية من التبعية الانجليزية مع أحد حمارة الاسكندرية بايعاز وتعليم ثم صار الشروع فى تحقيقها فى مجلس

مختلط تحت رئاسة «ذوالفقار باشا» محافظ الثغر ومن الغريب العجيب أنه لم يبحث اصلا فى الدماء التى سفكت بل كان البحث قاصرا على معرفة مقدار البضائع التى انتهبها الرعاع ليس غير. وبعد ذلك تشكلت الوزارة بمعرفة الخديو تحت رئاسة راغب باشا وكنت من رجالها ايضا ثم انتقل الخـديو ودرويش باشا الى الاسكندرية . وفى يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وردت افادة الى قومندان عساكر الاسكندرية من طرف اميرال الاسـطول الانجليزى يقول فيها انه جارى تهديد العمارة الانجليزية بترميم القلاع والاستحكامات وانه يطلب تخريب القلاع وهدمها بأيدى العساكر المصرية والا ضرب الاسكندرية وخرب المدينة ودمرها. فعقد لذلك مجلس تحت رئاسة الخديو حضره درويش باشا المندوب العثمانى وقدرى بك من رجال الوفد المذكور وجميع النظار وكبار الذوات المتقاعدين وبعد المذاكرة اجمعوا على رفض هذا الطلب والاستعداد للحرب ولكن لايبدأ بها الا بعد اطلاق ثلاث قنابل من الاسطول الانجليزى حتى لانكون نحن البادئين بالحرب فأعطيت الاوامر بذلك



وعند اشراق يوم ١٢ يوليو بدات مراكب الانجليز بالضرب على مدينة الاسكندرية وجميع سواحلها وانتشب القتال بين مصر والحكومة الانجليزية . وأما الاسطول الفرنساوى فاعتزل جانبا كالمتفرج . وضربت الطوابى حتى تهدمت استحكاماتها . وفى أثناء الحرب خرج سكان المدينة مهاجرين منها خوفا وهلعا وفى اليوم الثامن انهزمت العساكر فرجعت الى كفر الدوار واتخذت خطا دفاعيا وتراجع المنهزمون الى . وفى ١٤ يوليو أرسلت القطار الخديوى لاستحضار الخديو ومعيته ومن معه من النظار ولما وصـلت القطـارات الى سراى الرمل لركوب الخـديو ورجوعه الى عاصمة بلاده أبى أن يعود واسرع فى الذهاب الى

راس التين بعائلته ومن بمعيته وانحاز الى العدو المحارب لبلاده. واستدام الحرب الى أن قدر الله تعالى شأنه بنهايتها في معركة التل الكبير كما هو معلوم للجميع وتم الامر بنفينا الى جزيرة سيلان ..

وغني عن البيان . والله الذى لا اله الا هو فالق الحب وبارىء النسمة انى ما خدمت بذلك دولة انجلترا ولا فرنسا ولا كنت آلة لدولة ما ولا للخديو الاسبق اسماعيل باشا ولا لحليم باشا ولا اوصيت بمساعدة الدولة العلية . وانما كنت أجتهد في حفظ استقلال بلادى مع نيل الحرية والعدل والمساواة لاهل بلادي المساكين ، وأنا خادم لهم وناديت سرا واعلانا بتأييدها ، ولكن المقادير الالهية غالبة فانعكست المرئيات وتوالت الصعوبات لنفاذ ما هو كائن في علمه أزلا سبحانه وتعالى

خادم وطنه العزيز

احمد عرابى الحسينى المصرى



محمود سامى البارودى

١٢٥٦ - ١٣٢٢ هـ الموافق ١٨٤٠ - ١٩٠٤ م

لم تخل مصر فى عصر من عصورها القديمة أو الحديثة من طبقة فى أهلها من « المولدين » وهم المولودون فيها من آباء غرباء حتى فى عهد الفراعنة . وتوالى فى وادى النيل طبقات شتى من المولدين ممن نزح اليها على اختلاف عصورها وفيهم الفرس واليونان والرومان والعرب والترك والبربر والجركس والارمن والديلم وغيرهم . وكل فئة اذا طال مكثها عدت نفسها وطنية وعدت القادمة بعدها غريبة . وآخر فئة توالدت فى مصر الجركس والاتراك من بقايا المماليك . والغالب فى المولدين من هؤلاء غموض منشئهم لان رباط العائلة كان ضعيفا فيهم والرجل منهم انما ينتسب الى مالكه أو رئيسه أو يعرف بلقب يلقبونه به . فلم يعد تحقيق تلك الاصول ممكنا فيهم

والبارودى صاحب الترجمة من مولدى الجركس بمصر ويؤخذ من صحيفة كانت نشرتها مجلة المنار انه ينتسب الى نوروز الاتابكى الملكى الاشرفى ولعله أحد رجال الملك الاشرف قايتباى المحمودى المتوفى سنة ٩٠١ هـ ونستغرب ثبوت هذه النسبة للاسباب التى قدمناها من ضياع اسم العائلة عندهم حتى نوروز هذا فانه لا ينتسب الى ابيه وانما يعرف بانتسابه الى الملك الاشرف ومنها اسمه « الملكى الاشرفى » . وقد كان فى هذا العصر جماعة يعرفون بهذا الاسم كل منهم ينتسب الى صاحبه مثل نوروز المنصورى نسبة الى الملك المنصور ونوروز التمر علائى الاشرفى برسباى نسبة الى الملك الاشرف



محمود سامي البارودي

برسباى وقس على ذلك . وقد بلغنا نقلا عمن عرف البارودى وعاشره انه كان شديد الحرص على معرفة نسبه وتتبعه الى أصله فبذل مبلغا طائلا من المال فى سبيل البحث عنه فى انحاء القطر ومراجعة النصوص والسؤال من أهل العلم والسن — قالوا انه انفق فى ذلك نحو ثلاثة آلاف جنيه

على اننا لا نرى لصحة هذه النسبة البعيدة أو فسادها دخلا فى تقدير فضل الرجل لان المرء باصغريه وبما يحدث على يديه . ولكن المشهور ان الفقيد هو محمود باشا سامى ابن حسن بك حسنى وكان ابوه هذا من امراء المدفعية فى الجيش المصرى وجده عبد الله بك الجركسى من الكشاف فى أوائل عهد محمد على . والكاشف يشبه مأمور المركز اليوم. وانما أضيف الى اسمهم لفظ البارودى نسبة الى اتياى البارد لانها كانت فى التزام أحد اجداده فى عصر الالتزامات

نشأته الاولى

ولد صاحب الترجمة فى سراية بباب الخلق سنة ١٨٤٠ وتلقى مبادىء العلم فى المدارس الحربية التى انشأها محمد على وخرج من المدرسة سنة ١٨٥٥ فى أوائل ولاية سعيد باشا . وكان من نعومة اظفاره ميالا الى الادب والشعر فرغب فى آداب اللغة العربية فاحرز منها شيئا كثيرا وظهرت ثمار قريحته وامتاز شعره بالسهولة والبلاغة من عهد شبابه على قلة النابغين من الشعراء فى ذلك الحين . فهو من أقوى أركان النهضة الشعرية الاخيرة بمصر

وكان مع ذلك كبير المطامع فى طلب العلى — وذلك نادر فى الشعراء لرقة احساسهم ولطف مزاجهم وانصراف قرائحهم الى الخيال — ولم يبال بركوب البحار فى طلبها فرحل الى الاستانة يلتمس بها منصبا . وكان يتكلم التركية وهى لغة أهل الطبقة العليا فى ذلك الحين . فانتظم فى كتابة السر بنظارة

الخارجية . وكانت اللغة التركية يومئذ فى ابان نهضتها فتبحر فى أدبها وشعرها حتى نظم فيها القصائد وتعلم الفارسية لمطالعة آداب الفرس واشعارهم ونفسه تحن الى مصر حنين كل من يقيم فيها ويتعود ماءها وأقليمها . فاتفق أن الخديو اسماعيل باشا شخص الى الاستانة سنة ١٨٦٣ على اثر ارتقائه الاريكة الخديوية فدخل صاحب الترجمة فى بطانته ورجع معه الى مصر وعاد الى الخدمة العسكرية فترقى فى سنة واحدة الى رتبة بكباشى وانتدب مع جماعة من الضباط لمشاهدة بعض الحركات العسكرية فى فرنسا وسافر منها الى لندره وعاد الى مصر فرقاه الخديو سنة ١٨٦٥ الى رتبة قائمقام فى آلاى الفرسان ثم الى رتبة اميرالاى

سيرته السياسية

ولو أردنا تفصيل ما تقلب فيه من المناصب لطال بنا الكلام فنقول بالاجمال انه ذهب فى حملة الجيش المصرى الذى ارسلته مصر لمساعدة الدولة العلية فى اخماد ثورة كريد سنة ١٨٦٨ ولما رجع الحق بالحرس الخديوى (الياوران) فأحبه اسماعيل وزاده من قربه فجعله كاتب سره الخاص . ثم عاد الى العسكرية بعد سنتين وكان الخديو ينتدبه فى كثير من الامور الهامة الى الاستانة وغيرها . حتى اذ نشبت الحرب بين الدولة العلية والروس سنة ١٨٧٧ انفذت مصر نجدة من جيشها كان المترجم فى جملتها مع فرقته وعند رجوعه رقى الى رتبة لواء . ولم تمنعه رتبه العسكرية من الخدمة فى المناصب الادارية فعين سنة ١٨٧٩ مديرا للشرقية . واضطربت مصر يومئذ وهى السنة التى اقيل فيها اسماعيل فسبق اقالته اثارة الخواطر بالمنافسة التى جاشت فى نفوس الامراء على الولاية وبما كان من تدخل الدول الافرنجية بشؤون مصر الادارية فانتدبت الحكومة صاحب الترجمة لرئاسة الضبطية فحفظ الامن وهدأ الخواطر . فلما اقيل

اسماعيل وتولى الحكم توفيق باشا الخديو السابق أعاده الى المناصب الادارية فجعله وزيرا وقلده نظارة الاوقاف فأصلح شؤونها ونظمها ـ والمرء يتقلب فى مناصب شتى ولا بد من شيء يعلق به ذهنه مما ترتاح اليه نفسه أو يدفعه الى ميله ؛ ولهذا الميل دخل كبير فى شؤون الامم لان الملك او الامير اذا كان ميالا مثلا للعلم نشط أهله ورفع شأنه واذا كان من أهل اللهو رغب الناس فى الملاهى . ويقال نحو ذلك فى سائر المناصب الادارية . وقد تقدم انالمترجم كان مغرما منصغره بالعلم والادب فاهتم فى امر الكتب المبعثرة فى المساجد وجمعها فى مكان واحد فلما أخذ المرحوم على باشا مبارك فى انشاء دار الكتب الملكية كانت هذه الكتب من جملة ما نقلوه اليها

فلما تحركت الخواطر وهبت النفوس فى الثورة العرابية كان لصاحب الترجمة شأن كبير فى ذلك والناس بين متهم ومبرىء . وخلاصة رأينا فى المترجم انه كان من جملة المنشطين للحزب الوطنى فى مطالبهم سرا لانه كان ناظرا للاوقاف كما تقدم فكان يحضر مجلس النظار وهواه مع العرابيين وهو يعتقد ان مطالبهم عادلة ـ ورجال المطامع يغتنمون هذه الفرص لنيل المناصب الكبرى وكثيرا ما كانت أمثال هذه الحركات سببا فى انتقال الملك من دولة الى دولة اذا وافقت الاحوال وتوفرت الرجال . وفى تاريخ مصر أمثلة كثيرة من هذا النوع . أما المترجم فقد كان طامعا فى منصب الوزارة وما وراءه فكان ينقل الى عرابى ورفاقه من قرارات ذلك المجلس وابحاثه ما يتعلق بهم ليحذروه أو يتهيأوا للقائه مما يطول شرحه . وقد نجح فى ما كان يؤمله فتولى نظارة الجهادية ثم رئاسة النظار . فكان له النفوذ الاعظم فى تلك الثورة وأما عرابى فقد تصدر لها وتظاهر بها عن صدق نية وبساطة ـ وهى فى الحقيقة نهضة سياسية عمرانية لو احسن أصحابها استخدامها ولو تصرفوا فيها بالحكمة والتؤدة لعادت بالنفع على الحكومة والاهالى

فلما دخل الانجليز مصر وقبضوا على العرابيين وحاكموهم كان صاحب الترجمة من جملة الذين حكم عليهم بالنفى الى سيلان مع زعيم الثورة وما زال هنـاك حتى ارجع فى جملة الذين ارجعوا واختصه الخديو بارجـاع حقـوقه ورتبته . وظل بين أهله وذويه حتى توفاه الله فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ وقد كف بصره



هذه خلاصة سيرته السياسية وأما سيرته الادبية فمجملها انه كان محبا للادب مطبوعا على الشـعر وشعره من الطبقة الاولى بين شعراء العصر بمصر . وكلهم يعترفون له بالتقـدم والفضل وله منظومات رنانة سارت بذكرها الركبان ومنها ما جرى مجرى الامثال وفى جملتها قصيدة فى السيرة النبوية تبلغ نحو ستمائة بيت على روى البردة سماه « كشف الغمة فى مدح سيد الامة » ومطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم ... واحد الغمام الى حى بذى سلم

واليك امثلة من منظوماته ــ قال فى وصف الليل من قصيدة بعث بها من جزيرة سيلان الى الامير شكيب ارسلان :

وترى الثريا فى السـماء كانها ... حلقات قرط بالجمان مرصـع
بيضـاء ناصعة كبيض نعامة ... فى جـوف ادحى بأرض بلقع
وكأنهـا اكر توقـد نورهـا ... بالكهرباءة فى سماوة مصـنع
والليل مرهوب الحميـة قائم ... فى مسحـة كالراهب المتلفـع
متوشح بالنـيرات كباسـل ... من نسل حام باللجين مدرع
حسب النجوم تخلفت عن امره ... فوحى لهن من الهـلال باصبع

وقال من قصيدة يعزى بها الاستاذ خليل مطران عن فقد عمه حبيب باشا مطران :

اعـزيك لا انى اظنك عاجـزا ... لخطب ولكنى عمـدت لواجب
وكيف أعزى من فرى الدهر خبرة ... وادرك ما فى طينه من عجائب

فيا صاحبي مهلا فلست بواجد سوى حاضر يبكي فجيعة غائب
وصبرا فان الصبر اكرم صاحب لمن بان عن مثواه اكرم صاحب

ونظرا لما فطر عليه من الميل الى الجندية فقد اجاد كثيرا فى نظم الفخريات ومنها ابيات يتمثل بها الناس كقوله من قصيدة عارض بها قصيدة ابى فراس :

من النفر الغر الذين سيوفهم لها فى حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفزعت الافلاك والتفت الدهر

وقوله من قصيدة اخرى :

وفيت بما ظن الكرام فراسة بامرى ومثلى بالوفاء جدير
واصبحت محسود الجلال كأننى على كل نفس فى الزمان أمير
اذا صلت كف الدهر من غلوائه وان قلت غصت بالقلوب صدور

ومن هذا القبيل قوله من قصيدة يصف بها الحرب بجزيرة كريت :

والخيل واقفة على ارسانها لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح اسفر وارتمت عيناى بين ربى وبين مجان
فاذا الجبال اسنه واذا الوها د أعنة والماء احمر قان

وله من الشعر الوصفي قصيدة يصف بها عصفورا على غصن وقد ابدع فيه قال :

ونباة اطلقت عينى من سنة كانت حبالة طيف زارني سحرا
فقمت أسأل عينى رجع ما سمعت أذنى فقالت لعلى ابلغ الخبرا
ثم اشرأبت فالفت طائرا حذرا على قضيب يدير السمع والبصرا
مستوفزا يتنزى فوق ايكته تنزى القلب طال العهد فاذكرا
لا يستقر له ساق على قدم فكلما هدأت انفاسه نفرا
يهفو به الغصن أحيانا ويرفعه دحو الصوالج فى الديمومة الاكرا
ما باله وهو فى امن وعافية لا يبعث الطرف الا خائفا حذرا
اذا علا بات فى خضراء ناعمة وان هوى ورد الغدران أو نفرا
يا طير نفرت عنى طيف غانية قد كان اهدى لى السراء حين سرى

حوراء كالريم الحاظا اذا نظرت　　وصورة البدر اشراقا اذا سفرا
زالت خيالتها عنى واعقبها　　شوق احال على الهم والسهرا
فهل الى سنة ان اعوزت صلة　　عود ننال به من طيفها الوطرا

وكان اذا عارض المخضرمين او الجاهليين جاء نظمه مثل نظمهم متانة وعلوا . فمن قصيدة عارض بها دالية النابغة الذبياني قوله فى وصف الفرس :

ولقد هبطت الغيث يلمع نوره　　فى كل وضاح الاسرة اغيد
تجرى به الآرام بين مناهل　　طابت مشاربها وظل ابرد
بمضمر ارن كان سراته　　بعد الحميم سبيكة من عسجد
خلصت له اليمنى وعم ثلاثة　　منه البياض الى وظيف اجرد
فكأنما انتزع الاصيل رداءه　　سلبا وخاض من الضحى فى موزد
زجل يردد فى اللهات صهيله　　دفعا كزمزمة الحبى المرعد
متلفتا عن جانبيه يهزه　　مرح الصبا كالشارب المتغرد
فاذا ثنيت له العنان رأيته　　يطوى المعاهد فدفدا فى فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة　　شدا كأهبوب الاباء الموقد
صلب السنابك لا يمر بجلمد　　فى الشد الا رض فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت　　يوم الكريهة فى العجاج الاربد

وقد ختم شعره بابيات فخرية وهى :

انا مصدر الكلم البوادى　　بين الحواضر والفوادى
انا فارس انا شاعر　　فى كل ملحمة وناد
فاذا ركبت فاننى　　زيد الفوارس فى الجلاد
واذا نطقت فاننى　　قس بن ساعدة الايادى
هذا وذلك ديدنى　　فى كل معضلة تآد

ونظرا لمنزلته الرفيعة فى نفوس الشعراء فقد اجتمعوا على ضريحه فى الامام الشافعى يوم الاربعين من وفاته ورثوه وابنوه مما لم يسبق له مثيل الا ما يقال عن توافد الشعراء لرثاء المعرى على قبره .

مصطفى كامل

١٢٩١ - ١٣٢٦ هـ - الموافق ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م

شاهد المصريون فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ ما لم يشاهدوا مثله من قبل . شاهدوا حزنا على مصطفى باشا صاحب اللواء عم القطر المصرى من اقصاه الى اقصاه وانتشر فى سائر العالم الاسلامي وسمع دويه فى اوربا والشرق الاقصى مما لم يسمع بمثله فى وادى النيل . توفى صاحب اللواء فى أصيل ذلك اليوم ودفن فى أصيل اليوم التالى فمشى فى جنازته عشرات الالوف واشترك فى المصاب أهل القطر على اختلاف طبقاتهم واعمارهم . فرثاه الشعراء وابنه الخطباء وبكته الصحف وقضت اياما فى نشر ما يرد عليها من رسائل التعزية نثرا ونظما . واقيمت له المآتم فى انحاء القطر فلم يبق جمعية خيرية أو ادبية أو ناد علمي أومدرسة وطنية للذكور أوالاناث فى القاهرة والاسكندرية او فى الارياف الا عقدت جلسة لتأبين ذلك الفقيد حتى الجمعية الماسونية فقد احتفل بعض محافلها بتأبينه . وبعضهم أقام حفلات تأبين فى الازبكية غير مابعثوا به من تلغرافات التعزية الى ادارة اللواء من الافراد والجماعات كالجمعيات والمشيخات والمدارس وتبرع كثيرون عن نفسه للجمعيات الخيرية ونحوها . وغير ما جاء من رسائل التعزية من انجلترا وفرنسا وغيرهما ومن أطراف الهند . ونشرت التلغرافات العمومية والصحف الافرنجية نعيه وتكلمت عنه. وتالفت فى القاهرة لجنة لاقامة تمثال يحيا به ذكره والناس يبذلون المال فى هذا السبيل . وعينوا يوم ٢٠ مارس التالى



مصطفى كامل

للاحتفـــال بتأبينـــه بجانب ضريحة بقرافة الامام ـ فمن كان هذا وقع مصابه فى النفوس جدير بان ننظر فى ترجمة حاله وندرس أخلاقه وأعماله ونبين منزلته من التاريخ

ترجمة حيـــاته

ولد فى القـــاهرة من ابوين مصريين فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ وكان والده على أفندى محمد مهندسا من جهة الصليبة اشتهر بين معارفه وجيرانه بطيب العنصر وحسن الخلق ووالدته من جهة المحجر بالقاهرة . ولما بلغ السادسة من عمره أتاه والده بمدرس لقنه القراءة والكتابة ثم ادخله مدرسة عباس باشا الاول . وقبل اتمام دروسه الابتدائية توفى والده فانتقل الى مدرسة القربية وعمره ١٢ سنة فأتم دروسه الابتدائية فيها وظهر ذكاؤه بامتيازه على ســـائر الرفاق فنال جائزة الامتحـــان الاولى بين يدى الخـــديو ســـــنة ١٨٨٧ ثم انتقل الى المدرسة التجهيزية قضى فيها أربع ســـنين نال فى نهايتها شهادة البكالوريا وكان من النابغين واشتهر باستقلال الفكر وصراحة القول من ذلك الحين . وانتبه المرحوم على باشا مبارك ناظر المعارف يومئذ لفصاحته وقوة عارضته فقال له مرة : « انك امرؤ القيس وستصير عظيما » وأخبرنا أحـــد رفاقه فى تلك المدرسة ان المرحوم على باشا مبارك اختصه بجنيه يتناوله كل شهر مدة اقامته فى المدرسة ودون اسمه فى كشف ماهيات المعلمين واضطر مصطفى لنقش خاتم يختم به الكشف على اصطلاحهم وهو أول عهده بالاختام

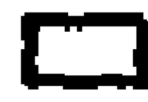
وكان فى اثناء اقامته بالمدرسة التجهيزية موضع اعجاب الاساتذة والتلامذة جميعا لما امتاز به من حسن الالقاء وفصاحة اللسان . ولم يكن ناظر المعارف اقل منهم اعجابا به فكان ينشطه ويدعوه الى منزله ويناقشه فى المسائل العلميـــة أو الاجتماعية ويقدمه الى جلسائه من العلماء والوزراء والـــكل

يعجبون به ويتوقعون له مستقبلا مجيدا . فلما اتم دروسه التجهيزية سنة ١٨٨٩ دخل مدرسة الحقوق الخديوية على أن يعد نفسه لصناعة المحاماة لانها أحوج المهن الى الخطابة . ورأى فى وقته متسعا فالتحق بمدرسة الحقوق الفرنساوية ايضا فكان يتلقى العلم بالمدرستين حتى نال الكفاية منه فذهب الى جامعة طولوز بفرنسا حيث أدى الامتحان ونال الشهادة وهو فى التاسعة عشرة من عمره

وتنبه خاطره وهو يدرس الحقوق الى المسائل السياسية ومضارها على مصر والاحتلال، وهو وطنى حريص على وطنيته، مستقل الفكر، شديد الثقة بنفسه. وقد تشرب من أساتذته الفرنساويين الاستهانة بانجلترا والوثوق بفرنسا فأصبح همه انقاذ مصر من الاحتلال . وكان عضوا عاملا فى عدة جمعيات ادبية يخطب فيها ويباحث وأكثر بحثه فى مصر والاحتلال والجلاء . وكان يتردد على الجرائد الوطنية ليكتب فى هذه المواضيع . ولقى اصغاء وتنشيطا فألف رواية فتح الاندلس التمثيلية ، وكتابا فى حياة الامم والرق عند الرومان، وألف بعد ذلك كتاب المسألة الشرقية وغيره وكلها ترمى الى تحبيب الاستقلال الى المصريين واحياء الشعور الوطنى فيهم . فالتف حوله جماعة من المريدين والمعجبين وأكثرهم من رفاقه فى المدرسة ومن يرى رأيهم من تلامذة المدارس العالية فأنشأ لهم مجلة شهرية سماها « المدرسة » يبث فيها آراءه وأفكاره

واتفق فى أثناء ذلك رجوع المرحوم عبد الله نديم خطيب العرابيين الى مصر سنة ١٨٩٢ وسمع بمصطفى كامل فقربه منه واقتبس صاحب الترجمة بعض أساليبه واطلع على دخائل الحوادث الماضية وتبين أسباب الفشل فأصبح قادرا على تجنبها وزاد رغبة فى انقاذ مصر من سلطة الاجانب ولا يكون ذلك الا بالالتفاف حول أمير البلاد فاستنبط فكرة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فحرض رفاقه التلامذة على ذلك

فاحتفلوا به فى الازبكية فى ٨ يناير سنة ١٨٩٣ فقربه الخديو ورضى عنـــه . وفى ذلك الاحتفــــال صرح مصـــــطفى كامل للمرة الاولى بانتقـــاد حالة الحـــكومة ودعا المصريين الى مطالبة الانجليز بالجلاء عن بلادهم قياما بوعودهم . وكان فى جملة الحاضرين ناظر مدرسة الحقوق فاستدعى مصطفى اليه فى الغد وعاتبه على تصريحه فأجابه انه مصرى وله الحق ان يبحث فى شؤون مصر وشدد لهجته فرفع الناظر أمره الى نظارة المعارف فأصدرت أمرا بمنع التلامذة من الاشتراك فى مثل ذلك ومن مكاتبة الصحف . فاعتبر مصطفى هذا الامر موجها اليه فازداد تمسكا برأيه وتضاعفت همته على اخراجه الى حيز العمل



وجاء مصر فى ذلك الحين المسيو «دلونكل» وهو فرنساوى كثير التظاهر بالغيرة على المصريين . وكان فى مصر يومئذ حزب وطنى تألف بطبيعة الحال من اوائل عهد الاحتلال ولم يكن حزبا منظما له رئيس ونائب وأمين وكاتب مثل أحزاب هذه الايام ولكنه ضم نخبة النبهاء والوجهاء الذين يكرهون الاحتــــلال وينتقدون أعمال الانجليز اما رغبة فى استقلال مصر او نقمة لذهاب نفوذهم . ولهذا الحزب فضل على أكثر الصحف الوطنية التى نشأت فى أوائل الاحتلال لانهم كانوا يســـاعدونها ماديا وأدبيا تحت طى الخفاء للاستعانة بها على جرائد الاحتلال . وكان مصطفى كامل طبعا من جملة ذلك الحزب وكان «دلونكل» يحضر مجتمعات الوطنيين ويستحثهم على الثبات . فالتقى هناك بصاحب الترجمة وأعجب بذكائه وفصاحته فرغبه فى السفر الى فرنسا للتبحر فى الحقوق فسافر الى باريس آخر سنة ١٨٩٣ واعجبته حرية القوم وموافقتهم اياه فى انتقاد الانجليز فعرف كثيرين من رجال السياسة والصحافة فيها . وفى ٨ يناير سنة ١٨٩٤ احتفل بعيد الجلوس الخديوى هنـــاك

احتفالا شهده أكثر المقيمين فى باريس من المصريين وهم من التلامذة المرسلين لتلقى العلم على نفقة الحكومة المصرية. فألقى فيهم مصطفى كامل خطابا استحثهم فيه على الثبات فى طلب الجلاء فوافقوه وتواطؤوا على استنجاد فرنسا فى ذلك الطلب على أن تكون حجتهم وعد انجلترا الذى صرحت به عام الاحتلال . وبلغ ذلك نظارة المعارف المصرية فأخرجت المشتركين فى ذلك العمل من عداد الارسالية

وعاد مصطفي فى أوائل السنة التالية الى مصر واحترف المحاماة أشهرا فرآها أضيق من أن تسع مطامعه وفى صدره غرض أصبح جزءا من وجدانه ولم يكتف بما كان ينشره فى الجرائد فعول على القاء الخطب السياسية فى المنتديات العمومية فألقى خطبته الاولى فى الاسكندرية ونشرتها الجرائد فرأى فيها الناس من شدة اللهجة على الاحتلال وطلب الجلاء ما لم يعهدوه من قبل فأعجبوا بالشاب وشاركوه فى احساسه وفيهم من يرى ذلك الطلب بعيد المنال ولكن الانسان يلتذ بالانتقاد على غالبه . فأطروه ونشطوه فازداد رغبة فى الخطابة والصحافة والذت له الشهرة ووطن النفس على التفانى فى طلب الجلاء وجعل ذلك وجهته وكعبة آماله ومدار أعماله وهو يعلم عجزه عن تلك الامنية بنفسه وأهله فرأى أن يستعين بفرنسا وقد جراه على ذلك ما آنسه فى رحلته الاولى من الحفاوة وما سمعه من التأمين والترغيب على عادة الفرنسيين من الانقياد الى الوجدان . فكف عن صناعته وانقطع للمطالبة بالجلاء فشخص عام ١٨٩٥ الى باريس ومعه رسم كبير يمثل مصر والاحتلال الانجليزى بشكل يرمز عن توسل المصريين الى فرنسا أن تساعدهم كما ساعدت الامريكان واليونان والبلجيكيين والطليان فى نيل حريتهم

رفع هذا الرسم الى مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونيو من تلك السنة . ومعه عريضة قدمها باسمه ينوب فيها عن مصر

فى استنجاد ذلك المجلس على الانجليز . وكان لهذا العمل دوى فى فرنسا فضلا عن مصر وتحدث الناس يومئذ بجراة هـذا الشاب وعلو همته واقدامه وهو الى ذلك الحين لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره . فلم يأت هذا المسعى بالنتيجة المطلوبة ولكن الفرنسيين رحبوا بالخطيب المصرى وتقاطر اليه كتاب الصحف يقابلونه وينشرون آراءه فى جرائدهم . وتسابق القوم يدعونه لالقاء الخطب فى انديتهم وكلها ترمى الى الغرض عينه . واول خطبة سياسية القـاها على الافرنج فى طولوز صدرها بتاريخ الاحتلال وعهوده وفصـل أحوال النظارات المصرية وسيطرة الانجليز فيها وصور استئثارهم بالوظائف والنفوذ واحتقارهم الاهالى واخذ يبرهن أن وجود الانجليز بمصر يخالف كل المعاهدات وان اخراجهم منها يوافق مصالح دول أوربا كافة . ثم القى خطبا اخرى وراسل الجرائد وكاتب الوزراء وكلها ترجع الى انتقاد الاحتلال وطلب الجلاء . أشهرها خطاب بعث به الى المستر «غلادستون» من باريس يسأله رأيه فى مسألة مصر والاحتلال فأجابه «غلادستون» جوابا جاء فى جملته قوله : « اننا يجب أن نترك مصر، بعد أن نتم فيها بكل شرف ، وفى فائدة مصر نفسها ، العمل الذى من أجله دخلناها» و « أن زمن الجلاء على ما أعلم قد وافى منذ سنين »

فلا عجب ـ بعد اعتراف أعظم رجال انجلترا بموافاة زمن الجلاء ـ اذا رأينا مصطفى كامل يزداد ثباتا فى دعوته . فرجع الى مصر فى أوائل سنة ١٨٩٥ وقضى بضع سنوات وهو يخطب ويكتب ويكاتب ويناضل . وانشأ جريدة «اللواء» اليومية لنشر آرائه السياسية سنة ١٨٩٩ وصـوتها فى الدفاع عن مصر والمصريين من أعلى الاصوات

ولما تم الاتفاق بين انجلترا وفرنسا بشـأن مصر والمغرب الاقصى ولم ينل مصطفى من فرنسا غير الوعود وجه احتجاجه الى المراجع الاصلية اما الى رجال السياسة بانجلترا رأسا أو

الي جرائدهم ، وسافر الي بلاد الانجليز لهذه الغاية. ثم رأى ذلك لايفي بمراده ولايحيط بمدى صوته فأنشأ « اللوائين » الانجليزى والفرنسي لينشر فيهما أقواله عن مطالب مصر حتى يصل النداء الي انجلترا وسائر أوربا وألف لهما شركة مساهمة هي اول شركة مساهمة تألفت لانشاء الجرائد في هذه البلاد وذهب بنفسه الى انجلترا واستقدم المحررين

فطار صيته في الآفاق واصبح اسمه مرادفا لاحتجاج مصر على انجلترا وهو فى خلال ذلك لايضيع فرصة لايحتج بها . ومن أشهر مواضيع احتجاجه مسألة دنشواى فقد كان فى مقدمة المنادين بظلم الحكم على أهلها واستكتب الاهلين عرائض لالتماس العفو وقع عليها ١٢٫٥٠٠ من المصريين ورفعها الى الخديو . وكان فى أثنـــاء ذلك يخدم مصلحة الدولة العلية من طرق كثيرة فأنعم عليه السلطان بالرتب والالقاب حتى بلغ الرتبة الاولى من الصنف الثانى والنيشان المجيدى الثانى . وتعلقت به قلوب المصريين وتعشقوه بما لم يسبق له مثيل . فلما تشكل الحزب الوطنى انتخبوه رئيسا له طول حياته ولكنه رحمه الله كان قصير الحياة فتوفى في الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٠٨ وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره . فانتخبوا مكانه رفيقه فى جهاده المرحوم محمد بك فريد رئيسا للحزب ومديرا للألوية الثلاثة

صـــفاته وأعمـــاله

كان رحمه الله متوسط القامة قمحى اللون سريع الحركة جريئا مقداما فصيح اللهجة قوى العارضة شديد الثقة بنفسه واسع الآمال طموحا للعلى مستقل الفكر صريح القول . وكان عصبى المزاج ، والعصبى يغلب فيه الذكاء وحدة الذهن وسرعة الخاطر وكانت هذه الطبائع ظاهرة فى الفقيد ظهورا واضحا اذ كثيرا ماكنا نراه فى أثناء نضاله يكاد يغلب على رأيه لما يظهر لنا من حجة خصمه فما هو الا أن يصدر « اللواء » فى اليوم التالى

فنراه قدتذرع بدفاع أيده بشواهدتاريخية انتبه لها. وكانت تساعده على ذلك قوة الحافظة

وكان فيه من طبائع العصبيين سرعة الانفعال . وسريعو الانفعال يغلب فيهم التقلب في الرأى ولم يكن كذلك ، ولكنه كان شديد الوطأة على مخالفيه ولو كانوا من أساتذته أو أقرب الناس اليه . وسرعة الانفعال مع هذه الشدة قد يبعثان على الفشل فى الاعمال العظمى لانها تفتقر الى التساهل والكظم والصبر على المكاره فالفقيد سد هذا النقص بجرأته وعلو همتـــه وثقته بنفسه. فكان اذا نهض لأمر اقتحمه اقتحام الاسد على فريسته وجاهد فى سبيله بيده ولسانه وجنانه لايعجزه السفر ولايبالي بالتعب فقضى زهرة شبابه ينتقل من قارة الى قارة ومن عاصمة الى عاصمة لايتحول عن منبر عربى حتى يعلو منبرا افرنجيا. اذا كتب رأيت الحماسة تتجلى بين سطوره واذا خطب انقض كالصاعقة أو انهال كالسيل . واذا توهم فى أحد وقوفا فى طريقه ناهضه وبارزه لايبالى بمنصبه أو مقامه

وكان رحمه الله عفيف النفس نزيه الخلق صادق اللهجة عالى الهمة لايلذ له من احوال الحياة غير التفكير فى الغاية التى وقف قواه عليها وهى خدمة بلاده بأشرف السبل وانفعها . وكان يعتقد أن الاستقلال أول خطوة يجب السير بها ويعنى بالاستقلال خروج الانجليز من مصر بمســـاعدة دول أوربا ورجوعها الى ماكانت عليه قبله . واستجمع قواه فى هـــذا السبيل فسافر وكتب وخطب وجادل وناقش لهذا الفرض . وكان يرى مصلحة مصر مرتبطة بمصلحة الاسلام على العموم فكان شديد المدافعة عنه كثير السعى فى نصرته . ومن اقصى امانيـــه أن يكون نصـــير المسلمين فى اقطار الارض . وقد اطلعنا بعض الاصدقاء على كتاب من بعض رجال ابن الرشيد يؤخذ منه أن الفقيد سعى منذ بضع سنوات فى السفر الى نجد لملاقاة ذلك الزعيم هناك . وقرأنا فى تأبين بعض مريديه

انه كان ينوى استئذان جلالة السلطان فى أن يكون خطيب المسلمين فى المدينة يوم وصول السكة الحديدية اليها وانه كان يهيىء اسباب الرحيل الى اليابان لحضور معرضها ونقل نتائج الافكار الكبيرة لربط العلائق مع الشعب اليابانى على ان يمر فى أثناء طوافه ببلاد الهند ليرى أحوال النهضة الاسلامية هناك . كل ذلك يدل على كبر نفس هذا الرجل وسعة مطامعه ..

وليس أدل على اخلاصه التام لمبادئه ، من الادلة التالية :

١ ـ ثباته فى المبدأ الذى قام فى نفسه منذ كان تلميذا لايسمع صوته الا رفاقه حتى صار خطيب المحافل ومتكلم القوم وزعيم الحزب الوطنى وصاحب الالوية الثلاثة . له دعوة واحدة كانت تتجلى فى مطالبه اذا كتب أو خطب أو ناقش أو باحث بين الاصدقاء أو الاعداء بالعربية أو الافرنجية على سواء

٢ ـ انقطاعه لهذه الدعوة وتفانيه فى سبيلها حتى شغلته عن سائر مطالب الحياة وملاذ الشباب فلم يتزوج ولاجلس لشرب أو لهو ولا التفت الى جمال او طرب . لايلذ له غير التحدث بالوطن أو الاستقلال أو الجلاء

٣ ـ اجماع الذين عاشروه من رفقائه وأصدقائه على حبه واعتقاد الاخلاص فيه فضلا عن الآخرين مما لايتأتى لغير المخلصين . لأن الانسان اذا سعى فى مشروع عمومى طمعا بمال أو جاه لاتلبث حقيقة حاله أن تنكشف لعشرائه الاقربين او شركائه فى عمله فينفضوا من حوله كما أصاب كثيرين من زعماء الاحزاب فى العالم القديم والحديث . ففسدت نيات أصحابهم وذهبت مساعيهم أدراج الرياح . وقد يبقى مع الزعيم المنافق أناس يداجونه ويداجيهم التماسا للكسب . ولكن أصحاب مصطفى كامل ثبتوا فى ولائه حيا وميتا وهم يستهلكون فى سبيل نصرته وفيهم جماعة من نخبة العقلاء والفضلاء ومعظمهم أكبر منه سنا وأوفر مالا وأعرض جاها وبعضهم أغزر منه علما

وقد نصروه بعقولهم وأموالهم وقلوبهم ولم يستنكفوا من تصدره فى مجالسهم ولا داخلهم الحسد من رئاسته عليهم

هل هو رجل عظيم ؟

يختلف الحكم فى عظمة الرجال باختلاف الامم والاجيال فبعضهم يقيسون العظمة بكبر المطامع وسعة الفتوح أو بكثرة الاموال ، وبعضهم يقيسونها بمقدار النفع الذى يترتب على ظهور ذلك العظيم . فمن الفرنسيين من يعد بونابرت أكبر رجال فرنسا لكثرة فتوحه وكبر مطامعه وبعضهم يقدم « باستور » عليه لأنه خدم الانسانية باكتشافاته الميكروبية وآخرون يفضلون رجال الدين والشارعين . وعندنا ان الرجل العظيم انما يكون عظيما بما يخلفه من الاعجاب والاثر الحسن فى نفوس معاصريه . اذ قد يكون عظيما بنفسه ولايوفق لاتمام عمله فيؤسس لمن يأتى بعده . وعلى هذا القياس نعد جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده عظيمين لأن الاول من مؤسسى النهضة السياسية والثانى من مؤسسى النهضة الدينية الاصلاحية . وعلى هذا القياس أيضا نعد مصطفى كامل عظيما لأنه أحيا فى الامة المصرية جامعة الوطن وهو القائل : « لو لم اكن مصريا لوددت أن أكون مصريا » . وعلم المصريين المجاهرة بطلب حقوقهم وأسمع دول اوربا أصواتهم . فهو من أكبر مؤسسى النهضة السياسية المصرية . ولم يأت جمال الدين الافغانى عملا لايستطيع مصطفى كامل مثله واعظم منه لو بلغ الى مثل سنه . ألم يواقف اعظم دول الارض حتى عرض نفسه للنفى أوالطرد؟ وقد تفانى فى خدمة مبدئه حتى مات شهيدا فى ريعان شبابه

ان الفقيد احيا الشعور الوطنى بحماسته وجراته وجاءه الموت السريع فى ابان جهاده فذهب شهيدا . وعرف المصريون له ذلك فاتحدوا فى البكاء عليه وتعاونوا فى تعظيمه وتكريمه فظهر الشعور الوطنى بعد موته أكثر مما كان ظاهرا فى حياته .

رجال اصلاح

١ – جمال الدين الأفغانى
٢ – محمد عبده
٣ – عبد الرحمن الكواكبى
٤ – قاسم أمين

السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

١٢٥٤ ــ ١٣١٤ هـ الموافق ١٨٣٨ ــ ١٨٩٦ م

قد تمر القرون وتتوالى الاجيال والناس على ما ساقتهم اليه الحاجة من شؤون معاشهم لايفقهون غثها من سمينها ولايدركون مبدأها ولا مصيرها حتى تتمخض الطبيعة فتلد من أبنائها أفرادا يميطون عن أسرارها اللثام فيرى الناس من ورائه شرائع ونواميس كانوا عنها غافلين . أولئك هم أقطاب العلم وأنوار العالم ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مزقوا أستار الجهل وكشفوا غوامض الطبيعة فمهدوا سبل الاختراع والاكتشاف . ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا أسرار الحكمة المستترة وراء تلك النواميس وبينوا ما أودعه الخالق فى خليقته من القواعد العقلية والروابط الادبية

ولكن الدنيا لا تجود بواحد من أولئك الافراد الا كل بضعة قرون فيسير الناس على خطواته أجيالا حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عليهم بآخر ينفث فيهم روحا حية فيهبون من رقادهم ويعودون الى رشدهم ريثما يأتيهم ثالث

هكذ كان شأن العالم من بدء عمرانه ، ومن أولئك الفلاسفة سقراط وأفلاطون ومن تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان والفرس والعرب وغيرهم من علماء المعقول والمنقول ممن لا نزال نستضيء بنبراسهم

ولكن لله فى خلقه حكمة لاتدركها العقول فقد ينبغ فى بعض الاجيال افراد توافرت فيهم قوى الفلاسفة ومواهب رجال



جمال الدين الحسينى الافغانى

الاعمال فتحيط بهم بيئات لاتصلح لنماء مايغرسون فيذهب سعيهم هباء منثورا

ولما كان الانسان لايقدر العمل الا بنسبة مايترتب عليه من الفائدة كان نصيب كثيرين من عظماء الارض جهل الناس حق قدرهم واغفل التاريخ ذكرهم كما هو شأننا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله . فقد نشأ قطبا من أقطاب الفلسفة وعاش ركنا من أركان السياسة ولكنه مات ولم يتم عملا ولا ألف كتابا . على أن ذلك لايحط من مقامه وقد رأينا اعظم فلاسفة اليونان «سقراط» مات ولم يدون شيئا من كلامه ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودونوها فتوارثها الاجيال خلفا عن سلف . فعسى أن لايحرم من مريدى الاستاذ وتلامذته من يفعل مثل ذلك

ترجمة حياته

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر ، ولد فى بيت شرف وعلم بقرية أسعد اباد من قرى كنر من أعمال كابل ببلاد الافغان سنة ١٢٥٤ هـ «١٨٣٨م» ويتصل نسبه بالسيد على الترمذى المحدث المشهور ويرتقى الى الامام الحسين بن على ابن أبى طالب . وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تقيم فى خطة كنر ولها منزلة عليا فى قلوب الافغانيين لحرمة نسبها . وكانت تملك جزءا من أرض الافغان حتى سلب الملك منها دوست محمدخان جد الامير عبد الرحمن وأمر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل وجمال الدين لايزال فى الثامنة من عمره . فعنى والده بتربيته وتثقيفه فتلقى مبادىء العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول وكلام وتصوف ، والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهية والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ونظريات الطب والتشريح . وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة

فيه منذ نعومة أظفاره . فاتم هذا كله وهو فى الثامنة عشرة من عمره ..

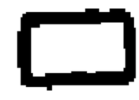
ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة. وقدم بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج فقضى سنة ينتقل من بلد الى آخر حتى وافى مكة المكرمة فى سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م فوقف على كثير من عادات الامم التى مر بها فى سياحته ثم رجع الى بلاده وانتظم فى سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان المتقدم ذكره ولما زحف هذا الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه فى جيشه ولازمه مدة الحصار الى ان توفى الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمنا طويلا . وتقلد الامارة ولى عهدها شير على خان سنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣ م وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان أن يقبض على اخوته ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلبا للاستبداد بالامارة . وكان فى جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة : محمد اعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين ، فانتصر السيد جمال الدين لمحمد اعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير أسرعوا الى الفرار وتفرقوا فى الولايات فذهب كل منهم الى ولايته التى كان يليها من قبل أبيه وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية . وبعد مجادلات عنيفة عظم أمر محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمن وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه أميرا على أفغانستان ثم أدركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد أعظم خان فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه فى العظائم وما دونها وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوى قرابته مما حمله على تفويض مهمات الاعمال الى أبنائه

الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش احدهم وكان حاكما فى قندهار على منازلة عمه شير على فى هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى أنه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته . فلما تلاقى مع جيش عمـــه دفعته الجراة على الانفراد عن جيشه فى مائتى جندى اخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب فى قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير على فوجد ذلك الغلام متقطعا عن جيشه فكر عليه واخذه أسيرا فتشتت جند قندهار وقوى الامل عند شير على فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانجليز شير على وبذلوا له قناطـير من الذهب ففرقها فى الرؤساء والعاملين لمحمـــد أعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات . وبعد حروب هائلة تغلب شير على وانهزم محمد أعظم وابن أخيه عبـــد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخاري وذهب محمد أعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر فى مدينة نيسابور



أما السيد جمال الدين فبقى فى كابل لم يمسسه الامير بسوء احتراما لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوى . الا أنه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله . ولهـــذا رأى السـيـد جمال الدين خيرا له أن يفارق بلاد الافغان فاستأذن فى الحج فأذن له على شرط أن لا يمر ببلاد ايران كيلا يلتقى فيها بمحمد أعظم وكان لم يمت بعد فارتحل عن طريق الهند سنة١٢٨٥هـ ــ ١٨٦٨ م بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر . فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة واجلال الا أنهـــا لم تسمح له بطول الاقامة فى بلادها ولا اذنت للعلماء فى الاجتماع عليه الا تحت مراقبة رجالها ، فلم يقم هناك الا شهرا ثم سيرته من سواحل الهند فى أحد مراكبها الى السويس ، فجاء مصر

واقام بها نحو اربعين يوما تردد على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضا منه فى بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة



وبعد ايام من وصوله الاستانة قابل الصدر الاعظم عالى باشا فنزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغانى من القباء والكساء والعمامة العجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه وأدبه وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم ولم تمض ستة أشهر حتى عين عضوا فى مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة فى آرائه ولكنه أشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه عليها رفقاؤه وبينها ما ساء شيخ الاسلام اذ ذاك لانها كانت تمس شيئا من رزقه فأرصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ هـ — ١٨٧٠ م فرغب اليه مدير دار الفنون أن يلقى فيها خطابا للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه فى اللغة التركية فألح عليه فأنشأ خطابا طويلا كتبه قبل القائه وعرضه على نخبة من أصحاب المناصب العالية فاستحسنوه

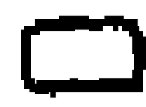
فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة وأعيان أهل العلم وارباب الجرائد وحضر فى الجمع معظم الوزراء فصعد جمال الدين على منبر الخطابة والقى ما كان أعده ببلاغة سحرت عقول السامعين . فأنكر مشايخ العلم شيئا من آرائه واتصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيرا عليه كما علمت فالتمس من الدولة ابعاده عن الاستانة فصدر له الامر بالجلاء عنها بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء ففارقها

وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها فى أول المحرم سنة ١٢٨٨ هـ - ٢٣ مارس ١٨٧١ م

قدم السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة راتبا مقداره الف قرش مصرى كل شهر نزلا أكرمته به لا فى مقابلة عمل . واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأورى واستفاضوا بحره ففاض درا وحملوه على التدريس فقرأ من الكتب العالية فى فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية من طبيعية وعقلية وفى علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الاسلامى . وكانت مدرسته بيته فعظم امره فى نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الاخذ عنه واعجبوا بعلمه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته فى الديار المصرية . ثم وجه عنايته لتمزيق حجب الاوهام عن أنوار العقول فنشطت لذلك الباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة فى مصر بسعيه وكان القادرون على الاجادة فى المواضيع المختلفة قليلين

فنبغ من تلامذته فى القطر المصرى كتبة لايشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم وأغلبهم أحداث فى السن شيوخ فى الصناعة وما منهم الا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته أو قلد المتصلين به . هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية أخذا بقول جماعة من المتأخرين فى تحريم النظر فيها فتمكنوا من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة . غير أن هذا كله لم يؤثر فى مقامه من نفوس العارفين بحاله

وكان رحمه الله على علمه وفضله ميالا الى السياسة فنظر فى حال مصر وما آلت اليه من التدخل الاجنبي فعلم أن لابد من تغير احوالها وكان قد انتظم فى سلك الجمعية الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء فأنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنساوى دعا اليه مريديه من العلماء والوجهاء فصار أعضاؤه نحوا من ثلاثمائة عدا وكان شديد الكره للدولة الانجليزية كما تقدم من حاله معها فى الهند وما كان من اعتدائهم على أبناء أبيه فجهر بذلك غير مرة ونشر فصولا ناطقة به ترجموها الى جرائد انجلترا واهتموا بها كثيرا حتى تولى المستر غلادستون نفسه أمر الجدال فى موضوعها . فلما عظم أمر محفله داخل الخوف قنصل انجلترا فوشى به الى الحكومة وبث الرقباء فى المحفل فسعوا فيه فسادا . وفى خلال ذلك بلغت أحوال مصر نهاية الارتباك فضرح بأمور قوت حجة الساعين وكان تولى مصر الخديو توفيق باشا فأصدر أمره باخراجه من القطر المصرى هو وتابعه أبو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ ـ ١٨٧٨ م وأقام بحيدر اباد الدكن وفيها كتب رسالته فى «نفي مذهب الدهريين»



ولما كانت الحوادث العرابية بمصر دعى من حيدر آباد الى كلكتا والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى أمر مصر وفتأت الحرب الانجليزية ثم أبيح له بالذهاب الى أى بلد فاختار الشخوص الى اوربا . واول مدينة نزلها مدينة لندره أقام بها أياما قلائل ثم انتقل الى باريس فوافاه اليها صديقه الشيخ محمد عبده المصرى . وكانت فى مصر جمعية وطنية اسمها جمعية العروة الوثقى فكلفته على بعد الدار أن ينشىء جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة الاسلامية فأنشأ «العروة الوثقى» وكلف صديقه المشار اليه بتحريرها وكان لها وقع حسن فى العالم الاسلامى فنشر منها ١٨ عددا ثم قامت الموانع دون

استمرارها حيث أقفلت ابوا ب الهند عنها وشددت الحكومة الانجليزية فى اساءة من يقرأها

وقضى جمال الدين فى باريس ثلاث سنوات نشر فى أثنائها مقالات فى جرائدها تبحث فى سياسة روسيا وانجلترا والدولة العلية ومصر وترجمت جرائد انجلترا كثيرا منها وجرت له أبحاث فلسفية مع الفيلسوف الفرنساوى رينان فى «العلم والاسلام» فشهد له هذا بسعة العلم وقوة الحجة ثم شخص الى لندره بايعاز اللورد شرشل واللورد سالسبرى ليسألاه عن رايه فى المهدى وظهوره اذ ذاك . ثم عاد الى فرنسا وتعرف بكثيرين من علمائها و فلاسفتها فأحلوه مكانا عليا

ثم عزم على نجد فاستقدمه شاه الفرس اذ ذاك المرحوم ناصر الدين شاه على لسان البرق ليراه فسار قاصدا طهران فالتقى فى أصفهان بالامير ظل السلطان فلاقى منه اكراما حتى اذا وصل طهران استقبله الشاه أحسن استقبال واكثر من الثناء عليه حيثما ذكره حتى فى بلاطه وبين اهله وأولاده وولاه نظارة الحربية على أن يرقيه بعد قليل الى منصب الصدارة



وكان جمال الدين قد درس أخلاق الامم وعرف تواريخ الدول وتدبر أحوال السياسة على اختلاف الامكنة والازمنة مع بلاغته وقوة برهانه . فنال لدى أمراء الفرس وعلمائها منزلة قل أن ينالها غيره فى مثل حاله فاصبح منزله حلقة علم يؤمها سراة البلاد ووجهاؤها يتسابقون الى سماع حديثه فخامر الشاه ريب من أمره مخافة أن يكون وراء ذلك مايخشى منه على سلطانه فأبدى تغيره عليه ، فأدرك جمال الدين مافى نفسه فاستأذنه فى السفر لتبديل الهواء فأذن له فسار الى موسكو فى روسيا فلاقاه أهلها بالتجلة والاكرام لما سبق الى مسامعهم من شهرته . ثم شخص الى بطرسبورج وتعرف بأعاظم رجالها من العلماء

والسياسيين ونشر فى جرائدها مقالات ضافية فى سياسة الافغان والفرس والدولة العلية والروسية والانجليزية كان لها دوى شديد فى جو السياسة

واتفق اذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ م فشخص جمال الدين اليها فالتقى بالشاه فى مونيخ عاصمة بافاريا عائدا من باريس فدعاه الشاه الى مرافقته فأجاب الدعوة وسار فى معيته الى فارس فلم يكد يصل طهران حتى عاد النـــاس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه والشاه لايرتاب من أمره كأن سياحته فى أوروبا محت كثيرا من شكوكه . فكان يقربه منه ويوسطه فى قضاء كثير من مهمات حكومته ويستشيره فى ســـن القوانين ونحوها فشق ذلك على أصحاب النفوذ وخصوصا الصـــدر الاعظم فأسر الى الشاه أن هذه القوانين وان تكن لاتخلو من النفع فهى لاتوافق حال البلاد فضلا عما ستأول اليه من تحويل نفوذ الشاه الى سواه . فأثر ذلك فى الشاه حتى ظهر على وجهـــه فأحس جمال الدين بالامر فاستأذنه فى المســـير الى بلدة شاه عبد العظيم على ٢٠ كيلومترا من طهران فأذن له فتبعه جم غفير من العلماء والوجهاء وكان يخطب فيهم ويستحثهم على اصـــلاح حكومتهم فلم تمض ثمانية اشهر حتى ذاعت شهرته فى أقاصى بلاد الفرس وشاع عزمه على اصلاح ايران فخاف ناصر الدين عاقبة ذلك فأنفذ الى شاه عبد العظيم خمسمائة فارس قبضوا على جمال الدين وكان مريضا فحملوه من فراشه وساقوه يخفره خمسون فارسا الى حدود المملكة العثمانيـــــة فعظم ذلك على مريديه فى ايران فثاروا حتى خاف الشاه على حياته

أما جمال الدين فمكث فى البصرة ريثما عادت اليه صـــحته فشخص الى لندره وقد عرفه الانجليز من قبل فتلقوه بالاكرام ودعوه الى مجتمعاتهم السياسية وأنديتهم العلمية ليروه ويسمعوا حديثه وكان أكثر كلامه معهم فى بيان حال الشاه وتصرفه فى المملكة وما آلت اليه حالها فى عهده مع حث الحكومة الانجليزية على

السعى فى خلعه . وفيما هو فى ذلك ورد عليه كتاب مع المابين الهمايونى بواسطة المرحوم رستم باشا سفير الدولة العلية فى لندره اذ ذاك أن يقوم الى الاستانة فاعتذر لانه فى شاغل وقتى لاصلاح بلاده . فورد عليه كتاب آخر وفيه ثنــــاء وتحريض فأجاب الدعوة تلغرافيا على أن يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود . فقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فطابت له فيها الاقامة لما لاقاه من التفات الحضرة السلطانية واكرام العلمــاء ورجال السياسة وما زال معززا مكرما وجيها محترما حتى داهمــه السرطان فى فكه أواخر سنة ١٨٩٦ وامتد الى عنقه فتوفاه الله فى ٩ مارس سنة١٨٩٧ واحتفل بجنازه ودفنه فى مدفن «شيخلر مزارلغى» قرب نشان طاش

صفاته الشخصية

كان أســمر اللون بمــا يشــبه أهــل الحجــاز ربعــة ممتلىء البنية أســـود العينين نافذ اللحظ جــذاب النظر مع قصر فيه فاذا قرأ أدنى الكتاب من عينيه ولكنه لم يستخدم النظارات . وكان خفيف العارضين مسترسل الشعر بجبة وسراويلات سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة صــغيرة بيضاء على زى علماء الاستانة

«طعامه» : كان قانتا قليل الطعام لايتناوله الا مرة فى النهــار ويعتاض عما يفوته من ذلك بما يشربه من منقوع الشاى مرارا فى اليوم . والعفة فى الطعام لازمة من يعمل أعمالا عقلية لان البطنة تذهب الفطنة . وكان يدخن نوعا من السيجار الافرنجى الجيد ولشدة ولعه بالتدخين وعنايته فى انتقاء السيجار لم يكن يركن الى أحد من خدمه فى ابتياعه فيبتاعه هو بنفسه

«مسكنه» : كان يقيم فى أواخر أيامه بقصر نشــان طاش بالاســـتانة ، أنعم عليه به جلالة الســلطان وفيــه الاثاث والرياش وعربة من الاصطبل العامر يجرها جوادان وأجرى عليه

رزقا مقداره خمس وسبعون ليرة عثمانية فى الشهر. فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار فى منزله فاذا كان الاصيل ركب العربة لترويح النفس فى متنزه كاغدخانةبضواحيالاستانة وكان كثير القيام لاينام الا الغلس الى الضحى

«مجلسه وخطابه» : كان اديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف طبقاتهم ينهض لاستقبالهم ويخــرج لوداعهم ولا يستنكف منزيارة أصغرهم علىامتناعه من زيارة أكبرهم اذاظن فى زيارته تزلفا. وكان ذا عارضة وبلاغة لايتكلم الا اللغةالفصحى بعبارات واضحة جلية . واذا آنس من سامعه التباسا بسط مراده بعبارة أوضح فاذا كان السامع عاميا تنازل الى مخاطبته بلغة العامة . وكان خطيبا مصقعا لم يقم فى الشرق أخطب منه . وكان قليل المزاح رزينا كتوما قد يخاطب عشرات من الناس فى اليوم فيبحث مع كل منهم فى موضوع يهمه ، فاذا خرج جليسه كان خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هو اليـــه بشأنه

«أخلاقه» : كان حر الضمير صادق اللهجــة عفيف النفس رقيق الجانب وديعا مع انفة وعظمة، ثابت الجاش قد يساق الى القتل فيسير اليه سير الشجاع الى الظفر. وكان راغبا عنحطام الدنيا لايدخر مالا ولا يخاف عوزا . ومما رواه المرحوم أديب اسحاق : أن جمال الدين لما أبعد من مصر أنزل فى الســـويس خالى الجيب فأتاه السيد النقادى قنصل ايران فى ذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم قدموا له مقدارا من المال على سبيل الهدية أو القرض الحسن ، فرده وقال لهم : «احفظوا المال فأنتم اليه أحوج ان الاسد لايعدم فريسة حيثما ذهب» وكان مقداما حاثا على الاقدام فلا يخرج جليسه من بين يديه الا وقد قام فى نفسه محرض على العلى منشط على السعى فى سبيله . ولكنه كان على فضله لايخلو من حدة المزاج ولعلها كانت مناكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية

«عقله» : كان ذكيا فطنا حاد الذهن سريع الملاحظـــة يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك السرائر دقيق النظر فى المسائل العقلية قوى الحجة ذا نفوذ عجيب على جلسائه فلا يباحثه أحد فى موضوع الا شعر بانقياد الى برهانه وربما لايكون البرهان بحد ذاته مقنعا . وكان مع ذلك قوى الذاكرة حتى قيل أنه تعلم اللغة الفرنساوية أو بعضها وصار يقدر على الترجمة منهـــا ويحفظ من مفرداتها شيئا كثيرا فى أقل من ثلاثة أشهر بلا أستاذ الا من علمه حروف هجائها يومين

«علومه» : كان واسع الاطلاع فى العلوم العقلية والنقليـــة وخصوصا الفلسفة وفلسفة تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامى وسائر أحوال الاسلام . وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنساوية جيدا مع المام باللغتين الانجليزية والروسية . وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب كتب فى آداب الامم وفلسفة أخلاقهم الا طالعه . وأكثر مطالعاته فى اللغتين العربية والفارسية

«آماله وأعماله» : يؤخذ من مجمل أحواله أن الغرض الذى كان يصوب نحوه أعماله والمحور الذى كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين فى سائر أقطار العالم فى حوزة دولة واحدة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمى . وقد بذل فى هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسبا ولكنه مع ذلك لم يتوفق الى ما أراده فقضى ولم يدون من بنات أفكاره الا رســـالة فى نفى مذهب الدهريين ورسائل متفرقة فى مواضيع مختلفة قد تقدم ذكرها ولكنه بث فى نفوس أصدقائه ومريديه روحا حية حركت هممهم وحددت اقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع بأعمالهم

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

١٢٥٨ - ١٣٢٣ هـ الموافق ١٨٤٢ - ١٩٠٥ م

ترجمة حياته

نشأ الفقيد فى قرية صغيرة (محلة نصر) من أبوين فقيرين فلم يمنعه ذلك من الارتقاء بجده واستعداده حتى بلغ منصب الافتاء وأصبح علما فى الشرق وقطبا من أقطاب الدهر سينقش اسمه على صفحات الايام ويبقى ذكره ما بقى الاسلام

ولد عام ١٢٥٨ هـ وأبوه يتعاطى الفلاحة وقد أدخل فيها أولاده الا محمدا لأنه توسم فيه الذكاء فأراد أن يجعله من الفقهاء . فأدخله كتاب القرية فتردد اليه حينا ثم أرسله الى الجامع الأحمدى فى طنطا أقام فيه ثلاث سنوات ثم نقله الى الجامع الازهر فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئا وهو ينسب ذلك بالاكثر الى فساد طريقة التعليم

ثم انتبه لنفسه ولم ير بدا من تلقى العلم فاستنبط لنفسه أسلوبا فى المطالعة وأعمل فكرته فى تفهم ما يقرأه فاستلذ العلم واستغرق فى طلبه فأحرزمنه جانبا كبيرا على مايستطاع ادراكه بتلك الطريقة

واتفق أن ورد على مصر سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) السيد جمال الدين الافغانى فيلسوف الاسلام وصاحب الترجمة لا يزال فى الازهر وقد أدرك الثلاثين من عمره . وتولى جمال

الدين تعليم المنطق والفلسفة فانخرط الفقيد في سلك تلامذته مع جماعة من نوابغ المصريين تخرجوا على جمال الدين فخرجوا لا يشق لهم غبار كأن الرجل نفخ فيهم من روحه ففتحوا أعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه فضلا عن العلم والفلسفة روحا حية ارتهم حالهم كما هي اذ تمزقت عن عقولهم حجب الاوهام فنشطوا للعمل في الكتابة فأنشأوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . وكان صاحب الترجمة الصق الجميع به وأقربهم الى طبعه وأقدرهم على مباراته . فلما قضى على جمال الدين بالابعاد من هذه الديار قال يوم وداعه لبعض خاصته : « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما »

وتقلب الفقيد في بعض المناصب العلمية بين تدريس في المدارس الاميرية وتحرير في الوقائع المصرية وكتابة في الدوائر الرسمية . حتى اذا كانت الثورة العرابية ، فاشترك اشتراكا فعالا فيها ... ولما احتل الانجليز مصر ألقى القبض على الشيخ محمد عبده في جملة الذين قبض عليهم وحوكموا فحكم عليه بالنفي لأنه أفتى بعزل الخديو توفيق باشا فاختار الاقامة في سورية فرحب به السوريون وأعجبوا بعلمه وفضله فأقام هناك ست سنوات فاغتنموا اقامته بينهم وعهدوا اليه بالتدريس في بعض مدارسهم

وانتقل من سورية الى باريس فالتقى فيها بأستاذه وصديقه جمال الدين وكانا قد تواعدا على اللقاء هناك فأنشآ جريدة العروة الوثقى وتحريرها منوط بالشيخ فكانت لها رنة شديدة في العالم الاسلامي ولكنها لم تعش طويلا . وتمكن الشيخ في أثناء اقامته بباريس من الاطلاع على أحوال التمدن الحديث وقرأ اللغة الفرنسية على نفسه حتى أصبح قادرا على المطالعة فيها . ثم سعى بعضهم في اصدار العفو عنه فعاد الى مصر فولاه الخديو القضاء وظهرت مناقبه ومواهبه فعين مستشارا في محكمة



الشيخ محمد عبده

الاستئناف وعين عضوا فى مجلس ادارة الازهر وعين أخيرا مفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وما زال فى هذا المنصب حتى توفاه الله فى ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ ولم يعقب ذكرا يبقى به اسمه ، ولكنه خلف آثار يخلد بها ذكره

مناقبه وأعماله

كان ربع القامة أسمر اللون قوى البنية حاد النظر فصيح اللسان قوى العارضة متوقد الفؤاد بليغ العبارة حاضر الذهن سريع الخاطر قوى الحافظة • وقد ساعده ذلك على احراز ما أحرزه من العلوم الكثيرة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والطبيعية وتلقى اللغة الفرنساوية وهو فى حدود الكهولة فى بضعة أشهر • وكان شديد الغيرة على وطنه حريصا على رفع شأن ملته وذاع ذلك عنه فى العالم الاسلامى فكاتبه المسلمون من أربعة أقطار المسكونة يستفتونه ويستفيدون من علمه وهو لا يرد طالبا ولا يقصر فى واجب

ناهيك بما عهد اليه من المشروعات الوطنية فقد كان القوم لا يقدمون على عمل كبير الا رأسوه عليه أو استشاروه فيه • فرأس الجمعية الخيرية الاسلامية وألف شركة طبع الكتب العربية وشارك مجلس شورى القوانين فى مباحثه • وآخر ما عهد اليه تنظيم مدرسة يتخرج فيها قضاة الشريعة ومحاموها • فضلا عما اشتغل فيه من التأليف والتصنيف وما كان يستشار فيه من الامور الهامة فى القضاء أو الادارة بالمصالح العامة والخاصة • وبالجملة فقد كان كنز فوائد للقريب والبعيد بين افتاء ومشورة واحسان وكتابة ومداولة ووعظ وخطابة ومباحثة ومناظرة واستنهاض وتحريض وتنشيط وغير ذلك

على أن عظمته الحقيقية لا تتوقف على ما تقدم من أعماله الخيرية أو العلمية أو القضائية وانما هى تقوم بمشروعه الاصلاحى الذى لا يتصدى لمثله الا أفراد لا يقوم منهم فى الامة

الواحدة مهما طال عمرها الا بضعة قليلة . وهـــذا ما أردنا بسطه على الخصوص في هذه العجالة

العظمة الحقيقية

تختلف العظمة شـــكلا وأثرا باختـــلاف السبيل الذى يسعى صاحبهـــا فيـــه أو الغرض الذى يرمى اليه . فمنهم العظيم فى السياســـة أو الحـــرب أو العلـــم أو الدين ومن العظماء من يوفق الى اتمـــام عمله ومنهم من يرجـــع بصفقـــة الخاسر من نصف الطريق أو ربعه أو عشره على أن أكثر العظماء انما يأتون العظائم لمجرد الرغبة فى الشهرة الواسعة ويغلب أن يكون ذلك فى رجال الحرب . وهؤلاء تنحصر ثمار أعمالهم فى أنفسهم أو أهليهم أو أمتهم على انهـــم لا يستطيعون نفعـــا لأنفسهم الا بضر الآخرين ـ اعتبر ذلك فى سير كبار الفاتحين كالاسكندر وبونابرت وغيرهما فكم سفكوا فى سبيل عظمتهم من الدماء أو ارتكبوا من المحرمات وكان النفع عائدا على أنفسهم أو أمتهم ولم يطل مكثه الا قليلا

وأما رجال العلم فعظمتهم تقوم بما ينيرون به الاذهان من الاصول العلمية أو يكتشفونه من أســـباب الامراض والوقاية منها أو يضعونه من النظامات والقوانين أو غير ذلك . ونفعهم يشمل القريب والبعيـــد الرقيع والوضيع ولايسفكون فى سبيل نشره دما ولايرتكبون محرما وهو باق مابقى الانســـان وينمو بنمو المدنية

وأما رجال الدين ومن جرى مجراهم من واضعى الشرائع والاحكام فتأثيرهم أوسع دائرة وأعم شمولا لأنه يتناول البشر على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم رجالا ونساء كبارا وصغارا وعليهم يتوقف نظام الاجتماع وآدابه وأخلاق الناس وعاداتهم وعلائقهم بعضهم ببعض . وعظماء الدين فئتان : الفئة الاولى

واضعوا الشرائع كالانبياء أو من فى معناهم ممن ينسبون اعمالهم الى ماوراء الطبيعة . والفئة الثانية المصلحون الذين يصلحون الدين بعد فساده ـ لأن الدين اذا مر عليه بضعة قرون فسد وتغير شكله وانقلب وضعه تبعا لمطامع الذين يتولون شؤونه فتفسد الامة وينحط شأنها حتى يقوم من يصلحه ويعيده الى رونقه . ووضع الاديان عمل شاق قل من يفوز به والاصلاح الدينى لايقل مشقة عنه . وربما كان ادخال دين جديد أيسر من اصلاح دين قديم . فالديانة المسيحية لم تكلف البشر فى قيامها من الدماء أكثر مماكلفتهم فى اصلاحها . على أن مايضيعه رجال الدين فى نشره من الدماء يعوضونه بسرعة انتشاره اعتبر ذلك فى الفرق بين النصرانية والاسلام فى قيامهما . ويقال نحو ذلك فى الاصلاح فقد طلبه وسعى فيه غير واحد من رجال النصرانية فلم يتفق منهم الى اصلاح كبير غير لوثير لأن أهل السياسة نصروه . ولابد من استعداد الاذهان لقبول الاصلاح وتهيئة الاسباب الاخرى . فكم نهض من المصلحين بالسيف فغلبوا على أمورهم وذهب سعيهم عبثا . أما المصلحون بالموعظة الحسنة والتعليم فعملهم بطىء ولكنه راسخ فى الاذهان واصبر على كوارث الحدثان ـ والشيخ محمد عبده واحد منهم

هو وجمال الدين

نشأ الشيخ محمد عبده نير البصيرة حر الضمير وربى فى الاسلام وتعلم علومه فشب غيورا عليه ثم اطلع على علوم الامم الراقية من أهل هذا التمدن ودرس تاريخ الاجتماع ونواميس العمران فرأى الاسلام فى حاجة الى نهضة ترفع شأنه وتجمع كلمته . واتفق اجتماعه بالسيد جمال الدين الافغانى فأخذ عنه الفلسفة والمنطق

والحكمة الشرقية وكان جمال الدين غيورا على الاسلام راغبا في جمع كلمته ورفع شأنه فتوافقا فى الغاية ولكنهما اختلفا فى الوسيلة . لأن جمال الدين سعى فى ذلك من طريق السياسة فأراد جمع شتات المسلمين فى أربعة أقطار العالم تحت ظل دولة اسلامية واحدة وقد بذل فى هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسبا وانما جعل همه السعي الى تلك الغاية فلم يوفق الى غرضه لأسباب عمرانية طبيعية لامحل لذكرها . وكان الشيخ محمد عبده رفيقه فى كثير من مساعيه واطلع على دخائل اموره وعرف اسباب حبوطه فعلم ان جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم من طريق السياسة لايتيسر الوصول اليه فسعى فيه من طريق العلم . فجعل همه رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقربهم من اسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية فى هذا العصر . ورأى ذلك لايتأتى الا بتنقية الدين مما اعتوره من الشوائب التى طرأت عليه بتوالى العصور وتغالب الدول واختلاف اغراض اصحابها وائمتها كما أصاب النصرانية فى القرون المتوسطة اذ تمسك الناس بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا فى الاوهام ونبذوا الحقائق . والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على مابلغ اليه فى هذا العهد . وعلم الفقيد رحمه الله أن محور العلوم الاسلامية اليوم مصر ومركز العلم بمصر أو فى العالم الاسلامى كافة « الجامع الازهر » فرأى انه اذا أصلح الازهر فقد أصلح المسلمين فسعى جهده فى ذلك فاعترضه أناس من أهل المراتب يفضلون بقاء القديم على قدمه واستنصروا العامة عليه وغرسوا فى اذهانهم ان المفتى ذاهب بالمسلمين الى مهاوى الضلال والبدع . فلم يهمه قولهم لعلمه ان ذلك نصيب أمثاله من قديم الزمان — على انه لم ينجح فى اصلاح الازهر الا قليلا ولكنه وضع

الاساس ولابد من رجوع الامة الى تأييد هذه النهضة ولو بعد حين فيكون الفضل له فى تأسيسها

على ان الجانب الاعظم من عقلاء المسلمين وخاصتهم يرون رايه فى اصلاح حالة الدين ورجاله. وربما سبقه كثيرون منهم الى الشعور بحاجة المسلمين الى ذلك ولاسيما المتخرجين بالعلوم العصرية من الناشئة المصرية ولكنهم لم يجسروا على التصريح بأفكارهم فى غير المجتمعات الخصوصية لئلا ينسبهم الناس الى المروق من الدين ، فلما جاهر محمد عبده برأيه وافقوه وصاروا من مريديه ونصروه بألسنتهم وأقلامهم . فحاجة المسلمين الى الاصلاح ليست هى اول من انتبه اليها ولكنها اول من جاهر بها كما أن لوثير المصلح المسيحى ليس اول من انتبه لحاجة النصرانية الى الاصلاح ولكنه اول من جاهد فى سبيلها وقد فاز بجهاده لقيام السياسة بنصرته . وأما مصلح المسلمين فكانت السياسة ضده وانما حملة على تلك المجاهرة حرية ضميره وجسارته الادبية ومنصبه الرفيع فى الافتاء

الاسلام والمدنية

فلما صرح الشيخ محمد عبده بحاجة المسلمين الى الاصلاح انقسم المسلمون الى فئتين : فئة ترى بقاء القديم على قدمه وهم حزب المحافظين ، وفئة ترى حل القيود القديمة واطلاق حرية الفكر والرجوع الى الصحيح من قواعد الدين ونبذ ماخالطه من الاعتقادات الدخيلة . وكان رحمه الله زعيم هذه الفئة يناضل عن مبادئها بلسانه وقلمه وبكل جارحة من جوارحه . وكانت مساعيه من هذا القبيل ترمى الى غرضين رئيسيين : الاول تنقية الدين الاسلامى من الشوائب التى طرات عليه ، والثانى تقريب المسلمين من اهل التمدن الحديث ليستفيدوا من ثمار مدنيته علميا وصناعيا وتجاريا وسياسيا. فأهل العصبية الاسلامية يرون هذا التقريب مغايرا لما يرجونه

من استقلال المسلمين بالجامعة السياسية لأن مجاراة أهل التمدن الحديث بأسباب مدنيتهم وتسهيل الاختلاط بهم يضعف عصبية الاسلام على زعمهم ويبعث على تشتيت عناصره فيستحيل جمعها فى ظل دولة واحدة . ولكن الشيخ عبده كان يرى ذلك الاجتماع السياسى مستحيلا فى هذه الحال فلم يشأ أن يضيع وقته كما أضاعه أستاذه وصديقه جمال الدين وأن يخسر فائدة تقرب المسلمين من أسباب هذا التمدن فسعى فى ذلك بما نشره من فتاويه المتعلقة بالربا والموقوذة ولبس القبعة ونحو ذلك مما يقرب المسلمين من الامم الاخرى ويسهل اسباب التجارة

تنقية الدين

وأما تنقية الدين الاسلامى من الشوائب الطارئة عليه فأساس سعيه فيها انه أطلق لفكره الحرية فى تفسير القرآن ولم يتقيد بما قاله القدماء أو وضعوه من القواعد التى يحرم الائمة تبديل شىء منها . فرأى أن يحل نفسه من هذه القيود ويفسر القرآن على مايوافق روح هذا العصر فيجعل أقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبنى على المشاهدة والاختبار ولنواميس العمران على ما بلغ اليه هذا العلم الى الآن مع مطابقته لاحكام العقل واصول الدين كما فعل النصارى فى تفسير الكتاب المقدس بعد ثبوت مذاهب العلم الجديد. وهو اوعر مسلكا فى الاسلام لارتباط الدين بالسياسة فيه . والقرآن أساس الدين والدنيا عندهم فيعلقون على تفسيره اهمية كبرى لأنه مرجع الفقه وغيره من الاحكام الشرعية والسياسية ولذلك رأى أهل السنة تقييده بأقوال الائمة الاربعة وخالفهم الشيعة باستبقاء باب الاجتهاد مفتوحا فلا يرون بأسا فى العدول عن تفسير الى آخر بشروط يشترطونها فى مفسريهم وهم يعرفون عندهم بالائمة المجتهدين

وقد توالى على تفسير القرآن احوال تختلف باختلاف العصور من الاسلام الى الآن ترجع الى أربعة عصور :
الاول العصر الشفاهى : وهو ينحصر فى أيام النبى وأصحابه فقد كانوا عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لأنها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ولأن اكثرها قيلت فى أحوال كانت القرائن تسهل فهمها واذا أشكل عليهم شيء منها سألوا النبى فيفسره لهم . وكان التفسير مختصرا بسيطا لسذاجة الدولة الاسلامية يومئذ

ثانيا العصر التقليدى : ونريد به عصر التابعين او حواليه وكانت الدولة الاسلامية قد أخذت فى النمو والارتقاء فاحتاجوا الى التوسع فى التفسير وكان اكثرهم أميين فاذا أعجزهم تفسير بعض الآيات سألوا عنها من اسلم من أهل الكتاب ولاسيما اليهود المقيمين فى اليمن وكانوا قد أسلموا وظلوا على ماكان عندهم من التقاليد المتناقلة شفاها أو كتابة مما لاتعلق له بالاحكام الشرعية

ثالثا العصر الفلسفى المنطقى : ونريد به تدوين التفسير وضبطه بالقياس الفلسفى والحكم المنطقى بعد أن اختلط المسلمون بأهل العلم القديم فى الشام والعراق وفارس واطلعوا على علوم القدماء وفلسفة اليونان والهند ونقلوا ذلك الى لسانهم واستخرجوا منه علم الكلام . وكان العرب قد وضعوا العلوم اللسانية وضبطوا معانى الالفاظ وأساليب التعبير فنظروا فى التفاسير السابقة نظر الناقد ومحصوها وضبطوها بالقياس العقلى بالاعتماد على قواعد المنطق بما تقتضيه الفلسفة اليونانية القديمة على نحو مافعله لاهوتيو النصارى قبل ذلك

رابعا العصر العلمى : الذى نحن فيه وهو عصر الفلسفة

الجديدة المبنية على العلم الطبيعي الثابت بالمشاهدة والاختبار ويمتاز عن العصر السابق باطلاق حرية الفكر من قيود التقليد القديمة التي أغلت ألسنة أسلافنا وأقلامهم وأوقفت مجارى التمدن أجيالا متطاولة. فالشيخ عبده رحمه الله أراد أن ينقل التفسير الى روح هذا العصر فيفسر القرآن بما يطابق احكام العقل ويحل الاسلام من قيود التقليد . فسار فى هذا الطريق شوطا بعيدا فألقى على طلبة الازهر خطبـــا كثيرة فى التفسير نشرت فى مجلة « المنار » وطبع بعضها على حدة وكان لها تأثير حسن فى نفوس العقلاء . ولو مد الله فى أجله لأتم هذا العمل ولكنه قضى آسفا خائفا ولسان حاله يردد هذين البيتين وهما :

ولست أبالى أن يقال محمد   أبل أو اكتظت عليه المـآتم
ولكن دينا قد أردت صلاحه   أحاذر أن تقضى عليه العمائم

على انه خلف جماعة من تلامذته ومريديه اكثرهم من أهل العلم وأرباب الاقلام وفيهم نخبة كتاب المسلمين وشعرائهم فى هذا العصر. وأكثرهم مجاهرة بنصرته واذاعة لآرائه صديقنا السيد رشيد رضا صاحب « المنار الاسلامى »

والشيخ محمد عبده زعيم نهضة اصلاحية لاخوف منها على الدماء أو الارواح وأكثر نهضات الامم فى سبيل اصـــلاحها لاتخلو من اهراق الدماء ، فهو رجل عظيم يجدر بالمسلمين أن يبكوه وأن يقتفوا آثاره فى التوفيق بين الاسلام والمدنيـة الحاضرة وتنقيته مما ألم به بتوالى الازمان وذلك ميسور لمن أطلق فكره من قيود التقليد واسترشد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد الى العلم الصحيح . على اننا نرجو أن لاتعدم هذه النهضة من يخلف الامام الفقيد فى الانتصار لها والعمل بها والله على كل شىء قدير

السيد عبد الرحمن الكواكبي

١٢٦٥ - ١٣٢٠ هـ الموافق ١٨٤٨ - ١٩٠٢ م

العظمة والشهرة صديقتان يغلب ان تتصاحبا فلا تكون احداهما بدون الاخرى . ولكنهما كثيرا ماتفترقان فتكون العظمة بلا شهرة والشهرة بلا عظمة . فترى بين أهل الشهرة الواسعة من اذا لقيتهم وسبرت غورهم رأيتهم كالطبل يدوى صوته الى بعيد وجوفه فارغ . وانهم انما نالوا تلك الشهرة بما طبعوا عليه من الميل الى نشر محامدهم فى الصحف فيقرأها النــــاس ويتحدثوا بها . وقد ينفقون المال ويتحدون أوعر أسباب السعى فى هذا السبيل . وترى بينهم من لامحمدة له فينتحل محامد غيره أو تكون له «حبة منها فيجعلها قبة» فاذا نشر ذلك عنه فى صحيفة أو نشرة أو كتاب حمله وطاف به فى الاهل والاصدقاء يترنم بقراءته عليهم ويتلذذ بما يلقى من آيات الاعجاب وخصوصا فى هذه البلاد ــ بلاد المجاملة التى يزداد فيها المغرور غرورا اذ لايسمع من الناس الا اطراء واعجابا ولو كانت حاله تدعو الى التقريع والتعنيف ــ ويعدون ذلك من آداب الحديث

فما كل شهير عظيم ولا كل عظيم شهير فكم بين ظهرانينا من رجال توفرت فيهم شروط العظمة ولو رافقتها الاسباب لاتوا بالامور العظام . وقد تظهر مواهبهم من خلال أعمالهم وان ضاقت دائرة العمل . ولكنهم لرغبتهم عن الشهرة لايعرف أسماؤهم الا القليلون فاذا أصابهم سوء أذاع مريدوهم أخبارهم وتحدثوا بأفضالهم

ومن هذا القبيل المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبى الحلبى



عبد الرحمن الكواكبي

فقد جاء مصر سنة ١٣١٨ هـ وأقام فى قلب العاصمة ومع سعة علمه وغزارة مادته لم يسمع بذكره أحد ولا عرفه الا الاصدقاء والاخصاء . وهناك أناس يقصرون عن ادراك بعض منزلته علما وفضلا ولكنهم لاتطأ أقدامهم مصر حتى تتناقل الصحف أخبارهم بما ينشرونه فيها من نفثات أقلامهم أو ثمار قرائحهم — وقد لاتكون تلك الثمار شهية — وانما يعمدون الى نشرها رغبة فى الشهرة . فالكواكبى رحمه الله لم يكن من أولئك ولكن همه كان منصرفا الى خدمة الوطن ونشر المبادىء الصحيحة فيه بالتأليف والتلقين بعد أن قضى معظم العمر فى خدمة الحكومة العثمانية فى حلب وقاسى امورا صعابا من وشايات ذوى الاغراض فلم يلق تربة تصلح لغرس مبادئه فجاء مصر ونشر بعض كتبه فعاجله الاجل فمضى ومضت معه أمانيه وهى شبيهة بأمانى المرحوم السيد جمال الدين الافغانى وقد استهلك فى سبيلها كما استهلك ذاك من قبله

نشأته وميوله

آل الكواكبى اسرة قديمة فى حلب هاجر اليها أجدادهم منذ أربعة قرون ولهم شهرة واسعة ومقام رفيع فى حلب والاستانة . يرجعون بأنسابهم الى السيد ابراهيم الصفوى احد أمراء اردبيل العظام . ولهم آثار مشهورة منها المدرسة الكواكبية فى حلب ونبغ منهم جماعة كبيرة من العلماء ورجال الادارة ومنهم فقيد العلم السيد عبد الرحمن وقد ولد فى حلب سنة ١٢٦٥ هـ وأبوه الشيخ أحمد الكواكبى أحد مدرسى الجامع الاموى الكبير

تلقى السيد عبد الرحمن مبادىء العلم فى بعض المدارس الاهلية ودرس العلوم الشرعية فى المدرسة الكواكبية وأتقن العربية والتركية وبعض الفارسية ووقف على العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحديثة . وكان ميالا من حداثته الى صناعة القلم فاشتغل فى تحرير جريدة «فرات» التى كانت

تصدر فى حلب باسم الحكومة وهو فى السابعة والعشرين من عمره . حررها خمس سنوات وأنشأ فى أثناء ذلك جريدة سماها «الشهباء» واشتغل بخدمة الحكومة فتقلب فى عدة مناصب علمية وادارية وحقوقية وأهل النقــــد يذكرون فضله فى كل واحدة منها كبيرها وصغيرها لان اقتدار الرجل يظهر فى الصغائر كما يظهر فى الكبائر . وكان حب الاصلاح وحرية القول والفكر باديتين فى كل عمل من اعماله . فلم يرق ذلك لبعض أرباب المناصب العليا فوشوا به فتعمدت الحكومة حبسه ثم جردوه من أملاكه . فلم يقلل ذلك شيئا من علو همته فغادر الوطن وطلب بلاد الله فجاء مصر ثم خرج منها سائحا فطاف زنجبار والحبشة واكثر شطوط شرق آسيا وغربيها ثم رجع الى مصر

رحلته فى جزيرة العرب

ومما يذكر له ونأسف لضياع ثماره أنه رجل رحلة لم يسبقه أحد اليها ويندر أن يستطيعها أحد غيره . وذلك أنه أوغل فى أواسط جزيرة العرب فأقام على متون الجمال نيفا وثلاثين يوما فقطع صحراء الدهناء فى اليمن . ولا ندرى ما استطلعه من الآثار التاريخية أو الفوائد الاجتماعية فعسى أن يكون ذلك محفوظا فى جملة متخلفاته . وتحول من هذه الرحلة الى الهند فشرقى أفريقيا أيضا وعاد الى مصر وكان أجله ينتظره فيها

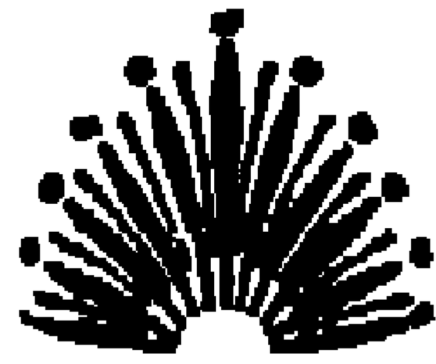
صفاته

كان الكواكبى واسع الصدر طويل الاناة معتدلا فى كل شيء وكان عطوفا على الضعفاء حتى سماه الحلبيون «أبا الضعفاء» وجاء فى الرائد المصرى أنه كان له فى بلده مكتب للمحاماة يصرف فيه معظم نهاره لرؤية مصالح الناس ويبعث الى المحاكم من يأمنهم من أصحابه ليدافعوا عن المظلومين والمستضعفين

وكان واسع الاطلاع فى تاريخ المشرق على العمـــوم وتاريخ

الممالك العثمانية على الخصوص وله ولع فى علم العمران . والف كتبا لم ينشر منها الا كتاب «طبائع الاستبداد» وهو فريد فى بابه . وكتاب «أم القرى» ومع تمسكه بالاسلامية والمطالبة بحقوقها والاستهلاك فى سبيل نصرتها فقد كان بعيـــدا عن التعصب يستأنس بمجلسه المسلم والمسيحى واليهودى على السواء لانه كان يرى رابطة الوطن فوق كل رابطة

ومن يقرأ ترجمة الكواكبى والافغانى وغيرهما من رجال هذه النهضة ويدرس أعمالهم والاحوال المحيطة بهم يعترف بفضلهم فى نصرة الحقيقة وتأييد الحق والحرية



قاسم أمين

١٢٨٢ - ١٣٢٦ الموافق ١٨٦٥ - ١٩٠٨ م

كان للمرأة العربيـــة مقام رفيع فى التمدن العربى القديم فتعاطت الكتابة وتولت الادارة وعانت سائر أعمال الرجال فى الالف الثالث قبل الميلاد أى منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة . وعرفنا دولا عربية فى أعالى الحجاز لايتولى الملك فيها الا النســـاء . ناهيك بما تناقله العرب من أخبار بلقيس صاحبة اليمن والزباء (زينوبيا) صاحبة تدمر . عدا اللواتى اشتهرن فى أثنـاء الجاهلية من العرافات والكواهن ولايتولى الكهانة الا الممتازون بالعقل والتدبير بعد أن ينالوا المقـــام الرفيع ويحرزوا العلم الواسع . ويقال بالاجمال أن المرأة فى الجاهلية كان لها شأن وارادة وانفة ورأى وحزم . ونبغ غير واحدة منهن قبيـــل الاسلام وفى أوائله فى السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة على أثر ماحصل من النهضة فى النفوس والعقول يومئذ فاشتهر جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال . وممن اشتهرن بالحزم والرأى خديجة بنت خويلد زوج النبى واسماء بنت أبى بكر وسكينة بنت الحسين وغيرهن (١)

ظلت المرأة العربية على انفتها وعزة نفسها وسمو منزلتها فى أيام الراشدين وزاد توســـعها فى طلب المعرفة اذ اتسع المجال للعقول والمواهب فنبغت غير واحدة بالشعر والادب واتت بعضهن أعمالا يعجز عنها كبار الرجال . فلما أفضت

---

(١) ترى تفصيل ذلك فى الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامى

الدولة الى بنى أمية فى أواسط القرن الاول للهجرة أصاب المرأة العربية صدمة قوية غيرت كثيرا من طبائعها لتكاثر الجوارى والغلمان فى دورالامراء وانغماس بعض الخلفاء فى الترف والقصف وانتشار الغناء والسكر وتكاثر المخنثين فى المدن وتوسطهم بين الرجال والنساء بالباطل

ولما استبحر عمران المسلمين فى العصر العباسى زادوا انغماسا فى القصف واللهو والخلاعة وفسدت النية بين الرجل وامرأته وهو صاحب الذنب لأنه بدد شعائره وأمياله بين عدة نساء فقلت ثقة امرأته به . ولم ينضج التمدن فى ذلك العصر حتى تنوسيت المرأة العربية وذهبت حريتها وغيرتها وانحطت نفسها وذهبت أنفتها واستقلال فكرها . فاحتقرها الرجل وساء الظن بها وصار يعاشرها على غل وسوء رأى يقفل عليها الابواب والنوافذ . وأصبح الطعن فى طباعها وسوء سريرتها شائعا على ألسنة الناس حتى ألفوا فيها الروايات والقصص ونظموا بها الشعر وتفننوا فى وضع الجمل الحكمية والعبارات البليغة فى تحذير الناس من المرأة وعدم الوثوق بها . هذه قصة « ألف ليلة وليلة » تمثل حال المرأة فى العصور الاسلامية الوسطى بعد شيوع التسرى وانغماس المسلمين فى الترف . وأما الاشعار فاليك ما قاله أبو العلاء المعرى :

اذا بلغ الوليد لديك عشرا ... فلا يدخل على الحرم الوليد
وان خالفتنى واضعت نصحى ... فأنت وان رزقت حجا بليد
الا ان النساء حبال غى ... بهن يضيع الشرف التليد

واصبح الكاتب اذا اراد تعزية صديق على فقد بنت له قال ماقاله ابو بكر الخوارزمى اذ كتب الى رئيس بهراه يعزيه ببنته وهو قوله :

« ولولا ماذكرته من سترها . ووقفت عليه من غرائب أمرها . لكنت الى التهنئة أقرب من التعزية . فان ستر العورات من الحسنات . ودفن البنات من المكرمات . ونحن



قاسم أمين

فى زمان اذا قدم أحدنا فيه الحرمة . فقد استكمل النعمة . واذا زف كريمة الى القبر . فقد بلغ أمنيته من الصهر . قال الشاعر :

ولم ار نعمة شملت كريما كنعمة عورة سترت بقبر

وقال آخر :

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرم

وقال آخر :

وددت بنيتى وودت انى وضعت بنيتى فى لحد قبر

وقال آخر :

ومن غاية المجد والمكرمات بقاء البنين وموت البنات

وقال آخر :

سميتها اذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن وبيت

هذا مثال من آراء ادباء المسلمين وشعرائهم فى المراة بين القرنين الرابع والخامس للهجرة وقد زادت حطة وصغارا فى الاجيال الاسلامية الوسطى تبعا للتقهقر العام وبلغت غاية ذلك فى القرون الاخيرة قبل النهضة وقد تساوت فى ذلك الانحطاط المرأة المسلمة وغير المسلمة من نساء الشرق الاسلامى على الاجمال والناس سكوت . لأن القرائح جامدة والنفوس ميتة بما تولى الناس من فساد الاحكام وتفشى الجهل

فلما أخذ القوم بأطراف التمدن الحديث واستنارت العقول بالعلم انتبه العقلاء الى المرأة وعمدوا الى النظر فى تحسين حالها ورفع شأنها لعلمهم ان الامة يتوقف اصلاحها على اصلاح المرأة . فطفقوا يتهامسون فى ذلك تهيبا من مقاومة تيار العامة الذين يعدون التضييق على المرأة من حقوق الرجل

ثم اخذ بعضهم يتظاهرون بنصرتها وانشئت المدارس لتعليمها وظهر القائلون بوجوب اصلاحها وليس بينهم من تصدى للمجاهرة بذلك على الملأ بالكتابة والخطابة لأن الشجاعة الادبية كانت قليلة بيننا . وأسبق المسلمين الى طلب الافراج

عن المراة فى هذا العصر الاتراك فى الاستانة لكثرة اختلاطهم بالاجانب وسبقهم فى الاطلاع على أسباب التمدن الحديث . ولذلك كان كتابهم أسبق الى المجاهرة بوجوب رفع الحجاب واول من فعل ذلك من العرب هناك الشيخ أحمد فارس صاحب الجوائب

اما فى مصر فما زال العقلاء يتهامسون فى هذا الموضوع وفى غيره مما يشعرون بحاجتهم اليه من الاصلاح الاجتماعى أو الدينى حتى صرح الشيخ محمد عبده بآرائه فلاقى ما لاقاه من المعارضة والنقمة وكانت وجهته الاصلاح الاسلامى على العموم بحل قيود التقاليد وتحكيم العقل فى التفسيروالتأويل الى مافيه ترقية شؤون المسلمين . فكثر مريدوه والمؤمنون على أقواله وان قل المجاهرون بذلك على المنابر أو فى الصحف . ومن أولئك القليلون فقيد الامس قاسم بك امين فانه اخذ على عاتقه القيام بأهم أسباب الاصلاح المطلوب نعنى تحرير المرأة . تصدى لذلك بشجاعة يندر مثلها

الشجاعة الادبية

الشجاعة الادبية أن يقول الانسان اعتقاده ولو كان فيه مايسيء الكبراء أو يهيج عليه العامة مما يؤول الى الخطرعلى حياته أو مصلحته . وأصحاب هذه المنقبة قليلون ولاسيما فى الشرق بعد ماتوالى على أهله من أصناف الذل والخسف . واما فى ابان تمدنه فقد اشتهر من رجاله جماعة تضرب الامثال بشجاعتهم الادبية لسيادة العدل ونزوع ولاة الامور الى نصرة الحق والضرب على أيدى الظالمين . فلم يكن الناس يخافون أن يقولوا مايعتقدون حتى كان الرجل من العامة ربما انتقد الخليفة أو الامير فى وجهه لايخشى بأسا وقد تعود المسلمون ذلك من زمن الراشدين . فلما أفضت الدولة الى بنى أمية وعمدوا الى الدهاء والشدة فى تأييد سلطانهم أمسكوا على الناس حريتهم . ومع ذلك فقد نبغ غير واحد

بذلوا حياتهم فى سبيل شجاعتهم كما أصاب أبا ذر الغفارى وحجر بن عدى الكندى وسعيد بن جبير وغيرهم . ولا تقتصر تلك الشجاعة على المسائل السياسية أو الدينية بل هى لازمة فى العلم والادب فقد عرض «غاليليو» حياته للخطر لمخالفة الاولين فى قولهم عن ثبوت الارض

والانسان من فطرته حر الفكر يدلك على ذلك مايبدو فى كلام الاطفال من الصراحة والحرية ولكن تربيته على الخوف والحذر وتضييق الفكر منذ الصغر بالخرافات والاوهام تقيدان العقل حتى يعجز صاحبه عن التفكير الا على القالب الذى صب عقله فيه ـ فعلى طالب الاصلاح قبل أن يحل لسانه من خوف العقاب أن يحل فكره من قيود التقليد ـ هذه هى الخطوة الاولى نحو الشجاعة الادبية . وجمهور العامة مقيدو الفكر لاتتمشى أفكارهم الا على الخطة التى رسمتها عاداتهم فتبدو آراؤهم مسبوكة فى القوالب التى اقتضتها تربيتهم أو معتقداتهم . فقبل أن نطالبهم بحرية القول أو الشجاعة الادبية يجب علينا ان نعلمهم « حرية الفكر » أى أن نجعلهم ينظرون فيما يعرض لهم من المسائل بعين العقل لابعين الغرض وأن يبحثوا عن الحقيقة المجردة بقطع النظر عما غرس فى أذهانهم مما يخالفها فيحكموا عقولهم وليس عاداتهم ومعتقداتهم ذلك مايعبرون عنه باستقلال الفكر

فمتى أطلق الرجل فكره من قيود الغرض أو التقليد بقى عليه أن يصرح بما يرشده اليه عقله اذ قد يكون فى تصريحه مايسوء سواه أو يعود عليه بالضرر فيمسك عنه خوفا أو مسايرة فيسكت . وقد يتمادى فى جر المنفعة لنفسه فيقول عكس مايعتقده التماسا لرضى الآخرين ونرى أمثلة من ذلك شائعة بيننا لهذا العهد

فالناس من هذا القبيل ثلاث طوائف : طائفة غلبت عليها الاوهام وقيدتها التقاليد فلا تنظر فى الامور الا بعين الغرض وبما تقتضيه تلك القيود فلا يلام أصحابها الا على الجهل . وطائفة

حلت افكارها من تلك القيود ونظرت فى الامور بعين العقل فظهر لأصحابها فى شؤون العامة خلل يقتضي اصلاحا فمنهم من يسكت عن ابداء رأيه خوفا من غضب الجمهور أو مراعاة لرئيس أو صديق ــ وهو جبن وضعف . ومنهم من لايكتفى بالسكوت عن الحق بل يجارى تيار الجهلاء فيقول عكس مايعتقد ــ وهو النفاق والرياء . ومنهم من يقول مايعتقده بشجاعة وصراحة لايبالى بما قد يلحقه بسبب ذلك من الضرر ــ وهى الشجاعة الادبية وأصحابها هم رجال الفضـــل على المجتمع الانسانى ومنهم كبار المصلحين والشارعين . وليس المصلح أو الشارع الا رجلا دعا الناس الى غير ما الفوه او تعودوه من الاصلاح الدينى أو الاجتماعى وضحى بنفسه أومصلحته فى هذا السبيل ــ وصاحب الترجمة من أولئك المصلحين

ترجمة حياته

كان أبوه أمين بك ابن أمير من أمراء الاكراد اخذ رهينة فى الاستانة على اثر خلاف وقع بين الدولة العثمانية والاكراد. ثم جاء الى مصر على عهد اسماعيل باشـــا وانتظم فى الجيش المصرى ورقى فيه الى رتبة أميرالاى وتزوج بكريمة احمدبك خطاب أخى ابراهيم باشـــا خطاب فولدت له أولادا اكبرهم قاسم صاحب الترجمة

وليس فى ترجمة قاسم أمين مانراه فى تراجم رجال الحرب أو السياسة من الحوادث العديدة فقد ربى كما يربى امثـــاله من أولاد الوجهـــاء وتثقف فى مدارس الحكومة المصرية وكان ممتازا من صغره بالذكاء وحدة الذهن ولما أكمل دروسه كان فى جملة الذين اختارتهم الحكومة للارسال الى أوربا يتعلمون على نفقتها على جارى العادة فى ذلك الحين فدرس الحقوق فى فرنسا وعاد الى مصر سنة ١٨٨٥ فتعين وكيلا للنائب العام فى محكمة مصر المختلطة وما زال يرتقى حتى صار مستشارا فى الاستئناف وكان فى كل أعماله مثـــال الامانة والنشاط

واستقلال الفكر حتى توفاه الله بالسكتة فى ٢١ ابريل عام ١٩٠٩ وهو فى الثالثة والاربعين من عمره

صفاته وأعماله

كان رحمه الله ربع القامة أسمر اللون كثير التفكير قليل الكلام . وكان حر الفكر صادق اللهجة وقد زاده التبحر فى القوانين والنظر فى أقوال الفلاسفة الاجتماعيين استقلالا فى الفكر وصراحة فى القول لأن القضاء يعود صاحبه التمسك بالحق واجلال قدر الحقيقة ، وممارسة القضاة الاحكام وتعودهم اذعان الناس لاقوالهم بلا مراجعة يزيدهم جرأة لابداء آرائهم فى كل مسألة تعرض عليهم ولذلك رأيت المحاباة والرياء نادرين فيهم

وكان كبير النفس شديد الحرص على كرامتها ولذلك رأيناه محبا لأمته راغبا فى رفع منزلتها لأن حب الامة من حب الذات ولا يحب أمته الا الذى يحب كرامة نفسه ومن يتفالى فى خدمة أمته فانما يفعل ذلك حبا بنفسه

واطلع قاسم على أحوال الامم الراقية فى أثناء اقامته بأوربا فتمنى أن تكون أمته مثلها فنظر فى أسباب الرقى فرآها كثيرة لايمكن تناولها دفعة واحدة ولايتيسر تناول شيء منها قبل اصلاح العائلة لأن الامة تكون كما تكون العائلة والعائلة تكون كما تريد المرأة فوجه عنايته الى اصلاح المرأة المسلمة وليس هو أول من رأى ذلك أو فكر فيه كما قلنا ولكنه كان حازما مقداما لايكتفى بالقول والتذمر أو الاستسلام على عادة أكثر المفكرين بيننا ومنهم طائفة لا يقلون تعقلا وسدادا عن المفكرين فى العالم المتمدن ولكنهم يقولون ولايفعلون

وهى آفة المشارقة . أما قاسم أمين فكان فعالا اذا اقتنع بصواب فكر أخرجه الى حيز العمل . فلما عرف الطريق المؤدى الى اصلاح أمته بادر الى مباشرته وهو يعلم مايعترض مشروعه من العقبات وما سيلقاه من مقاومة تيار الرأى العام.

لأن اصلاح المرأة يقتضى منحها الحرية ويتناول تقبيح الحجاب والنهى عن الطلاق وتعدد الزوجات مما يعده العامة من قبيل العقائد الدينية وهو ما لم يبحه الدين الا لضرورة فاضطر أن يبين ذلك فى أثناء بحثه. وبعد اعمال الفكرة ألف كتابه « تحرير المرأة » واسمه ينم على منزلة المرأة المسلمة فى اعتباره فهو يعدها مستعبدة وقد أخذ على نفسه أن يحررها . وعلم أن الناس سيكبرون قوله وينكرون عليه مشروعه ـ حتى المرأة لأنها ألفت الذل وتعودت أن تعتبر نفسها من أدوات المنزل . فلم يكن يتوقع أن يرى ثمرة سعيه فى حياته فرضى أن يضع الاساس لسواه فصدر كتابه المشار اليه بقوله :

« وغاية ما أريد هو أن أستلفت الذهن الى موضوع قل المفكرون فيه لا أن أضع كتابا يوفى الكلام فى شأن المرأة ومكانتها من الوجود الانساني، وقد يوضع مثل هذا الكتاب بعد سنين متى نبتت هذه البذرة الصغيرة ونما نباتها فى أذهان أولادنا وظهرت ثمراتها وعملوا على اقتطافها والانتفاع بها »

ثم بين حاجة المرأة المصرية أو المسلمة الى الاصلاح موجها كلامه الى الخاصة والعقلاء فأورد فصلا فى « أن حال المرأة فى الهيئة الاجتماعية يتبع حال الآداب فى الامة » لايقراه قارىء الا توسم من خلال سطوره الحماسة ونصرة الحقيقة وصدق اللهجة . فقد افتتح كلامه بقوله :

« انى أدعو كل محب للحقيقة أن يبحث معى فى حالة النساء المصريات وأنا على يقين انه يصل وحده الى النتيجة التى وصلت اليها وهى ضرورة الاصلاح فيها . هذه الحقيقة التى أنشرها اليوم شغلت فكرى مدة طويلة كنت فى خلالها أقلبها وأمتحنها وأحللها حتى اذا تجردت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضوع الفكر منى وزاحمت غيرها وتغلبت عليه وصارت تشغلنى بورودها وتنبهنى الى مزاياها وتذكرنى بالحاجة اليها فرأيت ألا مناص من ابرازها من مكان الفكر الى فضاء الدعوة والذكر

ثم اخذ يبحث في علاقة المرأة بالامة ويورد الادلة والبراهين التاريخية والاجتماعية ويستنهض الهمم ويستحث القرائح على العمل بعبارات ملؤها الحماسة والاخلاص قال :

« ولا يركن الى حب السكينة الا أقوام على شاكلتنا . فقد أهملنا خدمة عقولنا حتى أصبحت كالارض البائرة التى لايصلح فيها نبات . وحتى مال بنا الكسل الى معاداة كل فكر صالح مما يعده أهل الوقت حديثا غير مألوف سواء كان من السنن الصالحة الاولى أو قضت به المصالح فى الازمنة

« وكثيرا مايكتفى الكسول وضعيف القوى فى الجدل بأن يقذف بكلمة باطلة على حق ظاهر يريد أن يدفعه فيقول : تلك بدعة فى الاسلام . وما يرمى بهذه الكلمة الا حبا فى التخلص من مشقة الفهم أوالخروج من عناء العمل فى البحث أو الاجراء . كأن الله خلق المسلمين من طينة خاصة بهم واقالهم من أحكام النواميس الطبيعية التى يخضع لسلطانها النوع الانسانى وسائر المخلوقات الحية

« سيقول قوم ان ما أنشره اليوم بدعة . فأقول نعم انى اتيت ببدعة ولكنها ليست فى الاسلام بل فى العوائد وطرق المعاملة التى يحمد طلب الكمال فيها »

وأفاض فى بسط الموضوع وتأييده فأفرد فصلا لتربية المرأة وهو يعتقد انها مساوية للرجل لاتختلف عنه الا بما يستدعيه اختلافهما فى الصنف . وان تعليمها العلوم الطبيعية والعقلية والادبية يساعدها على القيام بواجباتها المنزلية وترقية نفوس ابنائها . وقسم الكلام فى التربية الى التربية بالنسبة الى الوظيفة الاجتماعية وبالنسبة الى الوظيفة العائلية . ثم تكلم فى الحجاب ــ وكان قد ألف كتابا بالفرنسية قبل «تحرير المرأة» رد به على كتاب الدوك داركور الذى طعن فيه على المصريين وقبح اخلاقهم وعاداتهم واختصر قاسم فى دفاعه عن الحجاب هناك فأفاض هنا فى حقيقة الحجاب من الوجهة الدينية ومن الوجهة الاجتماعية واستأنف الكلام فى « المرأة

والامة » وبين ارتباطهما فى فصل طويل

وختم كلامه بفصل فى « العائلة » وتوسع فى الكلام على الزواج وشروطه وبين ان الشريعة الاسلامية تأمر بحسن المعاملة وتنهى عن تعدد الزوجات وتقبح الطلاق مسندا أقواله الى القرآن والحديث والقواعد الاجتماعية والأحكام العقلية . وفى كل فقرة دليل على صراحة فكره وصدق لهجته وتفانيه فى خدمة أمته . ومع ذلك فلم يكد يظهر كتابه وتتناقله الايدى حتى تصدى لتخطئته أقوام جاهروا بالسخط على صاحبه بين منتقد وهازىء اما تمسكا بالقديم أومجاراة لاحساس العامة لارتباط ذلك بمصالحهم وطرق معيشتهم . وفيهم من فعل ذلك عن اعتقاد خالص ولكن بعضهم تجاوز حد الانتقاد الى الاستهزاء والقول الهراء فاتهمه بعضهم بالمروق من الدين وآخرون بالخروج عن الآداب وزعم غيرهم انه يرمى الى قلب الهيئة الاجتماعية المصرية وممالأة الانجليز على ضياع البلاد

أما هو فأغضى عن ذلك كله ورجع الى الموضوع فزاده بسطا بكتاب آخر سماه « المرأة الجديدة » تكلم فيه عن « المرأة فى حكم التاريخ » من أقدم أزمنته الى الآن فى الامم القديمة والحديثة تأييدا لرأيه فى وجوب تحريرها ورفع شأنها وفى « الواجب على المرأة لنفسها » وفصول فى « الواجب على المرأة لعائلتها » و « التربية والحجاب »

ولم يكتف بطلب تحرير المرأة لكنه وضع لحريتها حدودا وبين مايجب عليها وما يحق لها . ووضع للطلاق نظاما جعله نموذجا تنسج الحكومة على منواله اذا شاءت تحرير المرأة واعطاءها حقها الشرعى والمدنى . فقيد ارادة الرجل فى الطلاق بحكم القاضى أو المأذون بعد أن يرشد الزوج الى ماجاء فى الكتاب والسنة من كره الطلاق عند الله وينصحه ويبين له تبعة عمله واذا أبى الاصفاء وسط حكما من أهله وحكما من أهلها للاصلاح بينهما فاذا لم يفلح فى ذلك كله أذن بالطلاق . ولايخفى ما فى ذلك من تدارك الاضرار التى تصيب

العائلات بتسرع البعض فى تنفيذ طلب الطلاق وقد يكون طلبه عن غضب مؤقت فاذا أثاب اليه رشده ندم على مافرط منه

ظهرت كتابات قاسم أمين فى هذا الشأن من تسع سنوات فشغلت الالسنة والاقلام عاما أو عامين تنبهت فيهما العقول وثارت الخواطر وقام الناس وقعدوا . وقد لاقى من العقلاء اعجابا كثيرا فنصره بعضهم بألسنتهم واقلامهم وسكت الآخرون مجاراة للعامة ونصرائهم . وأكثر مجاهرة فى نصرته وأخذا بيده زميلنا ابراهيم بك رمزى فانه أنشأ يومئذ مجلة سماها « المرأة فى الاسلام » جعلها وقفا على هذا المشروع ظهرت سنة ثم احتجبت ثم سكت الناس لاعن اهمال أواغفال ولكنها فترة الحضانة ريثما تتكيف عقول الامة لقبول تلك الآراء ، كالتلقيح بالجواهر النافعة فانه يحدث عند دخوله البدن تهييجا وقد يولد صديدا ثم يسكن فى الظاهر ويعمل عمله رويدا رويدا . وقد أخذت نتائج ذلك السعى تظهر برغبة الناس فى تعليم بناتهم وانشاء المدارس لهذه الغاية . وهذا من أدلة تسرب فكرة قاسم امين بالتدريج .

ستتوالى الاجيال وتمر السنون قبل أن تتحرر المرأة المسلمة لكنها ستتحرر وترتقى وتتولى الاعمال الهامة وترفع شأن العائلة كما كانت سالفاتها فى جزيرة العرب منذ آلاف من السنين فاذا بلغت الى ذلك الرقى تذكر انه كان صاحب الفضل عليها ويعظم ذكره فيبقى اسمه منقوشا بحروف من نور على تاريخ الاجتماع الشرقى فى التمدن الحديث

اعماله فى غير تحرير المرأة

قد تمر القرون والناس على ماساقتهم اليه الفطرة فى طلب المعاش لايفقهون معنى الحياة ولا الاجتماع حتى تتمخض الطبيعة فتلد من ابنائها افرادا ينهضون بالامة الى مايظنون فيه خيرها . هؤلاء هم اقطاب العالم ودعائم الهيئة الاجتماعية فمنهم من يرى ثمرة سعيه وينال الفخر بحياته

ومنهم من يراها خلفاؤه ويطوبونه بعد موته

وصاحب الترجمة واحد من هؤلاء لم يجن ثمرة سعيه ولكن معاصريه عرفوا فضله واعترفوا بما طبع عليه من سعة العقل وسداد الرأى والرغبة فى خدمة الامة فعهدوا اليه بأعز المشروعات لديهم نعنى انشاء « الجامعة » فولوه رئاسة اللجنة فلم يدخر وسعا فى سبيلها الى آخر ساعة من حياته

ذكرنا للفقيد فضله فى نصرة المراة لأنه أظهر أعماله الاجتماعية ولكنه كان راغبا فى سائر سبيل الاصلاح يطلبها من أبوابها القانونية مع تطبيقها على القواعد الاجتماعية الصحيحة لايغريه اطراء ولا يخيفه صياح ولا يستغرب نقمة الناس وتخوفهم من كل جديد . وكان يشير الى ذلك فى أثناء أقواله ويحتاط له ويدفعه . وله فى الاصلاح على اجماله مقالات كان ينشرها فى جريدة « المؤيد » عنوانها « أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ » لم يذكر فيها اسمه وكان لها وقع حسن

وله أقوال مأثورة وجمل يتناقلها الناس عنه ويتخذونها قاعدة أو مثلا نشرتها ادارة الجريدة فى كتاب سمته « كلمات لقاسم بك أمين » هو عبارة عن مختارات أفكاره أو مذكراته وفيه حكم فلسفية اجتماعية وشذرات علمية يجدر بالادباء الاطلاع عليها والتمثل بها وهذه أمثلة منها :

* ان الذى مدحك بما ليس فيك انما هو مخاطب غيرك

* اذا استشارك عدوك فأخلص له النصيحة لأنه باستشارتك قد خرج من عداوتك ودخل فى مودتك

* تعصب أهل الدين وغرور اهل العلم هما منشأ الخلاف الظاهر بين الدين والعلم . وليس بصحيح انه يوجد بينهما خلاف حقيقى لا فى الحال ولا فى الاستقبال مادام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء . فمهما كثرت معارف الانسان لاتملأ كل فكر بعد كل اكتشاف

يتحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفى نهاية كل مسألة تحلها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها . الآن وغدا يشتغل عقل الانسان بالعلم أى بمعرفة الحوادث الثابتة ولايمنعه ذلك من التفكر فى المجهول الذى يحيط بها من كل طرف. هذا المجهول الذى لاقرار له ولا حد لافى الزمان ولا فى المكان هو دائرة اختصاص الدين

* من اختبارى لأرباب الافكار الذين اختلطت بهم يظهر لى ان الحمية عندهم سطحية لاتذكيها نار تتوقد فى القلب. حمية الفاظ متى انتشرت عادت هباء لاتترك أثرا بعدها

* لا أدرى ماهى غاية الكتاب الذين اذا أرادوا التعبير عن اختراع جديد يجهدون أنفسهم فى البحث عن كلمة عربية تقابل الكلمة الاجنبية المصطلح عليها كاستعمالهم مثلا كلمة السيارة بدلا من كلمة الاوتوموبيل. ان كان القصد تقريب المعنى الى الذهن فالكلمة الاجنبية التى اعتادها الناس تقوم بالوظيفة المطلوبة منها على وجه أتم من الكلمة العربية وان كان قصدهم اثبات ان اللغة العربية لا تحتاج الى اللغات الاخرى فقد كلفوا أنفسهم أمرا مستحيلا اذ لم يوجد ولن توجد لغة مستقلة عن غيرها مكتفية بنفسها

* لاتكمل أخلاق المرء الا اذا استوى عنده مدح الناس وذمهم اياه (انتهت أقواله)

وجملة القول أن قاسم أمين من المصلحين العظام الذين يحفظ التاريخ ذكرهم وتزداد منزلتهم رفعة وفضلهم ظهورا بتوالى الاجيال . وفضله يشمل العالم الاسلامى على الاجمال بنصرته للمرأة المسلمة وله فضل خاص على القطر المصرى بما نشره بين المصريين من النصائح الخاصة بهم . وبما كان له من القدوة الحسنة بين زملائه وأصدقائه وغيرهم . لأنه خدم القضاء ٢٣ سنة كان فيها مثال النزاهة واستقلال الفكر والشجاعة الادبية لايراعى فى الحق صداقة ولا قرابة ولا مقاما

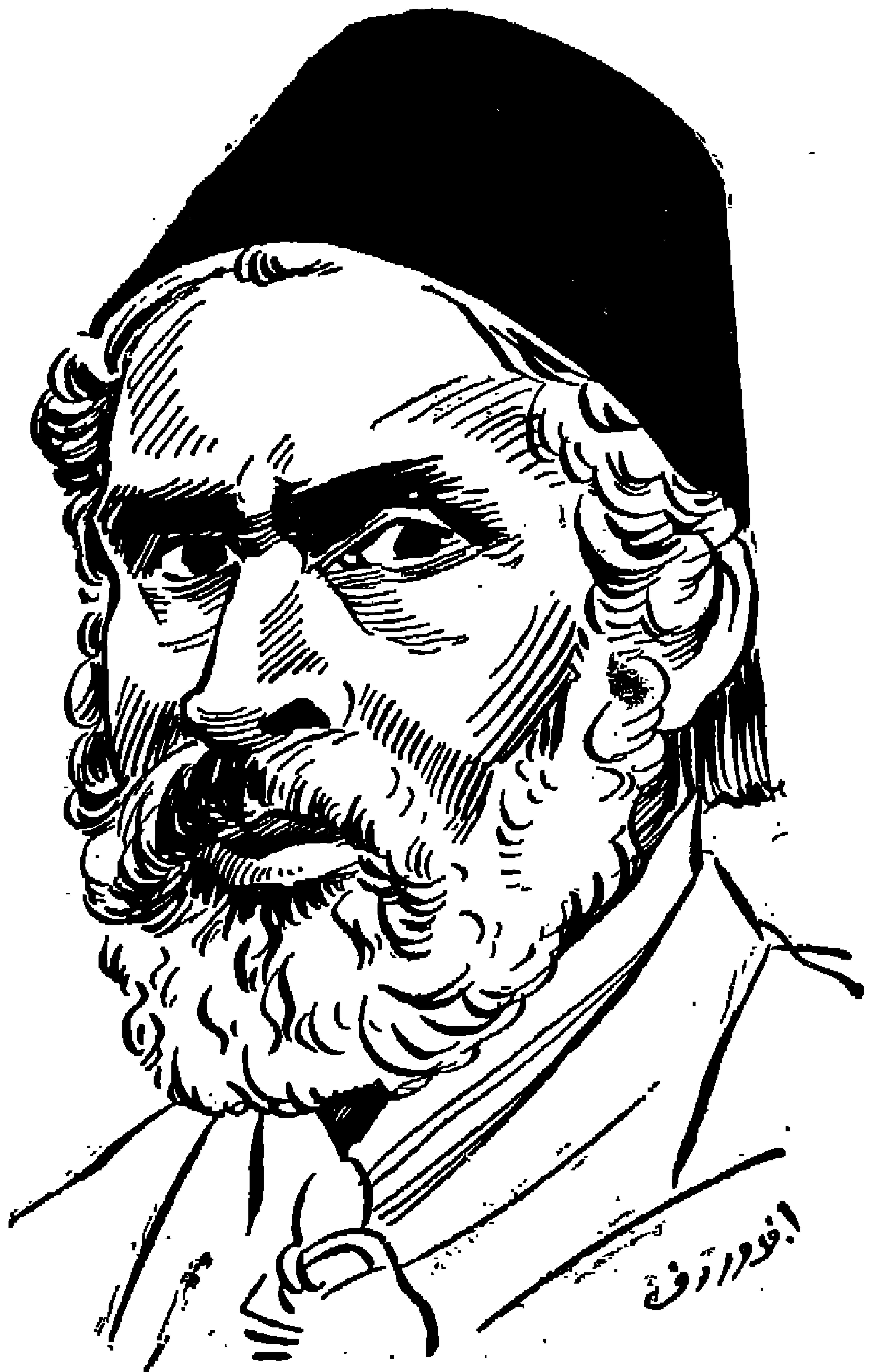
رجال علم وتعليم

١ - محمود باشا الفلكى
٢ - رفاعة رافع الطهطاوى
٣ - عبد الله باشا فكرى
٤ - على باشا مبارك

محمود باشا الفلكى

١٢٢٠ - ١٣٠٣ هـ الموافق ١٨٠٥ - ١٨٨٥ م

ولد رحمه الله فى بلدة « الحصة » فى مديرية الغربية سنة ١٢٢٠ هـ ولم يكد يترعرع حتى توفى والده فاحتضنه أخوه وكانت النجابة تتجلى فى وجهه منذ صباه ، فأدخله أخوه مدرسة الاسكندرية سنة ١٢٤٠ هـ فأقبـــل على الدرس والمطالعة ، وأكب على اكتساب العلم بهمة ونشاط فلم تمض عليه بضع سنوات حتى نال رتبة بلوك أمين فانتقل من هذه المدرسة الى غيرها من المدارس الاميرية المصرية وكان حيثما حل اشتهر بالنباهة والذكاء وخصوصا فى الفنون الرياضية فلما اتم دروسه عينته الحكومة استاذا للعلوم الرياضية والفلكية فى مدرسة المهندسخانة وكانت اذ ذاك برئاســـة لامبير بك فترقى فيها الى رتبة صاغقول أغاسى انعم بها عليه محمدعلى باشـــا سنة ١٢٦٢ هـ ولا يخفى ماكان للرتب من المنزلة اذ ذاك فكانت الحكومة لاتنعم على أحد برتبة ما لم يأت عملا عظيما يمتاز به عن اقرانه او يقوم بخدمة ذات بال. فحصول صاحب الترجمة على هذه الرتبة دليل على علو همته ورفع منزلته . على أنها كانت داعيا الى تنشـــيطه فأكب على التبحر فى العلوم ، فاختارته الحكومة المصرية سنة ١٨٥١ م وبعثت به الى أوربا لاتمام علومه الرياضية والفلكية ؛ فثابر على ذلك تسع سنوات متوالية لازم فى أثنائها مرصد باريس ، وكان لايترك فرصة لايستفيد بها شـــيئا حتى آن الامتحان فقدمه وحاز به قصب السبق فنال الشهادات ، وعاد ظافرا



محمود الفلكى

منصورا فى عهد الامير سعيد باشا فأنعم عليه برتبة اميرالاى وكلفه رسم خريطة للديار المصرية ، فأخذ فى مباشرة هـذا العمل وهو أول من باشره من المصريين ، فرسم خريطـة الوجه البحرى رسما مدققا ، يدل على طول باعه ومهارته فى التخطيط والهندسة ، وهى خريطة مشهورة باسمه يرجعون اليها عند التدقيق ، ولعلها أول مؤلف وضـعه ، ثم أردفه بمؤلفات أخرى بين رسائل وكتب بعضها فى العربية وبعضها فى الفرنسية ، وهاك أسماءها ومواضيعها :

(١) الخريطة المتقدم ذكرها وقد أشرنا الى مانالته من المنزلة الرفيعة

(٢) رسالة فى التقاويم الاسرائيلية الاسلامية نشرها سـنة ١٨٥٥ م بعد أن قدمها لمجمع العلوم فى البلجيك ، وخلاصة موضوعها تعيين زمن ابتداء تاريخ اليهود وهو عندهم فى ٧ أكتوبر سنة ٣٧٦١ قبـل الميلاد . ويريدون به اليوم الذى تمت الخليقة فيه . والنظر فى حدود يومهم وهو يبتـدىء عندهم فى الساعة السادسة افرنجية مساء ويقسم الى ٢٤ ساعة وتقسم الساعة الى ١٠٨٠ قسما يقسم كل منها الى ٧٢ جزءا . وبحث فى أسبوعهم وشهرهم وسنتهم والايام التى تبتدىء بها شهورهم وسنوهم مع تعيـين أعيـادهم ومقارنة تاريخهم بتاريخ الميلاد المسيحى

(٣) رسالة فى الحالة الحاضرة للمواد المغناطيسية الارضيـة بباريس وضواحيها تلاها على المجمع العلمى الفرنسى وقد أعد موادها فى اثناء تجواله فى أوربا

(٤) كتاب فى التقاويم العربية قبـل الاسلام نشره سنة ١٨٥٨ م وهو من أجل كتبه بحث فيه عن يوم ولادة صاحب الشريعة الاسلامية فوصل الى نتيجة مآلها انه ولد فى ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ للميلاد

ودقق النظر فى حال التقويم قبل الاسـلام فحكم بأنهم

كانوا يعملون بالحساب القمرى الصرف . وبحث فيه أيضا عن عمر النبى عند وفاته فبلغ ستين سنة شمسية و ٢٨ يوما أو ٦٣ سنة قمرية و ٣ أيام . وارتأى ان العرب فى جاهليتهم لم يكونوا يعرفون الساعات التى ينقسم اليها اليوم وهو رأى كوسين‌دى برسفال المؤرخ الفرنسى وشوسن

(٥) رسالة فى الكسوف الكلى الذى ظهر بدنقلا فى ١٨ يوليو سنة ١٨٦٠ وشاهده هو بنفسه هناك وكانت الرسالة داعيا الى اشتهاره بين علماء الفلك

(٦) رسالة فى الاسكندرية القديمة وصف بها تلك المدينة فى أقدم أزمانها مستشهدا بما اكتشفه هو من شوارعها ومراسحها وابنيتها وأرفق الكتاب بخريطة أوضح بها ذلك

(٧) رسالة فى الايضاح عن أعمار الاهرام بحث فيها بحثا دقيقا فتبين له الغرض الاصلى من بنائها مطابقتها للشعرى. ومن رأيه أن الاهرام انما بنيت لغرض فلكى . قال مختار باشا المصرى : « وعلى ذكر هذه الرسالة يجدر بى ايراد عبارة هى فى حد ذاتها صادرة عن أفكار شخصية فقد كنت موجودا مع المرحوم عند شروعه فى أخذ مقاييس الاهرام وموقعها من التناسب الفلكى واعلم علم اليقين انه وصل للاطلاع على الغرض من تشييدها اذ وجد تحكيمها فى رسم يقابل بالضبط كوكب الشعرى عند طلوعه ، فكأن الآمر ببنائها أراد أن يجعلها مزولة يعرف بها يوم شم نسيم العلماء ، ولأجل تعريض جثث المدفونين فيها لموافاة صعود الكوكب المذكور فيسبغ عليه من آياته رحمة وغفرانا ، اذ ليس يخاف أن كوكب الشعرى كان عند الاقدمين وخصوصا المصريين من أجل المعبودات حتى عبر عنه بعضهم باله الآلهة »

(٨) رسالة فى التنبؤ عن ارتفاع النيل قبل ارتفاعه

(٩) بحث فى ضرورة انشاء مرصد لمراقبة الحوادث الجوية فى مصر

(١٠) رسالة فى مقيـاس مصر ومكيالها وميزانها ومقابلة ذلك بالاقيسة الفرنسية

(١١) رسالة فى مشابهة (كان) الناقصة بالفعل الفرنسى Avoir

(١٢) رسالة فى توحيد موازين العملة فى القطرالمصرى باشر كتابتها والموت حال بينه وبين اتمامها

وتقلد محمود باشـا الفلكى رحمه الله مناصب ذات شأن لايتقلدها الا نخبة أهل الفضل . منها انه ناب عن الحـكومة المصرية فى المجمع الجغرافى بباريس سنة ١٨٧٥ وفى البندقية سنة ١٨٨١ وتقلب فى مناصب الحكومة حتى بلغ مسند الوزارة فعهدت اليه نظارة الاشغال العمومية . ثم عهدت اليه نظارة المعارف العمومية فلم شعثها ونظمها ورتب كثيرا من أقسامها فزهت المعارف فى عهده وأضاءت البلاد بها . وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية الخديوية مدة . وخلاصة القول انه كان هماما حازما محبا لوطنه قضى سنى حياته عاملا فى خدمته مجاهدا فى سبيل نشر المعارف بين أبنائه حتى توفاه الله فجأة سنة ١٣٠٣ هـ وهو محاط بالكتب والاوراق آسفا على مؤلفات كان فى عزمه اتمامها فحال المنون بينه وبينها . فشقت وفاته على أهل الوطن المصرى فأبنه العلماء ورثاه الكتاب والشعراء بما دل على تقديرهم فضله حق قدره

رفاعة بك رافع الطهطاوى

١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٠١ - ١٨٧٣ م

هو السيد رفاعة بك بن بدوى بن على بن محمد ابن على بن رافع ويلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء

ولد فى طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر ، ويؤخذ مما كتبه عن نفسه فى رحلته التى سيأتى ذكرها أن أجداده كانوا من ذوى اليسار وأخنى الدهر عليهم وقعد بهم كما هو شأنه فى بنى الزمان . فلما ولد المترجم كانت عائلته فى عسر ، فسار به والده الى منشاة النيدة بالقرب من مدينة جرجا وأقام بين قوم كرام يقال لهم بيت أبى قطنة من أهل اليسار والمجد . فأقاما هناك مدة ثم نزحا الى قنا ولبثا بها حتى ترعرع الغلام فأخذ يقرأ القرآن ثم نقل الى فرشوط وأخيرا عاد الى طهطا . وكان قد حفظ القرآن وقرأ كثيرا من المتون المتداولة على أخواله وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبدالصمد الانصارى ، والشيخ أبى الحسن الانصارى ، والشيخ فراج الانصارى ، وغيرهم

ثم توفى والده فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم فى سلك الطلبة بالجامع الازهر سنة ١٢٢٣ هـ وجاهد فى المطالعة والدرس جهادا حسنا حتى نال من العلم شيئا كثيرا ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الاعلام فى الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول . وكان فى جملة من تلقى العلم عليهم من العلماء الشيخ حسن العطار المتوفى

سنة ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر فأحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر أقرانه التلامذة وخصه بالتقرب منه لما آنس فيه من الذكاء والاجتهاد فكان يتردد الى منزل الشيخ يأخذ عنه بعض العلوم أو يستشيره فى أمر أو ماشاكل ذلك

وقضى صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثمانى سنوات وكان كما قدمنا فى عسر ، وكانت والدته تنفق عليه مما تبيعه من بقايا حليها ومصاغها . فلما أتم دروسه تعين سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م) اماما فى بعض آلايات الجند براتب يساعده على القيام بأود حياته

وكان ذلك فى عصر محمد على باشا الذى كان يرسل البعوث المصرية الى اوربا لتلقى العلوم الحديثة ليكونوا له أعوانا فى فتح المدارس وبث تلك العلوم فى أبناء البلاد فأمر بتعيين صاحب الترجمة اماما لهم للوعظ والصلاة . فسارت الارسالية المشار اليها من مصر سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) . وهى أول ارسالية مصرية الى فرنسا . فتاقت نفس المترجم الى علوم المغرب فعكف على درس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه رغبة منه فى تحصيل العلوم بها أو نقله منها الى العربية لعله يتخلص من مهنة الامامة . وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولكنه تمكن من فهم معانيها فهما جيدا . وأخذ يطالع العلوم الحديثة فأتقن التاريخ والجغرافيا وعلوما أخرى ، وكان ميالا الى التأليف والترجمة فترجم وهو فى باريس كتابا سماه « قلائد المفاخر فى غرائب عوائد الاوائل والاواخر » وغيره . فبلغ محمد على باشا ما أظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة فى العلم من تلقاء نفسه فسر به سرورا عظيما واستبشر بطالعه

وفى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) عاد رحمه الله الى الديار المصرية بعد أن نال الشهادات الناطقة بدرجته من العلم والفضل فولاه محمد على منصب الترجمة فى المدرسة الطبية



رفاعة رافع الطهطاوى

التى كان انشأها سنة ١٢٤٢ هـ فى قرية أبى زعبل قرب القاهرة برئاسة كلوت بك الشهير . وكان متوليا رئاسة الترجمة بها قبله المرحوم يوحنا عنحورى من أبناء سوريا ، وله فيها خدمات جليلة وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق فولوه الترجمة وعمل على خدمة البلاد لاسيما وأن عارفى اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدون على الاصابع . ومما يعد له فضلا جزيلا انه أول من باشر انشاء جريدة عربية فى سائر المشرق وهى « الوقائع المصرية » فانها انشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٨ هـ ولا تزال الى الآن وهى الجريدة الرسمية المصرية

وفى سنة ١٢٤٩ هـ انتقل من مدرسة أبى زعبل الى مدرسة الطوبجية فى طره لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية. وفى سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) افتتح محمد على مدرسة للألسن الاجنبية وعهد بادارتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة فقام الشيخ رفاعة اذ ذاك حق القيام بادارة هذه المدرسة واختار لها التلاميذ من مدارس الارياف بسائر جهات القطر فبلغ عدد تلاميذها فى أول الامر خمسين تلميذا ثم زاد حتى صار ٢٥٠ تلميذا ، وكان فى أبى زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية فعهدت ادارتها اليه مع مدرسة الالسن ومدارس أخرى فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة ، وأخرى للمحاسبة ، وأخرى للادارة والاحكام الافرنجية .

وفى سنة ١٢٥٨ هـ تألف قلم الترجمة من أول فرقة خرجت من مدرسة الالسن وبعد سنة ونصف سنة من تأليفه نال رتبة قائمقام وكان قد نال ما يتقدمها من الرتب تدريجا فى أوقات متتابعة وفى سنة ١٢٦٢ هـ نال رتبة أميرالاى فصار يدعى رفاعة بك بدلا من الشيخ رفاعة

وما زال رفاعة بك ناظرا لمدرسة الألسن حتى اغلقت على

عهد الامير عباس باشـــا الاول فأمر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم وما زال هناك حتى توفى عباس باشا المشار اليه سنة ١٢٧٠ هـ ، فعاد الى مصر ومثل بين يدى سعيد باشا فعهد اليه سنة ١٢٨١ وكالة مدرســـة الحربية بجهة الصليبة تحت رئاسة سليمان باشـــا الفرنساوى وبعد قليل انشئت مدرسة الحربية بالقلعة فأحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندســـة الملكية والتفتيش والمعمارجية وعند ذلك نال الرتبة الممتازة

وفى سنة ١٢٧٧ هـ الغيت كل هذه المدارس فبقى رفاعة بك بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ هـ فأعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضوا فى قومســـيون المدارس وتولى ادارة جريدة « روضة المدارس » مع مثابرته على التأليف . وما زال قائما بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ بداء النزلة المثانية وله من العمر ٧٥ ســـنة . وقـــد ملأ الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه . وقد اطلعنا على كتاب خطى اسمه « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » تأليف صالح بك مجـدى عدد فيه مناقب صاحب الترجمة وعنه اخذنا معظم ماذكرناه هنا . وقد ذكر فيه أيضا عددا كبيرا من الذين اخذوا العلم عنه ونبغوا واشتهروا وذكر مناصبهم ووظائفهم وأعمـــالهم مما لامحل لذكره هنا

صفاته

وكان رحمه الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء أسمر اللون حازما مقداما على ذكاء وحدة . وهذا مانهض به من حضيض العسر الى مراتب المجد والفخر حتى أصبح ممن يشار اليهم بالبنان ويقتدى بأعمالهم بنو الانسان

وكان فى أوائل حيـــاته الى أن عاد من الديار الافرنجية

يلبس اللباس العربى الخاص من الجبة والعمامة والقفطان كما ترى رسمه فى صدر هذه المقالة ثم بدله باللباس الافرنجى المشهور

مؤلفاته

نختم ترجمة حاله بذكرمؤلفاته الواحد بعد الآخر مع وصفها بقدر الامكان :

(١) خلاصة الابريز والديوان النفيس . وهو رحلتــه الى فرنسا ذكر فيه ما شاهده من العادات والاخلاق والازياء وآثار التمدن الحديث وكل مايتعلق بذلك وقــد حازت من القبول لدى محمد على باشا حتى أمر ان تتلى فى قصوره ثم أمر بطبعها وتفريقها فى الدواوين وبين الوجهاء والاعيان

(٢) التعريبات الشافية لمريد الجغرافية . وهو مجلد ضخم ترجمه من الفرنسية الىالعربية لتدريس الجغرافية فىالمدارس المصرية . وقد طبع غير مرة فى مجلد كبير

(٣) جغرافية ملطبرون . وهوكتاب مؤلف منعدة مجلدات كبيرة يبحث فى الجغرافية بحثا تاريخيـــا مطولا ترجم منه المؤلف أربعة مجلدات كبيرة طبعت فى مطبعة بولاق . ويظهر منمطالعتها انه ترجمها علىعجل والواقع يؤيد ذلك لأننا علمنا انه ترجم مجلدا منها فى ستين يوما سنة ١٢٦٥ هـ

(٤) كتاب قلائد المفاخر فى غريب عوائد الاوائل والاواخر . ترجمه فى باريس وقد تقدم ذكره

(٥) كتاب المرشد الامين فى تربيــة البنات والبنين . وهو مجلد واحد ألفه للتعليم فى مدرسة البنات

(٦) كتاب التحفة المكتبية فى النحو . ألفه لتعليم قواعد النحو فى المدارس الابتدائية مطبوع طبع حجر

(٧) مواقع الافلاك فى أخبار تليماك . وهو تعريب وقائع تليماك الفرنسية ترجمه يوم كان فى الخرطوم مع بعض التصرف

(٨) مباهج الالباب المصرية فى مناهج الالباب العصرية . وهو بحث عن آداب العصر وسياسته وصنائعه وعلومه وفنونه ومطبوع بمطبعة بولاق الاميرية

(٩) مختصر معاهد التنصيص . وهو اختصار المعاهد مع بعض الزيادات الى الاصل ولم يطبع

(١٠) المذاهب الاربعة ، وهو بحث فى المذاهب الاربعة الفه أثناء رئاسته لمدرسة الالسن

(١١) شرح لامية العرب

(١٢) القانون المدنى الافرنجى . مطبوع

(١٣) كتاب توفيق الجليل وتوثيق بنى اسماعيل وهوتاريخ لمصر طبع ونشر

(١٤) كتاب هندسة ساسير . ترجمه من الفرنسية الى العربية وقد طبع بمطبعة بولاق

(١٥) رسالة فى الطب (لم تطبع)

(١٦) جمال الاجرومية وهو منظومة سهلة فى الاجرومية (مطبوعة)

(١٧) نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز . وهو آخر مؤلفاته طبع فى روضة المدارس بمطبعة المدارس الملكية

وله رحمه الله غير ماتقدم ذكره من المآثر العلمية بين منظومات ورسائل ومقالات شىء كثير لم يطبع . وقد وقفنا على بعضه . وأما خدماته فى التعليم والتهذيب فغنية عن البيان . ويقال بالاجمال أن رفاعة بك رافع خدم خدمة كبرى فى نشر العلوم الحديثة بنقلها الى اللغة العربية وتسهيل تناول اللغات الاجنبية بمدرسة الالسن وقلم الترجمة وغيرها

عبد الله باشا فكرى

١٢٥٠ – ١٣٠٧ هـ الموافق ١٨٣٤ – ١٨٨٩ م

هو عبد الله باشا فكرى بن محمد افندى بن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد وكان الشيخ عبد الله من العلماء المدرسين فى جامع الازهر وكان مالكى المذهب أخذ العلم عن الشيخ عبد العليم الفيومى وغيره . وما زال الشيخ عبد الله مقيما فى مصر حتى قدمت الجنود الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر وأساءوا معاملة العلماء فرحل الى منية خصيب (المنيا) فأقام بها مدة ثم عاد الى القاهرة وعكف على الاشتغال فى العلم حتى توفى فنشأ ابنه محمد افندى بليغ على مثال أبيه جادا فى طلب العلم

وكانت مصر قد انتقلت الى حكم العائلة المحمدية العلوية وانشئت مدارس العلوم الرياضية والمدرسة الحربية فدخلها وخاض عباب علومها حتى تمكن منها فانتظم فى خدمة الجيش فترقى الى رتبة صاغقول اغاسى وحضر عدة مواقع حربية اهمها حرب المورة ، فعقد فى المورة على والدة المترجم وعاد بها الى الحجاز فوضعت بمكة المشرفة غلاما سماه باسم ابيه عبد الله وهو عبدالله باشا فكرى صاحب الترجمة

ومن غريب الاتفاق ان سنة ولادته وافقت مجموع جمل الآية « قال انى عبد الله آتانى الكتاب » وذلك سنة ١٢٥٠ هـ وقد وافق ذلك نبوغه بالعلم والفضل واشتهاره بسائر فنون الكتابة نثرا ونظما وقد اعجب هو ايضا بهذا الاتفاق فلما شب وتعلم نقش هذه الآية على خاتم له كان يختم به كتبه . ثم عاد محمد



عبد الله باشا فكري

افندى بليغ بولده الى القاهرة ومازال فى خدمة الحكومة حتى نال منصب باشمهندس الشرقية ثم مفتش هندسة الجيزة والبحيرة وتوفى سنة ١٢٦١

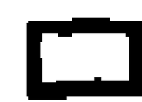
أما صاحب الترجمة فكان عند وفاة والده لم يتجاوز الحادية عشرة فنشأ فى حجر بعض أقارب أبيه وكان قد بدأ بتعلم القرآن فاتمه وجوده ثم اشتغل فى طلب العلم فى الجامع الازهر وتلقى العلوم المتداولة فيه كاللغة والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق على الشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلتانى وغيرهم وكان مع ذلك يشتغل فى تعلم اللغة التركية حتى اتقنها وتعين فى القلم التركى فى الديوان الكتخدائى (١٢٦٧ هـ) وهو لا يزال مكبا على طلب العلم فى الازهر يغتنم ساعات الفراغ قبل ذهابه الى الديوان وبعد رجوعه منه ثم انتقل من الديوان المذكور الى ديوان المحافظة ثم الى الداخلية بصفة مترجم ثم ألحق بالمعية «السنية» على عهد الامير محمد سعيد باشا وبقى فيها الى ولاية الخديو اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ هـ فأبقاه فى معيته فسافر معه الى الاستانة عندما أمها لاتمام الرسوم فى تقليد الولاية واداء الشكر للسلطان وما زال فى خدمته يرافقه فى أكثر رحلاته فسافر الى الاستانة مرارا وهو يقوم بمهمة الكتابة تارة مع الخديو اسماعيل وطورا مع الحرم الخديو وبمهمات أخرى فنال الرتبة الثانية مع لقب بك سنة ١٢٨٢ هـ

وفى سنة ١٢٨٤ قلده الخديو اسماعيل ملاحظة الدروس الشرقية وهى العربية والتركية والفارسية بمعية أنجاله وهم محمد توفيق باشا والخديو والبرنس حسن باشا والبرنس حسين باشا عم الخديو وغيرهم من أمراء العائلة الخديوية

فقام يباشر أمرهم فى التعليم والتعلم والتدرج فى الفضل والتقدم فكان أحيانا يباشر التعليم بنفسه واحيانا يقوم بمراقبة غيره من المعلمين وملاحظة القاء الدروس وتقويم

طريقـة التعليم . . فلم يزل على ذلك الى ان ترقى الخـديو الى رتبة الوزارة والمشيرية وتوجه الى دار الخلافة العظمى لأداء رسوم الشكر على ذلك للسلطان فصحبه المترجم الى دار السعادة وبقى معه الى أن عاد

وفى سنة ١٢٨٦ نقل الى ديوان المالية فاقام أياما بغير عمل ثم عهد اليه النظر فى أمر الكتب التى كانت فى ديوان المحافظة على ذمة الحكومة وابداء رأيه فيها فلبث مدة يتردد الى ذلك الديوان وينظر فى الكتب . ثم رفع تقريرا مفصلا ضمنه بيانها وما رآه فى حالها وذكر فيه ان أبقاءها على حالتها لا يحسن ولا يحفظها ولا يمكن من الانتفاع بها وقال بلزوم جعلها على هيئة ينتفع بها الناس اما بانشاء محل خاص تنقل اليه ويجعل فيه ما فيه من الكفاءة لها من الخزائن وتوضع به على الوضع الموافق واما باحالتها على المدارس لتودع فى المكتبة الجـارى انشاؤها بمساعى على باشا مبارك ناظرها اذ ذاك على سـعة لا تضيق بهذه الكتب وأمثالها وأوضح ان الوجه الثانى أولى وقد حصل ذلك على ما قرره فاستنقذت تلك الكتب النفيسة من زوايا الخمول والاهمـال ورتبت ترتيبا حسـنا فى المكتبة المذكورة وهى الآن فى دار الكتب المصرية



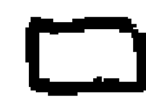
وكان المجلس الخصوصي اذ ذاك (وقد صار الآن مجلس الوزراء) مشتغلا فى جمع اللوائح والقوانين وتنقيحها وتعديلها فعهد الى صاحب الترجمة بالمساعدة فى ذلك فاستلم القوانين واللوائح التركية واخذ فى العمل الى سنة ١٢٨٧ هـ

وفى سنة ١٢٨٨ هـ تعين وكيلا لديوان المكاتب الاهلية والرئيس اذ ذاك على باشا مبارك . وفى سنة ١٢٩٤ هـ نال صاحب الترجمة رتبة المتمايز وبعد سنتين تعين وكيلا لنظارة المعارف العمومية ونال رتبة ميرميران الرفيعة ثم عهد اليه منصب الكتابة الاولى

بمنصب النواب مع المنصب السابق . وفى سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) تعين ناظرا للمعارف العمومية وفى رجب من تلك السنة أقيل من منصبه مع سائر زملائه النظار لاحوال اقتضتها الثورة العسكرية اذ ذاك وامرها مشهور

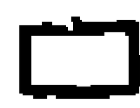
ثم كانت الثورة العرابية المشار اليها فلما انقضت واخذت الحكومة فى محاكمة زعمائها والقائمين بها كان صاحب الترجمة من جملة المقبوض عليهم وبعد استجوابه لدى لجنة التحقيق ظهرت براءته فأطلق سراحه ولكنهم قطعوا عنه معاشه ، ولم يعيدوه اليه الا بعد جهد جهيد

وفى سنة ١٣٠٢ هـ توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج فلقى من علماء مكة والمدينة وأدبائهما ما يليق بمقامه من الاكرام والاعظام وكتب فى ذلك كتابا سماه الرحلة الملكية . وفى السنة التالية شخص لزيارة بيت المقدس والخليل ومعه نجله أمين باشا فكرى فلقى من العلماء والعظماء هناك ما يجدر بفضله ثم سارا الى مدينة بيروت الزاهرة لتبديل الهواء وأقاما فيها شهرا كان مقامهما فيها منتدى الفضلاء ومشرع الادباء والعلماء ثم ارتحل الى دمشق فلاقى فيها ما لاقاه فى بيروت من الاحتفاء وحسن الوفادة ثم عرج الى بعلبك فزار آثارها وسار منها بطريق لبنان الى بيروت فأقام فيها شهرين وعاد الى مصر



وفى سنة ١٣٠٦ انتدبته الحكومة المصرية لرئاسة الوفد العلمى المصرى فى المؤتمر الذى انعقد فى مدينة استوكهلم عاصمة اسوج ونروج وصحبه فى هذه الرحلة ايضا نجله المتقدم ذكره عضوا فى هذا الوفد . وقبل سفره من الاسكندرية احسن اليه الجناب الخديو بالنيشان المجيدى من الدرجة الثانية وقد مر فى وفادته المذكورة على تريستا من أعمال النمسا وفينيسيا (البندقية) وميلانو من أعمال ايطاليا ولوسرن

من اعمال سويسره وباريس فأقام بها أكثر من عشرين يوما تفرج فيها بمشاهدة المدينة وضواحيها وكان وقت المعرض فشاهد ما فيه من عجائب الصنائع وغرائب الفنون ثم برحها الى لندره ومنها الى نوتردام ولاهاى من اعمال هولاندا وليدن من أعمالها ايضا وزار مكتبتها الشهيرة ورأى مطبعتها المعروفة بالمطبوعات الشرقية ثم توجه منها الى كوبنهاجن عاصمة الدنيمارك ومنها الى استوكهلم محل مأموريته فنال من العلماء المجتمعين لهذا المؤتمر باستوكهلم وحرستيانيا مزيد الرعاية وأهداه اوسكار الثانى ملك اسوج ونروج عند اتمام هذه المهمة نيشان (وازه) من الدرجة الاولى ومر فى العودة من مأموريته على برلين عاصمة بلاد المانيا وفينا عاصمة النمسا فلقى بها ما لقيه فى العواصم الاخرى من الاحتفاء وقد اخذ بعد عودته الى مصر يجمع المواد ويعد المعدات لتدوين رحلته التى وعد بها عن المهمة وعما رآه فى العواصم التى مر بها ولكن منعه من استمرار السير فى ذلك مرض السكتة الذى اعتراه فى شهر رجب سنة ١٣٠٧ فابقى اتمامها الى ما بعد تمام صحته ولكن عاوده بعد ظهر الخميس فى ٧ ذى الحجة وهو عائد من «ابعاديته» بتلحوين وتزايد عليه حتى وافاه الأجل المحتوم فى الساعة الثانية عربية من صباح يوم الاحد عاشر الشهر وهو يوم النحر وشيع محمولا على هامات الوقار والتبجيل تودعه المحاجر والقلوب . ونظرا لما كان له من المقام الرفيع لدى الخديو محمد توفيق تعطف بتعزية أهله وأولاده برسالة برقية



وكان رحمه الله شاعرا مطبوعا وكاتبا فصيحا وقد نبغ بين الكتبة والشعراء ومصر قليلة الوسائل التعليمية وكان يذهب فى انشائه مذهب القرون الوسطى من ابناء هذا اللسان مع ميل الى التسجيع

أما رحلته الى المؤتمر فقد عنى نجله المتقدم ذكره بنشرها

فى كتاب سماه « ارشاد الالبا الى محاســن أوربا » فى مجلد ضخم طبع بمصر سنة ١٨٩٢ م وهو جـدير بالمطالعة حقيق بالاعتبار لما حــواه من اوصاف المـدن الاوربية وعادات أهلها وأخلاقهم وفيه شيء كثير من نظم المؤلف ونثره مما لم ينشر فى سواه وابحاث علمية ولغوية وأدبية

ومن مؤلفاته ايضا المقامة الفكرية فى المملكة الباطنية طبعت فى مصر غير مرة ورسالة مطولة الى سلطان باشا يحثه فيهــا على نشر العــلوم فى انحــاء الصــعيد ونبذة فى محــاسن آثار محمد على باشا والفوائد الفكرية للمكاتب المصرية وله غير ذلك من المقالات والخطب وله قصائده الرنانة



علي باشا مبارك

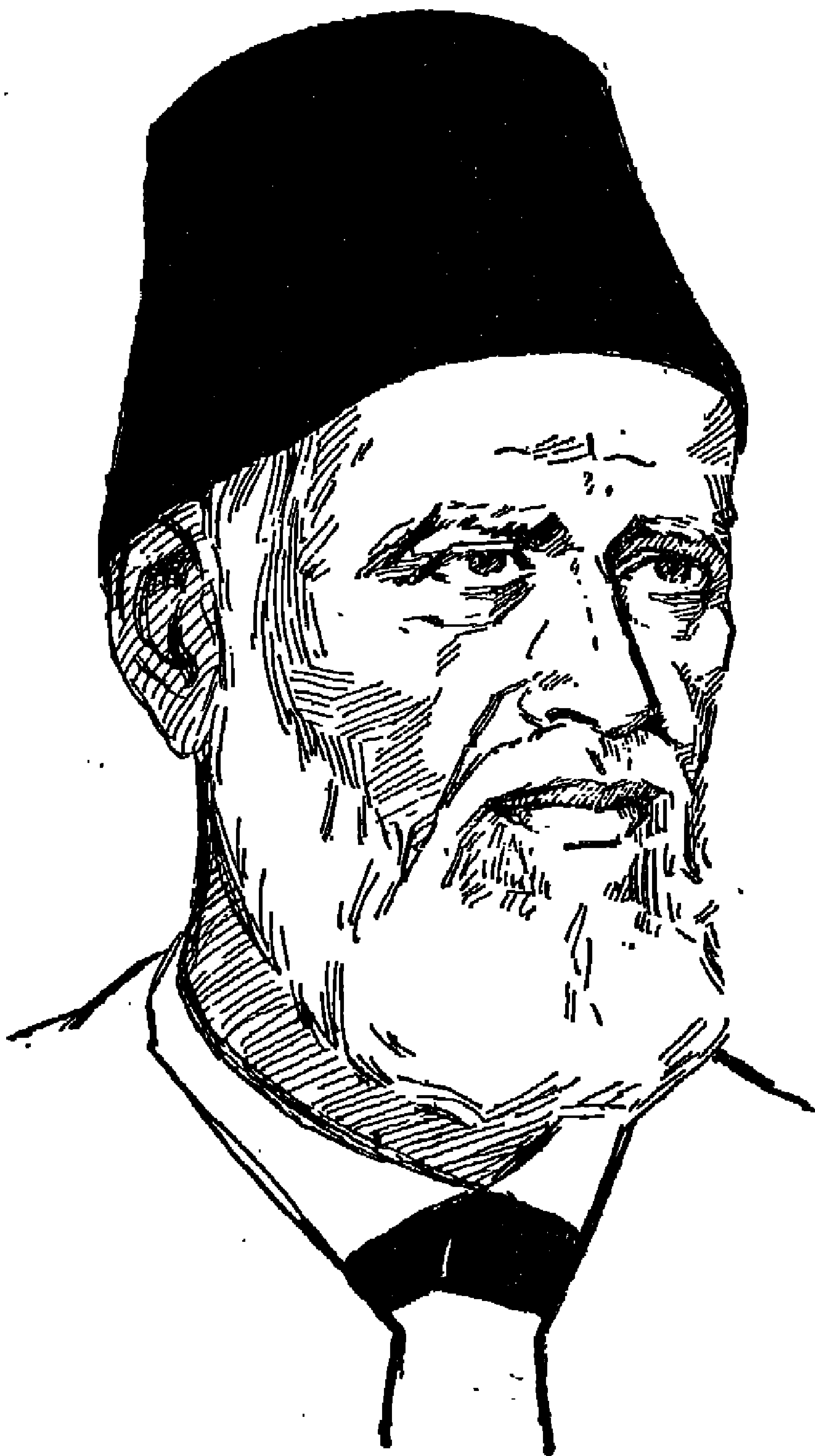
١٢٣٩ - ١٣١١ هـ الموافق ١٨٢٣ - ١٨٩٣ م

ولد فى قرية برنبال الجديدة فى مديرية الدقهلية سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ م) واسم والده الشيخ مبارك بن مبارك ابن ابراهيم الروجى . وابتدأ فى تعلم القراءة والكتابة على رجل من أهل القرية أعمى ثم نزحت العائلة الى ناحية الحماديين فلم يطب لهم المقام فيها فارتحلوا الى عرب السماعنة بالشرقية ولم يكن عندهم فقهاء فانزلوا والد صاحب الترجمة منزل الاكرام ، وصار مرجعهم اليه فى الامور الدينية لانه كان صالحا تقيا متفقها . فاعتنى بتربية ولده بنفسه ثم عهد بتعليمه الى معلم اسمه الشيخ أبو خضر فى مكان قرب برنبال لا يذهب الى والده الا كل يوم جمعة فختم القرآن فى سنتين ، ولكنه ترك معلمه لكثرة ضربه له وجعل يقرأ على والده . على أن كثرة أشغال الشيخ مبارك حملت صاحب الترجمة على اللهو واللعب حتى نسى ما كان قد تعلمه . فاشفق والده عليه لئلا يعيش بغير تعليم فأراد اجباره على العود الى معلمه فأبى خوف ضربه فتوسط له أشقاؤه لدى والده ، فسأله عما يريد تعليمه ففضل العدول عن الفقه ورغب فى الكتابة لما كان يرى من حسن زى الكتاب وهيبتهم . وكان لوالده صديق يتعاطى الكتابة فى القسم بناحية الاخيوة فعهد اليه فى تعليمه ، فانس على به والفه حتى اختلط بعائلته فرأى حالته الداخلية غير ما كان يراه منه فى الظاهر ، واتفق انه سأل مرة كم يجمع الواحد والواحد فاجابه « اثنين » فضربه بمقلاة البن فشج رأسه

وكان ذلك فى محضر من الناس فشق ذلك على على فغادره ، وسار الى والده يشكوه اليه فنقم عليه والده ففر من البيت الى المطرية جهة المنزلة ملتجئا الى خالة له هناك

واتفق انتشار الوباء (الكوليرا) اذ ذاك فأصيب به فى الطريق فحمله بعضهم الى بيته فى قرية صان الحجر وعالجه حتى شفى ، وادعى انه يتيم الاب والام ، ولكن والده وأخاه كانا ساعيين فى التفتيش عنه . فلما رآهما فى تلك القرية طلب الفرار ، ولكنهما امسكاه بعد ذلك وحملاه على العود الى التعليم ، فسلمه والده الى كاتب آخر فلم يلبث معه الا قليلا ثم عاد الى القراءة على والده فجعله مساعدا لاحد الكتاب فى القسم ولم يكن يدفع اليه الراتب المعين له وقدره خمسون قرشا . فاتفق انه أرسل يوما لقبض حاصل بعض القرى فقبضه وابقى معه من المقبوض استحقاقه من الراتب وأرسل الباقى فغضب عليه الكاتب حتى اذا اتفق جمع انفار العسكرية وشى به الى المنوط به جمعهم فامسكوه والقوه فى السجن فتوسط له والده امام عزيز مصر اذا ذاك محمد على باشا فاطلقوا سراحه

ثم سعى له بعضهم فى ان يكون كاتبا لدى مأمور زراعة القطن فى ابى كبير فحضر بين يدى المأمور واسمه عنبر افندى فاذا هو حبشى اللون سمح الوجه وراى المشايخ والحكام وقوفا بين يديه فتأخر حتى انصرفوا . ثم دخل عليه وقبل يده فخاطبه بكلام رقيق عربى فصيح والتمس خدمته عنده على ان يدفع اليه ٧٥ قرشا شهريا مع كفاءته من العيش ، فسر على لذلك ولكنه عجب لحال هذا المأمور المخالفة لسواد وجهه لاعتقاده أن الحكام لا يكونون الا من الاتراك . وما زال يتحرى الاسباب التى جعلت ذلك العبد حاكما حتى علم اخيرا انه معلم فى مدرسة قصر العينى وان تلك المدرسة تعلم الخط والحساب واللغة التركية . فسال اذا كان يجوز للفلاحين الانتظام فيها فقيل له انما يدخلها من ساعدته الوسائط .



علي مبارك

فاتقدت فى قلبه نار الغيرة ومال بكليته الى الدخول فى تلك المدرسة على بعدها عن مقره وقلة وسائطه فاستأذن رئيسه يوما مدعيا الذهاب الى بيت أبيه فاذن له فغادر البلدة والتقى فى قرية بنى عياض بطريقه بتلامذة مدرسة الخانقاه فاراد ان يدخلها لعلمه ان تلامذة قصر العينى انما ينتخبونهم من هذه المدرسة . فاجبره والده ان لا يفعل واختطفه قهرا وحمله الى بيته وعهد اليه رعاية الماشية ، ولكن ذلك لم يحوله عن عزمه ففر ذات ليلة حتى جاء المدرسة ودخلها ولم يخرج منها ليلا ولا نهارا خوفا من ان يلقاه والده فيختطفه ويرجع به الى البيت . ولم يكن والده يكره تعليمه ، ولكنه يود بقاءه قريبا منه . ثم جاء بعد ذلك ناظر تلك المدرسة لانتخاب انجب التلامذة وادخالهم فى مدرسة قصر العينى ولم تكن فيها دراسة الطب بعد . فكان على راس المنتخبين لذكائه وفطنته فدخل تلك المدرسة سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) وسنه ١٢ سنة فقط

وكانت معاملة التلامذة هناك سيئة ومهينة جدا والطعام تافها قبيحا فأوقع صاحب الترجمة فى مرض الجرب واشتد عليه فعلم والده بذلك فاراد استخراجه من المدرسة بالحيلة لانهم لم يؤذنوا له باخراجه فلم يرض على بل فضل البقاء فى المدرسة رغبة فى اتمام علمه فقبله والده وودعه وهما باكيان



وفى السنة التالية نقه من مرضه وعاد الى دروسه ولكن محمد على باشا امر بان تجعل مدرسة قصر العينى لتعليم صناعة الطب فنقل تلامذة العلم منها الى مدرسة ابى زعبل . وكانت العلوم الرياضية لديه الى ذلك الحين كالطلاسم لا يفهم لها معنى لتعقدها وسوء طرق تدريسها فاعتنى ناظر المدرسة ابراهيم بك رأفت بالقاء تلك الدروس بنفسه يشرحها للتلامذة

بابسط عبارة ـ قال صاحب الترجمة : « وكانت طريقته هذه باب الفتوح على »

واخذ على من ذلك الحين يذوق لذة العلم على أنواعه ثم انتخب فيمن انتخب لمدرسة المهندسخانة فدرس فيها خمس سنوات

وفى سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) عزم محمد على باشا على ارسال انجاله الى فرنسا للتعلم فانتخب على فى جملة تلك البعثة فأقاموا فى باريس سنتين ثم أرسل بعضهم وفى جملتهم هو الى متس وقد تقلد كل منهم رتبة الملازم فأقاموا فى هذه ايضا سنتين درسوا فيها فن الحرب وما يتعلق به

ثم لما توفى محمد على باشا وتولى عباس باشا استقدم البعثة الى مصر وانعم على صاحب الترجمة ورفاقه برتبة يوزباشى والحق هو بالجيش المصرى وقائده اذ ذاك سليمان باشا الفرنساوى . ثم انتدبه الامير عباس باشا الاول ليكون فى لجنة الامتحان التى عينها لامتحان مهندسى الريف فقام بتلك المهمة حق القيام

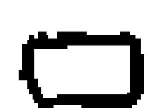
وفى سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) أوعز اليه عباس باشا ان ينظم أسلوبا للمدارس مع الاقتصاد فى النفقة فنظمه وقدمه اليه فاعجبه وانعم عليه بمقابل ذلك برتبة أميرالاى . ولكنه طلب اليه ان يتولى نظارة تلك المدارس بنفسه فاهتم بذلك اشد الاهتمام ولم يكتف بالادارة ولكنه كان يؤلف بعض الكتب اللازمة للتدريس واتى الى المدرسة بمطبعة حجر لطبع الكتب وكان يراقب سير المدارس جيدا من حيث النظافة والترتيب وطرق التعليم ، وألف فى العمارة كتابا للتعليم (لم يطبع)

وما زالت الحال كذلك حتى تولى الامير محمد سعيد باشا فوشى اليه به ففصله من نظارة المدارس وبعث به فى الحملة التى سارت لمحاربة روسيا مع الدولة العلية سنة ١٢٧٠ هـ فسافر وقاسى أهوالا كثيرة ، وعاد سالما وعند عودته كان فى

جملة من اخلى سبيلهم من العسكرية فعاد الى مسكن حقير أوى اليه لا يملك شيئا ولم يلتفت اليه أحد ممن كانوا له اصدقاء وقت الرخاء . مكث سنين فى هذه الحال حتى انف المناصب والرتب والف العزلة والسكنى بعيدا عن الناس وعزم على العود الى بلدته . وفيما هو فى ذلك صدر الامر بفرز ضباط الجهادية لانتقاء الصالحين منهم للخدمة فكان هو من المختارين فتقلد منصب معاون فى نظارة الجهادية ثم تعين وكيلا لمجلس التجار ثم مفتشا لنصف الوجه القبلى . ثم اقيل من هذه المناصب وتبرع بتعليم الضباط والصف ضباط القراءة والكتابة والهندسة . وفى أثناء ذلك الف كتابا فى الهندسة سماه « تقريب الهندسة » وكتابا آخر فى الاستحكامات وآخر سماه تذكرة المهندسين . ثم رفت فضاقت ذات يده حتى عزم على الاشتغال بالتجارة فاشترى جانبا من الكتب كانت الحكومة عرضتها للمبيع بأثمان بخسة فاشتراها وباعها فربح منها ربحا حسنا ، ولكنه ما زال قانطا مما كانت تطمح اليه انظاره من المناصب بسبب تغير سعيد باشا عليه بما وشى به اليه كما قدمنا . فلما توفى سعيد باشا سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢ م) وخلفه الخديو اسماعيل باشا تجددت آماله والحقه اسماعيل باشا بمعيته ثم عينه فى نظارة القناطر الخيرية وكانت لا تزال فى حاجة الى المهندسين فأجرى فيها عدة اصلاحات . وفى سنة ١٨٦٥ م بعث به للنيابة عن الحكومة المصرية فى المجلس الذى تألف لتقدير الاراضى التى هى حق شركة خليج السويس على مقتضى القرار المحكوم به من امبراطور فرنسا فقام بتلك المأمورية حق القيام فاحسن اليه برتبة المتمايز

وفى سنة ١٨٦٧ هـ عهدت اليه وكالة ديوان المدارس . ثم انتدبه الخديو للسفر الى باريس فى مهمة مالية فاستفاد من سفره هذا فوائد جمة واجتلى أهم المتاحف والآثار والمدارس. وبعد عودته بقليل انعم عليه برتبة ميرميران واحيلت الى

عهدته ادارة السكك الحديدية المصرية وادارة ديوان المدارس وديوان الاشغال العمومية ونظارة الاوقاف مع بقائه على نظارة القناطر الخيرية . ولا يخفى ما يقتضى للقيام بكل هذه الاعمال من الهمة والنشاط والقدرة فكان يعمل ليله ونهـاره حتى لا يفوته شيء. وفي اثناء ذلك سعي في نقل ديوان المدارس من العباسية الى درب الجماميز فى القاهرة حيث لا تزال الى اليوم وأسس دار الكتب المصرية وانشأ كثيرا من المدارس الاميرية المنظمة فى المدن الكبيرة بالوجهين القبلي والبحرى . وانشأ مدرسة دار العلوم يتخرج فيها معلمو اللغة العربية ويدرسون طرق التعليم والعلوم الحديثة . كما أنشأ معرضا للآلات الطبيعية وغيرها من أدوات العلوم الرياضية لـكى يتمرن عليها التلامذة فتكون معارفهم مبنية على المشاهدة والاختبار . ووجه التفاته الى الاوقاف فأصلح كثيرا فيها ودبر املاكها ورتب حساباتها



وأما أعماله مما يتعلق بديوان الاشغال فكثيرة منها تنظيم شوارع القاهرة وتوسيعها كما هي عليه الآن . ومن الشوارع التى فتحت على يده شارع محمد على (القلعة الآن) وميدانه وشوارع الازبكية وميدانها ومايحيط بعابدين من الشوارع ونحوها وباب اللوق وكانت جهات الفجالة والاسماعيلية تلالا وآكاما قذرة فانعم بها الخديو اسماعيل على الناس فمهدوها وبنوا فيها القصور والحدائق حتى صارت كما نراها الآن . وفي عهده بنى كبرى قصر النيل الباذخ المتين وتنظمت الجزيرة وانشئت فيها الشوارع المحفوفة بالاشجار . وجلبت المياه الى القاهرة بواسطة الشركة وانشىء كثير من الجسور والترع فى جهات القطر كترعة الابراهيمية والاسماعيلية . وفى عهـد توليـه الاشغال ايضا تم فتح قنال الســويس رســميا ودعى الملوك لحضور الاحتفال بذلك فكانت الاعمال اللازمة للقيام بمعدات

ذلك الاحتفال منوطة به، فأهدى اليه بعد الاحتفال نشان غران كوردون من النمسا ونيشان كوماندور من فرنسا والغران كوردون من بروسيا

وبقيت عهدة تلك الادارة بيده الى سنة ١٨٧١ م ثم فصل عنها لخلاف حدث بينه وبين ناظر المالية اذ ذاك وتعين ناظرا للمكاتب الاهلية . ثم استقل ديوان الاشغال فتعين وكيلا له ثم تعين فى مناصب أخرى حتى سنة ١٨٧٧ م عندما ترتب مجلس النظار وصارت ادارة أعمال الحكومة منوطة به فتألف المجلس تحت رئاسة نوبار باشا وتعين صاحب الترجمة ناظرا على المعارف والاوقاف فبذل جهده فى توسيع نطاق المعارف فانشأ مدارس كثيرة فى الوجه البحرى . حتى كانت حادثة تذمر الجهادية ثم سقوط الوزارة النوبارية وتألفت وزارة أخرى لم تدم طويلا لخلع الخديو اسماعيل وتولى الخديو السابق وفى مدته هذه ايضا أجرى اصلاحات كثيرة وخصوصا فى الرى

ولما انتهت الثورة العرابية بالاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ م عاد الى اهتمامه بالرى ومايتعلق به من بناء الجسور والحيضان وحفر الترع وتوزيع الماء . وفى أواخر تلك السنة سقطت الوزارة الرياضية ثم عاد الى نظارة المعارف فأجرى فيها هذه المرة أيضا اصلاحات جمة ثم اعتزل الاعمال وما زال حتى توفاه الله

ولصاحب الترجمة مؤلفات مفيدة وأشهر ما بقى منها كتاب « الخطط التوفيقية » طبع بمصر فى عشرين جزءا وهو تكملة لخطط المقريزى ومؤلف على مثالها . ومنها كتاب علم الدين وهو عبارة عن رواية أدبية عمرانية فى عدة اجزاء

رجال أدب وفن

١ ـ عبد الله نديم
٢ ـ ناصيف اليازجي
٣ ـ ابراهيم المويلحي
٤ ـ بطرس البستاني
٥ ـ أحمد فارس الشدياق
٦ ـ عبده الحمولي

السيد عبد الله نديم

١٢٥٩ - ١٣١٤ هـ الموافق ١٨٤٣ - ١٨٩٦ م

كتب ترجمة حياته صديقه الوفى احمد افنـــدى سمير فقـــال ما ملخصه : هو عبد الله بن مصـباح بن ابراهيم . وينتهى نسـبه الي ادريس الاكبر من اسباط الحسن بن على . ولد بالاسكندرية سنة ١٢٥٩ هـ « ١٨٤٣ م » فحفظ القرآن الـكريم قبل ان يبلغ التاسعة ، وكان ابوه وسطا فى اليسار ، فلما رأى ذكاءه ونجابته ادخله مدرسة جامع الشيخ ابراهيم باشا ، فقرأ على أكابر المشايخ ، فأتقن فقه الشافعي والاصول والمنطق وعلوم الادب اللسانية ، وهو فى سن المراهقة ، فأخذ منذ ذلك الحين يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع المحكم. فما لبث أن سارت الامثال ببدائع آدابه ، وتسابق بلغـــاء الـكتاب والشعراء الى مطارحته . وكانت الـكتابة الى ذلك العهد مقصورة على السجع ، فتوخى المترجم له فيها أساليب جديدة فى الانشاء ، فاق فيها المتقدمين ، وأعجز المتأخرين. تشهد بذلك رسائله الادبية ، ومؤلفاته التى تبلغ مائة مؤلف ، فى فنون مختلفة ، فقد أكثرها سرقة أو اغتصابا أو حرقا أو اغراقا فى مياه النيل ، كما سيأتى تفصيله

وكان رحمه الله منذ ترعرع جريئا مقـــداما ، يميل الى ركوب الاخطار ومعاناة الشدائد ، سعيا وراء المعالى . وقد رأى أن ذلك لاينال عفوا . فكان أول مابدأ به من تلك المطالب المعجزة انه نظر فى الوجود نظرة باحث مدقق ، فتبين له أن الاشتغال بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده ، فتعلم صـــناعة



عبد الله نديم

التلغراف وأتقنها فى أقل مما يتصور من الزمن ، كأن الكهرباء لم توجد الا لتزاحم خاطره فى السرعة ، فلم يمض عليه بضعة أسابيع حتى استخدم تلغرافيا فى مكاتب مختلفة ، أهمها مكتب تلغراف القصر العالي الخاص ، على عهد الخديو اسماعيل

ولم تكن وفرة الاعمال عائقة له عن التحصيل ، فقد كان يغتنم نوبة فراغه من العمل ، فيتردد الى الجامع الازهر ، يطالع مع بعض رفاق شبيبته الدروس التى كانوا يشتغلون بها . وأخص هؤلاء الرفاق العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية بنظارة المعارف حينذاك

ثم طرأ ما أوجب انفصاله عن الخدمة ، فاتصل بكثير من المقربين والعظماء ، فكانت له معهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه نظما ونثرا فظهر عليهم جميعا

ثم قصد المنصورة ترويحا للنفس ورأى أن التجارة خير رياضة له فأنشأ هنالك متجرا فراجت سوق بضاعته رواج آدابه ولكن كرمه تغلب على رأس المال والربح ففقدهما جميعا وكان بيته ومتجره كعبة يحج اليها رجال الأدب وكانوا يتحدثون بمعجزة رسائله ومحرراته نظما ونثرا

نشأته السياسية

ثم عاد الى الاسكندرية فى أوائل سنة ١٨٧٩ وهنالك أخذت شمس حياته السياسية تبدو فكان أول سعيه فى هذا السبيل ان اجتمع بصديقيه المخلصين محمد افندى امين باشكاتب محكمة اسيوط الاهلية ومحمود واصف افندى احد جامعى كتاب سلافة النديم ومحرر جريدة العدل وكانا وقتئذ من مؤسسى جمعية مصر الفتاة . فكان الاول نائب رئيسها والثانى كاتم اسرارها فتعرف ليلة اجتماعه بهما بالمأسوف عليهما أديب افندى اسحق وسليم افندى النقاش صاحبى

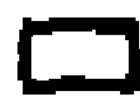
جريدتى مصر والتجارة وتعرف بكثير من أعضاء هذه الجمعية وشرع فى بث أفكاره بما كان ينشره فى تينك الجريدتين ثم رأى ان جمعية مصر الفتاة سرية يخشى عليهـا من الحكومة فاقنع صديقيه المشار اليهما بالانفصال عنها فانفصلا وتبعهما كثير من أعضائها ثم استشارهما فى انشاء جمعية علنية تسعى فى ما يعود على الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبا رأيه. وشرع منذ ذلك الحين فى تأليف قلوب أهـل الثغر علما بأن المرء قليل بنفسه كثير باخوانه فتألفت الجمعيـة الخيرية الاسلامية فى آخر ولاية اسماعيل باشـا والقلوب واجفـة والافـكار مضطربة وقـد خرست الالسـنة وغلت الايدى الى الاعناق حتى ولاية محمد توفيق باشـا فقـام المترجم يثبت دعائم دعوته ويبث فى الاذهان فوائد الاجتماع بلسان طلق فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه فى ثوب الائتـلاف وتسارع اعيان الثغر ووجهاؤه للانتظام فى سلكها وكانت هى أول جمعية اسلامية اسست فى القطر المصرى وكانت ترمى الى غرض واحد هو تربية النشء وبث روح المعارف فيهم لترقية الافـكار وتطهير الاخلاق من دنس الجهالة

فأنشأت هذه الجمعية مدرسة لتعليم الايتام وأبناء الفقراء مجانا فسعى المترجم جهده حتى أكسبها عناية أمـير البـلاد فجعلها تحت رئاسة ولى عهده ووريث تاجـه اذ ذاك وهو الخديو عبـاس باشا حلمى . فكان ذلك أدعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فسعوا فى توسيع دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والافرنج وأقاموا المترجم مديرا لها فوضع لها أساسا محكما وعلم فيها الانشاء وعلوم الادب فنمت وزهت حتى زاد عدد الطلاب فيهـا على الثلثمائة فى زمن وجيز ورتبت لها نظارة المعارف ٢٥٠ جنيها كل عام.

فلما رأى المترجم أن غرسه قد كاد يثمر التمس من الخديو توفيق ان ينعم على الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعهـا وجودة موقعها فأجابه الى ماطلب

ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر المدة مالم يبلغه غيرها فى أزمان متطاولة ونالت من التفات الخديو توفيق باشا ونجليه الخديوى عباس باشا وشقيقه مارفع قدرها ونشطها وزادها زهوا ونماء مع ما كان يبذله صاحب الترجمة من العناية فى عقد الحفلات العامة فى بهو المدرسة يحضرها كبار القوم وسراتهم فيسمعون المطرب والعجيب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولاحديث لهم الا ترداد ماسمعوه من العبارات الاخذة بمجامع القلوب

وفى تلك الاثناء مثل المترجم بالاسكندرية حالة البلاد وكيف يكون الوصول الى الشهامة والمروءة بروايتيه المشهورتين باسم « الوطن » و « العرب » مثلهما هو وتلامذته فى ملهى زيزينيا بحضرة الخديو فكان لهما فى نفسه من حسن الوقع ما بعثه على أن يدفع من ماله الخاص مائة جنيه مساعدة للجمعية . ولكن الحسد جر بعض ذوى النفوذ الى الايقاع بالنديم ففصل عن الجمعية وأقيل من ادارتها

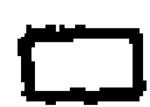


وكان قبل ذلك قد ترك الكتابة الادبية واشتغل بالتحرير السياسى على الاسلوب الحديث بلا سجع ولا تقفيه فكان يحرر فى جريدتى « المحروسة » و « العصر الجديد » اللتين صرح للمرحوم سليم افندى النقاش باصدارهما عقب الغاء « التجارة ومصر » وابعاد المرحوم اديب افندى اسحاق الى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب

وما زال كذلك حتى استدعى صاحبهما من بيروت الكاتبين الفاضلين سليم افندى عباس والمرحوم فضل الله افندى الخورى فترك لهما أمر هاتين الجريدتين وانشأ « التنكيت والتبكيت » وهى جريدة اسبوعية ظاهرها هزل وباطنها جد فاودعها مالم يسبقه احد من كتاب العرب اليه.

ثم استبدلها بالطائف على ماقضت به المناسبات قبل

الثورة العرابية وكانت « الطائف » سياسية محضة بلغت من الشهرة مالم تبلغه جريدة قبلها من التأثير على الاذهان

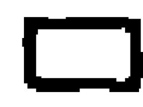


اما قيامه بنصرة الحزب الوطنى العرابى فسببه انه لاقى من معاملة الحكومة له ولغيره ما يدل على تفضيلها الاجنبى لخدمتها عن الوطنى واتفق ظهور نيران الثورة فأصابت منه هوى فى الفؤاد فتمكنت لانه سمع رجالا تنادى بطلب الاصلاح وتعقد الاجتماعات العلنية مجاهرة بمقاصدها فى أهم الصحف حتى اتفقت الاراء على أن فى مصر حزبا وطنيا لاهم له الا انتشال البلاد من وهدة الخراب فكانت رسل الحزب العسكرى تتردد على المترجم ورؤساؤه يكرمونه ويعظمونه فما زالوا به حتى انضم اليهم فوسموه بخطيب الحزب الوطنى واتخذوا جريدته مجالا لاقلام كثيرين منهم ومظهرا لافكارهم

ولم يمض بضعة اسابيع حتى هاجت القاهرة وماجت اذ انبأها البرق بضرب الانجليز للاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وانتشاب الحرب بينهم وبين عرابى فقام المترجم مع محمود باشا سامى البارودى وغيره من رؤساء الجند المتخلفين الى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصرى يتأهب لمغادرتها الى كفر الدوار بعد ان صارت معالمها دوارس فباتا (هو وسامى) فى منزل المترجم . فلما كانت موقعة التل الكبير فى ١٥ من شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقت السحر فر عرابى واخوه وعلى الروبى وتبعهم المترجم فجاؤوا القاهرة فى الساعة الرابعة بعد الظهر وساروا توا الى قصر النيل مركز نظارة الحربية اذ ذاك فتألف وفد ليسيروا الى الاسكندرية والنديم فى جملتهم ، ولكنه لم يصل الاسكندرية بل عاد من كفر الدوار واختفى من ذلك الحين ... فقضى عشر سنوات مختفيا فى مديرية الغربية بين ميت الغرقا

والعتوه والجيزة وغيرها فيتنكر تارة بزى الدراويش وطورا بزى المغاربة أو غيرهم ، والحكومة تبث العيون والارصـــاد للقبض عليه وهو أقرب اليها من حبل الوريد

فلما أعيتها الحيلة جعلت لمن ينبئها بمكانه مكافأة مقدارها ألف جنيه . وكان العارفون بمكانه كثيرين ولـكنهم حافظوا على ولائه فاخفوه مكرما معززا حتى قبض عليه فى شـــهر نوفمبر سنة١٨٩١ فىأواخر ولاية الخديو توفيق باشا فجىء به الى طنطا حيث حبس أياما وسئل عن موجب اختفـائه فأوضـــحه فأمر بابعاده الى حيث يشاء من البلاد غير المصرية فاختار يافا من ثغور فلسطين فسافر اليها باكرام واقام هناك مدة ثم أزمع السياحة فى تلك البلاد المقدسة فخرج من يافا فى مارس سنة ١٨٩٢ مع صديق له الى جبل الطور المسمى جبل حارزيم وزارا مقام العزيز هناك وقبور كثيرين من الانبياء ومرا بأماكن كثيرة من جملتها نابلس ومدينـــة الخليل وبيت لحم والمسجد الاقصى ثم عادا الى يافا



وفى تلك السنة (١٨٩٢) تولى أريكة الخديوية سمو عباس باشا الثانى فعفا عن المترجم فعاد من يافا الى القاهرة وظل مترددا بينها وبين الاسكندرية أكثر من شهر ثم اتخذ الاولى. موطنا وانشأ بها مجلته العلمية الادبية التهذيبية « الاستاذ » فنالت من الشهرة والانتشار فى شهور مالم تنله سواها فى أعوام وكان لها تأثير شديد فى أفكار الامة على اختلاف نحلها

ثم ألغيت لاسباب سياســية وكلف المترجم بالخروج من مصر فغادرها ثانيـــة الى يافا ودفعت له الحكومة المصرية اربعمائة جنيه يعتد بها لسفره ورتبت له ٢٥ جنيها كل شهر على شرط الا يكتب شيئا فى الجرائد يختص بسياســة مصر فلبث أربعة أشهر فى يافا . ثم أعيد منها بارادة سلطانيـة

فرجع الى الاسكندرية وأقام فيها أياما قابل فى خلالها صاحب الدولة الغازى مختار باشا المندوب السلطانى العالى فساعده هذا على المسير الى الاستانة فسافر اليها . وصدرت الارادة السلطانية بتعيينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالى وترتيب ٤٥ جنيها مجيديا له كل شهر فوق ما كان يتقاضاه من الحكومة المصرية وكان ينفقها كلها فى سبيل الخير والبر بالاهل والاقارب والاصدقاء

وقد نال لدى المقام السلطانى الحظوة الكبرى وتعرف بكثير من الوزراء وارباب المظاهر العلمية ولكنه اختص بالملازمة والمودة للامام العلامة الفيلسوف السيد جمال الدين الافغانى فاتصلت بينهما اسباب الالفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه انه اصبح وامسى يعجب بقوة حجته فى المناظرة والجدل وسرعة بديهيته فى التحضير حتى صرح فى عدة مجالس بأنه ما رأى مثل النديم طول حياته فى توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الالفاظ وضعا محكما بازاء معانيها ان خطب أو كتب

وقد كان يود الرجوع الى مصر ليقضي بها بقية أيامه فلم تتح المنية ذلك فداهمته بمخالبها فقضى فى ١١ أكتوبر سنة ١٨٩٦ وأمر جلالة السلطان أن يحتفل بمشهده على نفقة الجيب الشاهانى الخاص فسار أمام نعشه فرقتان من الجيش وفرقة من الشرطة وتلامذة المكتب السلطانى وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم السيد جمال الدين الافغانى والشيخ محمد ظافر شيخ السلطان والسيد عبد الرحمن الجزولى حتى دفنوه فى باشكطاش . ولقد مات المترجم ولم يورث اهله الا الحزن والعناء لانه كان يقبض مرتبه من مصر والاستانة فلا تمضى عليه بضعة أيام حتى يفرغ من توزيعه على الاقارب والاباعد دون نفسه

أما أخلاقه فانه كان برا بوالديه وذوى قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم ، فما اقرض احدا شيئا وطالبه به ولا رد يوما سائلا ولا خضع لعظيم قط وانما كان يلين ويتواضع لصغار الناس واوساطهم وكان ذكيا فطنا قوى الحافظة فصيحا جريئا شاعرا مطبوعا وكاتبا ناثرا

مؤلفاته وكتاباته

ومن مؤلفاته الكثيرة ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثغر طلق المحيا . وديوان آخر فى نحو ثلاثة آلاف بيت . وروايتا « الوطن » و «العرب» ورسائل أدبية مسجوعه لم تصل أيدى جامعى السلافة منها الا الى اربع عشرة رسالة بعد السعى الكثير ومكابدة العناء الجزيل ، وكان ويكون (وهو الذى طبع بعضه فى الاستاذ) وواحد وعشرون كتابا فى فنون مختلفة قطع لاجلها أيام حرب الاختفاء رقاب الفراغ بسيوف الاقلام . منها ديوان شعر يحتوى على مايقارب عشرة آلاف بيت وهو الآن محجور عليه فى الاستانة . ومنهما النحلة فى الرحلة . والاحتفاء فى الاختفاء . والشرك فى المشترك . وكتاب فى المترادفات . وآخر فى اللغة سماه موحد الفصول وجامع الاصول والفرائد فى العقائد . واللآلىء والدرر فى فواتح السور . والبديع فى مدح الشفيع . وامثال العرب وغير ذلك

وقد فقد كثير من مؤلفاته ومنظوماته حرقا أو ضياعا أو اغتيالا على أن شقيقه عبد الفتاح افندى نديم وصديقه محمود افندى واصف قد عنيا فى جمع ماتيسر من ذلك فى كتاب سمياه « سلافة النديم فى منتخبات السيد عبد الله نديم » وطبعاه فمن أراد الاطلاع على ماكتبه النديم أو نظمه أو خطبه فعليه بالسلافة

الشيخ ناصيف اليازجي

١٢١٥ – ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٠٠ – ١٨٧١ م

هو الشاعر المطبوع واللغوى المدقق والنحوى المحقق أحد أركان النهضة اللغوية فى بلاد الشام بن عبد الله بن ناصيف ابن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبنانى المولد الحمصي الاصل هاجر جده سعد المذكور من حمص مع جماعة من ذويه نحو سنة ١٦٩٠م لحيف لحقهم فى تلك الديار فتوطن اناس منهم فى ساحل لبنان فىالجهة المعروفة بالغرب وآخرون فى وادىالتيم وتفرق بعضهم فى مواطن أخرى ولا تزال بقيـــة اسرتهم فى حمص ونواحيها وهم عشيرة كبيرة من ذوىالوجاهة واليسار

وكان مولد صاحب الترجمة فى قرية كفر شيما من قرى الساحل المذكور فى ٢٥ مارس سنة ١٨٠٠ م وكانت وسائل التعليم اذ ذاك محصـــورة فى جماعة الاكليروس فتلقى القراءة البسيطة على القس متى من قرية بيت شباب . وكان والده من الاطباء المشهورين فى وقته على مذهب ابن سينا وكان مع ذلك أديبا شاعرا الا انه كان قلما يتعـــاطى النظم لقلة الدواعى اليه اذ ذاك ومن شعره أبيات قرظ بها ديوانالخورى حنانيا المنير أحد شعراء ذلك العصر لم يحفظ منها الا بيتان رواهما لنا حضرة حفيـــده اللغوى الشهير الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب مجلة «الضياء» وقد اعتمدنا عليه فىتحقيق أكثر ما اثبتناه فى هذه الترجمة ـ إما البيتان فهما قوله فى مطلع ذلك التقريظ :

عش بالهنا والخير والرضوان ... يامن عنيت بنظم ذا الديوان

انى لقــد طالعته فوجــدته نظمــا فريدا ما له من ثان

فنشأ ولده على الميل الى الادب والشعر وأقبل على الدرس والمطالعة بنفسه وتصفح ما تصل اليه يده من كتب النحو واللغة ودواوين الشعراء ونظم الشعر وهو فى العاشرة من عمره ومن نظمه فى الصبا قوله :

ولما تثنى وهو ريان معطف يميل على سفح العقيق ويخطر
تذكرت أغصان الرياض يهزها نسيم الصبا والشبه بالشبه يذكر

ومن ذلك قوله أيضا :

كف عنى لا أبالك قد تبينــــا محالك
وعرفنــــاك والا فمتى نعرف حالك
قد مضى لى بك عصر حاملا فيــه ملالك
حسب قلبى منك جور كاد منـــه يتهالك
وكفانا ما احتملنـــا منك فاستدع احتمالك
سنرى النادم منا ويسىء الله فالك

ولما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورة لقلة المطبوع منها اذ لم يكن فى البلاد السورية ولا المصرية الا مطابع نادرة قلما كانت تشتغل بطبع الكتب العلمية كان جل معتمده على كتب يستعيرها من بعض الديار والمكاتب القديمة. فمنها مايقراها مرة فيحفظ زبدتها ومنها ماينسخها بخطه ، ولايزال كثير من تلك الكتب باقيا الى اليوم محفوظا عند أسرته وهى جميلة الخط على القاعدة الفارسية وبعضها يبلغ عدة مئــــات من الصفحات . وقد بلغ من كل علم من علوم العربيــــة لبابه ودرس أشهر مصنفاته وله فى جميعها مؤلفات مشهورة هى اليوم عمدة التدريس فى أكثر المدارس المسيحية . وله ثلاثة دواوين شعرية تعد من عيون الشعر كثير منها محفوظ على الالسنة ولاسيما الابيات الحكمية منها وهى فى شعره أكثر من أن تحصى وله المقامات المشهورة باسم «مجمع البحرين» وهى ستون مقامة أودعها من فنون الانشاء وصناعات البديع



ناصيف اليازجي

ومن غريب اللغة وألفاظها المنتقاة وامثـــال العرب والآيات الشريفة مادل على طول باعه وغزارة محفوظه وذلك فضـــلا عما أودعها من المسائل العلمية فى كل فن وماضمن شرحها من تواريخ العرب وأنسابهم ووقائعهم

ثم انه لما بلغ أشده اتصل بالامير بشير الشهابى الشهير فقربه اليه وجعله كاتبا ليده . فلبث فى خدمته اثنتى عشرة سنة . ولما كانت سنة ١٨٤٠ وهى السنة التى خرج فيها الامير بشير من البلاد الشامية انتقل صاحب الترجمة بأهل بيته الى بيروت فأقام بها وتفرغ للمطالعة والتأليف والتدريس ونظم الشعر ومراســـلة الادباء حتى لهج بذكره القطرين : الشامى والمصرى

وكانت تتوارد اليه ركائب الزائرين من كل صقع وفيهم العلماء والوزراء وفى جملة من زاره منهم محمد عزت باشـــا أحد قواد الجنود السلطانية فمدحه بأبيات ارتجالية يقول فى مطلعها :

اعطى محمد عزة من فضله شرفا لساحتنا بوطـأة نعله

ومنها يقول :

يا زائرا بيتى أراك فتنتـــه فعليك بيت غيره من مثله
أجللته عنى فصرت أهابه حتى كأنى لم أكن من أهله

واقبل اكابر الشعراء من جميع الانحاء العربية على مراسلته ومدحوه بما دل على وفور فضـــله وعلو كعبه فى الشعر والادب ، ومما قال فيه الشيخ عبد الباقى العمرى البغدادى حين وقف على النبذة الاولى من ديوانه :

على نبذة من شعر ناصيف ذى الفضل
وقفت ومنى العين فى موضـــع الرجل
وطـــاطـــات اجلالا لها راس شـــامخ
لاخمصـــه هام العلى موطىء النعـــل

وهى قصيدة طويلة يقول منها :

اذا أنكرت دعواه فى الشـعر فتيـة
أقام عليهـا شـاهد العقـل والنقل

وان رام شـعرى أن يبـارى شعره
يقول شـعورى اننى عنك فى شـغل

ثم انه ما زال عاكفا على التعليم والتصنيف والنظم والنثر حتى اصيب بمرض عضال سنة ١٨٦٩ فانفلج فالجا نصفيا عطل شطره الايسر فلزم داره ولكنه مابرح ينظم الشـعر ويتلقى السائلين والمستفيدين الى أن فاجأه القدر بوفاة بكره المرحوم الشيخ حبيب فوقع ذلك الحادث عليه وقوع الصاعقة ولم يعش بعد ذلك الا اربعين يوما . وكان قـد بدأ بنظم قصيدة يرثيه بها ثم غلب عليه الحزن حتى لم يعد يملك عنان قريحته . ومما نظم فى هذه القصيدة قوله :

ذهب الحبيب فياحشاشة ذوبى — أسفا عليه ويا دموع أجيبى
ربيتـه للبين حتى جـاءه — فى جنح ليل خاطفا كالذيب
يا أيها الام الحزينـة اجملى — صبرا فان الصبر خير طبيب
اني وقفت على جوانب قبره — اسقي ثراه بمدمعى المصبوب
ولقد كتبت له على صفحاته — يالوعتى من ذلك المـكتوب
لك ياضريح محبة وكرامة — عندى لأنك قد حويت حبيبى

وهى آخر ما نظمه وبعـد أيام عاودته السكتة الدماغية فمـات فجـأة وكانت وفاته فى ٨ فبراير سـنة ١٨٧١ بعدما لزمه الداء مايقرب من سنتين فعظم خطبه عند كل من عرف فضله أو سمع بذكره وكان له مأتم حافل شهده الكبراء والعظماء من بيروت ولبنان ومشى فى جنازته ماينيف عن عشرة آلاف نفس . وولـد له ١٢ ولدا ورثوا ذكاءه وسرعة خاطره ولم يخلفه منهم فى خدمة اللغـة وآدابها الا الشيخ ابراهيم صاحب « الضياء »

صفاته

وكان رحمه الله معتدل القامة فوق الربعة أسمر اللون حنطيه اسود الشعر أجش الصوت مهيبا وقورا شهما كاملا متواضعا متأنيا فى حديثه قليل الضحك عفيف اللسان لم تسمع له كلمة بذيئة قط لا فى حديثه ولا فى كتابته ولم يهج أحدا ولا هجاه أحد فى زمانه غير بيتين قالهما على سبيل الفكاهة فى بخيل وهما :

قد قال قوم ان خبزك حامض والبعض اثبت بالحلاوة حكمه
كذب الجميع بزعمهم فى طعمه من ذاقه يوما ليعرف طعمه ؟

وكان اذا ذكر أحد امامه بسوء أطرق وأغضى كأنه لايسمع . وكان ودودا مخلصا سريع الفهم قوى الذاكرة متسع المدارك اذا حدث أخذ بمجامع القلوب لكثرة رواياته ونكاته وكان يروى القصة بتواريخها وأسماء أصحابها وأسماء بلدانهم ولم يكن على شىء من التأنق فى اللفظ ولكن حديثه كان كأبسط أهل وقته . ومن غريب ذاكرته انه كان اذا نظم الشعر لايكتبه بيتا بيتا ولكنه كان ينظم الابيات ثم يكتبها حتى انه فى مدة اعتلاله نظم مرة ثمانية عشر بيتا ثم أملاها دفعة واحدة . وقد ألف احدى مقاماته وهى المقامة اليمامية على ظهر الفرس وكان مسافرا بأهل بيته من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ بقصد الاصطياف فلما انتهى اليها أخذ قرطاسا فعلقها . وكان يحفظ القرآن بتمامه ويعى من الشعر شيئا كثيرا ولاسيما شعر المتنبى لشدة اعجابه به وكان يقول كأن المتنبى يمشى فى الجو وسائر الشعراء يمشون على الارض

شعره

أما شعره فقد كان سلسا حسن الالفاظ والتراكيب فضلا عما له من المعانى المبتكرة والاكثار من الحكمة وضرب الامثال

ومع قلة رغبته فى الغزل فان الغزل القليـــل الذى له فيه خفة ورقة مثل قوله :

حواك وقد حللت بكل قلب فؤاد لم يحل به ســواك
نزلت به على طلـــل تفانى ولست بمن على طلل تباكى
أطعت العاذلين بقتـــل صب يريد القتل لـكن عن رضاكا
تعز كرامة ويهـــون ذلا فتأنف أن يقول دمى فداكا

وقوله :

أخاف اذا أشار براحتيه لعلمى أن روحى فى يديه
ويخفق عند نظرته فؤادى لأن ســـواده من مقلتيه

وقوله :

ان كان يلبس ما أفاد تجملا فبياض هذا الجيد تلبسه الحلى
واذا تزينت العيـــون بكحلها فلقد نراه بمقلتيك تكحلا
ياناحل الاعطاف معشوقا ترى أتلوم مثلى عاشــقا أن ينحلا
حاولت سفك دمى بعينك ثانيا هيهات قد سفكته عينى أولا

وقوله وهو مما نظمه فى صباه :

ألوى على فضمنى وضممته وصدورنا بصــدورنا لم تعلم
أهوى عليه وفى عفة يوسف حتى يميــل وفيه عفة مريم

ومن نظمه فى المديح قصيدة مدح بها أســعد باشا قائد جيش البلاد العربية قال فيها :

اذا قام من تحت السرادق راكبا أقام عجاجا فوقه كالسرادق
ولما رأينا كيف تنقض خيله علمنا بها كيف انقضاض الصواعق
تفارق أطراف البلاد خيــوله واصواتها فى قلبها لم تفارق

وله فى الحكم شىء كثير منه قصيدة جرت ابياتها مجرى الامثال مطلعها :

لعمرك ليس فوق الارض باق ولا مما قضاه الله واق

ومنهــا :

أضل الناس فى الدنيا سبيلا محب بات منها فى وثاق

وأخسر مايضيع العمر فيه فضول المال تجمع للرفاق

ومنها :

الا يا جامع الاموال هلا جمعت لها زمانا لافتراق
رايتك تطلب الابحار جهلا وأنت تكاد تغرق فى السواقي
اذا أحرزت مال الارض طرا فمالك فوق عيشك من تراق
اتأكل كل يوم الف كبش وتلبس الف طاق فوق طاق
فضول المال ذاهبة جزافا كماء صب فى كأس دهاق

وله من قصيدة :

متى ترى الكلب فى أيام دولته
فاجعل لرجليك أطواقا من الزرد
واعلم بأن عليك العار تلبسه
من عضة الكلب لا من عضة الاسد

وله فى صناعة التاريخ الشعرى اليد الطولى والتفنن الغريب ولم يحدث حادث هام فى أواسط القرن الماضى يستحق حفظ تاريخ حدوثه الا نظم الشيخ اليازجى أبياتا فى تاريخه. ومن اشهر ما نظمه فى هذا الباب بيتان قالهما فى فتح عكا يتضمنان ٢٨ تاريخا وبيتان آخران نظمهما فى السلطان عبد العزيز . وله من هذا القبيل قصيدة هنأ بها ابراهيم باشا المصرى بفتح عكا ضمن كل بيت منها تاريخين لسنة ١٢٤٨ هـ يقول فى مطلعها :

الزهر تبسم نورا عن اقاحيها
اذا بكى من سحاب الفجر باكيها

ومع التزامه التاريخ فيها لاترى تكلفا فى تركيبها مطلقا

ومن مديحها قوله :

كل البلايا من الدنيا متى نزلت بنا ، فنيران ابراهيم تطفيها
نار ونور متى قال النزال له والجود هات يدا لم يلق ثانيها

وله قصيدة من هذا النوع فى مدح السلطان عبد العزيز

وقد امر له بالانفاق على طبع بعض كتبه من الخزينة الخاصة مطلعها :

قف بالمطـــايا على انجاد ذى ســـلم
وقل ســـلام على من دام فى الخيم

ومن مخترعاته فى فن النظم عاطل العاطل وهو أن تـكون احرف الكلمة خالية من النقــط واذا تهجأت اسم الحروف كان هجاؤه أيضا خاليا من النقط وهذه الاحرف ثمانية فقط وهى الحاء والدال والراء والصاد والطاء واللام والهاء والواو وقد نظم من هذا الجنس أربعة أبيات فى مقـــاماته « مجمع البحرين » وهى هذه :

حول در حل ورد   هل له للحر ورد
لحصور حلو وصل   ورده للصحو طرد
وله حـــول وطـــول   وله صـــد ورد
دهره حر صـــدور   هل له لله حـــد

وقد نظم من جنـــاس ما لايستحيل بالانعكاس أربعة عشر بيتا وهى أيضا فى مقاماته ولم يسمع بهذا المقـــدار لشاعر قبله . ونظم بيتين طردهما مديح وعكسهما هجاء وهذا من مبتكراته وهما فى المقامات أيضا وله فيها غير ذلك من الفنون

مؤلفاته

وأما مؤلفاته سوى ما تقدم ذكره من دواوينـــه ومقاماته فمعظمها من الكتب المدرسية لتلقى العلوم الادبيـــة . وقد سلك فيها ولاسيما فى الصرف والنحو مسلكا تدريجيا يناسب حالة الطالب فى كل سن فمنها المختصر الذى لا اختصار بعده كالرسالة المسماة « بالجوهر الفرد » وقد جمع فيها الصرف والنحو فى ست صفحات ، ومنها المطول الذى أتى فيه على اشهر اقوال المصنفين فى هذين العلمين مع الاحاطة بجميع قواعدهما وتعليل احكامها كالارجوزتين اللتين سمى احداهما

« الجمانة فى علم الصرف » ، والاخرى « جوف الفرا فى علم النحو » تشتملان على مايزيد عن الف وخمسمائة بيت كل واحدة منهما مشروحة بقلمه شرحا مستوفيا

وله بين ذلك مؤلفات اخرى منها النثر وهى « فصل الخطاب فى الصرف والنحو » أيضا ، وهو جامع لأصول هذين العلمين وقد وقع اجماع المدرسين على انه أفضل متن وضع فيهما وقد جمع فيه بين الاحاطة والاختصار حتى لايمكن أن يحذف منه كلمة ولايزاد عليه كلمة . وفى طبقتـــه وعلى أسلوبه « عقد الجمان فى علم البيان » و « نقطة الدائرة فى العروض والقوافى » و « قطب الصناعة فى المنطق » وهذه الكتب الاربعة مشروحة بقلمه. ومن ذلك أرجوزتان مختصرتان فى الصرف والنحو مشروحتان بقلمه أيضا ، سمى الاولى «لمحة الطرف فى أصول الصرف » ، والثانية « البـاب فى أصول الاعراب » . ومختصر آخر فى النحو سماه «طوق الحمامة» وهو نثر . وله فى البيان ارجوزة مختصرة سماها « الطراز المعلم » ، وارجوزة اخرى فى النطق ســـماها « التذكرة » وشرح كلا منها شرحـــا موجزا . وارجوزة مطولة فى فن العروض والقوافى شرحها ولده الشيخ حبيب. وكان قد شرع فى وضع شرح لديوان المتنبى ولم يتمه ، فأتمه ولده الشيخ ابراهيم اليازجى وسماه «العرف الطيب فى ديوان أبى الطيب» وقد طبع هذا الشرح سنة ١٨٨٢ م

ابراهيم بك المويلحى

١٢٦٢ – ١٣٢٤ هـ الموافق ١٨٤٥ – ١٩٠٦ م

يتصل نسبه ببيت من البيوتات الكريمة التى ظهرت بمصر بعد الانقلاب فى أول القرن الماضى ، وكان جده السيد ابراهيم المويلحى فى أول أمره كاتبا للمرحوم حبيب أفنـــدى كخيا محمـــد على باشـــا ثم ارتقى كما ارتقى ســـواه من ذوى المواهب فى مثل حال مصر فى دورها الانتقالى من عصر الامراء المماليك الى عصر التمدن الحديث اذ هددتها مطـــامع الدول وحام حولها طلاب الســيادة من الوزراء والقواد فتسابقت العقول واختلفت الاغراض ففـــاز كل بما بلغ اليه امكانه وساقته اليه فطرته . فارتقى بعضهم الى منصات الحـكم وأثرى آخرون بالتجارة والزراعة أو الصـــناعة أو غيرها . فكان للسيد ابراهيم المويلحى جد المترجم حظ كبير من ذلك الارتقاء . ومع انغماس أهل ذلك الانقلاب بالمطامع السياسية والمكاسب المالية واشتغالهم بالملاذ والمـــلاهى لتسلط الجهـــل على معظمهم فالسيد ابراهيم كان محبا للأدب لايخلو مجلسه من الادباء والشعراء يطارحهم ويذاكرهم . وقد ادى لمحمد على فى أوائل ولايته خدمات جليلة حفظها له ، فانتفع بها المترجم فى حال ضيقه كما سترى

نشـــأته

ولد صاحب الترجمة فى أوائل سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥م) فى بيت وجاهة وعز وكان والده مشهورا بصـــناعة الحرير

نسيج مصر وله فيها بيت تجارى كبير فجمع ثروة طائلة . ونشأ ابراهيم فى سعة ورغد وهو يتهيـــأ للعمل فى تجارة والده ولكنه كان مولعا بالادب والشعر من حداثته ، ورث ذلك عن جده . ولم يخطرله ولا لوالده انه سيجعل الادب مهنته وهى يومئذ مهنة الفقراء .. ولكن الاقدار ساقته الى الاشتغال بها فى كهولته فكان من أعظم نوابغها

ظل ابراهيم فى حجر والده آمنا سعيدا حتى توفى الوالد سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) والمترجم فى العشرين من عمره فتولى تجارة أبيه وقبض على ثروته وجرى على خطته فى العمل حينا فازداد تقدما . وكانت مضاربات البورصـــة حديثة العهد فى هذا القطر وقد تحدث الناس بمعجزاتها وبهروا من سرعة الاثراء بها وكان ابراهيم طلابا للعلى فلم يكتف بما بين يديه من الرزق الواسع وحدثته نفســه أن يطلب الزيادة بالمضاربة فضـــارب وهو يكسب تارة فيطمع بالمزيد ويخسر اخرى فيطلب التعويض على نحو مانشاهده الآن مع مايعلمه الكثيرون من عواقبها الوخيمة . فما زال المترجم يتدرج فى المضاربة حتى استنزفت ثروته وأثقلته الديون

بين التجارة والوظيفة

على ان فروغ يده من المال لم يذهب بما نشأ عليه من العز والانفة ولاضاعت مآثر جده لدى البيت الخديو . فنظر اسماعيل باشا الخديو يومئذ فى هذا البيت نظرة العطف ، وكان اسماعيل اذا أعطى أغنى . فوهبه هبات الملوك فوفى الديون ووسع التجارة . ثم أنعم عليه بالرتبة الثانية وعينه عضوا فى مجلس الاستئناف وهو فى الثـــامنة والعشرين من عمره وانعم على أخيه عبد السلام باشا بتلك الرتبة أيضا . وأبقاه فى مزاولة التجارة محافظة على ذلك المعهد التجارى . وتأييدا لذلك اصدر أوامره لجميع من فى قصـــوره من النساء أن



ابراهيم المويلحي

يلبسن الانسجة المصرية من صنع هذا البيت وأن لايدخل فى تشريفات السيدات سيدة مرتدية غير هذه الانسجة . وامر بصنع كمية عظيمة منها لارسالها الى معرض فينا فى تلك الايام

وما زال المترجم فى وظيفته بمجلس الاستئناف حتى افضت رئاسته الى المرحوم حيدر باشا يكن فوقع بينهما شقاق انتهى باستقالة المترجم ولكن عناية الخديو اسماعيل مازالت شاملة له فأمر باعطائه مصلحة دمغة المشغولات والمنسوجات على سبيل الالتزام. واتفق فى أثناء ذلك سقوط وزارة نوبار باشا المختلطة التي كان فيها عضوان اجنبيان وخلفتها وزارة شريف باشا المعروفة بالوزارة الوطنية وهموا بانشاء اللائحة الوطنية لتأسيس مبادىء الحكومة الدستورية . فانتدب المترجم للاشتغال فى ذلك مع المرحوم السيد على البكرى . ثم صدر الامر بتعيينه سكرتيرا للمرحوم راغب باشا ناظر المالية . ولم يتول هذه الوظائف الا لما ظهر من نجابته وسداد رأيه

تأسيس جمعية المعارف

على أن ميله الى الادب والشعر كان ينمو فيه بين مشاغل السياسة والادارة فاتفق مع المرحوم عارف باشا أحد أعضاء مجلس الاحكام بمصر وصاحب المآثر الكبرى فى نشر الكتب على تأسيس جمعية عرفت بجمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها وانشأ هو مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ لطبع تلك الكتب وهى من اقدم المطابع المصرية . على أن الجمعية كانت تطبع كتبها أيضا فى مطابع أخرى وخصوصا المطبعة الوهبية ، ولهذه الجمعية شأن كبير فى تاريخ هذه النهضة لأنها نشرت كثيرا من الكتب المهمة «كتاج العروس» و « أسد الغابة » و « رسائل بديع الزمان » و « سلوك المالك » و « ألف باء » وغيرها من كتب التاريخ والادب والفقه

اما صاحب الترجمة ففى السنة التالية لانشاء مطبعته اتحد مع محمد عثمان بك جلال لانشاء جريدة عربية ولم يكن من الجرائد العربية يومئذ الا « الجريدة الرسمية » وجريدة « وادى النيل » فنال رخصة بجريدة سماها « نزهة الافكار » ولكنه لم يصدر منها الا عددين ، ثم حالت العوائق دون اصدارها ويقال عن السبب فى ذلك ان المرحوم شاهين باشا اظهر لاسماعيل باشا تخوفه من أنها تثير الافكار وتبعث على الفتن فصدر الامر بالغائها وظلت المطبعة تشتغل بطبع الكتب لجمعية المعارف وغيرها وقد طبع فيها كتبا على نفقته

تقلبه فى أعماله

فترى المترجم رحمه الله قد تقلب فى أعمال مختلفة بين تجارة وخدمة فى الحكومة وانشاء المطابع والجرائد ونشر الكتب وغيرها وهو دون الثلاثين من العمر ولم ينل كل مرامه من واحد منها مع اقتداره وذكائه ولعل السبب فى ذلك لحاجته فى استثمار عمله قبل أن ينضج وعدم ثباته فى خطة واحدة. لأنه لو ثبت فى التجارة مثلا ولم يرغب عنها فى خدمة الحكومة لكانت تجارته من أوسع التجارات أو لو ثبت فى الخدمة ولم يعدل عنها الى الصحافة والطباعة لكان من أكبر اصحاب المناصب ولو ثبت فى الصحافة الى الآن لكانت صحيفته من اكبر الصحف وأهمها ولكنه لم يكن يستقر على حال، والاذكياء الذين لايثبتون فى عمل انما يكون سبب تقلبهم الرغبة فى النجاح السريع يريدون الطلوع الى الاوج دفعة واحدة . فاذا استبطأوا الوصول الى قمة النجاح فى عمل تركوه وانتقلوا الى سواه فيؤول ذلك فى الكثير الى ضياع العمر فى بناء القصور فى الهواء . ولو ثبتوا فى عمل واحد مهما يكن نوعه لكفاهم مؤونة الشكوى من معاكسات الزمان

على أن المترجم لم يشك ضيما لأنه كان مرعى الجانب وما

زال الخديو اسماعيل يذكر صدق خدمته له ، فلما حدث التغيير فى منصب الخديوية سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨م) وأبعد الخديو الى اوربا واستقر فى ايطاليا استقدم المترجم اليه فجاءه وأقام فى معيته بضع سنوات كان فى أثنائها كاتب يده (سكرتيره العربى) يكتب عنه الرسائل الى الملوك والامراء . ولم يكن ذلك ليمنعه من العمل لنفسه فأنشأ فى اثناء اقامته بأوربا عدة جرائد كجريدة « الاتحاد » وجريدة « الانباء » ولم يثبت فى واحدة منهما أو لعله كان ينشئها لغرض مؤقت فاذا ناله عطلها . وقال المؤيد انه اشترك مع المرحوم السيد جمال الدين الافغانى فى تحرير « العروة الوثقى »

حياته فى الاستانة

وفى سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ذهب الى الاستانة على اثر انشائه تلك الجرائد فأكرم السلطان وفادته وعينه عضوا فى مجلس المعارف وكان ناظرها يومئذ منيف باشا العالم الشهير فقدر الرجل حق قدره وقربه منه وعول عليه فى كثير من شؤون النظارة . وبعد أن أقام فى هذا المنصب نحو عشر سنوات عاد الى مصر وعاد الى الاشتغال بالكتابة وقد نضجت مواهبه الانشائية واكتسب ملكة الصحافة لطول ممارسته اياها مع ما اختبره بنفسه فى اثناء أسفاره ومخالطته كبار رجال السياسة واطلاعه على خفايا الامور . فعمد أولا الى مراسلة الجرائد بمقالات جامعة بين السياسة والادب وقواعد العمران اشهرها جمع على حدة فى كتاب «ماهنالك» ثم انشأ جريدة « مصباح الشرق » الاسبوعية وهو يتردد فى خلال ذلك الى الاستانة ويعود منها مشمولا بالنعم السلطانية من العطايا والرتب حتى بلغ المرتبة الاولى من الصنف الاول وما زال عاملا فى خدمة الصحافة العربية حتى توفاه الله فى ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ وهو فى الثانية والستين من عمره

صفاته

كان ربع القامة ممتلىء الجسم حسن الملامح . وكان حلو الحديث لطيف النادرة سريع الخاطر حسن الاسلوب نابغة فى الانشاء الصحفى وفى الطبقــة الاولى بين كتاب السياســة رشاقة ومتانة واسلوبا مع ميل الى النقد والمداعبة ولايخلو نقده من لذع أو قرص ، لايراعى فى ذلك صديقا ولا قريبا حتى قيل : « لم ينج من قوارص قلمه الا الذى لم يعرفه» وقد انتقدوا عليه تقلبه فى خطته وذلك تابع لتقلبه فى سائر احوال حياته لما قدمناه من تردده فى أعماله حتى قضى العمر فى التنقل من عمل الى آخر . وضاعت الفـائدة التى كان يرجى استثمارها من مواهبه لأنه كان نادرة فى الذكاء وحدة الذهن والقدرة على فهم الامور والاحــاطة بخفاياها وكشف غوامضها ، فلو رافقه الثبات فى المبادىء والاعمال لكان من هذا الرجل غير ماكان

وهاك مثالا من انشائه رحمه الله يصف موكب صلاة الجمعة فى الاستانة قال :

« ماقيصر فى موكب انتصاره ولا الاسكندر فى يوم افتخاره استغفر الله بل ماسعد قادما من القادسية ولا المعتصم من عمورية أملأ للقلوب مهابة ولا للعيون بهاء من رؤية جــلالة السلطان يوم الجمعة فى موكبه

« فى يوم الجمعة قبل الظهر بساعتين ترد العساكر رجالا وفرسانا من أطراف الاستانة الى بشكطاش عشرة آلاف أو يزيدون فينتظرون فى طريق السراى السلطانية صدور الارادة السنية بتعيين المسجد . وهى عادة جارية الى اليوم وان كان المسجد الحميدى قد اختص بصلاة جلالته دون ســواه . فاذا صدرت الارادة اجتمعت العساكر فى ســاحة المسجد أمام باب السراى واصطفت صفوفا مضــاعفة بعضها وراء بعض . وفى هذه الاثناء تتسابق مركبات المشيرين والوزراء

والمشايخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من علية قومهم الوافدين على الاستانة فى قاعة الجيب الهمايونى المطلة على تلك الساحة التى لايسمع السامع فيها قيلا ولا صهيلا الا صليل الاسياف وترديد الانفاس هيبة واجلالا وانتظارا واستقبالا لاشراق نور الحضرة السلطانية. فاذا حان وقت الصلاة أشرقت المركبة السلطانية المذهبة كالشمس ضياء من مطلع السراى تحمل الامام نائب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجلس أمامه الغازى عثمان باشا . والمشيرون وكبار رجال المابين حافون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية وهم فى غير هذه الساعة أكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبرا وجبروتا وكلهم فى أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الالباب . حتى ان الناظر ليكاد يوالى الحمد لله تباعا على مامنحه للدولة من عديد الرجال الصادقين فى خدمة الامة والملة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين ، لولا مايعتريه من الاشتباه فيهم والنيشان عنوان كتبته الدولة ووضعته على صدر حامله شهادة منها للناس ببيان ماهو مكنون وراءه من فضائل الغيرة والحمية . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون فى القلب كانت كبائع يغش الناس بوضعه على زجاجة الخل عنوان ماء الورد . . » الخ



بطرس البستانى

١٢٣٥ – ١٣٠١ هـ الموافق ١٨١٩ – ١٨٨٣ م

فى اقليم الخروب من قضاء الشوف فى جبل لبنان قرية صغيرة على مسافة ثلاث ساعات من دير القمر وثلاث ساعات ونصف من صيدا وسبع ساعات من بيروت يقال لها الدبية عدد سكانها خمسمائة نفس من طائفة الموارنة وقليل من البروتستانت نشأ فيها غير واحد من مشاهير اللبنانيين جميعهم من آل البستانى أشهرهم المرحوم المطران عبدالله البستانى والمطران بطرس البستانى والمعلم بطرس البستانى صاحب الترجمة وقد اقتطفنا ترجمة حياته مما كتبته جرائد الشام على اثر وفاته واثبتته دائرة المعارف فى جزئها السابع ومما عرفناه بنفسنا من آثار اجتهاده وفضله

هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابى شديد بن محفوظ البستانى من اعيان الطائفة المارونية . ولد فى الدبية عام ١٨١٩ فى عهد امارة الامير بشير الشهابى الكبير فى جبل لبنان وظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره فاخذ فى تلقى مبادىء العربية والسريانية على المرحوم الخورى مخائيل البستانى . وكان المطران عبد الله البستانى اذ ذاك مطرانا على صور وصيدا وكان يقيم فى بيت الدين فنمى اليه أن هذا الغلام وغلاما آخر يدعى شبلى بن الخورى يوسف البستانى (المطران بطرس البستانى بعدئذ) قد تفردا بالذكاء والفطنة والاجتهاد بين اقرانهما فاستقدمهما اليه ثم

بعث بهما الى مدرسة عين ورقة بلبنـــان فقضـــيا فيها عشر سنوات حتى اتقنا آداب اللغة العربية مما تيسر الحصـــول عليـــه اذ ذاك كقواعد اللغـــة والمنطق والتـــاريخ والحســـاب والجغرافيا وتناولا اللغات السريانيـــة واللاتينية والايطاليـــة وتلقيا الفلســـفة واللاهوت الادبى والنظرى ومبـــادىء الحق القانونى

وكان صاحب الترجمة قد بلغ العشرين من سنه فاراد غبطة بطريرك الطائفة المارونية اذ ذاك ارساله مع رفيقه الى رومية للتبحر فى العلوم الدينية وكان والده قد توفى فعارضت والدته فى ابعاده فتعين مدرسا فى مدرسة عين ورقة مشمولا بانظار البطريرك وكان البطريرك يعهد اليه قضاء بعض المصالح الى سنة ١٨٤٠ وكانت حال الجبل فى اضطراب لما كان فى نفس الدولة العلية على الامير بشير وابراهيم باشا . وكانت الدول الافرنجية قد بعثت مراكبها الى سواحل سوريا كى تعين الباب العالى على اخراج ابراهيم باشـــا منها . وكان صاحب الترجمة قد درس اللغة الانجليزية فى بيروت اثنـــاء اقامتـــه بمدرسة عين ورقة وبعدها فاستخدمه الانجليز للترجمة . وكان دعاة المذهب الانجيلى من الاميركان قد اخذوا فى الاقامة ببيروت للتعليم ونشر مذاهبهم فتعرف الى بعضهم وجعـــل يختلف اليهم يعلمهم اللغة العربية ويعـــرب لهم بعض الكتب حتى تمكنت علائق المودة بينه وبينهم ووافقهم على مذهبهم

وفى سنة ١٨٤٦ عزم استاذنا الدكتور فان ديك على انشاء مدرسة عربية فاســـتعان بصاحب الترجمة فى انشائها فتولى التعليم فيها عامين الف فى اثنائهما كتابا مطولا فى علم الحساب سماه « كشف الحجاب » طبع مرارا وذاع استعماله فى سائر مدارس سوريا

ثم قدم بيروت وتولى منصب الترجمة فى قنصلية امريكا مع مباشرة التأليف والترجمة والوعظ والخطابة ودرس فى اثناء

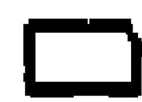


بطرس البستاني

ذلك أو قبيلة اللغتين العبرانية واليونانية . وكان الدكتور عالي سميث الأمريكاني قد باشر ترجمة التوراة الى العربية فاستعان بصاحب الترجمة على ترجمتها . ولكن الاجل عاجل الدكتور سميث فاتم الترجمة فان ديك وهي الترجمة الأمريكانية المشهورة . أما المعلم بطرس فانه شرع في تأليف قاموسه « محيط المحيط »

وفي سنة ١٨٦٠ نشر نشرة سماها نفير سوريه وهي أول نشرة عربية ظهرت في سوريا واذا جاز لنا ان نسميها جريدة فالبستاني أول من أنشأ جريدة عربية غير رسمية بين قراء اللغة العربية

وفي عام ١٨٦٣ انشأ في بيروت مدرسة عالية سماها « المدرسة الوطنية » أسسها على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية العثمانية فتقاطر اليها الطلبة من سائر انحاء الشام ومصر والاستانة وبلاد اليونان والعراق وغيرها فزاع صيتها في الآفاق وظهر فضلها على رؤوس الاشهاد فانعم عليه السلطان بنيشان عال تنشيطا له ومكافأة لخدمته وقد تولى ولده سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة وكان متضلعا في العلوم الحديثة فكان يدرس التاريخ والطبيعيات والصف الاول في اللغة الانجليزية وكان والده رحمه الله يلقي على التلامذة الخطب والمواعظ مرتين في الاسبوع



وفي سنة ١٨٦٩ فرغ من تأليف قاموسه « محيط المحيط » وقد اخذه عن أشهر متون اللغة ولا سيما الفيروز ابادي وصحاح الجوهري ولكنه يمتاز عنها كلها بما يأتي (١) انه رتبه على حروف المعجم باعتبار الحرف الاول من الثلاثي المجرد (٢) جمع فيه كثيرا من الالفاظ العامية وفسرها بالالفاظ الفصحى (٣) انه اوضح كثيرا من أصول الاعجمية كان أصلها مجهولا أو مهملا (٤) انه أدخل فيه كثيرا من المصطلحات التي

حدثت فى اللغة بحدوث العلوم الحديثة المنقولة عن اللغات الاعجمية فضلا عن بسط عبارتها وسهولتها . فجاء كتابا وافيا بغرض طلاب اللغة العربية تفهمه العامة وترضى به الخاصة طبعه فى مجلدين كبيرين واستخرج منه مختصرا سماه قطر المحيط اصغر منه حجما خصصه لتلامذة المدارس . فشاع استعمال الكتابين فى سائر انحاء سورية وغيرها . فلما تم طبعهما رفع نسخة من محيط المحيط الى الحضرة الشاهانية ونسخة الى الصدارة العظمى وأخرى الى نظارة المعارف بالاستانة فوقع عمله هذا موقع الاستحسان فاجازته الحضرة السلطانية بالجائزة الاولى التى ينالها المؤلفون وهى مائتان وخمسون ليرة عثمانية وانعمت عليه بالنيشان المجيدى من الدرجة الثالثة

وفى اول عام سنة ۱۸۷۰ انشأ مجلة علمية ادبية سياسية سماها الجنان وعهد بادارتها وانشائها فى بادىء الامر الى نجله سليم البستانى . وفى أواسط ذلك العام استعان بابنه سليم فى انشاء صحيفة سياسية سماها الجنة . فهى من أقدم الجرائد السياسية العربية ببلاد الشام . ثم أصدر جريدة الجنينة وتولى تحريرها ابن عمه سليمان افندى البستانى ناظم الالياذة . والجرائد الثلاث المشار اليها لا تصدر الآن

ووعد فى آخر قاموسه بتأليف قاموس للاعلام اى مشاهير الناس ولكنه رأى بعدئذ أن يتوسع فى مشروعه هذا فعول على تأليف قاموس شامل لسائر العلوم على اختلاف مواضيعها وازمانها فشرع فيه عام ۱۸۷۵ م يعاونه به ولده سليم وبعض الكتاب وسماه « دائرة المعارف » وهو كتاب فريد لم ينسج على منواله فى اللغة العربية . فأصدر منه رحمه الله ستة مجلدات وتوفى وهو فى بدء السابع فاتم السابع والثامن ابنه سليم ولكنه توفى قبل الشروع فى التاسع فأصدر ابناؤه الباقون الجزء التاسع بمعاضدة ابن عمهم سليمان افندى البستانى . ثم حالت موانع ادت الى ايقاف العمل فى بيروت ومضت على

ذلك بضع سنوات الى ان قدم القاهرة سليمان افندى المشار اليه واخذ فى اتمام الدائرة مع ابنى عمه نجيب افندى ونسيب افندى البستانى . فصدر الجزء العاشر ثم الحادى عشر

وكانت وفاته فى اول مايو سنة ۱۸۸۳ فجأة بعلة فى القلب فطار خبر منعاه فى البلاد فاهتزت له انحاء سورية اذ بفقده فقد الوطن السورى ركنا من اقوى اركانه فى نهضته الاخيرة . فبكاه الاهل والاصدقاء وابنه الخطباء والعلماء ورثاه الكتاب والشعراء

مآثره وأعماله

نبغ البستانى فى لبنان والعلم لا يزال طفلا فى مهده فأخذ فى التعليم والتهذيب علما وعملا فألف الكتب وانشأ المدارس والجرائد فهو اول من انشأ مجلة علمية وجريدة سياسية ومدرسة وطنية واول من اقدم على المشروعات الادبية بعزم ثابت ، فألف الكتب وسهل طبعها ونشرها ، واشهر مؤلفاته : دائرة المعارف ، ومحيط المحيط ، وقطر المحيط ، وكشف الحجاب ، ومسك الدفاتر ، ومفتاح المصباح فى الصرف والنحو ، وكتب اخرى ورسائل عديدة للتثقيف والتهذيب فضلا عن ترجمة الكتب الدينية والادبية . وانشأ ثلاث جرائد الجنان والجنة والجنينة . ومن مشروعاته المدرسة الوطنية وقد رأس مدرسة الاحد فى بيروت خمس عشرة سنة وترجم لها عدة رسائل دينية دعا فيها الى تربية الاولاد والامساك عن المسكرات . وسن قانونا للمدرسة الداوودية التى انشأها داود باشا . وكان كثير الحث على تعليم النساء وهو اول من خطب فى هذا الموضوع بالشرق وله خطب كثيرة تلاها على منابر بيروت وفى جمعياتها ومقالات جمة نشرها فى جرائده كلها فوائد

صفاته واخلاقه

كان ربعة ممتلىء الجسم سمينا قوى البنية ولولا ذلك

ما استطاع القيام بما عنى به من المشروعات العقلية والادارية. وكان حازما نشيطا لا يفتر عن التفكر فى مشروع يشرع فيه أو عمل يعمله لخدمة وطنه . فاذا بدأ بعمل أكب عليه بكليتـه مواصلا العمل للقيام به وكانوا اذا افتقدوه ليلا او نهارا عثروا عليه فى مكتبه بين كتبة وأوراقه . وكان ثابت الجنان قادرا على الاعمال لا يأخذه ملل ولا ضجر مع ما يعترض المشروعات العلمية والادبية فى بلادنا من العقبـات ممـا يثبط العـزيمة ويضعف العزم وخصوصا فى أيامه . فقد نبغ فى عصر لم تتوفر فيه معدات الطبع والنشر ولا اعتاد فيه الناس مطالعة الجرائد والاقبال على المؤلفات . ومع ذلك فانه عمل اعمالا يقصر عن القيام بها عدة من الرجال الاقوياء فكان يؤلف ويعلم ويترجم ويدير اعماله ويكاتب عمـاله واصدقاءه ويضبط حسـاباته ويدير مدرسته علما وعمـلا ناهيك بمـا كان يقـوم به مـن المساعدات الادبية لمن يقصده من المستشيرين والمسـتعينين فيقضى حاجاتهم ويحضر اجتماعات الجمعيات ويقدم الخطب والمواعظ . وهو مع ذلك يستقبل الزائرين بوجه باش فلا يرجع احدهم من بين يديه الا شاكرا حـامدا معجبا بلطفـه وغيرته

وكان مخلص الطوية دمث الاخـلاق لين العريكة صـادق النية محبا لوطنه ودولتـه كريم الخلق بعيـدا عن التعصب كارها للتملق والرياء . وكان سخيـا على المشروعات الادبيـة بسيط المعشر حسن المحاضرة يسترضي جليسه شابا كان أو شيخا ويخاطب كلا بما يناسب ذوقه وأخلاقه وكان يعتقد ان المصالح العامة أساس كل تقدم فيبذل جهده فى تأييدها متخذا الصدق شعارا والنشاط عمادا

وكان مع ذلك رفيع الجناب وقورا محترما لم يجالسـه أحد الا خرج وفى نفسه انعطاف اليه وفى قلبه احترام له فكان حيثما ذكر اسمه قرن بالمدح والثناء والتجلة والوقار فنـال

مقاما رفيعا فى نفوس ذوى الوجاهة والمقامات الرفيعة وأهل الفضل على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم . وكان من أشدهم صداقة له استاذنا الدكتور «كرنيلوس فان ديك» فقد ساكنه وآكله وشاربه زمنا طويلا كانا معا اخوين متصـافيين ونعم الاخوان . فلما توفى صاحب الترجمة رثاه الاستاذ بلسان الصديق وبكاه بدموع الاخ الشـقيق ومما قاله وقد وقف لتأبينه فى الكنيسة :

« ان لم يكن لك فى نقد الرجال يد
انظر الى الموت كيف الموت ينتقد
يدور فى الارض حول الناس ملتمسا
كريم قوم ولا يرضى الذى يجد

« انى لمظلوم بوقوفى هنا اليوم خطيبا لان المقام الذى يليق بى وارغب فيه انما هو ان أقوم فى وسطكم باكيا نائحا على أخى وحبيبى الـذى خطف من بيننا خطفـا بل هـو معلمى واسـتاذى ورفيقى فكم أحيينا من الليـالى معـا فى الدرس والمطالعة والتأليف وحلاوة المعاشر الصادرة عن اتحاد المقاصد والاغراض فكيف اقف فوق جثته خطيبا ولا اركع بجـانبه حزينا كئيبا »

ومما يدل على منزلته الرفيعة بين أهل الادب والفضل انه لما وقع القضاء ومات البستانى تسابق الخطباء والعلماء الى تأبينه ورثائه فملأت الجرائد أعمدتها رثاء وسودت صفحاتها حزنا ووقف الخطباء على ضريحه يرددون ذكراه ويذكرون مآثره وآثاره . وهاك ما قاله فى تأبينه المرحوم اديب اسحاق اذ وقف على قبره والناس وقوف خشوع وكنا فى جملة السـامعين فانتصب الاديب رحمه الله وقد امتقع لونه وابتلت عيناه وأخذ يقول :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر   وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

«ان هذا المصاب مصاب جسيم . ان هذا الخطب خطب

عميم . انها لمصيبة وطنية يقل فى مثلها بذل الدموع انها لنائبة عمومية لايكثر فى نظيرها تمزيق الضلوع . أجل أن المصيبة فيك مصيبة الوطن يامن انفقت العمر فى خدمته مقداما مجتهدا صابرا متجلدا متعففا مستقيما . فلا بدع أن تبكيك العيون . ولا غرو أن تنفطر لفقدك القلوب . او لم تكن فينا مثال الفضل والاجتهاد . ونموذج البراعة والادب . وعنوان التجلد والثبات فى خدمة العلم . بذلت فى هذه الخدمة شبابك ووقفت على هذا السبيل أتعابك . وجعلت العلم غايتك القصوى من دنياك . فكان لروحك روحا وكنت لذاته قواما

«فأى أثر أدبى رأيناه ولم تكن انت البادىء به والداعى اليه . واى مشروع مفيد شهدناه ولم تكن أنت الشارع فيه او المعين عليه . أو لست أول من خط على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان «حب الوطن من الايمان» وأول من أقدم على المشروعات الجسيمة العلمية بهمة لاتخاف المصاعب والعقاب ولا تألف الا صدق العزيمة والثبات

« باى آثارك لا تذكر . وبأيها اذا ذكرت لا تشكر . وأى عين ترى أعمال يديك . ولاتفيض دمعا بل دما حزنا عليك . وما الذى نذكره من آثار اجتهادك فى استمرار ارتيادك ولا نجده عظيما . امواظبتك على خدمة العلم والادب أربعين عاما أو تزيد . أم تآليفك وتصانيفك الغنية بشهرتها عن الوصف . أمحيط محيطك ام قطر محيطك . أم مدرستك الوطنية التى ملأت بها الوطن انوارا . ورفعت فيها للادب الصحيح منارا

احمد فارس الشدياق

١٢١٩ - ١٣٠٥ ﻫ الموافق ١٨٠٤ - ١٨٨٧ م

هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشـــدياق من سلالة المقـــدم رعد بن المقدم خاطر الحصرونى المارونى الذى تولى جبل كسروان فى سوريا سبعا وثلاثين سنة فى أوائل القرن السابع عشر للميلاد

ولد فى عشقوت من أعمال لبنان سنة ١٨٠٤ م ثم انتقل والداه الى الحدث بلبنان سنة ١٨٠٩ فربى فيها وقد ظهرت عليه مخايل النجابة منذ نعومة اظفاره فتعلم القراءة فى مدرسة عين ورقة بلبنان وتناول شيئا من اللغة والنحو على يد اخيه أسعد . وبدأ ينظم الشعر وهو فى حدود العاشرة وكان فيه ميل غريزى لقراءة الكلام الفصيح والتبحر فى معانى الالفاظ الغريبة التى يعثر عليها فيما يقرأه من الكتب التى فى مكتبة والده لأن والده كان قد أحرز كتبا عديدة فى فنون مختلفة ثم توفى والده وهو صبى فأصبح يتيما فعلم أنه يجب عليه أن يعتمـــد على نفســـه فأتقن صـــناعة الخط وجعـــل ينسخ الكتب لنفسه أو لغيره بالاجر ولكنه لم ير فيها فائدة تذكر وكانت نفسه تحدثه من ذلك الحين بالاسفار والجد فى طلب العلى ولم يكن يرى فيما حوله ماينشـــطه على ذلك وينهض به من حضيض الفقر لقلة الوسائل واستبداد القوى بالضعيف

قلنا انه تلقى بعض العلم عن اخيه أسعد وكان اخوه هذا نابغة عصره ذكاء وفطنـــة فاتفق انه خـــلع مذهب والديه



احمد فارس الشدياق

وتمذهب بالمذهب الانجيلى فغضب عليه البطريرك وما زال يتهدده ويسومه العذاب الوانا حتى يرجع عن رأيه فلم يزدد الا تمسكا واصرارا الى أن آل ذلك الى موته بدير قنوبين فى عنفوان شبابه شر موتة . ولايزال أهل سوريا ولبنان يتحدثون بقصته الى الآن . وكان صاحب الترجمة شديد التعلق بأخيه هذا فعظم عليه أمره حتى كره الاقامة فى بلاد الشام جملة فغادرها ناقما عليها وعلى الذين كانوا سببا فى موت أخيه أسعد وطلب الاغتراب فجاء الديار المصرية فى عهد محمد على باشا . وكان مجيئه اليها بصفة أستاذ للمرسلين الامريكان لتعليم اللغة العربية وقواعدها واشياء اخرى . وقد أرسله لذلك المرسلون الامريكان ببيروت لانهم شعروا بأن موت أخيه اسعد انما كان دفاعا عن مذهبهم وكان أسعد مضطهدا من أكثر أعضاء عائلته الا جماعة منهم لم يكونوا يستطيعون المجاهرة فى الدفاع عنه خوفا من سطوة الحكام لانهم كانوا موافقين للاكليروس بما اتوه بشأن المرحوم اسعد. أما فارس فانه لم يكن يكتم ما فى نفسه من استصواب عمل اخيه فأصبح فى خطر على حياته فحماه الامريكان ثم ارسلوه الى مصر كما قدمنا

ولبث فى مصر بين تعليم وتعلم حتى أتم دروسه فى العلوم العربية وغيرها وقد قرا بعضها على الفاضلين نصرالله افندى الطرابلسي الحلبى والشيخ محمد شهاب الدين وطالع كتاب صحاح الجوهرى وديوان المتنبى وغيرهما من كتب اللغة والادب . وكان كثير الرغبة فى قراءة الشروح التى تبين مآخذ الكلام من اللغة شديد الولع بالشعر ونظمه فخاض عبابه حتى بلغ منه مبلغا عظيما ونظم شيئاكثيرا بين غزل وحماسة ومدح وهجاء وتمكن من سائر علوم اللغة كالنحو والصرف والاشتقاق والمنطق . وتقرب من خيرة علماء المصريين ومعية عزيز مصر حتى تولى كتابة الوقائع المصرية وكانت فى أول نشأتها تكتب باللغة التركية فقط فكتب فيها زمنا بالعربية

وتعرف فى مصر بعائلة الصـــولى من وجهاء الســـوريين فصاهرهم وولدت له امرأته هذه ولدين هما فائز وسليم . أما الاول فتوفى بعد ذلك فى ضواحى لندن أثناء اقامته فيها كما سيجيء وبقى سليم وحيدا وهو سليم أفنـــدى فارس نزيل بلاد الانجليز

وفى سنة ١٨٣٤ سافر الى جزيرة مالطة وأقام فيها زهاء اربع عشرة سنة يدرس فى مدارس المرسلين الامريكان وقد تولى تصحيح مايطبع فى مطبعتهم هنـــاك واخذ فى التأليف والتصنيف ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع فى مطبعة مالطة الا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه . ومن جملة ما ألفه كتاب للتدريس وآخر سماه « الواسطة فى معرفة احـــوال مالطة » لم يغادر شيئا عن تلك الجزيرة وســـكانها الا أبانه وانتقده فيه

وفىسنة ١٨٤٨ بعثت جمعية ترجمة التوراة فى لندن تطلبه من حاكم مالطة على يد وزير خارجيتها للمساعدة فى ترجمة التوراة الى العربية. وكانت هذه الجمعية قدعهدت بترجمتها الى الدكتور « لى » فبعثت الى صاحب الترجمة لتنقيحها وضبطها فســـار الى لندن ومر فى طريقه بمدن كثيرة من أوربا ثم عاد بعد انتهاء الترجمة الى باريس اقام فيها زمنا وقد كتب سياحته هذه فى كتاب سماه « كشف المخبأ فى أحوال أوربا » وصف تلك البلاد وصفا دقيقا بعبارة رقيقة تأخذ بمجامع القلوب لايمل القارىء من قراءتها فضـــلا عما يستفيده منها عن أحوال أمم أوربا وخصوصا لندن وأخلاق أهلها وعلومهم وآثارهم وكل مايتعـــلق بهم . أما باريس فأوجز فى وصفها اعتمادا على ماكان قد كتبه عنها العـلامة المرحوم رفاعة بك الطهطاوى . وقد طبع كشف المخبأ الطبعة الاولى فى تونس والثانية فى الاستانة سـنة ١٢٩٩ هـ وهى مشهورة ومتداولة . والف أثناء سياحته هـــذه أيضا كتابا

سماه « الساق على الساق فيما هو الفارياق » والفارياق لفظ مقتطع من اسمه (فارس الشدياق) وسيأتى وصف هذا الكتاب عند الكلام عن مؤلفاته

قضى فى سياحته هذه بضع عشرة سنة متجولا فى أنحاء اوربا يتردد الى مالطة وهو لم يغير شيئا من لباسه التركى ولا بدل طربوشه على انه أتقن أثناء ذلك أيضا اللغة الانجليزيه وتعلم الفرنسية وتزوج سيدة انجليزية لم تلد له أولادا ونال الجنسية الانجليزية بعد سعى لأنهم لم يكونوا يمنحونها الا لمن استحقها

واتفق فى أثناء ذلك أن أحمد باشا باى ولاية تونس اذذاك زار مدينة باريس وفرق على فقراء مرسيليا وباريس وغيرهما أموالا طائلة ثم رجع الى مقامه فنظم قصيدة يمتدحه بها وبعثها على يد من بلغها اليه فحازت حسن قبوله وفتن الباى بها حتى بعث اليه يستقدمه على سفينة حربية وقد عجب صاحب الترجمة لتلك الدعوة وذلك الاكرام وقال : « لعمرى ماكنت احسب أن الدهر ترك للشعر سوقا ينفق فيها ولكن اذا أراد الله بعبد خيرا لم يعقه عنه الشعر ولا غيره » فجاء تونس واقام فيها مدة على الرحب والسعة وحرر فى جريدة الرائد التونسى وهى جريدتهم الرسمية الى الآن

وكان فى أثناء اقامته بباريس قد نظم قصيدة امتدح بها السلطان عبد المجيد على اثر الحرب بين الدولة العلية والروسية وبعث بها على يد سفير الدولة العلية بباريس والقصيدة تزيد أبياتها على المائة والثلاثين نكتفى منها بما يأتى مثالا لما جادت به قريحة المترجم من النظم

قال فى مطلعها :

الحق يعلو والصلاح يعمر والزور يمحق والفساد يدمر

ومنها :

يامؤمنون هو الجهاد فبادروا ... متطوعين اليه حتى تؤجروا

ومنها :

فى لن تنالوا البر حتى تنفقوا ... مما تحبون الدليـل الاظهر
وتمسكوا بالعروة الوثقى من الـ ... بر الجميل على القتال وذمروا
يغنيكم التكبير والتهليل عن ... أن تعملوا فيهم سلاحا يبتر

ومنها :

لو لم يكن منكم سوى نفر لما ... غلبوا فكيف بكم وانتم أكثر

ومنها :

انتم عباد الله حقا فاعبدوا ... للدين فهو بكم يعز ويجبر

وقال فى ختامها :

حرس الاله جنابك الاعلى ولا ... زالت عبادك فى حماه تخفر
وأدام دولتك العلية ماسرى ... نجم ومازخرت كجودك ابحر
انشدت تاريخين هجريين فى ... ختمى مدحك وهو حظى الاوفر
عبد المجيد الله أزكى ضده ... سلطاننا خير بجد ينصر
((١٢٧٠)) ... ((١٢٧٠))

وكان لهذه القصيدة وقع حسن لدى السلطان فورد عليه بسببها ايعاز بالقدوم الى الاستانة لمكافأته وكان قد هم بالمسير فحبب اليه بعض الصدور العظام الاقامة فى تونس فسار اليها كما تقدم . ووجه اليه الباى أحسن منصب لديه وهناك اعتنق الديانة الاسلامية على يد شيخ الاسلام وسمى أحمد ، فصار اسمه أحمد فارس الشدياق . وأخذ صيته ينتشر فى سائر الانحاء الاسلامية وخصوصا الاستانة العلية فطلبته « الصدارة العظمى » من الباى فقدم الى الاستانة وتولى تصحيح الطباعة بضع سنوات

وفى سنة ١٢٧٧ هـ انشأ جريدة الجوانب الشهيرة فى الاستانة واجاد فى انشائها وسبكها فولع الناس بمطالعتها

وذاع صيتها فى الآفاق الشرقية فبلغت الهند وفارس والعراق وسائر بلاد العرب ومصر والشام والمغرب واجاد فى اتقانها حتى لم يغادر أسلوبا من أساليب الكتابة لم يطرقه بين لغة وسياسة ومدح ورثاء وجد وهزل ولوم وعتاب وحزن وطرب وسائر فنون الادب فضلا عن القصائد الرنانة والمقالات العديدة فى العلم والاخلاق كما تراه محفوظا فى « منتخبات الجوائب »

ولم تنحصر منزلة الجوائب فى المشرق ولكنها دخلت المغرب حتى كانت جرائد باريس ولندن تأتى بذكرها وذكر محررها فى الكلام عن سياسة الشرق مستشهدة باقواله وكانت تلقبه بالسياسي الشهير والاخبارى الطائر الصيت . وقد خاطبه الملوك والامراء والعظماء فى سائر أقطار العالم ووجدوا بين أوراقه بعد وفاته مئات من الكتب واردة عليه من عظماء العالم وملوكهم

وقد نال رضاء السلطان فأنعم عليه بالرتب والنياشين ونال مثل ذلك أيضا من الدول الاخرى

وما زال عاملا على التأليف والتحرير الى أواخر ايامه فعهد بتحرير الجوائب الى ولده سليم أفندى فارس فقام بذلك خير قيام الى ان قضت الحوادث بعطلتها سنة ١٨٨٤ على أثر الحوادث السودانية فى الديار المصرية

وفى سنة ١٨٨٦ قدم صاحب الترجمة الى هذه الديار وقد شاخ وهرم واتيح لنا مشاهدته وقد علاه الكبر واحدق بحدقتيه قوس الاشياخ واحدودب ظهره ولكنه لم يفقد شيئا من الانتباه أو الذكاء وكان الى آخر أيامه حلو الحديث طلى العبارة رقيق الجانب مع ميل الى المجون

وقد لاقى أثناء اقامته بمصر هذه المرة حسن الوفادة فزاره الوزراء والعظماء

ثم عاد الى الاستانة العلية واقام هناك حتى وافته المنية

وقد شبع من الايام فتوفى فى مصيفه بقاضيكوى وكان لوفاته فى الاستانة رنة ودوى فرثاه الكبراء والعظماء وبعث السلطان الشيخ محمد ظافر أفندى لحضور الاحتفال ونقلت جثتـــه الى سوريا عملا بوصايته قبل وفاته ودفنت فى سفح لبنان فى محلة الحازمية قرب مدينة بيروت

وكان لتشييع جنازته فى بيروت احتفال شائق مشى فيه كبار المأمورين وأعيان البـــلاد وعلماؤها وأفاضـلها الى أن واروه التراب واستمطروا عليه طيب الرحمة والرضوان

وكان رحمه الله ربع القامة كبير الانف واسع العينين مع بروز وحدة . وكان طلى الحديث مع ميل الى المجون وترى هذه الصفة واضحة كل الوضوح فيما كتبه فان من يطالع كتبه يتحقق ذلك فيها

وقد رثته الجرائد على اختـــلاف لغاتها ونزعاتها وأبنـــه العلماء والامراء ورثاه الشعراء فى سائر أنحاء المملكة العثمانية وخصوصا فى مصر وسوريا . وقد عنى بجمع تلك المراثى من نظم ونثر حضرة يوسف أفندى آصاف صاحب جريدة المحاكم وطبعها فى مطبعة المحروســـة فى كتاب سماه « هو الباقى » وقد علمنا انه وردت كتابات أخرى فى رثائه بعد أن طبع المجموعة

مؤلفاته

ويجمل بنا قبل الشروع فى وصف مؤلفاته ان نصف قلمه اى أن ننظر فى مؤلفاته نظرة عامة ونذكر ما اختص به من اوصاف الكتاب فنقول :

امتاز المترجم باتقان فنى النظم والنثر والاجادة فى كليهما فتراه اذا نظم أو نثر انما يفعل ذلك عن سعة وارتياح كأنه وعى الفاظ اللغة فى صدره وأخذ عليها عهدا أن تأتيه صاغرة حالما يحتاج اليها فاذا خطر له معنى سبكه فى قالب من اللفظ

لائق به بغير ان يتكلف فى ذلك مشـــقة او ترددا . فترى كتاباته طلية طبيعية ليس فيها شيء من التكلف أو التقعر على كونها بليغة فصيحة والسبب فى ذلك حدة ذهنه وقوة ذاكرته وسعة اطلاعه وكثرة محفوظه مع حرية قلمه . وكان يطلق لقلمه العنان غير محاذر واظنه السبب فيما نراه فى بعض مؤلفاته من المجون الذى تنفر منه طباعنا وتمجه أذواقنا . على أن المجون اذا لم يتجاوز حده كان احماضـــا او هو بمثابة الملح للطعام وذلك كثير فى كتابات المترجم مما يرغب المطالع فى المطالعة فلا يمل منها وان طالت

ومن خصائص كتابة الشيخ احمـــد فارس السلاســـة وارتباط المعانى بعضها ببعض واتساقها مع التوسع فى التعبير وتتبع الموضوع الى جزئياته مع مراعاة الموضـــوع الاصلى والعود اليه وترى ذلك واضحا فى كتابه كشف المخبـــأ فاذا اراد وصف عادة من عادات أهل باريس مثلا فانه يتطرق منها الى مايماثلهـــا من عادات العرب أو الاتراك فيذكر وجـــه الخطأ هنا أو هناك وما هو سبب هـــذه العادة وربما جاء بتاريخها ومن جاء بها حتى يخال لك انه خرج عن الموضوع ثم لاتشعر الا وقد عاد بك اليـــه بغير تكلف . وكل ذلك بغاية السلاسة والطلاوة مع البلاغة . وترى فى مؤلفـــاته كثيرا من الالفاظ العربية جاء بها للتعبـــير عن معان حديثة أفرنجية لم تكن عند العرب وهى فى الغالب تدل على حسن اختياره

ومن الادلة على اقتداره فى التعبير انه مفال فاذا مدح بلغ ممدوحه عنـــان الســـماء ، واذا هجا انزل مهجوه دركات الجحيم . وترى كتاباته على بلاغتها وحسن سبكها تتجلى فيها البساطة والسهولة كأن كاتبها كان يكتب كل مايمر بذهنه على غير تكلف أو مراعاة لخطة الكتاب قبله وهو استقلال فى الرأى واعتماد على النفس . فمن ذلك فى بداية فصل يصف

به مصر فى كتاب الفارياق قوله : « قد قمت حـــامدا لله شاكرا فأين القلم والدواة حتى أصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح الخ » وفى هذا الاسلوب من الطلاوة ما لايخفى ولــكل مقام مقال

فلنشرع اذا فى وصف مؤلفاته :

(١) سر الليـــال فى القلب والابدال : وهو كتاب لغوى تحليلى كتبه فى الاستانة العلية لمقصدين .. أولا : لسرد الافعال والاسماء التى هى أكثر تداولا وأشهر اســـتعمالا وتنسيقها بالنظر الى التلفظ بها لايضـــاح تناسبها وابداء تجانسها وكشف أسرار معانيها وأصـــل مدلولاتها . ثانيا : استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ أو مثـــل او ايضاح عبارة أو نسق مادة . والـكتاب يشتمل على نحو ستمائة صفحة بقطع كبير طبع بالاستانة سنة ١٢٨٤ هـ

(٢) الساق على الساق فيما هو الفارياق : وقد تقدم ذكر هذا الكتاب فى ترجمة حياته وهو كبير الحجم يشـتمل على نحو ثمانمائة صفحة كبيرة كتبه أثناء ســـياحته فى أوربا . ويظهر لمن طالعه أنمؤلفه أراد به ثلاثة أمور. الاول : وصف أسفاره وأحواله الخصوصية وما قاساه فى أوائل حيـــاته . والثانى : التنديد بجماعة منالاكليروس لم يذكر اسماءهم الا رمزا وتقبيح ما ارتكبوه فى مقتل اخيه أسعد . واما الامر الثالث : وهو الاهم فهو ايراد الالفاظ المترادفة فى اللغة فى مجموعات كل موضوع على حدة كأســـماء الآلات والادوات واصنـــاف المأكول والمشروب والمشموع والمفروش والمركوب والحلى والجواهر وأوصاف الرجال والنســـاء وغير ذلك مما لايتيسر وجوده فى كتاب واحد وعلى أسلوب لم نشاهد مثله فى العربية

على أننا لا نستطيع الانتقال من وصـــف كتاب الفارياق قبل الاشارة الى أمر وددنا لو كفانا رحمه الله مؤونة النظر

فيه ، وذلك انه أورد فى ذلك الكتاب الفاظا وعبارات أراد بها المجون ولكنها تجاوزت حدوده حتى لايتلوها أديب الا ود لو أنها لم تمر فى ذهن شـــيخنا ولا دونها فى كتابه تنزيها لأقلام الكتاب عما يخجل من قراءته الشاب فضلا عن العذراء . وقد طبع الفارياق فى باريس سنة ١٢٧٠ هـ

(٣) الجاسوس على القاموس : الفه فى الاستانة ينتقد فيه معجم القاموس المحيط للفيروزابادى وهو يشتمل على مقدمة واربعة وعشرين نقدا . أما المقـــدمة فهى ملاحظات كثيرة لغوية من جملتها ترتيب الافعال بحسب ما نسقه الكوفيون ثم ترجمة صـــاحب القاموس وصـــاحب العباب وصاحب الصحاح وصاحب المحكم وصاحب لســـان العرب وهم من فطاحل علماء اللغة . أما الاربعة والعشرون نقدا فهى انتقاده ما ورد فى القاموس من عبـــارته وخطته ومعانى الفـــاظه واشتقاقها وما شاكل ذلك . وعدد صفحات الـكتاب زهاء سبعمائة صفحة

(٤) كشف المخبا عن فنون أوربا : وهو سياحته فى اوربا وصف فيه عوائد أهل أوربا وخصوصا الانجليز والفرنسيين ومتاحف لنـــدن وباريس وآثارهما وقد قال انه اختصر فى وصف باريس لأن المرحوم رفاعة بك قد سبقه الى وصفها مطولا وقد طبع هذا الكتاب غير مرة

(٥) الواسطة فى أحوال مالطة : وفيه وصف جزيرة مالطة جغرافيا وتاريخيا ومدنيا وعوائد اهلها وأخـــلاقهم ولغاتهم وكل مايتعلق بهم

(٦) اللفيف فى كل معنى طريف : جمع فيه كلمات مفيدة وحكما مأثورة وأمثالا أدبية وحكايات تهذيبية ونكاتا لغوية

(٧) غنية الطالب ومنية الراغب : وهو كتاب مدرسى فى علم الصرف والنحو

(٨) الباكورة الشـــهية فى نحو اللغة الانجليزية وتليهـــا

المحاورة الانسية فى اللغتين العربية والانجليزية : وهو كتاب مدرسى لتعليم اللغة الانجليزية

(٩) السند الراوى فى الصرف الفرنساوى : وهو كتاب لتعليم اللغة الفرنسية

هذا عدا جريدة الجوائب التى حررها زهاء ثلاثين سنة وقد تقدم ذكرها فى ترجمة حاله وجمع نجله سليم أفندى فارس نخبا منها فى كتب سماها منتخبات الجوائب

وهناك كتب ألفها ولم تطبع ، منها كتاب النفائس فى انشاء أحمد فارس والتقنيع فى علم البديع والروض الناضر فى أبيات ونوادر وتليه رسائل ومحررات أدبية . وديوان شعرى من نظمه يشتمل على اثنين وعشرين ألف بيت

وقد ألف كتابا مطولا فى اللغة سماه « منتهى العجب فى خصائص لغة العرب » قضى فى تأليفه سنين عديدة نحا فيه نحوا حديثا لم يسبقه اليه غيره على أسلوبه وقد أسهب فيه حتى بلغ مجلدات كثيرة وموضوعه البحث فى خصائص الحروف الهجائية العربية مثال ذلك قوله : « ان من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط أى أن الالفاظ التى تنتهى بحرف الحاء يكون فى معناها شىء من خصائص هذا الحرف نحو الابتحاح والبندح والبراح والابطح والابلنداح والرحرح والمسفوح والمفرطح والمسطح وما شاكل . ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخداة والتيد والثأد والخود والرادة والرهادة والفرهد والاملود والقشدة والملد وغيرها . ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرم وترم وجزم وجلم وخسم وحطم وماجرى مجراها وقس عليها . ولو نظرنا فيما أورده من الامثال لرأينا منه تساهلا فى تطبيقها على ما أراده على اننا لاننكر ماكان يرجى منه من الفوائد الجزيلة لو طبع الكتاب ونشر

ولكنه فقد حرقا على أثر حريق أصاب منزله فى الاستانة فأسف هو لذلك أسفا شديدا . واخبرنا صديق أنه رأى بين اوراق الشيخ أحمد فارس تأليفا فى تراجم مشاهير العصر لم يطبع . وربما كان له مؤلفات أخرى لم نقف على خبرها

وما لايليق بنا الاغضاء عنه ان مطبعة الجوائب طبعت كتبا عربية كثيرة كانت نادرة الوجود فأحيتها ونشرتها بين المتكلمين بالعربية وسهلت تناولها وهى مأثرة حسنة تضاف الى مآثره الاخرى .



عبده الحمولى

١٢٦١ ـ ١٣١٩ هـ الموافق ١٨٤٥ ـ ١٩٠١ م

ان الامة شديدة التعلق بموسيقييها وشعرآئها وخطبائها ومن جرى مجراهم من رجال الادب ممن يشاركون الناس فى احساسهم . فالشعراء يصورون عواطف الامة ويدافعون عنها . والخطباء يحركون حاستها ويجمعون كلمتها . والموسيقيون ومنهم المغنون يطربونها ويشرحون صدورها . ويشتد شعور الامة بفضل أولئك الرجال ويتعاظم أسفها على ضياعهم بنسبة مبلغها من التقدم فى معارج المدنية

نعم ان الامة اذا تمدنت عرفت قدر مخترعيهـا وعلمائهـا وفلاسفتها وساستها وغيرهم من رجالها العظماء فتنحت لهم التماثيل وتقيم لهم الانصاب وتؤلف الكتب فى الثناء عليهم . ولكنها تفعل ذلك مدفوعة باقرارها بالجميل . وأما الشعراء والموسيقيون والخطباء فانها تشعر بفقدانهم شعور الصديق بموت صديقه أو الوالدة بضياع ولدها . فتبكيهم بلا كلفة ولا صناعة والفيلسوف أستاذ الامة وحكيمها والمخترع ساعدها وخادمها فى تسهيل أعمالها ـ واما الشاعر فانه يترجم عواطفها ويصور ارادتها . والموسيقى ينفس كربها وينعش روحها ، والخطيب ينهض همتها ويجمع كلمتها ، ففى موت أحـدهم تأثير على النفس يثير العواطف ويهيج الشجون وفى حياته حياتها الادبية ، والأمم المتمدنة تكون آدابها كما يشـاء شعراؤها وخطباؤها وموسيقيوها ـ فلا غرو اذا جن الناس بأهل تلك القرائح ..

الا ترى مافعل الفرنسيون بفيكتور هيجو شاعرهم وكاتبهم وقد عشقوه حتى كادوا يعبدونه فحملوه على أكفهم وهو حى وطافوا به الشوارع والازقة ينادون بفضله وقس على ذلك ماتبديه الامم المتمدنة من أمثال ماتقدم

على ان اكرام الشعراء طبيعى حتى فى عصور البداوة . فقد كان الشعراء فى جاهلية العرب حماة الاعراض تتفاخر بهم القبائل وتستحث قرائحهم فى الدفاع عنها

ويسرنا أن نرى ذلك الشعور قد اينع فى وادى النيل فى اواخر القرن الماضى على أثر مابلغته مصر من الارتقاء

فقد أنبأنا صديق نثق بصدق روايته ان جماعة من أدباء المصريين فى بعض مدن الصعيد لما بلغهم نعى الشاعر المرحوم الشيخ نجيب الحداد وكانوا من قراء أشعاره ورواياته لم يكتفوا بالبكاء والرثاء ساعة الفاجعة ولكنهم تحالفوا على ندبه فى كل حين ــ قال الراوى : « واشتد بهم الاسف حتى تواطأوا على ترك الدنيا والاسراف فى صحتهم حتى يلحقوا به» ومهما يكن من بعد هذا القول عن الحكمة والتعقل مع مايتخلله من دلائل الطيش فانه يدل على درجة اشتراك عواطف الامة بشعرائها

والموسيقى اخت الشعر وتأثيرها أعم من تأثيره لان الشعر لايؤثر الا على الذين يفهمونه ولا يستطيع ذلك غير الادباء المتعلمين . وأما الموسيقى فيفهمها ويتأثر منها كل ذى نسمة حية حتى الحيوان الى أدنى طبقاته . فالموسيقى ومن فى معناه كالمغنى والمنشد يشارك الامة فى احساسها بل هو يتلاعب بعواطفها كما يشاء . ويغلب أن يدعو الى انشراح الصدور وزوال الهموم . ومصر اكثر بلاد الارض حاجة الى دواعى الافراح لان أقليمها حار يورث الخمول ويضيق الصدر . وبقاعها متشابهة لاجبال فيها تشرح الصدر بمناظرها ولابحار واسعة يسرح فيها البصر ولا غير ذلك من المناظر الطبيعية . فلا يجد المرء فرجا من ضيقه الا بالمجالسة والمحادثة وما يلحق



عبده الحمولى

بذلك من المسامرة والمنادمة والغناء وضرب الآلات ونحو ذلك من بواعث الطرب وبالانتخاب الطبيعي انطبع المصرى على لطف الحديث وأصبح شديد التأثر من الحان الفناء . فلا غرو والحالة هذه اذا أسف المصريون على عبده الحمولى وهو بلبل أفراحهم بل هو أعظم مغن عربي فى العالم اليوم . وما من بلد فى وادى النيل لم يسمع أهله غناء «سى عبده» ناهيك بما بلغ من شهرته فى اقطار العالم الشرقى . ذلك ما حدا بنا الى نشر ترجمة حياته وجل اعتمادنا فى ذلك على ماكتبه صديقه ابراهيم المويلحى محرر مصباح الشرق قال :

ترجمة حياته

ولد بمدينة طنطا وكان ابوه يمارس تجارة البن وكان للمرحوم أخ اكبر منه فوقع شقاق بين أخيه وابيه ففر به أخوه من وجه ابيه هائما به فى الخلوات ، وكان كلما تعب المرحوم عبده من السير لصغر سنه حمله أخوه على كتفه . حتى دنا الغروب وهما على آخر رمق من الجوع والعطش وتعب السير لايجدان أحدا يأنسان به أو يلجآن اليه . الى ان سخر الله لهما رجلا آواهما وسد رمقهما فى ليلتهما ثم اقاما عنده أياما . ومن غريب الاتفاق أن الرجل كان يشتغل بصناعة الغناء ويضرب الآلة المعروفة بالقانون فى طنطا فسمع صوت المرحوم فى بعض روحاته وغدواته فأعجبه فعاد به الى طنطا واشتغل معه هناك مدة وجيزة وقد بقى تأثير تلك الوحشة والانفراد مع التعب والجوع فى تلك الليلة التى خرج فيها المرحوم من بيت أبيه مرسوما فى راسه فكنت تراه فى آخر عمره ينقبض صدره ويتقطب وجهه كلما آن الغروب . وطالما قص هذه القصة على خلصائه ممن كانوا يعجبون لانقلابه الفجائى من السرور الى الانقباض فى ذلك الميعاد . .

ثم رأى ذلك الرجل الذى آواه عنده واسمه المعلم شعبان

أن يحضر به الى مصر فاشتغل معه فى قهوة معروفة فى ذلك العهد بقهوة عثمان أغا فى غابة أشجار كانت موضع حديقة الازبكية فاتسع به رزقه وخاف أن يخرج من يده ويستميله غيره من أهل هذه الصناعة فيضيع عليه رزقه فرأى أن يربطه به بعقد زواجه من ابنته فاستذله وأسره وانقلب يعامله أسوأ المعاملة .
وكان فى مصر رجل طائر الصيت فى فن الغناء اسمه «المقدم» أعجب بالمرحوم فسعى جهده ليلحقه به ويشتغل معه فى «تخته» حتى وصل الى غرضه وجذب المرحوم اليه وفصل بينه وبين زوجته قطعا لعلاقته بصاحبه وانقذه مما كان فيه واستمر معه يغنى على الطريقة التى كانت معروفة عند المصريين فى ذلك العهد ..

تاريخ الغناء بمصر

واصل طريقة الغناء بمصر على مايعلم من تاريخ وضعها أن رجلا من أهالى حلب اسمه شاكر افندى وفد الى القطر المصرى فى المائة الاولى بعد الالف وكان فن الالحان فيه مجهولا . فنقل اليه جملة تواشيح وقدود وكانت هى البقية الباقية من التلاحين التى ورثها أهالى حلب عن أهل الدولة العربية فتلقاها عنه بعضهم وصارت عندهم ذخيرة نفيسة يضنون بها على الغير . واشتد حرصهم عليها وصار الواقفون عليها يحرمون الناس من تلقينها . وبقيت بينهم على بساطتها الاصلية يتصرفون فيها بدون الشد والتصوير . فكانت قاصرة على أمهات المقامات وبعض الفروع المقاربة لها وكانت بالنسبة للغناء مثل حروف الهجاء بالنسبة للكلام ..

وأقام المغنون فى مصر على هذه الطريقة البسيطة لايتصرفون فيها الى عصر عبده الحمولى فتلقاها المرحوم منهم على اصلها وغنى بها مدة ثم دفعته سجيته فى الطرب وحسن ذوقه فى الغناء أن يتصرف فيها مع المحافظة على الاصل وعدم الخروج عن دائرته فأزال عنها بعض الجفوة . وما زال يرتقى

المرحوم فى شـــــهرته بحسن الغناء حتى ألحقه اسماعيل باشا بمعيته فسافر معه الى الاستانة مرارا وسمع هناك آلات الموسيقى التركية . وجلب اسماعيل باشا فى عودته الى مصر جماعة من أكابر المغنين فيها ، فكان المرحوم يحضر معهم دائما فى اشتغالهم بالغناء . فاستمالته ألحانهم وأخذ ينتقى منها مايلائم المـــزاج المصرى ويناسب الطريقة العربية ورأى المجال واسعا له فى الموسيقى التركية اذ وجد فيها كثيرا من النغمات التى لم يكن للمصريين علم بها ولم تطرق آذانهم من قبل مثل النهـــاوند والحجاز كار والعجم وغيرها فنقلها الى الغنـــاء المصرى . ثم التفت الى بقية مصطلحات الغناء فى الطبقات المختلفة من ذلك العصر مثل المنشدين المشهورين بأولاد الليالى «الفقهاء» والعوالم «القيان» والمداحين «الضـــاربين بالدفوف» والتقـــط منهم ما استنسبه فأضافه مع المختار من الغناء التركى وخلطـــه بالطريقة القديمة فجعلها طريقة جديدة خاصة به . وظهر فى مصر وفيها شيوخ المغنين فصار شيخا عليهم . وقد دعاهم جهلهم بما صنعه الى استنكار طريقته فى أول الامر ولكن ما لبث الناس أن ذاقوا حلاوتها وطلاوتها فعم استحسانها . وذهب استنكارهم وانتصر بحسنها عليهم وله فيها من التلاحين أشياء كثيرة

مزاياه

ومن مزاياه فى صناعته أنه كان شديد الطرب لايقل طربه فى أثناء تأديته للغناء عن طرب السامع له . وهو أول مغن مصرى اهتدى الى حسن الاداء واستصحاب حركة الغناء بالاشارات التى تقوم مقام الحكاية . وكان شديد الحفظ لما يسمعه مجتهدا دائما فى استخراج محاسن المسموع وطرح معايبه ذا قدرة على أن يبدل القبيح فيه بالحسن . وكان ذهنه شـــديد التعلق بالنغم فلا يكاد ينساه وربما نام وهو على «التخت» فى أثناء الغناء ثم يستيقظ فيرجع الى الغناء كما كان فيه من غير مراجعة آلة أو استرشاد بأحد ممن معه كأنما كانت الطبقة رسخت فى

ذهنه فلم تشوش عليها الاصوات التى مرت عليه وهو فى نومه ولم تؤثر عليه الغيبوبة فى شىء . وكان لطيف التنقل يوهم السامع فى غنائه بأن مراده ما هو فيه حتى اذا رسخ ذلك فى ذهنه انتقل منه الى مقام آخر يدهش السامع ثم يتدرج حتى يعود الى ما كان عليه وذلك من أعظم المزايا وأكبر الفضل فى هذا الفن ..

وجملة القول فى باب الغناء ان المرحوم جدد فيه وأبدع وأحياه فى مصر بعد أن كان شيئا خاملا . ثم تمكن فيه من التوفيق بين المزاجين التركى والمصرى « فبعد أن كان أهل الطبقة الحاكمة فى المصريين من الاصل التركى لايطربون للغناء المصرى ولا يلتفتون اليه أصبحوا بفضل المرحوم وبما وفقه فيه من الانغام التركية مقبولا عندهم مفضلا لديهم . وبعد أن كان المصريون لايطربون من الغناء التركى ولا يروقهم غير طريقتهم طريقة التوجع والانين أصبحوا يطربون لما يلائمهم من الانغام التركية التى أنعش بها طريقتهم القديمة . فهو الجدير بأن يسمى فى مصر معدل المزاجين بين الامتين . وكما امتزج الجنسان فى الاجسام بالانساب فقد مزج بينهما عبده بالغناء فى الارواح . وكفاه فخرا أنه لم يصل أحد من قبله ولن يصل من بعده الى مثل ما وصل اليه من هذا الابتداع والاختراع الذى اهتدى اليه بما ميزه الله به من لطف الذوق وشدة الذكاء وحدة الطرب ومحبة الاتقان والترقى فى درجات الكمال

اخلاقه

وكان كبير النفس عالى الهمة يحاول الارتفاع عن طبقته ويسعى فى الخروج منها مقتصرا على الاشتغال بالفن لذاته لجهل الناس فى جيلهم الماضى بعلو قدر هذا الفن وغفلتهم عن جلال منزلته بين الفنون . وقد عمد المرحوم الى ذلك بالفعل فى أيام الخديو اسماعيل باشا فترك مزاولة صناعته بالاجرة بين الناس

وخرج من زمرة المغنين الى زمرة التجار غير طامع فى الذهب الذى كان يسيل من حياله بممارسة صناعته فى تلك الاوقات . فافتتح محلا لتجارة الاقمشة واشترك فيــه مع بعض التجار بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضى عليها عشرون شهرا الا وانتهت به سلامة نيته وحسن ثقته أن خرج منها صفر اليدين مدينا للشريك دائنا للناس يمنعه الخجل ويحجبه الحياء عن طلب الوفاء . ولم يمتنع فى أثناء ذلك عن الغناء بين الناس بل امتنع عن طلب الاجر عليه . الى أن عادت به حاجه العيش الى مزاولة صناعته كما كان فى أول أمره . ولم يزل يتطلع الى غرضه فى الانقطاع عنها كما فعل ودهره يحول دونه فلم يستطع بلوغه الى آخر مدته

بينه وبين اسماعيل

وكان شهما غيورا شريف السيرة يغار لنفسه ولاعراض الناس لايبالى فى ذلك بهول المواقف وفداحة الخطوب . أمر الخديو اسماعيل باشا ذات ليلة باحضار المرحومة ألمز لتغنى فى بعض قصوره وهو فى عزة سلطانه وشدة بطشه لايعصى له الناس امرا ولا يخالف هواه الا من ارتضى لنفسه سكنى القبور . ولا يحلم احد فى منامه أن يقف موقف المعارض فى رغبته أو الممـــانع لاشارته . فتوقف المرحوم عبده وكان قد تزوج بها بعد أن منعها عن ممارسة الغناء وابى أن تخرج من بيته . فعاوده الطلب بالتشديد فاستمر على ابائه الى أن وصل الامر الى استعمـــال القوة . فأرسل مأمور الضابطة بعض أعوانه الى منزله وارادوا اخراجها منه بالقوة . فوقف أمامهم وقفة الليث يحمى أشبال العرين . وفضل الموت أو النفى على أن تغنى المرحومة لحنـــا واحدا لاحد وهى فى عصمته

ولما لم يفده موقفه أمام القوة بفائدة استمهلهم برهة ريثما يعود اليهم . فدخل البيت وألقى بنفسه الى حائط الجـــار وخرج منها الى الطريق لاجئا الى صديقه المرحوم الشيخ على

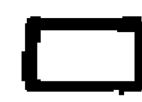
الليثى فكاشفه بما هو فيه من هول الخطب . وكان هذا الشاعر المرحوم ممن جمع الله له أيضا كثيرا من المزايا الفاضلة والاخلاق الكريمة واخصها علو الهمة والسعى لخير الناس . وكان ذا مكانة رفيعة عند اسماعيل باشا صديق فقام اليه فى الحال وتواقع الشيخ عليه يلتمس حسن الوساطة لدى ذلك الحاكم القاهر ليرجع فى أمره . فقام الوزير من ساعته وقصد مولاه وتلطف له ما أمكن فى الاعتذار وما زال به حتى رجع عن طلبه ورضى بعصيان عبده لطاعته وخلص المرحوم من هذه الحادثة معافى فى نفسه مصابا فى جسمه . فقد تولد من اضطراب أعصابه من شدة ما قاساه فى هذه النازلة داء الصداع فلم يفارقه طول حياته . وكانت اذا اعترته نوبته ألقته على الارض صريعا يتخبط فى أشد الآلام لا يكاد من يراه على تلك الحال يصدق بنجاته فيها. فاذا أفاق لزم الفراش من عظم وقعها مدة طويلة . ولم ينجع فى ذلك الداء معالجة الاطباء

وسافر المرحوم فى سنة ١٨٩٦ الى الاستانة وحظى هناك بالمثول بين يدى السلطان مرارا وأعجب أمير المؤمنين بمهارته فى فنه وحسن تأديته له فأسنى عطيته وبلغه حسن رضائه وكان الواسطة بينهما للتبليغ فى ذلك المجلس «السيد أبو الهدى» . ومما تلقاه عنه من أوامر أمير المؤمنين أن يلقن ماغناه فى حضرته من الاصوات لبعض ضباط الموسيقى العثمانية فلقن المرحوم منه ما أمكنه ولم يسع الوقت تمام القيام بالامر فوعد أنه سيشتغل عند عودته الى مصر بربط تلك الاصوات برابطة «النوتة» ثم يعرضها على السلطان ليسهل اخذها على ضباط الموسيقى

فلما عاد الى مصر أتمها عشرين صوتا «دورا» مربوطة «بالنوتة» وأرسلها من طريق رسمى الى الاستانة فلم يلق فيها ما يحقق آماله . .

وفاته

وعاد الى مصر مصابا بداء «البول السكرى» فأنهك جسمه وأضعف قواه وغادر حلوان الى سكنى مصر وقد تراكمت عليه هموم الحياة فزادت فى ضعف الجسم وظهر ذلك الداء الدفين فى الرئة ودخل من داء السل فى الدرجة التى لايرجى منهـا شفاء . وأشار عليه الاطباء بسكنى الصعيد مدة الشتاء فأقام فى سوهاج شهرين ونصفا عادت له فى أثنائها بعض قوته وتقوى امله فى شفائه ولم يدرك المرحوم ماكنه دائه الا فى اليوم الذى مات فى غده . ثم عجل العودة الى مصر ليشتغل بوضع غنائه فى اسطوانات «الفونوغراف» طلبا للعيش ولما حضر باشر ذلك فعلا ثم جاءه نعى أحد أصدقائه المخلصين بالمنيا فاغتم عليه غمـا شديدا ولم يسمع لنصيحة أصحابه بل خالفهم لقضاء ماتوجبه عليه مروءته وسافر الى تلك المدينة وأقام هناك أياما مشاركا لاهل الميت فى احزانهم ولما عاد اشتد المرض عليه حتى ادركته منيته



هذا هو عبده الحمولى وقد رأيت من ترجمة حياته أنه كان على استعداد كبير لفن الموسيقى . ومن اكبر الدلالة على استعداده شدة طربه من الغناء كأنه كان يغنى ليطرب نفسه . وشغف المرء بصناعته وتلذذه بممارستها يدلان على انطباعه عليهـا واقتداره على اتقانها . ولكن الحمولى عاش فى بلاد لم يكن لعلم الموسيقى أثر فيها واشتغل باطراب الناس عن طلب العلم من مصادره فلم يبد من مواهبه الا ماتهيأت له الاحوال

وعندنا أن الرجل لو درس فن الموسيقى على أهله فى أوروبا وعدل عن الغناء الى التلحين والف الالحان لكفانا مؤونة التحسر على ضياع هذه الصناعة بيننا وجعل للموسيقى العربية فنـا مستقلا له روابط وضوابط وكانت الالحان الشائعة على السنة المغنين مضبوطة فى الكتب على قواعد ثابتة

ولا لوم عليه فانه قد نشأ بين العامة فلما شب شغله اعجاب اكابر المصريين بما عنده من استزادته . ومصر فى غفلة عن هذا الفن . فلما أفاقت كان هو قد شغل بصحته وداخليته فأسف المصريون على ما فات وأرادوا تدارك مابقى فالتمسوا حبس صوته فى الفونوغراف فلم يمهلهم أجله فضاع ولم يبق من آثار تفننه الا ما اقتبسه بعض المغنين من مجالس غنائه فى أثناء حياته . وبلغنا أن بعض أصدقائه تمكن من أخذ بضع اسطوانات فونوغرافية من صوته قبل موته



فهرس

صفحة

صفحة

رجال علم وتعليم

رجال أدب وفن

لا تخف
تأليف ادوارد سبنسر كولز

مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية
تأليف عبد الرحمن الرافعى

القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب
تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء أول)
تأليف الزعيم احمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)
تأليف الزعيم احمد عرابى

عبقرية عمر
تأليف عباس محمود العقاد

آمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

فاطمة الزهراء والفاطميون
تأليف عباس محمود العقاد

عصا الحكيم فى الدنيا والآخرة
تأليف توفيق الحكيم

ابو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقى

فى الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازنى

ذو النورين عثمان بن عفان
تأليف عباس محمود العقاد

محمد الثائر الاعظم
تأليف فتحى رضوان

مدرسة المغفلين
تأليف توفيق الحكيم

لا تقتل نفسك
تأليف بيترشتاينكرون

عصاميون من الشرق والغرب
لنخبة من كبار الكتاب

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

الارواح المتمردة ـ الاجنحة المتكسرة الموسيقى
تأليف جبران خليل جبران

علمتنى الحياة
لنخبة من علماء الشرق والغرب

عش مائة عام
تأليف جايلورد هاوزر

الحرية الحمراء
تأليف حبيب جاماتى

اهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم

الله
تأليف عباس محمود العقاد

عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز

علم الفراسة الحديث
تأليف جرجى زيدان

نساء النبى
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

ثائرون
تأليف محمود تيمور

زهرة العمر
تأليف توفيق الحكيم

هذا مذهبى
باقلام نخبة من الشرق والغرب

غادة النيل
تأليف اميل لودفيج

طريق السعادة
تأليف فيكتور بوشيه

مطلع النور
تأليف عباس محمود العقاد

يوميات نائب فى الارياف
تأليف توفيق الحكيم

الف ليلة وليلة
(الجزء الاول)

عبقرية الصديق
تأليف عباس محمود العقاد

الف ليلة وليلة
(الجزء الثانى)

مدرسة الشيطان
تأليف توفيق الحكيم

الف ليلة وليلة
(الجزء الثالث)

معاوية بن أبى سفيان
تأليف عباس محمود العقاد

الف ليلة وليلة
(الجزء الرابع)

اعرف نفسك
تأليف ادوارد سبنسر كولز

الف ليلة وليلة
(الجزء الخامس)

مع الله .. فى السماء
تأليف الدكتور أحمد زكى

الف ليلة وليلة
(الجزء السادس)

قصة الثورة كاملة
تأليف أنور السادات

جحا الضاحك المضحك
تأليف عباس محمود العقاد

بنات النبى
تأليف الدكتورة بنت الشاطىء

عبقرية الامام على
تأليف عباس محمود العقاد

شاعرة الطليعة عائشة تيمور
تأليف الآنسة مى

بطل الكفاح الشهيد محمد فريد
تأليف عبد الرحمن الرافعى

قال الرئيس
للرئيس جمال عبد الناصر

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم الاشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب ((المبتديان)) بالقاهرة وشركة الصحافة المصرية بشارع النبى دانيال بالاسكندرية ، ومن شركة الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية شارع المتنبى ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات لصاحبه السيد على نظام ببناية العابد بدمشق ، ومن جميع المكتبات الشهيرة وأكشاك الصحف ، ما عدا الكتب التى نفدت نسخها كما ترى فى هذا الكشف

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركه فرج الله للمطبوعات ــ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمى ــ صاحب المكتبة العصرية ــ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن على نحاس ــ ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ــ مكتبة المؤيد ــ البحرين

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio Nº 3,
3º Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

الأمة العربية ، فى المشرق والمغرب ، أشد ماتكون حاجة فى نهضتها القومية الحالية الى معرفة تاريخ رجالها الافذاذ وبناة نهضتها ، الذين كان لهم فضل ارساء قواعد هذه النهضة التى نفخر بها اليوم ، والتى نحس معها انروح هؤلاء القادة القدماء قد سرت الينا جميعا

وسلسلة كتاب الهلال تقدم اليوم كتابها الجديد « بناة النهضة العربية » الذى يضم بين دفتيه طائفة من القادة والساسة ، ورجال الاصلاح ، ورجال العلم والتعليم ، ورجال الادب والفن

والذى وضع هذا الكتاب شهدت له المحافل العلمية ، وقراء اللغة العربية ، انه رجل مؤرخ عظيم ، وانه بحاثة عن الحقائق التاريخية لا يحيد مع الهوى ، وهذا شأن المؤرخ الامين

ان مؤلف هذا الكتاب العظيم هو المغفور له المرحوم جرجى زيدان مؤسس الهلال والذى وضع سلسلة ضخمة من المؤلفات العربية والروايات التاريخية التى أقبل القراء عليها اقبالا عظيما فى جميع الاقطار العربية ،وترجمت الى كثير من اللغات الشرقية والغربية

كتاب الهلال



محمد
الرسول البشر

بقلم

توفيق الحكيم





كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٧٣ ـ رمضان ١٣٧٦ ـ ابريل ١٩٥٧

No. 73. — April 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

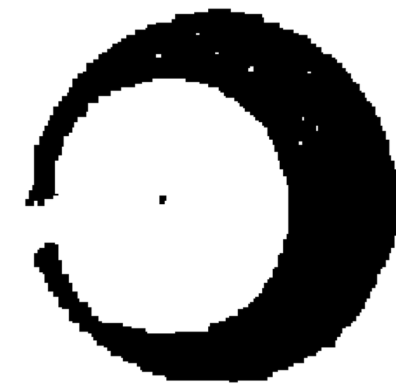
كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ١٠٠ قرش صاغ ـ سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا ١٣٠ قرشا صاغا ـ الامريكتين ٥ر٥ دولارات ـ سائر أنحاء العالم ١٧٠ قرشا صاغا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

محمد
الرسول البشر

بقلم
توفيق الحكيم

دار الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

((قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى ...))

مقدمة

المألوف فى كتب السيرة أن يكتبها الكاتب ساردا باسطا محللا معقبا مدافعا مفندا ...

غير انى يوم فكرت فى وضع هذا الكتاب قبل نشره عام ١٩٣٦ القيت على نفسي هذا السؤال :

« الى اى مدى تستطيع تلك الطريقة المألوفة أن تبرز لنا صورة بعيدة ـ الى حد ما ـ عن تدخل الكاتب ؟ صورة ماحدث بالفعل وما قيل بالفعل ، دون زيادة أو اضافة توحى الينا بما يقصده الكاتب أو بما يرمى اليه ؟ ... »

عندئذ خطر لى أن أضع السيرة على هذا النحو الغريب .

فعكفت على الكتب المعتمدة والاحاديث الموثوق بها ، واستخلصت منها ماحدث بالفعل وما قيل بالفعل. وحاولت على قدر الطاقة أن اضع كل ذلك فى موضعه كما وقع فى الاصل ، وأن اجعل القارىء يتمثل كل ذلك كأنه واقع امامه فى الحاضر ، غير مبيح لأى فاصل ، حتى الفاصل الزمنى ان يقف حائلا بين القارىء وبين الحوادث ، وغير مجيز لنفسى

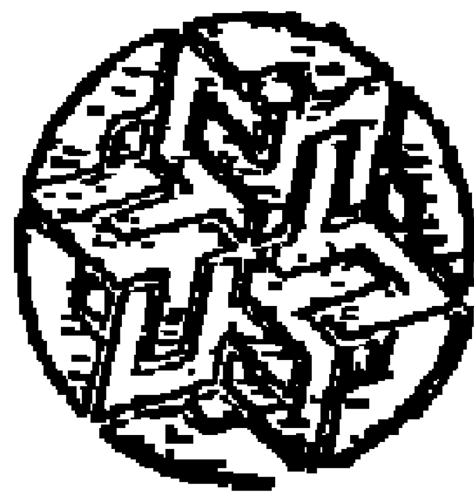
التـــدخل بأى تعقيب أو تعليق ، تاركا الوقائع التـــاريخية والاقوال الحقيقية ترسم بنفسها الصورة .

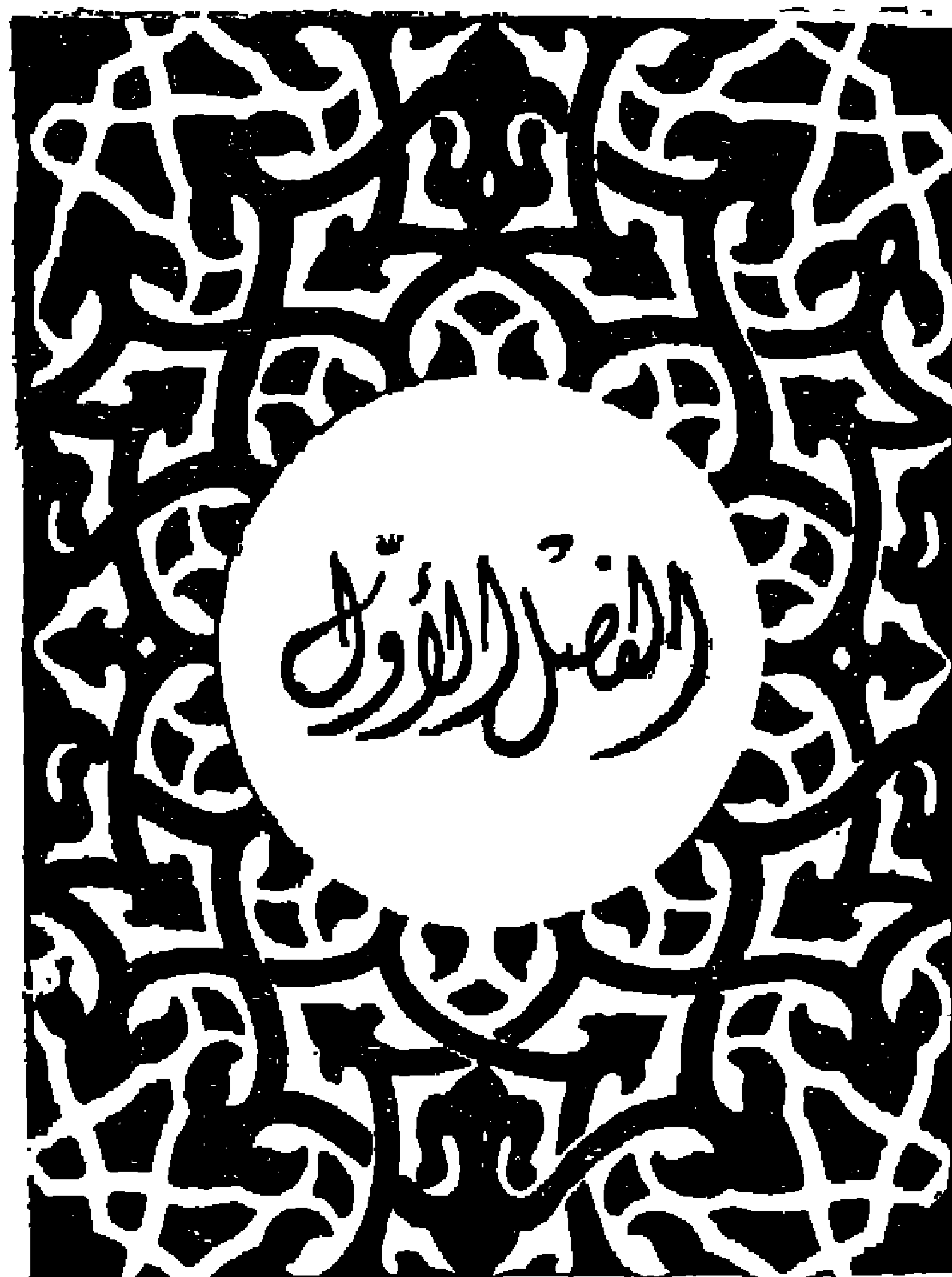
كل ما صنعت هو الصب والصياغة فى هذا الاطار الفنى البسيط . شأن الصائغ الحذر الذى يريد ان يبرز الجوهرة النفيسة فى صـــفائها الخالص ، فلا يخفيها بوشى متكلف ، ولا يفرقها بنقش مصنوع ، ولا يتـــدخل الا بما لابد منه لتثبيت اطرافها فى اطار رقيق لايكاد يرى .

هذا ما أردت أن افعل :

فاذا اتضح للناس بعد هذا العمل أن الصورة عظيمة حقا فانما العظمة فيها منبعثة من ذات واقعها هى ، لامن دفاع كاتب متحمس ، أو تفنيد مؤلف متعصب .

ت . ا




الفصل الأول



المنظر الاول

« على اطمة بيثرب الوقت ليل »

يهودى : (يصرخ بأعلى صوته) يامعشر يهود !

« جماعة من يهود يقبلون ويجتمعون اليه »

الجماعة : ويلك ، مالك !

اليهودى : (يشير الى السماء) أنظروا ! أنظروا !

الجماعة : (يتطلعون الى السماء) ماذا ؟

اليهودى : (يشير الى السماء) طلع الليلة نجم احمد !

المنظر الثانى

« عبد المطلب بجوار الكعبة »

امرأة : (تجرى نحوه تصيح) أبشر ياعبد المطلب !.. أبشر .. ! !

عبد المطلب : ماذا ؟

المرأة : جاءت آمنة بولد ، لا ككل الولدان !

عبد المطلب : ولد ؟

المرأة : لقد نظرت وهو يخرج منها أن قد خرج منها نور رات به قصور بصرى من ارض الشام !

عبد المطلب : (فى فرح) انها والله للرؤيا التى رأيت . هلمى بنا !

المرأة : أى رؤيا ؟

عبد المطلب : الم أر فى منامى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى لها طرف فى السماء وطرف فى الارض . وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب . ثم كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ويحمدونها ؟ ! . .

المرأة : فلتسم المولود محمدا .

عبد المطلب : (فى فرح) نعم . ولألتمس له المراضع .

المرأة : هلم ، فانظر اليه !

« يذهبان مسرعين »

المنظر الثالث

« فى سوق عكاظ - حليمه مرضع محمد بين نسوة وهى تحمله على صدرها ، وعلى مقربة منها اتانها وشاة لها »

احدى النسوة : من هذا الصبى ؟

حليمة : هو يتيم لا اب له ولا مال .

المرأة : انا لنرجو أن يكون مباركا .

حليمة : انه لكذلك ، ولقد رأينا بركته .

المرأة : كيف ذلك ؟

حليمة : كنت لا أروى ابنى من لبنى ، فهو وابنى الآن يرويان ، ولو كان معهما ثالث لروى . لقد أمرتنى أمه أن أسأل عنه .

المرأة : ها هنا فى السوق عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم .

حليمة : نعم . لأعرضنه على عراف هذيل وأساله عنه

المرأة : (تشير الى مكان الســـوق) هلمى بنا اليه انه جالس فى مكانه .

« تنهض حليمة بمحمد وتتجه الى العراف »

حليمة : أيها العراف ! انظر الى هـــذا الصبى واخبرنى عنه ..!

العراف : (ينظر الى وجه محمد) ابن من هذا ؟

حليمة : هو يتيم لا أب له .

العراف : (يصيح) يامعشر هذيل ! يامعشر العرب !

« يجتمع اليه الناس من اهل الموسم »

الناس : مالك ؟ مالَك ؟

العراف : اقتلوا هذا الصبى !

حليمة : (تنسل بمحمد) وا ولداه ...

الناس : (يلتفتون ولا يرون شيئا) اى صبى ؟

العراف : (يلتف حوله باحثا عن حليمة) هذا الصبى ... اقتلوه !.. اقتلوه !..

« الناس لا يرون شيئا »

المنظر الرابع

« صومعة بحيرا الراهب ببصرى من ارض الشام »

بحيرا : (ينظر من صومعته الى ركب مقبلين) هذا ركب تجار قريش عجبا ! ماذا أرى فيه قد تغير هذا العام ؟ ! كثيرا مايمرون بى فلا أرى ما ارى !

« ينهض اليه خادمه نسطاس »

نسطاس : ماذا ترى ؟

بحيرا : أنظر تلك الغمامة التى فوق القوم ! -

نسطاس : (ينظر) نعم ، انها تظل غلاما بين القوم !
بحيرا : هذه الغمامة لاتظل الا نبيا .
نسطاس : نبيا ؟ ! اترى هو الذى حدثتنى عنه ؟
بحيرا : اكبر ظنى . لقد آن أوانه .
نسطاس : (ينظر) هذا الغلام ...
بحيرا : فلنتبين الامر يا نسطاس ، اصنع طعاما للقوم .
نسطاس : (يسرع الى ما أمر به) نعم .
بحيرا : (ينادى) يامعشر قريش ! انى قد صنعت لكم طعاما ، واحب ان تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، عبدكم وحركم .
ابو طالب : (من بين القوم) والله يا بحيرا ان لك لشأنا اليوم ! ماكنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟
بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم .

« يجتمعون اليه ويتخلف الغلام محمد »

ابو طالب : (لبحيرا الذى ينظر فى القوم باحثا) مالك تنظر فى القوم ، عمن تبحث يابحيرا ؟
بحيرا : يامعشر قريش ! لايتخلفن أحد منكم عن طعامى
الجميع : يابحيرا ماتخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلاما ، هو أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم
بحيرا : لا تفعلوا . ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .
رجل من قريش : واللات والعزى انه للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا

« يقوم اليه فيحتضنه ويجلسه مع القوم »

بحيرا : (يلحظ محمدا لحظا سديدا) أدن منى ، أحدثك .

« ثم يقوم وينتحي به ناحية بعيدا عن القوم »

بحيرا : (لمحمد همســـا) ياغلام ، أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

محمد * : لاتسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ماأبغضت شيئا قط بغضهما .

بحيرا : فبالله اذا ، الا ما اخبرتنى عما أسألك عنه .

محمد : سلنى عما بدالك .

بحيرا : اتحب العزلة ؟

محمد : نعم .

بحيرا : اتتأمل فى السماء والنجوم ؟

محمد : نعم .

بحيرا : أتلعب مع الغلمان كما يلعبون ؟

محمد : كلا .

بحيرا : اترى فى نومك رؤى تصدق فى يقظتك ؟

محمد : نعم .

بحيرا : (يقبل على أبى طالب صائحا) يا أبا طالب ! يا أبا طالب !..

أبو طالب : (فى دهشة) ماشأنك يابحيرا ؟

بحيرا : (مشيرا الى محمد) خبرنى ، ماهذا الغلام منك؟

أبو طالب : ابنى .

---

* يلاحظ أن الكلام الذى يجرى على لسان النبى فى هذا الكتاب هو كلام تاريخى وردت نصوصه فى كتب معتمدة هى على سبيل الحصر : سيرة ابن هشام وتفسيرها للسهيلى ، وطبقــات ابن سعد ، والاصابة لابن حجــر واسد الغابة لابن الاثير ، وتاريخ الطبرى ، وصحيح البخارى ، وتيســـير الوصول ، والشمائل للترمذى ، وكذلك الوقائع الواردة فى هذا الكتاب كلها صحيحة مروية فى الكتب السابق ذكرها ، على أن ترتيب هذه الوقائع وتنسيقها لم يتبع فيه النظام الزمنى المعروف فى كتب التاريخ ، لما هو مفهوم من ان هذا الكتاب ليس عملا تاريخيا ولا علميا وانما هو عمل فنى

بحيرا : ماهو بابنك . وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا .

ابو طالب : انه ابن أخى .

بحيرا : وما فعل ابوه ؟

ابو طالب : مات وامه حبلى به .

بحيرا : (فى شبه همس) صدقت . ارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه يهود . فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شرا. فانه سيكون لابن أخيك هذا شأنعظيم. نجده فى كتبنا وما روينا عن آبائنا .

أبو طالب : (متعجبا) شأن عظيم . لابن اخى هذا ! ؟

بحيرا : نعم . أن وجهه وجه نبى وعينه عين نبى .

ابو طالب : نبى ؟ وما النبى ؟

بحيرا : هو الذى يوحى اليه من السماء ، فينبىء به اهل الارض .

المنظر الخامس

« قبائل قريش مجتمعة عند الكعبة ،
اعرابى وراع يرعى غنمه على مقربة منهم»

الاعرابى : (مشيرا الى المجتمعين) من هؤلاء ؟

الراعى : تلك قبائل قريش يختصمون .

الاعرابى : فيم يختصمون ؟

الراعى : فى بناء الكعبة . كل قبيلة تريد أن تضع حجر الركن دون الاخرى

الاعرابى : ارى واللات انهم يتحاورون ويتحالفون ويعدون للقتال

الراعي : أجل ، مررت بهم الساعة أسوق غنمي فوجدت بني عبد الدار قد قربت جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وادخلوا أيديهم فى ذلك الدم .

الاعرابى : (يسرع بالانصراف) هلم بنا ، قبل أن يستفحل الخطب .

(ابو امية بن المغيرة ينهض فى قريش)

ابو امية : يامعشر قريش ، احقنوا دماءكم واجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه .

قريش : رضينا .

أبو أمية : (يلتفت) يرى غلاما داخلا ...

قريش : (صائحين) هذا الامين ! هذا محمد !

أبو أمية : أترضون حكمه ؟

قريش : نعم ...

أبو أمية : (صائحا) يامحمد !.. تعلم أنا كنا قد اجمعنا رأينا على بنيان الكعبة ، وأن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم شيدناها حتى بلغ البنيان موضع الركن كما ترى ، فاختصمنا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الاخرى ، حتى كاد ينشب بيننا القتال وقد رأينا الآن أن نحتكم اليك فى أمره ، فاحكم بيننا بما ترى .

محمد : هلم الى ثوبا .

أبو أمية : ايتوه بثوب

« يحضرون ثوبا فيتناوله محمد ويفرشه على الارض ويأخذ حجر الركن فيضعه فيه بيده »

محمد : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب . ثم ارفعوه جميعا .

ابو امية : (معجبا فرحا) مرحى ! مرحى !

« يمر بهم شيخ غريب »

الشـــيخ : (صائحا بهم) يامعشر قريش ! أرضيتم ان يضع هذا الركن وهو شرفكم ، غلام يتيم دون ذوى أسنانكم؟ !

ابو امية : (فى غضب) من هذا الرجل ؟

قريش : هذا شيخ من نجد .

ابو أمية : بل انه الشـــيطان ... أغرب أيها الرجل ، لاشأن لك بما نحن فيه . ان هذا الغلام اليتيم لخليق أن يجمع رأى العرب يوما وان يوحد الناس ...

المنظر السادس

« فى دار ابى طالب »

ابو طالب : (لمحمد) يا ابن اخ ! انا رجل لامال لى وقد اشتد الزمان علينا ، وهذه عير قومك وقد حضر خروجها الى الشام ! وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى مالها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت اليك .

محمد : ما أحببت .

ابو طالب : (ينظر الى الباب) ها هو ذا غلامها ميسرة .

ميسرة : (يدخل) مولاتى قد أرسلتنى الى محمد الامين تعرض عليه الخروج فى تجارتها الى الشام وتعطيه ضعف ما تعطى رجلا من قومه .

أبو طالب : (لميسرة) وما حملها على ذاك ؟ !

ميسرة : قد سمعت بأمانته وحسن خلقه .

أبو طالب : (يلتفت الى محمد فرحا) يامحمد ! هذا رزق قد ساقه الله اليك .

المنظر السابع

« فى دار خديجة بنت خويلد وهى
مع نفيســة بنت منيــه وميسرة »

ميسرة : (لخديجة) لقد ربحت تجارتك يامولاتى ضعف ما كانت تربح .

نفيسة : انه الامين . أو لم يدعوه بالامين !

ميسرة : بل انه النبى .

خديجة : نبى ؟ !

ميسرة : نعم لقد باع سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح ، فقال له : احلف باللات والعزى فقال محمد : ماحلفت بهما قط وانى لأمر فأعرض عنهما ، فقال الرجل : القول قولك ، ثم همس لى : هذا والله نبى تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم .

خديجة : (كالمخاطبة لنفسها) نبى ! نعم . تحس نفسى ذلك ...

نفيسة : (لخديجة) ماذا بك ؟ !

خديجة : (متفكرة) يانفيسة ...

نفيسة : لبيك !

خديجة : انطلقى الى محمد فاذكرينى له ...

نفيسة : (فى عجب) أنت ؟ ! انك أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا . ان كل قومك حريص على زواجك لو قدر على ذلك . وقد طلبك أكابر قريش وبذلوا لك الاموال فلم تفعلى .

خديجة : انطلقى الى محمد فاذكرينى له !

المنظر الثامن

((عند محمد))

نفيسة : (لمحمد) يامحمد ! مايمنعك أن تتزوج ؟

محمد : مابيدى ما اتزوج به .

نفيسة : فان كفيت ذلك ودعيت الى الجمـــال والمــــال والشرف . ألا تجيب ؟

محمد : فمن هى ؟

نفيسة : خديجة .

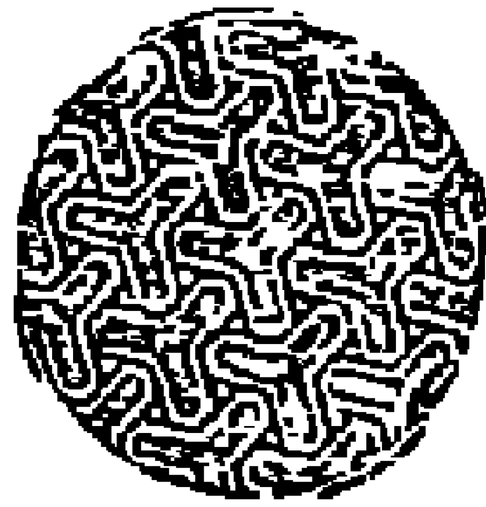
محمد : (فى دهش) خديجة ؟ بنت خويلد ؟ !

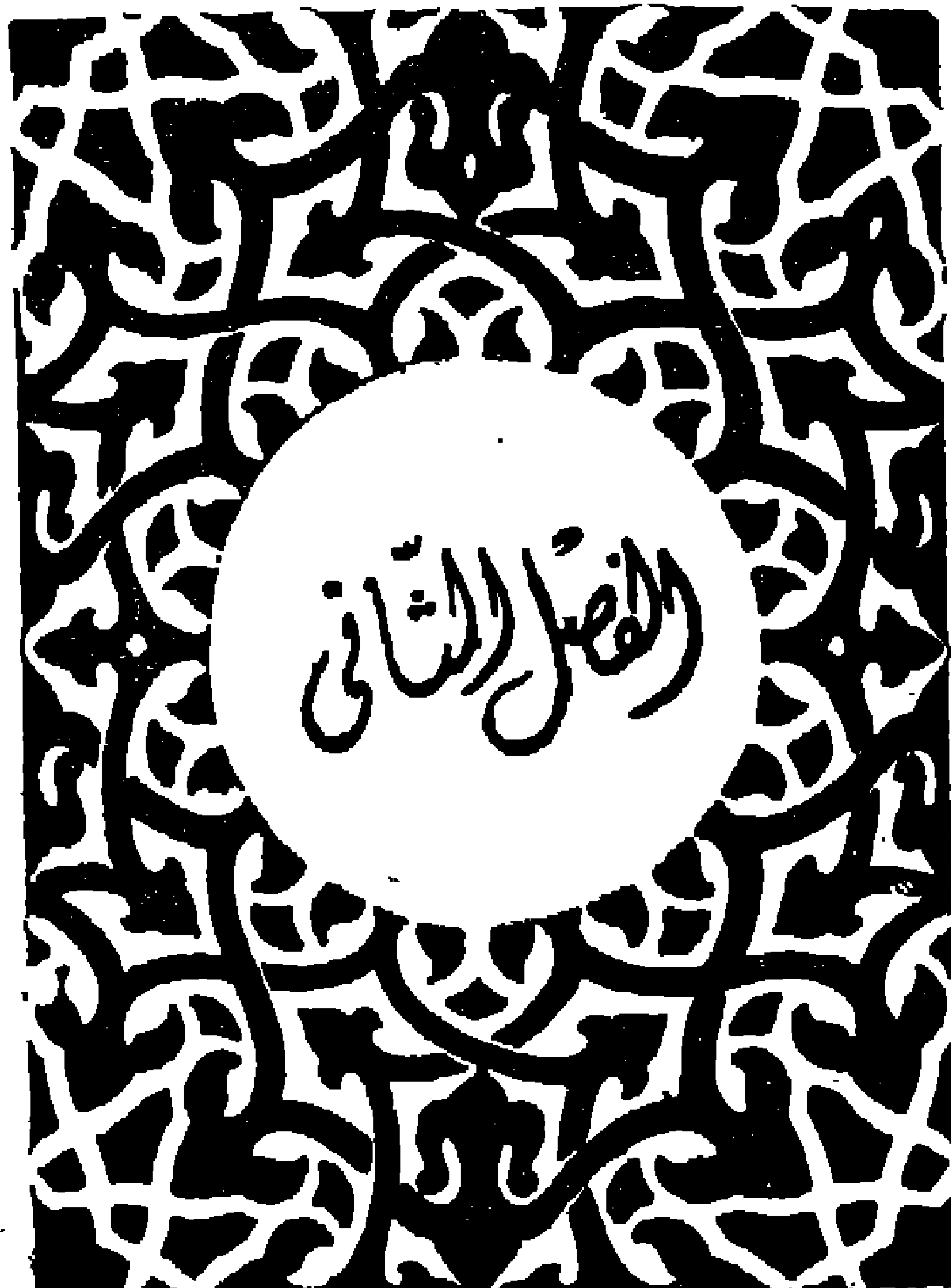
نفيسة : نعم

محمد : (فرحا) وكيف لى بذلك ؟

نفيسة : (فى ابتسامة) على !

محمد : (فى فرح وبلا تردد) فأنا أفعل .




الفصل الثاني



المنظر الاول

« غار حراء ـ راعيان يرعيان
الغنم على مقربة من الغـار »

الراعى الاول : (لصاحبه مشيرا الى الغار) اترى هــذا الغار ؟

الراعى الثانى : (ينظر الى حراء) نعم .

الراعى الاول : لقد أبصرته كثيرا يخلو به فيتعبد فيه .

الراعى الثانى : وحده ؟

الراعى الاول : نعم وحده .

الراعى الثانى : (يلتفت الى بطن الوادى) أنظر !

الراعى الاول : ماذا ؟

الراعى الثانى : انه مقبل .

الراعى الاول : (ينظر مليا) نعم ، انه متجه الى الغار .

الراعى الثانى : ان معه زاده .

الراعى الاول : نعم ، انه يتزود لذلك .

الراعى الثانى : اختبىء كى لايبصرنا .

« يختفيان فى الوادى »

« محمد يسير الى الغار فى صمت ويضع
زاده بمدخله ثم يســـــجد طـــويلا »

محمد : (ناظرا الى السماء) الم يأن لى ان ارى وجهك الذى اشرقت له الظلمات ؟
الراعى الاول : (لصاحبه فى همس) أرأيت ؟
الراعى الثانى : نعم .
الراعى الاول : انه يلبث كذلك متحنثا لليالى الطوال .
الراعى الثانى : الا ينام ؟
الراعى الاول : لعله ينام وهو فى موضعه هذا
الراعى الثانى : ان فعله ينفذ الى قلبى .
الراعى الاول : هلم بنا (يذهبان)
محمد : يارب هذا الكون ! ياخالق هذه السموات ! ياخالق الشمس والقمر والنجوم ! ياخالق هذه الارض وهذه الجبال ! ياربى وخالقى وخالق الكائنات ! اريد وجهك ، أريد وجهك !

« يرى ضوءا غريبا ويسمع صوتا عجيبا ويهبط عليه الوحى »

الوحى : يامحمد !
محمد : (يعتريه ذعر) من هذا ؟ !
الوحى : يا محمد انا جبريل
محمد : ماذا أسمع ! ماذا أسمع ؟ !
جبريل : أنا جبريل يامحمد
محمد : جبريل ! ؟
جبريل : (يدنى منه كتابا فى نمط من ديباج ..) اقرأ .
محمد : (يأخذه رعب) ما أقرأ .
جبريل : (يغته بالكتاب) اقرأ !
محمد : (وقد بلغ منه الجهد) ما أقرأ .
جبريل : (يغته) اقرأ !
محمد : ماذا أقرأ ؟
جبريل : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسانما لم يعلم ..

المنظر الثانى

« فى دار محمد ، خديجة بقرب الباب ،
محمد يدخل على خديجة وبه روع شديد »

خديجة : (تستقبله) أين كنت ؟ لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى .

محمد : (مرتعدا) زملونى ! زملونى !

خديجة : (فى خوف) ماذا بك ؟ !

محمد : (مرتعدا) زملونى ! زملونى !

خديجة : (صائحة فى الدار) الدثار ، أسرعوا بالدثار !

محمد : (يجلس) زملونى !

« تاتى جارية بدثار فتتناوله خديجة على عجل »

خديجة : (وهى تدثر محمدا فى قلق وارتياع) رحمة بى خبرنى بأمرك !

محمد : (كالمخاطب لنفسه) ملك من السماء !

خديجة : رحمة وغفرانا . ماذا أسمع ؟ ماذا تقول ؟

محمد : انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يامحمد، يامحمد ، فأنطلق هاربا فى الارض . واليوم ...

خديجة : (فى قلق) واليوم ؟

محمد : ملكا من السماء ! رأيت اليوم ملكا هبط على وكلمنى وسمعت صوته .

خديجة : (تصغى اليه مليا) ملكا ؟ !

محمد : (كالمخاطب لنفسه) قال لى يا محمد ، أنا جبريل واقرأنى من كتاب معه فى نمط من ديباج .

خديجة : جبريل ؟ ! (تطرق متعجبة مفكرة)

محمد : (كالمخاطب لنفسه) لقد خشيت على نفسى .

خديجة : (ترفع رأسها) كلا والله مايخزيك الله أبدا .

محمد : ياخديجة . والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان .
خديجة : هون عليك !
محمد : (كالمخاطب لنفسه) انى أرى ضوءا واسمع صوتا. وانى لأخشى أن اكون كاهنا .
خديجة : كلا يا ابن عم . لاتقل ذلك ان الله لايفعل ذلك بك ابداً أنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الامانة. وان خلقك لـكريم .
محمد : أن بى خشية مما حدث لى .
خديجة : هلم الى ابن عمى ورقة تقص عليـه ماراايت وسمعت فهو نصرانى قد قرأ الـكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل

المنظر الثالث

« عند ورقة بن نوفل وهو شيخ كبير اعمى »
« محمد وخديجة بين يديه »

خديجة : (لورقة وقد فرغ محمد من حديثه ..) أسمعت من ابن أخيك ؟
ورقة : (مطرقا مفكرا) نعم .
خديجة : وماذا ترى ؟
ورقة : (يرفع رأسه فى قوة) قدوس ، قدوس ! والذى نفس ورقة بيده ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى
(يلتفت صوب محمد) ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك .
محمد : (فى عجب) او مخرجى هم ؟
ورقة : لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى . وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا .

المنظر الرابع

« محمد وخديجة فى دارهما »

خديجة : (لمحمد) يا ابن عم . اتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك اذا جاءك ؟

محمد : نعم .

خديجة : فاذا جاءك فأخبرنى به .

« يرى الضوء ويسمع الصوت فيصيح »

محمد : ياخديجة ! هاهو ذا ! هاهو ذا !

خديجة : جبريل ؟

محمد : (يهبط عليه الوحى فيضطرب ويتغير صوته ..) نعم . جبريل قد جاءنى (فى همس واضطراب) انه أمامى الآن ...

خديجة : (فى شبه همس) قم يا ابن عم ، فاجلس على فخذى اليسرى !

« يجلس كما قالت »

محمد : (همسا) لماذا ؟

خديجة : (هامسة) ستعلم . هل تراه ؟

محمد : (ينظر الى جبريل) نعم .

خديجة : تحول فاجلس على فخذى اليمنى !

« يفعل كما قالت »

محمد : (همسا) قد فعلت .

خديجة : هل تراه ؟

محمد : (ينظر الى جبريل) نعم .

خديجة : تحول واجلس فى حجرى !

محمد : (مترددا) فى حجرك ؟ !

خديجة : افعل ، هل تراه ؟

محمد : (يجلس ثم ينظر الى جبريل) نعم .
خديجة : (تتحسر وتلقى خمارها) هل تراه الآن ؟
محمد : (ينظر فلا يرى جبريل) لا .
خديجة : (صائحة فى فرح) يا ابن عم . اثبت وابشر . فوالله انه لملك وما هو بشيطان . اذ لو كان شيطانا لما استحيا .

« محمد ينهض من جوار خديجة وتعود هي الى خمارها فيبدو جبريل من جديد ويدنو من محمد فيرتعد ويتصبب جبينه عرقا »

محمد : (مرتجف الصوت) خديجة !..
خديجة : (تراه فتهرع اليه) مالك يا ابن عم ؟
محمد : انى ....
خديجة : (فى قلق وخوف) مالك ترتعد وما لجبينك يتفصد عرقا ؟!
محمد : دثرونى ! دثرونى !
خديجة : (تدثره سريعا وتهمس) هون عليك !
جبريل : (لمحمد ولا يسمعه غير محمد) يا أيها المدثر : قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر !

المنظر الخامس

« فى شعاب مكة ، محمد يصل ومعه صبى صغير هو ابن عمه على بن ابى طالب ــ الراعيان يبصرانهما عن كثب »

الراعى الاول : (لصاحبه) لقد كان يتعبد وحده فتبعه اليوم آخر .
الراعى الثانى : هذا الذى يتبعه صبى حديث السن .
الراعى الاول : يخيل الى أن هذا الصبى قد خرج معه مستخفيا من أهله .
الراعى الثانى : (يلتفت) انظر ؟

الراعى الاول : (ينظر الى حيث اشار صاحبه) هـــذا ابو طالب .
الراعى الثانى : كأنه يبحث عن شيء ؟
الراعى الاول : لقد اتجه صوب المتعبدين .

« ابوطالب يعثر بمحمد وعلى وهما يصليان فيتأملهما لحظـــة فى صـــــمت »

ابو طالب : (يدنو منهما) يامحمد ! ماتصنع هنا ؟
محمد : (وقد فوجيء) أى عم . انى ....
ابو طالب : انك تصلى وتتعبد .
محمد : نعم ياعم .
ابو طالب : خبرنى يا ابن أخى . ماهذا الدين الذى أراك تدين به ؟
محمـــد : أى عم . هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين ابينا ابراهيم ، بعثنى الله به رسولا الى العباد، وانت أى عم أحق من بذلت له النصـــيحة ، ودعوته الى الهدى ، واحق من اجابنى اليه ، واعاننى عليه .
ابو طالب : انا ؟ !
محمد : نعم .
ابو طالب : يا ابن أخى انى لا استطيـــع أن أفارق دين آبائى وماكانوا عليه . ولكن والله لايخلص اليك شيء تكرهه مابقيت .
على : (يتقدم الى ابيه) ابتاه ...
ابو طالب : (يلتفت الى على) وانت يابنى ! ماهذا الدين الذى انت عليه ؟
على : يا ابت ! آمنت بالله ، وبرسول الله ، وصدقته بما جاء به ، وصليت معه لله ، واتبعته .
أبو طالب : (متعجبا) انت أيضا ؟ !
على : نعم يا ابت .

ابو طالب : (يتفكر قليلا) أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه .

المنظر السادس

« عند ابى بكر ـ وقد جلس اليه عثمان بن عفان »

ابو بكر : (لعثمان) والله ياعثمان ، مادعانى محمـــد الى دينه حتى أجبت ، ما نظرت فيه وما ترددت .
عثمان : انك يا أبا بكر رجل صادق . وانا لنحبك ونألفك لعلمك وخلقك ولا أحب الى نفسى من أن اتبع الدين الذى اتبعت .
ابو بكر : انه دين الحق .
عثمان : ان الامين لم يكذب قط .
ابو بكر : نعم ان محمدا لم يكذب قط .
عثمان : ان ماجاء به وما قصصت على قد أضاء قلبى بنور كأنه نور الضحى .
ابو بكر : نعم ، انه النور الذى يهدى السبيل ، لقد دخل دارى فأضاء قلوب أهله الصالحين جميعهم حتى غلامى بلال .
عثمان : اللهم انى على هذا الدين !
ابو بكر : (ينهض به مغتبطا) قم بنا الى محمد .

المنظر السابع

« محمد على جبل الصفا بين يدى جبريل »

جبريل : ... انذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . وقل انى أنا النذير المبين . فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين .

« يرتفع عنه الوحى »

محمد : (كالمخاطب لنفسه) سأصدع بما أمرت ، سأصدع بما أمرت . (ينهض)

« يمر به اعرابي »

الاعرابى : ياهذا ، مايبقيك ها هنا وحدك بعيـــدا عن القوم ؟ !

محمد : (لايجيب ويتجه الى الناس مناديا) يامعشر قريش!

قريش : (بعضها لبعض فى صياح) محمد على الصـــفا يهتف !

« يقبلون ويجتمعون اليه وفى مقدمتهم عمه ابو لهب »

ابو لهب : مالك يامحمد ؟

محمد : ادنو منى أكلمكم .

قريش : تكلم !

محمد : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبـــل أكنتم تصدقونى ؟

قريش : نعم ، أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط

محمد : اذن فاسمعوا

قريش : قل .

محمد : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . يابنى عبد المطلب يابنى عبد مناف ، يابني زهرة ، يابنى تميم ، يابنى مخزوم ، يابنى أسد ... أن الله أمرنى أن أنذر عشـــيرتى الاقربين ، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا : لا اله الا الله .

أبو لهب : تبا لك سائر هذا اليوم . ألهذا جمعتنا ؟

الناس : (ساخرين) ألهذا جمعتنا ؟ !

أبو لهب : تفرقوا أيها الناس عن هذا المجنون الضال .

محمد : ما أعلم انسانا فى العرب جاء قومه بأفضـــل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى ربى

أن ادعوكم اليه . فأيكم يؤازرني على هـذا الامر وأن يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

قريش : (تبتعد عنه ساخرة) لا أحد ، لا أحد !

اعرابي : نعم ، لا أحد يؤازرك على هذا حتى ولاكلب الحي !

علي : (يتقدم ويصيح بصوته الصغير) أنا يارسول الله عونك ! أنا حرب على من حاربت !

اعرابي : (مشيرا الى علي) أهذا كل جيشك يامحمد ؟ !

« يضحك ويضحك معه الناس »

ابو لهب : (للصبي علي) تبا لك ولمن أتبعت !..

الاعرابي : دع الصبي فهو لايفقه مايصنع .

أبو لهب : تبا لهما من ضالين !

« تنصرف قريش مستهزئة بمحمد وبالصبي علي »
« محمد يقف لحظة مطرقا مدحورا
والى جانبه علي دمع العينـين »

محمد : (يرفع راسه ويتلو في غيظ) تبت يدا أبي لهب وتب ! ما أغنى عنه ماله وماكسب ، سيصلى نارا ذات لهب

المنظر الثامن

« رجال من اشراف قريش مجتمعون في الكعبة وهم
ابو جهل وابو سـفيان وامية بن خلف وغيرهم »

أبو جهل : اسمعتم بخبر هذا الدين الذي جاء به هـذا الرجل ؟

امية : (يشير الى أصـنام الكعبة) محمدا ؟ انه يبغض آلهتنا هؤلاء .

أبو سفيان : ولقد اتبعه بعض القوم . وانهم ليستخفون بصلاتهم في شعاب مكة .

أبو جهل : لقد علمت أن محمدا قد اتبعه أبو بكر وعثمان ابن عفان وسـعد بن أبى وقاص وآخرون ، وان سـعدا استخفى البارحة فى نفر من أصحاب محمد فى شعب من شعاب مكة ، فظهر عليهم نفر من قومنـا وهم يصلون . فناكروهم وعابوا عليهم مايصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد رجـلا من قومنا بلحى بعير فشجه .

أبو سفيان : انها لفتنة يحدثها محمد .

أمية : بل هى بدعة يحدثها فى العرب بنو عبد مناف .

أبو سفيان : لعلهم يريدون أن يظهروا ، ويذهبوا بها فضلا على العرب كافة .

أبو جهل : (صائحا) هذا لن يكون . لقد تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء ! فمتى ندرك مثل هذه ؟ ! كلا ، واللات لانؤمن به أبدا . ولانصدقه

أمية : نعم ، واللات لانؤمن به أبدا

أبو سفيان : هلموا الى أبى طالب نكلمه فى أمر ابن أخيه ، قبل أن يستفحل الخطب

أبو جهل : نعم . هلموا بنا !

« ينهضون »

المنظر التاسع

« فى دار أبى طـالب ، وهو جالس مع
ابى جهل وابى سـفيان وامية الخ »

أبو جهل : يا أبا طالب ! ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا . وان ابن أخيك قد عاب ديننا ، فاما أن تكفه عنا ، واما ان

تخلي بيننا وبينه . فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيك أمره

أبو طالب : يابني قومي ! يعظم على فراقكم وعداوتكم . غير اني لا اطيب نفسا باسلام ابن أخي لكم ولا خذلانه

أبو سفيان : لي رأى ، اتسمع مني ؟

أبو طالب : قل يا أبا سفيان

أبو سفيان : ما دمت لاتريد خذلان ابن أخيك ، فهذا عمارة ابن الوليد أنهد فتى في قريش واجمله ، فخذه فلك عقـــله ونصره واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم الينا ابن اخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك ، فنقتله ، فانما هو رجل برجل

امية : نعم الرأى !

قريش : (كلهم في صوت واحد) نعم الرأى ! نعم الراى !

أبو طالب : والله لبئس ماتسومونني ! أتعطونني ابنـــكم أغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لايكون أبدا

أبو جهل : والله يا أبا طالب لقد انصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئا

أبو طالب : والله ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي ، فاصنع مابدا لك

أبو جهل : (في غضب) هلموا بنا ! هلموا !

« ينصرف معه جماعة قريش . ويبقى
ابو طالب مطـــرقا مفكرا محزونا »

محمد : (يقبل عليه) عماه مالك ؟

أبو طالب : (متغير الصوت) يا ابن اخي ! ان قومك قد جاءوني في امر هذا الدين الذي جئت به ، وأجمعوا على فراقي وعداوتي ، فابق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الامر ما لا أطيق

محمد : (فى قوة وعزم) ياعم ! والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ماتركته

« لا يتمالك فيستعبر باكيا »

ابو طالب : (يرق له) أتبكى ؟

« محمد يذهب منصرفا »

ابو طالب : (يناديه) اقبل يا ابن أخى !
محمد : (يقبل) أخاذلى أنت ؟
أبو طالب : (فى عزم وقوة) كلا ، اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا

المنظر العاشر

« محمد واقف على منازل قبائل بنى عامر فى موسم الحج »

محمد : يابنى عامر ! انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى ، حتى أبين عن الله مابعثنى به

« يأتى ابو لهب من خلفه »

أبو لهب : يابنى عامر ! ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وخلفاءكم من الجن الى ماجاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه !
غلام : (من بين الناس المستمعين يسأل أباه هامسا) من هذا الرجل يا أبت ؟
والد الغلام : (همسا) هذا فتى من قريش يزعم انه نبى
الغلام : ومن هذا الذى يتبعه ويرد عليه مايقول ؟

والد الغلام : هذا عمه عبد العزى أبو لهب

ابن فراس : (وهو أحد الناس يقول لمن معه معجبا بمحمد) ان هذا الفتى يريد أن يحدث حدثا فى العرب !

اعرابى : (فى اعجاب) نعم انه لفتى .. ! !

ابن فراس : نعم . أنظر الى عينيه وما يشع فيهما من عزم وقوة ؟ !

الاعرابى : انه يتكلم كلام المستوثق من أمره ، المؤمن بما يقول

ابن فراس : (كالمخاطب لنفسه ناظرا الى محمد) نعم والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب !

« يتقدم ابن فراس الى محمد »

الاعرابى : (لابن فراس) أين ؟ أتذهب اليه ؟

ابن فراس : (صائحا) يامحمد ! أرأيت أن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك ؟

محمد : (يلتفت الى ابن فراس) الامر الى الله يضعه حيث يشاء

ابن فراس : (فى غضب) حيث يشاء ! ؟ أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا ؟ كلا ... لاحاجة لنا بك . انصرفوا عنه أيها الناس

« ينصرف عن محمد مع الناس ويبقى محمد وحيدا حزينا »

المنظر الحادى عشر

« نفر من قريش فى حى من أحياء مكة، بينهم الوليد بن المغيرة وأبو لهب»

الوليد : يامعشر قريش ! انه قد حضر هذا الموسم.

وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا

أبو لهب : فأنت يا أبا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا نقل به

الوليد : بل أنتم فقولوا اسمع !

أبو لهب : نقول كاهن

الوليد : لا واللات ما هو بكاهن . لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولاسجعه

أبو لهب : نقول مجنون

الوليد : ماهو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه . ولا بتخالجه ولا وسوسته

أبو لهب : نقول شاعر

الوليد : ما هو بشاعر . لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر

أبو لهب : نقول ساحر

الوليد : ما هو بساحر . لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم

قريش : (صائحين فى حيرة) فما نقول يا أبا عبد شمس؟

الوليد : واللات ان لقوله لحلاوة ! وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل . وان أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وابيه وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته !

المنظر الثانى عشر

« اشراف قريش مجتمعون فى حجر الكعبة »

أبو سفيان : أو ينزل الوحي على هذا الرجل ، وأترك أنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمر وسيد ثقيف؟

أبو جهل : أو تصدق انه ينزل عليه وحى يا أبا سفيان ؟ انه لساحر فرق جماعتنا وسب آلهتنا

أبو سفيان : لو أن عمه أبا طالب أسلمه الينا ... لكنه لايريد أن يسلمه لشىء أبدا

عقبة بن أبى معيط : ان ذكره قد بلغ المدينة

أبو جهل : وغدا يبلغ ذكره بلاد العرب كلها

أمية بن خلف : أعلمتم أنه يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب يدعوهم الى دينه ؟

عقبة : نعم ، وانه ليزعم لهم أن بعد الموت بعثا وجنة يدخلها من تابعه . ونارا يصلى فيها من خالفه

أبو جهل : انك جالسته وسمعت منه ، لقد بلغنى ذلك ياعقبة . وان وجهى من وجهك حرام وان أنت جلست اليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل فى وجهه !

عقبة : سأتفل فى وجهه

أبو سفيان : (ينظر الى مدخل الكعبة) صه ! هو مقبل

أبو جهل : (ينظر) نعم ، وخلفه صاحبه أبو بكر

أمية : (ينهض) انتظروا حتى أغمزه ببعض القول

أبو جهل : افعل

أمية : (يلتقط من الارض عظما باليا قد أرفت ويعترض محمدا ...) يامحمد ! أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ؟ !

« ثم يفته بيده ثم ينفخه في وجه النبي ، فيمسح النبي عن وجهه ما اصابه، بينما تضحك قريش ضحكا عاليا »

أبو بكر : (فى حزن أصفر الوجه خافت الصوت) رحمتك اللهم !

محمد : (يلتفت الى أمية) نعم أنا أقول ذلك . يبعثه الله واياك بعد ماتكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار

امية : (يدنو من محمد) أتقول يبعثنى الله ربك بعد ما أكون هكذا ؟

محمد : نعم

امية : (يضحك ملء فيه) يبعثنى بعد ما أكون مثل هذه العظام التى أرمت ؟ !

محمد : (يتلو) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ...

امية : (متخبثا) يامحمد ! هلم فلنعبد ماتعبد وتعبد مانعبد . فنشترك نحن وأنت فى الامر ، فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه . وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ؟

محمد : (يتلو) قل يا أيها الكافرون ، لاأعبد ماتعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين

عقبة : (يدنو من النبى) نعم ، لنا ديننا وهو خير من دينك هذا

« ثم يتفل فى وجه النبى فلا يحرك النبى ساكنا ، ويصفر وجهه »

أبو بكر : (همسا وقد أخذته رعدة) اللهم عونك !

محمد : (يتلو) ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا

« ينصرف »

أبو جهل : (صائحا) انتركه بعد أن عاب آلهتنا ؟ !

عقبة : (فى نفر من قريش ينهضون الى النبى) يامحمد ! أنت الذى تقول أن الهك خير من آلهتنا ؟

محمد : (يلتفت اليه) نعم أنا الذى أقول ذلك
عقبة : (للرجال) لاتدعوه !

« عقبة ونفر من قريش يقومون الى محمد ويأخذ كل رجـــل منهم بمجمع ردائه »

أبو بكر : (صـائحـا مرتاعا) ماذا تريدون به ؟ ماذا تريدون به ؟
عقبة : (للرجال) اقتلوه !
أبو بكر : (يقوم دون النبى باكيـا) أتقتلون رجـلا يقول ربى الله ؟ !

« يفـــدى محمدا بنفسه ، فيمسكون به ويصـــدعون راسه ويجـــذبون لحيته »

أبو سفيان : (صائحا) دعوا محمدا ٠٠! دعوا محمدا !٠٠ هذا عمه حمزة متوشحا قوسه راجعا من قنصه

« الرجال يتركون محمدا وأبا بكر يذهبان لشأنهما »

أميـــة : (يلتفت) حمـزة أعز رجال قريش !٠٠ أين ؟ (يبصر حمزة مقبلا) نعم ٠ آنه اذا رجع من قنصه ، لايصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة
أبو جهل : انه ليس على دين ابن أخيه
عقبة : أو قد تبع هذا الفتى الضال الا السفهاء والغلمان !

« يقبل حمزة عم النبى متوشحا قوسه »

امرأة : (تعترض حمزة وتقول له همســا) يا أبا عمـارة
حمزة : مالك ؟
المرأة : (هامسـة) لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد من أبى الحكم وأصحابه !! رأوه هاهنا الساعة ، فآذوه وسـبوه وبلغوا منه مايكره ثم انصرف عنهم محمد ولم يكلمهم
حمزة : (فى عينيه الغضب) أفعلوا به هذا ٠ وأنا عمه ؟

« ثم يلتفت فيرى القوم فيتجه اليهم »

أمية : (همسا لأصحابه) انا حمزة مقبل نحونا

أبو جهل (فى شىء من الرهبة) أرى فى عينيه ...

أمية : نعم انه البأس ...

حمزة : (فى غضب لأبى جهل) ماذا لقى ابن اخى منك يا أبا الحكم ؟

أبو جهل : انك لغاضب ؟ !

حمزة : أتشتمه ؟ !

أبو جهل : وما يعنيك من أمره ؟

حمزة : (فى صيحة شديدة) مايعنينى من امره ! انا على دينه ، أقول مايقول ، فرد ذلك على ان استطعت !..

« ثم يرفع قوسه ويضرب بها ابا جهل فيشجه شجة منكرة »

عقبة : (صائحا) أيها الرجال ! قوموا اليه !.. قوموا اليه !..

« نفر من قريش يقومون لنصرة ابى جهل »

أبو جهل : (لأصحابه فى هدوء) دعوا أبا عمارة ! فأنا واللات قد سببنا ابن أخيه سبا قبيحا

المنظر الثالث عشر

« محمد جالس وحده فى المسجد واشراف قريش مجتمعون عن كثب يتهامسون »

قريش : ما الرأى فى محمد ، اهـ عمه أبا طالب يمنعه وينصره علينا ؟

عتبة بن ربيعة : أجل ، ولا قبل لنا بأبى طالب

أبو جهل : ما رأيت مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا

الرجل! انى لاخشي أن يتابعه بعض رؤوس القوم فيعز ويمتنع ويفشو امره فى القبائل

أبو سفيان : ما أحسبه يا أبا الحكم الا نائلا منا ان تركناه فيما هو فيه ، فلقد أسلم بالامس حمزة وهو أعز فتى فى قريش !

قريش : وما الرأى ؟

عتبة : (تبدو له فكرة) يامعشر قريش ، ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟

قريش : بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه

« يقوم عتبه الى محمد ويجلس اليه »

عتبة : (للنبى) يا ابن أخى . انك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم . فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها

محمد : قل يا أبا الوليد ، اسمع

عتبة : يا ابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وان كنت انما تريد به شرفا ، سودناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا وان كان هذا الوحى الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه

« يسكت عتبه وينظر الى النبى »

محمد : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

عتبة : نعم

محمد : فاستمع منى !

عتبة : افعل

محمد : (يتلو) بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيـــــا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا ، فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننـــا عاملون ، قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون

« عتبة ينصت ويلقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع »

محمـــد : (يمضى فى التلاوة) ان الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ، قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم اســـتوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا اتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ، فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون ، فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشـــد منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ، فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون ، وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون »

« يسجد »

« عتبة يطرق ماخوذا كانما على راسه طائر واقع »

محمد : (يرفع رأسه ويلتفت الى عتبة) قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت ، فأنت وذاك

عتبة : (كالمخاطب لنفسه وهو يقول الى أصحابه ٠٠٠) نعم ، نعم !

أبو جهل : (لقريش ناظرا الى عتبة مقبلا عليهم ٠٠٠) أحلف لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به

« عتبة ياتي ويجلس اليهم ساكتا »

أبو جهل : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

عتبة : (سابح الفكر) ورائى ٠٠٠

أبو جهل : تكلم !

عتبة : (فى صوت متغير) ورائى انى سمعت قولا ماسمعت مثله قط ، واللات ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ٠ يامعشر قريش ! أطيعونى واجعلوها بى ، وخلو بين هـذا الرجل وبين ماهو فيه

« قريش يعروها دهش ويصمت الجميع »

أبو جهل : (يتنبه ويرفع رأسه ملتفتا الى عتبة) سحرك واللات يا أبا الوليد بلسانه

عتبة : واللات ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ

قريش : أهذا رأيك فيه ؟!

عتبة : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم ٠٠٠ قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أكرمكم خلقا ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم كاذب وساحر ومجنون !

« النضر بن الحارث يتقدم »

النضر : بماذا جاءنا محمد ؟ واللات ما محمد بأحسن حديثا مني ، وماحديثه الا أساطير الاولين ، دعوني أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار وملوك فارس ، انها يا أبا الوليد خير من قوله الذى سمعت منه

« لا يأبه احد به ـ صمت »

أبو سفيان : (بعد لحظة) يامعشر قريش ! عندى راى

الجميع : ما هو يا أبا سفيان ؟

أبو سفيان : فلنبعث أحدنا الى احبار يهود بالمدينة يسألهم عن محمد وصفته ، فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء

المنظر الرابع عشر

« فى المدينة : عقبه بن ابى معيط
والنضر بن الحارث بين احبار اليهود »

النضر : (لحبر كبير بين الاحبار) انكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ؟

الحبر : سلوه عن شىء . فان أخبركم به فهو نبى مرسل

النضر : ماهو ؟

الحبر : سلوه عن الروح ماهى

عقبة : فان أخبرنا بذلك ؟

الحبر : فاتبعوه فانه نبى

النضر : وان لم يفعل ؟

الحبر : فهو رجل متقول ، فاصنعوا فى امره مابدا لكم

المنظر الخامس عشر

« في مكة : قريش مجتمعة فى حى من
احيائها ، يقبـل النضر وعقبـة »

النضر : يامعشر قريش ! قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد

أبو سفيان : (من بين القوم) ماذا ؟

النضر : قد اخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن شيء أمرونا به ، فان أخبركم عنه فهو نبى ، وأن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رايكم

أبو جهل : (يلتفت) ها هو ذا محمد فى طريقه الى الكعبة !

« محمد يقبل ماشيا فى سكون »

أبو سفيان : (صائحا) يامحمد !

محمد : (يلتفت) ماتريد ؟

أبو سفيان : (ينهض ويعترض النبى) ان كنت نبيا مرسلا فأخبرنا عما نسألك عنه !

محمد : (ينظر اليه فى صمت) ؟

أبو سفيان : (للنضر وعقبة) سلاه عما أخبرتما به !

النضر : (يتقدم الى النبى) يامحمد ! أخبرنا عن الروح ما هى ؟

محمد : الروح ؟ !

النضر : نعم ...

محمد : (كالمخاطب لنفسه) الروح ؟ !

النضر وعقبة : (معا) نعم ، نعم ، الروح

محمد : أخبركم بما سألتم عنه غدا

« ثم يتركهم ويسير فى سبيله مطرقا مفكرا »

المنظر السادس عشر

« فى شعاب مكة : النبى ساجد عند غار حراء ـ الراعيان ينظران اليه عن كثب »

الراعى الاول : (همسا لصاحبه) انه يأتى كل يوم فيسجد ويرفع يديه الى السماء ، كأنما هو يستنجد ويستعين ، أكبر ظنى أنه فى بلاء عظيم ؟

الراعى الثانى : أرى فى وجهه حقا أنه محزون وأنه فى بلاء

« ينصرفان ـ ويقبل ابو بكر وخلفه بلال »

بلال : (همسا لمولاه أبى بكر) لقد أرجف أهل مكة وقالوا : « وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد اصبحنا منها ولايخبرنا بشىء » !

أبو بكر : (فى قلق) قل لهم يا بلال أن اصبروا ، ان محمدا لابد موف وعده

بلال : لقد سمعت بعض الناس يزعم أن الوحى انقطع عن النبى ، وأن ربه قد نسيه

أبو بكر : (فى حزن وهو ينظر الى النبى الساجد عند الغار) ان الله لاينسى نبيه

بلال : (فى حرارة ناظرا الى النبى) اللهم رحمتك !

أبو بكر : (كالمخاطب لنفسه) اللهم خفف عنه ! انه ليشق عليه مايتكلم به أهل مكة

« ينصرف مع بلال »

محمد : (وحيدا فى بلاء يستعين ربه) اى رب ! اليك أشكو بلائى . أى رب ابعث الى وحيك ابعث الى وحيك ! لقد سألونى عن الروح ولا أعلم بم أجيب . أى رب ، أنسيتنى ؟ اللهم انى لفى بلاء ! اللهم انى لفى بلاء

« يسمع صوتا فيرفع راسه فيرى جبريل فيمتلىء قلبـــه فرحا ويصيح : جبريل ! جبريل ! »

: جبريل ! جبريل !

جبريل : محمد !

محمد : جبريل ! لقد احتبستعنى ياجبريل ، حتىسؤت ظنا

جبريل : وما نتنزل الا بأمر ربك ، له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نســـيا ... ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ، واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى ان يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا.. ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ...

المنظر السابع عشر

« بعد غروب الشمس : اشراف قريش عند ظهر الكعبة »

أبو سفيان : أسمعتم ما أجاب به محمد ! « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ... »

امية : نعم ، وهو يزعم أن ربه انزل عليه جبريل بهذا ..

أبو جهل : واللات هذا القول ما هو بالجواب عما سألناه ، الا ترون انه قد عجز ؟

عتبة : يا أبا الحكم ! أتسمع منى ؟

أبو جهل : قل يا ابا الوليد !

عتبة : والله ماهو بعاجز ، وما كذبكم فى هذا شيئا ، ان الروح لايمكن ان تكون من أمر بشر . لقد أصدقكم ، وماكان عليه لو انه نبى كاذب أن يقول لكم فى أمرها قولا أو يصف لكم وصفا يسكتكم به ؟ !

ابو جهل : قلت لك يا أبا الوليد انه قد سحرك !

أبو سفيان : يا أبا الوليد ! ان وجهى من وجهك حرام ، ان أنت قلت أمامه الساعة مثل هذا الكلام !

امية بن خلف : أو قد بعثتم اليه ؟

ابو سفيان : نعم ، قد بعثنا اليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك

امية بن خلف : أجل ، ابعثوا اليه فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه

أبوجهل : لن يستطيع اليوم أن يسحرنا بحديثه كما سحر أبا الوليد

ابو سفيان : (ينظر) انه مقبل سريعا

أمية : (ينظر) أرى فى وجهه المستبشر انه يظن أن قد بدا لنا فيه بداء

« محمد يحضر ويجلس اليهم مستبشرا طامعا فى اسلامهم »

ابو سفيان : (لأبى جهل) كلمه أنت يا أبا الحكم

أبو جهل : (لمحمد) يا محمد ! انا قد بعثنا اليك لنكلمك ، وانا واللات ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما ادخلت على قومك فان كنت انما جئت بهذا الحدث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك

« يسكت وينظر الى النبى »

محمـــد : ما بى ما تقولون : ماجئت بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا ، وأمرنى ان أكون لكم بشـــيرا

ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش : (تتهامس) انه غير قابل

ابو جهل : يامحمد ! ان كنت غير قابل شيئا مما عرضناه عليك فانك تعلم انه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا اقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا . وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا فنسألهم عما تقول أحق هو ام باطل؟ فان صدقوك وصنعت ماسألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول

محمد : ما بهذا بعثت اليكم ، انما جئتكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش : (تتهامس) انه غير فاعل

ابو جهل : فاذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك

ابو سفيان : وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة ، يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه

امية : نعم ، فليجعل لك قصورا وكنوزا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم !

محمد : ما انا بفاعل ، وما انا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت اليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا ، فان تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم

قريش : (تتهامس) فليرنا ما يتوعد

أبو جهل : نعم ، ارنا ما تتوعد ! أسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ، فان ربك ان شاء فعل ، فانا لانؤمن لك الا أن تفعل

محمد : ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل

أبو سفيان : (يامحمد) ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ماتراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذا لم نقبل منك ماجئتنا به ؟

أبو جهل : يا محمد ، انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا الذى جئت به رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا واللات لانؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا اليك ، وانا واللات لانتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا

امية : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله

أبو سفيان : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا

« محمد يقوم عنهم يائسا ويقوم خلفه عبد الله بن ابى امية »

عبد الله : يا محمد ، عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك عن الروح ما هى فلم تأت بجواب مفيد ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك مايعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ماتخوفهم به من العذاب فلم تفعل، فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى بصك معك اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول . وايم الله ان لو فعلت ذلك ماظننت انى أصدقك

« محمد ينصرف حزينا آسفا »

أبو جهل : يامعشر قريش ، ان محمدا قد أبى الا ماترون

من عيب ديننا وشتم آلهتنا ، وانى أعاهد اللات لاجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله . فاذا سجد فى صلاته فضخت به راسه فاسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصـــنع بعد ذلك بنو عبد مناف مابدا لهم

الجميع : واللات لانسلمك لشيء أبدا ، فامض لما تريد !

المنظر الثامن عشر

« أبو طالب وقد حضره الموت »

أبو طالب : شربة ماء !

« اخوه العباس على راسه يسقيه »

أبو طالب : (يلتفت) من هذا ؟

العباس : اين ؟

« ابو طالب يشير الى الباب »

العباس : (يتوجه الى الباب ينظر ثم يعود) هو آبوجهل فى رجال من أشراف قومه ، وما أحسبهم الا يمشون اليه فى أمر محمد ابن أخيك

أبو طالب : أدخلهم على

العباس : (يدخلهم ويهمس بهم) رويدا ! ترفقوا به !

أبو جهل : (يدنو من الفراش) يا أبا طالب ، انك منـــا حيث قد علمت ، وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ، ليكف عنا وتكف عنه ، وليدعنا ودِيننا وندعه ودينه

أبو طالب : (للعباس فى صوت ضعيف) محمد !

العباس : (يلتفت الى الباب) هو مقبل !

« يدخل محمد »

أبو طالب : (لمحمد) يا ابن اخى ، هؤلاء أشراف قومك

قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك
محمد : نعم ياعم ، كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
أبو جهل : نعم وأبيك عشر كلمات
محمد : تقولون ، لا اله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه !

« يصفق القوم بايديهم استنكارا »

أبو جهل : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان أمرك لعجب !
أبو سفيان : (نافد الصبر يتهيأ للانصراف مع بعض القوم) والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم
العاص بن وائل : نعم ، دعوه ... فانما هو رجل أبتر لاعقب له ، لو قد مات انقطع ذكره واسترحتم منه

« يتفرجون ويخرجون »

أبو طالب : (للنبى بعد خروج قريش) والله يا ابن اخى مارايتك سألتهم شططا
محمد : (ناظرا اليه طامعا فى اسلامه) أى عم ، فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة
أبو طالب : يا ابن اخى ، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ، لا أقولها الا لأسرك بها ...

« يقترب منه الموت »

العباس : أخى ...
أبو طالب : (فى صوت ضعيف جامد النظرات) من هذا ؟
العباس : اين ؟

« ابو طالب يغمض عينيه ويحرك شفتيه »

العباس : (ينحنى عليه ، ويصغى اليه بأذنه ثم يهمس لمحمد ...) يا ابن أخى ، والله لقد قال أخى الـكلمة إلتى أمرته أن يقولها

محمد : (بلا حراك) لم اسمع

المنظر التاسع عشر

« بيت النبى فى مكة »

بلال : (يدخل باكيا) واحزناه واضيعتاه !..

جارية : ويحك يابلال . مابك ؟

بلال : قاتلهم الله !

الجارية : مايبكيك يابلال ؟

بلال : قاتلهم الله !

الجارية : من هم ؟

بلال أ اغروا احد سفهائهم فاعترض رسول الله وحثا على رأسه التراب !

الجارية : التراب ؟

بلال : نعم

الجارية : قريش ؟

بلال : نعم قريش صنعت هذا

الجارية : نعم اليوم ؟

بلال : وا حزناه عليك يا أبا طالب . من ذا يمنع اليوم النبى وينصره ؟

الجارية : صه ودع البكاء عنك يا بلال ، لاتسمعك مولاتى. أنها فى فراشها اليوم تشكو

بلال : تشكو ؟ زوج النبى ، خديجة ! !
الجارية : (ترى فاطمة بنت النبى مقبلة) صه :

« النبى يدخل والتراب على راسه »

بلال : (همسا) رسول الله !
فطمة : (تلتفت الى هيئة النبى وتصيح) أبى ! من صنع بك هذا ؟ !
محمد : (فى صوت المتعب) هونى عليك !
فاطمة : أهى قريش ؟
محمد : (كالمخاطب لنفسه) نعم ، والله مانالت منى قريش شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب
فاطمة : (تبكى) أبتاه !
محمد : (يلتفت اليها) لاتبكى يابنية ، فان الله مانع اباك
فاطمة : اجلس ، اغسل عنك هذا التراب !

المنظر العشرون

« ابو لهب وابو سفيان يتقابلان بطريق بمكة »

أبو لهب : أعلمت يا أبا سفيان ؟
أبو سفيان : ماذا ؟
أبو لهب : خديجة فى الموت ؟
أبو سفيان : زوج محمد ؟
أبو لهب : أجل ، عما قليل تذهب ايضا تلك التى كانت تشد أزره وتعز شأنه
أبو سفيان : عسى أن يلحق بها أولئك السفهاء الذين تابعوه
أبو لهب : لقد رأيت فيهم رأيا
أبو سفيان : ماهو ؟

أبو لهب : اذا قدمت العير مكة ، وأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام لعياله سأقوم فأقول : « يا معشر التجار غالوا على محمد وأصحابه حتى لايدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فأنا ضامن أن لاخسار عليكم » فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا ، حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يديه شىء يطعمهم به !

المنظر الحادى والعشرون

« فى دار النبى ـ خديجة على فراش الموت والى جوارها محمد وهومطرق فى حزن ـ محمد يسمع صوتا فيرفع رأسه فيرى جبريل »

محمد (لخديجة وهو ناظر الى السماء) ياخديجة ! هــذا جبريل ، يقرئك السلام من ربك !

خديجة : (فى صوت ضعيف) لله السلام ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام !

محمد : (يثوب الى نفسه ويلتفت الى خديجة) أمرت ان ابشرك ببيت من قصب فى الجنة ، لا صخب فيه ولا نصب

خديجة : هل فى الجنة قصب ؟ !

محمد : انه قصب من لؤلؤ مجبى

« صمت »

خديجة : ما اشق الفراق !

محمد : (مطرقا) سيكون اللقاء فى الجنة ان شاء الله

خديجة : (فى تنهد عميق) ان شاء الله

محمد : تكرهين ما ارى منك ياخديجة ، وقد يجعل الله فى الكره خيرا

خديجة : خيرا ان شاء الله

محمد : أشعرت ان الله قد اعلمنى أنه سيزوجنى معك فى

الجنة مريم ابنة عمران ، وكلثوم اخت موسى ، وآسية امرأة فرعون !

خديجة : الله أعلمك بهذا يارسول الله ؟

محمد : نعم

خديجة : (فى صوت ضعيف) بالرفاء والبنين !

«تلفظ الروح »

محمد : (جزعا) ياخديجة ! ياخديجة ! ياخديجة !

المنظر الثانى والعشرون

« فى بطحاء مكة وقد حميت الظهيرة ، رجال ونساء من اتباع محمد يضربون ويعذبون ويعلو صياحهم »

بلال : (يمر بامرأة ويسألها) لماذا يصنع بهم هذا !

المرأة : (همسا) ليفتنوهم عن دينهم

بلال : قريش فعلت هذا اليوم !

المرأة : نعم لقد عدت قريش على من اتبع النبى ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من أصحاب محمد المستضعفين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب كما ترى وبالجوع والعطش وقد اشتد الحر

بلال : ويل لهم ! ويل لهم !

المرأة : (تلتفت الى صوت قادم) صه ! هذا أمية بن خلف !

« تنصرف المرأة سريعا »

بلال : (لنفسه) أمية ! ويل لى !

أمية : (يرى بلالا) هذا أنت يا ابن الحبشية !

عقبة : (وهو يسير الى جانب أمية) انه من أتباع محمد المخلصين !

أمية : (لرجال معه) اطرحوه على ظهره فى هذه البطحاء !

« يطرحه الرجال فى الرمضاء تحت الشمس الحامية »

بلال : (صائحا) اتقوا غضب الله ! اتقوا غضب الله !

أمية : (لرجاله مشيرا الى صخرة كبيرة) ضعوا على صدره هذه الصخرة العظيمة !

« بلال لا ينبس وهم يضعون على صدره الصخرة »

أمية : (لبلال وهو تحت الصخرة العظيمة فى بلاء عظيم) لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى !

بلال : (ناظرا الى السماء وهو يتلوى من الالم) أحد ، أحد !

ورقة بن نوفل : (يمر ببلال ويهمس فى أذنه ! أحد ، أحد ، والله يابلال)

أمية : دع هذا العبد وشأنه يا ورقة !

ورقة : (يقبل على أمية) أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا ، لأجعلن قبره كقبور الصالحين والشهداء !

« ينصرف »

عقبة : (لبلال) لاتزال هكذا حتى تترك دين محمد وتعبد آلهتنا !

بلال : (صائحا) أحد ، أحد !

« ياتى ابو بكر »

ابو بكر : (لأمية بن خلف) ألا تتقى الله فى هذا المسكين ! حتى متى !

أمية : أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى !

أبو بكر : افعل . عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك ، اعطيكه به

أمية : قد قبلت

ابو بكر : هو لك رد على بلالا أعتقه

« يطلقون له بلالا فينصرف به »

أمية : (لرجاله) فليظل أصحاب محمد هؤلاء فى هـــذا العذاب

« ينصرف هو وعقبة ـ يقبل النبى من طريق أخرى ويمر بأصـــحابه »

محمد : (همسا للمعذبين) اصبروا واثبتوا !

أحد المعذبين : (همسا) يارسول الله ، ألا نقاتلهم فندفع عن أنفسنا الأذى ؟

محمد : لم أومر بالقتال

أحد المعذبين : وهل نصبر طويلا على هذا البلاء ؟

محمد : (همسا) لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه

المنظر الثالث والعشرون

« جماعة من قريش بينهم عمر بن الخطاب والشاعر لبيد والوليد وعقبةوابن‌مظعون يتسامرون ويحتسى بعضهم‌الخمر عنداسحق‌الخمار»

عقبة : أعلمتم الخبر ؟ لقد هاجر كثير من اتباع محمد الى الحبشة هربا مما هم فيه من البلاء

عمر : نعم ، قد علمنا وسنرســـل فى أعقابهم بعضنا الى النجاشي كى يسلمهم الينا

عقبة : ان محمدا لم يقدر على أن يمنع أصحابه مما هم فيه

ابن مظعون : خسئت !

عقبة : عجبا لك يا ابن مظعون ! ما الذى أقعـــدك عن الخروج الى الحبشة مع من خرج ؟ !

الوليد : أنا أجيره واحميه
عقبة : حقا ، انه آمن فى جوارك
عمر : دعونا من هذا الحديث . انشدنا شعرا يالبيد !
لبيد : إين الخمر ؟
عمر : (ينادى الخمار) هات خمرك يا اسحق !
ابن مظعون : (يلتفت) ارى فى الظلام رحلا مقبلا ، عليه رجل وامرأة
عقبة : (ينظر) انهما ولا ريب من المهاجرين
عمر : (ينظر مليا) وى ! هذا عامر وأم عبد الله !

« ينهض ويتجه اليهما »

عامر : (على الرحل يرى عمرا مقبلا) ألح أحد المشركين يدنو منا !
أم عبد الله : (تلتفت) هذا والله ابن الخطاب !
عمر : (يقترب منهما) انه الانطلاق يا أم عبد الله ؟
أم عبد الله : نعم ، والله لنخرجن فى أرض الله ، لقد آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجا
عمر : (فى حزن ورقة) صحبكم الله !

« ويطرق لحظة ثم يقفل راجعا الى مكانه »

أم عبد الله : (لعامر) يا أبا عبد الله ، أرأيت ابن الخطاب ورقته وحزنه علينا ؟
عامر : أطمعت فى اسلامه ؟
أم عبد الله : نعم
عامر : لايسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب !
الوليد : (لعمر) أين ذهبت ياعمر ؟ استمع الى شعر لبيد
عمر : نعم ، انى مصغ قل يالبيد !

لبيد : (ينشد) الا كل شيء ماخلا الله باطل ..
ابن مظعون : (مقاطعا فى حماسة) صدقت !
لبيد : (يمضى فى الانشاد) وكل نعيم لا محالة زائل ..
ابن مظعون : (مقاطعا) كذبت ! نعيم الجنة لايزول
لبيد : (غاضبا) يامعشر قريش ! والله ماكان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟
عقبة : ان هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله !
ابن مظعون : شهد الله من السفيه !
عقبة : قبحت وقبح دينك . لو لم يكن أبو عبد شمس يجيرك ويحميك للطمت عينك
ابن مظعون : (للوليد) يا أبا عبد شمس ! قد رددت اليك جوارك
الوليد : لم ؟
ابن مظعون : انى أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره
عقبة : ارنى اذن كيف يجيرك ربك ؟

« يلطمه على عينه »

ابن مظعون : (يضع يده على عينه وقد لطمها عقبة فخصرها) آه !
الوليد : لقد كانت عينك عما أصابها غنية ، فقد كنت فى جوار منيع !
ابن مظعون : (يرفع راسه) بل والله ان عينى الصحيحة فقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله . وانى والله لفى جوار من هو أعز منك واقدر
لبيد : يامعشر قريش ! هلموا ، أنشدكم فى غير هذا المكان!

« ينصرفون ويتركون ابن مظعون وحده يعالج عينه ـ يمر به ابو بكر وقد شد متاعه الى رحله »

ابن مظعون : (صائحا به) أبا بكر ؟ !
ابو بكر : لبيك
ابن مظعون : أراحل انت يا أبا بكر ؟
أبو بكر : نعم ، لقد ضاقت على مكة وأصابنى فيها الاذى ورأيت من تظاهر قريش على رسول الله وأصحابه ما لاطاقة لى به . ولقد هاجر كثير من المؤمنين
ابن مظعون : أو استأذنت النبى ؟
أبو بكر : نعم . لقد استأذنت رسـول الله فى الهجرة فأذن لى
ابن مظعـون : (وهو ينصرف عنـه) على بركة الله يا أبا بكر !
أبو بكر : (يلتفت الى عين ابن مظعون المصابة) مابعينك يا ابن مظعون ؟
ابن مظعون : بعض ذلك الاذى الذى يصيبنا من المشركين
أبو بكر : من ؟
ابن مظعون : عقبة عدو الله . وليس لى الآن من يجيرنى غير ربى .. وما أرى والله الا أن أرحل ...
أبو بكر : نعم ، اخرج مثلى الى أرض الحبشة ...
ابن مظعون : نعم ، سأشد متاعى الى رحلى وانطلق

« ينصرف »
« أبو بكر يحث راحلته على المسير ويمشي قليلا فيقابله ابن الدغنة سيد الاحابيش »

ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟
أبو بكر : أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على
ابن الدغنة : ولم ! فوالله انك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدم ، ارجع وأنت فى جوارى أحميك

أبو بكر : قبلت
ابن الدغنة : (يعود بأبي بكر وهويصيح) يامعشرقريش ! انى قد اجرت ابن أبى قحافة فلا يعرضن له احد الا بخير
قريش : (يجرون الى ابن الدغنة) أقد أجرت هـذا الرجل ؟
ابن الدغنة : نعم وأنا سـيد الاحابيش . فلا يعرضـن له احد الا بخير
عقبة : (يبرز من بين رجال قريش) يا ابن الدغنة ! انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا ، انه رجل اذا صلى وقرا ماجاء به محمد يرق ويبكي وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنـا ان يفتنهم ، فانهم ليقفون عليه عند باب داره يعجبون لمـا يرون من هيئتـه وقراءته ، فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء
ابن الدغنة : (يلتفت الى أبى بكر) يا أبا بكر انى لا أجيرك لتؤذى قومك . انهم يكرهون مكانك الذى انت به ، ويتأذون بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .
أبو بكر : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟
ابن الدغنة : فاردد على جوارى !
أبو بكر : قد رددته عليك
ابن الدغنة : يامعشر قريش ! ان ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم !

« ينصرف ويترك ابا بكر بينهم ».

قريش : (يحيطون بأبى بكر ويعلو لجاجهم) احبسوه ، لايهاجر ، خذوا راحلته !
اعرابى : (من بين القوم يحثو على راس ابى بكر التراب) اليك جزاء الضال !
أبو بكر : (يلتفت فيجد بين القوم الوليد ابن المغيرة) الا

ترى الى ما يصنع هذا السفيه ؟ !
الوليد : أنت فعلت ذلك بنفسك
أبو بكر : (فى ضـيق) أى رب ما احلمـك ! اى رب ما أحلمك ! اى رب ما أحلمك !

المنظر الرابع والعشرون

« فى الطائف ـ محمد فى نفر من سادة ثقيف واشرافهم على مقربة من حائط لعتبة بنربيعة وأخيه شيبة وهما فيهينظران »

عتبة : (يهمس) ماجاء به الى الطائف ؟
شيبة : ما أحسـبه الا جاء يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه
عتبة : قريش ؟
شيبة : نعم ، ماكان احد يمنعه وينصره على قريش الا عمه أبو طالب ، فلما هلك عمه وهلكت زوجته خديجة نالت منه قريش من الاذى ما لم تكن تطمـع به فى حيـاة عمه وزوجه !
عتبة : وهل تحسب ثقيفا ناصرة اياه ؟
شيبة : ان لم تنصره ثقيف فلا ناصر له
عتبة : (يلتفت الى ناحية القوم) أنظر ياشيبة ! انه جلس الى أشراف ثقيف يدعوهم الى ربه الذى يحـدث عنه ... وما ارى فى وجوه القوم الا استهزاء به وبما يقول
شيبة : (ينظر) اسمع . هـذا مسعود بن عمرو يدنو منه
مسعود : (يدنو من محمد) انى أمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك
عتبة : (لشيبة همسا) أسمعت ؟
شيبة : (هامسا) سمعت

عتبة : (همسا) أرى وجهه قد تغير
شيبة : هذا أيضا عبد ياليل بن عمرو يدنو منه
عبد ياليل : (يدنو من محمد) أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟
عتبة : (هامسا) انهم يغلظون له
شيبة : صه . هذا حبيب بن عمرو يدنو منه كذلك ليقول له شيئا
حبيب : (لمحمد) والله لا أكلمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن ارد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ماينبغى لى أن أكلمك

« محمد يقوم وقد يئس منهم »

عتبة : أنظر ياشيبة ، انه قد قام
شيبة : ما أراه الا يائسا حزينا
عتبة : انه يريد أن يقول لهم شيئا ، اسمع
محمد : (للقوم) اذ فعلتم مافعلتم فاكتموا عنى
عتبة : (هامسا) ماذا يريد بهذا ؟
شيبة : لعله يكره أن يبلغ قومه عنه خذلان ثقيف له فيذئرهم ذلك عليه

« صياح واصوات »

عتبة : ماهذا الصياح ؟ (ينظر) انظر ! هؤلاء ناس وعبيد يصيحون به
شيبة : (ينظر) ما أحسب الا ان القوم قد اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به
عتبة : انظر . لقد اجتمع عليه الناس وهو لا يستطيع منهم فرارا
شيبة : ما أرى الا انه سيلقى منهم أذى كثيرا

عتبة : انه مقبل علينا
شيبة : انهم يسدون عليه السبيل

« الصياح يقترب »

عتبة : لقد الجأوه الى حائطنا
شيبة : اجل ، ها هو ذا يسقط اعياء

« محمد يعمد الى ظل حبلة من عنب فيجلس فيه وقد رجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف »

عتبة : اى هوان لقى هذا الرجل من أهل الطائف !
شيبة : أتحركت له رحمتك ياعتبة !
عتبة : (ينظر اليه) اسمع أصغ ! انه يقول شيئا
محمد : (وقد اطمأن قليلا بعد ذهاب الناس عنه ...)
اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين وأنت ربى . الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى . ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك
عتبة : (همسا لأخيه شيبة) اسمعت ؟
شيبة : (مأخوذا) نعم
عتبة : أيمكن أن يكون مثل ذلك الرجل كذابا ؟
شيبة : ويحك ياعتبة
عتبة : (ينادي غلامه همسا) ياعداس !
عداس : لبيك !
عتبة : خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه

« عداس يسرع الى ما امر به »

شيبة : (ينظر الى وجه أخيه) ماحملك على هذا ؟
عتبة : (ينظر الى النبى) أنظر ياشيبة ، ان عداسا قد اقبل بالطبق ووضعه بين يديه
عداس : (لمحمد) كل !
محمد : (يضع يده فى الطبق) بسم الله ..! ثم يأكل !
عداس : (ينظر فى وجه محمد) والله ان هذا لكلام مايقوله اهل هذه البلاد
محمد : ومن أهل أى البلاد أنت ، وما دينك ؟
عداس : نصراني وأنا رجل من اهل نينوى
محمد : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟
عداس : (فى عجب) وما يدريك ما يونس بن متى ؟
محمد : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى
عداس : (يكب على محمد يقبل رأسه ويديه وقدميه) نبى ! نعم ، نبى
عتبة : (هامسا لشيبة) أرأيت ؟
شيبة : نعم
عتبة : وما تقول فى هذا ؟
شيبة : أما غلامك فقد أفسده عليك
عداس : (يقبل عليهما) ؟
عتبة : ويلك ياعداس ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه
عداس : ياسيدى ما فى الارض شىء خير من هذا ، لقد اخبرني بأمر مايعلمه الا نبى
شيبة : ويحك ياعداس ، لايصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه
عداس : ان مثله لايمكن أن يحتمل ما لقى الا فى سبيل الحق ، ولا أن يثبت على دينه بعد كل هذا الا أن يكون دينه دين الحق

المنظر الخامس والعشرون

« في الحبشة ـ بين يدى النجاشي •
النجاشي على عرشـــه بين بطارقته »

البطارقة : لقد جاء من مكة رسولان

النجاشي : ادخلوهما !

« يدخلون عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو بن العاص »

عبد الله : (همسا لعمرو) هل قدمت الى كل بطريق منهم هديته ؟

عمرو : (همسا) نعم ، وسيعملون بما نريد

البطارقة : ايها الملك ! لقد جاءك بهدايا كثيرة

النجاشي : تقدما يارسولا الخير !

عمرو : (يتقـــدم بين يدى النجاشي) ايها الملك ! انا قد جئنا نسألك امرا لقد أوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنـــا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه

عبد الله : (همسا لعمرو) أخوف ما اخاف أن يسمع النجاشي كلامهم فيفسد الامر !

« عمرو يغمز بعينه للبطارقة »

البطارقة : صدقا أيها الملك ! قومهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم

النجاشي : (غاضبا) لا ها الله اذا لا أسلمهم اليهما ، وهم قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى ، لن اسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فان كانوا كما يقولان اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم ،

وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ماجاوروني ، على بهم وعلى بأساقفتي !

« يسرع بعض اعوانه صادعين بأمره وتدخل الاساقفة، ويدخل المهاجرون من اصحاب محمد بينهم ابن مظعون وجعفر بن ابى طالب ويتهامسون مضطربين اذ يرون رسولى مكة ، بينما ينشر الاساقفة مصاحفهم حول النجاشي »

جعفر : (همسا لابن مظعون) لقد وشى بنا قومنا !

ابن مظعون : (همسا) نعم ، وشوا بنا للملك . ومانقول له الآن ؟

جعفر : (همسا) نقول والله ماعلمنا وما أمرنا به نبينا كائناً فى ذلك ماهو كائن

النجاشي : (يلتفت الى المهاجرين) تقدموا يا أصحاب محمد !

المهاجرون : أيها الملك !

النجاشي : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل !

جعفر : (يتقدم بين يدى النجاشي) أيها الملك ! كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا تعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وامرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ماحرم علينا واحللنا مااحل لنا ،

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا من عبادة الله الى عبادة الاوثان وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك !

النجاشي : هل معك مما جاء به نبيكم عن الله من شيء ؟

جعفر : نعم

النجاشي : اقرأه علي !

جعفر : (يتلو) ... « واذكر فى الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ، فحملتــه فانتبذت به مكانا قصيا ، فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا ، فأتت به قومها تحمله ، قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا ، فأشارت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ؟ قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت واوصانى بالصــلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتي ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ... »

النجاشى : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة !

الاساقفة : والله ان هـذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح !

عبد الله : (همسا لعرو) أسمعت ؟

النجاشى : (لعمرو وعبد الله) انطلقا ! فلا والله لا اسلمهم اليكما

عمرو: (همسا لعبد الله) أأقول له عنهم الآن ما استأصل به خضراءهم ؟

عبد الله : لاتفعل ! ان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا

عمرو : (همسا) والله لأخبرنه انهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد

عبد الله : لا تفعل !

عمرو : (لايصغى الى رفيقه ويتقدم) ايها الملك ! انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما

« النجاشي يلتفت الى اساقفته ويحادثهم همسا ،
وكذلك بعض أصحاب محمد يتهامس بعضهم لبعض»

ابن مظعون : (لجعفر همسا) ماذا نقول فى عيسى بن مريم اذا سئلنا ؟

جعفر : (همسا) والله ماقال الله وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن

النجاشى : (يلتفت الى المهاجرين) يا اصحاب محمد ! ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟

جعفر : (يتقدم) نقول فيه الذى جاءنا به نبينا : هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول

النجاشى : (يضرب بيده الى الارض فياخذ منها عودا)

والله ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود !

« البطارقة يتناخرون »

النجـاشى : (يلتفت الى بطارقتـــه) وان تخرتم .. ! (لأصحاب محمد) والله اذهبوا فأنتم آمنون بأرضى من سبكم غرم ! من سبكم غرم ! من سبكم غرم ! (يشير الى رسولى قريش) ردوا عليهما هـداياهما فلا حاجة لى بها . فوالله ما اخذ الله منى الرشوة حين ثبت لى ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه

« يخرج عمرو بن العاص وعبد الله
ابى ربيعة مخذولين مقبـــوحين »

المنظر السادس والعشرون

« فى مكة ــ النبى فى داره وحيدا
مطرقا ومعــــه خولة بنت حكيم »

خولة : يا رســـولَ الله كأنى أراك قد دخلك حزن لفقـد خديجة !

محمد : أجل ، كانت أم العيال وربة البيت !

خولة : أى رسول الله ، الا تزوج ؟

محمد : (يرفع رأسه) من ؟

خولة : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا

محمد : فمن البكر ؟

خولة : بنت أحب خلق الله اليك ، عائشة بنت أبى بكر

محمد : ومن الثيب ؟

خولة : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك

محمـــد : (يطرق لحظة متفكرا ثم يرفع رأســـه) اذهبى فاذكريهما على !

المنظر السابع والعشرون

« فى طريق من طرق مكة ليلا ـ نعيم بن عبد الله وعمــر بن الخطاب يتقــابلان »

نعيم : أين تريد ياعمر ؟

عمر : أريد جلســائى فلا أجدهم ولقــد جئت اسـحق الخمار لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها ، فلم أجده

نعيم : لقد مضى عهد الخمر

عمر: هذا كلام محمد ، وفعل محمد هذا الصابىء الذى فرق امر قريش وعاب دينها وسـفه أحلامها وشتت مجالســها وضيع بهارجها وشرد شعراءها

نعيم : نعم كلامه ونعم فعله !

عمر : انك اتبعته !

نعيم : نعم

عمر : (يلطمه) قبحك الله ، والله لأقتلن محمدا بسيفى هذا

« يشير الى سيفه المتوشح به »

نعيم : (ويده على وجهه) والله لقد غرتك نفســك من نفسك ياعمر . أترى بنى عبد منــاف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا . أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم امرهم !

عمر : أى أهل بيتى ؟

نعيم : أختك فاطمة وزوجها سـعيد بن زيد ، فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه

عمر : أهل بيتى ؟ !

« يتركه ويجرى الى بيت اخته »

المنظر الثامن والعشرون

« فى دار فاطمة اخت عمر بن الخطاب. فاطمة وزوجها سعيد ومعهما خباب وهو احد المؤمنين يقرأ عليهما قرآنا من صحيفة »

خباب : (يتلو) ... طه ! ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، الا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ، وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ، الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى !

سعيد : (يلتفت الى الباب) صه ياخباب ! هذا حس عمر !

خباب : (ينهض فى الحال مرتاعا) أخشى أن يكون قد سمع ما أقرأ

فاطمة : هات الصحيفة واختبىء فى المخدع !

« تاخذ منه الصحيفة فتجعلها تحت فخذها ويسرع خباب الى المخدع فيغيب فيه »

عمر : (يدخل) ما هذه الهمهمة التى سمعت ؟

سعيد : ما سمعت شيئا

عمر : بلى . لقد أخبرت أنك تابعت محمدا على دينه . أيها الخاسر !

« يبطش به »

فاطمة : (تقوم الى أخيها عمر لتمنع زوجها) كف عنه !

عمر : وانت أيضا

« يضرب اخته فيشجها »

فاطمة وسعيد : (فى تحد وشجاعة) نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع مابدا لك !

عمر : (يرى الدم يسيل من رأس أخته فيرق قليلا ، اسلمتما ؟ !

فاطمة : (تتناول صحيفتها وتريد أن تمضى) نعم

عمر : أكنتما تقرآن هذه الصحيفة ؟

فاطمة : نعم

عمر : اعطينى اقرا وانظر ما هذا الذى جاء به محمد ؟

فاطمة : انا نخشاك عليها

عمر : لاتخافى ، واللات والعزى لأردنها اليك اذا قرأتها

فاطمة : انك نجس على شركك وانه لايمسها الا الطاهر فاغتسل !

عمر : افعل

« يذهب الى بعض البيت ليغتسل »

سعيد : (لفاطمة) انك تطمعين فى اسلامه !

فاطمة : ارجو أن يهديه الله اليه

خباب : (يخرج من باب المخدع ويهمس) الا تتركانى اخرج الى الطريق

فاطمة : صبرا حتى ننظر مايكون من أمر عمر . فلو اخرجناك الآن لانأمن أن يشعر بخروجك فيبطش بك

سعيد : (يرى عمر مقبلا) صه ! لقد عاد

عمر : (يعود) هات الصحيفة !

فاطمة : أتطهرت !

عمر : نعم

فاطمة : (تعطيه الصحيفة) خذ

عمر : (يقرأ) « ... الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ، وهل أتاك حديث موسى ، اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى ياموسى ، انى انا ربك فاخلع

نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري، ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى »

« فاطمة تنظر الى سعيد وينظر سعيد اليها وقد رأيا من هيئة عمر ورقة صوته ما استبشروا له »

عمر : (كالمخاطب لنفسه) ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !

خباب : (ينصت خلف باب المخدع ، فما أن يسمع عبارة عمر حتى يخرج صائحا) يا عمر ! والله انى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب »

عمر : (يفكر) ماذا تقول ؟

خباب : (مستحثا اياه) الصدق ، الله ، الله ياعمر !

عمر : (يرفع رأسه) نعم ، دلنى ياخباب على محمد حتى آتيه فأسلم

خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه

« عمر يأخذ سيفه فيتوشحه ويمضى »

المنظر التاسع والعشرون

« فى بيت الصفاء ـ محمد بين أصحابه ، الباب يضرب عليهم»

ابو بكر : (فى صوت خافت) من الذى يضرب علينا الباب ؟

حمزة : فليذهب احدنا ينظر من خلل الباب !

« يذهب على بن ابى طالب فينظر ثم يعود فزعا »

على : (للنبى وهو فزع) يارسول الله ! هذا عمر بن

الخطاب متوشحا بالسيف

أبو بكر : (فى خوف) اللهم اكفنا عمر انه شديد البطش

محمد : (يفكر) عمر ؟

حمزة : ائذن له يارسول الله ! فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له . وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه

محمد : اذنت

« يذهب على وخلفه رجال من الاصحاب يفتحون الباب لعمر ، فيدخل عمر ويقف فى المكان دهشا واجما ينظر فى القوم »

محمد : (ينهض اليه حتى يلقاه فيأخذ بمجمع ردائه ثم يجبذه به جبذة شديدة ...) ما جاء بك يا ابن الخطاب ! فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة !

عمر : يارسول الله ! جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله !

محمد : (يرسله مغتبطا) الله اكبر ! الله أكبر ! الله أكبر !

أبو بكر : (فى فرح) ان عمر قد أسلم ؟

الجميع : (يتهامسون فى فرح) قد أسلم عمر !

على : (همسا لأصحاب النبى فى فرح) أن عمر قد أسلم ! الا ترون انا قد عززنا فى انفسنا الآن باسلام عمر مع اسلام عمى حمزة ؟ انهما سيمنعان النبى وسننتصف بهما من عدونا

محمد : (يمسح صدر عمر) الحمد لله ! قد هداك الله ياعمر . ادعو الله لك بالثبات !

المنظر الثلاثون

« امام دار ابى جهل ــ رجال من قريش بينهم عمر بن الخطاب »

عمر : أى قريش انقل للحديث ؟

قريش : (يشيرون الى رجل مقبل عليهم) هـذا المقبل علينا

عمر : (يلتفت) من ؟ جميل بن معمر ؟
قريش : نعم
عمر : (لجميل) أقبل ياجميل ! اعلمت الخبر ؟
جميل : (فى اهتمام) أى خبر ؟
عمر : انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد

« جميل لا يراجعه وينطلق لا يلوى على شىء »

قريش : (صائحين مستنكرين) أسلمت ياعمر ؟ !
عمر : أخبرونى أى أهل مكة أشد لمحمد عداوة حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت ؟

« قريش ينظرون اليه فى عجب وغضب صامتين »

صبى : (من بين رجال قريش) هو أبو الحكم بن هشام
عمر : (ينظر الى القوم فى استخفاف ثم يتجه الى دار أبى جهل) أليست هذه داره ؟

« قريش ينظرون اليه كاظمين ما بهم »

عمر : فلنضرب عليه بابه ! (يضرب على باب أبى جهل) يا أبا الحكم افتح !
أبو جهل : (يفتح الباب) مرحبا وأهلا بابن أختى !.. ماجاء بك ؟
عمر : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به
أبو جهل : (يضرب الباب فى وجه عمر) قبحك الله وقبح ماجئت به !

« عمر ينصرف عن داره ضاحكا واذا
صوت آت من جهة الكعبة »

جميل : (من بعيد) يامعشر قريش ! الا أن عمر بن الخطاب قد صبأ

عمر : (وقد أصغى الى الصوت) كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله !

قريش : (نافدى الصبر يقومون اليه ثائرين صائحين . .) قاتلوا هذا الخارج عن ديننا !

عمر : (يستل سيفه) من يقربنى منكم فهو هالك

قريش : قاتلوه ! قاتلوه !

« يهجمون عليه ويقاتلونه ويقاتلهم حتى يعيى فيقعد »

عمر : افعلوا مابدا بكم ، أحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا

العاص بن وائل : (يقبل ويمر بالرجال المجتمعين حول عمر) ما شأنكم ؟

قريش : صبأ عمر

العاص : فمه ! رجل اختار لنفسه امرا فماذا تريدون ؟

قريش : نريد أن نقتله ، انه يختال علينا بدين محمد

العاص : أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ ! خلوا عن الرجل ! ؟ (يدنو من عمر) قم معى ياعمر

« ينصرف العاص مع عمر ويبقى رجال قريش »

قريش : (ينظرون الى رجل قادم عليهم) من هذا القادم؟

رجل من قريش : هذا رجل غريب من أراش ، كان قدم مكة بابل له ابتاعها منه أبو الحكم ومطله بأثمانها

الاراشى : (يقبل عليهم) يامعشر قريش ! من رجل يؤدينى على أبى الحكم بن هشام ؟ فانى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حقى !

رجل من قريش : (يلتفت ثم يهمس) صه . هذا محمد مقبل علينا

رجل من قريش : (تلمع فى رأسه فكرة) أيها الاراشى اتريد رجلا يأخذ لك حقك ؟

الاراشى : نعم

القرشى : (يشير الى محمد) أترى ذلك الرجل المقبل علينا ؟ اذهب اليه فانه يؤديك على أبى الحكم

قريش : (تعجبهم الفكرة ويتضاحكون هازئين) نعم القول ! اذهب اليه !

الاراشى : (ينظر اليهم فى ريبة) أتهزءون بى ؟

قريش : (يتضاحكون) كلا .. اذهب اليه .. ما من رجل غير هذا الرجل يقضى حاجتك عند ابى الحكم ، فهو خير من يصغى اليه ابو الحكم !

رجل من قريش : (يخفى ضحكه) وهو أحب الناس الى ابى الحكم ..! واكرم الناس على ابى الحكم !

الاراشى : (يتجه الى محمد ويعترض سبيله) ياعبد الله ! ان ابا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله ، وانا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدينى عليه ، يأخذ لى حقى منه ، فاشاروا لى اليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله !

محمد : (يشير الى دار ابى جهل) انطلق معى اليه ..

« يتبع الاراشى الى الدار »

قريش : (يتهامسون هازئين) انظروا ماذا يصنع ؟

محمد : يضرب على أبى جهل بابه ! يا أبا الحكم !

ابو جهل : (من داخل البيت) من هذا ؟

محمد : محمد ، فاخرج الى !

ابو جهل : (يفتح ويخرج وقد امتقع لونه) انت ! !

محمد : (يشير له الى الاراشى) أعط هذا الرجل حقه !

ابو جهل : (فى رعدة) نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له

محمد : أسرع !

« يدخل ابو جهل داره ويخرج بمال الاراشي ويدفعه اليه »

ابو جهل : (للاراشى) خذ مالك !

« ثم يدخل بيته سريعا »

محمد : (للاراشى) أهذا حقك ؟

الاراشي : (وهو يحصى المال) نعم ...

محمد : الحق بشأنك !

« ينصرف النبي »

الاراشي : (يقبل على مجلس قريش) جزاه الله خيرا فقد والله اخذ لى حقى

« ينصرف مسرورا »

قريش : (لبعضهم بعضا وقد وجموا مما رأوا) أرأيتم !

رجل من قريش : عجبا من العجب ! واللات ماهو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه !

ابو جهل : (يخرج فى حذر ويمر بهم) ماذا تقولون ؟

قريش : (لأبى جهل) ويلك مالك ! واللات مارأينا مثل ماصنعت قط

ابو جهل : ويحكم ! واللات ماهو الا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت منه رعبا ، ثم خرجت اليه وان فوق راسه لفحلا من الابل مارايت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، واللات لو أبيت لأكلنى

قريش : واللات ماكان معه فحل قط ! لقد شبه لك من الروع يا أبا الحكم !

المنظر الحادى والثلاثون

« عند العقبة فى موسم الحج . محمد يلقى رهطا من العرب »

محمد : من أنتم ؟
القوم : نفر من الخزرج
محمد : أمن موالى يهود ؟
القوم : نعم ...
محمد : افلا تجلسون اكلمكم ؟
القوم : بلى

« يجلسون اليه »

محمد : أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى ان يعبدوا الله ولايشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب ، فهل تبايعونى على الا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان . فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده فى الدنيا كفارة له ، وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر

« ينهض احد القوم وهو أسعد بن زرارة »

أسعد : ياقوم ، تعلموا والله انه للنبى الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه
القوم : صدقت
أسعد : أيها النبى ! انا نقبل منك ماعرضت علينا من هذا الدين
القوم : نعم ، نقبل منك ونصدقك
محمد : الله اكبر !
أسعد : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة

والشر مابينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذى اجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك

المنظر الثانى والثلاثون

« دار الندوة التى تجتمع فيها قريش للمشاورة . ابليس فى ثياب شيخ نجدى جليل يدخل الدار وهى خالية فتلقاه حيـــة تظهر فى الحائط »

الحية : (تصيح به) ابليس فى لبوس شيخ من نجد ؟ !
ابليس : لا تصيحى أيتها الصئيلة
الحية : ماذا جئت تصنع فى دار الندوة ؟
ابليس : أريد محمدا
الحية : تريد به الهلاك
ابليس : أريد لنفسى الحياة
الحية : ماذا صنع بك ؟
ابليس : سيغير وجه الارض
الحية : كيف ؟
ابليس : نور يخرج من قلبه يضىء الارض
الحية : وما يضيرك هذا ؟
ابليس : يعمى بصرى هذا النور
الحية : اطفئه من قلبه
ابليس : لاسلطان لى على مثل هذه القلوب
الحية : قلب لا ككل القلوب ، انى لأذكر امره ، لقد أتاه الملكان وهو صـغير بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخـذاه فشقا بطنه واستخرجا قلبه فشقاه فاستخرجا منه علقـة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى أنقياه
ابليس : العلقة السوداء ؟
الحية : تلك رسولك فى كل قلب

ابليس : تبا له ! تبا له !
الحيـة : كما كنت أنا رسولك الى أول قلب
ابليس : حواء ؟
الحية : ذاك يوم ملعون الى ابد الآبدين
ابليس : أتندمين ؟
الحية : ماذا جنيت من كل هذا ؟
ابليس : قلت لك : تلك حياتى
الحية : حياة ملعونة فى كل زمان
ابليس : ويل للنفاق ! ويل للنفاق !
الحية : نفاقك ؟
ابليس : بل نفاق من يلعننا
الحية : كنت اود أن تفتن غيرى
ابليس : أود أن أفتن هذا الرجل
الحية : انك تقول أن لاسبيل لك عليه
ابليس : تبا لى !
الحية : انه ليس كغيره من الناس .
ابليس : تبا له !
الحيـة : لقد وزنه الملكان وهو صغير بعشرة من أمته فوزنهم ثم وزناه بمائة من أمته فوزنهم ، ثم وزناه بألف من أمتـه فوزنهم فقالا : والله لو وزناه بأمته كلها لوزنها
ابليس : صه . انهم قادمون
الحية : من هم ؟
ابليس : ادخلى جحرك .. ولاتخذن لغة القوم

« الحية تختفى ويقف ابليس بباب الدار ويدخل اشراف قريش »

أبو سفيان : (لابليس) من الشيخ ؟
ابليس : شـيخ من أهل نجد ، سـمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون عسى الا يعدمكم منـه رايا ونصحا

ابو جهل : اجل فادخل

« ابليس يدخل معهم ويجتمعون فى دائرة »

ابو سفيان : (لأبى جهل) تكلم يا أبا الحكم

ابو جهل : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رايتم ، ولقد علمتم ان عمر بن الخطاب وهو اقوى قريش شكيمة قد اتبعه كما اتبعه حمزة ، وانه ليلقى النـاس فى مواسم الحج يعرض عليهم دينـه ويزين اليهم ان يتبعوه ، فانا واللات ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رايا

امية بن خلف : احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله : زهير او النابغة ومن مضى منهم ، من هـذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم

ابليس : لا واللات ماهذا لكم براى ، واللات لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على امركم ، ماهذا لـكم براى فانظروا فى غيره

أبو سفيان : (يتفكر قليلا) نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فواللات ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت

ابليس : لا واللات ماهذا لكم براى . الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما ياتى به . واللات لو فعلتم ذلك ما امنتم ان يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فياخذ امركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما اراد . دبروا فيه رأيا غير هذا

أبو جهل : (بعد تفكير) واللات ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد

أبو سفيان : وما هو يا أبا الحكم ؟

أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جلدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم

ابليس : (مبتهجا) القول ما قال الرجل . هـذا الرأى الذى لا أرى غيره

« يتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له »

المنظر الثالث والثلاثون

« عند العقبة ليلا ــ الخزرج مجتمعون خفية فى الشعب ، العباس بن عبد المطلب ومحمد مقبلان »

العباس : أو قد واعدوك يا ابن أخى ها هنا ؟

محمد : نعم

العبـاس : انى أحببت أن أحضر أمرك وأتوثق لك ، فان كانوا حقا قادرين على أن يمنعوك ويقوموا معك ويخرجـوا بك الى بلادهم ، فانهم والله نعم الانصار

محمد : انهم مجتمعون خفية فى الشعب

العبـاس : (ينظر الى القوم) هؤلاء ؟ ان عددهم والله لـكثير !

محمد : (للقوم) السلام عليكم !

القوم : (ينهضون) وعلى النبى السلام ورحمة الله

العباس : (يدنو منهم ويقوم فيهم) يامعشر الخزرج !

ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعـد الخروج به اليكم فمن الآن دعوه ، فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده

الخزرج : قد سمعنا ماقلت ، فتكلم يارسول الله . فخذ لنفسك ولربك ما أحببت

محمـد : ابايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم ؟

« أحد القوم وهو البراء بن معرور ياخذ بيدى النبى »

البراء : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقـة ورثناها كابرا عن كابر

« ينهض رجل آخر من الخزرج هو الهيثم بن التيهان »

الهيثم : يارسول الله ! ان بيننا وبين اليهود حبـالا وانا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ، ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ !

محمد : (يبتسم) بل الدم الدم ، الهدم الهدم . انا منكم وانتم منى . أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم

« ينهض العباس بن عبادة »

ابن عبادة : (لقومه) يامعشر الخزرج ! هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟

الخزرج : نعم

ابن عبادة : انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من

الناس ، فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة

الخزرج : انا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف (للنبي) فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا ؟

محمد : الجنة

الخزرج : ابسط يدك !

محمد : (يبسط لهم يده) ؟

الخزرج : اللهم اشهد انا بايعناك !

محمد : اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم

الخزرج : (يخرجون اثنى عشر رجلا منهم) هؤلاء يارسول الله !

محمد : (للنقباء) انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومي المسلمين

النقباء : نعم يانبي الله

« يرتفع فجاة صوت صارخ من راس العقبة »

الصوت : يا أهل الجباجب ! هل لكم في مذمم والصباء معه ، قد اجتمعوا على حربكم !

العباس : هذا الشيطان يصرخ من رأس العقبة !

« الجميع يلتفتون ويصيحون »

محمد : نعم ! هذا ابن أزيب . استمع ، أى عدو الله ! اما والله لأفرغن لك !

الخزرج : نعوذ بالله منه !

محمد : (للقوم) ارفضوا الى رحالكم

ابن عبادة : والله الذى بعثك بالحق ، ان شئت لنميلن على اهل منى غدا بأسيافنا

محمد : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا الى رحالكم

المنظر الرابع والثلاثون

« ليلة الهجرة • النبى فى داره »

جبريل : (للنبى) لاتبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه

« يرتفع الوحي »

على بن ابى طالب : (يدخل هامسا) المح فى عتمة الليل رجالا قد اجتمعوا على بابك ، ما احسبهم الا يرصدونك حتى تنام فيثبون عليك

محمد : نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمى الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم

« على يفعل ما امره به النبى »

ابو جهل : (يهمس بين الرجال على باب النبى) اكره أن يفلت منا الليلة كما أفلت منى يوم احتملت الحجر أريد فضح راسه فى المسجد

امية : (هامسا) وكيف أفلت منك يومئذ !

ابو جهل : (هامسا) ما أدرى واللات . لقد اقبلت نحوه حتى اذا دنوت منه رجعت مرعوبا وقد يبست يداى على حجرى حتى قذفته من يدى ، فقد عرض لى دونه فحل من الابل ، لا واللات مارأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط ، فهم بى ان يأكلنى

امية : سحرك يا ابا الحكم

أبو جهل : ان كان قد سحرني يومئذ فما أحسبه يستطيع ذلك الليلة معكم جميعا

امية : ارى أنه قد نام

ابو سفيان : (يتطلع الى مكان النبى) انه نائم فى برده الاخضر الذى ينام فيه

أبو جهل : ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن ، وان لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها

« محمد يخرج عليهم آخذا حفنة من تراب فى يده »

محمد : (هامسا) نعم انا اقول ذلك ، انت أحدهم

« ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو »

يس ، والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون . لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون . انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون

ينصرف النبى وهم كالنائمين لا يبصرون »

راع : (يمر بهم) يامعشر قريش !

قريش : (لاتراه) ؟

الراعى : (لقريش) ما تنتظرون ههنا ؟ أيها الناس ؟ !

الجميع : (كأنما أفاقوا . يهمسون) محمدا

الراعى : قدوالله خيبكم الله ، خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، افما ترون مابكم ؟

الجميع : (يضع كل منهم يده على راسه) حقا هذا تراب ، ماهذا التراب ؟

« يتطلعون الى فراش النبى وفيه على فى برد رسول الله »

ابو جهل : (متطلعا) واللات ان هذا لمحمد نائما عليه برده

الراعى : (كالمخاطب لنفسه) ان محمــدا قد هاجر ايها الغافلون . . !

المنظر الخامس والثلاثون

« فى غار ثور ، محمد وأبو بكر ومعهما عبد الله بن اريقط يهديهما الطريق »

ابن اريقط : (يلتفت ثم يهمس) لقد أدركنا !

أبو بكر : أترى أحدا مقبلا

ابن اريقط : (وهو ينظر الى بطن الصحراء) أرى فتيان قريش مقبلين من كل بطن رجل بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم

« محمد يطرق مفكرا صامتا »

ابو بكر : (خائفا واجف القلب) رحمتك اللهم !

ابن اريقط : (فى همس) صه ! لقد دنوا منا !

« تعلو اصوات قريش »

قريش : (متصايحة) هذا غار ثور

بعض من قريش : (متصايحون) انهما فى غار ثور

بعض آخر : الى باب الغار ! الى باب الغار !

ابن اريقط : (همسا) هذا احدهم عند الباب !

« محمد يرتعد قليلا وينظر فى صمت »

رجلٌ من قريش : (يصيح) ان على الباب العنكبوت قبل ميلاد محمد !

« يذهب هذا الرجل من حيث اتى »

أبو بكر : (فى رجاء هامسا) لقد ذهب !

قريش : (تصيح) لا اثر لهما فى هذه البطون . فلينظر احدنا فى الغار !

ابن اريقط : (همسا) وهذا واحد آخر منهم مقبلا علينا

« أبو بكر يرتجف فى صمت »

محمد : لا تحزن ! ان الله معنا

رجل من قريش : (ينظر الى فم الغار ثم يمضى) عجبا !.. حمامتان وحشيتان !

قريش : مالك لم تنظر فى الغار ؟
الرجل : ليس فيه أحد
قريش : كيف عرفت ؟

الرجل : (وهو عائد اليهم) رايت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه احد

أبو بكر : (همسا فى رجاء) لقد درأ الله عنا
ابن اريقط : (ينظر) انهم ينصرفون
أبو بكر : (فى فرح) لقد درأ الله عنا !
ابن اريقط : لقد ذهبوا وابتعدوا !
محمد : الحمد لله ! الله أكبر !

أبو بكر : (ينهض فيسوى بيده مكانا ينام فيه محمد ثم يبسط عليه فروة) نم يارسول الله ، وأنا أنفض لك ماحولك!

محمد : (وهو يرقد متعبا فى المكان الذى هيأه أبو بكر) نعم

ابن اريقط : (همسا لأبى بكر) هـذا راع مقبـلا بغنمه على الغار

ابو بكر : ما يريد ؟

ابن اريقط : انه ليريد منه الذى اردنا ، فهو خير ملجأ له ولغنمه

ابو بكر : (يخرج الى فم الغار) لمن انت ياغلام ؟

الراعى : لرجل من اهل المدينة

ابو بكر : (يلتفت الى غنمه) أفى غنمك لبن ؟

الراعى : نعم

ابو بكر : افتحلب لى ؟

الراعى : نعم

« يأخذ الراعى شاة »

ابو بكر : انقض الضرع من الشعر والتراب والقذى

« الراعى يحلب فى قعب معه »

ابو بكر : (يتناول منه اللبن) هات !

« ثم يتجه الى النبى بقعب اللبن »

ابن اريقط : (همسا لأبى بكر) هو نائم

« يكره ابو بكر ان يوقظ النبى فيقف باللبن حتى يستيقظ »

ابو بكر : (للنبى وقد فتح عينيه) يارسول الله : اشرب

محمد : (يشرب حتى يرتوى) الم يأن للرحيل ؟

ابو بكر : (للدليل) يا ابن اريقط الم يأن للرحيل ؟

ابن اريقط : (ينظر الى الفضاء) نعم ، لقد زالت الشمس

ابو بكر : هيىء الراحلتين !

« محمد ينهض وينهض معه ابو بكر ويتهيآن للرحيل »

ابن اريقط : (يأتى بالراحلتين الى فم الغار) اركبا !

أبو بكر : (للنبى مشيرا الى أفضل الراحلتين) اركب فداك أبى وأمى !

محمد : انى لا أركب بعيرا ليس لى

أبو بكر : هى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى !

محمد : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟

أبو بكر : أربعمائة درهم

محمد : قد أخذتها بها

أبو بكر : هى لك يارسول الله

« يركب محمد على راحلة • ويركب ابو بكر على الراحلة الاخرى ويردف خلفه ابن اريقط وينطلقون »

المنظر السادس والثلاثون

« فى الطريق ـ على مقربة من خيمتى أم معبد ـ النبى وأبو بكر ودليلهما على راحلتهم »

أبو بكر : (لابن اريقط) من يعدو فى اثرنا ؟

ابن اريقط : (يلتفت) هذا فارس فى سلاحه قد لحق بنا

أبو بكر : (فى فرق) قد اتينا

محمد : لاتحزن . ان الله معنا

ابن اريقط : (يلتفت) لقد عثر به فرسه فسقط عنه

الفارس : (يصيح خلفهم) أنا سراقة بن جعشم ! انظرونى اكلمكم ، فوالله لا أريبكم ويأتيكم منى شىء تكرهونه

محمد : (لأبى بكر) قل له وما تبتغى منا ؟

أبو بكر : (صائحا لسراقة) ما تبتغى منا ؟

سراقة : انى قد علمت انكما دعوتما على فسقطت عن فرسى فادعوا لى فالله لكما أن أرد عنكما الطلب !

أبو بكر : (ينظر الى النبى فيراه يدعو له) ان رسول الله قد دعا لك

سراقة : لقد جعلت قريش فى محمـد مائة ناقة لمن رده عليهم . وكنت أرجو ان أرده على قريش فآخذ المائة الناقة فخرجت فى اثركم كما ترون . ولكنى عرفت الآن ان محمدا قد منع منى وانه ظاهر . وانى لأبتغ منه شيئا ...

ابو بكر : ماذا ؟

سراقة : يكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينه . حتى اذا اظهره الله وكانت لى حاجة . التمستها اليه فعرفنى

محمد : (لأبى بكر) أكتب له يا ابا بكر

ابو بكر : (يكتب لسراقة عهدا فى عظم ويلقيه اليه) خذ !

سراقة : (يأخذه فيضعه فى كنانته ويرجع من حيث أتى) سارجع لأرد عنكم من يلتمسكم

« يذهب »

ابن اريقط : (يرى خيمتى أم معبد) هذه ام معبد بين خيمتيها ، الا نسألها طعاما ؟

ابو بكر : (يلتفت الى النبى فيرى على وجهه الموافقة ..) أصبت

« ثم ينزلون عن راحلتيهم ويقبلون عل ام معبد ويقرؤها النبى السلام ويفعل مثله من معـه »

ابن اريقط : (يرى كلأ وعشبا على مقربة من الخيمتين) هاهنا رزق للدابتين

ابو بكر : (لأم معبد) أما عندك تمر أو لحم نشترى ؟

أم معبد : والله لو كان عندنا شيء ما اعوزكم القرى

محمد : (ينظر الى شاة فى كسر الخيمة) ما هذه الشاة يا أم معبد ؟

أم معبد : هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم

محمد : هل بها من لبن ؟

أم معبد : هى أجهد من ذلك

محمد : أتأذنين لي أن أحلبها ؟
أم معبد : نعم ، بأبي أنت وأمي ، ان رأيت بها حلبا
محمد : (يدعو الشاة ويمسح ضرعها) بسم الله ، اللهم بارك لها في شاتها !

« تتفاج الشاة وتدر وتجتر »

أبو بكر : اناءك يا أم معبد ؟
محمد : (يجلس الشاة ويتناول اناء من أم معبد فيملأه لبنا ...) ؟
أم معبد : ما اعجب الذى أرى !
أبو بكر : لاتعجبى !
محمد : (يسقى أم معبد) اشربى يا أم معبد !
أم معبد : (تشرب حتى ترتوى) جزيت خيرا !
محمد : (يسقى أبا بكر) اشرب يا أبا بكر !
أبو بكر : وأنت يارسول الله ؟
محمد : ساقى القوم آخرهم !

« يشرب النبى آخر من شرب »

ابن اريقط : أما وقد روينا فلنرحل !
محمد : نعم ، جزاك الله خيرا يا أم معبد !

« يرحلون بعد ان يودعوا أم معبد »

أم معبد : (تنظر اليهم صامتة فى عجب حتى يغيبوا عن بصرها ...) على خير طائر !
أبو معبد : (زوجها يأتى يسوق أعنزا عجافا هزلى فيرى اللبن فى الاناء ...) عجبا ! من أين لكم هذا والشاة عازبة ؟ ولا حلوبة فى البيت ؟
أم معبد : لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك ، ما مسح ضرع الشاة بيده حتى تفاجت ودرت واجترت ، وأتيت له

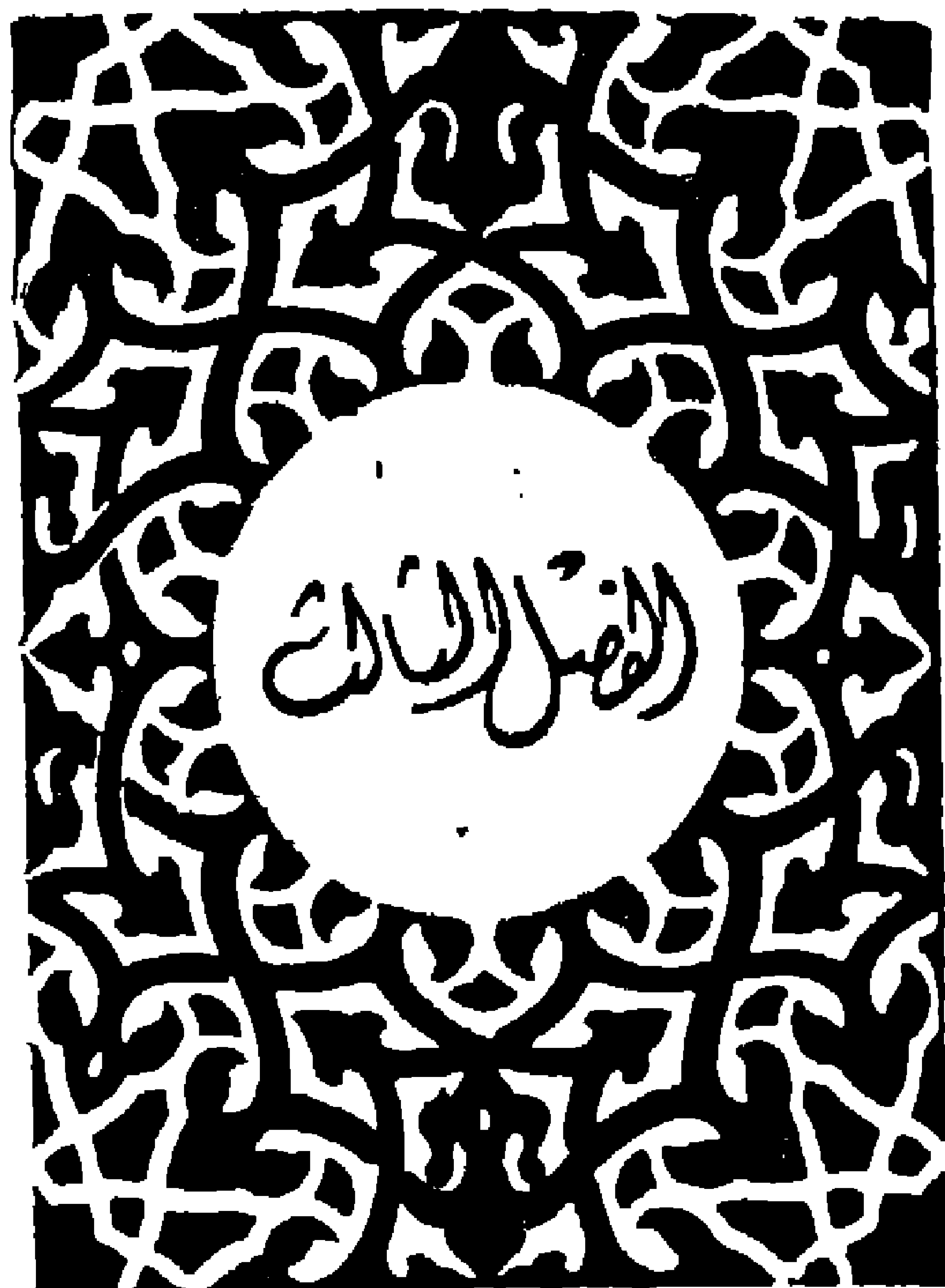
بالاناء فحلب فيه ثجا الى أن غلبه الثمال ، فسقاني فشربت حتى رويت ، وسقى صاحبيه حتى رووا وشرب هو آخرهم

أبو معبد : صفيه لى يا أم معبد !

ام معبد : هو رجل طاهر الوضاءة متبلج الوجه ، حسن الخلق ، وسيم قسيم فى عينيه دعج ، وفى صوته صحل ، ليس بالطويل الممغط ، ولا القصير المتردد ولا بالجعد القطط ولا السبط ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ، اذا مشى تقلع كأنما يمشى فى صبب ، واذا صمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لانزر ولا هذر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا ، وهما يحفان به ، اذا قال استمعا لقوله ، وان امر تبادرا الى أمره ، محفود محشود لاعابس ولا مفند !

ابو معبد : (يتفكر ثم يصيح) هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره ماذكر . ولو كنت وافقته يا ام معبد لالتمست أن أصحبه . . . (يفكر) ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا




الفصل الثالث



المنظر الاول

« فى يثرب جمع من الانصار والمهاجرين ينتظرون على أبواب المدينـــة فى حمـــارة القيظ »

الانصار : ألم يقدم بعد ؟

المهاجرون : نرجو أن يقدم اليوم

يهودى : (من بينهم) كل يوم تقولون هذا

عبد الله : (من الانصار) والله انا لنخرج فى أول النهار من كل يوم ، نتحين قدومه حتى تحرقنا الشمس فنرجع الى منازلنا وما قدم !

أبو أيوب : (من الانصار) صبرا ياعبد الله !

عبد الله : والله لا أجد بى صبرا أريد أن انظر اليه وأرى وجهه

أبو أيوب : انا أيضا والله ابغى رؤية ذلك الذى ملأ قلوبنا بالهدى

عتبان : (من الانصار) صدقتما والله . لقـد اتبعنـاه واحببناه وما رأيناه !

اليهودى : او سمعتم بمخرجه وحده ؟

سعد : (من المهاجرين) لقد سمعنا بمخرجه من مكة هو وابو بكر

سليط : (من المهاجرين ينهض) ان الشمس قد غلبتنا

على الظلال ولم يبق ظل ، فلندخل بيوتنا فما أحسبه آتيا اليوم

الجميع : (ينهضون) نعم ، فلندخل بيوتنا !

« ينصرفون الى بيوتهم ، ما عدا اليهودى فانه يصعد الى أكمه لبعض شأنه ، ولا يكادون يدخلون منازلهم حتى تقبل الراحلتان وعليهما محمد وابو بكر وابن أريقط »

اليهودى : (يلتفت من أعلا الاكمة فيرى القادمين فيصرخ بأعلى صوته) يابنى قيلة ! هذا صاحبكم قد جاء !

المسلمون : (من كل بيت يصيحون) الله أكبر ! الله أكبر !

« ثم يهرعون خارجين يستقبلون النبى »
« محمد ينزل عن راحلته ويجلس مع أبى بكر فى ظل نخلة »

الناس : (من نساء وصبيان واماء يصيحون) جاء نبى الله ! جاء نبى الله !

« الحصين بن سلام وهو من يهود يقبل مع عمته خالدة ليرى محمدا »

الحصين : (يصيح فى حماسة) الله أكبر !

خالدة : خيبك الله ! والله لوكنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت !

الحصين : أى عمة ! هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به

خالدة : يا ابن أخى ، أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟

الحصين : نعم

خالدة : (تلتفت الى ناحية محمد) فذاك اذن

الحصين : هلمى نراه

خالدة : (ناظرة الى محمد وأبى بكر) أيهما النبى ، وأيهما أبو بكر ؟

الحصين : (ناظرا اليهما) لقد زال الظل عن أحدهما ، فقام الآخر اليه يظله بردائه

خالدة : (تشير الى النبى) هو اذن هذا

الحصين : (يطيل النظر الى محمد) نعم ، والله أرى وجهه ليس بوجه كذاب

« المسلمون من انصار ومهاجرين يقبلون على النبى من كل مكان يسلمون عليه »

الناس : يارسول الله ! جئتنا بالهدى أهدنا الى الله ؟

محمد : أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا والناس نيام ، وادخلوا الجنة بسلام '

« ينهض الى راحلته ومعه ابو بكر »

المسلمون : اركب آمنا مطاعا !

« ثم يحيطون بالنبى وقد وضع النبى للناقة زمامها »

الناس : (من نساء وصبيان واماء يصيحون فرحين) نبى الله جاء ! نبى الله جاء !

بنو سالم : (يعترضون سبيل النبى) أقم عندنا يارسول الله ! فى العدد والعدة والمنعة ! آتأخذ بخطام الناقة ؟

محمد : (وهو يشير الى الدابة) خلوا سبيلها ، فانها مأمورة !

« يتركونها ، ويسير قليلا فيعترضه قوم آخرون من الانصار »

بنو الحارث : هلم يانبى الله الى القوة والمنعة والثروة ! (يمسكون بخطام الراحلة)

محمد : انها مأمورة فخلوا سبيلها !

بنو عدى : (يعترضون الناقة كذلك) يارسول الله ! هلم الى العدد والعدة والسلاح !

محمد : خلوا سبيلها فانها مأمورة !

« تسير الناقة حتى تقف على مربد فتبرك » .

الناس : (فى همس) لقد بركت الناقة !..

محمد : (يسأل من حوله) لمن المربد ؟

معاذ بن عفراء : (يتقدم) هو يارسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو

محمد : (همسا) يا ابا بكر !

« ثم يلقى فى اذنه كلاما »

ابو بكر : (لمن حوله) سيبتاع النبى هذا المربد ويرضيهما منه . فهنا يبنى مسجد الله ومسكن رسوله !

المنظر الثانى

« تحت نخلة لاحد اليهود . سلمان الفارسى وعبد من العبيد يتحادثان »

العبد : (لسلمان) لقد قصصت عليك أمرى فقص على أمرك

سلمان : (كالمخاطب لنفسه) والله ان أمرى لعجب !

العبد : أين كنت قبل أن يبتاعك هذا اليهودى ؟

سلمان : كنت رجلا فارسيا من اهل اصبهان ، من قرية يقال لها حى ، وكان ابى دهقان قريته ، وكنت أحب خلق الله اليه ، ولم يزل به حبه اياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لايتركها تخبو ساعة . وكان لأبى ضيعة عظيمة ، فأمرنى فيها يوما ببعض مايريد ، فخرجت اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس ، لحبس أبى اياى ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر مايصنعون ، فلما رأيتهم اعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم ، وقلت هذا

والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فسألتهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام . فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني . ثم رجعت الى أبى وقد غربت الشمس فسألنى اين كنت ؟ فأخبرته بما رأيت فقال : أى بنى ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قلت كلا والله انه لخير من ديننا ، فخافني فجعل فى رجلي قيداً ثم حبسنى فى بيته . فبعثت الى النصارى فأخبرونى بقدوم ركب من تجار الشام ، فألقيت الحديد من رجلي وخرجت معهم حتى قدمت الشام ، فسألت من أفضل أهل هـذا الدين علما ؟ قالوا الاسقف فى الكنيسة ، فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك وأخدمك فى كنيستك فأتعلم منك وأصلى معك ، قال ادخل ، فدخلت معه ، وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، فأبغضته بغضا شـديدا ، ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه فأخبرتهم عما رأيته يصنع وأريتهم موضع كنزه فلما استخرجوه قالوا والله لاندفنه ابدا ، فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت أزهد منه فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا اداب فى الصلاة ليلا ولا نهارا منه ، فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله ، فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة فقلت له لقـد حضرك ماترى من أمر الله ، فالى من توصى بى وبم تأمرنى ؟ قال يابني والله ما أعلم اليوم أحدا على ماكنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ماكانوا عليه الا رجلا بالموصـل ، دلنى عليه وأوصانى أن الحق به . ثم مات وغيب فلحقت بصاحب الموصل وأخبرته بما كان من أمرى فقال لى : اقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل ، ولم يلبث أن حضرته الوفاة فأوصانى أن الحق برجل من أهل نصيبين . ففعلت .

ثم حضر موت صاحب نصيبين أيضا . فامرني بالذهاب الى رجل بعمورية من أرض الروم فلحقت بصاحب عمورية فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه واكتسبت عنده حتى كانت لى بقرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله فسألته الى من توصى بى ، فقال يابنى والله ما أعلم اليوم احدا على مثل ماكنا عليه ، ولكنه قد اظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب مهاجرا الى أرض بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لاتخفى ، يأكل الهدية ولايأكل الصدقة ، فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، ثم مات وغيب فمكثت بعمورية حتى مر بى نفر من تجار فقلت لهم احملوني الى أرض العرب واعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه ، قالوا نعم فأعطيتهم اياها وحملونىمعهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ظلموني فباعوني لرجل يهودى عبدا ، فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، فبينما أنا عنده اذ قدم عليه من المدينة ابن عمه وهو سيدى عازر هذا ، فابتاعنى منه واحتملنى الى هنا ، فوالله ماهو الا ان رأيتها عرفتها بصفة صاحبى

اليهودى عازر : (يقبل) مابالكما قد تركتما العمل فى راس الغدق وجلستما هذا المجلس ، ايها الخاسران ؟

سلمان : (ينهض فى الحال ويعتلى النخلة ويقوم العبد زميله الى نخلة أخرى)

عازر : (للعبد) ماذا كان يقص عليك هذا النصرانى ؟

العبد : (لايجيب)

عازر : انى لم أبتعكما بالمال كى تجلسا وتتناجيا تحت النخيل . والله انى لأعرف لكما دواء ناجعا : الجوع

اليهودى رافع : (يقبل صائحا) ياعازر !

عازر : مالك يارافع ؟

رافع : قاتل الله بنى قيلة . والله انهم الآن لمجتمعون على رجل قدم عليهم اليوم من مكة ، يزعمون أنه نبى !

سلمان : (وقد سمع ذلك من أعلا النخلة يرتعد وينزل عن النخلة مقبلا على رافع) ماذا تقول ؟

عازر : (يلكم سلمان لكمة شديدة) مالك ولهذا ؟ اقبل على عملك

سلمان : لاشىء ، انما اردت أن استثبته عما قال

عازر : (فى عنف) اذهب الى عملك !

المنظر الثالث

« فى المسجد . محمد يخطب والناس يستمعون »

محمد : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لاشريك له ... أما بعد ، أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك، فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته

الحصين بن سلام : (يزحف حتى يدنو من النبى ويهمس اليه ...) يارسول الله ! انى كما تعلم يهودى وقد أسلمت . ولكن يهود قوم بهت ، وانىاحب أن تسألهم عنىحتى يخبروك

كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامى ، فانهم ان علموا به بهتونى وعابونى

((يبتعد عن النبى خفية كما دنا بدون أن يلحظه أحد))

محمد : يامعشر يهود ! أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟
اليهود : هو سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وعالمنا
الحصين : (ينهض اليهم) يامعشر يهود ! اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به محمد ، فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله ،تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته
اليهود : (فى عجب) أو قد أسلمت ؟
الحصين : نعم ، وانى أشهد أنه رسـول الله ، وأومن به واصدقه واعرفه
اليهود : (كلهم فى غضب) كذبت ! كذبت !
شمويل : ما هذا بالنبى الذى كنا نذكره وننتظر بعثه . وما جاءنا بشىء نعرفه
أشيع : (صائحا فى قومه) ان الحصين قد أفسد علينا
فنحاص : (صائحا كذلك) ان الحصين لمن أشرارنا ، ولو كان من أخيارنا ما ترك دين آبائه وذهب الى غيره
الحصين : (للنبى) ألم اخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور !
فنحاص : (للحصين) انما الكاذب الغادر الفاجر أنت . لقد اتبعت محمدا الذى يريد منا أن نعبده كما تعبد النصارى عيسى بن مريم
نصرانى : (من أهل نجران ينهض ويلتفت الى محمد) أوذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا ؟
محمد : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره فما بذلك بعثنى الله ولا أمرنى
أبو بكر : ويحك يا فنحاص ! اتق الله ، فوالله انك لتعلم أن محمدا لرسول الله وقد جاءكم بالحق

فنحاص : اليس هو الذى يقول أن الله يجزى الحسنة عشر امثالها !
أبو بكر : نعم
فنحاص : والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لاغنياء وما هو عنا بغنى ، اليس يأخذ منا الحسنة بعشر امثالها ؟ فهو ينهانا عن الربا ويعطيناه !

« ابو بكر فى غضب شديد يضرب وجه فنحاص »

فنحاص : (يصيح) يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك !
محمد : (لابى بكر) ما حملك على ما صنعت ؟
أبو بكر : يا رسول الله ! ان عدو الله قال قولا عظيما
محمد : (يتلو) ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
أحد الاحبار : يامحمد ! أرايت قولك « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ايانا تريد أم قومك ؟
محمد : كلا
الحبر : انك تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء
محمد : انها فى علم الله قليل
الحبر : وما علم الله ؟
محمد : (يتلو) ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم
شمويل : ما مدة الدنيا ؟
اشبع : انا تقول ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
الحبر : نعم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول ؟

محمد : (يتلو) يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة .. يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحبر : يا محمد ! تقول ان هـــذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟

محمد : (يغضب حتى ينتقع لونه . ثم يسمع صـــوت جبريل)

جبريل : (هامسا فى أذن محمد) خفض عليك يا محمد !

محمد : (يسكن غضبه ويصغى الى جبريل ثم يتلو على الناس) قل هو الله أحد . الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد

شمويل : صف لنا يا محمد كيف خلقه ، كيف ذراعه ،كيف عضده ؟

محمد : (ينتفض غضبا) ؟

جبريل : (همسا) خفض عليك يا محمد !

محمد : (يصغى الى جبريل ويتلو) وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون

اشيع : يا محمد ، ومن تؤمن به من الرسل ؟

محمد : نؤمن بالله وما أنزل الينـــا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاســـباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

شمويل : اتؤمن بعيسى بن مريم ؟

اشيع : انا لا نومن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به

نصارى نجران : (ينهضون) وانا والله لانؤمن بموسى بن عمران ولا بمن آمن به

اليهود : (ينهضون) ما انزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده

النصارى : (لليهود) كذبتم يا من اسلمتم عيسى للصلب ! ما انزل الله التوراة . انما الانجيل هو كتابه المنزل

محمد : (يتلو متوجها الى النصارى واليهود) قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضنا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ..

النصارى : يا محمد ! انا نتركك على دينك واتركنا على ديننا

« ينصرفون وينصرف اليهود كذلك »

سلمان الفارسي : (يدخل حاملا سلة كبيرة ويقف بين يدى النبى) انه قد بلغنيأنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عنديللصدقة ، فرايتكم أحق به من غيركم

« يخرج طعاما من السلة ويقربه الى النبى »

محمد : (لاصحابه) كلوا

ابو بكر : (يلتفت حوله) أين عمر ؟

حمزة : عمر بن الخطاب ؟ انه ذهب يشـــترى خشبتين للناقوس !

سلمان : (همسا لابى بكر مشيرا الى النبى) انه لم يأكل

ابو بكر : (لسلمان) أن رسول الله لايأكل الصدقة

سلمان : (لنفسه فرحا) هذه واحدة ! (يخرج من السلة شيئا آخر ويقدمه الى النبى) انى قد رايتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها

محمد : (يتناول منها ويأكل) بسم الله !

« سلمان يكب على رسول الله يقبله ويبكى »

سلمان : (صائحا) اللهم احمدك ! اللهم احمدك !
محمد : ما شانك يا هذا ؟
سلمان : لقد وجدت النبى الذى أخبرت به
محمد : من أهل اى البلاد انت ؟
سلمان : من فارس يارسول الله وادعى سلمان ، وقد خرجت من بلادي وكنت غلاماً حديثا أبغى دين الحق حتى وجدتك آخر الامر ، ولكن الرق يشغلنى عنك
محمد : الرق !
سلمان : نعم
محمد : كاتب يا سلمان !
سلمان : نعم سأكاتب صاحبى اليهودى على نخل أحييه له ، اذ لامال عندى اشترى به نفسى
محمد : (لاصحابه) اعينوا اخاكم
ابو بكر : (لسلمان) نعم ، نعينك بالنخل ، كل رجل بما عنده من ودية ، ونفقر لها الارض لنغرس فيها . . .
محمد : اذهب يا سلمان ففقر لها ، فاذا فرغت فأتنى ، أكن انا اضعها بيدى

« سلمان يقبل يدى النبى ويخرج ، يقدم عمر بن الخطاب »

ابو بكر : (لعمر) اجئت بخشبة الناقوس كى ندعوا الى الصلاة !
عمر : كلا
أبو بكر : لماذا ؟
عمر : (للنبى) يا رسول الله . لقد طاف بى هذه الليلة طائف يهتف « لا تجعلوا الناقوس بل اذنو للصلاة » . .
صوت بلال : (يؤذن خارج المسجد) الله اكبر ! الله أكبر !

عمر : (دهشا) عجبا ! هذا بلال يؤذن ؟ !
محمد : (لعمر باسما) قد سبقك بذلك الوحى !
عمر : والله ما كرهت شيئا مثل أن نجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ولا مثل الناقوس . . .
صوت بلال : (من الخارج يمضى فى اذانه) اشهد أن لا اله الا الله ، اشهد ان لا اله الا الله ! اشهد أن محمدا رسول الله . . اشهد أن محمدا رسول الله ! حى على الصلاة ! حى على الصلاة، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ! الله أكبر ، الله أكبر ! لا اله الا الله !

المنظر الرابع

« جمع من الناس عند مساكن النبى ـ احد الانصار يدنو من احد المهاجرين »

الانصارى : ما الخبر ؟

المهاجرى : رسول الله يتزوج بعائشة

الانصارى : بنت أبى بكر ؟

المهاجرى : نعم ولقد خطبها يوم كان بمكة

الانصارى : على الخير والبركة !

المهاجرى : وعلى خير طائر

المنظر الخامس

« نفر من المهاجرين بينهم عمر وابو بكر بجوار المسجد يتحدثون »

عمر : اما ترى هذا يا أبا بكر ؟
أبو بكر : نعم ، والله انى لارى ما ترى . ان أهل المدينة ليحق لهم أن يبرموا بنا

عمر : انا معشر المهاجرين قد لبثنا فيهم نيفا وثمانية عشر شهرا ، نأكل من أموالهم ...

ابو بكر : لقد تركنا أموالنا بمكة ، مع من تركنا من أهلنا

عمر : وما عاقبة الامر ؟ اني اخشى أن لا يصبر الانصار على هذه الحال اكثر مما صبروا ؟ الا ترى لنا رأيا ؟

بلال : (يقبل سريعا) أما سمعتم ؟

أبو بكر : ماذا ؟

بلال : ابو سفيان بن حرب مقبل من الشام فى عير عظيمة، فيها اموال لقريش وتجارة من تجاراتهم

عمر : (وقد لمعت فى راسه فكرة) وكم فيها من رجال ؟

بلال : ثلاثون رجلا من قريش او اربعون

عمر : قد بدا لى رأى

أبو بكر : قل . اسمع

عمر : ارى أن نعرض لهذا المال . لقد اخرجتنا قريش من ديارنا وجردتنا من اهلنا ومالنا فان نصب هذه العير فهى بعض حقنا ، ومال بمال

أبو بكر : الا نستأذن رسول الله ؟

عمر : بلى قم الى رسول الله فكلمه

« ابو بكر ينهض ويذهب من فوره »

بلال : عسى ان يأذن رسول الله !

عمر : ان شاء الله فانه يأذن . انا معشر المهاجرين لا نرضى أن يحتملنا الانصار على كواهلهم اكثر مما احتملوا ، فلقد أدوا لنا ما عليهم ، وآن لنا أن ننفق مما يعطينا الله

بلال : رسول الله وأبو بكر قادمان !

« ينهض الجميع لاستقبال الرسول »

عمر : والله انى لارى فى وجه رسول الله انه قد سبقنا الى هذا الرأى

أبو بكر : يا معشر المسلمين !
محمد : (وقد اجتمع اليه المسلمون) هذه عير قريش فيها اموالكم ، فاخرجوا اليها ، لعل الله أن يغنمكموها !

المنظر السادس

« فى مكة ـ بجوار الكعبة ، عاتكة بنت عبد المطلب تحادث اخاها العباس بن عبد المطلب »

عاتكة : يا أخى ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا افظعتنى وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عنى ما أحدثك به
العباس : وما رأيت ؟
عاتكة : رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : « ألا انفروا ياآل غدر لمصارعكم » فأرى الناس اجتمعوا اليه ، ثم اخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة
العباس : والله ان هذه لرؤيا ، وانت فاكتميها ولا تذكريها لاحد !.
عاتكة : لن أذكرها لاحد .

« تنصرف »
« يقبل الوليد بن عتبة »

الوليد : (للعباس) مالك يا ابا الفضل ؟
العباس : لا شيء . اردت أن أطوف بالكعبة !
الوليد : ارى فى وجهك شيئا لا عهد لى به .
العباس : اأقول لك وتكتم عنى ؟
الوليد : نعم .
العباس : لقد رات أختى عاتكة رؤيا أفظعتنى وتخوفت ان يدخل على القوم منها شر .

الوليد : وما رأت ؟

العباس : رات راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح، ثم صرخ بأعلى صوته « الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم » فاذا الناس اجتمعت اليه فأخذ صخرة فأرسلها حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقى بيت الا دخلته منها فلقة .

الوليد : انها والله لرؤيا .

العباس : اكتمها ولا تذكرها لاحد .

الوليد : لن أذكرها لاحد .

العباس : انى ذاهب أطوف

« ينصرف »

« يقبل عتبة بن ربيعة »

عتبة : (للوليد) ما تصنع هنا ؟

الوليد : كان معي العباس .

عتبة : واين ذهب ؟

الوليد : ذهب يطوف ، وقد القى الى حديثا عجبا ! اقول لك وتكتم ؟

عتبة : نعم .

الوليد : لقد رأت أخته عاتكة رؤيا .

عتبة : ماذا رأت ؟

الوليد : (وهما منصرفان) رات راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ...

« يذهبان »

« يقبل امية بن خلف وعقبة بن أبى معيط والحرث بن النضر »

امية : أما جاء خبر عن ابى سفيان ؟

عقبة : لقد خرج من الشام .

أمية : عائد الى مكة ؟

عقبة : نعم .

الحرث : وقد ربحت تجارتنا ربحا عظيما .
امية : هل لك مال فيها يا ابن النضر ؟
الحرث : نعم ، وانت ؟
امية : وانا
عقبة : ما احسب احدا من قريش الا وله فيها نصيب .
امية : (يلتفت الى الجهة التى ذهب منها الوليد وعتبة) ابو الحكم مقبل .
عقبة : (يلتفت) ماله يضحك فى هذا النفر حوله !
ابو جهل : (يقبل فى رهط) أما سمعتم يا معشر قريش !
امية : ماذا ؟
ابو جهل : رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب !
امية : (وكذلك الحرث وعقبة) لم نسمع .
ابو جهل : لقد رات عاتكة فى نومها راكبا اقبـل على بعير له حتى وقف بالابطح صارخا « الا انفروا يا آل غدرلمصارعكم» فاذا الناس تجتمع واذا صخرة تهوى بأسفل الجبل فما بقى دار فى مكة الا دخلتها منها فلقة .
امية : من اخبرك بهذا ؟
ابو جهل : الناس كلها تتحدث به .
عقبة : هذا اخوها العباس خارجا من الكعبة !
امية : (يصيح بالعباس) يا أبا الفضل !

« العباس يقبل عليهم »

ابو جهل : (للعباس متهكما ساخرا) يا بنى عبد المطلب ! متى حدثت فيكم هذه النبية المرسلة !
العباس : (فى تجهم) وما ذاك ؟
ابو جهل : تلك الرؤيا التى رات عاتكة .
العباس : وما رات
ابو جهل : يا بنى عبد المطلب ! اما رضيتم ان يتنبأ رجالكم، حتى تتنبأ نساؤكم !

العباس : ماذا تعنى يا أبا الحكم ؟

ابو جهل : زعمت عاتكة فى رؤياها ان راكب البعير قال : « انفروا لمصارعكم » فسنتربص بكم ، فان يك حقا ما تقول فسيكون ، وان لم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت فى العرب !

العباس : انى ما أحسبها قد رات شيئا : انما هو قول يتقولون به عليها .

عقبة (يلتفت) : انظروا ! ببطن الوادى .

الجميع : (يلتفتون) ماذا ؟

الحرث : هذا واللات رجل واقف على بعيره .

عقبة : وقد جدع بعيره ، وهو يشق قميصه ويصرخ .

ابو جهل : هذا صوت ضمضم الغفارى !

امية : نعم : لعله آت من الشام ! استمعوا له !.

ضمضم : (على بعيره يصرخ) يا معشر قريش ! اللطيمة ، اللطيمة ! اموالكم مع ابى سفيان قد عرض لها محمد فى اصحابه، لا ارى ان تدركوها ، الغوث ، الغوث !

امية : اموالنا !..

ابو جهل : محمد !

عقبة : واللات ، انها للحرب بيننا وبين هذا الرجل !

ابو جهل : (صائحا) أيها الناس ! تجهزوا سراعا . فانما هى الحرب !

المنظر السابع

« فى وادى ذفران ـ محمد فى رجاله »

ابو بكر : لقد جاء الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم

عمر : انها والله للحرب بيننا وبين مكة .

محمد : اشيروا على ايها الناس !

« المقداد بن عمرو ينهض من بين القوم »

المقداد : يا رسول الله ! امض لما اراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

« يجلس »

محمد : (وعينه الى طائفة الانصار) اشيروا على ايها الناس!

سعد بن معاذ : (ينهض من بين طائفة الانصـار) والله لكانك تريدنا يا رسول الله ؟

محمد : اجل

سعد : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة

ابو بكر : تريدون بيعة العقبة ؟

سعد : اجل

عمر : ان رسول الله يتخوف ان لا تكونوا معشر الانصار ترون عليكم نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وان ليس عليكم أن يسير بكم من بلادكم الى عدو .

سعد : (يلتفت الى محمد) والذى بعثـك بالحق . لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، انا لصبر فى الحرب . صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك ، فسر بنا على بركة الله !

محمد : (وقد سر مما سمع ونشطه ذلك) سيروا وابشروا ، فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكانى الآن انظر الى مصارع القوم .

« يقبل الزبير بن العوام ومعه شيخ »

ابو بكر : ممن الشيخ ؟

الزبير : هذا شيخ من العرب . اعترضته وجئت به عله يخبرنا بخبر القوم ؟
عمر : (للشيخ) أيها الشيخ اخبرنا عن قريش وعن محمد واصحابه ، اما بلغك عنهم شيء ؟
الشيخ : لا أخبركم حتى تخبروني ممن انتم ؟
محمد : اذا اخبرتنا اخبرناك .
الشيخ : او ذاك بذاك ؟
محمد : نعم .
الشيخ : انه بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان ، فان كان صدق الذى اخبرني ، فهم اليوم بوادي ذفران .
ابو بكر : وقريش ؟
الشيخ : وقريش ، بلغني انهم خرجوا يوم الجمعة لثمان وعشرين ليلة خلت من شـــعبان ، فان كان الذى أخبرني صدقني ، فهم اليوم قادمون وراء هذا الكثيب .
الزبير : (وهو يذهب به) جزاك الله خيرا ايها الشيخ .
الشيخ : ممن أنتم ؟
محمد : نحن من ماء .

« ثم ينتحي ويصلي »

الشيخ : (وهـــو منصرف مع الزبير) مـــن ماء ؟ امن ماء العراق ؟!

« يجذبه الزبير ويذهبان بعيدا »

عمر : او لم يرجع علي بعد ؟
سعد : اين هو ؟
عمر : لقد بعثه رسول الله في نفر من أصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر .

سعد : (يلتفت) اليس هو القادم مع رجلين معه ؟
عمر : (يلتفت) بلى .

« يقدم علي واصحابه ومعه غلامان »

سعد : (لعلى) ممن الغلامان ؟
على : سلوهما !..
عمر : (للغلامين) ممن انتما ؟
الغلامان : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء .
عمر : بل انتما لابى سفيان .
الغلامان : كلا .
سعد : اخبرانا اين ركبه وماله وتجارته ؟
الغلامان : نحن سقاة قريش .
سعد : انكما تكذبان . انتما لابى سفيان .

« يضربهما هو والانصار »

الغلامان : (والضرب ينهال عليهما) نحن لابى سفيان . نحن لابى سفيان .

« يتركونهما »

سعد : دعوهما ! لقد اقرا .
محمد : (يختتم صلاته وينهض اليهم) اذا صدقاكم ضربتموهما ، واذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله ، انهما لقريش . (للغلامين) أخبراني عن قريش !
الغلامان : هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى .
محمد : كم القوم ؟
الغلامان : كثير . وقد خرجوا بالدفوف والقيان .
محمد : ما عدتهم ؟
الغلامان : لا ندرى .
محمد : كم ينحرون كل يوم ؟

الغلامان : يوما تسعا ، ويوما عشرا .
محمد : (لاصحابه) القوم فيما بين التسعمائة والالف .
ابو بكر : نعم . كل مائة نفر يأكلون فى اليوم بعيرا .
محمد : (للغلامين) من فيهم من اشراف قريش ؟
الغلامان : ابو جهل بن هشام ، وامية بن خلف ، وعتبة ابن ربيعة ، والنضر بن الحرث ، وغيرهم .
محمد : (لاصحابه) هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها !
عمر : (للغلامين) كم خيلهم ؟
الغلامان : مائة فرس !
سعد : (كالمخاطب لنفسه) ونحن ما لنا غير فرسين .
عمر : (للغلامين) وكم عيرهم ؟
الغلامان : عدد الرمل والحصى !
ابو لبابة : (كالمخاطب لنفسه) وكل ما لدينا سبعون بعيرا
محمد : (يأمر بالسير) سيروا ، على بركة الله .
عمر : ارى يا رسول الله ان يكون كل ثلاثة منا على بعير .
محمد : نعم
عمر : (يصيح فى الناس) الى العير ! كل ثلاثة على بعير !

« القوم يقومون الى عيرهم »

ابو بكر : وانت يا رسول الله ؟
محمد : (يلتفت الى جواره فيرى عليا وابا لبابة بينهما بعير) انا مع على وابى لبابة . اركبا !
ابو لبابة : اركب انت يا رسول الله !
على : اركب حتى نمشى عنك !
محمد : اركبا ! ما انتما بأقوى على المشى منى ، وما انا اغنى عن الاجر منكما .
عمر : (يصيح فى الناس) الى بدر ! الى بدر !.
محمد : (يرفع رأسه الى السماء) اللهم انهم حفاة فاحملهم! اللهم انهم عراة فاكسهم ! اللهم انهم جياع فأشبعهم !

المنظر الثامن

« ماء بدر ـ قلب ماء عديدة بالوادى ، بينهما قليب
امامه كثيب ـ ابو سفيان بن حرب ينزل بالماء حذرا »

ابو سفيان : (لاحد الرعاة) هل احسست احدا ؟

الراعى : ما رأيت احدا انكره ، الا انى قد رايت رجالا ثلاثة قد اناخوا الى هذا التل ، ثم انطلقوا مع غلامين من سقاة الماء

ابو سفيان : ارنى مناخهم ؟

الراعى : (يشير له الى مكان بالوادى) هنـــا كان مناخ بعيرهم .

ابو سفيان : (ينحنى ويلتقط بعرا من ابعار الابل ويفته باصابعة فيجد . فيه نوى ..) علائف يثرب !

الراعى : أرأيت فيها نوى نخيلها ؟

ابو سفيان : (كالمخاطب لنفسه) نعم ، هذه واللات عيون محمد !

« يرجع الى عيره سريعا ويرتحل من فوره
مع اصحابه بعيدا عن الطريق المألوف »

الراعى : (لنفسه) ما هذا الرجل قد ضرب وجوه عيره عن الطريق وانطلق سريعا ؟!

« ينصرف »

« محمد واصحابه يقومون »

محمد : هنا فانزلوا !

« الحباب بن المنذر يسرع الى محمد »

الحباب : ننزل هذا المكان ؟

محمد : نعم .

الحباب : يا رسول الله ! ارايت هذا المكان ، امنزلا انزلكه

الله ، ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه ، ام هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

محمد : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

الحباب : يا رسول الله . ان هذا ليس بمنزل ، فسر بالناس حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزله . فانى عالم بها وبقلبها ، بها قليب قد عرفت عذوبة مائة لا ينزح ، فنغور ما سواه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا ، ثم نقاتل القـــوم فنشرب ولا يشربون .

محمد : لقد اشرت بالرأى .

الحباب : (يسير بالقوم الى القليب) هو هذا القليب هنا فلننزل .

« محمد ينزل ، وينزل معه الناس »

عمر : (للحباب) خذ بعض القوم وابنوا الحوض

« الحباب يسير ببعض الناس ليفعل ما اشار به »

ابو بكر : (لعمر) ألا فلنجعل الرجال فى صفوف !

« سعد بن معاذ يدنو من محمد »

سعد : يا نبى الله ! الا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعـد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا بالمدينة ؟

محمد : جزاك الله خيرا يا سعد .

ابو بكر : (لسعد) انطلق مع بعض الرجال وابنو العريش !

« سعد يسير ببعض الناس ويبنون عريشا من جريد »

محمد : استووا ، صفا صفا !

« يصفف رجاله »

ابو بكر : (للرجال) افعلوا كما امركم رسول الله .

محمد : (فى يده عود يشير به لبعض الرجال كى يعدل الصف) انت تقدم !
احد الرجال : انا ؟
محمد : نعم ، (لرجل آخر) وانت تأخر !
سواد بن غزية : (وهو مستنصل عن الصف) يا رسول الله!
محمد : (يطعن بالعود فى بطن سواد) استو يا سواد !
سواد : يا رسول الله اوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل .
محمد : استو !
سواد : اصبرنى يا رسول الله ، ومكنى من نفسك لاقتص منك !
محمد : اصبر !
سواد : ان عليك قميصا وليس على قميص .

« محمد يرفع قميصه ، فيعتنقه سواد ويقبل بطنه »

محمد : ما حملك على هذا يا سواد ؟
سواد : يا رسول الله ! حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك !
محمد : (باسما) جزاك الله خيرا يا سواد !
الحباب : (يقدم وقد بني الحوض) لقد بنينا الحوض وقذفنا فيه الآنية ، فو الله ما يشرب منه رجل منهم الا يقتل!
على : (يصيح انظروا الى الكثيب ، لقد اتوا) .
ابو بكر : (يلتفت) نعم هذا الكثيب انهم يجيئون منه الى الوادى !
محمد : (وجهه الى السماء) اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ! اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداة !

« قريش تظهر على الكثيب وتصوب انظارها فى الوادى »

ابو جهل : (يرى محمدا وجيشه) هذا محمد واصحابه !
أمية بن خلف : (يلتفت الى عمير بن وهب) يا عمير ! احزر لنا اصحاب محمد !
عمير : (يصوب فى الوادى) ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا او ينقصون ، ولكن امهلونى حتى انظر اللقوم كمين او مدد ؟

« يذهب فيضرب فى الوادى »

عتبة بن ربيعة : اما سمعتم بما يقول جهيم بن عبد المطلب؟
امية : ماذا يقول ؟
عتبة : رؤيا قد رآها .
ابو جهل : رؤيا ؟!
عتبة : (ينادى) يا جهيم ! اقبل وقص علينا رؤياك .
جهيم : (يقبل) انى رايت فيما يرى النائم ، وانى لبين النائم واليقظان ، اذ نظرت الى رجل قد اقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال : « قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو الحكم بن هشام وامية بن خلف ، ثم رايته ضرب فى لبة بعيره ثم ارسله فى العسكر فما بقى خباء من اخبية العسكر الا اصابه نضح من دمه .
ابو جهل : وهذا أيضا نبى آخر من بنى عبد المطلب !
جهيم : والله لقد ذكرت ما رأيت .
ابو جهل : ستعلم اليوم من المقتول . ان نحن التقينا .

« عمير يعود »

امية : ماذا وجدت يا عمير ؟
عمير : ما وجدت شيئا ، ولكنى رايت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، اما ترونهم خرسا لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الافاعى ، والله ما ارى ان يقتل منهم رجل

حتى يقتل منا رجل، فاذا أصابوا منكم عددهم فماخيرالعيش بعد ذلك ! فروا رأيكم .

شيبة : (يتقدم اليهم) لقد جاء نبأ من ابى سفيان انه أحرز عيره ونجا بها .

امية : او بعث احدا ؟

شيبة : (يشير الى فارس خلفه) نعم هذا هو رسوله

الفارس : (يتقدم) لقد ارسلنى اليكم ابو سفيان اقول لكم انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجا بها فارجعوا

ابو جهل : نرجع! واللات لانرجع حتى نرد سواد بدر فننحر الجزر ، ونطعم الطعام . ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا ابدا بعدها !

امية : واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا واصحابه بالحبال ، فامضوا !

عمير : (يلتفت الى جيش محمد) كيف نمضي ؟ ان محمدا واصحابه قد جعلوا لانفسهم حوضا على هذا القليب يذودون عنه ، ولا ماء لدينا ، وقد غوروا ما سواه من القلب

ابو جهل : فلنحمل عليه

عمير : واللات لو فعلنا لرمونا بالنبل .

« يخرج الاسود المخزومى »

المخزومى (يصيح) أعاهد اللات لاشربن من حوضهم أو لاهد منه او لاموتن دونه .

« يخرج صائحا منطلقا الى القليب فيراه حمزة ابن عبدالمطلب فى صفوف النبى فيتبعه »

حمزة : (صائحا) خذها يا عدو الله !

« ثم يضربه بسيفه ضربة تطن قدمه بنصف ساقه وهو
دون الحوض فيقع المخزومى على ظهره وتشخب رجله دما
فيحبو الى الحوض ويقتحمه فيتبعه حمزة ويضربه حتى يقتله فى الحوض »

عتبة : (يبرز ويصيح) الى المبارزة ! الى المبارزة !

« يخرج من صفوف النبى ثلاثة من الانصار للمبارزة »

الانصار : (صائحين) الى المبارزة !
عتبة : (صائحا) من انتم ؟
الانصار : رهط من الانصار .
قريش : (تصيح) ما لنا بكم من حاجة .
عتبة : (ينادى) يا محمد ! اخرج الينا اكفاءنا من قومنا .
محمد : (على باب عريشه ينادى :) قم يا حمزة ، قم يا على ، قم يا عبيدة بن الحارث !

« ينهض الثلاثة ويتقدمون للمبارزة »

عتبة : من انتم ؟
حمزة : انا حمزة بن عبد المطلب ، اسد الله واسد رسوله .
عتبة : كفء كريم . وانا اسد الحلفاء . من هذان معك ؟
حمزة : على بن ابى طالب وعبيدة بن الحارث .
عتبة : كفئان كريمان . وهذان معى الوليد ابنى وشيبة اخى
قم يا وليد ! قم يا شيبة !

« يبارز على الوليد فيختلفان ضربتين ويقتله على ، ويبارز حمزة عتبة
فيختلفان ضربتين ويقتله حمزة ، ثم يبارز عبيدة شيبة فيضرب شيبة
رجل عبيدة وهو اسن أصحاب النبى بذباب السيف فيصيب عضلة
ساقه فيقطعها ، فيكر حمزة وعلى على شيبة فيقتلانه
ويحتملان صاحبهما عبيدة الى صفوفهم

ابو جهل : (يصيح فى قومه) احملوا عليهم !
محمد : (لاصحابه) لا تحملوا حتى آمركم ! ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل !

« يدنو الفريقان احدهما من الآخر وتقذف صـــــفوف النبى بالنبـــل على قريش »

ابو بكر : (صائحا) ايها المسلمون ! اجعلو شعاركم « احد ، احد » .

محمد : (يدخل العريش ويرفع راسه الى السماء فى قلق وفرق) يا حى يا قيوم ! يا حى يا قيوم !

ابو بكر : (يتبع محمدا) يا نبى الله ! بعض مناشدتك ربك، فان الله منجز لك ما وعدك .

محمد : (ناظرا الى السماء) اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد !

عمر : (يدنو من العريش شاهرا السيف ويخاطب سعد ابن معاذ) قم ياسعد على باب العريش مع نفر من الانصار ، تحرسون رسول الله بسيوفكم فانى اخاف عليه كرة العدو !

ابو بكر : (لعمر فى اطراق وحزن) ان العدو كثير !

عمر : (فى كآبة) ثلاثة امثالنا ويزيدون .

محمد : (فى العريش يبتهل) يا حى يا قيوم ! يا حى يا قيوم يا حى يا قيوم

« ترتفع بين صفوف النبى صيحة »

عمر : (يلتفت) من هذا ؟

ابو بكر : (يلتفت) هذا مولاك مهجع قد رمى بسهم فقتل !

عمر : رحمة الله عليك يا مهجع !

« صيحة اخرى ترتفع »

ابو بكر : انظر ! هذا حارثة بن سراقة رمى ايضا وهو يشرب من الحوض .

عمر : (ينظر) نعم لقد اصاب السهم نحره .

ابو بكر : رحمتك اللهم ! رحمتك اللهم !
عمر : (فى قلق) اخشى ان تكون علينا الدائرة !
محمد : (يبتهل وقد تصبب عرقا) يا حى يا قيوم ! يا حى يا قيوم ! يا حى يا قيوم .

« يجلس النبى ويخفق خفقة »

عمر : (جزعا) ما برسول الله ! انظر !
ابو بكر : (همسا فى قلق) صه !
عمر : (فى صوت خافت) ان رسول الله قد خفق ..
ابو بكر : (فى اطراق) نعم .
عمر : أخاف ان يدب الخور فى اصحابنا
ابو بكر (كالمخاطب لنفسه) اللهم عونك !
عمر : انظر ! اليس هذا ابن الحمام قد ترك القتال وانتحى ، وفى يده تمرات يأكلهن ؟!
ابو بكر : (ناظرا الى السماء) اللهم عونك ! اللهم عونك !
محمد : (ينتبه ويصيح) يا ابا بكر ! يا ابا بكر !
ابو بكر : لبيك يا رسول الله !
محمد : ابشر يا ابا بكر ! اتاك نصر الله . هذا جبريل آخذا بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع !
ابو بكر : (فى فرح) اجاءك الوحى فى هذه الخفقة يا رسول الله ؟
محمد : نعم .
ابو بكر : (لعمر) ! ابشر ! ابشروا ايها المسلمون !
محمد : (يخرج للقوم صائحا) يا معشر المسلمين ، شدوا !
المسلمون : (يحملون على العدو صائحين) احد ! احد !
محمد :(صائحا) والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم

رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، الا ادخله الله الجنة !

ابن الحمام : (وفى يده التمرات يأكلهن) بخ . بخ ! افما بينى وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء .

« يشير الى الاعداء ، ثم يقذف التمرات من يده ويأخذ سيفه ويقاتل العدو »

محمد : (يصيح فى اصحابه) شدوا ! شدوا !

المسلمون : (يقاتلون فى حماسة وهم يصيحون) احد ! احد!

محمد : (يأخذ حفنة من الحصباء فيستقبل قريشا بها) شاهت الوجوه ! شاهت الوجوه !.

عمر : (لمعوذ بن عفراء وعبد الرحمن بن عوف) يا ابن عفراء . عليك بأبي جهل ، اجعله من شأنك ! وانت يا ابن عوف ، عليك بأمية بن خلف !

محمد : (لاصحابه) من لقى منكم العباس بن عبد المطلب فلا يقتله . فانه انما اخرج مستكرها .

ابو حذيفة بن عتبة : (لاحد الانصار) العباس ؟!

الانصارى : نعم ، عم رسول الله .

ابو حذيفة : (لاصحابه) نقتل آباءنا وابناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لان لقيته لالجمنه السيف !

محمد : (لعمر) اسمعت ؟

« عمر يتميز غيظا »

محمد : (لعمر) يا ابا حفص ! ايضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟!

عمر : (غير متمالك) يا رسول الله ! دعنى فلأضرب عنق ابى حذيفة بالسيف ، فو الله لقد نافق ..

محمد : (يمسك بعمر) رفقا به ! لقد رأى اباه عتبة يقتل امام عينه اليوم !

ابو بكر : (لعمر) صدق رسول الله يا عمر !
محمد : (يلتفت الى المسلمين ويصيح) شدوا ! شدوا .
المسلمون : (فى حماسة) احد ! احد !

« يحمى وطيس القتال ويثخن المسلمون اعداءهم قتلا واسرا وسلباء ويستلب عبدالله بن الزبيرادراع احد القتلى ويأسر اميه بن خلف وابنه »

عبد الله بن الزبير : (رافعا السيف) هذا أنت يا امية ابن خلف !
امية بن خلف : (لعبد الله) يا عبد الاله لا تقتلنى ! ان من اسرني افتديت منه بابل كثيرة اللبن !
عبد الله : (يرى ابن امية بجواره) وهذا ابنك ؟
امية : (فى تضرع) لا تقتله !
عبد الله : (يأخذ بيده وبيد ابنه) اتبعاني ولا تخشيا شيئا!
امية بن خلف : (ينظر الى حمزة فى المسلمين يطيح رءوس الاعداء) ياعبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟
عبد الله : (ينظر) ذاك حمزة بن عبد المطلب !
امية بن خلف : ذاك الذى فعل بنا الافاعيل .

« بلال يرى اميه بن خلف مع عبد الله »

بلال : (يصيح) رأس الكفر امية بن خلف ، لانجوت ان نجا!
عبد الله (يشير اليه بالصمت) اى بلال ، اسيرى !
بلال : (يصيح) لانجوت ان نجا
عبد الله : (يحول بين بلال وبين اسيريه) اتسمع يا ابن السوداء ؟
بلال : (يصيح) لانجوت ان نجا ! (ثم يصرخ بأعلى صوته) يا أنصار الله ! رأس الكفر امية بن خلف ! لانجوت ان نجا

« يأتى ابن عوف مع رهط من المسلمين ويحيطون بالاسيرين ويضرب ابن عوف بسيفه ابن امية بن خلف فيقع »

امية بن خلف : (يصيح صيحة منكرة) ولداه !

عبد الله : (لامية بن خلف) انج بنفسك ولا نجاء بك ، فوالله ما اغنى عنك شيئا . (ثم يبحث عن أدراعه فيجدها قد ضاعت فى الموقعة) ادراعى ! اين ذهبت ادراعى ؟!

ابن عوف : (يهبر امية بسيفه حتى يفرغ منه كذلك)خذها يا عدو الله !

بلال : (صائحا فى فرح) الحمد لله ! مات عدو الله ! احد ، احد !

عبد الله : (لبلال) لك الله يابلال! ذهبت ادراعى، وفجعتنى باسيرى !

بلال : (يصيح فى حماسة) احد !.. احد !..

معوذ : (باحثا عن ابى جهل فى الصفوف) اين اللعين ابو جهل؟

عبد الله : ابو جهل لا يخلص اليه !

بلال : (يصيح) ها هو ذا قد انفرد ، وشغل عنه القوم بانفسهم !

معوذ : (يصمد نحو ابى جهل ويضربه فيقع) خذها يالعين!

ابوجهل : الى يا عكرمة !

« يسرع اليه ابنه عكرمة فيضرب معوذا على عاتقه فيطرح يده فتتعلق بجلدة من جنبه فيتركها ويقاتل وهو يسحبها خلفه حتى تؤذيه »

« فيضع قدمه عليها ثم يتمطى بها عليها حتى يطرحها ويذهب الى ابى جهل وبه رمق »

معوذ : هل اخزاك الله ، يا عدو الله !

أبو جهل : (فى حشرجة الموت) وبماذا أخزانى؟ أعار على رجل قتلتموه ! اخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟

معوذ : لله ولرسوله .

« ابو جهل يلفظ النفس الاخير فيحتز معوذ راسه »

محمد (عند عريشه ينظر الى اصحابه وقد أسروا عددا كبيرا من قريش ..) ان الغلبة للمسلمين !

سعد : انهم يأسرون .
محمد : (فى فرح) مرحى ! مرحى !
سعد : والله انى ..
محمد : والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم .
سعد : اجل والله يا رسول الله ، كانت اول وقعة اوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الاثخان فى القتل بأهل الشرك احب الى من استبقاء الرجال .
محمد : انظر ! لقد فر المشركون !
معوذ : (يقدم حاملا راس ابى جهل) يا رسول الله ! هذا عدو الله ابى جهل .
محمد : (مهللا) الله اكبر ذو الملكوت والجبروت !
معوذ : نعم ، الله ذو الملكوت والجبروت !

« ثم يلقى الراس من يده »

محمد : (فى فرح) الله الذى لا اله غيره ! الله الذى لا الهغيره
عمر : لقد تم النصر يا رسول الله .
معوذ : وفر من بقى من المشركين قافلين .
ابو بكر : (ناظرا الى السماء) لربى الحمد ! لربى الحمد !
سعد : الا نلقى بجثث القتلى من المشركين فى القليب يارسول الله ؟
محمد : نعم .

« يجمع سعد ورهـــط من المسلمين جثث
قتلى المشركين ويلقـــون بها فى القليب »

سعد : (يقذف بالجثث) هذه جثة امية بن خلف وقد انتفخ فى درعه فملأها ، وهذه فيما ارى جثة ابى جهل بلا راس !
معوذ (يلقى اليه براسه) تلك راسه !
سعد : وهذه جثة عتبة .

« ابو حذيفة بن عتبة يقف ينظر الى جثة ابيه وهو كئيب قد تغير »

محمد : (يلحظ ذلك منه) يا أبا حذيفة . لعلك قد دخلك من شان ابيك شيء ؟

ابو حذيفة : (يرفع راسه) لا والله يا رسول الله ، ما شككت فى ابى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من ابى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك الى الاسلام فلمـــا رايت ما اصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت ارجو له ، احزننى ذلك

محمد : (فى تأثر) جزاك الله يا ابا حذيفة !

عمر : يارسول الله . الا نبعث احدا الى المدينـة يبشر الناس بنصر الله !

محمد : نعم .

ابو بكر : (لعمر) فليذهب زيد بن حارثة بشيرا الى المدينة، يخبرهم بسلامة رسول الله والمسلمين .

محمد : (يتجه الى القليب) يا اهل القليب ؟ بئس عشيرة نبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، واخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ، ونصرنى الناس هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ؟ فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا

سعد : (متعجبا) يا رسول الله ، اتنادى قوما قد جيفوا ؟

محمد : ما انتم بأسمع لما اقول منهم .

المنظر التاسع

« محمد وعائشة فى مسكنهما ليلا »

عائشة : (باسمة) جئت لك بما تحب من الطيب

محمد : (باسما) اتدرين ما اطيب الطيب ؟

عائشة : ما هو ؟

محمد : اطيب الطيب المسك .

عائشة : ادرى ورب محمد انك تتطيب بذكارة الطيب ، المسك والعنبر .
محمد : طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه
عائشة : (باسمة) وطيب النساء ؟
محمد : ما ظهر لونه وخفى ريحه
عائشة : انى اتطيب لك .
محمد : انك امرأتى
عائشة : نعم ورب محمد انى امرأة رسول الله
محمد : اتعلمين يا عائشة ؟ اريتك فى المنام ثلاث ليال ، جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير يقول : هذه امرأتك ، فأكشف عنها ، فاذا هى انت
عائشة : ذلك وحى من عند الله ؟
محمد : اجل يا عائشة ، ذلك من عند الله !
عائشة : الست خير النساء عندك ؟
محمد : وخديجة . .
عائشة : ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت فى الدهر ، قد ابدلك الله خيرا منها !
محمد : (يبدو الغضب فى وجهه) ؟
عائشة : اغضبت ؟
محمد : (ناهضا) والله ما بدلنى الله خيرا منها ، آمنت بى حين كذبنى الناس ، وواستنى بمالها حين حرمنى الناس !
عائشة : (ناهضة صائحة فى غضب وغيظ) لكأنه ليس فى الارض امرأة الا خديجة

« ابو بكر عند الباب »

ابو بكر : يا رسول الله ! اتأذن لى فى الدخول ؟
محمد : نعم .
أبو بكر : (يلتفت الى ابنته) لقد سمعتك تصيحين !
عائشة : (مطرقة لا تجيب)

ابو بكر : (لعائشة) يا بنت ام رومان ، اترفعين صـوتك على رسول الله !

« يتناولها ابوها »

محمد : (يحول بينه وبينها) دعها يا ابا بكر !
ابو بكر : (متجهم الوجه) انى ذاهب يارسول الله واعود بعد قليل !

« يخرج »
« يبقي النبى وعائشة وحدهما ، مطرقين صامتين »

عائشة : (تبكى) ؟
محمد : (يلتفت اليها) مالك يا عائشة ؟
عائشة : ورب ابراهيم انى ..
محمد : (يدنو منها ويرق لها) الا ترين . قد حلت بين الرجل وبينك ؟
عائشة : وددت ورب ابراهيم انى عندك خير مما اكون .
محمد : لا تغضبى !
عائشة : انى لست غضبى .
محمد : انى لاعلم اذا كنت عنى راضـيـة واذا كنت على غضبى .
عائشة : ومن اين تعرف ذلك ؟
محمد : (باسما) اذا كنت عنى راضية فانك تقولين ورب محمد ! واذا كنت على غضبى قلت ورب ابراهيم !
عائشة : (باسمة) اجل يا رسول الله ، والله ما اهجر الا اسمك !
محمد : اين خادمتك بريرة تأتينى بشربة من ماء !
عائشة : (تنهض الى الباب) ربما كانت تصلى !
محمد : لا اسمع لها هينمة !
عائشة : (تلقى نظرة خارج المكان وتصيح) يا رسول الله !

محمد : مالك يا عائشة ؟
عائشة : انها قد نعست وهى تصلى !
محمد : (يتوجه الى مكان بريرة لينظر) حقا !
عائشة : يا بريرة ! هذا رسول الله !
محمد : (لبريرة) اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه .

« يعود مع عائشة الى مكانها »

عائشة : (ضاحكة) صدقت والله يا رسول الله .
محمد : (لعائشة) ألا ترين انى أضاحكك
عائشة : (ضاحكة) نعم يا رسول الله

« ابو بكر بالباب »

ابو بكر : أيؤذن لى ؟
محمد : ادخل يا ابا بكر
ابو بكر : (يدخل وينظر اليهما) اتضحكان ؟
محمد : نعم
ابو بكر : (باسما) اشركانى فى سلمكما ، كما اشركتمانى فى حربكما !

المنظر العاشر

« فى مكة . امام بيت العباس بن عبد المطلب ، صفوان ابن امية جالس الى عمير ، ومعهما رهط من قريش ، بينهم عبد الله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل »

صفوان : (لقريش) لا تصدقوا الخبر !
قريش : كيف لا نصدق وكلما قدم احد من بدر اخبرنا بمصابنا

عمير : (همسا لصفوان) واللات لقد ابصرتهم يهبرون اباك واخاك بأسيافهم هبرا ، كما ابصرت راس ابى الحكم تحتز بسيف معوذ .

صفوان : (فى حزن) واللات ، ما فى العيش بعدهم من خير

عمير : صدقت . اما واللات ، لولا دين على ليس له عندى قضاء . وعيال اخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت الى محمد حتى اقتله ، فان لى قبلهم علة ابنى اسير فى ايديهم

صفوان : احقا تقول ؟

عمير : نعم

صفوان : (على عجل مغتنما الفرصة) على دينك اناقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى اواسيهم مابقوا ، لا يسعنى شىء ويعجز عنهم .

عمير : (يفكر قليلا ثم يعزم) قد قبلت فاكتم عنى شأنى وشأنك .

صفوان : افعل .

عمير : (ينهض ويأمر غلاما له همسا) على بسيفى ، واريد ان يشحذ لى ويسم .

« ثم يختفى عمير بين الناس »

امرأة : (تقدم باكية) يا صفوان ! ما اغلى ما فدى به قرشى ؟

صفوان : اربعة آلاف درهم .

المرأة : سأبعث بها افديه .

صفوان : من ؟

المرأة : (وهى تنوح) ابنى ابو عزيز .

« يعلو نحيبها »

قريش : (يسكتونها) صه . ان النحيب على القتلى لم يحل بعد .

المرأة : (تتجلد فى الحال) الى متى ؟

قريش : ان ابا سفيان قال لا تفعلوا فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بنا ، ولا نبعث فى اسرنا حتى نستأنس بهم ، لا يأرب علينا محمد واصحابه فى الفداء .

المراة : (تذهب) ما بقى عندى من صبر

قريش : (تنظر الى رجل قادم) هذا الحيسمان قادما من بدر !

صفوان : عسى ان يجىء بالخبر اليقين

قريش : (للحيسمان) ما وراءك ؟

الحيسمان : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبةبن ربيعة ، والحكم ابن هشام ، وامية بن خلف

صفوان : (همسا لبعض قريش الدانين منه وقد اختفى عن انظار الحيسمان) واللات ان يعقل هذا ، فاسألوه عنى !

بعض قريش : (يتقدمون الى الحيسمان) وما فعل صفوان ابن أمية ؟

الحيسمان : (يشير الى مكانه) ها هو ذاك جالسا فى الحجر ، وقد واللات رأيت اباه واخاه حين قتلا .

ام الفضل : (زوجة العباس عم النبى همسا وهى تنظر الى عبدها ابى رافع) لافض فوه ، القادم بهذا الخبر ؟

ابو رافع : (همسا فى فرح لام الفضل وهو ينحت أقداحا) لقد أيد الله رسوله ونصره نصرا مبينا

ام الفضل : (تنظر وتهمس) لقد اقبل ابو لهب يجر رجليه بشر

ابو رافع : (ينظر الى وجه ابى لهب ويهمس) ان الله قد كبته واخزاه !

ابو لهب : (يجلس على حجر قرب الباب صامتا مطرقا وخلفه ابو رافع وام الفضل ينظران اليه فى تشف) ما لكم ؟! لا تصدقوا ما جاء به اولئك النفر !

قريش : (تلتفت الى ناحية) هذا ابو سفيان قد جاء

ابو لهب : (ينهض ويصيح به) هلم الى ، فعندك لعمرى الخبر .
ابو سفيان : (يجلس اليه والناس قيام عليهما) نعم .
ابو لهب : يا ابن اخى ، اخبرنى كيف كان امر الناس ؟
ابو سفيان : واللات ما هو الا ان لقينا القوم ، فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا ، وايم اللات مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض ، واللات ما تليق شيئا ولا يقوم لها شىء
ابو رافع : (لا يملك نفسه فينهض صائحا) تلك والله الملائكة !
ابو لهب : (يلتفت خلفه فيرى ابا رافع فيضربه بيده على وجهه ضربة شديدة) خسئت يا اسود الوجه !
ابو رافع : انى والله ما اخسأ ابدا ، انما يخسأالمشركون !
ابو لهب : (يقوم اليه فيحتمله ويضرب به الارض ويبرك عليه يضربه ..) تبالك من عبد خسيس . واللات لاضربن بك الارض !
أم الفضل : (تأتى بعمود من عمد البيت فتضرب به أبا لهب ضربة تشج رأسه .) استضعفته ان غاب عنه سيده !
ابو لهب : (يضع يده على رأسه) حسبك ! حسبك !

« ويقوم هاربا »

ام الفضل : قم ! اذهب عنا ، موليا ذليلا !
قريش : (تجتمع حول ابى سفيان) يا ابا سفيان ! الا تفتدى عمرا ابنك ؟
ابو سفيان : ايجتمع على دمى ومالى ! قتلوا ابنى حنظلة وافدى ابنى عمرا ؟ دعوه فى ايديهم ، يمسكوه فى ايديهم ما بدا لهم .
صفوان : (يتقدم صائحا فى الناس) ابشروا بوقعة تأتيكم فى ايام ، تنسيكم وقعة بدر !

قريش : ماذا ؟
صفوان : لا اقول لكم الآن
عكرمة : يا معشر قريش ! عندى لكم راى
قريش : قل يا عكرمة !
عكرمة : لقد ربحت تجارتنا وجاء بها ابو سفيان . وان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن اصاب منا
ابو سفيان : نعم الرأى !
قريش : نعم فلنخرج لحرب محمد بأموالنا !
جبير : (ينادى عبدا له) يا وحشى !
وحشى : لبيك مولاى !
جبير : انك تقذف برمحك قذف الحبشة قلما تخطىء به ، فاخرج مع الناس ، فان انت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة فأنت عتيق .
وحشى : (فرحا) افعل
ابو سفيان : فلتخرج قريش بحدها وجدها واحابيشها !
قريش : (تصيح) الثأر الثأر . .

« يتفرقون »

ابو رافع : (لام الفضل) ويحهم سيخرجون لحرب رسول الله .

ام الفضل : اذا جاء العباس فلنخبره ، عله ينبىء رسول الله بخبرهم !
ابو رافع : نعم .
ام الفضل : (تنظر) من هذا القادم ؟
ابو رافع : هذا الاسود بن المطلب

ام الفضل : لقد اصيب له ثلاثة من ولده !

« تدخل دارها ويدخل خلفها ابو رافع »

الاسود : (وقد ذهب بصره يقوده غلام له) اسمع ! اليست هذه نائحة ؟

« يصغي الى صوت امراة قد ارتفع في الفضاء »

الغلام : (يصغى) نعم

الاسود : اذهب وانظر هل احل النحيب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ، لعلى ابكى على ابى حكيمة فان جوفى قد احترق !

« الغلام يذهب سريعا »

هند : (بنت عتبة بن ربيعة ، تقبل) ماذا تصنع هنايا ابن المطلب ؟

الاسود : من انت ؟

هند : انا هند بنت عتبة

الاسود : اما بكيت على ابيك ؟

هند : لم يحن الحين !

الغلام : (يعود صائحا) كلا لم يحل النحيب

الاسود : وما تلك النائحة ؟

الغلام : انما هى امراة تبكى على بعير لها اضلته

الاسود : (يستند الى ذراع غلامه ويمضيان فى اطراق)

اتبكى ان يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود
ولا تبكى على بدر ولكن على بدر تقاصرت الجدود

« يذهب »
« هند تسير فى طريقها فتقابل العبد وحشيا يحمل رمحه »

وحشى : (وهو يهز الرمح) ايها الرمح ! رقبتى معلقةبسنك!

هند : (لوحشى) ويها ابا دسمة . اشف واشتف !

المنظر الحادى عشر

« فى المسجد بالمدينة ـ كعب بن الاشرف
اليهودى فى نفر من القوم »

كعب بن الاشرف : احقا تقولون ؟ اترون محمدا قتل هؤلاء؟
الناس : نعم
كعب : هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم ، لبطن الارض خير من ظهرها
عمر بن الخطاب : (يدخل) ماذا يقول هذا اليهودى ؟
كعب : اقتل حقا اشراف قريش فى بدر ؟
عمر : اذهب الى القليب تجد جيفهم !
الناس : (ينهضون فى اجلال) رسول الله !
محمد : (يدخل من باب مسكنه اللافظ فى المسجد ، وقد راى اليهودى (كعب بن الاشرف) . يامشر يهود ! احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، واسلموا فانكم قد عرفتم انى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم
كعب : يا محمد ! انك ترى انا قومك ؟ لايغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس !
عمر : (يدفعه ويخرجه من المسجد) اخسأ واغرب يا عدو الله !

« صمت »

ابن اسحق : (من بين الناس المحيطين بمحمد) يا رسول الله ! أمن استشهد يوم بدر دخل الجنة ؟
محمد : نعم ...
ضرار : من يدخلها من امتك يا رسول الله ؟
محمد : يدخل الجنة سبعون الفا من امتى على صورة القمر ليلة البدر

عكاشة : يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم
محمد : (يرفع عينيه الى السماء) اللهم اجعله منهم !

« يقوم رجل من الانصار مسرعا الى محمد »

الأنصارى : يا رسول الله ! أدع الله أن يجعلنى منهم
محمد : سبقك بها عكاشة ، وبردت الدعوة
عمر : (يلتفت الى باب المسجد) من الذى اناخ على باب المسجد متوشحا السيف ؟
ابن اسحق : (يتجه الى الباب ثم يعود عمر مسرعا هامسا) هو عمير بن وهب
عمر : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا لشر
ابن اسحق : نعم ، وهو الذى حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر
عمر : (يدنو من محمد الجالس فى وسط المسجد) يا نبى الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحا سيفه
محمد : أدخله على !
عمر : (وهو ذاهب الى الباب يلتفت الى نفر من الانصار) اجلسوا عند رسول الله واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون :

« يخرج ويعود فى الحال مع عمير وقد اخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها »

محمد : أرسله يا عمر !
عمر : (يترك عميرا)
محمد : أدن يا عمير !
عمير : (يدنو) أنعموا صباحا
عمر : (همسا له) تلك تحية اهل الجاهلية يا عدو الله !
محمد : (لعمير) قد اكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة

عمير : أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد !
محمد : ما جاء بك يا عمير ؟
عمير : جئت لهذا الأسير الذى فى ايديكم . فأحسنوا فيه
محمد : وما بال السيف فى عنقك ؟
عمير : قبحها الله من سيوف ... وهل اغنت عنا شيئا ؟!
محمد : أصدقنى ما الذى جئت له ؟
عمير : ما جئت الا لذلك
محمد : (ينظر اليه مليا) بلى ، قعدت أنت وصفوان بن امية فى الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت « لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا » ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك فى أن تقتلنى له ، والله حائل بينك وبين ذلك
عمير : (فى عجب ودهش) هذا والله أمر لم يحضره الا انا وصفوان .. فوالله انى لاعلم ما أتاك به الا الله !
محمد : نعم .
عمير : أشهد انك رسول الله !
محمد : الله اكبر !
عمير : قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى
محمد : الله اكبر !
عمير : الحمد لله الذى هدانى للاسلام وساقنى هذا المساق أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله !
محمد : (لاصحابه) فقهوا أخاكم فى دينه ، واقرؤوه القرآن ، واطلقوا له أسيره

« يذهب بعمير احد الانصار »

عمير : (قبل أن يذهب) يا رسول الله ! انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وانا أحب ان تأذن لى فاقدم مكة فادعوهم الى الله والى رسوله

والى الاسلام ، لعل الله يهديهم ، والا آذيتهم فى دينهم كما كنت اوذى أصحابك فى دينهم

محمد : افعل !

ابو بكر : (يدخل ومعه كتاب) يا رسول الله ! هذا كتاب من العباس بن عبد المطلب :

محمد : اقرأ

ابو بكر : (يقرأ الكتاب) .. « لقد خرجت قريش لحربكم ، تطلب بثأر بدر ، وجهزوا بربح تجارتهم جيشا اليكم ... »

عمر : أين الرسول الذى جاء بهذا الكتاب ؟

أبو بكر : (يشير الى رجل بالباب) هاهو ذاك

عمر : (للرجل) أخرجت قريش ؟

الرجل : نعم . وانهم قد خلوا ابلهم وخيلهم فى الزرع الذى بالعريض ، حتى تركوه ليس به خضراء

محمد : (يرفع رأسه) قد رأيت والله تلك الليلة كأن بقرا لى تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة

أبو بكر : خير ان شاء الله

عبد الله بن أبى : وما تأويل ذلك يا رسول الله !

محمد : أما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وأما الدرع الحصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا ، اقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها

عبد الله بن أبى : هذا والله هو الرأى

« يقوم بعض فتيان من الانصار »

الشباب : يا رسول الله ، اخرج بنا الى اعدائنا ، لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا

ابن ابى : يا رســـول الله ، أقم بالمـدينة لاتخرج اليهم ، فوالله ماخرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منــا ، ولا دخلها علينا الا أصبنا منه . فدعهم يارسول الله ، فانأقاموا أقاموا بشر محبس . وان دخلوا ، قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا ، رجعوا خائبين كما جاءوا

محمد : (للناس) امكثوا فى المـدينة ، واجعلوا النساء والذرارى فى الآطام !

الشباب : اخرج بنا يا رسول الله ! لقد كنا والله نخرج الى عدونا ، أما وقد أعزنا الله بالاسلام وفينا نبى مرسل أيدخل الوهن قلوبنا والخوف نفوسنا ؟

ابن ابى : هؤلاء فتيان احداث ممن لم يشـهدوا بدرا ، لا يرون الا أن يصنعوا ماصنع الآخرون !

الشباب : نعم : ان الله الذى نصر رسوله يوم بدر لقـادر على نصره اليوم . أخرج بنا يا رسولالله كما خرجتبأصحاب بدر . أخرج بنا الى عدونا !

محمد (ينهض) تهيأوا للخروج الى عدوكم !

« ثم يدخل بيته من أحد ابواب المسجد ويشير الى ابى بكر وعمر فيتبعـانه »

الشباب : (فى فرح) الله أكبر ؟ الله أكبر !

ابن أبى : عصانى واطاع الولدان

« ينصرف مغضبا »

سعد بن معاذ : (للشباب) استكرهتم رسـول الله على الخروج . والامر ينزل عليه من السماء !

اسيد بن حضير : (للشباب) ردوا الامر اليه !

الشباب : (فى تفكر وندم) اجل ، والله لقـد اسـتكرهنا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك !

سعد : (ينظر حوله) أين أبو بكر وعمر ؟
اسيد : (يدنو من باب النبى وينظر) انهما مع رسول الله وقد عمماه والبساه !
سعد : يا أسيد ! صف الناس له ينتظرون خروجه
اسيد : (يصيح) أيها الناس ، اصطفوا !

« يخرج محمد وقد لبس لأمته واظهر الدرع واعتم وتقلد السيف والقى الترس فى ظهره وخلفه ابو بكر وعمر »

سعد : (للنبى) يا رسول الله ! ما كان لنا أن نخالفك فاصنع مابدا لك !
الشباب : استكرهناك يانبى الله ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقعد !
محمد : (يفكر قليلا ثم يعزم) ماينبغى لنبى اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ... فانظروا ما أمرتكم به فافعلوه ، وامضوا على اسم الله ، فلكم النصر ماصبرتم !

المنظر الثانى عشر

« محمد فى جيشه ، امام حائط لمربع بن قيظى »

محمد : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب ، من طريق لايمر بنا عليهم ؟
أبو حثمة : (يتقدم) أنا يا رسول الله
عمر : كيف ؟
أبو حثمة : ننفذ من أرض مربع بن قيظى هذه ؟
مربع : (يسمع حسهم وهو رجل ضرير فيخرج ويصيح بهم) ممن القوم ؟
أبو حثمة : صه ! هذا رسول الله وصحبه يريدون أن ينفذوا ..

مربع : (صائحا) ان كنت رسول الله ، فانني لا احل لك ان تدخل حائطي

محمد : من هذا الرجل ؟

أبو حثمة : هو يا رسول الله رجل منافق ضرير البصر

« مربع يأخذ حفنة من تراب في يده »

عمر : ماتصنع أيها الرجل بهذه الحفنة من التراب في يدك ؟

مربع : والله لو اني أعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك

« يبتدره القوم ليقتلوه »

أبو حثمة : قبحت يا عدو الله !

« يرفع سيفه عليه »

محمد : لاتقتلوه ! فهذا الاعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصر

« يسير محمد ويتبعه الناس »

ابن أبي : (في صحب له يهمس ..) ما ندري علام نقتل انفسنا ههنا ، ايها الناس فلنرجع !

« ينصرف ويتبعه قومه »

أحد الانصار : يا قوم اذكركم الله ، ان لاتخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم

ابن ابي : لقد أطاع من لا رأي له وعصاني . فلنرجع ؟

« ينصرفون »

الأنصاري : ابعدكم الله ، أعداءالله ، فسيغني اللهعنكم نبيه !

أسيد : (يلتفت ويصيح) عجبا ! ما بال بعض القوم ينصرفون ؟

الأنصاري : هذا ابن أبي وقومه قد انخزلوا عنا

أسيد : انهم ثلث الناس ! لقد انخزل عنا اللعين بثلث الناس !
الأنصارى : نعم ، وما بقينا الا فى سبعمائة رجل وفرسين !

المنظر الثالث عشر

« عند جبل احد - محمد وجيشه يتهياون
للقتال - وقد جعلوا احدا خلف ظهورهم »

محمد : (يمر فى صفوف الرماة وهم خمســـون رجلا) قوموا على مصافكم هذه انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، فان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانــكم حتى ارســل اليكم ، وان رايتمونا قد هزمنا القوم وظهرنا عليهم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم

ابو حثمة : (يقدم) لقد رأيت المشركين يا رســول الله ، وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس ، وقد جعلوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة ابن أبى جهل ، وعلى الرماة عبد الله بن أبى ربيعة ، وهم مائة رام

محمد : ومن يحمل لواءهم ؟

ابو حثمة : طلحة بن عبد الدار

محمد : أين مصعب بن عمير ؟

مصعب : (يتقدم) هأنذا

محمد : (يدفع اليه اللواء) خذ اللواء

مصعب : وما شعارنا يا رسول الله ؟

محمد : يا منصور . أمت . أمت !

مصعب : اللهم يا منصــور ، انصر رسولك وامت اعداءه وأعــداءك !!

محمد : (يلتفت الى كتيبة خشناء) من هؤلاء ؟

عمر : هم حلفاء ابن أبى من يهود ، وعددهم ستمائة رجل

محمد : أوقد اسلموا ؟
عمر : لا يا رسول الله
محمد : قولوا لهم فليرجعوا ، فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين !
عمر : (يأمر الكتيبة) اذهبوا لا حاجة لنا بكم !

« تنصرف »

محمد : (يرفع سيفه) من يأخذ هذا السيف بحقه ؟
المسلمون : سيف رسول الله ؟!
محمد : نعم ..
أحد الانصار : (يقوم اليه) انا يا رسول الله
محمد : (يمسكه عنه) كلا
أحد المهاجرين : (يقوم اليه) أنا ...
محمد : (يمسكه عنه) كلا
عمر : (لابى بكر همسا) هذا أبو دجانة الشجاع يقوم اليه!
أبو دجانة : (صائحا) نعم أنا أقوم اليه . ما حقه يا رسول الله ؟
محمد : أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى
أبو دجانة : أنا آخذه يا رسول الله بحقه
محمد : (يعطيه اياه) خذ !
أبو دجانة : (يأخذ السيف من النبى ويهزه فى حماسة)

أنا الذى عاهدني خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا أقوم الدهر فى الكبول أضرب بسيف الله والرسول

« ثم يخرج عصابة حمراء يعصب بها راسه ويتبختر بين الصفوف »

الأنصار : لقد أخرج أبو دجانة عصابة الموت !
عمر : (لابى بكر) أرأيت ؟ انه اذا عصب راسه بهذه العصابة

الحمراء علم الناس أنه سيقاتل !
أبو بكر : (فى اعجاب) انظر يا رسول الله كيف يختـال أبو دجانة ويتبختر !
محمد : انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن
أبو حثمة : (يصيح) لقد دنا العدو !
عمر : (ينظر) نعم ، وانى لارى صنمهم هبل على جمل بين صفوفهم ، جاءوا به ولا ريب يتيامنون به . قاتلهم الله اجمعـين !

« يدنو جيش قريش ، ويصـيح
ابو سفيان بأصحاب اللواء فى جيشه »

ابو سفيان : يا بنى عبد الدار ، انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم ، وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا ، واما ان تخلوا بيننـا وبينه فنكفيكموه
طلحة : نحن نسلم اليك لواءنا؟ ستعلم اذا التقينا كيف نصنع؟
ابو عامر : الكم فى رجل يشطر جيش محمد شطرين ؟ انا ، فان اهلى من الاوس فى صف محمد ، ما أن يسمعوا ندائى حتى يستجيبوا لي وينحازوا معنا عليه
ابو سفيان : هلم فاصنع !
ابو عامر : (يصيح فى جيش محمد) يا معشر الاوس ، انا ابو عامر ..
المسلمون : (من أهله وقومه) لامرحبا بك ولا أهلا يافاسق!
ابو سفيان : (ساخراً) اسمعت ؟!
ابو عامر : لقد اصاب قومى بعدى شر !

« ثم يقاتل المسلمين .. ويبدأ الحرب بين الطرفين ـ
ابو سعد بن ابى طلحة يتقدم صف المشركين »

ابو سعد : (صائحا) من يبارز ؟
على : (يبرز اليه) انا

« يختلفان ضربتين ويقتله علي »

حمزة : (يصيح) يا منصور ! أمت ، أمت !

« ثم يهجم على طلحة حامل لواء قريش فيضربه على يده اليمنى فيتناول طلحة اللواء باليسرى فيقطعها حمزة بسيفه فيضم طلحة اللواء بذراعيه الى صدره فيعاجله حمزة بضربة تقتله »

محمد : (يصيح) الله أكبر ! الله أكبر !

« ام عامر ومعها سقاء فيه ماء تمشي بين صفوف المسلمين »

أم عامر : اشربوا معشر الانصار والمهاجرين نصركم الله النصر المبين

أبو سفيان : (يصيح) يا للعزى ! يا لهبل !

هند : (فى نسوة بين صفوف قريش) ويها بني عبدالدار ويها حماة الادبار ! ضربا بكل بتار !

محمد : (يصيح فى المسلمين) شدوا ، شدوا !

أبو دجانة : (صائحا)

أنا الذى عاهدنى خليلى أضرب بسيف الله والرسول !

عمر : مرحى ! مرحى ! ان المشركين قد انكشفوا منهزمين

هند : (مع النسوة يصحن فى صفوف العدو)

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
أن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق !

المسلمون : (صائحين) يا منصور ! أمت ! أمت !

أبو دجانة : (يصيح) أنا الذى عاهدنى خليلى ...

« يرفع سيفه على هند »

هند : (تولول) ويلاه !

أبو دجانة : (يتركها) أهي امرأة ؟ اذهبى قبحك الله !

الزبير : (خلفه) أقتلها !

ابو دجانة : انى اكرم سيف رسول الله ان اضرب به امراة
عمر : (يصيح للرماة) أجلوهم بالنبل ايها الرماة !

« عاصم بن ابى الاقلح من جيش المسلمين
يرمى بسهمه مشركا هو مسافع بن طلحه »

عاصم : خذها وانا ابن أبى الاقلح !

« يقع مسافع »

المسلمون : يا منصور أمت ، أمت !
ابو بكر : (صائحا) اتبعوهم !
أم مسافع : (تحمل ابنها فى حجرها والمسلمون يطاردون عدوهم) يا بنى من أصابك ؟
مسافع : (وهو يموت) سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول : خذها وانا ابن أبى الاقلح

« يموت »

أم مسافع : واللات أن تمكنت من راسه لاشربن فيه الخمر!

« تترك جثةابنها وتجرى وقد طاردها المسلدون فيمن طاردوا»

الزبير : (لأحد الانصار) انظر ! والله انى لأرى هندا وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير !
الانصارى : هلم نسلب العدو فهزيمته لاشك فيها !

« يعكف المسلمون على السلب ويشغلون »

الرماة : انظروا ! النســــاء يشتددن على الجبل قد بدت اسوقهن وخلاخهن ، رافعات ثيابهن !

« يلحظ اميرهم عبد الله بن جبير تهامس الرماة »

عبد الله : (صائحا بهم) لا تبرحوا !
الرماة : (صائحين) الغنيمة !

أحد الرماة : (يترك مكانه فى حماسة) نعم الغنيمة ! اى قوم ، الغنيمة ! قد ظهر أصحابكم . فما تنتظرون ؟
عبد الله بن جبير : أنسيتم ماقال لكم رسول الله ؟
الرماة : لم يرد رسول الله هذا . قد انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا ؟
عبد الله : لا اجاوز أمر رسول الله
أحد الرماة : انطلقوا ! نتبع العسكر وننتهب معهم !

« ينطلق الرماة خلف العسكر يسلبون
ويثبت ابن جبير فى نفر يسير »

هند : (تقابل العبد وحشيا فى طريقها) ويها أبا دسمة ! اشف واشتف !
وحشى : أين حمزة ؟
هند : تراه في عرض الناس مثل الجمل الاورق يهز الناس بسيفه هزا ، مايقوم له شيء

« يتركها ويذهب وهو يهز حربته فى يده »

عمر : (فى دهش وخوف) الجبلَ خال ! اين ذهب الرماة ؟!
خالد بن الوليد : (يصيح) لقد خلوا الجبل ! فلنكر بالخيل على من بقى من رماتهم !

« يحمل على ابن جبير ورجاله من المسلمين
فيقتلونهم . وتجتمع قريش فى أمل »

أبو سفيان : (صائحا) يا معشر قريش ! احملوا ! احملوا !
قريش : (متصايحة) ياللعزى ! يالهبل !

« ينزلون بالمسلمين قتلا ذريعا،
وقد تفككت صفوف المسلمين »

محمد : (فى نفر قليل من أصحابه) اثبتوا ! اثبتوا !

« يرمى عن قوسه حتى تصير شظايا ثم يرمى بالحجر »

مصعب : (يصيح للفارين امام العدو) يا أصحاب النبي ! ارجعوا واثبتوا !

محمد : (يصيح) لكم النصر ما صبرتم !

مصعب : (في حزن وهو يقاتل دون النبي) تفرق شملنا ، وانتقضت صفوفنا ، واستدارت الرحى !

سعد بن أبي وقاص : (وهو يرمي بالنبل دون النبي) لقد اقترب منا العدو يا رسول الله . وما بقينا حولك سوى عشرة وقد نفدت السهام ، واخشى عليك . . .

محمد : (يناوله سهما وجده بقربه) ارم فداك أبي وامي !

سعد : انك يا رسول الله تناولني سهما ما له نصل

محمد : ارم به

أم عمارة : (تقبل بسقائها) رسول الله وحده مع نفر قليل، والعدو دان ! اعطوني سيفا أذب عن رسول الله !

« تلقي بسقائها وتتناول سيف
أحد القتلى وتقاتل بهدون النبي»

ابو دجانة : (يقبل وسيفـــه في يده يقطر دما والجراح في جسمه) لقد ولى الناس عنك يا رسول الله ، وأخشى ان يخلص اليك العدو ! هذا نبله يصل اليك ! دعني أترس دونك بنفسي !

« ينحني على النبي فيقع في ظهره النبل »

محمد : ان النبل يقع في ظهرك

ابو دجانة : لا بأس

« يكثر النبل في ظهر ابي دجانة حتى يموت ويقبل من
صفوف قريش رجل هو ابن قميئة ويهجم رافعا سيفه »

ابن قميئة : دلوني على محمد ، فلا نجوت ان نجا !

أم عمارة : (تعترضه) مكانك يا عدو الله !

ابن قميئة : (يضربها بسيفه على عاتقها فتقع) عنى أيتها الخاسرة !

مصعب : (يعترضه) دونك ..
ابن قميئة : (يضرب مصعبا بسيفه فيرديه) خذ ! ..

« ثم يذهب الى جهة النبى »

حمزة : (يقبل ويمر بأم عمارة وهى طريحة تعانى من جرحها) من أصابك بهذا ؟
أم عمارة : ابن قميئة ، أقمأة الله !
حمزة : أين هو ؟
أم عمارة : (تصيح) حذار ! ذاك سباع ابن ختانة مكة ! (فتصرخ) انتبه الى من خلفك ؟

« يستتر وحشى منه بحجر »

حمزة : (يلتفت) من ؟

« يتقدم اليه احد المشركين وهو سباع بن عبد العزى »

ام عمارة : (تصيح) حذار ذاك سباع ابن ختانة مكة !
حمزة : (يستقبله بالسيف) هلم الى يا ابن مقطعة البظور !

« يضربه ضربة تصيب راسه »

وحشى : (يخرج من مخبئه ويهز رمحه ثم يدفعه على حمزة) خذها وانا أبو دسمة

« يقع الرمح فى ثنة حمزة ويخرج من بين رجليه »

حمزة : (فى صيحة ألم) آه أصبتنى يا اسود الوجه !

« يذهب وهو ينوء نحو وحشى فيغلب ويقع »

أم عمارة : (صارخة) ويلاه ! وقع اسد الله ! وقع أسد الله!
وحشى : (يترك رمحه فى حمزه حتى يموت فيأتيه وينزعه منه) الآن قد اعتقت !

« يذهب لا يلوى على شيء »

ابن قميئة : (يجرى نحو قريش يصيح) يا معشر قريش ! يا معشر قريش !

صـوت : (يعلو من الناس) أيها الناس ! ان محمـدا قد قتل !

المسلمون : (فى دهش وذهول) قتل رسول الله !

ابو بكر : (فى ذهول بين بعض المهاجرين والانصار) قتل . . !

عمر بن الخطاب : (فى دهش وذهول) قتل . . !

« يلقون بايديهم يأسا ... يمر بهم انس بن مالك وفى يده السيف والدماء تتساقط منه والعرق يتصبب من وجهـــه »

انس : ما يجلسكم ؟

المسلمون : النبى قد مات !

انس : مات ؟! فماذا تصنعون بالحياة بعد ؟ انهضوا فموتوا

« يتركهم ويستقبل العدو ويقاتل حتى يسقط ، ويمر كعب ابن مالك فيعثر على محمد واقعا فى حفرة ووجهه مخضب بالدم »

كعب : (يصيح فرحا) رسول ! عرفت عينيك الشريفتين تزهران من تحت المغفر !

محمد : (فى همس) اسكت

كعب : (ينتصب واقفا فى فرح ! ولا يملك نفسه ان يصيح) يا معشر المسلمين أبشروا ! هذا رسول الله !

محمد : (يشير اليه) اسكت !

المسلمون : (ينهضون) اين ؟ اين ؟

« ثم يجرون نحو الحفرة التى وقع فيها النبى »

أبو بكر : (يثب فرحا) رسول الله بخير !

عمر : (يجرى نحو النبى) حمدا لك اللهم ! . .

على : (ينهض محمدا من الحفرة) هو اللعين ابن قميئة الذى فعل هذا !

كعب : نعم وقد قتل مصعبا بن عمير !

محمد : (وهو يمسح الدم الذى يسيل على وجهه .) كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم !

أبو سفيان : (يصيح من بين صفوف قريش :) أيها الناس ! أفى القتلى محمد ؟ أفى القتلى محمد ؟ أفى القتلى محمد ؟

محمد : (لصحبه) لا تجيبوه

أبو سفيان : (صائحا) أفى القتلى ابن أبى قحافه ؟

محمد : لا تجيبوه !

أبو سفيان : (يمضى فى الصياح) أفى القتلى ابن الخطاب ؟

محمد : لا تجيبوه !

أبوسفيان : (لقومه صائحا) هؤلاء قد قتلوا وقد كفيتموهم !

عمر : (لايملك نفسه ان يصيح) كذبت والله يا وعدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم ، وقد بقى لك مايسوؤك

« ابى بن خلف يسمع قول عمر فياتى مسرعا رافعا سيفه »

ابن خلف : اى محمد ! لا نجوت ان نجوت !

على : (للنبى) أيعطف عليه رجل منا ؟

محمد : دعوه !

ابن خلف : (يدنو صائحا) أين محمد ؟

محمد : (يتناول رمحا من أحد أصحابه وينتفض به انتفاضة شديدة ويستقبل ابن خلف فيطعنه به) خذ !

ابن خلف : (فى ألم وروع) آه ! قتلنى محمد !

« يرجع الى قومه ويسقط بينهم »

عمر : فلنعل الجبل يا رسول الله . لا يلحقوا بنا

« يصعدون بمحمد الجبل »

على : (ينظر أسفل الجبل) هذا خالد بن الوليد فى رجاله يعلون خلفنا الجبل

محمد : اللهم انه لا ينبغى لهم ان يعلونا !

عمر : فلنقاتلهم حتى نهبطهم !
ابو بكر : ارموهم بالنبل وبالحجارة !

« يرمونهم حتى يهبطوا عن الجبل »

خالد بن الوليد : (فى أسفل الجبل ينظر اليهم وهم يصعدون) لقد فروا ! فما هم الا بضعة رجال لا غناء فيهم بعد أن ذهب جيشهم !
ابو سفيان : (يصيح) أنعمت فعال ، ان الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ! اعل هبل ! أعل هبل !
محمد : (لاصحابه) ألا تجيبونه ؟
عمر : بماذا نجيبه يا رسول الله ؟
محمد : قولوا ، الله أعلى واجل ! لا سواء . قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ...

« عمر والمسلمون يصيحون بما امرهم به النبى »

ابو سفيان : (يصيح) يا اصحاب محمد ! لنا العزى ولا عزى لكم !
محمد : قولوا له : الله مولانا ولا مولى لكم

« المسلمون يصيحون بما امروا به »

على : (ينظر) لقد ذهبوا ...
محمد : (لعلى) اخرج فى آثارهم فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة ، وان ركبو الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن ارادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم!

« على يذهب لما امر به »

كعب : (يقبل محزونا) يا رسول الله ! ان حمزة فى القتلى !
محمد : (فى دهش) حمزة .. ؟

كعب : (مرتجف الصوت) نعم ، وقد وقفت هند ونسوة معها من قريش يمثلن بالقتلى من أصحابنا يجدعن الآذان والآنف ، وقد اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم قلائد ، وقد بقرت بطن حمزة عن كبده فأخرجتها فلاكتها بأسنانها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها !

محمد : (فى دهش) من قتله ؟

كعب : وحشى ، غلام جبير بن مطعم

هند : (تعلو صخرة مشرفة وتصيح) يا أصحاب محمد !

كعب : (يلتفت) تلك هى !

هند : (تصيح)

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى ! ..

« تهبط وتتبع قومها »

أبو سفيان : (يمر بجثة حمزة فيضرب فى شدقه بزج الرمح) ذق عقق ؟

الحليس : (خلفه وقد رآه يفعل ذلك) هذا سيد قريش يصنع بابن عمه هذا !

أبو سفيان : (يلتفت خلفه فيرى الحليس) ويحك ! اكتمها عنى ! فانها كانت زلة

الحليس : (كالمخاطب لنفسه ساخطا وقد رأى الجثث المبقورة .) ما هذا المثل بالرجال !

أبو سفيان : (يلتفت ناحية المسلمين ويصيح) يا أصحاب محمد ! انه قد كان فى قتلاكم مثل ، والله ما رضيت وماسخطت وما نهيت وما أمرت ! ان موعدكم بدر للعام القابل !

« يذهب مع القوم »

محمد : (لعمر) قل نعم ، بيننا وبينك موعد !

عمر : (يصيح) يا أبا سفيان ! هو بيننا وبينك موعد !

أبو بكر : أين ذهب الناس ؟

كعب : قومنا ؟ فى كل واد . لقد ولى الناس عن رسول الله اذ سمعوا من صاح فيهم : « محمد قد قتل » !

عمر : نعم والله لقد سمعنا هذا فلم ندر ما نصنع من الروع

أبو بكر : لقد فت فى أعضاد المسلمين !

محمد : (يتلو) وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم .. !

على : يا رسول الله ! ان قريشا قد جنبت الخيل وامتطت الابل ووجهت الى مكة !

محمد : (محزونا) فلنر قتلانا ! هلموا بنا الى بطن الوادى نرى قتلانا !

« يهبطان الى بطن الوادى »

على : رسول الله يلتمس حمزة (يصيح فجأة أمام جثة مبقورة) ها هو ذا .. اللهم غفرا ! بئس ماصنعوا به ! بئس ما صنعوا به !

محمد : (امام الجثة دهشا متأثرا حزينا) عماه ..

« صمت عميق وحزن شامل يخيمان على الجميع »

كعب : (يدنو من النبى) يا رسول الله ! ان صفية اخت حمزة قد أقبلت لتنظر اليه !

محمد : القها فارجعها لاترى ما بأخيها !

كعب : (لصفية خلف الناس) ان رسول الله يأمرك ان ترجعى

صفية : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى وذلك فى الله ، فما ارضانا بما كان من ذلك ، لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله

كعب : (يتركها ويذهب للنبى) يا رسول الله ، لقد بلغها ان قد مثل بحمزة وتقول ان ذلك فى الله ، وهى راضية صابرة

محمد : خل سبيلها !

« كعب يذهب اليها ويأتى بها »

صفية : (تأتى وتنظر الى جثة حمزة المبقوره) انا لله وانا اليه راجعون ! اللهم اغفر له !

« ثم تدير وجهها وتذهب لسبيلها »

محمد : (ناظرا الى جثة حمزة المبقورة) والله لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن اظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لامثلن بثلاثين رجلا منهم !

المسلمون : (فى حزن وغيظ) والله لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب !

محمد : (مخاطبا جثة حمزة) لن أصاب بمثلك أبدا ، ما وقفت موقفا قط اغيظ الى من هذا !

جبريل : (يهبط على محمد) وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولاتك فى ضيق مما يمكرون

محمد : (لاصحابه) الصبر خير لنا ! اصبروا ، ولا تمثلوا بأحد ! . .

المنظر الرابع عشر

« فى المدينة ـ امام المسجد ومساكن النبى ، المدينة تبكى »

عمر : (يصغى الى البكاء والنوائح فى المنازل) الناس تبكى على قتلاها !

محمد : (يذرف دمعة) لـكن حمزة لا بواكى له !

« سعد بن معاذ ينهض ويهمس الى اسيد بن النضر »

سعد : اذهب يا أسيد ومر نساءنا أن يتحزمن ثم يأتين فيبكين على عم رسول الله :

« اسيد يذهب »

عمر : (يرى امراة تسأل الناس) من هذه المراة ؟

ابو بكر : تلك حمنة زوجة مصعب بن عمير تسـال فيما ارى عن ذويها انع اليها اهلها يا سعد !

سعد : (يدنومنها) ياحمنة! استرجعى واستغفرى لاخيك !

حمنة : (فى صبر وثبات) انا لله وانا اليه راجعون .. اللهم اغفر له !

سعد : واسترجعى واستغفرى لخالك !

حمنة : (فى صـبر وثبات) انا لله وانا اليه راجعون .. اللهم اغفر له !

سعد : واسترجعى واستغفرى لزوجك !

حمنة : (لاتملك نفسها أن تصيح) مصعب ! قتل ! قتل مصعب زوجى ؟! ويلاه ! ويلاه ! ويلاه !

« تصيح وتولول تذهب لا تلوى على شىء »

محمد : (كالمخاطب لنفسه) ان زوج المراة منها لبمكان !

« تاتى نساء الانصار ويبكين على باب المسجد »

النساء : (باكيات)

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل
على أسد الاله غداة قالوا
أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا
هناك وقد اصيب به الرسول
عليك سلام ربك فى جنان
مخالطها نعيم لا يزول !

محمد : من هؤلاء ؟

ابو بكر : نساء الانصار

محمد : (فى تأثر) رحم الله الانصار ، فان المواساة منهم ما علمت لقديمة ، مروهن فلينصرفن !

« يقوم سعد بن معاذ الى النساء فيشير اليهن بالانصراف . يرتفع داخل المسجد صوت عبد الله بن أبى »

ابن أبى : ايها ! هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه !

المسلمون (ينهضون اليه) اجلس أى عدو الله ! لست لذلك بأهل وقد صنعت ماصنعت

ابن ابى : ألا تسمعون الى اذ اقول لكم انصروا رسول الله ؟

المسلمون : (يأخذون بثيابه) أيها المنافق وهل نصرته أنت يوم انخزلت عنه بثلث الجيش ؟! (يخرجونه من المسجد) لقد حق عليك القتل !

ابن أبى : (خارجا من المسجد) والله لكأنما قلت شرا ، ان قمت أشدد أمره !

سعد : (ينهض اليه) مالك ويلك ؟

ابن ابى : قمت أشدد امره فوثب على رجال من اصحابه يجذبوننى ويعنفوننى ، لكأنما قلت شرا !

سعد : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله
ابن أبى : والله ما ابتغى ان يستغفر لى

« يذهب »

محمد : (لسعد وقد عاد) اليس هذا عبد الله بن أبى ؟
سعد : نعم يا رسول الله !
محمد : ماله ؟

« زيد بن أرقم يدنو من النبى »

زيد : انه منافق يا رسول الله . لقد سمعت منه قولا عظيما فى ذات يوم فلقد ازدحم أحد الانصار واحد المهاجرين على الماء فاقتتلا ، فصرخ الانصارى يا معشر الانصار ، وصرخ المهاجرى يا معشر المهاجرين ، فغضب ابن ابى للانصارى وقال فى رهط من قومه : « أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه الا كما قالوا سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل »

عمر : أوهكذا قال ؟

زيد : (يمضى فى كلامه) نعم والله ، ولقد أقبل على من حضره من قومه فقال لهم أيضا : « هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو امسكتم عنهم ما بأيديكم ، لتحولوا الى غير داركم » !

عمر : (لا يتمالك) يا رسول الله ! مر به بلالا فليقتله
محمد : (فى تفكير واطراق) أقتله ؟
عمر : نعم
محمد : كلا
عمر : لماذا يا رسول الله ؟
محمد : كيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل اصحابه ؟ لا . .

سعد : (ينظر هذا ابنه قادما)
أبو بكر : أرى والله أن قد بلغه رأى المسلمين فى ابيه
ابن ابن ابى : (يمثل بين يدى النبى) يا رسول الله ! ان أبى قد نافق فيما أسمع . وقد بلغنى أنك تريد قتله فان كنت لابد فاعلا . فمرنى به فأنا احمل اليك رأسه
محمد : أنت ؟!
ابن ابن أبى : نعم . والله لقد علمت الناس ما كان من رجل أبر بوالده منى ، لكنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى انظر الى قاتل أبى يمشى فى النـــاس ، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار
محمد : (فى رفق وابتسام) كلا لن نقتله
ابن ابن أبى : لن نقتله
محمد : بل نترفق به . ونحسن صحبته مابقى معنا

المنظر الخامس عشر

« فى مكة ـ أصوات الفرح والسرور تنطلق بين ارجائها »

أبو سفيان : الآن فلنضرب الدفوف ولتعزف لنا القيان !
خالد بن الوليد : (يلتفت) أنظروا من هؤلاء ؟
عمرو بن العاص : (ينظر) هم فيما أرى رجلان من أصحاب محمد ، قد جاء بهم رجال من عضل والقارة . .

« يأتى رجال فى سـلاحهم معهم أسيران من اصحاب محمد هما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة »

أبو سفيان : ممن الرجال ؟
الرجال : نحن من عضل والقارة وقد جئناكم بأسيرين ؟
عمرو : أين وجدتموهما ؟
الرجال : عند محمد قدمنا عليه فقلنا له : أن فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، فبعث معنا

نفرا ستة من اصحابه فخرجنا حتى اذا كنـــا على الرجيع غدرنا بهم ولم يرعهم وهم فى رحالهم الا نحن بأيدينا السيوف قد عشيناهم فأخذوا اسيافهم ليقاتلونا فقلنا لهم : انا والله مانريد قتلكم ولـكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة فلم يقبل ثلاثة منهم فقاتلونا فقتلناهم ولحق بهم رابع ونحن فى بعض الطريق أراد أن يستل سيفه فاستأخرناعنه ورميناه بالحجرة حتى قتلناه . وبقى هذان نريد أن نبيعهما لمن له عليهما ثأر من أهل مكة

ابو سفيان : مرحى ! مرحى !

صفوان بن أمية : انا ابتاع زيدا لاقتله

حجير بن أهاب : وانا ابتاع خبيبا لاقتله

الرجال : جئنا ايضا برأس احد القتلى وهو ابن ابى الاقلح لنبيعه من سلافه بنت سعد

خالد ابن الوليد : نعم ، لقد كانت نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد ، لتشربن فى قحفه الخمر !

صفوان : (يشير لعبده نسطاس الى زيد) يانسطاس ! اقتله !

نسطاس : (يأخذ سيفا ماضيا ويقترب من زيد) نعم

ابو سفيان : (لزيد) يا زيد !. اتحب ان محمدا عنـــدنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وانك فى أهلك ؟!

زيد : (وقد اعدت عنقه للضرب) والله ما احب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو تصيبه شوكة تؤذيه وانى جالس فى اهلى

ابو سفيان : (لمن حوله فى عجب) ما رايت من النـــاس أحدا ، يحب أحدا ، كحب أصحاب محمد محمدا

نسطاس : (يضرب عنق زيد) خذها اذن !

حجير : انى أريد أن يصلب خبيب :

ابو سفيان : اصلبوه !

« يقومون الى خبيب »

خبيب : ان رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا

أبو سفيان : دونك فاركع !

« خبيب يركع ركعتين »

حجير : هاتوا الخشبة !

« خبيب ينهض اليهم »

أبو سفيان : أفرغت ؟

خبيب : نعم اما والله لولا أن تظنوا انى انما طولت جزعا من القتل . لاستكثرت من الصلاة

حجير : ارفعوه على الخشبة وأوثقوه !

« يرفعونه ويصلبونه ويوثقونه »

أبو ميسرة : أعطونى الرمح أطعنه حتى يموت

حجير : (يعطيه الرمح) خذ !

خبيب : (وهو مصلوب) اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا !

أبو سفيان : أين نبيك يدفع عنك القتل !

خبيب : (صائحا ووجهه للسماء) اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا !

قريش : (تقف واجمة لهذه الدعوة)

عمرو بن العاص : ما لكم وجمتم ، اضطجعوا لجنوبكم ، حتى تزول عنكم الدعوة !

« قريش تضطجع فى الحال لجنوبها »

حجير : اطعن يا أبا ميسرة !

« يطعن خبيب حتى يموت »

المنظر السادس عشر

« فى المدينة ـ النبى أمام المسجد »

ابو بكر : يا رسول الله ! ان النفر الستة من أصحابك الذين بعثتهم مع رهط عضل والقارة ليعلموهم شرائع الاسلام قد غدر بهم القوم وقتلوا منهم من قتلوا وأسلموا الباقين لقريش فقتلوهم !

محمد : انا لله وانا اليه راجعون !

ابو بكر : وان نفرا من اليهود يطوفون بالقبـــائل يحزبون علينا الاحزاب . ولقد ذهبوا الى مكة يدعون قريشـــا الى حربك ، قائلين لهم فيما بلغنى : « انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله » . وان قريشا قالت لهم : « يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد افديننا خير أم دينه ؟» فقالوا لهم: «بل دينكم خير من دينه »

محمد : (يتلو) ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ؟ أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا !

ابو بكر : نعم قد لعنهم الله !

عمر : أونشطوا للحرب ؟

ابو بكر : واتعدوا له ، واجتمعوا من كل القبائل ، وخرجوا فى جيش لم تر العرب مثله

عمر : وهل لنا قبل بحرب العرب مجتمعة ؟

محمد : نعم ، ان العرب ترمينا الآن عن قوس واحدة

عمر : وما الرأى ؟

محمد : أيها الناس اشيروا على

« سلمان الفارسى يتقدم »

سلمان : يا رسول الله ان عندى رأيا
محمد : قل يا سلمان !
سلمان : نجعل حول المدينة خندقا !
عمر : خندقا ؟!
سلمان : انا معشر الفارسيين كنا اذا دهمنا عدو خنـدقنا على انفسنا
محمد : (يفكر قليلا) نعم الرأى ، اضربوا الخندق على المدينة

« ينهض وينهض معه المسلمون »

عمر : الآن يا رسول الله ؟
محمد : الآن وانى أعمل فيه معكم !

المنظر السابع عشر

« الخندق وقد تم حفره الا صخرة فيه يعالجون كسرها »

ابو بكر : لقد حفر الخندق
عمر : نعم ، ولم تبق الا ناحية ...
أبو بكر : تلك ناحية بنى قريظة وهم حلفاؤنا من يهود ولا يأتينا منهم شر
سلمان : (وقد جهد تعبا دون أن يكسر الصخرة) يارسول الله ! لقد غلظت علينا هذه الصخرة
محمد : (يقبل عليهم) آتونى اناء من ماء
سلمان : (يسرع ويحضر اناء) هاهو ذا
محمد : (يتفل فى الماء وينضح به الصـخرة) هات المعول يا سلمان !.
سلمان : خذ يا رسول الله !
محمد : (يرفع المعول فوق الصخرة) بسم الله !

« ثم يضرب الصخرة ثلاث ضربات فيلمع
بريق تحت المعول وتنهار الصخرة »

المسلمون : الله أكبر !

عمر : لقد انهالت الصخرة وعادت كالكثيب !

محمد : (يعيد المعول الى سلمان) خذ ! انها الآن لا ترد فاسا ولا مسحاة

سلمان : بأبي وأمي يارسول الله ! ماهذا الذى رايت قد لمع تحت المعول وانت تضرب الضربات الثلاث

محمد : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟

سلمان : نعم

محمد : أما الضربة الاولى فان الله فتح على بها الشام ، والله لقد ابصرت قصورها الحمر من مكانى هذا ، واما الثانية فان الله فتح على بها فارس ، والله لقد ابصرت قصر المدائن الابيض الآن ، وأما الثالثة فقد أعطانى الله بها مفاتيح اليمن ، والله لقد أبصرت الساعة باب صنعاء

المسلمون : (فرحين) اللهم لك الحمد !

« تمر بقرب النبى فتاة فى ثوبها حفنة
من تمر فتردد ما يقول الناس »

الفتاة : اللهم لك الحمد !

محمد : تعالى يا بنية ، ماهذا معك ؟

الفتاة : يا رسول الله، هذا تمر بعثتنى به أمى الى أبى بشير وخالى عبد الله يتغذيانه

محمد : (يمد كفيه) هاتيه !

« الفتاة تضع التمر فى كف النبى »

الفتاة : انه لا يملأ كفيك

محمد : ابسطوا ثوبا !

« يأتى بلال بثوب ويبسطه على الارض
فيدحو النبى بالتمر عليه »

بلال : قد تبدد التمر فوق الثوب
محمد : (لبلال) اصرخ فى أهل الخندق أن هلموا الى الفداء !

المنظر الثامن عشر

« المسلمون عندالخندق وقد حاصرهم العدو
وربض بخيامه وعسكره فى الجهة المقابلة»

أوس : (من المسلمين) اللهم ارفع عنا الحصار !
معتب : (من المسلمين ناظرا الى جيش العدو) انهم بحر طام !
أوس : لولا الخندق لاغرقنا
معتب : نعم ، لقد صدهم الخندق يوم جاءوا ووقفوا عليه، وصاحوا اذ رأوه . « ان هذه لمكيدة ماكانت العرب تكيدها » !
أوس : نعم ، تلك مكيدة فارسية ، ولكنهم مع ذلك لم يبرحوا ، وأقاموا قبالتنا بضعا وعشرين ليلة !..
معتب : صدقت يا أوس ، وما يكاد ينكشف لهم واحد منا حتى يرموه بالنبل
أوس : (يريد أن ينصرف) اللهم أطش سهامهم . انى ذاهب
معتب : الى أين يا أوس ؟
أوس : الى بعض حاجتى ثم أعود
معتب : الى الغائط ؟ لاتفعل ، ان المكان لعورة . وقد أصيب بنبل العدو كل من ذهب قبلك
أوس : وما نصنع ؟ لقد أتانا العدو من فوقنا ومن أسفل منا ولا نستطيع لانفسنا حراكا
معتب : حقا !
أوس : (يلتفت الى جهة النبى) أنظر يا معتب ! هذا رسول الله مطرقا مليا
معتب : (يلتفت) انه يرى أن قد اشتد علينا البلاء !
أوس : ان أبا بكر وعمر يتساران ، لكأنى أرى أن قد حل الخطب ، أنظرنى حتى أسترق السمع وأعلم الخبر !

« يقترب من ابى بكر وعمر »

عمر: (همسا فى دهش) حلفاؤنا من بنى قريظة خانوا عهدنا؟!

ابو بكر : (همسا فى دهش) نعم

محمد : (يرفع رأسه ويخاطب سعد بن معاذ وابن عبادة وابن رواحة) انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى اعضاد النـــاس . وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس

« سعد وصاحباه ينطلقون مسرعين »

أوس : (يعود الى معتب هامسا) أتدرى ما الامر ؟ لقد اخذنا من كل جانب

معتب : كيف ؟

أوس : حلفاؤنا من بنى قريظة قد خانوا عهدنا

معتب : لئن كنت قد صدقتنى ، فقد والله أتينا

اوس : وما الرأى ؟

معتب : لا ارى الا اننا هالـكون

أوس : والنصر الذى وعدنا نبى الله ؟

معتب : لست أدرى والله . ولقد وعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط !

أوس : (يلتفت نحو النبى) انظر ! على بن ابى طالب يسرع الى النبى فى أمر

على : (للنبى) يا رسول الله ! ارى فرسانا قد تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه

ابو بكر : (ينظر) نعم ، وانى والله لارى على رأسهم ضرغام العرب وصنديدهم عمرو بن ود !

على : ايذن لى يا رسول الله ، أخرج اليهم فى نفر من المسلمين حتى نأخذ عليهم الثغرة التى اقحموا منها خيلهم

ابو بكر : (يلتفت) هذا عمرو بن ود قد برز
عمر : وعليه درعه !

« عمرو بن ود يتقدم على فرسه »

ابن ود: هل من مبارز ؟
على : (للنبى) أنا له يا نبى الله
محمد : (لعلى) اجلس ! انه عمرو !
عمرو بن ود : (يصيح) أين جنتكم التى تزعمون ان من قتل منكم دخلها ، أفلا تبرزون لى رجلا ؟
على : انا يا رسول الله
محمد : انه عمرو ، اجلس !
عمرو بن ود : (يصيح)
ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت اذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
على : يا رسول الله . أنا له
محمد : (فى خشية) انه عمرو
على : (فى قوة) وان كان عمروا ، ايذن لى !
محمد : (فى صوت خافت ، بين خشية ورجاء) أذنت
على : (ينطلق وهو مقنع بالحديد الى عمرو بن ود صائحا)
لاتعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
انى لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
ابن ود : (فى غضب وصوت كالرعد) من أنت ؟
على : انا على بن ابى طالب
ابن ود : (فى شىء من الرفق) غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو اسن منك ، لقد كان أبوك لى صديقا . انى أكره أن أهريق دمك
على : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك
ابن ود : (مغضبا يقبل عليه راكبا فرسه) الى النزال !
على : كيف اقاتلك وانت على فرسك ؟ ولكن انزل معى !

ابن ود : (ينزل عن فرسه ويضرب عليا بسيفه) خذ يا سفيه!
علي : (يتلقى الضربة بدرقته ثم يضرب خصمه بسيفه على حبل العاتق) خذها يا عدو الله !

« يسقط ابن ود قتيلا »

المسلمون (يهتفون) الله أكبر ! الله أكبر !
أبو بكر : (فى فرح للنبى) ان عليا قد قتله !
عمر : نعم : هاهو ذا علي مقبلا وهو متهلل
علي : (يحضر باسما) يا رسول الله ! لقد خرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة بعد أن قتل الاسد
عمر : (لعلى) هلا سلبته درعه ؟ فانه ليس فى العرب درع خير منها
علي : انى حين ضربته استقبلنى بسوأته ، فاستحييت ابن عمي أن استلبه

« ابو بكر يلتفت الى يمينه »

أبو بكر : سعد بن معاذ قد عاد مع صاحبيه

« ياتى سعد »

سعد : (للنبى فى لهجة ذات مغزى) عضل والقارة !
محمد : (همسا فى تجهم كالمخاطب نفسه) عضل والقارة !
عمر : (همسا لأبى بكر) ماذا يعنى سعد ؟ !
أبو بكر (همسا لعمر) : يعنى أن بنى قريظة قد غدرت بنا غدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع !
عمر : بخبيب واصحابه !؟
أبو بكر : نعم ...
عمر : وما الرأى ؟
أبو بكر : (ينظر الى محمد) صه !..
محمد : (يرفع رأسه متجلدا ويصيح) الله اكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين !

سعد : (يلتفت حوله كأنما يبحث عن مصدر البشرى)
محمد : (يتفكر قليلا) اقترب يا سعد ، وأشر علي ! انى ارى أن نعطى غطفان ثلث ثمار المدينة على أن ترجع برجالها ومن تابعها عنا !
سعد : يا رسول الله ، أمرا تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟
محمد : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك الا لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى امر ما
سعد : يارسول الله ، قدكنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لايطمعون أن يأكلوا منها تمرة الا قرى أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، والله مالنا بهذا من حاجة لا نعطيهم الا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم
محمد : أنت وذاك
عمر : يا رسول الله ! هذا رجل من غطفان قادما اليك
محمد : أرسله !

« يأتي نعيم بن مسعود »

نعيم : يارسول الله ، انى قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت
محمد : انما أنت فينا رجل واحد ، فاخذل عنا ان استطعت ، فان الحرب خدعة
نعيم : قد فعلت ؟
سعد : (فى استبشار كالمخاطب لنفسه) ماذا فعلت ؟
نعيم : (للنبى) ذهبت الى بنى قريظة وكنت لهم نديما فقلت : يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم ، قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقلت : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وابناؤكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تحولوا

منه الى غيره ، وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم واموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فان رأوا نهزة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم . يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا لقد أشرت بالرأى، فغادرتهم وذهبت الى قريش فقلت لابى سفيان ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى قالوا نفعل ، قلت ان معشر يهود قد ندموا على غدرهم بمحمد وقد ارسلوا اليه انهم قد ندموا على مافعلوا وانهم يعرضون عليه أن يأخذوا له من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ليضرب أعناقهم ، ثم يكونون معه على من بقى منكم حتى يستأصلوكم ، فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم تركتهم وخرجت حتى أتيت غطفان فقلت يا معشر غطفان انكم اصلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهموننى ، قالوا صدقت . فقلت لهم مثل ما قلت لقريش وحذرتهم ما حذرتهم .. وبعد

محمد : جزاك الله خيرا ، يانعيم ! وبعد ؟

« تعصف ريح شديدة »

نعيم : (يلتفت) ما هذه الريح العاصفة ؟

سعد : وبعد يانعيم ؟ ماحدث ؟

نعيم : حدث فيما بلغنى أن أبا سفيان ورؤوس غطفان ارسلوا الى بنى قريظة قائلين لهم ، انا لسنا بدار مقام . قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، فأرسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لانعمل فيه

شيئا . وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فمسخوا قردة وخنازير ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، فلما سمع ذلك ابو سفيان ورجاله قالوا والله ان الذى حدثنا نعيم لحق فأرسلوا الى بني قريظة : « انا والله لا ندفع اليك رجلا واحدا من رجالنا » فقالت بنو قريظة عند ذاك : « ان الذى ذكر لنا نعيم لحق انا والله لانقاتل معهم » ..

سعد : افسد ما بينهم وبين قريش ؟

نعيم : هذا ما انتهى الى

ابو بكر : الحمد لله . خذل الله بينهم

عمر : يا رسول الله أنظر ! ان الريح قد كفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وهدمت بناءهم !

محمد : تلك جنود الله !

على : (يقدم فرحا) يا رسول الله ، أبشر !

عمر : ماذا ؟

على : قريش ترحل .!

عمر : (ينظر) نعم ارى ابا سفيان على جمله فى الناس

ابو بكر : صه انه يريد أن يخطبهم ..

أبو سفيان : (عن كثب قائما على جمله) يا معشر قريش ! انكم واللات ما صبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ماتطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فانى مرتحل !

« يضرب جمله وينطلق والناس فى اثره »

محمد : (متنفسا الصعداء) الحمد لله . لقد انطلق الاحزاب منهزمين من غير قتال

على : يا رسول الله أننصرف عن الخندق ونضع السلاح ؟

محمد : نعم ..

« وفجاة ينزل عليه الوحى »

جبريل : اوقد وضعت السلاح ؟

محمد : نعم . .

جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد . ان الله يأمرك يا محمد ان تسير الى بنى قريظـــة فانى عامد اليهم فمزلزل بهم حصونهم

« يصيح جبريل »

محمد : (يصيح) أين بلال ؟

بلال : (يقبل مسرعا) لبيك يا رسول الله

محمد : أذن فى الناس « من كان سامعا مطيعا فـلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة » !

المنظر التاسع عشر

« محمد وجيشه امام حصون بنى قريظة »

علي : (راجعا من قرب الحصون) يا رسول الله ! لا عليك ، أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث

محمد : (متجها الى قرب الحصون) لم ؟ اظنك سمعت منهم لى اذى

علي : نعم . سمعتهم ينالون منك :

محمد : قد أوذى موسى بأكثر من هذا

« يدنو من الحصون ، فيراه احـــد رؤساء بنى قريظـــه وهو كعب بن اســـد »

كعب : (صائحا) من هذا ؟

محمد : (يصيح) يا أخوة القردة والخنازير ! اياى ، اياى ! هل اخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟!

كعب : (همسا لمن حوله من بنى قريظة) هذا أبو القاسم

بنو قريظة : أبو القاسم ؟ ! ما عهدناه فحاشا !

كعب : يا معشر يهود ! قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم

بنو قريظة : وماهى ؟

كعب : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم

بنو قريظة : لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره

كعب : اذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه ، رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا ولا نسلا نخشى عليه

بنو قريظة : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم !

كعب : ان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد وأصحابه قد امنوا فيها ، فأنزلوا لعلنا نصيب منهم غرة

بنى قريظة : نفسد سبتنا علينا ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا ، الا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ

كعب : (ساخطا) ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما

اخطب : عندى رأى

بنو قريظة : ما هو ؟

اخطب : نطلب الى محمد أن يبعث الينا أبا لبابة لنستشيره فى امرنا

بنو قريظة : نعم الرأى

كعب : انتظروا حتى افعل . (ينادى) يا أبا القاسم ! ارسل الينا حليفنا ابا لبابة نستشيره فى أمرنا

محمد : لكم هذا

« ثم يبتعد ، آمرا من حوله بارسال ابى لبابة »

كعب : او تنزلون على رأيه ؟

بنو قريظة : نعم

كعب : ها هو ذا مقبلا

بنو قريظة : ابا لبابة ! ابا لبابة !

« يقبل أبو لبابة ويقوم اليه الرجال ويجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه »

ابو لبابة : (في رقة) أتبكون ؟

النساء : حليفنا أبا لبابة ! رق لحالنا !

الرجال : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟

أبو لبابة : (يشير بيده الى حلقه ويهمس لهم) نعم . انه الذبح

« القوم يصمتون واجمين »

بنو قريظة : انا ننزل اذن على حكم محمد

كعب : (يصيح) يا ابا القاسم . انا قد نزلنا على حكمك فاصنع بنا ما أنت صانع

محمد : (صائحا بهم) اختاروا رجلا يحكم فيكم

كعب : (لبني قريظة) من ترضون يحكم فينا ؟

بنو قريظة : سعد بن معاذ

كعب : يا محمد ! ننزل على حكم سعد بن معاذ

محمد : (لمن حوله) على بسعد !

عمر : ألا ننزلهم أولا من حصونهم ، ونحبسهم في مكان حتى يحكم في أمرهم ؟

محمد : نعم اذهب اليهم يا على . .

على : (يصيح) يا كتيبة الايمان !

« ثم يذهب الى الحصون على راس الكتيبة »

ابو بكر : (للنبى) هذا سعد بن معاذ قد أقبل فى رهط من الاوس

الاوس : (همسا لسعد) يا أبا عمرو ! احسن فى مواليك من بنى قريظة فان رسول الله انما ولاك ذلك لتحسن فيهم !

سعد : (فى قوة) لقد انى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ..

محمد : (للانصار) قوموا الى سيدكم

الانصار : (قائمين الى سعد) يا ابا عمرو ان رسول الله قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم

سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت ؟

الانصار : نعم

سعد : (مشيرا الى النبى) وعلي من ههنا ؟

محمد : نعم

سعد : انى أحكم فيهم ان تقتل الرجال ، وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء وتكون الدار للمهاجرين دون الانصار

الانصار : اخوتنا كنا معهم

سعد : انى احببت ان يستغنوا عنكم

محمد : (لسعد) لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة

عمر : أرى يا رسول الله أن نخندق فى سوق المدينة خنادق ثم نبعث الى رجالهم فنضرب اعناقهم فى تلك الخنادق

محمد : نعم

عمر : وان نبعث أحدا بسبايا من سباياهم الى نجد ، فيبتاع لنا بها خيلا وسلاحا

محمد : نعم

المنظر العشرون

« النبي عند الخنادق ، ورجال بني قريظه
يؤتى بهم ارســـالا لتضرب اعناقهـــم »

بنو قريظة : (مقيدين فى اغلال من حبال وسائرين الى الخندق ...) انهم يبيعون نساءنا فى أسواق نجد !

كعب : لقد ارتأيت لكم ماهو خير من هذا فأبيتم

بنو قريظة : وقد اصطفى محمـد لنفسه من بين السبايا ريحانة بنت عمرو !

حى بن اخطب : أو قد أسلمت ؟ !

بنو قريظة : من ذا يدرى

كعب : (متنهدا) كتب علينا كل هذا

بنو قريظة : (لكعب) ياكعب ! مانراه يصنع بنا ؟

كعب : (نافذ الصبر) أو فى كل موطن لاتعقلون ؟ الا ترون الداعى لاينزع ، وانه من ذهب به منكم لايرجع ؟ هو والله القتل

بنو قريظة : القتل ! ؟

كعب : الا ترون امامكم الخنادق تجرى فيها الدماء ...

حى بن اخطب : (وقد أشرف على الخندق) وهذا محمد يأمر بضرب الاعناق ...

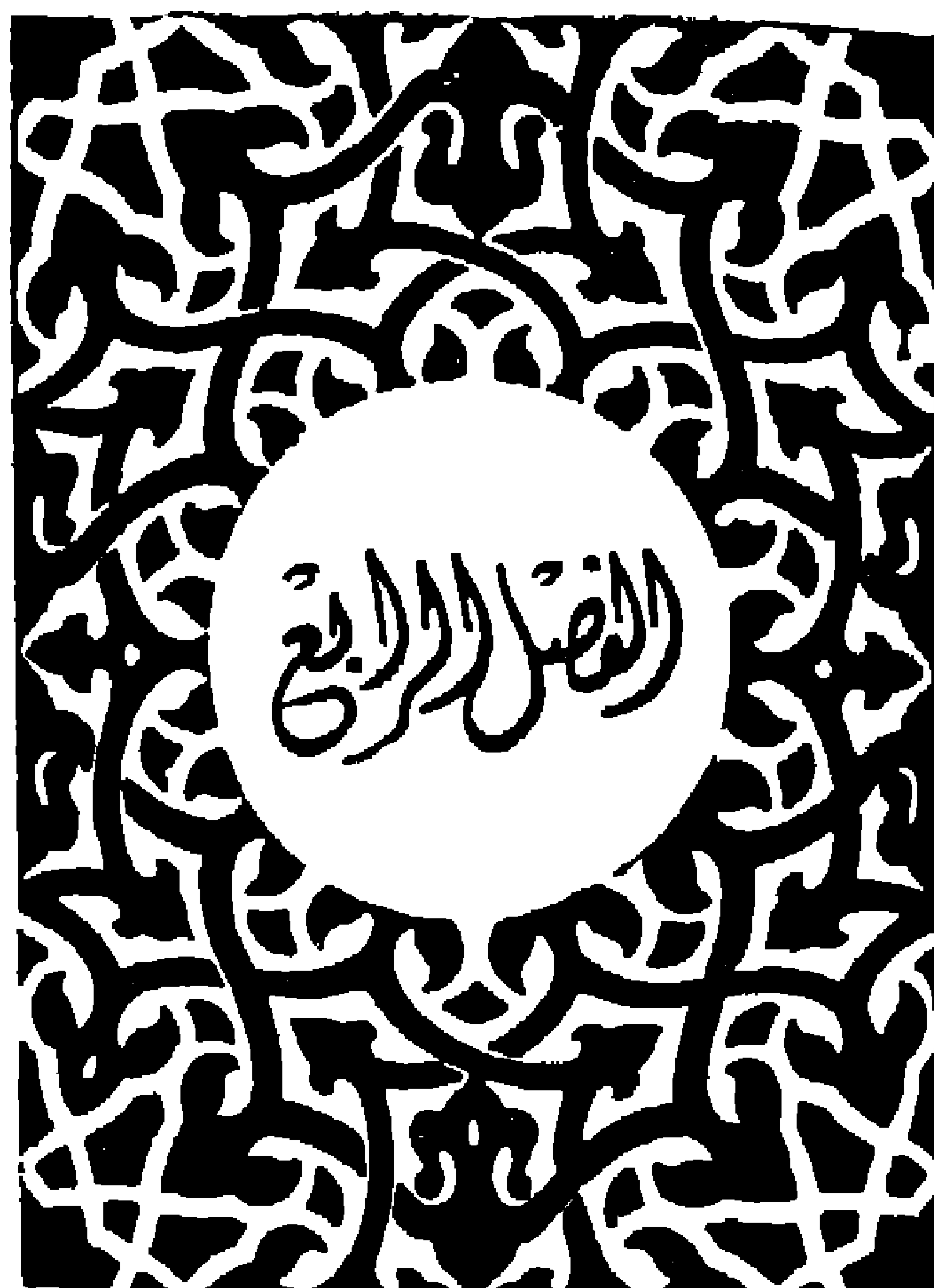
محمد : (وقد أبصر حى بن اخطب) الم يخزك الله ياحى ؟

حى بن اخطب : (للنبى) كل نفس ذائقة الموت ، ووالله ما لمت نفسى فى عداوتك !

الجلاد : تقدم !

حى بن اخطب : (للناس) أيها الناس ! انه لابأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل !

« ثم يجلس فيضرب عنقه الجلاد »


الفصل الرابع



المنظر الاول

« أمام المسجد بالمدينة ـ بعض الناس يتهامسون ..
على رأسهم عبدالله بن ابى وحسان بن ثابت ومسطح »

حسان : اصدقنا الخبر يامسطح !

مسطح : والله لقد صدقتكم . ان العسكر كله يتحدث به !

حسان : (فى عجب) عائشة و .. صفوان ؟ !

مسطح : نعم ، لقد رأيتها بعينى على بعيره فيمن رآهما ، وقد طلعا مع الصبح وحدهما لاثالث معهما ، وقد عاد العسكر من غزوة بنى المصطلق ونزل واطمأن

عبد الله بن أبى : ان صفوان فتى جميل فى الرجال

حسان : وهى صغيرة السن

« احد الانصار ينهض صائحا غير متمالك »

الانصارى : كفوا عن هذا القول واتقوا الله !

المنظر الثانى

« عائشة فى مسكنها على فراش المرض ،
والى جوارها امها زينب ام رومان »

عائشة : يا أمى ! اتذكرين انى كنت اذا اشتكيت ، رحمنى رسول الله ولطف بى ..؟

زينب : (مطرقة) نعم
عائشة : انه لم يفعل ذلك بى فى شكواى هذه !

« زينب تطرق ولا تجيب »

عائشة : (تنظر الى وجه أمها) ما للونك مصفرا ؟
زينب : لاشىء بى
عائشة : انك تكتميننى أمرا
أم مسطح : (تدخل مسرعة هامسة) رسول الله !

« زينب تنهض ، ويدخل النبى »

محمد : (متغير الوجه) كيف تيكم ؟ !
زينب : (فى اطراق) بخير يارسول الله !

« يخرج النبى دون أن ينظر الى عائشة
وتخــرج زينب فى اثره تشــيعه »

عائشــة : (تتبعه بأنظارها حتى يذهب ، ثم تلتفت الى أم مسطح) أرأيت جفاءه لى ؟
أم مسطح : (تنظر اليها مشفقة) صبرا يابنت أبى بكر!
عائشة : لقد جاء وانصرف دون أن يخاطبنى بكلام انىأرى فى وجهه شيئا ماكنت أراه من قبل ؟
أم مسطح : (كالمخاطبة لنفسها) تعس مسطح !
عائشة : ماذا تقولين ؟
أم مسطح : تعس مسطح !
عائشة : لماذا تقولين ذلك له ؟ بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين ، قد شهد بدرا
أم مسطح : أو تجهلين مايتحدث به الناس ؟
عائشة : (فى قلق) بماذا يتحدث الناس ؟
أم مسطح : أنت وصفوان ؟
عائشة : (فى قلق) ماذا ؟

ام مسطح : ليلة عاد العسكر من غزوة بنى المصطلق قد رآكما مسطح منفردين . وأنت على بعير صفوان ، وحدث به الناس ، ولا ارى الا ان النبى قد علم به ...

عائشة : (صائحة قائمة مستوية فى فراشها) انا وصفوان؟

ام مسطح : انى أراه والله حديث أفك

عائشة : أنا وصفوان ؟ ! انا أنا ... (تنفجر باكية)

ام مسطح : هونى عليك ! هونى عليك !

زينب : (تعود مسرعة) مابكاؤك هذا ؟

عائشة : (لأمها) يغفر الله لك . تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولاتذكرين لى من ذلك شيئا ؟ !

زينب : (مطرقة) أى بنيــة ، خفضى عليك الشــأن . فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر ، الا كثرن وكثر الناس عليها

عائشة : (تبكى) أنا وصفوان ! أنا وصفوان !

زينب : (فى ألم) لاتبكى هذا البكاء !

عائشة : (لأم مسطح وهى تجهش) اتقولين ان مسطحا قد رآنا ؟

أم مسطح : هونى عليك انه حديث افك

عائشة : (باكيــة) انى ... انى حقــا كنت على بعير صفوان ...

ام مسطح : (فى عجب) حقا ؟ !

زينب : (تلتفت الى ابنتها) انت ؟ !

عائشة : انتظرا ، أقص عليكما الخبر !

زينب : قصى !

عائشة : (تكفكف دموعها) تعلمــان لمــا كانت غزوة بنى المصطلق ، اقترع رسول الله بين نسائه كما يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه فخرج بى ، فلما فرغ من سفره ذلك وجه قافلا ، حتى اذا كان قريبا من المدينــة نزل منزلا فبات به

بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل النـاس ، وخرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى فيه جزع ظفار، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت التمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل فرجعت الى مكانى الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم الذين كانوا يرحلون لى بعيرى فأخـذوا الهودج وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أنى فيه ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت الى العسكر وما فيه من داع ولامجيب ، قـد انطلق الناس فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى وعرفت أن لو افتقدت لرجع اليه . فوالله انى لمضطجعة اذ مر بى صفوان السلمى وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فراى سوادى فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى ، فلما رآنى قال : انا لله وانا اليه راجعون ظعينة رسول الله ! ! وانا متلففة فى ثيابى ، قال ماخلفك يرحمك الله ؟ فما كلمته ثم قرب البعير فقال اركبى واستأخر عنى فركبت وأخذ براس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل النـاس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الافك ماقالوا ... ووالله ما أعلم بشىء من ذلك الا منك يا أم مسطح الآن !

أم مسطح : لاتبكى ...

عائشة : الآن أدركت علة ماكنت انكر من رسول الله . انى لأدرك الساعة مابه

المنظر الثالث

((محمد قائم فى الناس يخطبهم امام المسجد))

محمـد : أيها النـاس ، مابال رجال يؤذوننى فى أهـلى ويقولون عليهم غير الحـق ، والله ماعلمت منهم الا خـيرا ،

ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه الا خيرا ، ومايدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى ...

« ينهض اسيد بن خضير »

اسيد : يارسول الله ان يكونوا من الاوس نكفكهم ، وان يكونوا اخواننا من الخزرج فمر بأمرك . فوالله انهم لاهل أن تضرب أعناقهم ...

« ينهض سعد بن عبادة »

سعد : كذبت لعمر الله ، لانضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ماقلت هذا

اسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين!

« الناس يتساورون ويكاد يكون بين الفريقين شر »

محمد : (ينزل بينهم) انفضوا ، انفضوا !..

على : (يصيح فى الناس) انفضوا أيها الناس ، كما أمركم رسول الله

محمد : ابق أنت ياعلى !

على : أنا يارسول الله ؟

محمد : (وهو ينظر الى أسامة بن زيد) نعم وابق أنت يا أسامة !

« ينصرف الناس ويبقى النبى وعلى واسامه »

اسامة : فداك ابى وأمى يارسول الله

محمد : اشيرا على !

أسامة : يارسول الله أهلك ، ولا نعلم الا خيرا وهذا الكذب والباطل

محمد : وأنت ياعلى ماترى ؟

على : يارسول الله ، ان النساء لكثير . وانك لقادر على ان تستخلف وسل جاريتها فانها ستصدقك

محمد : على بالجارية

على : (يخطو نحو مسكن النبى وينادى) يابريرة !

بريرة : (تخرج مسرعة) لبيك !

على : (يقبض على ذراعها ويضربها) أصدقى رسول‌الله !

بريرة : (تصرخ ألما) فيم ؟ فيم ؟

على : ماتعلمين عن مولاتك ؟

بريرة : والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب عليها شيئا الا انى كنت أعجن عجينى ، فأرجو منها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله ...

المنظر الرابع

« فى مسكن عائشة ـ وهى بين ابويها ، تبكى ، والنبى مطرق على مقـربة منهم »

محمد : (يرفع رأسه) يا عائشة ! ان كنت قارفت سوءا مما يقول الناس ، فتوبى الى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده !

عائشة : (يقلص دمعها وتنظر الى أبويها لحظة كأنها تنتظر منهما شيئا) ألا تجيبان ؟ !

أبو بكر : (فى اطراق وفى صوت خافت) والله ما ندرى بماذا نجيب ؟

عائشة : (للنبى منفجرة) والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا ، والله انى لأعلم لئن اقررت بما يقول النـاس ، والله يعلم انى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن . ولئن أنا أنكرت مايقولون ، لاتصدقوننى . ولكن سـأقول كما قال

ابو يوسف . فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون !

« تنهمر عبراتها بلا شهيق »

« محمد يطيل النظر الى عائشة متفكرا ، وفجاة تاخذه غشية »

ابو بكر : (همسا وهو مسرع اليه) الوحى !

« ثم يسجيه بثوبه ويضع تحت راسه وسادة »

عائشة : (فى دهش) الوحى !..

زينب : (فى رجفة) اللهم عفوك ورضوانك !

عائشة : (كالمخاطبة لنفسها) الوحى ! من أجلى ؟ ! وأيم الله لأنا أحقر وأصغر شأنا من أن ينزل الله فى قرآنا ، يقرأ ويصلى به فى المساجد !

ابو بكر : (فى رجفة) اللهم رحمتك !

عائشة : (فى صوت خافت) لماذا تفرقان هذا الفرق ؟ فوالله ما أفزع ، فانى أعرف أنى بريئة وأن الله غير ظالمى !

ابو بكر : (وهو لايحيد عن النبى بنظره) رحماك اللهم !

عائشة : اتخشيان أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ؟

ابو بكر : صه !

زينب : (وقد رأت النبى يتحرك) صه

محمد : (يسرى عنه ويجلس ويمسح العرق عن جبينه) ابشرى يا عائشة ! فقد أنزل الله براءتك

عائشة : (صائحة) لربى الحمد ! لربى الحمد !

زينب : (تتنفس فى فرح) الحمد لله !

ابو بكر : (رافعا يديه الى السماء) لك الحمد اللهم !

محمد : (يتلو)... ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ! لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم

المنظر الخامس

« فى المدينة ـ على مقربة من المسجد .. الناس تتاهب للرحيل . انصارى ومهاجرى يتحادثان »

الانصارى : ما الخبر ؟

المهاجرى : رسول الله يخرج الى مكة ، يريد زيارة البيت الحرام

الانصارى : وهل تتركه قريش يدخل مكة ؟

المهاجرى : انه يدخلها معتمرا ، لايريد حربا ولا قتالا

الانصارى : (يلتفت) أنظر !.. من هذا الرجل ؟

المهاجرى : هـذا بشر بن سفيان قدم ولا ريب من مكة يفضى الى النبى بشىء

الانصارى : (يلتفت) وهذا النبى قد خرج اليه

« يخرج النبى وقد تهيأ للرحيـل ومعه الناس ، يتقـدم بشر اليه ويسلم عليه »

بشر : يارسول الله ! هـذه قريش قد سـمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لاندخلها عليهم أبدا ، وهـذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم !

محمد : ياويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ! ماذا عليهم لو خلو بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصـابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وان أظهـرنى الله عليهـم دخلوا فى الاسـلام وافرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا ازال أجاهد على الذى بعثنى الله به ، حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة

بشر : على بركة الله !

محمد : (فى عزم) على بركة الله أزور بيت الله
بشر : عسى أن تلين قريش اذ تعرف انك لاتريد حربهم
محمد : (لمن حوله) من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

المنظر السادس

« عبد الله بن ابى امام المسجد بالمدينة ومعه احد الانصار »

ابن ابى : أعدتم من مكة ؟
الانصارى : نعم أو ما بلغك خبر الصلح ؟
ابن ابى : الصلح ؟
الانصارى : لقد تم بين رسول الله وقريش الصلح
ابن ابى : ماذا أسمع ؟ كيف ذلك ؟
الانصارى : عندما كنا بالحديبية أسفل مكة ، بعثت قريش سهيل بن عمرو الى رسول الله ، فكتبا عهدا ان توضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، وانه من أحب أن يدخل فى عقد النبى وعهده دخل فيه . ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه
ابن أبى : عجبا !..
الانصارى : (يلتفت) صه ! رسول الله

« عبد الله بن ابى ينصرف سريعا ، ويأتى النبى ومعه أبو بكر وعمر وعلى »

عمر : اليوم قد أمنا شر قريش
أبو بكر : نعم انه لفتح مبين !
عمر : يارسول الله ، الآن قد ثبت دينك وأقر به الجاحدون
محمد : لله الحمد ، ان الله قد بعثنى رحمة وكافة !

أبو بكر : لا للعرب وحدهم ، انما للعرب والعجم وخلق الله كافة

محمد : صدقت يا ابا بكر ان الله ارسلنى الى هرقل وكسرى والمقوقس ونجاشى الحبشة ... أدعوهم الى الاسلام

أبو بكر : فلنوجه اليهم يارسول الله من يحمل اليهم كتبا تدعوهم الى الاسلام

محمد : نعم ! اريد أن أوجه دحية بن خليفة الكلبى الى هرقل ، وعبد الله بن حذافة الى كسرى ، وحاطب بن ابى بلتعة الى المقوقس ، وعمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى

على : أنأتى بهم اليك يارسول الله ؟

محمد : نعم

« على ينصرف مسرعا مع بعض الناس »

عمر : لى يارسول الله رأى

محمد : قل يا أبا حفص ...

عمر : ان اليهود مابرحت لهم شوكة فى خيبر ، وانى لأخشى أن يؤلبهم علينا الفرس أو الروم . أو ينهضهم الثأر لبنى قريظة

محمد : (يفكر قليلا) أصبت

عمر : لابد لنا من غزو خيبر

محمد : (فى عزم) نعم .. تجهزوا لغزو خيبر ؟

المنظر السابع

« فى خيبر - النبى بين اصحابه متهلل الوجه »

محمد : الله أكبر ! خربت خيبر !

على : نعم ، مابقى حصن الا فتح

« يتقدم دحية ، وهو احد المقاتلين »

دحية : يارسول الله ! لقد وقعت صفية فى سهمى ، وهى جارية جميلة

محمد : لقد اشتريتها منك بسبعة أرؤس

دحية : قبلت يارسول الله

محمد : ادفعها الى أم سليم تصنعها وتهيئها

دحية : (منصرفا هامسا) أين أم سليم ؟

احد الناس : (همسا) مع ظعينة رسول الله

« يدنو احد الانصار من دحية ويسأله »

الانصارى : (همسا) أصفية سيتزوجها رسول الله أم يتخذها أم ولد ؟

دحية : ما أدرى . ان حجبها فهى امرأته ، وأن لم يحجبها فهى أم ولد

« يذهب »
« تدنو من الانصارى امرأة يهودية ومعها شاة مشوية »

اليهودية : أين محمد ؟

الانصارى : لماذا تسألين عنه أيتها المرأة ؟

اليهودية : معى شاة مشوية أحب أن أهديها اليه

الانصارى : هو هذا الجالس بين أصحابه

اليهودية : اى الشاة أحب اليه ؟

الانصارى : الذراع

« اليهودية تترك الانصارى وتخرج من ثوبها شيئا تضعه فى الشاة وتكثر منه فى الذراع »

محمد : (يرى المرأة بقربه) من المرأة ؟

اليهودية : (تقدم الشاة) يا أبا القاسم ! هدية أهديتها لك . . .

محمد : جزاك الله خيرا . خذوها منها

« يتناولها منها بشر بن البراء احد الحاضرين وتنصرف المرأة وتقف عن كثب تنظر اليــــه »

بشر : (فى نهم) انها شاة مصلية
محمد : (لاصحابه) ادنوا فتمشوا
بشر : انك تحب الذراع يارسول الله
محمد : نعم . ناولنى الذراع

« بشر يناول النبى الذراع ، فينتهش النبى منها ، ويأخـــــذ بشر عظما آخــــر ينتهش منــه »

بشر : (يقف قليلا دون أن يزدرد وينظر الى النبى ...)
محمــد : (يقف فجأة عن النهش) ارفعوا أيديكم ، فان ذراع الشاة تخبرنى أنها مسمومة !
الجميع: (فى فزع) مسمومة !
بشر : (للنبى) والذى أكرمك ، لقــد وجدت ذلك من أكلتى التى أكلت حين التقمتها فما منعنى أن ألفظها الا انى كرهت أن أبغض اليك طعامك ، فلما أكلت ما فى فيــك لم أرغب بنفسى عن نفسك ، ورجوت ألا تكون ازدردتها وفيها بغى
على : (لأحد الحاضرين) اطرحوا منها لكلب !

« يطرحون منها لكلب مار فيموت فى الحال »

عمر : انه لم يتبع يده حتى مات
على : أنظروا ! لقد عاد لون بشر كالطيلسان
محمد : (صائحا) ائتوه بحجام !
أبو بكر : أرى والله أن تحتجم يارسول الله
محمد : نعم .. أريد أن أحتجم على كاهلى
أبو بكر : (لمن حوله) اسرعوا فى طلب الحجام
محمد : أين هذه المرأة ؟
الانصارى : (وقد قبض عليها) هاهى ذى يارسول الله

محمد : (للمرأة) ماحملك على ما صنعت ؟
اليهودية : انك نلت من قومي مانلت . قتلت أبى وعمى وزوجى ، فقلت ان كان نبيا لم يضرره ، وأن كان كاذبا أرحت الناس منه
محمد : (لمن حوله) اقتلوا هذه المراة !

المنظر الثامن

« فى مكة ـ عمرو بن العاص في أصحاب له من قريش »

عمرو : تعلمون واللات اني أرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا . واني قد رايت أمرا . فما ترون فيه ؟
قريش : ماذا رايت ؟
عمرو : رايت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده . فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي . فانا أن نكون تحت يديه احب الينا من أن نكون تحت يدى محمد . وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا . فلن يأتينا منهم الا خير
قريش : ان هذا لرأى
عمرو : اجمعوا لنا اذن ما نهديه الى النجاشي !

المنظر التاسع

« عند النجاشي ـ وبين يديه رسـول محمد ، وهو عمرو بن امية الضـمرى »

الضمرى : يا أصحمة ، ان على القول وعليك الاستماع . انك كأنك فى الرقة علينا منا ، وكأنا بالثقة بك منك ، لأنا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شيء قط الا أمناه . وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الا يحيل بيننا وبينك شـاهد لايرد وقاض لايجور وفى ذلك وقع الحـز واصـابة

المفصل • والا فأنت فى هـــذا النبى كاليهـود فى عيسى بن مريم . وقد فرق النبى رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وامنك على ماخافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر

النجاشي : أشـــهد بالله انه النبى الامى الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل . وان العيان له ليس بأشفى من الخبر عنه . ولكن أعوانى من الحبش قليل . فانظرنى حتى أكثر الاعوان وألين القلوب !

« يدخل عمرو بن العاص فى أصحابه فيلمح الضمرى »

عمرو بن العاص : (لاصحابه هامسا) أتدرون من هـذا بين يدى النجاشي؟ هذا عمرو بن أمية الضمرى رسول محمد. لو قد دخلت على النجاشي لسألته اياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش انى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . هاهو ذا قد ودع النجاشي وخرج . هلموا بنا . . .

« يتقدم الى النجاشي ويسجد له »

النجاشي : مرحبا بصديقى !

عمرو : أيها الملك !

النجاشي : اهديت الى من بلادك شيئا ؟

عمرو : نعم أيها الملك . قد أهديت اليك أدما كثيرا

« يقرب اليه الهدية »

النجاشى : (ينظر اليها معجبا) مرحى مرحى ! وشكرا شكرا

عمرو : أيها الملك .. انى قد .. رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا . فأعطنيه لأقتله . فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا !

النجاشي : (يغضب ويمد يده فيضرب بهـا أنفه ضربة شديدة ...)

عمرو : (في فرق) أيها الملك . واللات لو ظننت أنك تكره هذا ماسألتكه

النجاشي : اتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ !

عمرو : أيها الملك . أكذاك هو ؟ !

النجاشي : ويحك ياعمرو ! أطعني واتبعه . فانه والله لعلى الحق . وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده

عمرو : أفتبايعني له على الاسلام ؟

النجاشي : نعم

« يبسط يده فيبايعه عمرو »

المنظر العاشر

« في الطريق الى المدينة • عمرو
ابن العاص يقابل خالد بن الوليد »

عمرو بن العاص : (لخالد) أين يا أبا سليمان ؟

خالد بن الوليد : والله لقد استقام الميسم ، وان الرجل لنبي . اذهب والله فاسلم ، فحتى متى ؟

عمرو : انت أيضا ! !

خالد : نعم

عمرو : والله ماجئت أنا كذلك الا لأسلم

خالد : هلم بنا ! !

« يسيران في طريق المدينة »

المنظر الحادى عشر

« فى المدينة ـ النبى فى المسجد »

عمر : يارسول الله . لقد عاد من أرسلناهم الى الملوك من الرسل

محمد : ادخلهم !

« يدخل الرسل وهم دحية بن خليفة وعمرو بن امية وعبد الله بن حـــذافه وحاطب بن بلتعـــه »

عمر : (لهم) لقد أذن لكم رسول الله

محمد : (لدحية بن خليفة) ما وراءك يادحية ؟

دحية : لقد وجهتنى يارسول الله الى قيصر الروم ، فرد عليك بهذا الــكتاب

محمد : اقرأه ...

دحية : (يفتح الكتاب ويقرأ) ... « الى محمد رســول الله ! انى مسلم ولكنى مغلوب على أمرى ... »

محمد : كذب عدو الله . ليس بمسلم ، بل هو على نصرانيته . (يلتفت الى عمرو بن أمية) وأنت ياعمرو ما وراءك ؟

ابن أمية : توجهت الى نجاشى الحبشة فأجاب : أنه يشهد بالله انك النبى الآتى الذى ينتظره أهل الكتاب ولكن أعوانه من الحبش قليل ، وطلب أن تنظره حتى يكثر الاعوان ويلين القلوب

محمد : (يلتفت الى عبد الله بن حذافة) وأنت ياعبدالله ؟

عبد الله : توجهت الى كسرى وقدمت له كتابك ، فأخذ الكتاب فمزقه

محمد : مزق الله ملــكه

عبد الله : ثم أجاب « ملك هنىء لا أخشى أن اغلب عليه ولا أشارك فيه . وقد ملك فرعون بنى اسرائيل ولستم بخير منهم فما يمنعنى أن أملككم وأنا خير منه . فأما هــذا الملك

فقد علمنا انه يصير الى الكلاب وانتم أولئك .. تشبع بطونكم وتأبى عيونكم »

محمـد : (يلتفت الى حاطب بن بلتعـة) وأنت ياحاطب ما وراءك ؟

حاطب : قدمت على المقوقس فأجابنى « انى قد نظرت فى امر هذا النبى . فوجدته لايأمر بمزهود فيه ولاينهى الا عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب. وسأنظر » . ثم أهدى اليك يارسـول الله ، جارية قبطيـة جميلة ، اسمها مارية ..!

المنظر الثانى عشر

« فى المدينة ـ النبى وابو بكر فى المسجد ، وبين نفر من الخزرج هم عبدالله بن أنيس ، ومسعود بن سنان وابن عتيك ، وابو قتادة ، وخزاعى »

عبد الله : يارسول الله ! لقد اصابت الاوس عدوالله اليهودى كعب بن الاشرف !

محمد : متى ؟

مسعود : اليوم

محمد : وكيف أصابوه ؟

عبد الله : قتلوه بأسيافهم ، ووالله لايذهبون بهذه فضلا علينا عندك فى الاسلام ولن ننتهى حتى نوقع مثلها ، فأذن لنا فى قتل اليهودى ابن أبى الحقيق وهو بخيبر

أبو بكر : (لمحمد باسما) ان هذين الحيين من الانصار ، الاوس والخزرج ، ليتصاولان تصاول الفحلين ، لاتصنع الاوس شيئا فيه غناء ، الا صنعت الخزرج مثلهم

عبد الله : نعم ، وانا لنستأذن رسول الله فى أن تصـنع مثل ماصنعت الاوس

محمد : (باسما) قد اذنت لـكم

الخزرج : (صائحين فرحا) الله أكبر !
محمد : ولكنى أنهاكم أن تقتلوا وليداً أو امرأة !

« يخرج رجال الخزرج »

بلال : (يدخل فرحا) يانبى الله !
أبو بكر : مالك يابلال ؟
بلال : (فى فرح) لقد جاء خالد بن الوليـد وعمرو بن العاص كي يسلما
محمد : (مبتهجا) أدخلهما !

« يدخل خالد وعمرو »

خالد : يارسول الله ، لقد تبين لى الحق من الباطل ، وعلمت أنك رسول الله ، وانى أبايعك على الاسلام
محمد : (فرحا) الله أكبر ! الله اكبر !
عمرو : (يتقدم) يارسول الله ! وأنا أبايعك على أن ...
أبو بكر : (لايتمالك) على أن ... ماذا ؟
عمرو : على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى ، ولا أذكر ماتأخر
محمد : ياعمرو بايع . فان الاسلام يجب ماكان قبله ، والهجرة تجب ماكان قبلها

المنظر الثالث عشر

« محمد امام المسجد مع أبى بكر ، يقبل عليه نفر من الخزرج مهللين »

عبد الله : (فى فرح) الله أكبر !
محمد : ما وراءكم ؟
مسعود : قتلنا عدو الله ابن أبى الحقيق
محمد : كيف ؟
ابن عتيك : خرجنا حتى اذا قدمنا خيبر ، قمنا على باب ابن أبى الحقيق ليلا فاستأذنا عليه فخرجت الينا امراته فقالت

من انتم ؟ قلنا ناس من العرب نلتمس الجيرة ، قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه ، فدخلنا عليه واغلقنــا علينا وعليها الحجرة تخوفا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه ، وصاحت امرأته فنوهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنــا ، فوالله مايدلنا عليه فى سواد الليل الا بياضه كأنه قبطية ملقاة ، ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله ألا نقتل امراة فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها ...

عبد الله : (متمما) ولما ضربناه بأسيافنا تحاملت عليه بسيفى فى بطنه حتى أنفذته وهو يقول : « حسبى ، حسبى » وخرجنا فوقع ابن عتيك لسوء بصره من الدرجة ، فوثئت رجله وثئا شديدا فحملناه ...

ابن عتيك : نعم ، وأوقد يهود النيران واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم ، فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ، فقال خزاعى أنا أذهب فانظر لــكم ... فانطلق ...

خزاعى : انطلقت حتى دخلت فى النــاس فوجدت امراته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتقول : « فاظ واله يهود » فما سمعت من كلمة كانت الذ الى نفسى منها ...

أبو قتادة : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر

أبو بكر : (باسما) ومن منكم قتله ؟

ابن عتيك : أنا

عبد الله : بل ضربتى أنا ...

مسعود : بل أنا ...

خزاعى : ان أردتم الحقيقة فانا الذى ...

محمد : هاتوا أسيافكم ؟

الخزرج : (يسرع كل الى سيفه ويقدمه الى النبى) هاهى ذى !

محمد : (ينظر الى السيوف ويشير الى أحدها) لمن هذا السيف ؟
الخزرج : لعبد الله بن أنيس ...
محمد : (يشير الى سيف عبد الله) هـذا قتله ، أرى فيه اثر الطعام !

المنظر الرابع عشر

« النبى فى حي بالمدينة بين رهط من الناس »

أبو رافع : (يأتي وهو يجرى ويلهث) يارسـول الله ! ابشر ! أبشر !
محمد : بماذا ؟
أبو رافع : ولدت لك مارية القبطية الليلة غلاما
محمد : (فى فرح) ولد لى غلام !
أبو رافع : نعم وربك قد ولد لك غلام !
محمد : (فرحا) يا أبا رافع ، لقد وهبت لك عبدا
أبو رافع : (صائحا يجرى فى الناس) أبشروا أيها الناس! أبشروا !
محمد : (ينهض) أيها الناس ! ولد لى الليلة غلام ! وانى سميته باسم أبى ابراهيم !

« يذهب مسرعا ومعه أبو رافع »

المنظر الخامس عشر

« عائشة فى مسكنها مع امها زينب ام رومان »

ام رومان : لاتحزني يابنيتى !
عائشة : وددت والله انى أنا أم هذا الفلام
ام رومان : عسى أن ترزقى غلاما مثله !

عائشة : أما علمت ؟
أم رومان : ماذا ؟
عائشة : لقد حجب رسول الله مارية
أم رومان : نعم ، انها قد ثقلت على نسائه
عائشة : (كالمخاطبة لنفسها) قد عتق عنه رسول الله بكبشين يوم سابعه ، وحلق رأسه ، فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن فى الارض، وتنافست فيه نساء الانصار أيتهن ترضعه !
بريرة : (تدخل) رسول الله جاء !

« تخرج ام رومان وتترك عائشة »

محمد : (يدخل فرحا حاملا ابنه ابراهيم بين ذراعيه...) يا عائشة ! أنظرى ! أنظرى !
عائشة : (ترفع رأسها فى فتور) ماذا ؟
محمد : (ينظر الى الغلام بين ذراعيه) أنظرى الى شبهه بى !
عائشة : ما ارى شبها
محمد : الا ترين الى بياضه ولحمه ؟ !
عائشة : من سقى ألبان الضأن سمن وابيض
محمد : (ينظر الى غلامه) أما دريت يا عائشة ؟ لقد جاء الى جبريل فقال : السلام عليك يا أبا أبراهيم !
عائشة : (فاترة) حقا ؟
محمد : الا يسرك هذا ؟
عائشة : ما الذى جاء بك الساعة يارسول الله ؟ !
محمد : جئت لك بابراهيم كى تنظرى اليه
عائشة : (مطرقة) قد نظرت اليه
محمد : (يلتفت اليها) مالك يا عائشة ؟
عائشة : مابى من شىء
محمد : (ينظر اليها مليا) اغرت ؟

عائشة : (مطرقة) كلا
محمد : انك والله قد غرت
عائشة : (ترفع رأسها صائحة) ومالى لايغار مثلى على مثلك !
محمد : (يبتسم) أو قد جاءك شيطانك ؟

« صمت عميق .. تهدأ عائشة قليلا »

عائشة : أمعى شيطان ؟
محمد : نعم
عائشة : ومع كل انسان ؟
محمد : نعم
عائشة : ومعك يارسول الله ؟
محمد : نعم ، ولكن ربى أعاننى

المنظر السادس عشر

« عائشة فى مسكنها . تدخل عليها بريرة تجرى »

بريرة : (وهى تلهث) أجاءك الخبر ؟
عائشة : أى خبر ؟
بريرة : مات ابراهيم !
عائشة : (فى فرح ظاهر) غلام القبطية ؟ !
بريرة : نعم . نعم
عائشة : (تنهض وثبا) من أين عرفت ذلك ؟
بريرة : الناس تتحدث به ، ونساء النبى قد ذهبن يحضرون دفنه !
عائشة : على بازارى !
بريرة : أين ؟
عائشة : أذهب لارى هذا الامر !

المنظر السابع عشر

« النبى فى البقيع، ومعه الفضل بن عباس واسامة بن زيد يحملان جثة ابراهيم وخلفهم مارية تبكى ونساء من الانصار والمهاجرين، وحفار يحفر قبرا »

الفضل : اندفنه هنا فى البقيع ؟

محمد : (مطرقا) نعم

اسامة : (قرب الحفرة) ادن يا ابن عباس ! هذا الحفار قد فرغ . . .

الفضل : (يدلى بالجثة فى الحفرة) فى جنة الخلد يا ابراهيم!

النساء : (صائحات) ان له أن شاء الله موضعا من الجنة !

محمد : (على شفير القبر) أرى فرجة فى اللحد !

الحفار : انها يارسول الله لاتضر ولا تنفع

محمد : (يسوى باصبعه الجدث) أما انها لا تضر ولا تنفع ولكن تقر بعين الحى ، أن العبد اذا عمل عملا أحب الله أن يتقنه

النساء : (ينظرن الى السماء صائحات) أنظروا ! انظروا !

محمد : (يلتفت) ماذا ؟

النساء : انكسفت الشمس !

اسامة : (ناظرا الى السماء) أى والله ! انكسفت الشمس لموت ابراهيم !

النساء : (صائحات) لموت ابراهيم انكسفت الشمس ! انكسفت الشمس لموت ابراهيم !

محمد : (ينهض ويلتفت الى الناس) أيها الناس ! أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياة أحد

« يسكت الناس لحظة ، ويعود النبى الى اطراقه »

الفضل : (ناظرا الى التراب وقد أهيل على ابراهيم) رحمة الله على ابراهيم ! لو عاش كان صديقا نبيا

محمد : (للحفار) أقد فرغت ؟
الحفار : نعم
محمد : من أحد يأتى بقربة ماء ؟
أسامة : (يسرع الى قربة فيحملها ويجيء بها الى النبى) هذى قربة الماء يارسول الله !
محمد : رشها على قبر ابراهيم
أسامة : (يرش الماء على القبر) استودعناك الله يا ابراهيم!
محمد : (لايملك نفسه) لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطى !

« تسيل من عينى النبى الدموع »

أسامة : أتبكى ، وقد نهيت عن البكاء ؟ !
محمد : (باكيا) ان ابراهيم ابنى وانه مات فى الثدى ، وان له لظئرين تكملان رضاعه فى الجنة
الفضل : يارسول الله ..! تبكى وأنت رسول الله ؟ !
محمد : انما أنا بشر ، تدمع العين ويخشع القلب ، ولا نقول ان شاء الله الا مايرضى الرب ، والله لولا أنه أجل معدود ، ووعد صادق ، ووقت معلوم ، وان آخرنا لاحق بأولنا ، لجزعنا عليه جزعا غير هذا ، انا عليك يا ابراهيم لمحزونون ..!

المنظر الثامن عشر

« النبى بين أصحابه فى المدينة أمام المسجد »

بلال : (يتقدم بين يدى النبى) يارسول الله ! لقد نقضت قريش صلح الحديبية !

« النبى يطرق مفكرا »

عمر : ماتقول يابلال ؟

بلال : رجال من خزاعة قدموا بهذا الخبر
على : ولما يمض على الصلح اثنان وعشرون شهرا !..
ابو بكر : (يلتفت) نعم . هذا عمرو بن سالم الخزاعى فى رجال من خزاعة !

« النبي يرفع راسه ناظرا الى رجال خزاعه »

الخزاعى : (يتقدم بين يدى النبى) يارسول الله ! بعد أن دخلنا فى عقدك وعهدك ، عدت علينا قريش ليلا ونحن آمنون فقتلوا منا عشرين رجلا ، فقدمنا عليك نخبرك ونستنصرك
محمد : (يقوم يجر رداءه) لانصرت ان لم أنصركم مما انصر منه نفسى !
الخزاعى : لقد بلغنا أن قريشا رهبوا الذى صنعوا وندموا عليه
بلال : (ينظر) هذا رجل كأبى سفيان مقبلا مسرعا
أبو بكر : (ينظر مليا) نعم هو أبو سفيان
محمد : (يقف) كأنى به قد جاء ليشد العقد ويزيد فى المدة
ابو سفيان : (يتقدم الى النبى) يا أبا القاسم : انى قد جئتك فى أمر ...

« محمد لا يرد عليه شيئا »

أبو سفيان : جئت للعهد الذى بيننا وبينك

« محمد لا يجيب »

ابو سفيان : (يمضي فى القول) ألك فى أن نشد العقد ونزيد فى المدة ؟
محمد : (فى صوت خافت كالمخاطب لنفسه) هيهات ! هيهات !

« يترك أبا سفيان وينصرف »

ابو سفيان : (لمن حوله) لماذا لايرد على شيئا ؟ ! ياأبا

بكر ! كلم لى أبا القاسم أن يستمع الى ..

أبو بكر : (يتركه ويمشي فى أثر النبى) ما انا بفاعل

أبو سفيان : (يتجه الى عمر بن الخطاب) وأنت يا أبا حفص ، ألا تكلمه لى ..؟

عمر : (يزور عنه) أأنا أشفع لكم الى رسول الله ؟ فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به !

« يتركه ويتبع النبى »

أبو سفيان : (لعلى بن أبى طالب) ياعلى ! انك أمس القوم بى رحما ، وانى قد جئت فى حاجـة فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى الى أبى القاسم

على : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله على أمر ، مانستطيع أن نكلمه فيه

أبو سفيان : (لعلى) يا أبا الحسن انى أرى الامور اشتدت على ، فانصحنى !

على : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا . ولـكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك

أبو سفيان : أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟

على : لا والله ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك

« يتركه ويذهب كى يلحق بالنبى »

أبو سفيان : (يقف وسط الناس) أيها الناس ! انى قد أجرت بين الناس !

الناس : (هازئين) اركب بعيرك وانطلق !..

أبو سفيان : صدقتم ، هذا أولى بى !

« يركب بعيره وينطلق »

بلال : (يأتى مسرعا من جوار النبى) أيها النـاس : ان رسول الله يأمركم أن تتجهزوا للقتال !

المنظر التاسع عشر

« في مكة ـ ابو سفيان في رجال من قريش ليلا »

قريش : (لأبى سفيان) ما وراءك ؟

ابو سفيان : جئت محمدا فكلمته ، فواللات ما رد على شيئا . ثم جئت ابا بكر فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت عمر ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت عليا فوجدته الين القوم ، وقد أشار على بشيء صنعته ، وواللات ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا

قريش : وبم أشار عليك ؟

ابو سفيان : امرنى ان اجير بين الناس ففعلت

قريش : وهل أجاز ذلك محمدا ؟

ابو سفيان : لا

قريش : ويلك ! واللات ما زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغنى عنك ما قلت

أبو سفيان : لا واللات ما وجدت غير ذلك

« ياتي احد رجال قريش وهو بديل ابن ورقاء يجرى »

بديل : يا معشر قريش ! العسكر ! العسكر !

قريش : (تقوم أين ؟)

بديل : (يشير الى ضـــوء منبثق عن بعـــد) انظروا ! تلك النيران ؟

قريش : (في دهش وخوف) نعم ، نعم ...

أبو سفيان : (ينظر الى النيران) نعم ، ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا

بديل : هذه واللات خزاعة حمشتها الحرب

أبو سفيان : (ناظرا الى النيران) خزاعة اذل واقل من أن تـكون هذه نيرانها وعسكرها ...

« يمر العباس بن عبد المطلب على ظهر بغلة النبى البيضاء »

العباس : (صائحا بأبى سفيان) يا أبا حنظلة ؟

أبو سفيان : (يلتفت) أبو الفضل ؟!

العباس : نعم

أبو سفيان : مالك . فداك أبى وأمى !

العباس : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله فى الناس !

أبو سفيان : (مرتاعا) محمد !

العباس : نعم ، واصباح قريش والله لئن دخل مكة عنوة قبل أن تأتوه فتستأمنوه ، انه لهلاك قريش الى آخر الدهر !

أبو سفيان : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى !

العباس : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة ، حتى آتى بك رسول الله فاستأمنه لك

أبو سفيان : نعم . هلم بنا

« يركب فى الحال خلف العباس »

المنظر العشرون

« فى معسكر النبى ـ العباس يمر بين المسلمين على البغلة فى طريقه الى النبى وخلفه ابو سفيان »

المسلمون : (صائحين) من هذا ؟

العباس : انا . .

المسلمون : عم رسول الله على بغلته !

أبو سفيان : (قلقا) خشيت أن يكونوا قد أمروا فى بشىء

العباس : لاتخش شيئا

عمر بن الخطاب : (يلمح أبا سفيان) من هذا ؟

العباس : أنا . . .

عمر : (صائحا) أبو سفيان على عجز الدابة ! أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد

العباس : (يركض بالبغلة) فلنسبقه الى رسول الله

أبو سفيان : (ينظر خلفه فى قلق) انه يشتد خلفنا
العباس : ان سبقنا الى رسول الله فأنت هالك !
أبو سفيان : اسرع بنا فداك ابى وامى !
العباس : (يوقف البغلة أمام مضرب النبى) قد بلغنا المكان هذا رسول الله !

« ينزلان ويتقدمان نحو النبى وهو جالس امام مضربه »

أبو سفيان : (همسا للعباس) كلمة لى أول الأمر
العباس : (يتقدم) يا رسول الله !
عمر : (يصل مسرعا وهو يصيح) يا رسول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد .. فدعنى فلأضربن عنقه !
العباس : يا رسول الله ! انى قد أجرته
عمر : يا رسول الله ! مرنى اتكلم ..
العباس : (يجلس الى النبى ويأخذ براسه ويلتفت الى عمر) والله لا يناجيه الليلة دونى رجل !
عمر : ان أبا سفيان عدو الله !
العباس : مهلا يا عمر ! فوالله ان لو كان رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا . ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف !
عمر : (يهدأ ويتلطف) مهلا يا عباس ! فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو اسلم ، وما بى الا انى قد عرفت ان اسلامك كان احب الى رسول الله من اسلام الخطاب لو اسلم
أبو سفيان : (للعباس خافتا فى قلق) كلم لى ابن أخيك !
محمد : (يلتفت الى ابى سفيان) أبا سفيان !
أبو سفيان : نعم يا أبا القاسم !
محمد : ويحك ! ألم يأن لك ان تعلم أنه لا اله الا الله ؟
أبو سفيان : بأبى أنت وامى . ما احلمك واكرمك واوصلك !

والله لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغني عني شيئا بعد
محمد : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟
أبو سفيان : بأبي أنت وأمي ، ما احلمك واكرمك واوصلك. اما هذه والله فان في النفس منها حتى الآن شيئا
العباس : (يغمزه بيده) ويحك ! اسلم واشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك
أبو سفيان : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
العباس : يا رسول الله ! ان ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا
محمد : نعم ، من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن
أبو سفيان : (للنبي وهو منصرف مع العباس) انك والله لكريم
محمد : (همسا للعباس) يا عباس ! احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ، حتى تمر به جنود الله فيراها

المنظر الحادى والعشرون

« بمضيق الوادى عند خطم الجبل ـ النبى مار فى جيشه ، العباس وأبو سفيان فى ناحية ينظران الى الجنود تمر بهما »

العباس : أنظر الى جنود الله !
أبو سفيان : (مأخوذا) نعم نعم . ما هذه القبائل كلها !
العباس : (يشير الى قبيلة مارة) هذه سليم
أبو سفيان : نعم . نعم . ومن هؤلاء ؟
العباس : هؤلاء مزينة
أبو سفيان : نعم ، نعم ...
العباس : وهؤلاء قبائل أسلم وغفار وجهينة
أبو سفيان : نعم ، نعم ...
العباس : أنظر الى القبائل تمر على راياتها

أبو سفيان : (فى صيحة) سبحان الله ياعباس ! من هؤلاء !؟
العباس : هذا رسول الله فى كتيبته الخضراء
أبو سفيان : (فى اعجاب) الكتيبة الخضراء !
العباس : نعم ، المهاجرون والانصار !.
أبو سفيان : يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة ! لا يرى والله منهم الا الحدق من الدروع والحديد !
العباس : نعم ..
أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما !
العباس : يا أبا سفيان ، انها النبوة
أبو سفيان : فنعم اذن
العباس : (يدفعه) يا ابا سفيان النجاة الى قومك
أبو سفيان : صدقت

« ينصرف الى قومه »

العباس : أسرع !

المنظر الثانى والعشرون

« فى مكة ـ الناس مجتمعون ، وابو سفيان بينهم يخطبهم »

أبو سفيان : (يصرخ بأعلى صوته) يا معشر قريش ! هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به ، فمن دخل دارابى سفيان فهو آمن

« تقوم اليه هند بنت عتبة غاضبة ثائرة من بين الناس »

هند : أانت تقول هذا ؟
أبو سفيان : نعم أقول هذا ، فاستمعوا الى !
هند : (تأخذ بشارب ابى سفيان وتصيح) اقتلوا الحميت الدسم الاحمس ! قبح من طليعة قوم !

أبو سفيان : اغربى أيتها المرأة !

هند : (للناس) لاتصغوا الى هذا الرجل !

أبو سفيان : (للناس) ويلكم ! لاتغرنكم هذه من أنفسكم ، فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابى سفيان فهو آمن

الناس : قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ؟

أبو سفيان : (يمضى فى الكلام) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن

الناس : (يرون الجيش مقبلا فيتفرقون مسرعين متصايحين . .) الجيش ! الجيش ! محمد ! النجاة الىالمسجد الى دوركم !

« يدخل النبى وجيشه ظافرين »

عمر : (صائحا فى أمراء الجيش) يا أمراء الجيش ! لقد أمر رسول الله ، اذا دخلتم مكة ، الا تقاتلوا الا من قاتلكم !

محمد : (على دابته ناظرا الى السماء) لا اله الا الله ، وحده لاشريك له ، صدق وعده ، ونصرعبده ، وهزم الاحزاب وحده!

« يخفض راسه ويسير فى طريق الكعبة »

أبو سفيان : (يلمح العباس) يا أبا الفضل !

العباس : (يدنو منه) أنظر الى النبى !. . انه يضع رأسه تواضعا لله ، لما أكرمه به من الفتح ، حتى أن عثنونه يكاد يمس واسطة الرحل !

أبو سفيان : (ناظرا الى النبى) نعم

العباس : اللهم لك الحمد ! فتحت مكة بغير قتال !

أبو سفيان : لقد بلغ النبى الكعبة

العباس : (يتبع ببصره النبى) نعم

أبو سفيان : انه قد رفع يده ، وأمر فى الكعبة بشىء

العباس : (يرى محمدا على وشك الكلام) انه يشير الى الأصنام

ابو سفيان : نعم . صه ! انه يتكلم

محمد : (صائحا) جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا

عمر : (لرجاله) حطموا هذه الأحجار !

« المسلمون يحطمون اصنام الكعبة »

ابن رواحة : (الشاعر يقف الى جوار النبى ويصيح فى حماسة . .)

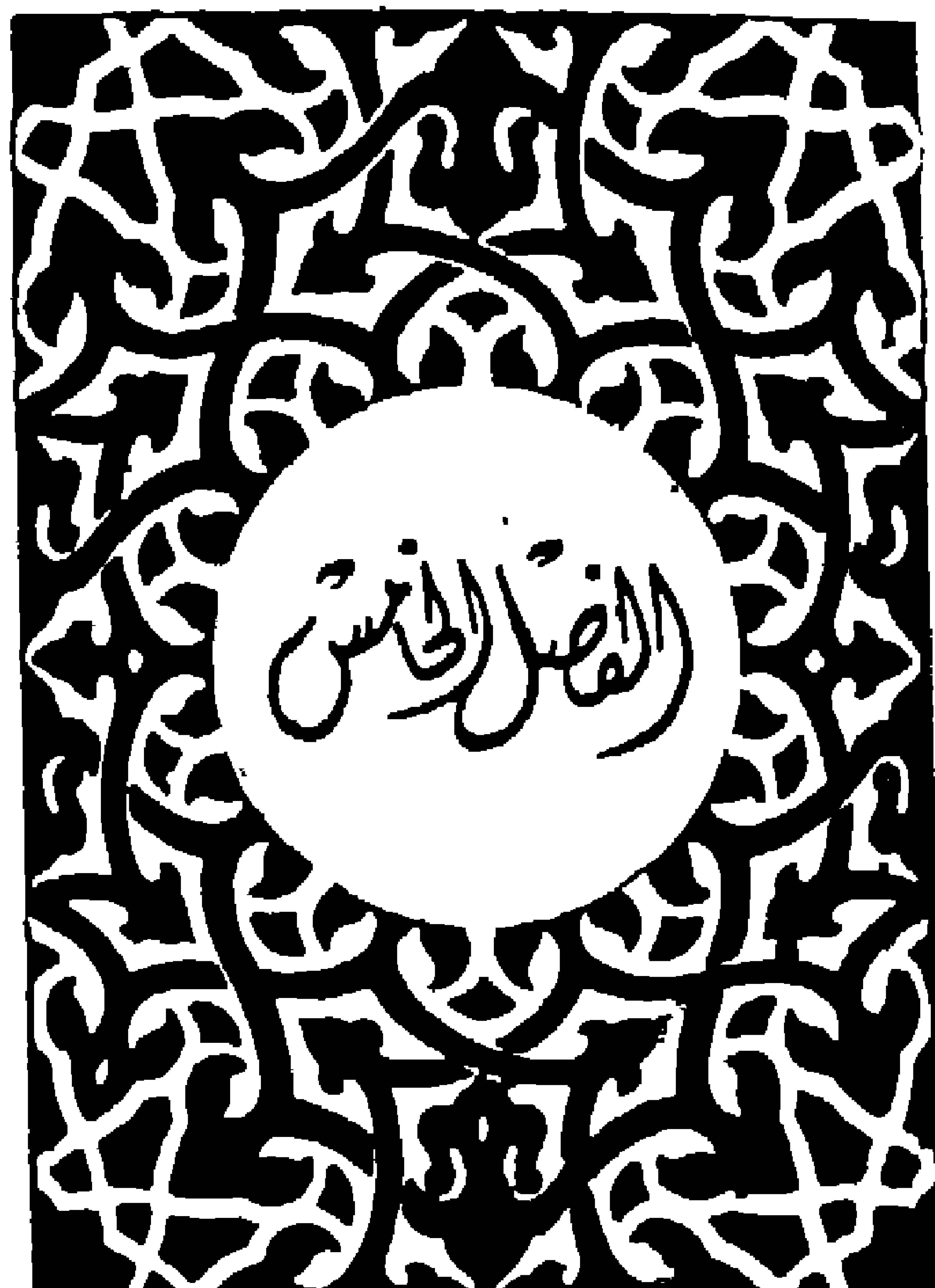
خلوا بنى الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله !

عمر : يا ابن رواحه ! بين يدى رسول الله وفى حرم الله ، تقول الشعر ؟!

محمد : خل عنه يا عمر ! فلهى فيهم أسرع من نضح النبل !

أبو بكر : (للنبى فى فرح وتأثر) يا رسول الله ! لقد تم نصر الله لك ولما جئت به !

محمد : (يتلو) اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا


الفصل الخامس



المنظر الاول

« فى المدينة ـ عائشة على فراشها فى مسكنها »

زينب : (تدخل على ابنتها) أتعلمين الخبر ؟

عائشة : نعم ، رسول الله يتجهز للحج وقد امر الناس بالجهاز له . .

زينب : نعم لقد رايت الناس يسوقون الهدى

عائشة : (باكية) اللهم أعنى !

زينب : أتبكين ؟

محمد : (يدخل) مالك يا عائشة ؟

زينب : (تنهض) رسول الله !

محمد : (لعائشة) لعلك نفست ؟

عائشة : نعم . والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر . .

محمد : لا تقولن ذلك ، فانك تقضين كل ما يقضى الحاج . الا انك لاتطوفين بالبيت

المنظر الثانى

« فى مكة ـ النبى مع الناس . عند البيت الحرام »

عمر : (لأبى بكر) مالك ؟ مايحزنك ؟

أبو بكر : ان رسول الله قد أرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم

عمر : وما فى ذاك ؟

أبوبكر : (كالمخاطب لنفسه) أخشى أن تكون حجة الوداع.

عمر : (يلتفت الى ناحية النبى) ان رسول الله قام يخطب الناس ..

أبو بكر : نعم . هلم اليه

« يدنوان من النبى »

محمد : (يخطب) أيها الناس ، أسمعوا قولى ، فانى لاأدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس ، ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ، وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، أما بعد أيها الناس ، فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا . ولكنه أن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروه على دينكم ، أيها الناس ، انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، أما بعد أيها الناس . فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن

رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنســاء خيرا ، فانهن عندكم عوان لايملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا أمرابينا ، كتاب الله وسنةنبيه ، ايها النـاس ، اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

الناس : (صائحين) اللهم نعم

محمد : (ناظرا الى السماء) اللهم اشهد !

المنظر الثالث

« فى المدينة ـ عائشة جالسة ليلا فى مسكنها . تدخل عليها امها زينب »

زينب : مالك يا ابنتى ؟

عائشة : رسول الله

زينب : مابه ؟

عائشة : وثب من مضجعه فى جوف الليل فلبس ثيـابه ثم خرج

زينب : اين ؟

عائشة : لستأدرى ، قد أمرت خادمتى بريرة أن تتبعه

« بريرة تدخل »

بريرة : مولاتى ..

عائشة : خبرينى

بريرة : تبعت رسول الله ، فرأيته قد انطلق ومعه مولاه ابو رافع الى الخلاء ..

عائشة : الخلاء ؟!

المنظر الرابع

« النبى وأبو رافع أمام المقابر بالبقيع »

أبو رافع : أين يا رسول الله فى جوف الليل ؟
محمد : يا أبا رافع ، انى قد أمرت أن استغفر لاهل هـذا البقيع ..
أبو رافع : (كالمخاطب لنفسه) عجبا !..
محمد : (متجها الى القبور) السلام عليكم يا أهل المقابر ! ليهنىء لـكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى
أبو رافع : (كالمخاطب لنفسه) أهو وداع من الدنيا ؟!
محمد : (يلتفت الى أبى رافع) يا أبا رافع ، انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة
أبو رافع : (مبادرا) بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة
محمد : لا والله يا أبا رافع . لقد اخترت لقاء ربى والجنة
أبو رافع : (فى حزن كالمخاطب لنفسه) لقد اخترت فراقنا!
محمد : (متجها الى المقابر) السلام عليكم دار قوم مؤمنين، ايانا واياكم ماتوعدون ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لاهل البقيع . اللهم اغفر لاهل البقيع !

المنظر الخامس

« فى مسكن عائشة ـ وهى جالسة واضعة يدها على راسها »

بريرة : (جالسة الى جوار عائشة) ألا ترقدين ؟
عائشة : انى أجد صداعا فى رأسى
بريرة : لقد سهرت الليل فى انتظار أوبة رسول الله

عائشة : لو انك عرفت اين ذهب يا بريرة ؟
بريرة : لاتجزعى . لعله أمر بشىء . هذا رســـول الله قد اقبل

« تنهض لدخول النبى وتذهب »

محمد : (يدخل معصوب الرأس) مالك يا عائشة ؟
عائشة : (واضعة يدها على رأسها) واراساه !
محمد : (فى توجع) بل أنا والله يا عائشة واراساه !
عائشة : (تنهض اليه فى الحال) مابك يا رسول الله ؟
محمد : (ينظر اليها طويلا) ما ضرك لو مت قبلى ، فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟!
عائشة : كأنى بك والله تحب موتى ! ولو كان ذلك لرجعت الى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك !
محمد : (يبتسم) انك غيرى

« يبدو على النبى التعب »

عائشة : (يغشاها قلق) مابك ؟
محمد : آه ..
عائشة : (فى جزع) اجلس يا رسول الله على فراشك
محمد : (يجلس متوجعا) مازلت أجد من الاكلة التى أكلتها يوم خيبر عدادا ، حتى كان هذا أوان انقطاع ابهرى
عائشة : (فى جزع) لا يارسول : لم يأن الاوان
محمد : انى اشتكى ولا أستطيع أن أدور على نســـائى فأرسلى اليهن ! فان شئن أذن لى أمرض عندك
عائشة : (وهى مطرقة) نعم

« تدخل فاطمة بنت النبى جزعة »

فاطمة : ما بك يا رســـول الله ؟ قد أخبرتنى بريرة انك عدت عاصبا رأسك !

محمد : مرحبا . بابنتى !
فاطمة : أبت ! مالك ؟
محمد : (يدعوها ويسارها) لا أظن الا أجلى قد حضر
فاطمة : (تبكى) أبتاه !
محمد : (همسا) لاتبكى ، فانك أول اهلى بى لحوقا
بريرة : (تدخل) قد دعا بلال الى الصلاة !
محمد : اوصلى الناس ؟
بريرة : لا ! هم ينتظرونك يا رسول الله
محمد : (ينهض) ضعوا لى ماء فى المخضب .. آه ..

« ينوء مغشيا عليه »

فاطمة : (تضرع اليه) انه ينوء ..
عائشة : (صائحة مسرعة اليه) ادركونى ! قد اغمى عليه !

« بريرة تهرع فى أثر مولاتها جزعة »

محمد : (يفيق) أصلى الناس ؟
عائشة : لاتترك فراشك يارسول‌الله . مر من يصلى‌بالناس
محمد : (فى صوت ضعيف) مروا ابا بكر فليصل بالناس !

« تسرع بريرة بالخروج صادعة بالامر »

عائشة : (على رأس النبى) يا رسول الله ، ان أبا بكررجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن
محمد : مروه فليصل بالناس
عائشة : (همسا لفاطمة) كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى . ان الناس لن يجيبوا رجلا قام مقام رسول الله أبدا . وأنهم سيتشاءمون به

« يرتفع صوت عمر فى المسجد »

عمر : (من الخارج) الله أكبر ! الله أكبر
محمد : (يتحرك) صوت من هذا ؟

فاطمة : هذا عمر بن الخطاب

محمد : لا ، لا ، يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون أين أبو بكر ؟ أين أبو بكر ؟

عائشة : لا ريب انه غائب ..

محمد : (يحاول النهوض) ضعوا لى ماء ، حتى اخرج الى الناس فأعهد اليهم !

المنظر السادس

« فى المسجد ـ الناس فى هرج وقد انتفضت صفوفهم »

عمر : (لبلال) ويحك ماذا صنعت بى يا بلال ؟ والله ماظننت حين أمرتنى ، الا أن رسول الله أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس

بلال : والله ما أمرنى رسول الله بذلك . ولكنى حين لم ار أبا بكر . رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس

عمر : (يلتفت) هذا أبو بكر . هلم الى الصلاة ؟

« ابو بكر يدخل مسرعا ويصلى بالناس فتنتظم الصفوف خلفه »

ابو بكر : الله أكبر !...

« يظهر النبى عاصبا رأسه بخرقة ويستند الى بابه اللافظ فى المسجد ، فيراه المسلمون فتبدو منهم حركة الفتنان وفرح به »

محمد : (يبتسم لفرحهم ويشير اليهم هامسا) اثبتوا على صلاتكم !

« ابو بكر يشعر بالنبى فينكص عن مصلاه »

محمد : (يدفع فى ظهره برفق)

« ثم يجلس الى يمين ابى بكر ويصلى قاعدا »

الناس : (لاتتمالك بعد ختام الصلاة أن تصيح فرحا) رسول الله ؟ رسول الله قد برأ . هذا رسول الله !

« بين المصلين انس بن مالك ينظر الى النبى ويهمس لمن فى جواره »

أنس : أنظر الى وجهه ! كأنه ورقة مصحف !

محمد : (يتحامل ويعتلى المنبر معتمدا على ذراعى أبى‌بكر وعمر) اللهم اغفر لاصحاب أحد ! اللهم اغفر لاصحاب‌احد . أيها الناس ! الا من كنت جلدت له ظهرا ، فهـذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهـذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخشى الشحناء من قبلى فانها ليست من‌شأنى . الا وان احبكم الى من أخذ منى حقا ان كان له ، أو حللنى‌فلقيت ربى وانا طيب النفس !

أحد الناس : (ينهض) يارسول‌الله ! لى عليك ثلاثةدراهم !

« يشير النبى فيؤتى المال من مسكنه ويعطى الرجل »

محمد : (يمضى فى خطبته) أيها الناس أن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله

أبو بكر : (يفهم ويبكى) بل نحن نفديك بأنفسنا وابنائنا

محمد : على رسلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الابواب اللافظة فى المسجد فسدوها الا بيت أبى‌بكر ، فانى لا أعلم أحدا كان افضل فى الصحبة عندى يدا منه ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولـكن أخوة الاسلام

المنظر السابع

« فى مسكن عائشة ـ النبى على فراش الموت ، ونساؤه خلف ستار يحجبهن عن ذويه واصحابه من الرجال »

عمر : (يدخل ويهمس لعلى والعباس بن عبد المطلب ..)

الناس يسألون كيف أصبح رسول الله ؟

علي : (همسا) أصبح بحمد الله بارئا

العباس : (ينظر الى وجه النبي ويهمس) احلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ، كما كنت اعرفه في وجوه بني عبد المطلب !

ابو بكر : (يلمس النبي) يا رسول الله ، انك لتوعك وعكا شـــديدا ..

محمد : (في صوت ضعيف متعب) أجل .. اني أوعك كما يوعك رجلان منكم

ابو بكر : ان لك لاجرين

محمد : نعم ، والذي نفسي بيده ، ما على الارض مســلم يصيبه أذى من مرض فما ســواه ، الا حط الله به عنـــه خطاياه ، كما تحط الشجرة ورقها

« يسمع صوت لغط وبكاء في المسجد »

ابو بكر : (يهمس لعلي) ما هذا الصوت في المسجد ؟

علي : (همســا) أخشى أن يكون العباس قد خرج يخبر الناس

محمد : (يشير الى الستار الذي بين المسكن والمسجد ..) من هؤلاء ؟

علي : هذه الأنصار في المسجد ، نســاؤها ورجالهـــا ، يبكون عليك

محمد : وما يبكيهم ؟

علي : (في تردد وصوت خافت) يخافون أن تموت

محمد : أهريقوا على سبع قرب من آبار شتى ، ثم ايتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده

عمر : (لمن حوله همسا) أن رسول الله قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله

ابو بكر : بل قربوا يكتب لــكم رسول الله

علي : كلا . الرأى ماقال عمر

« يشتد اللغط بين الرجال »

محمد : (يضيق بهم) قوموا عنى ! قوموا عنى !

ابو بكر : لقد أثقلنا على النبى فى وجعه . هلموا بنا !

« يذهب الرجال ـ وتخرج عائشة والنساء من خلف الستر »

عائشة : يا رسول الله ! انك لتجزع وتضجر ، لو فعلته امرأة منا عجبت منها !

محمد : ان المؤمن يشدد عليه ، ليكون كفارة لخطاياه

فاطمة : (تبكى)

محمد : لاتبك يا بنية . قولى انا لله وانا اليه راجعون ، فان لكل انسان بها من كل مصيبة معوضة

فاطمة : ومنك يا رسول الله ؟

محمد : ومنى

عائشة : (لفاطمة) انه يوعك من الحمى

محمد : (ينهض قليلا) يا عائشة ؟ مافعلت تلك الذهب ؟

عائشة : أى ذهب ؟

محمد : الدنانير الستة التى عندى

عائشة : هى عندى !

محمد : ماظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده ! انفقيها كلها صدقة .. ان النبى لايورث

عائشة : سأنفقها ...

محمد : اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيـــا واحشرنى فى زمرة المساكين ! (يرقد) الآن استرحت

عائشة : (تضع رأس النبى فى حجرها) يا رسول الله ! اسأل الله لك الشفاء والعافية

محمد : (يشخص ببصره الى السماء كالمخاطب لنفســه) بل الرفيق الاعلى !..

عائشة : (تسقط من عينها قطرة دمع بلا شهيق) خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق

محمد : (فى صوت خفيف) قدحا من ماء !

عائشة : (للنساء) أسرعن الى بقدح من ماء !

« يحضرن قدح الماء »

محمد : (يبلل يده ويمسح وجهه) اللهم اعنى على سكرات الموت !..

فاطمة : واكرب ابتاه !

محمد : ليس على أبيك كرب بعد اليوم ، أدن منى .. ادن منى يا جبريل ! أدن منى يا جبريل ! ادن منى يا جبريل !

« يرى جبريل قد هبط عليه »

جبريل : يا احمد ! ان الله ارسلنى اليـــك اكراما لك ، وتفضيلا لك وخاصة لك ، يسألك عما هو أعلم به منك ، ويقول لك كيف تجدك ؟

محمد : (شاخص العينين يتكلم من قلبه دون أن يبدو لمن حوله شيء ..) أجدنى ياجبريل مغموما ، وأجدنى ياجبريل مكروبا !..

جبريل : (يشير الى ملك خلفه) يا احمد ! هذا ملكالموت يستأذن عليك ولم يستأذن علىآدمى كان قبلك ، ولايستأذن على آدمي بعدك

محمد : ايذن له

ملك الموت : يا رسول الله يا احمد ، ان الله ارسلنى اليك وامرنى أن أطيعـــك فى كل ما تأمرنى ، ان امرتنى أن أقبض نفسك قبضتها ، وان أمرتنى أن أتركها تركتها

محمد : وتفعل يا ملك الموت ؟

ملك الموت : بذلك أمرت أن أطيعك فى كل ما امرتنى

جبريل : يا احمد ان الله قد اشتاق اليك

محمد : امض يا ملك الموت لما امرت به

جبريل : السلام عليك يا رسول الله ! اليوم آخر عهدي بهبوط الأرض !

« يرتفع الملكان ويتركان محمدا جثة هامدة »

عائشة : (ترى النبي قد ثقل في حجرها فتضعه على الفراش وتغطي وجهه ببرده وتصيح) أدركوني ! أدركوني !

النساء : (في جزع وروع) ماذا ؟!

عائشة : (تضرب وجهها) واثكلاه ! مات رسول الله مات رسول الله !

فاطمة : أبتاه !

النساء : واثكلاه !

فاطمة : (ترى الجثة فتصيح) أبتاه ! أبتاه ! يا أبتاه ! اجاب ربا دعاه ! يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ! الى جبريل ننعاه ، يا ابتاه ! من ربه ما أدناه !

عائشة : (في بكاء وشهيق) رسول الله قد مات ! واحر قلباه ! وامصيبتاه ، الآن قد انقطع عنا خبر السماء !

بريرة : (تدخل مسرعة) ان عمر والعباس ورجالا معهما يستأذنون في الدخول على النبي

عائشة : (للنساء) احتجبن خلف الستر !

« يحتجب النساء في الحال وهن يبكين »

عمر : (يدخل ويسرع الى محمد ويرفع الغطاء عن وجهه) واغشيا ! ما أشد غشي رسول الله !

« أحد الرجال وهو المغيرة ينظر في وجه النبي »

المغيرة : ياعمر ، مات والله رسول الله

عمر : (في غضب) كذبت ! ما مات رسول الله ولكنك رجل تحوشك فتنة . ولن يموت رسول الله حتى يفنى المنافقين

« العباس ينظر فى وجه النبى ولا يجيب ، يخرج عمر والعباس والرجال »

الناس : (فى الخارج) أمات النبى ؟ أمات النبى ؟

عمر : (يصيح فى الخارج) أيها الناس ! لا أسمعن أحدا يقول ان محمدا قد مات . ولكنه أرسل اليه كما أرسل الى موسى بن عمران ، فلبث فى قومه أربعين ليلة ، والله انى لأرجو أن تقطع أيدى رجال وارجلهم يزعمون انه مات

الناس : (فى الخارج) لاتدفنوه ! انه لم يمت !

رجل : (فى الخارج) ان رسول الله قد رفع ، كما رفع عيسى بن مريم ، وليرجعن !

العباس : (فى الخارج) هل عند احد منكم عهد من رسول الله فى وفاته فيحدثناه ؟

الناس : (فى الخارج) لا !

العباس : (من الخارج) هل عندك يا عمر من ذلك ؟

عمر : (من الخارج) لا !

العباس : (من الخارج) اشهدوا ان احدا لايشهد على نبى الله بعهد عهده اليه بعد وفاته الا كذاب ، والله الذى لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله الموت ، وانه ليأسن كما يأسن البشر ، فادفنوا صاحبكم ، أيميت الله أحدكم اماتة ويميته اماتتين ؟ هو أكرم على الله من ذلك ، انه ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا ، أحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من رسول الله فيكم

النساء : (خلف الستر) أمات رسول الله أم لم يمت ؟

فاطمة : (تدنو من الجثة وتتأمل وجه النبى طويلا وتجهش بالبكاء) قد توفى رسول الله !

أبو بكر : (يدخل مسرعا ويتجه الى الجثة ويرفع الغطاء عن النبى المسجى ويقبله ويبكى ...) بأبى أنت وامى ، طبت حيا وميتا ! أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها . ثم لن تصيبك بعدها موتة ابدا

« يرد البرد على وجه النبى ويخرج »

عمر : (فى الخارج) أيها الناس . والله ما مات رسول الله . انما عرج بروحه كما عرج بروح موسى !

أبو بكر : (فى الخارج) على رسلك يا عمر ! أنصت

عمر : (مستطردا) والله لايموت رسول الله حتى تقطع أيدى أقوام وألسنتهم !

أبو بكر : (فى الخارج صائحا) أيها الناس : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين » أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت

الناس : (فى الخارج يبكون) مات رسول الله !

المنظر الثامن

« النبى مسجى على سريره ، يدخل الناس عليه زمرا يصلون عليه ويخرجون بغير أن يؤمهم امام »
« ابو بكر وعمر وعلى فى الصف الأول أمام جثة النبى مطرقين »

على : (همسا للجثة والعبرات فى عينيه) أنت امامنا حيا وميتا

أبو بكر وعمر : (للجثمان) السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ! اللهم انا نشهد ان قد بلغ ما أنزل اليه ونصح لأمته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلماته فآمن به وحده لاشريك له ، فاجعلنا يا الهنا ممن يتبع القول الذى أنزل اليه ، وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه فانه كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما . لانبتغى بالايمان بدلا . ولا نشترى به ثمنا أبدا . .

الناس : (فى صوت واحد) آمين ! آمين !

فهرس

صفحة



وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٢

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio N° 3
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

انه تاريخ « محمد الرسول البشر » نقدمه الى قراء سلسله كتاب الهلال تحية لشهر رمضان المبارك ٠ وقد صيغ في قالب فني بديع

لم يعمد المؤلف الى الطريقة المألوفة في كتب التاريخ ، طريقة السرد ، وجمع الأسانيد من هنا وهنـاك ، وذكر مختلف الروايات ، وتأييد بعضهـا ونفي البعض الآخـر ، وابداء الرأى ، وتقرير مايراه كمؤرخ ، ولكنه نهج المنهج القصصى ، فأثبت مماطالعه فى الكتب المعتمدة والاحاديث الموثوق بها ماحدث بالفعل ، وما دار من مختلف الاحاديث فى أيام النبى عليه الصلاة والسلام مما يتصل بشخصه الكريم وبرسالته الدينيه ، ثم وضع ما استخلصه فى موضعه الصحيح وبذلك يستطيع القارىء أن يرى الصـــورة الحقيقية لذلك العهد ، وما يكاد ينتهى من قراءة هـذه السيرة الشريفة حتى يكون قد ألم بحوادث ذلك العهد الماما دقيقا

بمثل هذا الاسلوب الرائع استطاع الاستاذ الكبير توفيق الحكيم أن يقدم لنا صورة صادقه لحياة النبى الكريم منذ يوم مولده الى يوم اختاره الله الى جواره

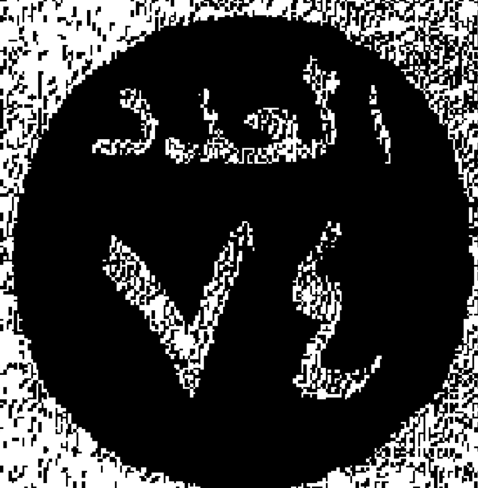
كتاب الهلال

القصر المسحور

تأليف

طه حسين - توفيق الحكيم

سلسلة شهرية
تصدر عن دار الهلال





كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٧٤ ـ شوال ١٣٧٦ ـ مايو ١٩٥٧

No. 74. — May 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ١٠٠ قرش صاغ ـ سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا ١٣٠ قرشا صـــاغا ـ الامريكتـــين ٥ر٥ دولارات ـ ســـائر أنحاء العـــالم ١٧٠ قرشـــا صـــاغا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

القصر المسحور



تأليف

طه حسين – توفيق الحكيم



دار الهلال

الاهداء

الى

التى كانت تشيع ذهابنا الى
القصر المسحور وتتلقى عودتنا
منه بنظرات حائرة وبسمات
ساخرة ولكن فيها مع ذلك
الرحمة والاشفاق والتشجيع
لانها تعرف كيف تحيى
زهرات الادب وتبعث نشاط
الادباء ... الى : مدام طه
حسين ... نرفع حديث
القصر المسحور

توفيق الحكيم وطه حسين

« سالنش ١٩٣٦ »

مقدمة

للدكتور طه حسين والاستاذ توفيق الحكيم

كلمة الدكتور طه حسين

هذا كلام لم يقصد به الى الجد فى ساعة من ساعات كتابته وأملائه . وانما هو عبث استراح اليه صديقان فى اوقات فراغهما أثناء أسبوع أو اسبوعين فى قرية من قرى جبال الالب

التقى الصديقان فى هذه القرية ولم يكن لهما حديث الا سذاجة توفيق . وكان فى تلك الايام أشد سذاجة واعظم يسرا مما يعرفه الناس الآن . كانت أحاديثه وافعاله كلها تشعر بانه لا يكاد يعرف ولا يحسن من شؤون الحياة والاحياء شيئا . وحسبك انه كان يقدر ان قمة الجبل الابيض لا ترتفع فى السماء أكثر مما يرتفع هرم من الاهرام . وكان يقول ذلك لرفاقه فى براءة لا تحفظ فيها ولا احتياط ولامر ما ذكرت قصته شهرزاد وسئل عن بعض ما فيها فلم يحر جوابا .

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى أعلن فيها انه كتب هـذه القصـة ولكنه لايستطيع لها تأويلا ٠ فاتخـذ الرفاق هـذا سبيلا الى دعابة طويلة وجـرت بينه وبينى أحـاديث كثيرة سجل بعضها فى هذا الكتاب

ولست أدرى كيف استجبت له حين ارادنى على نشر هذا اللغو واكبر الظن انى وجدت فى هذا النشر مضيا فى المعابثة التى ابتدأناها فى تلك القـرية من قرى الالب . واكبـر الظن كذلك انى لم أر باسا بأن يعبث القراء بكاتبهم السـاذج كمـا عبثنا به . اما هو فالله يعلم لماذا أراد نشر هذا الكلام وكنت أظن ان ذلك الصيف البعيد قد مضى بمـا كان فيه من عبث وجد . ولكن الهلال تأبى دائما الا ان تورط الناس وتورطنى خاصة فى بعض ما أكره . وقد الحت فى نشر هذا الكلام فلم أجب وانما تركت ذلك لتوفيق ، وما أسرع ما استجاب توفيق كأنه أراد أن يستعيد ذكرى أيام عذاب مضت، وأراد من وراء ذلك أيضا شيئا آخر يسأل عنه هو ، ولا أذكره أنا لان الناس كلهم يكادون يعرفونه

وانا بالطبع اشـارك فى وزر هـذا العبث وتبعاته كلها لأنى كتبت شطرة وكتب توفيق شطره الآخر

ولكنى لا أحتمل تبعة نشره من جديد ، وانما يستأثر بهذه التبعة من لم يستطع أن يأبى على الهلال

وقد قرأت هذا الكلام قبل اعادة نشره فرأيته أهون شأنا وأقل خطرا من أن ينشر ، ولـكنى ذكرت به أياما كان الادباء

يعبثون فيها فلا يبتذلون قولا ولا رايا ولا يسفون فى لفظ ولا معنى ولا يمنعهم العبث من أن يخوضوا فى اشد مشكلات الادب تعقدا وأعمقها عمقا . وكان الناس يقرأون عبثهم ويقرأون جدهم ، فلا يضيقون بهذا ولا ينفرون من ذاك

ورايت اننا نعيش الآن فى ايام قد يضيق الناس فيها حتى بمثل هذا العبث الذى كنا نستريح اليه من الجد ونتخفف به من اعباء البحث . وكنت فى تلك الايام نفسها انفق أكثر النهار وشطرا من الليل فى املاء كتابى عن المتنبى ، فاذا فرغت الى شىء من الراحة بين املاء واملاء فى كتاب المتنبى أمليت هذه الصفحات أروح بها عن نفسى من أعباء الدرس الذى تكلفته لأبى الطيب . وكان توفيق مشغولا بقصة لا أدرى ولا يدرى أحد ما هى لأنه يستخفى دائما بما يكتب ، ويؤثر أن يفجأ به الناس ولأمر ما لم ينشر قصته تلك الى الآن

فعسى أن يكون نشر هذا الكلام سبيلا الى ان يعلن تلك القصة التى كتبها وأخفاها منذ عشرين عاما

طه حسين

كلمة الأستاذ توفيق الحكيم

حقا ليس من اليسير أن ننشر بعد عشرين عاما هذه المعابثة بين صديقين ، دون التفكير فى وقعها على قراء اليوم

وصديقى وشريكى يحملنى التبعة فى الاستجابة لدار الهلال، ويلمح الى سبب « أسأل انا عنه ولا يذكره هو لأن الناس كلهم يكادون يعرفونه ! » النقود طبعا !

ما أيسر رد كل شىء يتعلق بى الى هذا السبب «المعقول» !

امرى الى الله ! ولكن اليس من « المعقول » أيضا أن تكون استعادة الذكرى لأيام عذاب مضت هى السبب الاهم ؟ أو السبب الوحيد ؟!

انى لا انسى ذلك الصباح البعيد ، يوم فتحت نافذة حجرتى فى الفندق ، فاذا أنا أمام جبل أشم متوج بالجليد ،كأنه مارد أشيب الرأس من مردة الجن فى الاساطير والقصص

ما كنت قد رأيت من قبل جبلا قط

فان رحلاتى الى أوروبا قبل ذلك كانت الى مدن • ولكن الجبل الابيض وأشجار البندق البرى فى سفحه قد ملأتنى

بفرحة ساذجة لايمكن أن أنساها . وما كل يوم يفرح الانسان تلك الفرحة ويدهش تلك الدهشة

مضى كل ذلك . ولم يبق لنا منه الا الذكرى . على أن الذى قد يهم القارىء اليوم فى هذه الصفحات هو تصوير أديبين ، أحدهما للآخر ، ذلك التصوير الباسم الساخر

وقد تنطوى السخرية أحيانا على بعض الصدق . وقد ينبع من العبث أحيانا بعض الجد

والقارىء الجاد يستطيع دائما أن يستخرج الجد فيما يقرأ من لغو

مثل هـذا القارىء الباحث هو الذى يدفعنا الى الاستجابة لنشر هذا الكلام ، دون تزمت أو تردد أو ندم فقد يعثر فيه على ضـالة لم تكن فى الحسبان . وما أكثر ما تعثر على شىء وأنت تعبث فى التراب

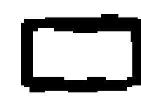
توفيق الحكيم

سمیر شہزاد

« من مأمنه يؤتى الحذر » كذلك قالت حكمة القدماء ..
وأبت الظروف الا أن أكون أنا الدليل الناصح على صدق ما قالت حكمة القدماء . فقد ضقت بالحياة العنيفة المفعمة بألوان النشاط المختلفة فى مصر حتى لم استطع لها احتمالا ، وحتى ضعف كل جسمى وانهدت لها قواى ، وعجزت لها اعصابى عن المقاومة فأصبحت سريع الغضب سريع الرضى ، سريع الانفعال بوجه عام حتى انكرت نفسى وانكرنى الناس ، ولم أر بدا من ان افر بما بقى لى من قوة العقل والجسم الى مكان بعيد اخلو فيه الى نفسى ، واستريح فيه من هذه الجهود المتصلة واسترد فيه بعض ما انفقت من القوة ، حتى اذا استجمعت منه حظا لابأس به عدت الى مصر فأنفقته مرة اخرى فى غير تقصير ولا اقتصاد

من اجل هذا كله عبرت البحر ومررت بباريس مرا سريعا كأنه مر الطيف ، فلم يرنى الحى اللاتينى الا مرة او مرتين . ثم اويت الى هذه القرية النائية المنزوية فى عطف من اعطاف الجبل ، الى هذه القرية التى لايعرفها المصريون ، والتى يمرون بها فى طريقهم الى المصايف المعروفة دون ان يخطر لهم الوقوف عندها او الاقامة فيها . واخترت مع اهلى فندقا متواضعا متوسط الحال لا تشغل اهله هذه

الحركات العنيفة التى تشغل المصطافين ولا يخطر لمصرى ان يأوى اليه ان الم بهذه القرية خطأ ، لان المصريين فى المادة اذا عبروا البحر لايأوون الا الى الفنادق الفخمة التى يكثر فيها الفرح والمرح ويظن بأهلها الغنى والثروة وتعود الترف والنعيم



ولما بلغت الفندق اكرهت صاحبى على ان يختار لنفسه او اخترت له انا غرفة فى الطابق الاعلى الذى لايصعد اليه احد الا الذين لايكلفون بالراحة ولا يشفقون من الجهد ، لان غرفة صاحبى اذا كنا فى اوربا هى فى الوقت نفسه الملجأ الذى الجأ اليه اذا اردت القراءة او الاملاء

وكذلك اعتقدت ، وكان لى الحق ان اعتقد ، انى قد امنت الضجيج والعجيج وضمنت الراحة والهدوء ، واعددت لنفسى ما انا محتاج اليه لاسترد النشاط من جهة ولاعوض الوقت الضائع من جهة اخرى ، فأقرأ كثيرا وأكتب قليلا

وانى لمع صاحبى ذات يوم قد خلونا الى ديوان من دواوين الشعر ننظر فيه وانقطعت الصلة بيننا وبين العالم الخارجى حتى ما نسمع هفيف الريح ولا حفيف الاغصان ولا غناء الطير ولا صياح الاطفال الذين يلعبون فى حديقة الفندق ، واذا الباب يطرق طرقا خفيفا لا نحفل به ولا نلتفت اليه ، نظن انه لايعنينا وانما يعنى الغرفة المجاورة ولكن الطرق يتصل ويلح ، ثم يشتدشيئا فشيئا ، ثم يضطرنى الى ان التفت،

ويضطر صاحبى الى ان يضع الكتاب ثم يضطره الى ان ينهض فيفتح الباب ليرى ما دونه ، وكان قد اغلقه فأحكم اغلاقه ايثارا للعافية واغراقا فىالتحفظ والاحتياط ، ولم يكدصاحبى يفتح الباب حتى راى شخصا غريبا كان يقدر أن يرى كل انسان وان يرى كل شىء دون ان يراه . شخصا شرقيا فى زى اهل العراق لم يعرفه قط ، وهو من اجل ذلك ينكره اشد الانكار وينكر وجوده فى هـذه القرية المنعزلة ، وينكر اهتداءه الى هذا الفندق وصعوده الى هذا الطابق وطرقه باب هذه الغرفة .

وكان صاحبى مقتنعا بأن هذا الشخص قد اخطا طريقه وجار عن سبيله وقصد الى غير مقصد، ولكن الشخص يسأله عني ويدفع اليه كتابا يطلب منه ان يتلوه على . فيعود صاحبي الى حيران دهشا قد كاد يدركه الاختلاط لولا انه تعود مثل هذه المفاجآت منذ امتحنته الاحداث بمصاحبتى . فهو يفض الكتاب ويقرأ على هذه الاسطر :

« سيدى

« علمت اليوم انك معتزل فى عطف من اعطاف هذا الجبل الذى اصطاف قريبا من قمته ، فنازعتني نفسي الى ان اراك، ثم دفعتني نفسي الى رؤيتك دفعا لم اجد عنه مندوحة ، وكنت احب ان اسعى اليك حتى لا اكلفك مشقة الحركة وجهد الانتقال ، ولكنى آثرت ان تسعى الى حتى لا اكلفك مشقة هى اثقل على نفسك فيما اعتقد من المشقة الاولى لانها معنوية فانت تكره من غير شك ان تسعى سيدة للقائك ،

وادبك يفرض عليك ان تسعى انت للقائها . واذن فانا اكتب اليك راجية ان تتفضل فتتهيأ للقائي ، ولكني احب ان تعلم اني لا ازار الا حين منتصف الليل وان زيارتي لن تكلفك جهدا ولا عناء ، فاذا تقدم الليـل وكاد ينتصف فانتظر متهيئـا للخروج . ولك ان تصطحب هذا الفتى الذى يلزمك لزوم الظل ان لم تر من اصطحابه بدا ، ولك ان تتركه ان كنت قد ضقت به كما تضيق بكثير من الناس وبكثير من الاشياء من حين الى حين ، فأنا اعرف من امرك ياسيدى اكثر مما تظن .. وتقبل تحية المشوقة الى لقائك »

شهر زاد

اظنك ايها القارىء العزيز غير محتـاج الى أن اصف لك ما ادركني من الدهش وما ادرك صاحبى من الذهول ، ولكن دهشي وذهول صاحبى تجاوزا حدهما حين التفت صاحبى فلم ير الفتى العراقى الذى حمل الينـا الـكتاب ، وحين التمسه فى الفندق لم ير له اثرا ، وحين سأل عنه اصحاب الفنـدق ظهر له انهم لم يروه ولم يحسـوه ولم يعرفوا له خبرا ، وان احدا لم يسألهم عن مكاننا وانهم لم يدلوا احدا على هذا المـكان

كان الدهش والذهول ينتهيان بصاحبى وبى الى الجنـون او الى ما هو اكثر من الجنون ، وقد خيل الينا لحظة انخيالا من هذه الخيالات التى تملأ الضمائر وتنكرها نفوسنا الشاعرة قد عبث بنا ، وان الذى اثار هذا الخيال هو حضور الاستاذ توفيق الحكيم الى قريتنا منذ يومين

فقد حضر صديقنا توفيق الحكيم الى هذه القرية فى قصة لعلك تظهر عليها وقتاما ، ومنذ انتهى الينا كثر الحديث بالطبع عن « اهل الكهف » ، و « شهر زاد » ، و « عودة الروح » وما يتصل بذلك كله من الادب والنقد والانتاج والتقصير ، وكل هذا العناء الذى فررنا منـــه الى فرنسا مقسمين ان نتجنبه اثناء الصيف . فخيـــل الى صاحبى والى ان كثرة الحديث فى الادب وفى ابطال توفيق الحكيم قد سحرت عقولنا وصورت لنا كل هذا القصص الذى عرضته عليك ، ولـكن الكتاب كان بين يدى صاحبى يمسه بيديه ويراه بعينيه ويقرأ على ما فيه من الـكلام

وجعلنا كلما تقدم النهار ودنونا من المساء اشتد اضطرابنا وامتلأت قلوبنا وجلا ورعبا حتى انكرنا خلطاؤنا واشفق على اهلى وخيل اليهم انى أتهيأ لعلة من العلل او للون من الوان الحمى

ولست اخفى عليك انى اجتهدت كما اجتهد صاحبى فى ان نخفى هذه القصة على من حولنا مخافة ان يظن بنا الجنون وان ندخل الروع على قوم آمنين

ومن عادتنا اذا رفعنا ايدينا عن طعام العشاء ان نمشى قليلا فى طريق من هذه الطرق الجبلية نستمتع بهذا الهواء الطلق الارج ثم نعود الى مخبئنا فنخلو الى كتبنا حتى يدعونا النوم الى ان نستريح . وقد جهدنا رغم ما كان يملأ قلبينا من هذا الخوف المتزايد من لحظة الى لحظـــة فى ان نجرى الامور كما تعودنا ان نجريها دون ان نغير شيئا مما الفنا

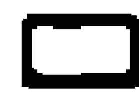
فلما آوينا آخر الامر الى غرفتنا الشاهقة فى السماء لم نقرأ صحيفة ولم نفتح كتابا ولم ننظر فى ديوان ، وانما لبثنا فيما كنا فيه من دهش وحيرة وذهول ننتظر أحد الخطرين . فاما ان يتحقق ما أنبأنا به الكتاب واذن فالله وحده يعلم ما وراء ذلك ، واما ان يتكشف الامر عن لاشيء فينتصف الليل وكأننا لم نتسلم كتابا ولم نتلق دعوة ولم نتعرض لخطر ولم نحس خوفا ، واذن فهو الشر الذى ليس بعده شر ، هو الجنون الذى لايختص به فرد من الافراد وانما يشترك فيه اثنان

وهذه دقات احدى عشرة تنبئنا بأن انتصاف الليل ليس بعيدا وهذا العرق البارد يسيل على جبهتينا ، وها نحن هذان نتكلف الجلد ونأبى على اسناننا ان تصر وعلى فرائصنا ان ترتعد ولكن ماذا ! هذا الباب يطرق طرقا خفيفا ، ثم يفتح دون ان ناذن بالدخول ، ثم ... ونفيق واذا نحن فى مكان غير المكان الذى انفقنا فيه اول الليل ، ولكن الغريب اننا لا ننكر انفسنا ولا نحس خوفا ولا وجلا ولا نجد الا ما يجده الزائر لانسان ذى خطر من هذا التهيب اليسير الذى يشغله اثناء الانتظار ان يؤذن له

ولايطول هذا الانتظار وانما هو قصير جدا لايتيح لنا أن نتبين الغرفة التى ننتظر فيها ولا الاثاث الذى يحيط بنا.

فهذا باب يفتح فى جانب من جوانب الغرفة ، وهذه فتاة رشيقة انيقة تدخل منه مشيرة قائلة فى خفة وفى لهجة عربية فصيحة عذبة : « هل لهذين السيدين ان يتبعانى »

فنتبعها آمنين مطمئنين كما تعودنا ان نفعل فى مصر حين نزور من نزور من العظماء واشراف الناس . وهى تسعى بين يدينا رشيقة خفيفة الروح كأنما تمشى فى الهواء ونحن نتبعها متنقلين معها من غرفة الى غرفة ومن بهو الى بهو تصل الينا من بعيد انغام عذبة هادئة متصلة كأنها غناء الارواح ، ان كنا قد سمعنا غناء الارواح . ثم تنتهى بنا هذه الفتاة الحسناء الى استار ثقال فتقف لحظة مشيرة الينا ان سيدتها هنا وراء هذه الاستار . ثم تتقدم فتنحى سترا عن يمين وسترا عن شمال ، وتمضى خطوات ثم تنحنى محيية ثم تنحرف لنا عن الطريق ثم تنصرف وقد تركتنا مع شهر زاد



وشهر زاد تلقانا باسمة مبتهجة مشرقة الوجه طلقة الاسارير ولكنها لا تتحرك من مكانها وانما تشير الى صاحبى اشارة خفيفة ان ادنوا ، فدنونا واذا هى مستلقية على هذا الاثاث الذى يسمونه الكرسى الطويل ، قد كثرت من حولها الوسائد ووضعت قريبا منها مائدة صغيرة قد اثقلتها الكتب والصحف والمجلات . وهى تمنحنا يدا صغيرة رشيقة فاذا لثمناها اذنت لنا بالجلوس وابت الا ان يكون مكانى قريبا منها ، فنجلس ويتصل الصمت لحظات . ثم نسمع صوتا لا استطيع ان اشبهه الا بخرير الماء حين يتساقط هادئا نحيلا فى حوض من المرمر . واذا هذا الصوت الحلو النحيل البعيد يقول لى : لقد روعناك ياسيدى على غير انتظار منك لهذا

الخروج ، فمعذرة اليك ولا تلم الا نفسك فقد كثر الحديث عنك وكثر ما قرات لك حتى اذا علمت بقربك منى لم اجد من لقائك بدا . قلت فى صوت مضطرب بعض الشيء ، عفوا ياسيدتى اين انا ومن تكونين ؟ اريد ان اعرف انائم انا ام يقظان ، فقــد اختلفت على امور منــذ اليوم اذهلتنى عن نفسى ، ولا اكاد ابلغ هذه الجملة حتى يتردد فى هذه الغرفة الواسعة ضحك نحيف حلو ، ثم تمس يدها الرشيقة الناعمة يدى الغليظة الخشنة فى رفق ويقول الصوت البعيد ، لابأس عليك ، لست نائما ولا حالما وانما انت يقظان حاضر الذهن ، وانت عند شهر زاد . شهر زاد ؟ الا تعرفها ؟ لقد طال ما استمعت لها ايام الصبى ، وقد طال ما اشتغلت بها ايام الشباب ، وما اقرب ماكتبت عنها منذ عامين اثنين . قلت لاتعبثى ياسيدتى فلن تستطيعى ان تقنعينى ، ولكنها قطعت على حديثى قائلة بل استطيع ان اقنعك بما اشاء ، لقد ملأت قلبك صبيا وملأت عقلك شابا ، وما ينبغى ان تنحرف عنى حين ينحرف عنــك الشبــاب . انك لتعلم حق العلــم ان شهرزاد خالدة لم يدركها الموت ولن يبلغها الفناء ولن يتحول عنها شبابها . ما بالك تشك فى هذا الآن وقد كنت مؤمنا به حين كنت تقرأ كتاب هذا الشاعر العظيم المسكين الذى فارقنا منذ اسابيع . قلت : هنرى دى رينييه ؟ قالت : نعم ، لقد قرات كتابه وعرفت منه ان لى قصرا فى بغداد ، فوددت لو استطعت ان تطير الى هــذا القصر وان تلقانى وتســمع منى وتتحدث الى ، فماذا يروعك وقد تحققت امنيتك ، فأنت فى

قصرى وهذه يدى فى يدك ، وانت تسمع حديثى وانا اريد ان اسمع حديثك

قلت ، وما شككت فى انى مريض قد اخذنى هذيان الحمى : فانا اذن فى بغداد فى القصر الذى وصفه هنرى دى رينييه ؟

قالت متضاحكة : كلا ، انت فى فرنسا قريب من قمة من قمم الالب . الم تقرأ كتابى هذا الصباح ؟ اليس من حق شهر زاد ان تصطاف كما يصطاف الناس ، ومن الذى قضى عليها ان تنفق الدهر سجينة فى قصرها السحرى القائم على شاطىء دجلة . لقد تغير الزمان وارتقت الحضـــارة واتيح لشهر زاد ان تسترد حريتها وان تطوف فى اقطار الارض فتصطاف فى جبال الالب وتشتو فى الريفييرا

قلت : وما يمنعك ان تنفقى الشتاء مرة فى مصر ؟

قالت : لاشىء ، لقد هممت بذلك فى الشتاء الماضى لولا هذا الفتى الغريب الذى تسمونه توفيق الحكيم ، هو الذى ردنى عن مصر بكتابه هذا الذى لم احبه ولا استطيع ان احبه

قلت متعجبا : لماذا ؟

قالت : لانه كشهريار لم يفهمنى وما اظنه سيفهمنى

قلت : وهل فهمك احد ؟

قالت : وما حرصكم على ان تفهمونى ؟ وما هذا المرض الذى افسد عليكم كل شىء فأغراكم بفهم كل شىء

قلت : مهلا ياسيدتى لا تغضبى ، فانى لم افهمك ولم احاول فهمك ولن احاوله ، لانك احب الى وآثر عندى واجمل

فى نفسى من ان امسك بهذا السوء الذى نسميه الفهم واستكشاف الحقائق

قالت وقد ملأها الرضى والابتهاج واستوت جالسة : لهذا احببت ان اراك لانك ترى مثل ما ارى وتؤمن بأن من فهم شيئا فقد قتله ، وتحب لى ان احيا فى نفسك فلا تحاول ان تقتلنى بالبحث عن حقيقتى والجد فى الانتهاء اليها . ولكنك لا تعلم من امرى كل شيء

قلت : ولا اريد ان اعلم من امرك كل شيء

قالت فى لهجة المتعبة المحزونة : شيء واحد احب ان تعلمه حتى لايكون حبك لى اعجابا كله ، فقد يرضينى ان يكون فى هذا الاعجاب بى شيء من الاشفاق على

قلت : وما ذاك ؟

قالت فى تهالك وفتور : علة اخذت تعتادنى منذ حين ، هى ضيق الصدر الذى يلم بى اذا جن الليل فيحرمنى الراحة ويحول بينى وبين النوم . وليست فى الدنيا شهر زاد اخرى تستطيع ان تذود عنى هذا الضيق وتسلينى عن هذا الحرج وتقص على من القصص ما يدعو الى النوم كما كنت افعل انا مع شهريار فى سالف الازمان

قلت وقد اشرق وجهى وامتلأ قلبى بشرا وانطلق من فمى ضحك لم احس ملاحظته وتنظيمه واندفع فى جسمى نشاط لم استطع كبحه ، واذا انا ارفع يدها الرشيقة الناعمة الى شفتى فألثمها لثما متصلا وهى تلحظنى دهشة متعجبة

قلت حين عاد الى الهدوء : لابأس عليك ياسيدتى ، علة

طارئة لن تلبث ان تزول ، ساردها عنك منذ الليلة ، ساصف لك الدواء الذى يردها عنك آخر الدهر

قالت متلهفة : وكيف ذاك ؟ وما ذاك ؟ ماذا تقول ؟ اجاد انت ؟ اصادق انت ؟ لقد عهدتك مشغوفا بالمزاح ؟

قلت وقد عدت فأشبعت يدها لثما وتقبيلا ، والمزاح وحده شفاؤك من هذه العلة ياسيدتى ، فلأدعون اليك النوم من ليلتك هذه ، ولاعلمنك كيف تدعينه منذ غد

قالت : وكيف يكون ذلك ؟

قلت : ستتخذين لك سميرا

قالت مبتسمة فى شيء من السخرية : وستكون انت هذا السمير ؟

قلت محزونا : ليتنى اصلح لذلك ياسيدتى اذن اكون اسعد الناس

قالت : او لا تصلح انت لذلك ؟

قلت : كلا ياسيدتى ، انا أقل الناس حظا من الخيال واعجز الناس عن القصص ، واضيقهم بنفسى وبالوقت ، ولولا ان الله قد ملأ الدنيا كتبا واذن أنها ستظل أبدا مملوءة كتبا لما استطعت لهذه الحياة احتمالا

قالت : ومن لى اذن بهذا السمير ؟

قلت : وانا لك به ياسيدتى ، انه صديقك العزيز عليك ، الاثير عندك ، الحبيب اليك

قالت : اوجز

قلت : انه توفيق الحكيم وهو منك قريب ليس بينك وبينه

الا ما كان بينك وبيني من الامد حين كتبت الى ، انه فى الفندق الذى انا فيه

قالت وقد ملأها النشاط واخـذها الاهتمام وامتزج فى صوتها الغضب والفرح معا : هو اذن هنا هذا الآثم ، ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهر زاد

قلت : ولتعلمن انت ياسيدتى كيف يرضيك اذا اقبل النهار وكيف يسليك اذا اظلم الليل ، لو تعلمين كيف سقط على قريتنا هذه النائية المعتزلة سقوط الندى

قالت : كيف سقط على هذه القرية ؟

قلت : سبقته اليها البشائر بمقدمه السعيد ، لو رأيتنا والباب يطرق علينا طرقا عنيفا مع الصبح حتى اذا فتحنا للطارق رأينا ساعى البريد يحمل الينا كتابا مستعجلا من صاحبك ينبئنا فيه بمكانه من باريس ورغبته فى ان يلحق بنا ويسألنا ان نختار له فندقا يأوى اليه وغديرا يصطاد السمك فيه . وما نكاد ياسيدتى نفرغ من قراءة الكتاب حتى يطرق الباب علينا طرقا عنيفا فاذا فتحنا للطارق رأينا ساعية البرق تحمل الينا رسالة من صاحبك ينبئنا فيها بأنه قد ركب القطار ولم ينتظر رجع الجواب ، ونحن نلتمس له الفندق ونلتمس له الغدير ونلتمس له المواضع التى يجد فيها ادوات الصيد ، وهو يقبل مع المساء كما تعرفينه

قالت : ومتى عرفته ؟

قلت : الم تعرفيه من كتابه عنك

قالت : كيف اقبل عليكم ؟

قلت : اقبل كما ستعرفينه يقظان كالنائم ، حاضرا كالغائب وغائبا كالحاضر ، قد أخذ من باعة الصحف ما استطاع ان يأخذ ، واخذ من باعة الكتب ما استطاع ان ياخذ وقضى نهاره فى القطار بين الكتب والصحف مختلسا بين حين وحين نظرة من نافذة العربة ، مفتونا بما يرى ، حتى اذا اطمأن به المكان بيننا اخذ يتحدث فاذا هو دهش لكل شيء ، سائل عن كل شيء ، عارف بكل شيء جاهل بكل شيء ، يتحدث عن الجو، ثم يثب الى مقالة قرأها فى هـذه الصحيفة ، ويتحـدث عن الجبل ثم يقفز الى فصل قرأه فى ذلك الكتاب ، يقبـل على الطعام ويأخذ فيه ولكنه مشغول بالنشاط الادبى فى مصر ، وبهذا الفصل الذى كتب عن ذلك المعرض الفنى فى باريس ، ثم يصبح مشغولا بالصيد مشغوفا به ، متهالكا عليه يلتمس له ادواته ويعدها ويهيئها ، وهو يفكر فيك وفيما آل اليه امرك ، وفى كتابه عنك وفى ترجمة هذا الكتاب الى الفرنسية وفيما يمكن اولا يمكن من تمثيل قصتك

قالت وقد نهضت مغضبة : ويل له ، أو يريد ان يظهرنى فى الملاعب ويعرضنى على النظارة ويسلمنى الى الممثلين ؟

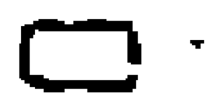
قلت فى شيء من المكر : اظنه يطمع فى ذلك ياسيدتى

قالت : ليعلمن ماجزاء من يعبث بشهر زاد

قلت : لا تنغصى عليه راحته ، انه سـعيد راض مبتهج مغتبـط يزور الجبـال لاول مرة ، لو رأيت ابتهـاجه حين استكشف فى الغابة شجرة البندق . لقد كان ياكل البندق جافا ويأكله رطبا ، ويأكله صرفا ويأكله ممزوجا ، ويعرف انه

ثمر لشجر ، ولكنه لم يكن يعرف اين يكون ؟ ولا كيف يكون ذلك الشجر ؟ فلما رآه ورأى عليه ثمره لم يملك نفسه ابتهاجا واغتباطا . وما ارى الا انه سيكتب عن شجرالبندق فصلا او كتابا ، وما ارى الا انه سيحدث بين الشجر وثمره حوارا للديلا . لا تنغصي عليه راحته ياسيدتي ، لقد راى الثلج يغطي رؤوس الجبال لاول مرة ، وكان يقرأ ذلك في الكتب ويسمع عنه في الاحاديث وما كان يقدر انه سيراه ، فلما رآه لم يسع نفسه فرحا وسرورا ، واقسم لايطمئن ولا يستريح حتى يدنو منه ويتصل به ، ويملأ منه يديه ، ولو استطاع لاحتمل منه ذخيرة الى مصر

لا تنغصي عليه راحته ياسيدتي . لقد قرأ وصف الجبل الابيض حين كان تلميذا وطالبا ، وسمع اخباره من السائحين، ولم يخطر له قط ان الجبل الابيض شيء يرى ، فلما رآه كاد يخرج عن طوره ، لولا ان تمالك واصطنع الوقار ، وهو يقسم لنا جهد ايمانه ليصعدن فيه وليبلغن قمته ، فاذا صعبنا له ذلك قال في براءة الصبي النقي : ماذا ؟ أليس يكفي ان اغدو اليه مع الصبح واعود منه حين ينتصف النهار فأدرك معكم الغداء ؟



وانا مندفع في هذا الحديث عن صديقي الاديب وقد شغلت به بعض الشيء ولكن صاحبتي مغرقة في ضحك متصل لايريد ان ينقضي قد ردها الى مكانها بين الوسائد لانها عجزت عن القيام فسكت عنها حينا حتى سكت عنها الضحك



الدكتور طه حسين يتحدث الى شهر زاد ويقول لها : « توفيق الحكيم معقـــد أشـد التعقيد فاتخــذيه لك سمـــيرا »

واذا هى تسألنى : اهو من السذاجة بحيث تصف لى ؟
قلت : وما وصفت لك من سذاجته الا اقلها
قالت : فان كتابه يصوره معقدا اشد التعقيد
قلت : هو كذلك معقد اشد التعقيد ، فاتخذيه لك سميرا فستجدى عنده السذاجة المريحة حين تحتاجين الى الراحة ، والتعقيد المضنى حين تحتاجين الى الجد والتفكير
قالت : وسيجد عندى ما لم يعلم من أمر شهر زاد
وكان الخدم قد اقبلوا يحملون الوانا من الطعام والشراب لا علم لنا بها ، فلما وضعوا ماكانوا يحملون وهموا ان ينصرفوا استوقفت احدهم ، وقالت له : فى الفندق الذى ذهبت اليه صباح اليوم مصرى يقال له توفيق الحكيم فاذا كان الغد ، فانى أريد ان اراه
سمع الخادم امر سيدته فانحنى وانصرف
ولست فى حاجة الى ان اتم لك بقية ما كان بينها وبينى من حديث فما اظن ان ذلك يعنيك وانما هو يعنينى انا ويعنى شهر زاد ، وحسبك ان تعلم انى ودعتها آخر الليل وانها لمطمئنة النفس قد زال عنها الحرج وتهيأت لاستقبال ساعات نوم لذيذ . واصبحت التمس توفيق الحكيم فى غرفته وفى حديقة الفندق وعند غدير الصيد وفى مظانه من القرية فلا اجده . فأظن انه ذهب متنزها فى طريق من هذه الطرق الخضراء الفيحاء وانه سيعود الينا مع الظهر او مع المساء ، ولكنه لايعود مع الظهر ولا مع المساء ، فما اشك فى ان اعوان شهر زاد قد اختطفوه وفى‌انه سجين هناك فى ذلك القصر السحرى القائم عند قمة هذا الجبل من جبال الالب

سجین شهرزاد

(شهر زاد تتمطى بجسمها المشوق كالحسام بين وسائدها الحريرية)

شهر زاد : (للعبد القائم على رأسها) هل تم خطف توفيق الحكيم ؟

العبد : خطفناه يا مولاتى

شهر زاد : وماذا فعلتم به ؟

العبد : ألقيناه فى جب القصر المسحور

شهر زاد : (ضاحكة عن در منضد) هذا الساذج المعقد !

العبد : معقد ؟ ! هذا الرجل ؟ كلا يا مولاتى

شهر زاد : كيف ؟ ما ذا رأيتم ؟

العبد : انه السهولة بعينها . لم نكد نقبل عليه بسلاحنا حتى خلع فى الحال معطفه وعصب ببعضه رأسه واتقى ببعضه جسمه ، ثم انطرح على الارض فى هدوء رزين ، وجعل كأنه صريع قد أصيب ، وما وصلت اليه بعديد ، وما لمسته أصبع

شهر زاد : (باسمة) لقد كفى نفسه شر القتال

العبد : لما وجهتنا اليه يا مولاتى حسبنا أنا سنلاقى هزبرا

شهر زاد : (ضاحكة) هزبر ؟ توفيق الحكيم ؟!

العبد : بل اكثر من هذا يا مولاتى . قد وجدناه يحمل ..

شهر زاد : كتابا ..

العبد : بل « سنارة » مما يستعمل فى صـــيد السمك الصغير . وقد علق « خطافها » بثيابه ، من الروع لمرآنا !

شهر زاد : (وهى تضحك) ألم تجدوا معه قلما وورقا ؟

العبد : كلا . .

شهر زاد : لم تجدوا معه غير « سنارة » صاد بها نفسه !!

العبد ـ بل انا يا مولاتى لم نجد معه « طعما » مما يجتذب به السمك . ولم نجد معه سلة يضع فيها ما يصيد . كل ما معه ذلك العود من « الغاب » الذى لا نفع فيه ولا ضر

شهر زاد : (كالمخاطبة لنفسها) نعم . انى أعرف هذا الصنف من الرجال . انه لن يصطاد سـمكة فى حياته ، ولا احسب أنه يذهب يوما الى بحيرة أو نهر او بحر . انما هو يخلق فى راسه كل الرغبات ، ويعد للوصول اليها المعدات ، ويغمر نفسه فى ذلك الجو الذى ابتدعه خياله . حتى اذا كان على بعد خطوة من التنفيذ والحقيقة ، انتهى حلمه ولم يعد يعنيه من الامر شيء

العبد : او مثل هذا الانسان نائم او يقظان ؟!

شهر زاد : (على الفور) انه نائم كاليقظان ويقظان كالنائم

العبد : مولاتى . . .

شهر زاد : مابك ؟

العبد : انك . . ترددين العبارة التى قالها هنا البارحة ذلك الرجل الذى كنت تنادينه بالدكتور

شهر زاد : (كمن يثوب الى نفسه) طه حسين !

العبد : من هذا الرجل ؟ انى أراه . .

شهر زاد : تكلم !
العبد : شديد الدهاء . .
شهر زاد : (باسمة) ماذا رأيت من دهائه ؟
العبد : لست ادرى على التحقيق . انما فى كلامه وابتسامه شيء ينم عن سر مبهم وغرض خفى
شهر زاد : رح . انك لست أعرف منى بالرجال . ليس فى الامر سر ولا غرض . انما هذا الدكتور رجل صريح مستقيم، وقد اشار على بأمور سأعمل بها
العبد : هو الذى أشار بخطف هذا الرجل المسكين !؟
شهر زاد : أيها العبد ! الزم مكانك ولا تعترض على
العبد : عفوا يا مولاتى وغفرا ! انك تعرفين اخلاصى وخضوعى . انها زلة لسان
شهر زاد : هذا الرجل المسكين انما هو مسكين حقا اذا تركناه حرا طليقا ، انما ينبغى ان نقتنصه ونحبسه فى هذا القصر المسحور لتزهر حياته ويبدو معدنه وتظهر قيمته
العبد : من هذا الذى لا تزهر حياته الا فى الحبس !
شهر زاد : انه ليس مثلك . انه خلق ليبقى الى جانبى يبادلنى الفكر
العبد : فهمت ، تريدين سميرا يؤانسك فى أوقات الضجر
شهر زاد : (كالمخاطبة لنفسها) نعم . انى الآن فى سأم دائم، لانى لا أجد ، بعد شهريار ، عقلا وخيالا يبهران عقلى وخيالى
العبد : ان الملك شهريار ذهب ولم يعد
شهر زاد : (كالمخاطبة لنفسها) نعم ، لقد أضعته أنا ،

لقد كان حرا طليقا مرحا كالطفل فأوحيت اليه بأشياء كبرى مستحيلة ذهب يبحث عنها فلم يعد

العبد (كمن نسى نفسه) وقمر ، وأنا .. كل الناس كانوا احرارا قبل أن يعرفوك !

شهر زاد : (تثوب الى نفسها) ماذا تقول ؟ اجننت ايها العبد ! أنت تخاطبنى بهذا الكلام ؟ انسيت ماقلت لك : ان الماضى قد مات ، واذا أردت ان تبقى حيا فكن خادما لا يذكر شيئا مما كان

العبد : غفرا يا مولاتى . انها كانت أيضا زلة لسان

شهر زاد : آه ! انى لفى ضجر . أو لم يعد عقلى قديرا على ان يوحى الى أحد بشىء ... ما هذا الشقاء !

العبد : أتأذنين ، أأحضر السجين بين يديك ؟

شهر زاد : نعم انه الآن كل رجائى

العبد : يا مولاتى . لا تضعى كل أملك فى هـــذا المخلوق المسكين ! انه غير قدير على صيد سمكة !

شهر زاد : ربما كان قديرا على صيد عقلى

العبد : حاشا أن يكون عقلك يامولاتى أهون اقتناصا من السمك !

شهر زاد : ايها الاحمق ! لا محل هنا لتلك المقارنة

العبد : ومع ذلك . الا تذكرين قول ذلك الدكتور

شهر زاد : ماذا قال ؟

العبد : قال البارحة ان هذا الانسان لم يفهمك قط ..

شهر زاد : سنرى

العبد : متى تريدين رؤية السجين ؟
شهر زاد : الآن

(يذهب العبد مسرعا .. وتبقى شهر زاد بلا حراك تفكر لحظة ، ثم تنهض فجأة وتتجه الى مرآة فى ركن مظلم ناء فى اقصى المكان ، وتأخذ فى اصلاح هندامها وتنظيم شعرهاوصبغ شفتيها واظافرها ..)

العبد : (يعود وهو يقود توفيقا الحكيم بمعطفه الاسود و «سنارة» صيده) تقدم يا هذا !

توفيق : (للعبد) الى أين أيضا ؟!

العبد : قلت لك تقدم !

توفيق : (يتأمل ما حوله ويخاطب نفسه) اما انى خطفت فهذا لا شك فيه . نعم . ان صحت فراستى وصدقت فطنتى فأنا الآن مخطوف . (يستدرك متنبها لما قال) ما هذا الحمق ! اهو امر يحتاج الى فراسة وفطنة ان اعرف اين أنا الآن ؟ انى أكاد أجن جنونا . اخبرنى أيها الاسود ! (يتأمل العبد ويخاطب نفسه معجبا) ما اصلح هذا الاسود لتمثيل دور « العبد » فى قصتى « شهر زاد » ! .. (يمسك بذراع العبد) أخبرنى أيها ...

العبد : (يلمح مولاته مقبلة الى وسائدها فينهر سجينه) صه ! ..

توفيق : ماذا جرى ؟

العبد : (همسا) اركع !

توفيق : ماذا جرى ؟

العبد : (همسا) اركع !
توفيق : (لا يفهم) اركع ؟ لماذا ؟ لمن ؟
شهر زاد : (تبدو فى جمال وجلال ودلال) هذا انت ؟ !
توفيق : (يلتفت الى الصوت الموسيقى مشدوها لايتمالك ان يركع من تلقاء نفسه فى غير وعى) ؟
شهر زاد : (تبتسم راضية ثم تهمس الى العبد) اتركنا !
العبد : (ينصرف وهو يلقى على السجين الراكع نظرة استغراب لحاله واضطرابه) ؟
شهر زاد : (للسجين فى صوتها العذب) انهض !
توفيق : (ينهض وهو مطرق)
شهر زاد : (باسمة) عرفتنى ؟
توفيق : (فى صوت خافت ولم يزل عنه بعد أثر الدهش) نعم
شهر زاد : (معجبة مغتبطة) لا يدهشنى ذلك منك ، فانت عقل كبير وخيال واسع
توفيق : (ينظر اليها ولا يفهم عنها)
شهر زاد : لماذا تنظر الى هكذا ! الا تصدقنى ؟
توفيق : أ .. و .. تعرفيننى .. ياسيدتى ؟
شهر زاد : كيف لا . انى أعرفك كما تعرفنى . ولقد كان ينبغى أن يلقى احدنا الآخر .
توفيق : (لنفسه) ارجو ان ينتهى هذا اللقاء على خير !
شهر زاد : ما هذه النظرة الحيرى ! الا يسرك ان ترانى ؟
توفيق : (مندفعا بتأثير جمالها) بالطبع . انه لشرف عظيم

.. (ثم يتذكر فيستدرك :) كلا .. انه ليس كذلك

شهر زاد : (فى تقطيب) ماذا تقول ؟

توفيق : سيدتى ! لماذا أنا ههنا ؟

شهر زاد : (باسمة) انك جئت كى ترانى واراك

توفيق : فقط ؟ كلا يا سيدتى . فى الامر ولاشك غلط ! أنا رجل من أهل مصر أضنانى التعب والجهد طوال اعوام قضيتها فى قراءة وكتابة واعمال رسمية بغير هدنة أو انقطاع، فجئت هذا الصيف الى جبال الالب للنزهة وراحة البال . لكن .. بينا أنا أسير الهوينا فى المساء فى ذلك الطريق المؤدى الى شامونيكس ، استنشق النسيم المعطر بأريج أزهار التفاح والبندق ، القائمة اشجاره فى الغابات الخضراء بسفح الجبل ذى القمة البيضاء . اذا رجال مدججون بالسلاح ..

شهر زاد : (باسمة) أعرف .. اعرف . ولقد قاومتهم أنت مقاومة الهزبر !

توفيق : فعلت ما استطعت ، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة

شهر زاد : (تخفى ضحكها) صدقت ، ايها الشجاع !

توفيق : وبعد يا سيدتى ، متى يخلى سبيلى ؟

شهر زاد : (فى دلال) أبهذه السرعة مللتنا ؟

توفيق : أنت حقا على غاية اللطف والظرف والجمال ولكن

شهر زاد : ولكن ؟

توفيق : روحى الآن ولا شك بين يديك الصغيرتين . وانت الآن صاحبة الامر والنهى . فمرى رجالك بأطلاق سراحى وخذوا مالى وثيابى حلالا لكم

شهر زاد : (فى تقطيب) ما ظنك بى ؟ انك فيما أرى تجهل من انا

توفيق : لا مع الاسف . لست استطيع ان أجهلك . ان معرفتك لا تحتاج الى فراسة ولا الى فطنة

شهر زاد : (فى ارتياب) من انا ؟

توفيق : انت ولا فخر زعيمة الخطافين

شهر زاد : (فى خيبة مرة) انا ؟ (كالمخاطبة لنفسها) أنا التى حسبت انه عرفنى ! صدق الدكتور . انه ليس ساذجا فحسب . انه أبله . !

توفيق : (يرى تغـيرها) ماذا جرى ؟ اترينني غلطت يا سيدتى ؟

شهر زاد : لا

توفيق : أرى وجهك قد تغير

شهر زاد : يا لخيبة الامل !

توفيق : نعم . كنتم تحسبون أنكم وقعتم على موسر من أصحاب الملايين الامريكان المصطافين . ولكن رجالك ياسيدتى قصار النظر اذ اختطفوا لك اديبا ، عامر الجيب لا بأوراق البنك بل ، بأوراق النثر !

شهر زاد : (ترفع راسها سريعا فى أمل) وهل انت حقا عامر الجيب بالنثر ؟

توفيق : لا نثر ولا شعر . تركت كل هذا فى مصر وجئت هنا للراحة والسكينة وفراغ البال (بعد لحظة) وأنت ما يعنيك من امر الشعر والنثر ؟

شهر زاد : هذا كل ما يعنينى . لقـد اختطفتك لنثرك وفكرك

توفيق : (ساخرا) شىء جميل !

شهر زاد : ان شـــؤون الفكر والعقل والخيال هى كل حياتى

توفيق : انت ، يامن تخطفين الناس ليلا من الطرقات ! !

شهر زاد : انى لا أخطف الا الموهوبين أمثالكم

توفيق : (فى سخرية) استغفر الله !

شهر زاد : الا تصدق ؟ آه لو عرفت حقيقتى لصدقتنى من ساعتك ولكنك نائم كاليقظان ويقظان كالنائم . تمر بك الحقائق كأنها أشباح ، وترى الاشباح كأنها حقائق . انت واثق بأنك لم ترنى من قبل ؟

توفيق : واثق انك لم تشرفينى بالخطف قبل الآن ؟

شهر زاد : انظر الى عينى الصافيتين !

توفيق : انهما خضراوان كعيون القطط والسنانير !

شهر زاد : لقد شغفت بهما أنت يوما ، وكتبت عنى وعنهما كتابا .

توفيق : أنا ؟ اين ومتى ؟ حاشا ان اكتب كتابا عن امراة أو عيون امراة

شهر زاد : انى امرأة لا ككل النساء

توفيق : حقيقة . لم أر مثل جمالك قط . ولو كنت ممثلة، لما صلحت امراة فى الوجود غيرك لتمثيل ذلك الدور العسير فى روايتى العسيرة . ولكنك امراة على الرغم من جمالها

لايعنيني الآن من أمرها شيء • فما جئت الجبل أطلب المغامرات انما اطلب الراحة والسكينة والصفاء

شهر زاد : الا استطيع ان أدخل حياتك فأثير ساكنها ؟

توفيق : وما حظك من اقلاق راحتي وصفوى ؟

شهر زاد : قد اوحى اليك بشيء

توفيق : اى شيء ؟

شهر زاد : قصة مثلا او كتاب

توفيق : هل اغراك احد بى ؟

شهر زاد : كلا . (بعد لحظة) هل تعرف طه حسين ؟

توفيق : انه يقيم معى فى فندق « مون جولى » بسفح الجبل . ماذا جرى له ؟ اخطف هو أيضا ؟

شهر زاد : (كالمخاطبة لنفسها) كلا . انه لا يحوجنا الى الخطف . انى اذا طلبته فى اى حين اقبل على دائما دون ابطاء . .

توفيق : وكيف عرفته ؟

شهر زاد : انى اقرأ كتاباته كلها منذ ان حمل القلم، واعرف كتبه « الايام » و « فى الصيف » و « على هامش السيرة » كما أعرف نفسى

توفيق : أمرك بدأ يدهشنى . من أنت ! أطالبة من طالبات السوربون ؟

شهر زاد : انا ؟ الا تعرف من انا ؟

توفيق : قلت لك لم انل بعد هذا الشرف

شهر زاد : ألم تسمع بامرأة تدعى « شهر زاد » ؟

توفيق : سمعت بها حقيقة

شهر زاد : سمعت بها فقط ! ! يالك من .. كيف أصفك !

توفيق : (يطيل النظر الى شهر زاد) أنت ! ؟

شهر زاد : عرفتنى حقا هذه المرة ؟

توفيق : (كالنائم اليقظان) هى !

شهر زاد : (فى صوت كالهمس) نعم . اما كنت تتوقع رؤيتى هنا ؟

توفيق : هى .. فى جبال سافوا العليا .! اهذا ممكن ؟ أهذا معقول ؟!

شهر زاد : انك تعرف انها تستطيع ان تكون فى كل مكان

توفيق : (كالمخاطب لنفسه) . « صورتها كانت تتبعك فى كل مكان .. »

شهر زاد : نعم ، هكذا قال شهريار عنى يوما لقمر

توفيق : عجبا ! انت اذن هى التى أوحت الى بكتابى . انت هى التى خرجت من عقلى وفكرى ! ومع ذلك ياشهر زاد .. تخطفيننى اليوم وتحبسيننى بين جدران هذا القصر الكبير ؟!

شهر زاد : (باسمة) وانت ايضا ، ألم تخطفنى وتحبسنى بين دفتى كتاب من القطع الكبير !؟

توفيق : آه تنتقمين اذن ! ولكنك قد اسرفت وغلوت . فأنت قد خطفتنى وحبستنى فى الواقع والحقيقة

شهر زاد : (فى ابتسامة غامضة) الحقيقة !

توفيق : هذا ما لا شك عندى فيه

شهر زاد : دع الحقيقة فى مكانها هادئة

توفيق : (ينظر اليها مليا) يا للعجب ! نعم انى قد عرفت الآن ابتسامتك الغامضة ! انت هى شهر زاد بلا مراء ، كما بدت فى مرآة فكرى لاول مرة . أتأذنين لى فى لثم يدك طويلا.؟

شهر زاد : (باسمة وهى تمد يدها) طويلا ! انكم معشر الادباء سواء !

توفيق : هل أطال أديب غيرى لثم يدك ؟

شهر زاد : (كالمخاطبة لنفسها) البارحة فى منتصف الليل!

توفيق : ماذا تقولين ؟

شهر زاد : (تلتفت اليه فجأة) اسمع منى ! اتعرف لماذا طلبتك ؟

توفيق : لا

شهر زاد : آه !. ما احوجنى اليوم الى سمير يبقى الى جانبى يزيل عنى السأم !

توفيق : أنا ؟!

شهر زاد : ولم لا ؟

توفيق : او لم تجدى فى هذا الخلق من يصلح غيرى لهذا المنصب الخطير !

شهر زاد : ليس فى الوجود غيرك . لقد دلنى عليك صديق أثق بحكمه وذوقه ورأيه

توفيق : أهو صديق لك أم لى ؟

شهر زاد : لكلينا

توفيق : ان صدقت فطنتى وفراستى فهو طه حسين ، اسمعى أيتها الجميلة ! لقد لعب بك هذا الصديق الذى تثقين

بحكمه وذوقه ورأيه • فأنا آخر من يصلح لمسامرة الملكات الضجرات فى ليالى الصيف المقمرات !

شهر زاد : سنرى

توفيق : المسألة لاتحتاج الى تجربة • انى رجل جئت من مصر طلبا للكسل وبحثا عن راحة البال

شهر زاد : سمعت هذه العبارة منك ألف مرة ومرة !

توفيق : سيدتى العزيزة ! لو سألتك أمنية غالية

شهر زاد : كل أمنية لك مجابة مهما غلت

توفيق : اريد ان تتركينى أتثاءب

شهر زاد : الا هذه • أنت ما خلقت لهذا

توفيق : آه ! كم اضيق الآن ذرعا بهذا الصنف من النساء !

شهر زاد : اتسمع نصحى ؟ اذعن لما كتب عليك . ولاتكن عنيدا كشهريار فى أول امره . انك باق الى جانبى تسامرنى رضيت او أبيت . فلا تضطرنى الى العنف والاكراه

توفيق : العنف ! كلا ، لا لزوم للعنف بعد الآن . كفى ما حصل من خطف وقبض وسجن . أسامرك وامرى لله ! (كالمخاطب لنفسه) ولكن الله يتولى جزاءك يامن أغريت بى وحرضت على

شهر زاد : (تستلقى على الوسائد وتضع رأسها فى راحتيها) الآن حدثنى عن أثر جبال الجليد فى نفسك ، وعن الغابات الخضراء . وعن ثمر البندق . هل حقا استكشفته وأكلته بقشره ! !

توفيق : يحدثك عن كل هذا الذى اخبرك به . فهو قدير

على وصف ذلك بالابداع الذى وصف به جبال « الفوج » فى كتابه « فى الصيف » وانت تعرفينه كما تعرفين نفسك !

شهر زاد : ولكنى اريد ان اسمع منك انت ما حدث لك

توفيق : ماذا حدث لى ؟ لقد نسيت

شهر زاد : الا تريد أن تقص على ؟ !

توفيق : (فجأة) صه ! قد خطرت لى فكرة نورانية . أتريدين قتل الضجر ؟ عندى له دواء ناجع . هلمى بنا

شهر زاد : الى أين ؟

توفيق : الى البحيرة . هذه « سنارتى » وآتى لك «بسنارة» ثم نذهب معا نصطاد سمكا .. من سمك « الترويت » الذى تعج به البحيرة والجداول المنحدرة من الجبال

شهر زاد : انا اصطاد سمكا ؟ !

توفيق : وما الضرر ؟

شهر زاد : اهذا رأى تراه لى ؟ ! يالك من .. ماذا اقول لك ؟

توفيق : انى لا ارى فى ذلك سبة . لقد كان أبوك صيادا

شهر زاد : ابى !

توفيق ـ لقد قرات ذلك بعينى فى نسخ عدة من كتاب الف ليلة وليلة

شهر زاد : انك قد جاوزت حدك يا هذا

توفيق : صدقت . وانى لا استحق منك الآن غير الطرد خارج هذا القصر

شهر زاد : انى لست بلهاء فأفعل ذلك . انك باق هنا كى تسامرنى .. هلم .! سامرنى !

توفيق : لا حول ولا قوة الا بالله !
شهر زاد : ان كنت لا تجد من الحقائق معينا فاين الخيال! هل نضب خيالك هكذا وشيكا ؟ !
توفيق : يظهر لى انه نضب
شهر زاد : واخجلاه ! هذا مؤلف وروائى واديب يعجز من مسامرتى ليلة واحدة . وانا التى سامرت ملكا جاهلا غشوما الف ليلة وليلة !
توفيق : كلنا نعرف لك هذه العبقرية
شهر زاد : كنت احسبك تستطيع ان تستنبط لى شيئا يسحر لبى !
توفيق : انى استطيع شيئا
شهر زاد : ما هو ؟
توفيق : استطيع ان أصغى اليك . تكلمى انت واستنبطى ماشئت وانا أصغى
شهر زاد : هذا بديع ! اخطفتك وجئت بك الى هنا كى أسامرك أنا ؟ !
توفيق : انك خلقت كى تتكلمى انت
شهر زاد : ماذا تقول ؟
توفيق : اقول ان كل عملك فى الوجود ان تتكلمى فيصغى اليك الناس . لا كل الناس . بل المجدودون والموهوبون !
شهر زاد : صدق طه حسين . انك معقد ! بل أكثر من معقد . انك خبيث !
توفيق : وطه حسين ! أهو البراءة بعينها ؟ الا تعرفين انه مكر بك مكرا جميلا

شهر زاد : كيف ذلك ؟

توفيق : انه هو الذى كان يستطيع ان يسامرك ابدع المسامرة. ولكنه مشغول ليله ونهاره « بالمتنبى » ولقد اغراك بى ليفلت هو ويخلص الى شاعره . وهكذا آثر « المتنبى » على «شهر زاد» . .

شهر زاد : اهو فعل هذا ؟

توفيق : (منتصرا) عليك به ! وخطفه هين سهل . فهو يجلس حينا بمفرده يفكر تحت شجرة الزيزفون الكبيرة فى حديقة الفندق ، واحيانا يجلس معه صاحبه « فريد » يقرأ له . ولا جناح ولا تثريب فى خطفهما معا



من شهرزاد ...

سمعت شهرزاد من أسيرها هـذا الاغراء فرفعت كتفيها الجميلتين رفعا رفقا أنيقا لا يكاد يحس وقالت فى سخرية لم يلحظها الأسـير الأديب « راى موفق » . ثم تناولت قضيبا دقيقا من العاج فمست به اناء أجوف من الفضـة سمع له صوت فيه عذوبة وخفاء ، وانفرجت له أسـتار جانبيه من القطيفة المقصبة ، وخرج من بين هذه الأستار ثلاث فتيات حسان قد اعتدلت قاماتهن أجمل اعتدال وصورت وجوههن احسن تصوير ، تقدمن فى خطى متزنة متقاربة حتى اذا دنون من سيدتهن انحنين فأطلن الانحنـاء ، ثم اسـتوين فأحسن الاستواء والأسير قائم ذاهل يردد طرفه الحائر بينهن وبين سيدتهن لا يفهم شيئا ولا يقول شيئا ، وشهرزاد تنظر اليه وعلى ثغرها ابتسامتها الغامضة وتقـول له فى صوت تملؤه الأناة والمكر والدهاء والشعور بقوة الملك والسلطان معا « لا يزغ بصرك يا سيدى ولا تسرع اليك الفتنة فانك لم تتجاوز بعد أول الطريق »

ويختلط الأمر على الأسير فيذهب عنه ما كان قد أظهر من تجلد واصطنع من وقار ، ويسوؤه أن قد نفذت شهرزاد الى نفسه فرأت اضطرابه وتردده وحيرته بين هذا الجمال الخالد الذى استقر بين الوسائد الحريرية ، والذى كان يحـاوره منذ حين ، وهذا الجمال الرائع الذى انفرجت عن الأستار ،

ويهم أن يجمجم معتذرا ، ولكن شهرزاد تخفف عليه المؤونة وتضع عنه الوزر ، وتتجه الى هؤلاء الفتيات الحسان قائلة :

خذن هذا السيد ، فأصلحن من أمره وهيئنه لمسامرتى ، ثم عدن به الى اذا صار لها أهلا . . !

هنالك يطيش لب الأسير ويغيب رشده ويفارقه صوابه ، فيسأل بماذا تأمرين يا سيدتى ! وماذا تريدين أن يصنع بى ! والى من تسلميننى ؟! . .

فتجيبه شهر زاد مبتسمة فى شىء من القسوة ، الم تنظر الى المرآة ؟ ألم تر أنك أشعث أغبر ؟ اتظن أنك على هذه الحال الرثة تصلح لمسامرة الملوك ؟

قال الأسير :

سيدتى انى لا أصلح لشىء ولم أطلب شيئا الا أن أرد الى حيث كنت وأعود حرا طلقا أطوف فى المسالك والطرقات حول سالنش وألتمس غديرا أصطاد فيه السمك

قالت : ولكن الله أراد لك أن تمسى لى سميرا

قال : وأنت تسلميننى الى هؤلاء الفتيات الحسان فماذا تريدين أن يصنعن بى ؟

قالت : يصلحن من أمرك ويزلن عنك ما ركبك من الغبار وما علاك من شعث ، يجرين المشط والمقص على رأسك ، وينزهن الموسى فى لحيتك هذه، ويأخذن من أظافرك ويبدلنك من ثياب المدينة هذه ثياب القصر ، ثم يردونك الى سمحا طلقا لا تقتحمك العين ، ولا يتجافى الطرف عن النظر اليك

قال مرتاعا : وهن اللاتى سيصنعن بى هذا كله ؟

قالت : وما يسوءك من ذلك

قال : ما أعرف والله ما يسوءنى مما يسرنى ، ولكنى أتوقع يوما كيوم بفنوس

قالت : فى قصة اناتول فرانس لقد ألهمته هذه القصة فى ساعة من ساعات فراغه وفى لحظة من لحظات عينى . ولكن لا بأس عليك فما أنت بالقديس وما انا ...

قال مسرعا : عفوا يا سيدتى

وأشارت هى الى الفتيات أن أسرعن ، فأحطن به ودفعنه دفعا يسيرا الى ما وراء الأستار

وخلت شهر زاد الى نفسها فأخذت قلمها وكتبت الى هذا الكتاب الذى ألفيته من الغد على مائدة صاحبى لم يحمله الى ساعى البريد ، ولم يعرف صاحبى كما لم أعرف كيف وصل الينا

« سيدى :

« لك منى الشكر المضاعف والتحية الخالصة ، لقد وجدت فى زيارتك اياى راحة وترفيها على ، ولقد استقبلت بعد انصرافك عنى نوما هادئا مطمئنا ، ولقد نصحت لى فصدقت النصح ، واشرت على فأحسنت المشورة ، فقد خطف أصحابى صديقك الأديب وحملوه الى على الحال التى كان عليها فى طريق من طرق سالنش أشعث أغبر مهملا قد اختلط أمره وهو يحسب أن الرشد لم يفارقه ، وامتلأ قلبه روعا ورعبا وهو يظن أنه أشجع الناس

« حملوه الى وقد اتخذ معطفه ترسا يتقى به ما اقبل عليه من شر ، ولم يخطر له أن يقاوم المعتدين عليه حتى بعصا

الصيد هذه التى كان يهزها فى يده كما يهز الفارس العربى رمحه السمهرى . ولم أكد أراه وأسمع له حتى استيقنت انه كما انبأتنى ساذج برىء . زعم أنه شجـاع وأنه ذاد عن نفسه ما استطاع ، ولم يقدر أن الذين حملوه الى قد أنبأونى بما لقوا من مقاومته وما بلوا من حسن دفاعه عن نفسـه . ولكنى لم أكد أحاوره وأطيل معه الحديث حتى تبينت أنه ـ كما انبأتنى عنه ـ معقد شديد التعقيد ، فقد أخذ يداورنى ويماكرنى ويلقى الى جملا ذات وجهين وأخرى ذات أوجه . راعه انى اتخذته سميرا فأراد أن يخلص من هذه الخدمة التى يتهالك عليها كثير من الأدباء وتتقطع دونها أعناق كثير من أصحاب المواهب والنبـوغ . فسلك الى هـذا التخلص طرقا أيسر ما توصف به أنها يسيرة كل اليسر ملتوية كل الالتواء . ألم يطلب الى أن آذن له فى أن يتثاءب ؟ أرأيت أديبا يتثاءب فى حضرة شهرزاد ؟ ألم يعرض على أن أصحبه الى الغدير أو البحيرة لنصطاد السمك معا ؟.. فلما لفته الى أن شهر زاد لا ينبغى لها أن تصطاد السمك لم يخف من أن يذكرنى بأن أبى كان صيادا

« انه لساذج كل السذاجة ، معقد كل التعقيد . لقد كان يدفعه تعقيده الى أن يمكر بى وينشر لى الشباك والأشراك ، ولقد كانت سذاجته تخيل الى أنى قد انخدعت لمكره ووقعت فى حبائله . فقد كان يفهم كلامى على وجهـه ولا يقدر انى أستطيع أن ألقى مكرا بمكر ، وعبثا بعبث وخداعا بخداع . لله ، انه يظن أن المكر وقف عليه ، وأن الدهاء لم يخلق الا له . انه قد فهم كيد النساء فظن انه أبلغ كيدا من النساء ، ولكنى

ملكت أمرى أكثر مما ملك أمره ، فخيلت اليه وخيل هو الى نفسه انى لم انكر مما قال شيئا ، واظهرت له يأسى منه وخيبة املى فيـــه وفى قدرته على أن يســامرنى ويطرد عنى الحرج والضيق . فسره ذلك وأرضاه ، وظن أن انتصــاره محقق وان الافراج عنــه قريب ، ولست أريد ان اغريك به ولا ان انسد ما بينك وبينه من الود ، فانا حريصة على أن تصلح الأمور أبدا بينكما ، ولست أريد أن أعاتبك ولا أن الومك فانى لم اصدق ما قال فيك ، ولم انخدع بكيده لك ، ولكنى اريد ان أؤكد لك انه ساذج حقا . فقد زعم لى وظن انى سأصدق ما زعــم لى ، زعم لى أنك رغبتنى فى مســامرته لتفلت أنت من هذه المسامرة وتخلو الى شاعرك الذى انت مشغول به ، والذى تؤثر الاستماع له والتحدث عنه على مسامرة شهرزاد

« وقد رأى منى ما أقنعه بانى مصــدقة محنقة مفكرة فى الانتقام فتجاوز الكيد الى الاغراء ، وعرض على أن اخطفك كما خطفته ، ويسر على أمر خطفك من حديقة الفندق تحت شجرة الزيزفون ، أو من هــذه الغرفة التى تخلو فيها مع صاحبك الى شاعرك هذا الذى يشغلك فى هذه الأيام . وقد اظهرت له قبول رأيه ، فلا تسل عما ملأ قلبه وظهر على وجهه من الغبطة والبشر ، ولكن ابتهاجه لم يطل ، فما اسرع مادعوت ثلاثا من جوارى فأمرتهن أن يأخــذنه فيفعلن به الأفاعيل . ثم يرددنه الى وقد صار أهلا لمسامرتى . ولو رأيته بين ايدى هؤلاء الفتيات لرايت عجبا ، ولو ســمعته يتحــدث اليهن لسمعت عجبا : ولكن لن أقص عليك شيئا من ذلك وانما ادع

له انباءك به ، فان له فى هذا فنا لا يخلو من فكاهة ترضيك ، وأنت ستراه من غير شك ، وستراه عندى ، فما أظنك تكره زيارتى ، وما أصدق أن المتنبى يشغلك عنى . وهب المتنبى قادرا على أن يصرفك عن شهرزاد فان صاحبك فى حاجة اليك . فأمره أشد مما تظن خطرا . بل هو أشد خطرا مما كنت اقدر ومما كنت أريد

« لقد كنت التمس سميرا فدللتنى عليه ، ولكن قصرى لم يكد يحتويه حتى كثر الماكرون به والكائدون له والمتألبون عليه هؤلاء أشخاصه الذين خلقهم خلقا فى هذه القصة التى نسجها حول شهرزاد ، والذين بعد عهدهم بى وانقطعت أخبارهم عنى حتى انسيتهم أو كدت أنساهم ، وحتى نسونى أو كادوا ينسوننى ، قد عرفوا مكانه من القصر وخضوعه لسلطانى ، ولست أدرى كيف عرفوا ذلك . فأقبلوا جميعا ولست ادرى من أين أقبلوا وكلهم يريد أن يخاصمه وكلهم يريد أن يقتص منه ، لأنه صورهم على غير ما يحبون وأنطقهم بما لا يرضون ، وأجرى على أيديهم من الأعمال وأدار فى رؤوسهم من الخواطر ما لم يخطر لأحد منهم ببال . وما ظنك بشهريار الذى فارقنى منذ احقاب واحقاب ، وقد عاد الى اليوم يحاورنى ويجادلنى فى هذا الرجل الذى صوره كما تعرف وجعله كما يقول مثلا للغباء الذى يزعم الذكاء ، والغفلة التى تتدعى الفطنة ، والضعف الذى يتكلف القوة ، ومثلا لأكثر من ذلك ، وهو يلومنى ويغرينى ويحرضنى ، ويسألنى كيف أعفو عن هذا الذى اتهمنى فيما لا ترضى امرأة حقيرة أن تتهم فيه، فكيف بملكة كريمة مثلى متسلطة على القلوب خالدة على

الأزمان . وقمر يقسم ما أضمر لمليكه غدرا ولا ادار فى خلده شيئا يستحى أن يظهره

« والعبد ــ وويل لصاحبك من العبد ــ انه ثائر فائر ، انه مرغ مزبد ، انه مبرق مرعد ، انه يريد أن يمزق صاحبك بأنيابه وأظافره ، انه لا يطيق التفكير فى العفو عن هذا الرجل الذى جعله صورة بشعة لأبشع ما يتسلط على العقول والأبدان . وهو يغرينى ويحرضنى ويريد أن يضرم النار فى قلبى لولا أن قلبى اهدأ من أن تضطرم فيه النار . وهو يسألنى كيف اترك الحياة لرجل صورنى فى هذه الضعة وجعلنى أهبط من أعلى عليين لأكلف بهذا المخلوق البشع الدنىء ، والساحر يقسم ما سحر ، والجلاد يقسم ما باع السيف لينفق ليلة هنيئة ، وأبو ميسور يقسم ما أظلت حانته اثما قط ، حتى زاهدة تقسم ما عرفت سرا ولا سئلت عنه ولا باحت به ولا اتخذت وسيلة الى معرفته . وكل هؤلاء مغيظ محنق يلح على فى أن أنتقم له وانتقم من صديقك البائس المسكين ، ومع انى كنت ضيقة به ساخطة عليه حين قرأت كتابه ، فقد أدركتنى الرحمة له والرفق به حين رأيت هذه الأشباح كلها تريد ان تشرب دمه وتأكل لحمه وتعرق عظمه عرقا ، أسرع الى زيارتى يا سيدى فلعلك تعيننى على حماية هذا الصديق المسكين

« على اننى لا أريد أن يظن بى صاحبك انى خطفتك كما خطفته ، فأنت أحب الى واوثق عندى من ان تخطف ، ولكنى أريد أن تنبئنى باستعدادك لزيارتى . فاكتب الى ان كنت فى

هذه الزيارة راغبا ولا تكلف نفسك محاولة ارســال الكتــاب الى . ولكن اذا أتممت املاءه فليضعــه صاحبك على المــائدة فهذا يكفى . وأنا مظهرة أسيرى البائس على كتابك ليعلم أن الناس جميعا لا يخطفون ، وأن منهم من يزورون شهرزاد عن شوق اليها ورغبة فى زيارتها ، وأن المتنبى مهما يشغلك فلن يصرفك عنى . والى أن يصــل الى كتابك أرجــو أن تتقبل يا سيدى تحية التى تنتظرك مشوقة اليك »

شــهر زاد



الى شهرزاد

ولست أدرى كيف اصف لك أيها القارىء العزيز ما احدث هذا الكتاب فى نفسى من الاثر ، فأنا صادق ان أنبأتك بأنه ملأ قلبى بهجة وسرورا ، وانا صادق ان أنبأتك بأنه ملأ قلبى جزعا وفزعا ، وانا صادق كذلك ان أنبأتك بانه أثار فى نفسى حزنا يسيرا . فأما البهجة والسرور فلأنى كنت أتحرق شوقا الى لقاء شهرزاد . وأما الجزع والفزع فلأنى كنت أرتعد اشفاقا على توفيق الحكيم ان تتقسمه هذه الأشباح فيذهب شهريار برأسه ، ويذهب كل واحد منها بشلو من أشلائه . وانا الذى دل عليه شهرزاد فعرضه لهذا الخطر المنكر ، وللرجل أهله وأصدقاؤه فى مصر قد فارقهم منهوكا ضعيفا ليعود اليهم قويا أيدا . وهو بعد هذا كله صديق لى حبيب الى ، أوثر له العافية وأضن به على المكروه ، وأتمنى له حياة متصلة مملوءة بحركاته هذه المضطربة المتناقضة التى ترضى وتسخط وتسر وتسوء . وأما الحزن اليسير فلموجدة أحسستها حين رأيت صديقا يكيد لصديقه وأديبا يتجنى على أديب . ولست أنكر انى قد مكرت به شيئا حين أغريت به شهرزاد ، ولكنى لم أرد به الا خيرا لأنى اتحت له لقاء تلك التى جعلته رجلا معروفا . فما كنت أقدر أنه سيمكر بى ويكيد لى على هذا النحو . أما صاحبى فلم يجد الا غبطة وفرحا لأنه سيرى شهرزاد وقصر شهرزاد . وكان يقول لى

هون عليك فما يتعرض صديقك لخطر ما ، ومتى رايت الأشباح تتقسم بينها اجسام الأحياء ؟ وهل تستطيع هذه الاشباح ان تثبت لكيد شهرزاد ومكرك أنت اذا اجتمعتما على حماية توفيق ؟ ومع ذلك فأنك تحفظ كثيرا من هذه الصيغ السريانية والكلدانية التى تتلوها فتطرد بها الأشباح من المكان الآهل بها ، وترد هذا المكان آمنا كله لا خوف على اهله ولا هم يحزنون

وكان يقول لى لا تجد على توفيق ولا تسىء به الظن ، فقد ضاقت عليه الحيل واخذت عليه الطرق فاتخذ الوقيعة فيك عند شهر زاد وسيلة الى الافلات من سجن شهر زاد . وانت تعرف صاحبك واندفاعه ورجوعه بعد الاندفاع . ومن طبيعة الادباء ان يمكر بعضهم ببعض ويكيد بعضهم لبعض ، والامر منته بينكما الى مودة لا تشوبها ضغينة ولا حفيظة . فخلص قلبك من الحزن والخوف ، وخل بينه وبين الفرح بلقاء شهر زاد وامل على الكتاب الذى تنتظره منك

ثم يبسط الصحف امامه ويأخذ القلم ويعفينى من هذه الحركة التى الفتها كلما هممت بالاملاء ، وهى التماس السجاير ، فيقدم الى السيجارة ويشعلها ويقول ما تعود ان يقول « نعم » فأملى عليه :

« ادركنى كتابك ياسيدتى وقد بلغ منى الجهد والاعياء اقصى ما يستطيعان ان يبلغا من رجل لم ينم الليل ولم ينم بالنهار . لو تعلمين كيف انفقت الساعات واللحظات منذ

ودعتك لما احتجت الى ان تنبئينى بأنك لا تقبلين فى سعاية ولا تستجيبين فى لكيد . اتعرفين شيئا اروع من الليل العريض يجثم على الفضاء العريض منيخا بكلكله كما يقول شاعرنا القديم . وقد اخذت السماء ترميه من اشعة النجوم بسهام ماضية تبلغه وتنفذ فيه ، ولكنها لا تنال منه شيئا ولا تحدث فيه اثرا ، وانما هو ثابت لاينتقل ومستقر لايزول . اما انا فقد عرفت روعة هذا الليل ورهبته امس حين استقبلت المساء على غير موعد منك ، ولكنى مملوء القلب املا . الا يتقدم الليل حتى تأتينى رسلك فأنفق معك ساعات كتلك الساعات التى لن انساها . ولم يكن صاحبى فيما اعلم اقل انتظارا منى لهذه المفاجأة الحلوة ولا اقل حرصا منى على هذه الدعوة الكريمة . انه لم يتحدث اليك ولكنه رآك واستمع لك ، وهذا يكفيه ليملأ قلبه شوقا الى رؤيتك وكلفا بحديثك ، لقد استقبلنا الليل ياسيدتى وان قلبينا ليضطربان بهذا الامل ويخفقان بهذه الامنية ، ولقد حاولنا ان نقرأ الصحف وننظر فى الكتب ، فجعل صاحبى يقرأ ما لا يرى وجعلت لا اسمع لما كان يقول ، تركته تائها فى صحفه وكتبه وتركنى ذاهبا مع الامل والخيال . كلانا يظهر لصاحبه انه معنى به ملتفت اليه ، وكلانا يخفى على صاحبه ان عقله قد فارقه وان لبه اسير هناك فى ذلك القصر الذي رايناه واقمنا فيه وتحدثنا الى اهله وسمعنا منهم ، ولكننا لا نعرف اليه طريقا ولا نستطيع اليه سعيا . وانتصف الليل فاذا الامل كاذب ، واذا الرجاء خائب ، واذا الحسرة

لاذعة ، واذا هي تبدى نفسها ، واذا كل منا يرى صاحبه كما هو ، واذا نحن نفترق لا لنأوى الى المضاجع ، ولكن لنسأل عنك ظلام الليل ونجوم السماء وهذا النسيم المضطرب فى الجو

« نعم ياسيدتى لقد تركت صاحبى لا لاستريح ولكن لأخلو الى خيالك والى ذكرك حين اعيتنى الخلوة الى شخصك . فأنفقت ما بقي من الليل جالسا فى شرفة تخرج عن غرفتى شيئا استقبل الليل وآنس الى صمته الرهيب واستمتع بهذه الموسيقى الخافتة التي تبعثها فيه احياء الغابة والحقول. او اذعر من حين الى حين لهذه الدقات التى تضطرب فىالجو تحسب المسكينة انها تقيد الليل وتقسمه اجزاء وتنبىء بما مضى منه وتتنبأ بما بقى ، وتتأذن بما بيننا وبين الفجر من آمال . وانها لتفعل هذا كله بالقياس الى الذين اقفرت قلوبهم من الحب وبرئت نفوسهم من الشوق ، فاما الذين رأوا شهر زاد ثم نأوا عنها فليلهم متصل لاينقضى ونهارهم متصل لاينقضى ايضا ، لان ليلهم ونهارهم عليهم سواء ، كلاهما مظلم وكلاهما جامد وكلاهما طويل ثقيل . كأن هؤلاء المحبين لايعرفون الشمس الا حين يشرق لهم وجه شهر زاد ولا يعرفون الامن والهدوء والدعة والنعيم الا حين يغمرهم جمال شهر زاد

« لقد صدق توفيق الحكيم ياسيدتى فأنا فى هذه الايام مشغول بالمتنبى ولكنى مشغول به عن كل شيء وعن كل انسان الا انت . فان امنيته الملحة عليه المضنية له المنغصة

الليله ونهاره تشبه امنيتى الملحة على المضنية لى المنغصة لليلى ونهارى ، ولـكنى لا اتمنى كما كان يتمنى ملـكا وسلطانا ، ولا اشتهى كما كان يشتهى ثروة وغنى ، انما اتمنى لقاءك والاستمتاع بجوارك القريب ، واى ملك يشبه الخضوع لك او يعدل الاذعان لامرك ، واى ثروة تشبه الشعور بأنى قريب منك ليس بينى وبين الغنى الذى يمتع القلب والعقل الا ان اتجه اليك فأسمع منك او احس قربك منى ؟

« رحم الله المتنبى ياسيدتى فقد اعاننى على احتمال الشوق ويسر على بعض الشىء ثقل الليل لانه ترجم عما كنت اجد فى هذه الابيات التى تغنى بها ذات ليلة فى انطاكية وتغنت نفسى بها الليلة البارحة فى سالنش ، ولولا بقية من عقـل تأبين ان تستأثرى به كله رحمة بمحبيك ، لاطاع لسانى نفسى ولاندفعت مغنيا هذه الابيات يشق صوتى بها سـكون الليل ويوقظ بها الهادئين الهاجعين من حولى

« اتذكرين هذه الابيات ياسيدتى ، وهل تنسين شيئا ؟ وهل ينبغى لك ان تنسى شيئا ؟ استمعى لها فانها لاتصور المتنبى وحده وانما تصور كل محزون كئيب قد حيل بينـه وبين ما يتمنى واكره مع ذلك على ان يحيا فيسهر الليـل ويضطرب فى النهار !

أعزمى طال هـذا الليـل فانظر
امنك الصبح يفرق ان يؤوبا
كأن الفجر حب مسـتزار
يراعى من دجنتـه رقيبـا

كأن نجـــومه حلى عليـــه
وقــد حذيت قوائمه الجبوبا (١)
كأن الجـــو قاسى ما اقــاسى
فصـــار سواده فيه شـــحوبا
كأن دجاه يجذبهـــا ســـهادى
فليس تغيب الا ان يغيبـــا
اقلب فيـــه اجفـــانى كأنى
اعــد به على الــدهر الــذنوبا
وما ليـــــل بأطول من نهار
يظل بلحظ حســـادى مشـــوبا

« بهذه الابيات تغنى ضميرى بقية الليل ولـكنه كان يضع الشوق موضع العزم فان فراقك لم يبق لى عزما ولاحزما . ثم اشار الفجر بأصبعه الوردية التى اريتها انت ياسـيدتى لضرير اليونان منذ ثلاثين قرنا فاذا الليل الجاثم ينهزم ، واذا الشمس تقبل فتبسط الضوء والحياة على كل شىء وفى كل نفسى ولـكنى اظل محروما ضوء الشمس وحيـاتها لانك انت الشمس والحياة . وانا احمل الطير المستيقظة التى تغدو من وكناتها فرحة مرحة يسكرها نسيم الصبح وبرد الندى وضوء الشمس رسائلى اليك لعل بعضـها ان يمر بقصرك المسحور فيرسل من فيه نغمة تحمل اليك بعض ما اجد من لوعة ، وما اقاسى من الم . وانا اهيم مع صـاحبى وجه النهار فى الجبال والربى اسأل عن اخبارك طير الغاب ومايعبث

(١) الجبـــوب : الارض . وحذيت قطعت ، فكأنه اراد قد قطعت له من الارض قوائم فليس يبرح

بأغصان الشجر من نسيم ، واسأل عن اخبارك هذه الغدران الضئيلة الصافية التى تنحدر من الجبال متعطفة متلوية تناجي الصخور وتناغى الحصى لعل فى مناجاتها ومناغاتها شيئا من حديثك يرد الى بعض ما فقدت من امن وهدوء

« ولم تحمل الى الطير نبأ ولم يبلغنى النسيم خبرا ولم ترد الى مناجاة الغدران ومناغاتها امنا ولا هدوءا فأعود قانطا مستيئسا ، ولكنى اجد كتابك ، فتبينى الآن امشغول انا عنك بالمتنبى ؟ اكنت زاهدا فى جوارك حين ودعتك ، اكنت راغبا عنك حين عدت الى هذا الفندق الذى اضيق به الآن اشد الضيق

« لبيك ياسيدتى ، لبيك دعوة كريمة وطاعة سريعة لاتنتظر الا ان تأمرى بأن اشخص اليك . لست مشغولا عنك بشيء ولا بأحد ، ولست فارغا لاتحدث عن كيد توفيق لى عندك فليس يعنينى الا ان ابلغ رضاك عنى واضمن ثقتك بي . ومع ذلك الله يعلم ما اردت بالصديق الاديب شرا ومتى كان القرب منك شرا . انما آثرته على نفسى حين دللتك عليه وانبأتك به . وآثرتك انت على نفسى ياسيدتى لان توفيقا كان يسليني ويلهينى ويفتح لى أبوابا من الرضى والبهجة ، ويعرض على فنونا من العبث والضحك ما كنت لافرط فيها لولا انى احسست حاجتك اليه

« لاتيأسى منه ياسيدتى فتجدين عنده ما تريدين ، آمنيه وهدئى روعه ، ثم دعيه يرسل نفسه على سجيتها واستمعى لحديثه واجيبيه جادة حينا وهازلة حينا وانتظرى نتيجة ذلك فسترضين . لقد طلب اليك ان تصحبيه الى الغديرلتصيدى

السمك معه ، فاصحبيه ياسيدتى واظهرى انك تريدين الصيد فستضحكين كثيرا قبل ان تبلغى الغدير حين ترينه فارسا مغوارا وبطلا كميا قد ملأه الفخر والاعجاب والتيه بما يحمل من اداة الصيد وستضحكين كما ضحكنا حين يبلغ الغدير ويلقى اداة صيده فى الماء ثم يحس حركتها ثم يحس ثقلها ثم يستيقن انه قد اصطاد ثم يجذب ويجذب ويجهد نفسه فى الجذب مستيقنا ياسيدتى انه قد ظفر بكنز من هذه الكنوز التى سحرت بها عقل شهريار ، ثم يخرج اداة صيده من الماء الا انه قد فقد السنارة

« ستضحكين ياسيدتى حين ترينه يعاود هذا الجهاد مرة ومرة ، ثم يرجع معك وقد صفرت يده من الصيد واضطربت نفسه بين الرضى بما جاهد والسخط على ما اخفق ، فهو يرثى لنفسه وهو يضحك من نفسه ، وهو يحملك على ان ترثى له وتضحكى منه . نعم وستغرقين فى الضحك حين ترينه يصطاد نفسه بعد ان عجز عن صيد السمك . نعم يصطاد نفسه ياسيدتى ، لاتنكرى ولا تدهشى ، فقد اصطاد توفيق نفسه ذات يوم . اختلط فى خيطه وارتبك ولم يعرف لنفسه مذهبا فاستغاث : « انجدونى فقد اصطدت نفسى » واقبل اصحابنا عليه فلم يخلصوه من سنارته الا بعد جهد ثم خافوا عليه ان يصطاد نفسه مرة اخرى فجردوه من سلاحه الخطر ولفوه فى بعض الورق ، وقالوا له احتفظ به ولا تخرجه الا عند الغدير ، ولكنه اضاع سلاحه ياسيدتى ، وعاد اعزل الا من هذه العصى التى لا تنفع ولا تضر

« وانا قاس حقا اتندر بهذا الصديق البائس وقد احاط به ما وصفت من خطر وتألبت عليه هذه الاشباح العاتية تريد ان تمحقه محقا وتسحقه سحقا . كلا كلا لن ترضى نفسك من هذا ياسيدتى ، ولن تسمحى به ، ولن تأذنى فيه ... من يسليك اذن ومن يسلينى ومن يسلى قراء العربيـة من المصريين والشرقيين ، وقراء الفرنسية والروسية ايضا فقد ترجم الى الفرنسية والروسية كما تعلمين

« كلا كلا ، ستحمينه وستقومين دونه ياسيدتى ابقاء على شخصه ورحمة لاهله واصدقائه ومحبيه ثم حفاظا للأدب وذودا عن حرية الرأى ، يا للشر يا للخطر ، يا للبلاء ، حتى ارواح الموتى قد مستها عدوى الطغيان فهى تمقت حرية الراى وتعاقب العقل حين يفكر والقلب حين يشعر ، والخيال حين يبتكر . الم يكف حرية الراى ما تلقاه من عنت الطغاة بين الاحياء حتى تصبح ارواح الموتى عدوا لهذه الحرية وظهيرا لخصومها واعدائها ، لن ترضى نفسك الابية عن هذا الذل ياسيدتى ، ان الذين يعتدون على حرية الراى من الاحياء والاموات انما يعتدون عليك انت لانك مصدر الراى والشعور والخيال ، ان الذين يستعدونك على توفيق ويغرونك به لايستعدونك الا على نفسك ولايغرونك الا بنفسك ، فاحذرى ياسيدتى ان تسمعى لهم

« لبيك لبيك ، مرينى اكن عندما تحبين ... »

ولم اكد اتم الكتاب واترك صاحبى يضم عليه الغلاف حتى احسست حركة خفيفة واذا صاحبى ينهض ملعورا لان الكتاب قد اختطف من يده اختطافا

فى الحمام

مشى الاسير بين الفتيات الثلاث الى الحمام مطاطىء الراس، يخفى عنهن وجهه بمعطفه وهو يردد فى نفسه قانطا :

ــ اهكذا قضى الامر ! ولم يغن عنى شيئا ذلك الحوار الذى دار بينى وبين شهر زاد ؟ وبعد ! أأترك نفسى حقا لهاته الفتيات يفعلن بى الافاعيل ؟ ارى والله ان لم يبق لى غير الهرب

وسار فى سكون ينتهز نهزة صالحة . وارادت الجوارى ان يجاذبنه الكلام فلم يتلقين جوابا . فقالت احداهن :

ــ عجبا ... انه كالنائم

وقالت الثانية :

ــ انه شارد اللب كالذاهب الى المشنقة !

فأجابت الاخيرة :

ــ ربما افاق ونطق اذا غطسناه فى الماء البارد

فاصطكت اسنان الاسير وسرت فى بدنه رعدة ، غير انه لزم الصمت . وواصل الجميع السير فى دهاليز ممدودة ، بعضها مضىء وبعضها مظلم ، حتى بلغوا منعطفا ضيقا فوقفت الاولى وقالت :

ــ ارى ان تذهب احدانا فتحضر الصابون وان تذهب اخرى فتحضر المواسي وان اقود انا السجين . ثم نتقابل جميعا عند الحمام ؟

فرفعت الثانية عقيرتها مغيظة :

ـ عجبا لهذه القسمة الضيزى ! تختارين لنفسك الانفراد به ، ونذهب نحن للتافه من الامر ! كلا . هذا لن يكون ، انا اقود الاسير وانت تذهبين للصابون !

فصاحت بهما الثالثة :

ـ لا انت ولا هى ... بل انا

ـ انت ! هيهات ! تعال ايها السجين !

ـ دعيه ! تعال معى انا ايها الاسير !

ـ ايها السجين ، قف الى جانبى انا

وتناولنه فى ايديهن كالكرة يتنازعنه ، وقد ساءت حاله معهن وبح صوته من الصياح :

ـ حسبكن ... حسبكن ! قد مزقتن المعطف بهذا الشد والجذب ! اتفقن اولا فيما بينكن !

ـ نتفق ! هيهات ، هيهات ان نتفق بغير هذا !

خلعت صاحبة الكلام نعلها وخلعت الاخريان نعليهما . واشتبك الثلاث فى معركة حامية الوطيس والاسير بينهن يصيح :

ـ مهلا ، رفقا ! ان النعال لا تصيب الا قفاى ! اتركننى ناحية ريثما تصفين مابينكن من حساب !

فدفعنه بعيدا عنهن . فنهض ونفض الغبار عن ثيابه والتفت فى الحال يمينا ويسارا فألفى بقربه دهليزا مقفرا مظلما فانسل فيه هاربا وهو يقول غير مصدق :

ـ تلك هى الفرصة الذهبية التى لن يجود بمثلها الزمان !

فى ذلك الوقت كان طه حسين جالسا الى صاحبه «فريد»



« وتناولنه فى أيديهن كالكرة يتنازعنه »

تحت شجرة الزيزفون يصغى الى ما يقرؤه عليه من شعر « المتنبى » ، وهو فى حقيقة الامر لايصغى الى شىء ولا يستمع الا الى « شهر زاد » الماثلة فى اعماق نفسه تهمس اليه بصوتها العذب الرقيق كأنه صوت اجنحة فراش جميل الالوان ، او حفيف غصن محمل بأزهار الربيع ، ذلك الصوت الذى كلما سمعه فتن به افتتانا . انه يملأ اذنيه الآن . بل انه يرقص حوله كما ترقص عرائس الجن فى المروج . هو شىء غير منظور ، لكنه يحس له كيانا حيا وجسما نابضا لا ككل الاجسام ! انه يدعوه فى اشارة خفية ويجرى امامه الى جهة قصية . هنا لم يملك الدكتور نفسه فنهض مستويا على قدميه . فوقف صاحبه عن القراءة مستغربا :

ــ ماذا جرى ؟

ــ هلم بنا اليها

ــ الى من ؟

ــ الى الفاتنة ربة القصر المسحور

ففكر « فريد » قليلا ثم قال فى تردد :

ــ ولكننا لم نتلق بعد منها دعوة الى المثول بين يديها

ــ لاحاجة بنا الى دعوة ولا احسبها تكره لقائى فى اى وقت

ــ ولكننا .. نجهل مسالك هذا القصر وهو كثير الدهاليز ، والوقت ليل ولم نعتد دخوله بغير رسول منها او دليل

ــ قلت لك هلم ولا تزد

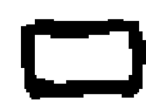
ــ انها لمخاطرة

فضغط « طه » على يد صاحبه ضغطا قويا كاد يؤلمه وصاح به :

ـ انى قد عزمت ، وانا رجل كما تعرف صلب الراى عنيد . ولا شيء يثنينى عن اقتحام المخاطر وارتياد المجاهل

ـ هذه الصلابة قد عرضتك احيانا الى ماتكره

ـ حقيقة . ولكنى .. هكذا خلقت. ولا قبل لى بتغيير طبعى وسجيتى ... هلم ...



وفى حلك الظلام سار الاثنان مجدين حتى بلغا اسوار القصر المسحور . فتمهلا وجعلا يتلمسان فى الاسوار بابا او مدخلا فلم يجدا من ذلك شيئا . واعياهما التعب فقعدا على الارض واسندا ظهريهما الى السور وتساءلا فى يأس :

ـ كيف السبيل الى داخل القصر ، وكيف دخلنا اذن اول مرة ؟ ! انه لاباب له . حقا انه لقصر مسحور !

ولم يدم يأس طه حسين طويلا وسرعان ما اسلم نفسه للقدر كعادته . فالتمس فى الظلام يد صاحبه الذى الجمه الخوف ووحشة المكان وجهل المصير ، وهزه هزا خفيفا وقال له :

ـ ناولنى « سيجارة » !

فثاب «فريد» لنفسه واخرج من جيبه لفائف التبغ وقدم الى الدكتور واحدة منها ثم اخرج علبة الكبريت واراد ان يحك العود فى السور واذا يده قد غارت هى وعود الثقاب فى فجوة لا آخر لها فصاح لساعته :

ـ هنا ثغرة فى السور ؟

ـ اين ؟ اين ؟

وقام « طه » فى الحال نازعا من فمه « السيجارة » :

ـ فلندخل من هذه الثغرة !

ولم ينتظر من صاحبه رايا ولا جوابا . فأمسك بذراعه ودفعه امامه الى داخل الثغرة دفعا . ثم مشيا قليلا ثم كثيرا ، ثم امعنا فى المشي دون ان يصلا الى بصيص من نور ، فأوقدا عود ثقاب فاذا هما يتخبطان فى دهاليز طويلة مظلمة متشعبة متقاطعة كأنها شبكة منصوبة . عندئذ صاح « فريد » :

ـ حصل

ـ ما هو الذى حصل ؟

ـ قد وقعنا فيما نكره

ـ كيف ؟

ـ ان لم يكن هذا جب ، فأغلب الظن انا الساعة فى موضع لن نصل منه الى شيء . آه ! وقعنا . من ذا الذى يستطيع ان يخرجنا من هذه الدهاليز التى يضل فيها الخاطر

ـ وما الرأى ؟

ـ تسألنى الآن الراى يادكتور ؟ ! لم يبق من رأى الا ان نختار لنا طريقا من هذه الطرق ونسير فيه الى النهاية

ـ كلا ... تلك ليست عادتى ... اضرب بنـــا فى كل طريق

ـ لدى فكرة . ابق انت يادكتور ها هنا ، ولاذهبن انا ركضا فى كل جانب من جوانب المكان حتى اذا ظفرت بشيء عدت اليك

ـ نعم الرأى ... اذهب وانا فى انتظارك ها هنا

ذهب « فريد » وابتعد . وبقى الدكتور وحـده فى ذلك الموضع من الدهليز يفكر فى امره تلك الليلة وفى هذا المـأزق الذى ادخل نفسه فيه وقد كان فى الفندق آمنا مطمئنا ، لكنه يتبرم دائما بالامن والاطمئنان ويخلعهما عنه فى ضـيق كما يخلع الرداء الثقيل فى يوم قيظ شديد . ما الذى حمله على ترك جلسته الهادئة تحت الشجرة ليقف هذه الوقفة فى الظلام يلتمس صوتا او حركة فلا يسمع الا انفاسـه المضـطربة . نعم ، لقد بدأ القلق والخوف يجدان اليه السبيل . ويخيل اليه انه يسمع الآن همسات بعيدة . اهى حقيقة ؟ ام هو الوهم والخيال بدءا يلعبان على مسرح الراس التعب ! ! ولكن الهمسات تقترب وتتخـذ رنينا واضـحا يدوى بين جدران الدهاليز . بل انه يسمع الساعة صوت اقدام تضرب الارض انها تدنو ، تدنو والاصوات تتضح . انها اصوات نساء . نعم لم يبق ريب فى الامر ، ولم يلبث طه حسين ان احاطت به الفتيات الثلاث وهن يصحن :

ـ هاهو ذا ! قد وجدناه !

ثم هجمن عليه هجمة واحدة وقبضن عليه بقوة وشـدة وجذبنه جذبا عنيفا وهن يقلن فى شبه صوت واحد :

ـ ايها الهارب !

ذهل طه حسين فى اول الامر ذهولا عقل لسانه . فهـذا الانقضاض عليه فجأة فى هذا الليل الساجى ليس هين الوقع على النفس . غير انه ملك سريعا ناصية امره وقال دهشا :

ـ هارب ؟ ! على النقيض . انى جئت بنفسى واقبلت شوقا وحبا . . .

فقالت الجوارى ساخرات :
ــ شوقا وحبا ! ياله من مخادع !
وقالت الاولى وهى تقرصه قرصة مؤلمة :
ــ ايها الماكر ! انتهزت فرصة خلاف دب بيننا وفررت . .
ــ آه ! ذراعى ! لامعنى لهذا القرص الموجع ايتها السيدة المهذبة !
وقالت الثانية وهى تخزه بأبرة معها :
ــ لقد قلبنا الدهاليز راسا على عقب حتى وجدناك !
ــ آه ! آه ! كل شىء الا وخز الابر !
وقالت الثالثة وهى تعض اذنه :
ــ لو عرفت المصير المخيف الذى كان معدا لنا ان كنت ذهبت ولم نعثر عليك !
ولم يطق الدكتور الالم فصاح وهو يضع يده على اذنه :
ــ كل هذا قد جاوز الحد ! الا يمكن ياسيدتى ان نتكلم بالعقل وان نتفاهم بالمنطق . .
فدوت فى المكان ضحكة الجوارى الهازئات :
ــ المنطق ! سنريك الآن كيف يكون المنطق !
ثم حملنه على اكتافهن حملا وسرن به سيرا سريعا يشبه الجرى واحداهن تقول :
ــ لقد اضعت الوقت ومولاتنا فى الانتظار . ولا نرى الا حملك والركض بك ! اليس يعجبك هذا المنطق ؟ !
واراد الدكتور ان يتكلم وان يستعلم وان يستخبر فلم يسمحن له بالكلام . ولم يصر هو كل الاصرار خشية

عودتهن الى القرص والوخز والعض . وهو الآن على كل حال بخير فوق اكتافهن. وبلغت الفتيات اخيرا مكانا رحبا مضيئا ، فى صدره باب جميل النقوش كأبواب قصر من قصور ألف ليلة وليلة . فقالت الاولى :

ـ هاهو ذا الحمام ... فلندخل به !

ولم ينتظرن . ولم يستمعن الى اعتراض الدكتور. فدخلن وتهامسن وتغامزن ورفعنه قليلا ثم القين به دفعة واحدة فى حوض كبير مملوء بالماء البارد وهن يضحكن ضحكا عاليا

غاص طه حسين فى الماء ثم طفا وظهر وهو يشهق ويسعل وينتفض وقطرات الماء تتساقط من شعره ووجهه وثيابه والجوارى مستغرقات فى ضحك مرتفع . واحداهن تشير اليه وتقول لصاحبتيها :

ـ انظرا ! انه ينتفض كأنه عصفور بلله القطر ...

فأجابت الثانية على الفور :

ـ اى قطر . انه كعصفور غمره البحر ؟ !

ونظرت اليه الثالثة وقالت ضاحكة :

ـ انصتا ! انه يريد ان يتكلم

والتفت طه حسين حقا اليهن واراد ان يقول شيئا ولكنه ارتعد وعطس طويلا ، الى ان هدأ امره وخف عبء بلائه واستطاع الكلام . فقال لهن :

ـ اهى ... مولاتكن التى امرتكن ان تفعلن بى هذه الافاعيل ؟ !

فقلن جميعهن فى صوت واحد :

ـ نعم ..
ـ « شهر زاد » تأمر بهذا ؟ !
فقالت الاولى :
ـ انها امرتنا بأكثر من هذا . اننا لم نصنع بك شيئا بعد؟
ـ او لا يكفى ما صنعتن بى ؟
قالها طه حسين مرتاعا على نحو أضحك الفتيات ، فتساند بعضهن الى بعض . وقالت احداهن له :
ـ سترى ما نصنع . اين المواسى ؟
فصاح الدكتور من قلب الحوض صيحة مدوية :
ـ مواسى ؟ أوُمرتن بذبحى ؟!
فقالت الجوارى :
ـ كلا ، لا تخف ، لقد أمرنا فقط باصلاح شأنك
ـ اصلاح شأنى ! اذا كان ما حدث حتى الآن مقدمة لاصلاح الشأن فلا شك أن ماهو آت أدهى وأمر !
فقالت احداهن :
ـ كلا . اطمئن . انا لن نصنع بك الا خيرا . سنحلق لك لحيتك وشاربك ونجعل منك فتى رشيقا أمرد خليقا بمجالسة الملكات ومسامرة شهر زاد !
لم يكد الدكتور يسمع كلمة « المسامرة » حتى لمع فى رأسه خاطر وتذكر رسالة شهر زاد اليه ورده عليها فقال للفور :
ـ أيتها الجوارى ان فى الامر خطأ . لست أنا المقصود بكل هذا اللطف والعطف !
فقالت الفتيات فى تهكم ظاهر :

ــ ومن غيرك ؟
ــ اخرجنني من هذا الحوض ! فقد تبين لى الامر
ــ ماهذا الهذيان ؟! انخرجك قبل ان نغير هيئتــك ونجمل سحنتك ؟
ــ ذاك توفيق الحكيم الذى أمرتن به . . أما أنا . .
ــ اننا لا نعرف اسماء . ولم تتسلم أسماء ، انما قد اعطينا شخصا ، نهيئه ونقلبه خير منقلب ثم نرده لمن دفعه الينا
ــ واين توفيق الحكيم ؟
ــ من هذا ؟ انا لم نسمع قط بهذا الاسم ، ولم نر الليــلة غيرك
فحنق طه حسين وملاه حقد ويأس وغيظ فانفجر :
ــ اكاد افقد صوابى ! أين توفيق الحكيم ؟ أيها النـــاس ، دلونى فقط على هذا اللعين وانا أتكفل بالباقى !
وعندئذ قالت احدى الجوارى :
ــ كفى اضاعة وقت ! ان الملكة فى الانتظار . أين المواسى ؟
فصاح طه حسين :
ــ انتظرن أيتها الفتيات ، ان فى الامرخطأ ، وما انا المقصود اذهبن بى الى شهر زاد وهى تحكم في الامر
فقالت الاولى :
ــ ما بالك تخلط الآن فى الــكلام . اين المنطق الذى كنت تتحدث عنه ؟
وقالت الثانية :
ــ ان حكم شهر زاد فيك قد سبق . وأمرها صريح لاابهام فيه

وأردفت الثالثة وقد رفعت فى يدها الموسى :

ـ هاهو ذا الموسى ! تقدم ! ولا أمل لك بعد الآن فى الافلات ولا فائدة من المطل . فانا لن ندعك حتى ننفذ فيك أمر الملكة ونعيدك اليها حسن المظهر جميل المنظر !

فأسقط فى يد طه حسين ولم يجد لنفسه مخرجا فطأطأ الرأس هامسا :

ـ انا لله وانا اليه راجعون !



ثورة الأشباح

استلقت « شهر زاد » على فراشها وغاصت بين دمقس وسائدها . وغاص عقلها فى بحار التأملات . لقد كان يدهشها امر الاسير الذى اختطفته ليبقى الى جانبها يؤنس وحدتها فلم تظفر منه بغير الاعراض والرغبة فى الافلات ! اترى فقدت « شهر زاد » سلطانها على الرجال ! هى التى من بين نساء الوجود قد فازت وحدها باخضاع ذلك الجبار « شهريار » ! تعجز اليوم ويعجز جمالها وذكاؤها عن اجتذاب مخلوق ساذج مسكين كهذا السجين ذى المعطف الاسود وعصا السمك ! اتراها قد هرمت وهى التى لا عمر لها ولا ينبغى لها أن تهرم أهو عجز وقصور منها حقا . أم هو حمق وتقصير من ذلك المخلوق الذى لم يستطع تقدير كنوزها ولآلئها ؟! لكن أيمكن ان تتهم بالحمق وقلة التقدير رجلا كتب عنها كتابا فجعلها فيه صنو « ايزيس » و « بيدبا » ! لكن ماباله اذ رآها الليلة وجها لوجه لم يلفظ كلمة تقدير ولم يلق اليها بكلام عميق ولم تسمع منه الا هراء ينم عن استخفاف . أهى التى كانت تدعى الى صيد السمك من الغدران ! أم هى التى كانت جديرة أن يدعوها الى زيارة هياكل الفكر الانسانى الخالدة على الزمان ! حقا انها لا تفهم من أمره شيئا . هى التى تفهم الرجال كامرأة عاشت ألف عام بين الرجال ! لاتستطيع أن تفهم هذا الرجل المعقد ! لكن لماذا لا تريد أن تعتقد انها قد هرمت قليلا وان

شعرات قد ابيضت فى راسها الاسود الجميل

وان المرأة اذاهرمت كان عليها أنترضى الرجال وأنتسايرهم وأن تعنى بالتافه من رغباتهم . فان استبقاء الرجال فن يجب أن تحذقه المرأة اذا علت بها السن . وضاعت امراة اعتمدت على سحرها الماضى فجلست بلا حراك تنتظر أن يجثو عند قدميها الرجال ! ان لكل سن طرائقها ووسائلها . ولكل وقت أدوات صيده !

لقد صدق صديقها الحميم طه حسين اذ نصح لها فىرسالته الاتهمل رغبات توفيق التافهة وأنتتبعهحاملة مثله «السنارة» الى الجداول يصيدان السمك الصغير وهى الملكة العظيمة ! وان ترافقه الى المقاهى الحقيرة اذا طلبها هناك دون أن ترى حرجا فى ذلك أو تحقيرا من شأن مقامها الجليل ! انها قد نسيت ان للرجال صغائر وحماقات لا يخلو منها رجال الفكر والعقل . فلتتبع توفيقا فى أطواره ولتر منه ما يكون ! نعم هذا هو الراى ولكن لماذا ابطأت به الجوارى ؟ وقد كاد الليل أن يولى . هنا نهضت شهرزاد واستوت فى فراشها وصفقت بيدها فجاء العبد فقالت :

ـ أين السجين ؟

ـ انه فى أيدى الجوارى يامولاتى !

ـ أما فرغن بعد من أمره . فليسرعن به الى !

ـ مولاتى !

ـ مابك ؟ وما هذا التقطيب والغضب على وجهك ؟

ـ هذا السجين ، قد بلغنا من أمره كما تعلمين خبر عظيم .

فهو قد وصفنا فى كتاب له وصفا قبيحا ، وافترى علينا افتراء اثيما ! وكلنا هنا يطلب راسه . وقد أقسم « الجلاد » ان يتولى الجزاء بنفسه ، وقد تلقى أمرا من الملك « شهريار » بذلك و « الوزير ، والساحر ، وزاهدة ، وابو ميسور » !

ـ ليس يعنينى من امرهم شىء .. كل أولئك اشباح تعيش فى الماضى ، وقد جاءت اذ سمعت بسجن توفيق الحكيم كى تثير قضية تتعلق بالماضى ، ولكنهم جميعا غير قديرين على الحياة فى الحاضر والكلام فى الحاضر . لقد دخل على «شهريار» منذ لحظة ففرحت به كأنى عثرت على كنز مفقود ، لكن واأسفاه . سرعان ما تبين لى أنه لا يعرفنى ولا يعرف عن حياتى اليوم شيئا . فهو شبح وذكرى . وهو غير قدير أن يعيش خارج المائة والعشرين صفحة التى كتبها توفيق الحكيم لقد يئست منه بعد قليل ، وهو أيضا قد تركنى دون أن يعرفنى كأنه نائم أو مجنون

ـ انه يا مولاتى مع الوزير قمر والجلاد والساحر وأبى ميسور وزاهدة

ـ نعم مع بقية الاشباح . انهم يستطيعون أن يفهم بعضهم بعضا .. اياك أيها العبد أن تجلس اليهم

ـ انى يا مولاتى أعيش معك اليوم فى الحاضر .. ولكنى احيانا ...

ـ كفى ! انى لا أطيق الكلام فى الماضى طويلا .. انى أعظم من أن احبس فى عصر واحد . انى لكل العصور

ـ مولاتى ؟

ـ ماذا تريد ؟

ـ ان لم نسلم اليهم ذلك السجين فانهم لن يفارقونا

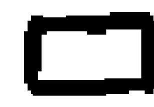
ـ انها لمحنة . وما الرأى ؟!

ـ ماذا يهمنا من أمر هذا السجين ، فلنقذف به اليهم

ـ لم يخب ظنى ، ان نصفك معهم ونصفك معى !

ـ انما اردت يامولاتى ان اريحك من وجودهم !

ـ لن اقطع برأى حتى أستشير صديقا لى . اذهب الآن عنى !



وسكتت شهرزاد قليلا وأطرقت مليا . واذا الباب يضرب عليها ، فرفعت راسها واذنت فى الدخول ، ففتح الباب ودخلت الفتيات الثلاث يقدن طه حسين فى رداء جميل واسع الاعطاف لو لم يكن مزين الحواشى بالذهب والفضة واللالىء النادرة لحسبته ذلك الرداء الجامعى الذى يرتديه العمداء فى الحفلات الرسمية الكبرى . وقد غدا الدكتور حليقا وسيما تطمع فى رضاه الجميلات . فتقدمت به احدى الفتيات وقالت :

ـ هاهو ذا يامولاتى قد هيأناه !

نظرت شهرزاد ، ثم انعمت النظر ، ثم قالت كالمخاطبة لنفسها :

ـ مستحيل ماذا فعلتن ايتها الجوارى

هنا راى طه حسين أن من واجبه أن يلقى الضوء على هذا الموقف الغامض وان « يرد الامر الى نصابه » فقال :



« ودخلت الفتيات الثلاث يقدن طه حسين فى رداء جميل »

ـ مولاتى ! انى لست توفيق الحكيم
ـ طبعا ..
ـ انى ...
ولم تطق شهر زاد صبرا فقالت فى حدة :
ـ أوتجرؤ ياهذا على الدخول على بهذا التمويه ؟!
ـ مولاتى عفوا .. انى لست فى حاجة الى التمـــويه .. كما تعلمين
ـ وأين اذن توفيق الحكيم ، وما هذا الزى الذى عليك ؟
ـ سلى جواريك !
فالتفتت شهرزاد الى الفتيات ونظرت اليهن نظرةالمستفسر فقالت احداهن فى لهجة بريئة صادقة :
ـ أليس هذا هو الذى تسلمناه من مولاتى
ـ مطلقا . أيتها الفتيات
فالتفت طه حسين الى الجوارى وقال فى انتصار :
ـ لقد بح صوتى من القول أن فى الامر خطأ . ولـكنهن مضين يصنعن بى مالايصنع !
وعندئذ لم يسع الفتيات الا أن يعترفن بما حدث من هرب توفيق الحكيم والعثور على هذا الذى حسبوه الهارب . ولم يسع طه حسين الا أن يقص قصته وما وقع له بالتمام والكمال من وقت أن خرج من داره الى أن مثل بين يدى شهر زاد فى هذه الهيئة والزى . وختم حديثه قائلا للملكة :
ـ أرأيت يامولاتى ! لقد صدق المثل العامى « من خرج من داره قل مقداره »

ولكنى مع ذلك راض بما كتب لى مغتبط برؤيتك فى النهاية على كل حال !

فضحكت شهرزاد وقالت فى رقة :

ـ أيها الصديق العزيز ! انى آسفة لما وقع لك ، وآسفة انى لم أبعث اليك رسولا يحضرك الى بدلا من الكتابة اليك . ولكنك قد حصلت عندى آخر الامر . وانى الآن فى حاجة شديدة اليك

ـ انى خادمك ورهين أمرك

ـ اولا أين هرب واختفى توفيق الحكيم هذا ؟ اريد رايك فى ذلك ؟

ـ ارى يا سيدتى أن تطلقى رجالك فى اثره يبحثون عنه

ـ اين ؟!

ـ أرى ان يبحثوا عنه عند شواطىء البحار والانهار والجداول والغدران كافة . فان السمك وحده الآن هو الذى يعرف مقره

ـ نعم الفكرة . هنالك أمر آخر شديد الخطر اطلب رايك فيه : اتذكر فى رسالتى انى حدثتك عن اشباح أشخاص توفيق الحكيم . انهم هنا الآن يلحون فى طلب راسه . ولا اراهم يبرحون حتى يسلم اليهم . أأسلمه لهم أم أمنعه ؟

ـ مولاتى ! لاهذا ولا ذاك . .

ـ عجبا ! ماذا أصنع اذن ؟

ـ لااعدام بغير محاكمة . ولامحاكمة بغير قضية . فاشترطى عليهم الا تسلميه الا أمام محكمة يدلون امامها بما يتهمونه به وما يريدون من اجله راسه

ــ نعم الرأى . نعم الرأى . ان آراءك فى نضجها كآرائى فى سن الشباب الاول . لكأنى بك قد نقلتها عنى واستوحيتهـا منى

ــ كل أفكارى وآرائى مستمدة من ضوئك ياسيدتى !

ــ بقى أمر واحد : من هو القاضى الذى يحاكم صديقنا ؟

هنا يفكر طه حسين مليا ويقلب فى ذهنه الاسماء ثم لايلبث أن يصيح صيحة الفرح والظفر :

ــ وجدته يا مولاتى وجدته . انه القـــاضى الذى لا يرد حكمه . وهو بعد ليس بالمجهول من المتهم فقد ردد اســمه كثيرا فى كتبه وذكره على أوضاع شتى فى كتاباته

ــ من هو ؟ من هذا القاضى ؟

ــ الزمن !..



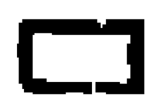
محنة توفيق الحكيم

وقد غمرني في محضر شهرزاد من الجمال والسحر ومن الظرف والعطف ، ومن رشاقة الحركة وعذوبة الحديث ، ما انساني صنيع هؤلاء الجواري الماكرات ، وكاد يردني الى الامن والهدوء والى الدعة واللذة ، لولا أن خاطرا ملحا كان يتردد على من حين الى حين فيذهلني بعض الشيء عما كنت أجد من نعيم ، وكأن شهرزاد قد أحست هذا فهي تدق في ظرف يدا بيد ، واذا الفتاة التي أدخلتنا عليها ، في الزيارة الاولى قد اقبلت خفيفة ظريفة كعادتها ، فانحنت ثم استوت ، واذا شهرزاد تسألها ماصنع صاحب الاستاذ . قالت الفتاة في صوت ساحر : هو هنا يامولاتي منذ ساعة ، قلق النفس مضطرب البال ، لا يصدق ما أؤكد له من مكان الاستاذ بين يديك ، ولا يريد أن يطمئن حتى يراه

قالت شهرزاد فأدخليه

ثم التفتت الى الفتاة وانصرفت ، وقالت أظنك تستطيع الآن أن تخلص لي . وهممت أن أجيبها لولا أن عبدها الاسود اقبل مسرعا فقطع علينا الحديث وهو يقول : ادركي اسيرك يا مولاتي فقد اشرف على الخطر ودنا من البوار . قالت شهرزاد في هدوء يملؤه الدل والتيه : وماذاك ؟ قال الاسود اجتمعت على سجنه الاشباح يا سيدتي ، ولولا أني وكلت بهذا السجين اشد من في القصر من ابناء ابي قوة وايدا ، واصلبهم عودا

واقدرهم على المقاومة وأصبرهم على الجهاد ، لاقتحم السجن عليه اقتحاما ، ومع ذلك فالاشباح ملحة فى الهجوم تصطنع فيه فنونا من العنف الصريح والمكر المغرى ، ولست آمن أن تظهر على الجند ، فان كانت لك حاجة فى أسيرك فأسرعى اليه فلن يرد الاشباح عن سجنه الا مرآك



وكنت قد نسيت توفيق الحكيم وشغلت عنه بما لقيت من شدة أول الامر ، وبما كنت أنعم فيه من لين ذلك الوقت ، فلما سمعت ذكره وعرفت تعرضه للخطر عادت الى نفسى ، فسألت الاسود : وهل ظفرتم به ؟ وكيف وجدتموه ؟

قال الاسود وهو يقاوم الضحك مخافة أن يحفظ مولاته :

ـ اخذناه ياسيدى وأنفذنا فيه قوانين القصر !

قالت شهرزاد :

ـ أو كنت تظن ان ساذجته تغلب مكرى ؟ أو تحسب أن الخروج من هذا القصر ميسر لمن دخله ؟ واذن فأى أمن لشهرزاد وأى سلطان بقى لها ، وأى سحر هذا الذى يحيط بالقصر اذا أتيح لرجل ساذج كتوفيق أن يفر من أهله وينفذ من أبوابه كما يريد ؟

قلت : فانى لم أفر من أهله يا سيدتى ، ولكنى دخلت عليهم القصر ولم يشعروا بدخولى ، وانسبت فيه انسياب الحية ولم يعرفوا مكانى منه . .

قالت وهى تضحك :

ـ فان هذه قصة أخرى لعلها أشد تعقيدا مما تظن ، اواثق انت بأن رسلى ليسوا هم الذين أغروك بالخروج فى طلب القصر ودلوك على طريقة وانتهوا بك وبصاحبك الى هذه الفجوة التى انسللتما منها ؟ ولكن فى الامر تقصيرا من غير شك ..

ثم التفتت الى الاسود قائلة :

ـ والفتيات ماذا صنعتم بهن ؟

قال : انفذت فيهن قوانين القصر يا مولاتى . وهن الآن مشدودات من شعورهن الى السقف فى غرفة العذاب تصب عليهن السياط صبا

قلت مأخوذا : أو تفعلون هذا بهؤلاء الجوارى الحسان ؟!

قالت شهرزاد : كأن قلبك قد رق لهن ، وكأنك نسيت انهن أعرضن عما كان يجب من انفاذ أمرى وفرغن للهوهن . وما ينبغى لمن اتصل بشهرزاد أن يشغل عنها بنفسه . فكيف بهؤلاء الاماء اللاتى لا وجود لهن الا مستمد منى

قلت مستعطفا : رفقا بهن يا سيدتى ، فقد كن ضعافا وقد كن اغرارا ، ظنن وراء الاكمة شيئا ، فلم يجدن الا هواءوغرورا

قالت شهرزاد : واعراضا عنهن وفرارا منهن

قلت : فانى شافع فيهن

قالت : سنرى فى أمرهن ، ولكن لنسرع الى صديقنا الاسير فما ينبغى أن تستأثر به الاشباح الضاربة

ولابد من أن أعيد عليك قصة صديقنا الاسير من بدئها فانك لم تعرف الا آخرها : هو الآن محصور فى سجنه مغلوب على أمره ، تتراءى له الاشباح موعدة منذرة ، ولكنها لا تبلغه

لكان هؤلاء الجنود السود ، وهو كلما رآها إضطرب من رأسه الى قدميه وجرت الرعشة فى بدنه كله ، فأسنانه تصطك وفرائصه ترتعد وصوته يخرج من فمه هائلا مبهما لا يفهم منه الا شيء واحد وهو أنه جزع يستنجد ويستغيث . فكيف انتهى الى هذا السجن ؟ عرفنا ذلك من أمره فيما بعد ، فلا تسل عن ضحكنا منه ولا تسل عن ضحكه من نفسه . وما أظن الا أن هذه القصة التى وقعت له فى دهليز من دهاليز القصر المسحور ستملا ما بقى من حياته الطويلة ان شاء الله ضحكا وفرقا

سيضحك منها اذا لقى الناس وأمن الاعتداء عليه، وسيفرق منها اذا خلا الى نفسه وأشفق أن تنجم له الاشباح من الارض او تهبط عليه من السقف او تنشق له عنها الجدران

كان اذن يضرب فى دهاليز القصر وقد اتخذ معطفه وقاء من كل شر ، لا يخرج من دهليز الا دفع الى دهليز ، ولا يفصل عن بهو الا ألقى الى بهو ،حتى ضاقت به السبل ، وسدت عليه الطرق ، وكان قد منى نفسه بالافلات وزين لها النجاة ، وكان قد اخذ ينعم بأول الانتصار ويرى انه قد خلص من هؤلاء الفتيات الحسان وأمن عبثهن بجسمه وعقله معا . ولكنه يمضى فى الابهاء ويدور فى الدهاليز دون أن يجد مخرجا الى النور حتي طال عليه الوقت واشتد عليه الكرب وثقلت عليه المحنة ، وعظم فى نفسه البلاء . وانه لفيما هو فيه من السعى الذى لا يكل والدوران الذى لا يجدى ، واذا بصيص من نور ضئيل يخلص اليه من بعيد فيخيل اليه انه قد وجد خيط

اريان ، ويرى نفسه غريقا قد اتيحت له خشبة النجاة فهو يتعلق الى هذه الخشبة بيديه ورجليه واسنانه . وهو يتبع هذا النور الضئيل وقد عقد به امله كله ، ووصل به نفسه كلها . وهو يجمع ما بقى له من قوة ويجرى فى أثر هذا النور حتى ينتهى الى فرجة ضيقة فى الجدار فيدخل نفسه فيهـا ويجاهد ويحتال حتى ينفذ الى ما وراء الجدار . واذا هو فى فضاء واسع يضطرب فيه نسيم بارد قوى يرد اليـــه بعض ما فقد من قوته . وكان خليقا وقد خرج الى الفضاء الطلق خائر العزم منهوك القوى أن يتهالك على الارض ليستـريح ، ولكنه يمضى أمامه وقد أسلم ساقيه للريح واقسم فى دخيلة نفسه الا يطمئن ولا يستقر حتى يبعد عن هذا القصر البغيض والفضاء أمامه واسع عريض قـد اختلطت أرجاؤه وأطبقت عليه ظلمة كثيفة يخترقها بين حين وحين هذا النور الضئيل ، فيتبعه صاحبنا جادا فى ذلك كل الجد ، ومايشك فى أن قدرة الله قد ارسلت اليه هذا الشعاع فرجا من حرج ، ومخلصا من ضيق ، ولكنه يقف فجاة فى شيء من الذهول والدهش كانه قد احس شيئا من طريق السمع أو من طريق البصر . فاذا مضت عليه لحظات قصار زال عن نفسه الشك وفارقهـــا الريب ، فهو يحس شيئا من طريق السمع والبصر معـا . يرى بناء متواضعا قد قام منه غير بعيد ، أو يخيل اليه ان شخصا ماثلا قريبا من هذا البناء ، ويسمع صوتا تحمله اليه الريح لا يفهمه اول الامر ولا يثبته ، ولكنه يصغى اليه ثم يدنو منه فاذا هو يسمع ويثبت ويفهم ويعى ، واذا هو دهش قد

كاد يفقده الدهش رشده ، وذاهل قد كاد يغلبه الذهول على ما بقى له من صواب ، انه يسمع صوتا عربيا يتغنى غناء عربيا ، فاذا أطال الاصغاء ، خلص اليه من هذا الغناء شعر عربى فصيح ، هنالك ينكر الرجل نفسه ، ويتهم حسه ، ولا يكاد يشك فى أن أطيافا من هذه الاطياف التى تملا الجو قد مكرت به واحتالت عليه ، حتى أوقعته فى شر مما فر منه، ذلك أنه فى فرنسا فى اقليم سفوا العليا ، فاذا أتيح له أن يسمع صوتا يتغنى فى ظلمة الليل فأقصى ما يمكن أن يكون هذا الصوت فرنسيا يتغنى شعرا فرنسيا . ولكن ماذا ؟ انه ليس مجنونا ولا مختلط العقل ، فهو يسمع غناء ، وغناء عربيا فصيحا يملؤ عليه الجو من حوله ويدعوه ، نعم يدعوه ويلح عليه فى الدعاء والاغراء ، انه يتبين الالفاظ التى يسمعها ، انه يحفظها، انه يعيدها على نفسه ، انها تقع من قلبه الجاف المحترق مواقع الماء من ذى الغلة الصادى . انها ملات قلبه ونفسه ، انها ملكت عليه أمره ، انها قد استهوته استهواء ، واستفوته استفواء ، ان هذا الغناء يصل الى أبيات من الشعر لا يكاد ينتهى اليه البيت منها حتى يعيده كما سمعه كأنه صبى يعيد على معلمه ما يلقى عليه من الكلام :

اهلا وسهلا بخائف يمشى مستوحش هارب من الوحش

نعم انا والله هذا القادم ، انى لامشى فى هذا الفضاء العريض مستوحشا ، وما هؤلاء الفتيات اللاتى هربت منهن الا وحشا من وحش الجن لا من وحش الانس

فر من القصر وهو يجهل ما دبر من حيلة ومن غش

نعم والله ، لقد فررت من ذلك القصر البغيض وما أدرى ماذا دبر لى كيد شهرزاد ومكر طه حسين

اقبل فعندي لك الامان وما   يدنيك فورا من أرض سالنش

لبيك لبيك ، هأنذا آمن من الخوف ، فاحملني الى سالنش، الى فندق مون جولى ، فقد بعدت عنه وقد اشتقت اليه ، انى لمتعب ، انى لمكدود ، ما أشد حاجتى الى الراحة

ان شئت نوما فعندنا سرر   وثيرة فرشها من القش

من القش ، أو من الحطب ، أو من الخشب ، أو من الحجر ، النوم ! النوم ! انى أريد أن انام لافلت من هذه الاحلام المروعة

او شئت شربا فان بيرتنا   تملا رأس النديم بالوش

لقد نضب ريقى ويبس حلقى ، وجف لساني حتى كأنه الحطب ، بيرة سالنش فى تلك القهوة الصغيرة ، قهوة الجبل الابيض التى كنت أخلو فيها الى نفسى والى القدح والقرطاس سبع ساعات كاملة

او شئت اكلا فان جبنتنا   لا يأتلى دودها من النغش

كاممبير ، ركفور ، روبلوشون ، جبنة مصر ، يجب ان أكون نائما فما ينبغى أن يكون ما أسمع وما أحس الا حلما

والحب عندى كما اشتهيت له   بيض عظام قريبة الفقش

هنا يمتلىء فم صاحبنا بضحك عريض متهلل وتنطلق ساقاه فى الريح، لقد أيقظه هذا البيت ونبهه، لقد عرف هذا الصوت، انه صديقه طه حسين قد أقبل يخلصه وينجيه ، ان هذا البيت يذكره بذلك السؤال الذى القاه ذات ليلة على المائدة حين قدم له لون من الطعام يسميه الفرنسيون بئر الحب ،

واراد أن يسأل أيدخل البيض فى تكوين هذا اللون . فقال : أفى الحب بيض . فضحكت الجماعة ، وأجابه صديقه طه حسين نعم فيه بيض يفقس عن فروج ، هو اذن طه حسين قد طالت عليه غيبتى فأقبل يبحث عنى ويستنقذنى

أصـــحـــابنا كلهم ذوو بله   تأمن منهم مـــرارة القفش

انه لطه حسين ما أشك فى ذلك ، انه يطمئننى ويهدىء روعى ، وينبئنى بأنه لن يعبث بى ولن يتندر على كلما هفوت فى حركة أو حديث

حيـــاتنا لو علمت ناعمــــــة   لم يلقها قط عاهــل الحبش

الحبش ! وما خطب النجاشى فى هذه القصة ؟ لقد علمت أنه كان فى لندن ، ثم ذهب منها الى جنيف ، ثم عاد منها الى لندن، فمالى وللنجاشى ، ألا أزال مختلط العقل ، أنائم أنا كاليقظان ! أيقظان أنا كالنائم

أقــل ما فى أقلهـــــا سمك   يسبـــح فى بركة مـــن المش

سمك ! بركة ! مش ! فقد أتيح لى اذن كل ما أنا محتاج اليه . أستطيع أن أصيد وأستطيع أن أسبح واستطيع أن ارتوى

اقبل اعنا على الهموم فقـــد   ضقنا ذراعا بالكنس والرش

كلا . كلا . لست يقظان بل أنا نائم ، لست نائما بل أنا يقظان . لست عاقلا بل أنا مجنون ، لست مجنونا بل أنا عاقل. ماذا أسمع ؟ الكنس والرش ، ان طه حسين لا يكنس ولا يرش ، ولكنه يقرأ المتنبى ويتحدث عن شهرزاد . أين أنا ! ماذا دهانى ماذا أصابنى ! ثم تنحدر من عينيه دموع غلاظ ساخنـــة .

ولكن يدا ضخمة عريضة ثقيلة تنقض على كتفه ، وصوتاغليظا اجش يقول له فى نبرات مرتعشة يرتعش لها الفضاء من حوله ويرتعد لها جسمه النحيف : هون عليك فما بك من بأس

هنالك يصيح الاسير الهارب : من انت ؟ ألست طه حسين ؟

فيجيب الصوت الغليظ الاجش : كلا يا سيدى ، ولكنى رئيس الشرطة فى القصر المسحور . علمت بفرارك ولم ارد ان آخذك أخذا عنيفا ، فمددت لك أسباب الامل وزينت لك طريق الهرب حتى انتهيت الى ما كان يجب أن تنتهى اليه من الاذعان لسلطان شهرزاد . والامور كلها تجرى فى هذا القصر المسحور على نحو من هذه الدعابة الحرة التى تظهر قاسية بعض القسوة ولكنها لينة كل اللين . فلا تخف ولا تحزن واستقبل أمرك راضيا مطمئنا فما ارى الا أنه سينتهى الى ما تحب وترضى . قال ذلك وقاد الاسير الى هذا البناء المتواضع ، حتى اذا تجاوز الباب نظر توفيق فاذا سرير عليه وسائد من القش قد هيىء له كأنما يدعوه ليستريح . قال توفيق وقد اختنق صوته بالبكاء : ماذا تريدون أن تصنعوا بى ؟

قال رئيس الشرطة : نريد أن نريحك شيئا فقد اجهدك الهرب ، ونريد أن نطعمك فقد اضناك الجوع ، ونريد ان نسقيك فقد الح عليك الظمأ ، ونريد أن نرضيك ونرفه عليك فنعود بك الى غدير لا يفلت منك سمكه . ثم نريد بعد هذا كله أن نردك الى مولاتنا شهرزاد لترى فيك رأيها ، وماأظن الا أنها ستدفعك الى فتيات أخريات ملاح أو فياح ، يصلحن من أمرك ثم يعدنك

اليها خليقا ان تكون لها سميرا ، فان شهرزاد ان قضت شيئا لم يرد قضاءها الا الله

سمع توفيق هذا كله فخر على سرير القش لا يعى شيئا ، أكان نائما ؟ أكان مغشيا عليه ؟ ولكنه أفاق بعد لحظة فاذا هو فى مكان مظلم ينفذ اليه نور ضئيل شاحب تمنى بعد لحظة لو لم ينفذ اليه . فقد استطاع أن يتبين بفضل هذا النور وجوه ثلاث من الاماء السود كأقبح ما خلق الله وكأبشع ما عرف الناس ، وقد انحنين عليه فى رفق أيسر من العنف ، وابتسام اجمل منه العبوس ، وهن يداعبنه بأصوات منكرة ويمسحن وجهه وعنقه بأيد خشنة تجرى فى جسمه قشعريرة فظيعة وهو يصيح بهن : من أنتن ! ما خطبكن ! ماذا تردن منى ! اليكن عنى ، وكأن زجره لم يكن الا اغراء فهن يقبلن عليه ويدنين منه ، ويبسمن له عن أنياب كأنها أظفار السباع ، ويمددن اليه شفاههن البشعة المنكرة يظهرن الرغبة فى تقبيله وهو يلتمس معطفه ليتقيهن به فلا يجده ، وهو يهم أن ينهض ليعدو هاربا فلا يستطيع لانه يحس فى رجليه ثقل القيد ، واذا هو يتقيهن بالوسائد يحمى بها منهن وجهه ، ولكن ايديهن الخشنة تعمل فيما بقى لهن من جسمه عملا ثقيلا طويلا مؤذيا ، حتى اذا بلغ منه الجهد وادركه الاعياء وكاد يعود الى النوم او الاغماء تفرقن عنه لحظة ثم أقبلن عليه وقد ثاب اليه شىء من رشد وقوة فأجلسنه مترفقات وقدمن اليه طعامه وشرابه من جبن كاممبير وبيرة سالنش . فيسرع الى ما قدم اليه من ذلك اسراع النهم الشره الذى انهكه الجوع . وما يكاد يفرغ من

طعامه وشرابه ويسترد حظا من رشده وصوابه ويبدأ التفكير فى امره كيف ابتدأ والام انتهى ؟ حتى يرى رئيس الشرطة مقبلا عليه ومن ورائه غلام اسود نحيف ولكنه حسن الطلعة يحمل ادوات الصيد كاملة . فاذا رأى توفيق ادوات الصيد عاد اليه نشاطه وجرت على وجهه المتعب الشاحب ابتسامة حلوة فيها سذاجة الطفل البرىء ، وهم ان ينهض ولكن القيد يثقل رجليه فيثوب الى نفسه حزينا مبتئسا ، ولكن صاحب الشرطة يدنو منه متلطفا له فيحط عنه القيد ويخلى بينه وبين الحركة والنشاط

ونهض الاسير سعيدا بهذه الحرية التى ردت الى رجليه ، مغتبطا بهذه النزهة التى تهيأ له عند غدير يصطاد فيه السمك ، معجبا بذكاء هذا الغلام الاسود النحيف الرشيق الذى لم ينس من ادوات الصيد ما تعود هو ان ينساه ، فاحتمل معه سلة رحبة كأنه ينتظر أن يصطاد سمكا كثيرا ، ولكن توفيقا عندما حدق فى هذه السلة الرحبة عاد اليه الشك وابتسم فيما بينه وبين نفسه والتفت الى رئيس الشرطة قائلا : « اجادون انتم فى امر هذا الصيد ام لايزال عبثكم بى متصلا ؟ » قال صاحب الشرطة : « هلم ياسيدى ، سترى عندنا وتفهم ما لا تريد ان ترى ولا تفهم من ان حياة الناس مزاج من الجد والهزل لاتخلص لأحد الامرين » . قال توفيق وهو يتبع صاحب الشرطة والغلام يتبعه : ما رأيت كالليلة جدا وهزلا ، وقسوة ولينا ، وعبثا وفلسفة . ومضى صاحب الشرطة امامه يتبعه توفيق والغلام يتبعهما ، حتى اذا

مشوا دقائق وقف صاحب الشرطة عند باب ، ثم ادار فى الباب مفتاحا فانفتح له ثم دخل وقال لتوفيق اتبعنى ياسيدى. فلم يكد توفيق يخطو امامه خطوات حتى ارتد مسرعا وقد اشاح بوجهه وقد وضع يديه جميعا على انفه وفمه . قال صاحب الشرطة : اتبعنى ياسيدى . قال توفيق الى أين ؟ قال صاحب الشرطة الى الصيد ! قال توفيق أى صيد ؟ قل الى الموت : ما هذه الريح الكريهة القاتلة ؟ قال صاحب الشرطة وهو يضحك ! انها الريح التى تحبها وتكلف بها ، ريح الجبن . لقد اكلت منه حتى عفته ، فمالى وللجبن ، واين يكون الجبن من الصيد ؟ قال صاحب الشرطة وهو يلح فى رفق : اتبعنى ياسيدى واعلم ان المزاح فى قصر شهر زاد لايكذب ابدا . انسيت البيت الذى استهواك منذ حين :

اقل ما فى اقلها سمك

قال توفيق :

يسبح فى بركة من العسل

قال صاحب الشرطة : هذا كلام تقرؤه فى ديوان المتنبى مع صديقك طه حسين . وكنت خليقا ان تصطاد سمك السكر واللوز من بركة العسل لو لم تخالف عن امر شهر زاد . فأما وقد فعلت ، فستصطاد الفسيخ والرشال والسردين من بركة المش . ثم احس توفيق كأن قوة خفية تحمله وتدفعه الى الامام ، ونظر فاذا هو قد شد الى كرسى من الخشب واجلس الى حوض طويل عريض يضطرب فيه سائل كدر كريه ويلعب فيه سمك مختلف الالوان والاحجام . واذا

اداة الصيد فى يد توفيق ، واذا صاحب الشرطة يقول له فى اناة وهدوء ، تستطيع ان تلهو بالصيدحتى نأتيك. ثم ينصرف عنه وينصرف عنه الغلام . ويهم توفيق ان ينهض ليتبعهما فلا يستطيع لانه قد شد الى كرسيه شدا . على ان محنته هذه لاتطول ، فقد اصطاد سمكتين او سمكات ، وكان كلما اخرج واحدة منها وهم ان يخلصها من السنارة وثبت اليه هذه تعلق بأنفه ، وهذه تعلق بخده ، وهذه تعلق باحـدى اذنيه ، وانه لفى هذا الكرب العظيم والعـذاب الاليم ، واذا ضجيج يسمع من بعيد ثم يدنو شيئا فشيئا ثم يعظم حتى يملأ الجو ، واذا صاحب الشرطة يقبل ومعه جماعة من الجند فيحملون توفيقا وقد خارت قواه ويسعون به مسرعين الى حيث يلقونه القاء فى هذه الحجرة التى تهاجمها الاشباح وتقوم دونها الجنود السود . وقد ادركته شهر زاد وانا معها ولم يبق فيه الا رمق من حياة ، فلم تكد الملكة تدنو من السجن حتى انحاز عنه الاشباح ناحية واقاموا مع ذلك ملحين يطلبون راس هذا الاسير الذى اســـاء اليهم فى انفسـهم وكرامتهم واعراضهم ، ويقسمون لايريمون حتى يبلغوا منه مايريدون. قالت شهر زاد فى صوت كأنه حديث الورد النضر ، ان كنت قد سمعت للورد النضر او الذابل حديثا ، عودوا الى مكانكم من القصر ، فسيكون لى معكم حديث ، ولكم على الا تنصرفوا الا راضين

سمع الاشباح هذا الحديث الحلو من ذلك الصوت العذب ، فانصرفوا فى اناة وهدوء ، وهمت شهر زاد ان تعود ادراجها

ولكنى قلت لها مستعطفا : والاسير ياسيدتى ؟ الم يأن لك ان ترديه الى ما انت اهل له من العفو والفضل ؟ قالت بلى ، ولكن بعد ان يأخذه الفتيات الحسان فيصلحن من امره ويعدنه الى كما اريد ان يكون . وما اتمت هذه الجملة حتى اقبلت الفتيات الثلاث الحسان مستخذيات يسعين على استحياء ويخفضن رؤوسهن ذلا وانكسارا . فأخذن توفيقا واحطن به وانصرفن معه الى الحمام

وتعود شهر زاد وانا معها الى حيث كنا نأخذ فيما كنا فيه من حديث المحاكمة لهذا الاسير البائس ، ونلتمس الحيل والوسائل الى استنقاذه من هذه الاشباح الضارية والارواح الباغية ، وانا اهون الامر على شهر زاد وأؤكد لها ان الزمان قاض عدل حازم لايعرف الضعف ولا الظلم الى نفسه سبيلا، تتغير الاشياء من حوله وتتبدل الظروف وتلتبس اخلاق الناس ، ويتنكر الاحياء للأحياء ، ويتنكر الاموات للاموات والاحياء ايضا ، تنقضى الدول وتقوم مكانها دول اخرى ، وتثل العروش وتبنى مكانها عروش اخرى ، ينتظم امر الناس ويضطرب ، وتجتمع كلمتهم وتفترق ، والزمان كما هو ثابت مستقر لايحول ولايزول . وان توفيقا لم يقدم على ما اقدم عليه حين كتب قصته الا وهو عالم بما يأتى وما يدع ، مقدر لما سيلقى من نقد ، متهيء لاحتمال ماسيتعرض له من تبعات ، وهو قد ثبت للاحياء فليس عليه خوف من الاموات . وانا لفى هذا الحديث واذا شهر زاد تبعث من فمها الظريف الدقيق آهة الفرحة المرحة المبتهجة الطروب ، فقد انفرجت الاستار

الجانبية عن توفيق الحكيم وهو اجمل منظرا وابهى طلعة مما يستطيع اصدقاؤه ان يتصوروا مهما تذهب بهم الظنون

والفتيات الثلاث الحسان يعلمن وحدهن ماذا انفقن من جهد وماذا سلكن من حيلة ليرددن توفيق الحكيم الى شهر زاد شابا وسيما انيقا رائع الجمال . ومن يدرى لعله يقص عليك سيرته معهن او سيرتهن معه حين يكتب مذكراته فى يوم من الايام



فى حضرة شهرزاد

القى توفيق الحكيم على المكان نظرة ذاهلة حيرى ، واذا عيناه تقعان على شهر زاد الجميلة بين وسائدها الحريرية الموشاة بالذهب والفضة كأنها الشمس بين النجوم ، وقد مثل بين يديها الدكتور طه حسين يتألق فى ثوبه المزركش ووجهه الوضاء كأنه القمر . فما تمالك الاسير ان صاح :

يا للعجب ! طه حسين ايضا ، حليقا رشيقا ، وسيما انيقا !

شهر زاد : ينبغى لمن دنا منى ان يكون كذلك

طه : (فى خيلاء) او يعيش الى جانب شهر زاد الا من مسته يد الجمال ؟ !

توفيق : كلام جميل !.. لكن ما قولكما ...

شهر زاد : تكلم ايها العزيز !

توفيق : أمن الجمال ماصنع بى صاحب شرطتك ياسيدتى العزيزة !

طه : (يضحك ضحكا قويا) ماذا صنع بك ؟

توفيق : اتضحك ؟ !

طه : قص علينا ماجرى لك بالتمام والكمال

توفيق : وانت قص على بالتمام والكمال سر هذا الضحك الذى لا افهم له معنى !

طه : اما انا فأفهم له معنى بديعا !

شهر زاد : (باسمة) وانا كذلك افهم له معنى رائعا !

طه : (مترنما باسما) :

ان شئت نوما فعندنا سرر   وثيرة فرشـــها من القـــش
او شئت شربا فان بيرتنا   تملأ راس النديم بالوش
او شـــئت اكلا فان جبنتنـــا   لا يأتلى دودها من النفش

توفيق : (وهو كظيم) لابأس !

شهر زاد : (تستطرد مترنمة باسمة) :

والحب عندى كما اشتهيت له   بيض عظام قريبـــة الفقس
حيـــاتنـــا لو علمت ناعمة   لم يلقها قط عاهل الحبش
اقل ما فى اقلها ســـمك   يسبح فى بركة من المش

توفيق : (فى تقطيب) مرحى ! مرحى ! ارى انكما على علم واسع بكل ما وقع وكان ...

طه : أمر واحد لاندرى عنه شيئا

شهر زاد : نعم اخبرنا ما فعلت بك الفتيات فى الحمام ؟

توفيق : فتياتك ياسيدتى خليعات وما كان من امرهن معى ليس مما يحسن ذكره فى حضرة الملـــكات !

طه : (فى ضحكة خبيثة) اكان الماء باردا أم دافئا ؟

توفيق : كان كل شيء باردا ! استرحت الآن ؟ واستراحت جلالتها ؟ !

شهر زاد : وا اسفاه ! انك قد غضبت . ونحن لا نحب لك ان تغضب ؟

توفيق : وماذا تحبين لى ياسيدتى ؟

شهر زاد : كل الخير

توفيق : يا لك من ملاك طاهر !

طه : (فى خبث ومكر) اتتهكم على مولاتنا !

توفيق : سبحان الله فى طبعك يادكتور ! انك تلقى الـكلمة فتحرج بها المواقف ! وتعقد المسائل ، ثم تقول عنى بعد ذلك انى رجل معقد !

طه : (فى قوة) انا صريح . القى كلمة الحق صريحة !

شهر زاد : نعم . وهو يلقيها فى جراة ولا يخشى فيهـا لومة لائم . ومن اجل ذلك احبه

توفيق : هنيئا لك به ! وهنيئا له بك !

شهر زاد : عجبا من العجب ! ادرك بين نبرات صوتك . .

طه : وانا ايضا ادرك . .

توفيق : ماذا تدركان ايها الصاحبان المتفقان ؟!

شهر زاد : نبرة تنم عن غيرة خفية اذ قلت انى احبه !

توفيق : دخلنا منطقة الـكلام الفارغ الذى لاتحذقه غير المراة !

طه : (صائحا) استغفر الله ! استغفر الله

شهر زاد : (لطه) دعه ! فان عداوته للمرأة سوف تكلفه ما لا يطيق

طه : اريد ان القى كلمة صريحة ولكنى اخشى ان يقول عنى . . .

توفيق : (مسرعا) اياك ان تلقى شيئا . اهون على نفسى ان القى انا فى بركة « المش » مرة اخرى من ان تلقى انت فى امرى كلمة حق ، او ان تلقى امامى شهر زاد كلاما فى الحب والغرام !. .

شهر زاد : ياصديقى ! اود لو افضيت الى بسر ...
توفيق : ليس عندى سر ...
شهر زاد : هذا الفتور والنفور بينى وبينك اليوم ؟
طه : ما من سر غير انه مثل اغلب الشعراء واهل الفن يلفظ النعمة ثم يبكيها !..
شهر زاد : (لتوفيق) استبكينى غدا ؟ !
توفيق : (يصمت ثم يفكر قليلا وينظر الى شهر زاد قليلا ويهمس) ربما ، انى من فصيلة لاتغرد الا فوق اطلال نعمة ذاهبة وآثار هناء ضائع !
شهر زاد : نعم ، هو مرض الشعراء والفنانين ! وان‌شئت فهو ناموسهم الطبيعى . كم ارثى لاولئك الاشقياء البائسين !
توفيق : يعجبنى رثاؤك الحار هذا ياسيدتى !.. توقعين الناس فى البلاء ثم ترثين لحالهم !
شهر زاد : من اوقعت فى البلاء ؟
توفيق : لا اريد ان ابعث الماضى فأذكر لك شهريار وقمرا وغيرهما ممن تتراءى لى اشباحهم اليوم ثائرة على . انما اريد ان اذكر لك رجلا ماثلا امامك وبلاء لم يمض على وقوعه غير قليل !
شهر زاد : انت ؟
توفيق : نعم
طه : اتسمحان لى ان القى بكلمة حق صريحة ...
توفيق : اقسم بالله ثلاثا ان نطق طه حسين بكلمة حق او باطل لاقذفن بنفسى من النافذة !

شهر زاد : (لطه) انتظر هنيهة ياعزيزى حتى تهدأ نفس صديقنا !

طه : قد سكت ...

شهر زاد : انك تحسبنى انا التى امرت بك صاحب شرطتى ورجالى !

توفيق : وهل فى هذا القصر آمر ناه سواك ؟

شهر زاد : انك تبالغ فى مقدار أمرى ونهيى !

توفيق : يا للعجب ! اهذا صحيح ؟ !

شهر زاد : ثق ان هـذا صحيح . وانى لم احب لك كل ما صنع بك . ولو استطعت ان امنعك وأدرأ عنك لفعلت. قلبى مفعم بالخير والحب . ولكن سلطانى قاصر ...

توفيق : ايطلب الى انا ان اصدق هذا الكلام ؟ انت الملكة العظيمة صاحبة الحول والطول فى قصرك هذا على الاقل !

شهر زاد : ثق ان الملوك بل الآلهة لايستطيعون دائما ان يصنعوا كل ما يشاءون !

توفيق : وما قيمة ذلك الاله الذى لايستطيع ان يصنع كل مايشاء !

شهر زاد : وهل يتصور كون منظم يديره اله يستطيـع ان يعبث بكل ما يشاء وقتما يشاء ؟ !

توفيق : (يلتفت الى طه) ما رأيك ياصديقى الدكتور ؟

طه : عجبا لك ! الآن تطلب الى الكلام ؟ فى هذا الموضوع الشائك حيث يجب على السكوت !

توفيق : (لشهر زاد) ارجو منك ياسيدتى ان تطلبى الى

صديقك الجرىء ان يلقى الآن كلمة حق صريحة !

طه : (لشهر زاد) كلا ياسيدتى العزيزة لا تفعلى . انى الآن عميد مسئول . ولا شأن لى بالكلام فى الاديان والآلهة ، وحسبى ما حدث لى قديما ...

شهر زاد : (لطه باسمة) يظهر ان صديقنا ليس ساذجا الى الحد الذى نظن

طه : قلت لك انه معقد

توفيق : (لطه) اانا معقد لانى طلبت رايك فى موضوع دقيق ؟

طه : استعود اليه ؟ رجائى الخالص منك ان تترك آلهة الاغريق والرومان وشأنهم !

توفيق : ان شهر زاد هى التى ذكرت الآلهة ، وما اردت منها الا ان تذكر لى صاحب الامر الاعلى فى هذا القصر

طه : نعم ، تكلما فى شئون هذا القصر

شهر زاد : فى هذا القصر وفى غير هـذا القصر ، هنالك سلطان اعلى يخضع له كل كائن حى وغير حى ، وكل خالق وكل مخلوق

توفيق : من هو هذا السلطان ؟

شهر زاد : القانون

توفيق : واى قانون هذا الذى امر بتعذيبى اليوم ؟

شهر زاد : قانون القصر

توفيق : ومن سن هذا القانون ؟

شهر زاد : انا

توفيق : أو تخضعين له ؟

شهر زاد : لامناص لى من الخضوع ، والا اختل نظام القصر وحلت فيه الفوضى

توفيق : يا للعجب ! اعرف حكومات شتى تسن القوانين ولا تخضع لها ...

طه : حقا .. اذكر ان قوانين الجامعة ... (ثم يسكت فى الحال)

توفيق : تكلم !

طه : كلا ... لاشىء ...

شهر زاد : (فى سخرية) نعم ان البشر لهم هذا الامتياز على الآلهة . فهم يستطيعون ان يعبثوا بالقوانين التى يسنونها . اما الآلهة فلا يستطيعون مطلقا ان يحيدوا قيد انملة عن النظام الذى وضعوه والقانون الذى خلقوه !

توفيق : (فى اعجاب) انهم آلهة !

شهر زاد : وبعد ؟ ارايت ياعزيزى كيف انى بريئة مما الم بك ، وان قلبى لايمكن ان يحل فيه غير الحب والصفاء !

توفيق : وان ما نزل بى هو من فعل القانون ؟

شهر زاد : هو ذاك

توفيق : ربما كنت صادقة . انى دائما يخيل الى ان العظمة فى عليائها لاتعرف غير الصفاء . ولا اتصور خالقا ينظر الى مخلوقاته نظرة غير نظرة الصفاء العميق !

طه : هذا كلام طيب . وما دمنا فى صدد الصفاء ، فما يمنعنا الآن من ان نعمر قلوبنا به . وان يقبل احدنا على

الآخر باسم الثغر صادق الود

شهر زاد : لا احب الى نفسي من هذا !

توفيق : وانا ايضا ... لا احب الى نفسي منه

شهر زاد : (في فرح) حتى انت ! ؟ لا اصدق ما اسمع

توفيق : يا للعجب ! ماظنك بي ؟ اترينني بهذا المقدار انسانا لايعرف الود ؟ !

شهر زاد : كدت اظن هذا

طه : االقى كلمة حق صريحة ؟ !

توفيق : الق الآن ما شئت

طه : اني اعرف توفيق الحكيم احفظ الناس للود ...

توفيق : اتتهكم ؟

طه : (مأخوذا) سبحان الله ! احكمي ياسيدتي بالعدل ! انا تهكمت الآن ؟

شهر زاد : على النقيض .. ان في صوتك صدقا واخلاصا

توفيق : (في خجل وندم) اني آسف . لقد اسأت الظن بصديقي ... ولم اصدق ذلك القول منه

شهر زاد : لو عرفت ما يصنع صديقك من اجلك ... انه لم ينقطع عن التفكير معي في التماس الحيل وتدبير الوسائل الى استنقاذك من هذه الاشباح الثائرة عليك

توفيق : اهو صنع هذا ؟

شهر زاد : انه فعل اجمل من هذا . انه رأى اقناع الاشباح بالامتثال الى حكم « الزمن » فيك . وهو واثق ان كلمة هذا القاضي ستنصفك وتنصرك عليهم جميعا

توفيق : واذا لزم الزمن الصمت ولم يتكلم فى أمرى بخير او بشر ؟

شهر زاد : انه قد دعى الى الكلام والحكم ، فى مجلس تحضره انت ويحضره المطالبون براسك والشهود العدول وقد وعد بالكلام والحكم فى الامر

توفيق : المطالبون برأسى !

شهر زاد : او لا تعرف انهم طلبوا رأسك ؟ !

توفيق : وما ذنب رأسى ! اخزاهم الله !

شهر زاد : الم يخرجوا منه ! انهم يريدون تحطيم المكان الذى خرجوا منه على تلك الصورة التى لاترضيهم ؟ !

توفيق : وكيف يحطمونه !

شهر زاد : « الجلاد » قال انه سيتولى ذلك فهى مهنته

توفيق : ذلك « الجلاد » العاطل !

شهر زاد : ان امرك الآن رهن هذه « القضية »

طه : انها ستكون قضية « الفكر والادب »

شهر زاد : ينبغى ان تستعد للدفاع عن نفسك

توفيق : والقاضى ...

شهر زاد : قلت لك هو « الزمن »

طه : اظنك لا تطمع فى اعدل منه !

توفيق : ومتى يوم المحاكمة ؟

شهر زاد : لم يحدد بعد . فقد رأى القاضى ان يبدأ بدرس موضوع القضية . وقد طلب نسخة من « الكتاب » فأرسلت اليه

توفيق : كل هذا عجيب . وكل هذا لم يكن فى الحسبان . انا الذى جاء الى جبال سافوا طلبا للراحة والهدوء ؟

طه : اصبر ! لئن حكم « الزمن » لك فأى انتصار يكون وقتئذ للفكر وحرية الفكر ! وعند ذاك ننشر هذا الحكم فى الصحف معلنين انتهاء عهود الظلام وابتداء عهد النور !

توفيق : واذا حكم بتسليم راسى الى ذلك الجلاد الذى باع سيفه لصاحب خان يحرق فيه القنب ويؤمه انصاف المجانين !

طه : كلا .. ان ايمانى كبير بحكمة هذا « القاضى »

توفيق : وانا ... مع الاسف ...

ولم يتم توفيق الحكيم عبارته . فقد هبت فجأة ريح عاصفة خلعت استار النافذة ودخلت القاعة محملة بغبار كثيف فى لون الرماد ، القته على فرش « شهر زاد » كما يلقى الشىء .. ثم خرجت الريح من حيث جاءت وهذا المكان كأن شيئا لم يحدث قط . ونظرت شهر زاد الى فرشها . فاذا الرماد عليه قد اتخذ هيئة الخطوط والحروف واذا هى رسالة تقرأ موجهة اليها . فطالعتها بامعان ثم صاحت :

ـ تلك رسالة من « الزمن » !

طه : (فى جد واهتمام) ماذا يقول فيها ؟..

شهر زاد : (فى كآبة) وا حزناه !

طه : (فى قلق) بحقك ماذا ؟

شهر زاد : انه لايريد ان يبقى المتهم طليقا . ويعلن انه سيأمر به فيحبس حبسا احتياطيا حتى يصدر فيه الحكم

توفيق : (لطه متهكما) ارايت « حكمة » هذا القــاضى الذى جئتنى به !

شهر زاد : صبرا ولا تخف !

طه : (لشهر زاد) واين يكون الحبس ؟

شهر زاد : فى مكان لايعرفه غير « القاضى »

طه : وكيف يقاد المتهم الى ذلك المــكان ؟

شهر زاد : ربما امر به الزوابع فاختطفته !

توفيق : (صائحا) خطف آخر !.. حرت والله وكدت اجن لامر هذا الخطف . الا يعرفون وسيلة اخرى فى هــذا المكان غير هـــــذه ! اذا طلبت للمسامرة اخطف ، واذا طلبت للمحاكمة اخطف ! الا نكون فى امريكا دون ان نعلم ؟ !



القلق على توفيق الحكيم

قلت وقد نهضت متثاقلا كئيبا ، فهل تأذنين لى ياسيدتى فى ان اودعك الآن لا قاليا ولا ساليا . قالت فى هذه السرعة وما يعجلك . قلت فان لى ياسيدتى اهلا ماينبغى ان تطول عنهم غيبتى . قال توفيق فى غضب وخبث وعملا ما ينبغى ان يطول اهمالك له . قلت فى ضحك ورثاء هو ذاك . قالت شهر زاد نعم هو ذاك ، ان لاهلك عليك حقا وان لعملك عليك حقا ، فأما الذين ليس لهم فى فرنسا اهل ولا عمل ...

قال توفيق : فمن الممكن ان يخطفوا وان يسجنوا وأن تلح عليهم المصائب وان تفعل بهم الافاعيل . قالت شهر زاد وقلت معها ضاحكا هو ذاك . قال توفيق فى صوت محزون تكاد تخنقه العبرة : لست جادا فيما تعزم عليه من الانصراف. قلت كل الجد ، وانك لتعلم انى لا استطيع البقاء ، ولست ادرى فيم حرصك على بقائى . قال اما انا فأعلم فيم حرصك على الانصراف ، انما تريد ان تتركنى وحيدا اقاسى ما اقاسى من الجهد واحتمل ما احتمل من الهم والقى ما القى من العناء . قالت شهر زاد : شكرا لك ياسيدى ما اعرف ادبا اجمل من هـذا الادب ولا ظرفا ارق من هـذا الظرف . قال توفيق مرتبكا : سيدتى انك لتسيميننى ما لا يسام، ولست افهم كيف تنتظرين الادب والظرف من رجل مثلى قد صبت عليه المحن ، مخطوف يراد به الخطف ، وسجين يراد به السجن،

واسير كان يطمع فى حريته فاذا اقصى آماله سجن جديد لايعرف اين يكون ولا كيف تكون حاله فيه . قلت هون عليك فلست ارى بك بأسا ، ولو كنت مكانك لنعمت بالساعة التى انا فيها ولارجأت التفكير فى الخطر الى وقت وقوع الخطر. قال فانى لا اعلم اقريب هذا الخطر ام بعيد ، وان ما انا فيه الآن لهو الخطر كل الخطر ، او تظنني قد عرفت حقا اين انا وماذا يراد بى ومتى انا راجع الى ما كنت فيه . وتفضلت شهر زاد فشيعتنى الى باب غرفتها وهى تقول فى صوتها المشرق الذى يغرى بالبقاء لا بالانصراف « الى اللقاء » والى اللقاء القريب . اليس كذلك ؟

والقيت من دوننا الاستار وقد اسرع الى صاحبى فالتفت اليه ضاحكا وانا اقول ما ينبغى ان يرانى الناس ولا ان يرانى اهلى فى هذا الزى الغريب . قال صاحبى دهشا : اى زى ! ؟ وهممت ان اتكلم ولكن دهشى لم يكن اقل من دهش صاحبى حين نظرت فاذا انا فى زيى القديم الذى دخلت به القصر من تلك الفجوة لا اعرف كيف عاد الى ولا اذكر كيف نزعت عنى زينة الاستقبال . واريد ان اسأل صاحبى دهشا عن سر هذه الفتنة التى لا اعرف اولها ولا اعرف آخرها فأنا اذكر كيف خلع على ذلك الرداء الجميل الذى لقيت به شهر زاد ولا اعرف كيف خلع عنى ، واعرف كيف خرجت من زيى القديم منذ حين ولا اعرف كيف دخلت فيه الآن ، ولكن الفتاة الجميلة الرشيقة تدنو منى فى دعابة وظرف وهى تقول :

ـ لابأس عليك ياسيدى فان الزى الذى تلقى به شهر زاد لاينبغى ان تلقى به احـدا غيرها ، ولا تنس انك فى القصر المسحور

وابلغ الفندق بعد لحظات فاذا انا استقبل فى كثير من التجهم وغير قليل من السخط والاعراض . فلم تتعود اسرتى ان تفتقدنى فلا تجدنى ، ولا ان ترانى اغيب عنها دون ان انبئها بعزمى على الغيبة وبالغرض الذى انا قاصد اليه والمكان الذى تستطيع ان تلتمسنى فيه . وانا اريد ان اتحدث اليها بجلية الامر وانبئها بحقيقته ، وهذا لسانى يتحرك فى فمى يريد ان يأخذ فى بدء الحديث ولكنى ارده الى الصمت والسكون مشفقا من العاقبة التى لاشك فيها وهى ضحك الصبيين واغراقهما فى الضحك واشفاق زوجى والحاحها فى الاشفاق مما اقول. هم جادون فى غضـبهم ولو قصـصت عليهم الامر من اوله لانكروه ، ولرأوا انى اهزل حين يجدون واتكلف حين يتبعون طبيعتهم ، ولظن الصبيان انى اعللهم ببعض هذا القصص الذى كنت اعللهما به اثناء الطفولة حين كانا يصـدقان كل ما كان يقال . ومن لى الآن بأن يصدق هـذان الصبيان ـ وهما ينكران ما يريان ـ وان تصدق امهما قصـة هـذا القصر المسحور الذى يقوم عند قمة من قمم الالب ، وقصة اختلافى اليه واشتراكى فيما يقع فيه من الاحداث . كلا ما ينبغى ان احدثهم بشىء من ذلك فلن يزيدهم هـذا الحديث الا غضـبا واشفاقا ، ولعله يدفع هذين الصبيين الى ان يظنـا بأبيهمـا الظنون ويريا انه من العجز والقصور بحيث لايسـتطيع ان

يعلل غيبته بعللها الصحيحة الواضحة ، فهو يتكلف لها مايتكلفه الاغرار من الحيل والمعاذير

فأنا اذن اجتهد فى المداورة واحيد عن القصة كلما دفعت اليها ، ولكن الامر يتعقد فجأة فهم يسألوننى عن صاحبى توفيق ما خطبه ، او اين ذهب او كيف مضى على وجهه هكذا دون ان يودع قوما كان معهم او ينبئهم بمذهبه او يستأذنهم فى الرحيل . فاذا زعمت لهم انى لا اعرف من امره شيئا انكروا هذا كل الانكار ولامونى عليه كل اللوم ، وزعموا انى مقصر فى ذات الصديق ، تلم به الأحداث فلا أحفل به وينزل به المكروه فلا اسأل عنه ، ومن يدرى لعله استجاب لهذه النزوات التى تعرض له فخيل اليه أنه يستطيع أن يتسلق الجبل فى ساعة او ساعات كما كان يقول ، ولعله هم بذلك فمضى لطيته ثم اختلط عليه الامر وتقطعت به الاسباب فهو لايدرى كيف يعود . ولعله تعرض لاكثر من هذا من الشر فهوى الى قاع سحيق او غمره هذا الثلج الذى تثيره الريح فى اعلى الجبل او زلت به قدمه فهو صريع يستغيث ولا يجد له مغيثا

لابد اذن من انباء الفندق بأمره ثم من انباء الشرطة ثم من ارسال الرسل يلتمسونه فى كل وجه فهو لم يرتحل قاصدا الى الرحلة ، وهذه غرفته كما تركها فيها اثاثه كما تركه ، وهم يهمون ان ينبئوا الفندق والشرطة كما ارادوا وانا احاول ان اردهم عن ذلك واكاد انبئهم بأمر القصر المسحور ثم تصدنى عن ذلك بقية من حياء فأزعم لهم ان صاحبنا

غريب الاطوار وانه خليق ان يكون قد عاد الى باريس كما اقبل منها لم يفكر ولم يقدر ولم يتخذ لذلك اهبة ولم ينبىء به احدا

والخير فى ان ننتظر لعله ان يعود الينا او لعل انبــاءه ان تبلغنا بعد حين ، وانا الح فى وصف اطواره الغريبة واحواله المختلطة وتصرفه فى الغربة على غير نظام حتى اكاد اقنعهم بانه رجل شاذ كل الشذوذ ، لاينبغى ان ينتظر منه ما ينتظر من غيره من الناس ، فاذا فرغت منهم بعــد جهــد ولأى ، اقبلت على العمل الذى اهملته فأطلت اهماله ، واذا انا امضى فيه واذا هو ينسينى توفيقا وانباءه ويكاد ينسينى شهر زاد، ولكنى اتلقى هذا الكتاب على النحو الذى تعودت ان اتلقى عليه الـكتب فى هذا الصيف



مشکوی شهرزاد

« من الحق ياسيدى انك لم تكن قاليا ولا ساليا حين ودعتنى ، فقد طالت غيبتك عنى وما ارى الا ان النسيان الآثم قد ضرب بينك وبينى استارا . ولولا بقية من الثقة بك لعتبت عليك ، ولولا فضل من حسن الرأى فيك لصدقت وشاية سجيننا البائس حين زعم لى ان شاعرك ينسيك حتى شهر زاد . وقد كنت اظن انى لم انعم بالخلود وحده وانما نعمت به وبالشباب ايضا ، ولكن شيئا من الشك قد اخذ يعترضنى ويشغل بالى منذ اخذت احس غموضا فى بعض الاشياء واختلاطا لبعض الامر وقصورا عن تفسير ما يقع حولى من الخطوب فأنا لا افهم فيم طالت غيبتك وقد كنت اظن بك الحرص على لقائى ولا افهم فيم انقطعت انباؤك وقد كنت انتظر منك الحرص على ان تتصل بينك وبينى الاسباب ، وهناك امر آخر لا استطيع ان افهمه ويسوءنى حقا ان اشعر بعجزى عن فهمه وتأويله وهو امر هذا السجين المسكين ، فقد تركته عندى حائرا متولها لايدرى ماذا يريد ولا ماذا يراد به ، وقد رجعت من تشييعك شديدة الرفق به والعطف عليه اريد ان اواسيه او اسليه او اتوجع له كما يقول الشاعر القديم ولكنى لم اكد آخذ معه فى الحديث حتى اقبل الاسود ينبئنى بأن ثلاثة نفر غلاظ شداد قد اقبلوا يطلبونه وهم يريدونه على ان يتبعهم ، فاذا سمع ذلك ضاق به أشد

الضيق وامتنع عليه اشد الامتناع وجثا بين يدى خائفا وجلا وعائذا لائذا يسألنى ان اجيره ويتوسل الى فى ان احميه ، وهو يزعم لى انه قد عرف القصر المسحور او عرف بعضه وبلا آلامه ومحنه أو بلا بعضها ، وهو يؤثر ما يعرف على ما لا يعرف ويفضل ما بلا على ما لم يبل . وهو بعد هذا كله سعيد حين يشعر بأنه فى كنفى وفى ظلى آمن ان ينتهى به المكروه الى اكثر مما يطيق او ابعد مما يحتمل

ولست اخفى عليك ان قلبى قد رق له وان كان قلبى قد عاهدنى على الا يرق لاحد . فأخذت اهدىء من روعه واهون الامر عليه ثم طمعت واطمعته فى ان اخرجه من هذه المحنة واحميه من غوائل الزمان وقلت للاسود اذهب فقل لهؤلاء النفر ان شهر زاد تجير هذا الرجل وتحميه حتى من الزمان . وما سمع ذلك حتى انكب على قدمى يقبلهما فى حرارة وسعادة وفى امل ورضى ، وانا قد دبرت امرى تدبيرا واحكمته الاحكام كله ، وازمعت ان ادخل هذا الاسير فى ذلك البهو الحرام من القصر . ذلك البهو الذى لايدخله ولايخلص اليه احد غيرى ولا يستطيع الزمان ان يتجاوز مايلقى على بابه من الاستار ، وانى لادير الامر فى نفسى وآمر اسيرى بالنهوض فينهض مشرقا مغتبطا وانا مطمئنة آمنة ان يدخل هؤلاء النفر على قبل ان امضى ما شرعت فيه ، فما استطاع احد قط ان يدخل على شهر زاد دون ان تأذن له فى الدخول ، ولكن واأسفاه واحسرتاه والوعتاه ، هذه النافذة تفتح ولست ادرى كيف فتحت ولا من فتحها ، وهذا الفتى ينتزع من بين

يدى ويعلق فى الهواء تعليقا ويدفع فيه دفعا بطيئا وهو موله مدله قد فقد صوابه وغاب عنه رشده وهو يرســـل الى نظرات فيها التوسل والتضرع والاستعطاف . وانا واجمـة اول الامر ثم غاضبة لهذا الحرم الذى اعتدى عليه ، ثم ثائرة لهذا الجوار الذى استبيح وانا اسـعى الى الاسـير اريد ان استنقذه من هذه الايدى الخفية التى تعلقه وتســعى به فى الهواء ولكنى لا اكاد ابلغه حتى يدفع دفعة عنيفة واذا هو قد خرج من النافذة ومضى فى الجو كأنه الســهم . هنــالك رجعت كئيبا كاسفة البال تكاد تنحل قواى ، لولا ان قواى لا تعرف الانحلال ، فآويت الى مجلسى او الى مضجعى الذى تعودت ان ترانى مستلقية عليه . وجعلت افكر فى هذا الامر الذى اعرف اوله ولا اقدر آخره . وانت تعلم ان قد كانت بيننا وبين الزمان فى العهود القديمة جدا حرب ضروس كاد يمحقنا فيها محقا لولا اننا انتصرنا عليه بالحيلة واضطررناه ان يمضى بينه وبيننا صلحا قوامه ان له منا المسالمة ولنا منه الخلود ، فالزمان كما تعرف يأكل ابناءه جميعا ، وقد كان يريد ان يأكلنا فيمن اكل ولكنا افلتنا من شباكه واكرهناه على ان يضمن لنا البقاء ونضمن له الســـلم . افتراه قد الغى ما بينه وما بيننا من صلح ونقض ما اعطى على نفســه من عهد ، افترانا مضطرين الى ان نعيد الحرب بيننا وبينه جذعة وان ندك الارض والسماء دكا فاما انتصر علينا فأكلنا فيمن يأكل ، واما انتصرنا عليه فأثقلناه بالقيود والاغلال . افتراه اتخذ هذه القضية التى لجأنا اليه فيها عن رأيك ومشورتك الى

افساد الامر بينه وبيننا ورد الحياة كما كانت قبل ان يعرف القانون والنظام . ام ماذا ؟ ما هذا السجن الاحتياطى الذى يفرضه على رجل مسكين من الناس ليس له حول ولا طول بازاء سلطان الزمان الذى لاحد له ؟ مم يريد ان يحتاط ولمن يريد ان يحتاط ؟ افترانى فى حاجة الى ان اثير اخوتى جميعا من قصورهم حيث ينعمون كما كنت انعم بالراحة الخالدة والهدوء المتصل لنستأنف بين الزمان وبيننا صراعا كنا نظن انه مضى الى حيث لايعود ؟ لا تغضب ياسيدى ولا يثقل عليك قولى ، لقد احسست شيئا من الندم على هذه الفرصة التى اتاحت لى الاتصال بك وبصاحبك ، فما عرفت اننا نجنى من لقاء الناس او الاتصال بهم خيرا . وانى لاخشى ان يكون لقاؤنا هذا الصيف نذيرا بشر لانقدر عواقبه ولا يقدرالزمان نفسه عواقبه . اسرع الى واشر على فقد اختلط الامر امامى اشد الاختلاط وويل للخالدين حين يدبرون امرهم من الهالكين. ولكن لابد مما ليس منه بد ، لقد بدئت القصة فيجب ان تنتهى . ماذا كتبت اليك ؟ اخشى ان اكون قد آذيتك وتحدثت اليك بما لاتحب ، ومع ذلك فما اردت بك شرا ولا قصدت الى ما تكره ، ولكنك تعلم من امرنا غير قليل فقد المت بسيرتنا فى الزمان الاول ، وعرفت ماذا بلونا من الناس وماذا بلا الناس منا . وما ايسر العلم بذلك لك ولغيرك لو تقراون ما تسمونه الاساطير

« معذرة اليك ياسيدى ، اسرع الى واشر على ، فما ارى

الا اننا قد استقبلنا عهدا جديدا سنستأنف فيه حياتنا الاولى فنتصل بالناس ويتصل الناس بنا فلتعن الاقدار كلا على كل كما قال الخطيب العربى القديم . والى ان اتلقاك او اتلقى ردك على ، ارجو ان تقبل ياسيدى تحية المحزونة المشـوقة اليك »

شهر زاد



مواساة شهرزاد

« سيدتى :

« بعض هذا الفزع والجزع ، وبعض هذا اليأس والقنوط ، فقد روعنى كتابك حقا واذهلنى عما كنت اضطرب فيه من شؤون الحياة . ولئن كنت عاتبة على ياسيدتى لانى قد غبت عنك فأطلت الغيبة ، فانى عاتب عليك لانك قد روعتنى فأسرفت فى ترويعى دون ان يكون فى الامر مايدعو الى بعض هذا الاضطراب ، فضلا عن كل هذا الاضطراب تنكرين غيبتى الطويلة ، فقد آمنت لى ياسيدتى بأن لأهلى على حقا وبان لعملى على حقا ، افتمنحين باليمين وتستردين بالشمال ؟ ولئن طالت غيبتى عنك ياسيدتى فما طالت عن رغبة ولا عن رضى ، ولكنا نتشبه بك وبأترابك الخالدين ، فنرى ان لقوانين الحق والواجب حرمة يجب ان ترعى ونكره لانفسنا ان نتجاوز حدود هذه القوانين او ان نخالف عن امرها . ولقد زعمت لصديقنا الاسير البائس ان ملوك الناس واصحاب السلطان اقدر منك على تغيير ما يشرعون من قوانين ، بل على انتهاك ما لهذه القوانين من حرمات ، وانك على خلودك وسلطانك الذى لاحد له عاجزة عن تغيير ما شرعت لنفسك وللقصر من قانون ، فنحن ياسيدتى نحب هذه الرعاية للقانون المشروع ، ونكره الخروج عليه ونضيق اشد الضيق بجور الجائرين منا وتجاوزهم للحدود ، ونرى ان نتشبه بكم ما استطعنا وأن

نرى للحياة حقها فنفى حين يجب الوفاء ونخلص حين يجب الاخلاص ونعمل حين يجب العمل ، لا نؤثر انفسنا بالراحة ولا باللذة ولا بلقاء الاحباء الا حين تبيح لنا قوانين الحياة والواجب هذه الراحة وهذه اللذة وهذه النعمة بلقاء الاحباء . افتنكرين على ياسيدتى ما تعرفين لنفسك وما تحبين ان نحمد لك من السيرة والخصال . انى لاعلم انكم معشر الخالدين تتهموننا نحن معشر الهالكين بكثير من الغرور والكبرياء ، ترون اننا نتجاوز حدودنا ونخرج عن اطوارنا حين نتأثركم ونسير سيرتكم ونحاول ان نرعى القوانين كما ترعونها وكثرة الناس من حولنا يرون فينا رأيكم هذا ، يتهموننا نحن العقليين بالفلسفة والشذوذ ، والفلسفة والشذوذ عندهم يؤديان ما تؤدونه انتم حين تذكرون الغرور والكبرياء . فنحن حائرون ياسيدتى ، نتأثركم فتغضبون علينا وتسخطون منا لاننا نطمع فى غير مطمع ، ونتأثركم فينقم الناس منا ويضيقون بنا لانا نخرج عما يحبون ويألفون . ولو اننا اعرضنا عن تقليدكم ومضينا مع الدهماء فتبعنا الهوى واطعنا الغريزة وخرجنا كما يخرجون على قوانين الحياة والواجب لغضبتم علينا ولانكرتمونا ولالحقتمونا بالعامة وصببتم علينا مثل ما تصبون عليهم من المقت والازدراء . هل لك ياسيدتى فى ان تنبينا نحن المفكرين البائسين كيف نصنع لارضائكم فانا قد يئسنا من ارضاء الناس ؟ افترين اننا سنيأس من ارضائكم ايضا وسننتهى الى ما انتهى اليه جماعة من الافذاذ النادرين ، فنرى ان العقل خليق ان يستغنى بنفسه وان يتمرد عليكم وعلى الناس جميعا ،

والا يحفل الا بأن يرضى هو وما اقل ما يرضى . لقد طالت غيبتي عنك ياسيـــدتي وما احببت ذلك ، ولو طاوعت نفسي لرغبت اليك في ان تخطفيني كما خطفت اسيرك البائس وفي ان تمسكيني عندك وترصـــدي لي العيون والاحراس حتى لا اتجاوز بابا من ابواب قصرك المسحور . ولكن ماذا اصنع ولأهلي على حقوق ، ولعمـلي على حقوق ، وللذين اعرفهم والذين لا اعرفهم من الناس على حقوق . انما حظي من لذة القرب منك والاتصال بك حظ مقدور لم يتح لي الا بين حين وحين ، حين يأذن لي القانون الذي اخذت نفسي به ان انعم بهذه اللذة واستمتع بهذه الحيـــاة الحلوة . فاشفقي على ياسيدتي من هذا الحرمان وارحميني من هـــذا القصور ولا تتهميني بالاهمال والتقصير ، ولا تسمعي في وشاية مهما يكن مصدرها وان كان هو اسيرك العزيز عليك وعلى معا

« على اني اعود ياسيدتي فأستأذنك في الرثاء لك والاشفاق عليك ، واعترف بأن الامور قد دارت دورتها وتكشفت عما لم اكن انتظره ولا ارجوه ، فكيف اصدق ان شهر زاد الخالدة التي لاحد لقوتها وسلطانها تحتاج الى ان يرثى لها ويشفق لها ضعيف هالك مثلي . يظهر ان نظام الكون قد تغير او انه آخذ في التغير . ماذا تشكين في قوتك وتنكرين سلطانك وذكاءك ، وانت التي تمنحين امثالنا القوة والسلطان والذكاء ، ولكن ماذا انكر وقد انتهينا الى عهـد لاينكر فيه شيء ولا يعرف فيه شيء . قد اضطرب كله ، فالمطر ينهمر في اوقات الصحو ، والصحو يشرق في اوقات المطر ، وقد اصبح الصيف شتـاء

والشتاء صيفا ، وقد انقلبت الاوضــــاع واضطربت النظم واختلط كل تقدير وتدبير ، ولو ان لعقولنا بقيــة من الثقة بنفسها لما شككت فى ان الحياة قد عادت كشأنها يوم خلق الله السموات والارض ، وفى ان ما بلغنا اليه من رقى قد استحال الى تراجع وانحطاط . ولكن لنتدبر امرنا ياسيدتى ولنستقبل ما يعرض لنا بشىء من الحزم والعــزم ومن الاناة والتفكير .

ما هذا الخوف الذى يملأ نفسك الخالدة ، وما اشفاقك ان يكون الزمان قد عاد سيرته الاولى واراد ان يعيد الحرب بينكم وبينه جذعة ليأكلكم كما يأكل ابناءه الآخرين ؟ أكل هذا لانه كره ان يموت اسيرك قبل ان يأتى اجله فاستنقذه منك وضمن له حياته ليتم مايريد الله ان يتمه فى هــذا الكون ، فأنت ياسيدتى كنت تريدين ان تقتلى اسيرك لا اقل ولا اكثر ، فهل فكرت فى معنى استنقاذه من الزمان وحفظه حتى لايصل اليه ، انما معنى هذا الموت بل معنى هذا ابلغ من الموت معناه الفناء الذى لاوجود معه ولا وجود بعــده ، فأى شىء نحن اذا لم يشملنا الزمان بحمايته ورعايته ، واى شىء انتم اذا لم يشملكم الزمان بحمايته ورعايته ، لقد ضمن الزمان لكم الخلود فى ذلك الصلح الذى امضيتموه ، ولكنه لم يضمن لكم تجاوز حدوده ولا الخروج عن سلطانه . وهل تعرفين للزمان حــدا وهل تعرفين لسلطانه غاية تنتهى اليها ؟

« معذرة ياسيدتى ، لقد كنت اظن انك انت التى الهمت حكيم المعرة هذا البيت العجيب :

ولو طــار جبــريل بقيــة عمره
من الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

« اترين ابرع او اروع من هذا فى تصوير سلطان الدهر الذى لاينتهى وملـكه الذى لاحـد له . لم يضـمن الزمان ياسيدتى فراقه ولا الخروج عن سلطانه ، وانما ضمن لـكم صحبته ابدا وجعل الفرق بينكم وبيننا اننا نحن نأكل وانتم لاتأكلون ، فقد كنت تريدين ياسيدتى ان تكرهى الزمان على ان يأكل توفيقا قبل ان يتم نضجه . افتغضبين لانه ابى ان يأكله نيئا ؟ وما رأيك فيمن يريد ان يكرهك على ان تأكلى من الالوان ما لا تحبين ولا تسيغين ؟ انما نحن ياسيدتى ملك الزمن ينشئنا وينمينا وينضجنا حتى اذا بلغنا حاجته ورضاه اكلنا كما يشاء هو لا كما نشاء ولا كما تشائين

« وغريب ياســـيدتى الا تفهمى مم يحتاط الزمن ولمن يحتاط بحبس هذا السجين ، فانه يحتـاط للسجين نفسه اولا ، فمن يدرى لو خلى بينه وبين الحرية ، لعله ان يكتب كتاباآخر يسوء به هذه الاشباح الساخطة الصاخبة، فيزيدها غيظا على غيظ وهياجا الى هياج . ويحتاط لهذه الاشباح التى لجأت اليه وقبلت حكمه ، فمن حقها عليه ان يحميها من كتاب جديد ويحتاط لك انت من ان يعود الاسير الى مايرى خصومه انه اثم ، فيعود هؤلاء الخصوم الى اثارة الضجيـج والعجيج من حولك والى الالحاح عليك فى تسليمه ، ومن يدرى لعلهم يخرجون عن اطوارهم فيحـدثوا فى قصرك حدثا او يبطشوا بالاسير بطشا يسوءك فيه ويحزنك عليه . لا تنكرى اذن على الزمان احتياطه فهو حكيم فيما يأتى ان كنت قـد رأيته يأتى شيئا ، وهو حكيم فيما يقول ان كنت قد سمعته

يقول شيئا . انما الخير ياســيدتى ان تطمئنى لقول الزمان وفعله ، وان تصلحى ما بينك وبينه من الامر ، وان تستأذنيه فى لقاء اسيرك من قريب او البر به من بعيد ، فذلك انفع واجدى من ثورة لا تغنى عنك ولا عنه شيئا . انما الخير ياسيدتى فى ان تتعجلى نظر الزمان فى هــذه القضيــة حتى لايطول سجن الاسير ، وحتى تنتهى هذه القضيــة كما بدات فتستريحى ونستريح ويســـــتريح الزمان . وما ارى انه سيجيبك الى السرعة فى انجاز هذه القضية ، فان حياة الناس من حولنا مضطربة كما ترين ، وأخشى ألا يفرغ الزمان لقضية صديقنا المسكين قبل أن يفرغ من هذه القضايا الخطيرة الكبرى التى تفسد ما بين الشعوب

« اما بعد فانى ماكرهت ياسيدتى ، وما ينبغى لى ان اكره شيئا تقولينه لى او تسوقينه الى . فكل شيء يأتى منك عذب لذيذ ، تطمئن اليه النفس وينعم به القلب ، فارضى فالنعيم فى رضاك ، واغضبى فان الالم فى سبيلك لذة ، ولا تحسبى ان ندمك على الاتصال بى وبصاحبى يسوءنى ، فستعلمين ان لم تكونى علمت من قبل ان الخلود وحده لايكفى لسعادة الخالدين ، وانما قيمة الخلود ان يتصل من حين الى حين بالفناء واصحاب الفناء ليقدر نفسه ويكبرها ويرتفع عن السأم والملــل ، وعن اليأس والقنوط ، والى ان تنعمى على سيدتى بساعة حلوة فى حضرتك ارجو أن تتفضلى فتمنحينى يدك الـكريمة الرشيقة لأضع عليها قبلة كلها وفاء وحب واخلاص »

فى الحبس الاحتياطى

امر « الزمن » بتوفيق الحكيم فحبس فى برج ساعة كبيرة فى راس كنيسة « كومبلو » على ارتفاع الف متر عن سطح البحر . ذلك ان « الزمن » دائما يقول : « اذا كانت المساجد والكنائس هى بيوت الله ، فان ابراج الساعات هى بيوتى ». ولا يعرف غير رب البرج كم من الايام لبث المتهم فى ذلك الحبس ، لايسمع غير دقات « النصف » و « الربع » وصرير « العقارب » التى تأكل حياتنا لحظة لحظة ، و « التروس » التى تطحن وجودنا ذرة ذرة . وبينا المتهم قد اطرق يأسا وذلا ، لايفكر فيما كان من امره ولا فيما سيكون ، كأنما عقله قد كل وذهنه قد اقفر ، وكأنما يأسه قد اغراه بأن يقذف نفسه فى « طاحونة الزمن » لتحيله العقارب والتروس الى دقيق يتناثر فى الهواء ويعيش سابحا فى الفضاء . اذا « الريح » تلقى اليه برسالة مختومة من كوة فى قمة البرج . ففض الرسالة بيد كسلى ونفس ميتة وقرأ :

« عزيزى

« يشق على ان تخطف منى سريعا ، وان يذهب عنى الصفاء الذى اشرق به وجهك فى اليوم الاخير . ولكن «السارق مسروق » ولقد سرقتك ، فسرقت منى ، ان « القاضى » لم يأذن لى فى دخول الحبس كى اراك . غير انه اذن لى فى الكتابة

اليك . ولطف بى فأمر أن تحمل اليك رسالتى على اجنحة « الريح » . فاذا طالعتها فهل لى أن اطمع فى كلمة منك تقيم بها أودى حتى تعود الى ؟

شهر زاد

وقعت الرسالة من يد السجين ، وقد تغير وجهه . لكنه التقطها فقرأها من جديد وقرأها وقرأها حتى كاد يقطعها قراءة . ثم صاح : « هذه المرة قد اصابت منى مقتلا ! »

« اين القلم والقرطاس ؟ » فتساقطت عليه من الكوة اقلام وقراطيس ... فجلس من فوره وكتب :

« سيدتى » . ولكن هذا النداء لم يرقه . فمزق الورقة وتناول ورقة أخرى وكتب .

« عزيزتى » . غير أن هذا اللفظ أيضا فيه فتور . وهو يريد لفظا كالسياط الساخنة . فمزق القرطاس وتناول غيره وكتب :

« معبودتى

« ان حبك خالد كالوجود . ولن يستطيع الزمن أن يفرق بيننا أو يحطم حبنا . ان الحب يحلق فوق الزمن ، كما يحلق الفراش فوق الازهار . ان الحب قد قتل الزمن ... وما بلغ السجين هذه العبارة حتى سمع ضحكا عريضا وقهقهة خشنة كلها سخرية رن صداها فى المكان وارتجت لها عقارب الساعة . ثم خفت الضحك وتلاه صوت أجش عميق النبرات يقول هازئا :

ــ من هذا الابله الذى يزعم انى قتلت ؟

ولم يسمع السجين غير ذلك . فقد خيم السكون . وكأن

شيئا لم يكن فى هذا المكان . على ان هذا الصوت الهازىء لم يبرح له صدى يرن فى راس السجين ويلعب بأفكاره حتى قلبها راسا على عقب . فرفع القرطاس ومر عليه ببصره وابتسم ، ثم مزقه وتناول قرطاسا آخر وكتب :

سيدتى :

اما انى خطفت منك سريعا وسرقت وشيكا وانت الخاطفة السارقة ــ ولا فخر ــ فهذا ما يحدث دائما . فان السارق كما قلت مسروق.وما جاءت به الرياح ذهبت به «الزوابع» ! ويظهر ان هذا قانون الحياة كما هو قانون القصر ! وحياتنا السريعة ان هى الا خطف فى خطف . ولقد خطفتنى من اصحابى فخطفنى منك الزمن ، ولا ادهش اذا خطفنى من الزمن من هو اقوى منه . اما ان كلمة منى تقيم اودك فهو امر يدهشنى ، ولا اغبطك عليه ، فيا لضيعة انسان تقيم أوده كلمة منى ! . . واما رغبتك فى زيارتى بالحبس فهو رفق بى ولطف لا احسبنى انساه لك . وبعد فأنى اخشى ان تكون كلمتى اغلظ مما كنت تتوقعين . ويخيل الى ظنى السيء بالمراة ان كل رسالة تخلو من الاشارة الى « الحب » هى عند المراة رسالة غليظة . واؤكد لك ياسيدتى انى ما كنت اضن على مثلك بهذه الاشارة لو لم يكن « الحب » هذا الصبى الرقيق الضعيف لا يبدأ الكلام اول ما يبدأ الا بتحدى « الزمن » ذلك الجبار الطاغية المخيف ، ولا يفتح فمه الصغير الا بأغانى واناشيد ينظمها من الفاظ براقة متلألئة يرى الزمن انها له وحده ، وانها ما وجدت الا ليرصع بها تاجه الهائل . هذه الالفاظ هى « الخلود والابد والبقاء »

يلعب بها « الحب » الجميل لعب الاطفال بكرات البلور ذات الالوان تحت اقدام « الزمن » الساخط الساخر . الى ان يضيق « الزمن » به ويعبثه ذرعا فينفخ نفخة صغيرة فاذا « الحب » قد طار بأناشيده وألفاظه ولعبه وأغانيه ! ومع ذلك ياسيدتى فأنت تعلمين ان امرى الآن بين يدى « الزمن » وان « قضيتى » الساعة موضع نظره . فهل أستطيع اليوم ان اغضب هـذا « القاضى » العظيم بالانصراف الى ذلك الطفل اللعوب !؟..

واخيرا يا سيدتى ارجو ان تتقبلى خالص شكرى على جميل عنايتك ، وان تأذنى لى فى ان اضع عند قدميك :

توفيق الحكيم

دارت « العقارب » دورتها ، واستقبلتها اجراس البرج بالضجيج ، ورجعت « الريح » مسرعة تحمل الى السجين الجواب :

« ايها الاسير العزيز

« فهمت كل شيء : ما أشد خوفك وخوف صديقك من « الزمن » !

لقد وجه طه حسين الى كذلك كتابا طويلا عريضا تترنح سطوره فرقا من مخاصمة « الزمن » ، ذلك الغول الجائع الذى يأكل الناس فى غير ميعاد غداء أو عشاء

ولقد تبينت من قول صديقنا طه انه لا يريد لك ولا لنفسه ان تؤكلا نيئين قبل ان يتم نضجكما وقبل ان تفرغا كل ما فى جعبتيكما من كتب ومقالات ، فراح يتهمنى فى صراحته الجريئة انى اريد الموت العاجل لمن اسعى الى استنقاذه من يد الزمن .

زعم غريب ! فأنا لا اعرف الموت ما هو . لانى كما تعلم اعيش دائما . وكنت اريد لكما حياة صافية مثل حياتى فى ذلك القصر الجميل الذى لا يموت الصيف فيه ابدا . ولكن ... لتكن مشيئة صديقك طه . وليمض فى اشفاقه على نفسه وعليك وعلى الكون المسكين ، الذى لا محالة صائر الى الفناء بعد كما ، سائر الى حيث تنخر فيه عوامل الفساد ان غادرتماه قبل ان تريقا عليه كل ما عندكما من محابر ، وتنثرا عليه كل ما فى راسيكما من نثر !! واها لكم ايها الادباء !

« لقد طال بى العهد فنسيت ان رؤوسكم الآدمية العظيمة يوم تقدم للدود لن يجد فيها غير « كلمات مرصوصة » لاتسمن ولا تغنى من جوع ! انى فى حقيقة الامر ارثى لكم معشر الآدميين: ما اشق جهدكم طول الحياة ارضاء « للزمن » ، وما اشد حرصكم على الا يلقى بكم فى اعماق بحاره الظلماء ، التى لا يعرف هو نفسه مقرها ولا غورها : بحار النسيان ! ما حرصكم هذا ايها الحمقى ! انكم يوم تذهبون لن يعنيكم من امر « الزمن » شيئا . وسوف تنقلبون اشياء لا تعرف الدنيا ولا تذكرها ولا تحفل بشعرها ونثرها ومجدها . انكم يوم تتجردون من هذا الثوب الآدمى ، تتجردون كذلك من تلك الاوهام والاحلام التى تدفعكم الى تقدير « الزمن » . فالزمن نفسه ما هو الا الملك المتوج على عرش تلك الاوهام والاحلام ، فاذا ذهبت من ادمغتكم ذهب معها . فهو منسوج من مادتها . وهو اضعف واوهى مما تتصورون . فهو لا شىء غير فنائكم الآدمى تجسم شبحا هائلا احاط بكم من كل جانب . بل ان مخيلتكم الفانية هى التى

افرزت هذا السم الذى تسمونه « الزمن » ثم طلت به حياتكم وسجنتها فيه . فشأنكم شأن « دودة القز » تفرز من لعابها تلك المادة الحريرية التى ما تزال تلتف حولها وتحيط بها حتى تحبسها وتخنقها وتميتها

فالوجود نفسه يسخر من تلك الكلمة ولا يعرف الا انها حماقة من حماقات البشر او ضرورة من ضرورات حياتهم الزائلة . بل ان الوجود لا يعرف ولا ينبغى له ان يعرف هذا الكائن الموهوم « الزمن » ولقد استعان صاحبك ببيت من شعر المعرى ، بديع الخيال حقا :

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما استطاع الخروج من الدهر !

لست أذكر ان كنت انا التى أوحت اليه به فى ساعة من ساعات لهوى وعبثى ، انما الذى يدهشنى الآن هو هذا السؤال : هل لجبريل عمر ؟ وهل هو يتحرك بجناحيه فى الزمان والمكان ؟ اذن فهو بشر . الا اذا قصد بالدهر الله والوجود . فأن الحركة فى الزمان والمكان ليست من صفات الخالدين تلك كلمات . ابتدعها البشر لانفسهم ولوصف حياتهم ! انى أعجب دائما لاولئك الذين يريدون كشف أسرار الله بكلمات من قاموسهم اللغوى ! أليس من المضحك أن تصطنع أيديكم الصغيرة ذلك المسبار القصير لتسبر به غور الكون .. ؟ !

أما « الحب » الذى تهزأ به ، فهو حقا ضعيف رقيق كالزهرة التى لا تعيش أكثر من يوم . ولكنه جميل والجمال

لا علاقة له بالزمن فأن اللحظة منه تكفى لأضاءة حياة كاملة .
ان لم تصدقنى فاصغ الى همسات فلاسفتك العظام وقد اشرفوا على الحفرة :

« الكل باطل وقبض الريح ... واحسرتاه ! ولا شىء فى حياتنا الآدمية يستحق منا الآن تحية وداع : غير لحظة حب ظفرنا بها »

« وبعد فأنى اخشى أن أكون قد قسوت عليك . واحب ان تعتقد انى على الرغم من رسالتك لم أزل لك صديقة وفية. وانى أنتظر نافذة الصبر ساعة الحكم ببراءتك . وانك لن تجد منى فى كل حين سوى عطف خالص لا ينتظر اجرا . فنحن الخالدين قد اعتدنا أن نعطى ولا نأخذ . على انك اذا تفضلت فقبلت منى ، راضى النفس صادق الايمان ، ما ابعث اليك مع هذا الكتاب من حب هادىء ، لا يرجو شيئا ولا « يتحدى أحدا » ولا يعرف الأغانى والالفاظ والأناشيد ، فأنك تعيد ابتسامة الصفاء الى ثغر المخلصة لك .

شهرزاد

لم يقرأ المتهم هذه الرسالة مرة ثانية ، ولم يضع وقتا ، وتناول من ساعته القلم وكتب :

« سيدتى العزيزة :

« أبادر فاعترف لك أن كلامك عن « الزمن » قد ادهشنى حقيقة . كلا ، لست أصدق انك تؤمنين بما تقولين !

« انما هى ثورة اهاجها فى نفسك كتابى ، الذى آثرت فيه الانضواء تحت لواء «الزمن» على السكون تحت جناح «الحب» ،

فرايت ان تنصرى «الطفل» بأن تحملى على « الجبار » على أنى اراك انت أيضا تنتضين سلاح « الكلمات » حاسبة انك بها تستطيعين أن تقتلى وان تمحى من الوجود هـذا الكائن الذى نحيا جميعا فى أحشائه .أتأذنين لى فى أن أسألك : اين تعيشين ؟ الا تحسبين بأنك تعيشين فى الزمن ؟ هذا الخلود الذى تنعمين فيه ، ما هو ، وما معناه ؟ أليس هو الحيـاة المتصلة فى « الزمن ! » ان الزمن ليس وهمـا ، انمـا هو اناء عظيم لا قاع له يسبح فيه الأحيـاء والأموات ، الخـالدون والهالكون. فاذا أخرجت منه ، فأين تكونين والى من تصيرين ؟ العدم ؟ ان كان لهذه الكلمة أيضا معنىأو وجود لكانت قليلة! فان من خرج من قصر « الزمن » نزع عنه رداء « الخلود » . اذ لا « خلود » الا بالقياس الى « الزمن » ! فالزمن كما ترين يفرض سلطانه حتى على الخالدين . فهو الذى يخلع عليهم أبراد « الخلود» الموشـاة داخل مملكته التى لا مبدأ لهـا ولا نهاية ، ولا يستطيع جبريل أن يخرج عن حدودها لو طار بقية عمره فى ارجائها . نعم ، لقد صـدق المعـرى وطه ، فـأن « الدهر » أو « الزمن » يسـع فى محيطه جـبريل والكـون والوجود فما دام هؤلاء جميعا قـد دخلوا « مجرة » العقـل الآدمى فقد خضعوا معه علىالرغم منهم ومنه لأمرة «الزمن». فنحن بغير « الزمن » لا نعى شيئا ولا تصلح عقولنا لشىء . فان ابرة العقل متصلة « بمغناطيس » الزمن . هكذا خلقنا نحن البشر . وأرجو منك الا تقولى ان هنالك وجودا مطلقا خارج « منطقة نفوذ » الزمن والعقل الآدمى ، فانى أجيبك من فورى ، ان ما يخرج عن منطقة عقلنا وزمننا لا وجود له

عندنا ، لاننا لا نستطيع أن نتصوره ، فانت موجودة عندى لانك قد دخلت منطقة تصورى . وما دمت داخل تصورى فانى لا املك ان أدفع عنك سيطرة « الزمن » الذى يبسط حكمه على راسى وعلى كل من دخل راسى من خالدين وهالكين. ارايت يا سيدتى قوة « الزمن » وجبروته ؟ اما قولك ان « الزمن »وهم افرزته رؤوسنا الآدمية ، فهو كلام يصدق على كل ما تقع عليه حواسنا من موجودات مادية أو معنوية. فليس هناك فى الواقع حقيقة ولا وهم . انما كل شىء وليد رؤوسنا وافراز أدمغتنا . فما أنت يا سيدتى العزيزة ، وما الجبال التى تحيط بى ، وما الكتب التى اقرؤها وما الأصدقاء الذين احبهم وما أهلى ، وما عملى ، وما مالى الا افرازات تخرج من راسى . فانت و « الزمن » فى هذا سيان . لا استطيع أن أسمى احدكما وهما والآخر حقيقة

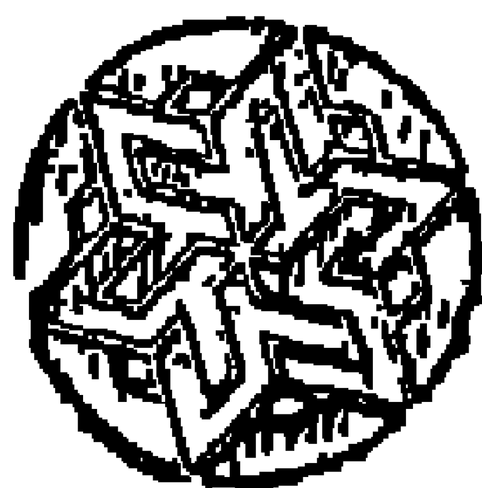
« أما دفاعك عن « الحب » ، فهو جميل « كالحب » . ولست أنكر مطلقا أنه اعجبنى وأثر فى نفسى . ما أصدقك اذ تقولين ان لا شىء يستحق منا تحية وداع على الأرض مثل لحظة حب ظفرنا بها ! نعم .. ولكن .. تلك اللحظة ، اين هى ؟ انستطيع ان نظفر بها فى كل حين ؟

وبعد ، فارجو ان تغفرى لى هذه المرة ايضا جفاء هذا الكتاب ، فانى انما اردت ان اعيد اليك الثقة فى مولانا « الزمن » فما دام هو الذى ينظم حياتنا فهو ولا ريب الذى يقيم العدل ويرد الحق الى ذويه

« واقبلى يا سيدتى المحبــوبة خالص شــكرى على عطفك الذى تجودين به دائما على . ولو كنت ارى قلبى جديرا بك لبعثته اليك رسولا أمينا يقرئك السلام من

أسيرك المخلص

توفيق



المحاكمة

جاء يوم المحاكمة . وعقـدت الجلسـة فى راس « الجبل الابيض » بالقرب من « شامونكس » . واعتلى « القاضى » القمة فى هيبة ووقار . وهو كائن طويل مديد ، لا ظهر له ، ولا يبدو عليه عمر ، له وجهان : أحدهما أسود والثانى أبيض . وقد اتخذ له من « قوس قزح » وساما يزين صدره الذى كساه الجليد . وعندئذ قصـف « الرعد » وهـو حاجب الجلسة :

ـ محكمة !

فنهض الحاضرون رهبة ورعبا قبل أن ينهضوا اجلالا ، وسقط ضعاف القلوب منهم مغشيا عليهم ، فلم يلتفت اليهم احد ، حتى أفاقوا من تلقاء انفسهم صفر الوجوه فوجـدوا الناس قد جلسوا فجلسوا وكأن على رؤوسهم طير الرخ !

وعندئذ هبط من القمة صوت هادىء عميق :

ـ فتحت الجلسة !

واشار « القاضى » الى « الزوابع » فصفرت ومضت ثم عادت حاملة « المتهم » والقت به على الجليد ثم اسـتأخرت عنه . وعندئذ هبط الصوت العميق :

ـ ايها المتم ، قف !

ولكن المتهم لم يسمع شيئا . فلقد كانت اسنانه تصطك ، وفرائصه ترتعد ، لا من الخوف وحده ، ولكن من البرد .

فهو الساعة على ارتفاع خمسة آلاف متر عن سطح البحر او يزيد

ولما راى « القاضى » ان المتهم لم يبد حراكا . اشــار الى حاجب الجلسة . فتقدم « الرعد » ودنا من أذن « المتهم » وقصف :

ــ قف ، ايها المتهم ! ..

وكأن لطمة قــد اصابت أم راس « المتهم » فانبطح على الأرض لا يعى . ثم ثاب الى رشده بعد قليل وهــو لا يذكر من أمره شيئا . وسمع همسا خلفه فالتفت . فاذا شهر زاد مع حاشيتها والى جانبها طه حسين جالسين فى الصف الأول من صفوف المشاهدين وهم يتتبعون ما يقع فى جــد وقلق واهتمام . وما علموا أن توفيقا أحس بهم حتى همسوا اليه مشجعين :

ــ قف ولا تخف ! ذاك حاجب المحكمة !

ــ حاجب .. المحكمة !..

همس المتهم بذلك كالمخاطب لنفسه من بين أسنان ما زالت تصطك على الرغم منه : « اذا كان هذا حاجبها فهل يرجى منها خير ؟ ! » ثم تحامل على نفسه ووقف مترنحا كالسكران وصاح :

ــ أ .. أ .. اين هو القاضى ؟ لا سؤال و لاجواب قبل أن تحضروا الى معطفى الصوفى . ســاموت من البرد قبــل صدور الحكم !..

فأشار « القاضى » الى « الحاجب » فتقدم « الرعد » الى المتهم وقصف :



« وجاء يوم المحاكمة ، وعقدت الجلسة فى رأس « الجبل الابيض »

ـ اين هو معطفك ؟

فانتفض المتهم انتفاضة كادت تطرحه الى الأرض . لكنه نبت والتفت صائحا :

ـ النجدة يا أهل المروءة ! أما من حاجب ألطف من هذا ! .. أيها القاضي ، اذا تركت على حاجبك هذا فأني لا أضمن حياتي الى آخر الجلسة . فألتمس من عدالتك لا تجعل بيني وبينك حاجبا .. ! فان مثلي وان لم تكفه الاشارة فهو على كل حال لا يحتاج الى مثل هذا الترجمان الذي يميتني ويحييني في كل لحظة !

ـ ولكني انا في حاجة الى هذا الترجمان . فان سمعي ثقيل ، لا تصل اليه أصواتكم ولا صخبكم وضجيجكم !

ـ وكيف تسمعني الآن ايها القاضي !

ـ أمرت « الريح » أن تجلس طول الجلسة تنقل الى ما يدور فيها من كلام !

ـ لا بأس بالريح ، فهي على كل حال أرق حاشية وأهون خطبا !

ـ فليكن ما تريد !

وأشار القاضي الى « الرعد » أن تنح الآن ، فامتثل ووقف في آخر المكان ينظر ولا يتكلم . وعاد القاضي الى المتهم قائلا :

ـ أين معطفك فنحضره اليك

فسكت المتهم واخذ يتذكر :

ـ أين معطفي ؟ ذلك هو المشكل ! اين تركته وأين نسيته ، لقد صحبني في كل مكان . لازمني في مصر وفي السفر وفي

الجبل . وحتى فى الجحيم بين اللهيب ما تركته وما نسيته !
واليوم وانا فى السماء عند السحاب وبين الجليد اتركه وانساه
واصعد بدونه !..

فتهامست شهرزاد وطه مبتسمين :

ــ حقا لا يحدث هذا الا من توفيق الحكيم !

وعيل صبر القاضى فقال فى شىء من الحدة :

ــ انا لم نجتمع فى هذا المكان لننظر فى قضية معطفك ! ولا إخالك تعتقد انى عاطل لا عمل لى فى الوجود غير النظر فى التافه من أمورك !

فاطرق المتهم وارتج عليه . فنهضت شهرزاد قائلة :

ــ فليأذن سيدى القاضى فى أن أدل « الزوابع » على مكان معطفه . انه فى حمام قصرى !

ــ فى حمام قصرك ؟ وماذا يصنع فى حمام قصرك ! آه .. نعم .. تذكرت !

همس بذلك المتهم .. وطارت « الزوابع » اذ سمعت قول شهرزاد . وعادت فى لمح البصر بمعطف توفيق والقته على منكبيه .. وما شعر توفيق بثقل معطفه حتى اطمأن وقال :

ــ واين عصاى ؟

فكظم القاضى ما به وقال :

ــ انتهينا من مسالة المعطف وجاء الآن دور العصا .. ماذا يفعل بالعصا فى حضرتى .. وهى لا تقى بردا ولا حرا ولا تدفع شرا ولا ضرا !

ــ انى لا اشعر بانى انا حقيقة توفيق الحكيم الا بمعطفى وعصاى !

ـ هاتوا له ما يريد . ان هذا الانسان قد أضاع « منى » أكثر مما ينبغى فى غير طائل !

ولم يمض قليل حتى كان المتهم ماثلا بمعطفه وعصاه بين يدى القضاء مستعدا لكلمته وأمره .. وتنفس القاضى الصعداء :

ـ اخيرا ! الك حوائج أخرى أم ننظر فى الموضوع ؟

ـ ننظر فى الموضوع

ـ حمدا وشكرا ! تقدم أيها المتهم ! ما اسمك ؟

ـ اسمى توفيق الحكيم ..

ـ عمرك ؟

ـ أيها الزمن ألا تعرف عمرى ؟

ـ معذرة ! صدقت ! انى أعرف عمرك . ومنذا غيرى ينبغى له على الأقل أن يعرف الأعمار ؟! صناعتك

ـ صناعتى ؟ .. أيهما ؟

ـ أديب وكاتب روائى يختلق الحوادث ويبتدع الأشخاص .. أليس كذلك ؟

ـ عفوا ، سيدى القاضى، ليست هذه صناعتىالأصلية..

ـ لست أعرف لك غيرها . تلك هى التى ورد ذكرها امامى فى الأوراق .. اديب روائى يختلق الحوادث ويزور الأشخاص ...

ـ يزور ؟!

ـ أليس الامر كذلك ، أجب بنعم او بلا !

وقع المتهم فى حيرة .. وجعل يفكر هنيهة ثم قال وكأنه يخاطب نفسه :

ـ نعم ، انى كذلك ، ومع ذلك ، فانى لست كذلك ..
ـ ما هذا الجواب المعقد ! انى اطلب اليك جوابا واضحا بسيطا فى لفظ واحد . اتختلق وتزيف ؟ تلك هى التهمة التى يرميك بها المدعون

ـ انا أختلق وازيف ؟ وانا اعرف القانون . وكنت رجلا من رجال القانون ! كلا يا سيدى القاضى !..

ـ انكر المتهم التهمة . اجلس أيها المتهم ، واصغ الى اقوال المدعين

احضروا الشاهد الأول !..

وعندئذ استوى « الحاجب » واقفا ونشر ورقة فى يده وقصف :

ـ الشاهد الأول : شهريار !

فصفرت « الزوابع » واقبلت تلقى بشهريار امام القاضى . وتفرس القاضى فى الشاهد ثم قال :

ـ شهريار

ـ عمرك ؟ كلا هذا من شانى .. صناعتك ؟

ـ ملك

ـ فى أى مملكة ؟

ـ فى أى مملكة ؟ لم يسالنى احد قبل الساعة هذا السؤال . ولم يخطر لى على بال أن اعرف اسم هذه المملكة ؟ لست أدرى . سلوا هذا المتهم !

فالتفت القاضى الى المتهم ، فوقف :

ـ أيسألنى أنا عن اسم مملكته ؟ وكيف لى ان اعرف ؟

ان كل ما أعلم عن هذا المخلوق أنه ملك . ولست أدرى أين مملكته ، ولا أين موقعها من « خريطة » العالم ؟

فعاد القاضي والتفت الى الشاهد فاعتدل :

ــ أنا كذلك لست أعرف الا أنك ملك

فقال القاضي فى شىء من السخرية :

ــ حسبك هذا . أقسم انك لا تقول غير الحق

ــ أقسم

ــ ما أقوالك ؟

ــ اقوالى : ان هذا المتهم قد قذفنى بالباطل وافترى على كذبا وزورا واقعة لم تكن . فلقــد جعلنى ديوثا أدخل على شهرزاد فأجد عندها العبد فلا أقتله ولا أشرب من دمه !

فما تمالك المتهم أن وقف وصاح :

ــ كنت تريد أن أجعل منك قاتلا سفاكا يشرب الدماء . نعم لقد اذنبت واجرمت اليك ، اذ لم اجعلك كما كنت تريد مخلوقا سخيفا !

وأراد الملك أن يحتج . ولكن القاضي هدأ من غضبه وأسرع فأمــر المتهم بالجلوس والصــمت الى أن يحين وقت الدفاع فيتكلم كما يشاء . وأشار القاضي الى « الزوابع » فأقصت شهريار وأحضرت الشاهد الثانى قمرا . فسأله القاضي عن اسمه وصناعته ثم عن أقواله . فأجاب الوزير :

ــ أقوالى يا سيدى القاضي : ان هذا المتهم قذفنى وحط من قدرى . فلقــد جعلنى أقتل نفسى من أجــل امرأة ، فى الوقت الذى يخرج فيه العبد من مخدعها وينكشف لى اثمها ودنسها !

فتغير لون شهر زاد ومالت الى أذن طه تهمس :
ـ لقد أدهشنى الساعة أن يكون ذاك كلام شهريار العظيم .. الذى كان عظيما حقا فى آخر أيامه ! ولكن ما قال هـذا الشاهـد المدعو قمر الآن أدهى وأمر !!. يا الهى ما هـذه المخلوقات ! ياله من كابوس !..
ولم يطق المتهم سكوتا فنهض صائحا :
ـ يا لخيبة أملى فيك أيها الوزير الجميل ! أنت الذى عشت تعبد مثلك الاعلى النبيل.فلما ذهب عنك ذهبت . لقدانطفأتفى قلبك شمس حياتك يا قمر ، ففيم بقاؤك ، ولكن هذا الشاهد ليس بقمر ، انماهو فرد من السوقة !
فضاق القاضى بالمتهم
ـ قلت لك اجلس ولا تنبس!..أحضروا الشاهد الثالث..
فجيء « بالجلاد » ، وبعد المقدمات المعروفة سأله القاضى عن أقواله :
ـ أقوالى يا مولاى القاضى : ان هذا المتهم قد نسب الى زورا أنى بعت سيفى الى صاحب الخان . وأنا رجل « موظف » أقدر واجبى وأعلم أن هذا السيف ليس ملكى وانما هو « عهـدة » لا يباع ولا يشرى !.
وعندئذ قام المتهم صائحا :
ـ أرجو من عدالة القاضى أن يسأل فى ذلك صـاحب الخان وهو لاشك قد حضر مع الشهود !
فالتفت القاضى الى « الزوابع » :
أحضروا الشاهد الرابع !

فما مرت ثانية حتى كان « أبو ميسور » ماثلا أمام القاضى فسأله :

ـ أأنت صاحب الخان ؟

ـ أجل ، مولاى القاضى !

ـ هل تعرف هذا الجلاد ؟

ـ كيف لا ، يامولاى القاضى ، وهو عميلى ومدينى ، وأحد المدخنين !

ـ أكان قد باعك شيئا بدين عليه ؟

ـ باعنى سيفه

وعندئذ صاح المتهم فرحا :

ـ فليحيا العدل ! ظهر الحق وزهق الباطل ! ألا تستحى أيها الجلاد ! ما أكذبك !

فأسكت القاضى المتهم ثم التفت الى أبى ميسور :

ـ وأنت ما أقوالك ؟

ـ أقوالى وحق رأسك أيها القاضى ! عجبا ! لست أرى لك رأسا ولا ذنبا ! ومع ذلك فهذا ليس بالامر الذى يعنينى ، وما دمت أنت القاضى فانى أشكو اليك هـذا المتهم ، أين هو ؟ لايشرفنى أن أراه ، هذا المتهم يزعم زورا أنى أدخن القنب حتى يغيب وعيى . هـذا باطل أيها القاضى ، فانى وحق رأسك كلا لا شأن لى برأسك ، فرأسك هو لك . ولست أدرى ان كان رأس انسان أو رأس حصان .. ولكنه رأس القاضى .. ولكن أين هو رأس القاضى ، عجبا ان للقاضى رأسين ؟ رأس لاشك فيه الادانة ورأس فيه البراءة ... واذا تناطح الرأسان

ـ كفي خلطا ! انك الى الساعة غائب الوعى تفوح منك رائحة القنب ! اطردوه !..

ـ فليحيا العدل !..

صه أيها المتهم . لا أريدهنا مظاهرات ! الزم الصمت ! أيها الحاجب ! ناد بقية الشهود !...

فقصف « الرعـد » وصـفرت « الزوابع » وطارت فى كل مكان ثم عادت تعلن أن بقية الشهود وهم « الساحر » و« زاهدة » قد هربا ولم يعثر لهما على أثر . وأن شهر زاد و « العبـد » حاضران فى الجلسة بين المشاهدين . وعندئذ قامت شهر زاد وأعلنت أمام القاضى والجموع نزولها عن كل حق لها ـ ان كان لها حق ـ فى مقاضاة المتهم . وقام « العبد » فتبع أثر مولاته فيما أعلنت . وكانت الشمس قد غابت ، فمال وجه القاضى الابيض عن المكان ، وظهر وجهه الاسود ، يملؤه « كلف » دقيق من نور متناثر . وأطرق القاضى لحظة ثم قال فى صـوت أشد هدوءا وأكثر عمقا مما كان :

ـ الدفاع !

الدفـــاع

وقف المتهم لحظة مضطربا بين صمت الجموع ووجومهم ، وانتباه شهر زاد والتفات طه حسين وقد أمسك أنفاسه وأصاخ بسمعه ... ثم ارتفع صوت المتهم رويدا رويدا كأنما هو آت من مكان بعيد :

ايها القاضي العادل :

تهمة خطيرة تلك التي رماني بها المدعون ، أو المدعيان ، اذ قد سقط من الحساب اثنان ظهر كذبهما للمحكمة ، وهرب اثنان ضجرا من طول الاجراءات فيما أرى ، وتنازل اثنان كرما ونبلا من دون ريب ، فلم يصمد في وجهي غير ملك ووزير ! وهـذا شرف عظيم !

قبل أن أبدأ دفاعي . أود أن أبدي أسفي لهذه الدعاوى التي قامها علي ، أشخاص يمتون الى بسبب . انه لمن المؤلم أن أراني منفردا بين اخواني الادباء بهذا الموقف الذي وضعني فيه اليوم هؤلاء الاشخاص المحترمون . واني لأعجب كلما تذكرت أن غيري من الادباء لم يلق من أشخاصه ما ألقى من هذا الاكرام . فها هو ذا « هيكل » لم ترفع عليه « زينب » قضية في المحكمة « الشرعية » وهذا « العقاد » لم يقاضه «ابن الرومي» أمام المحكمة «المختلطة» . وهذا «المازني» ترك الاموات والاشباح وأخرج على مسرح كتاباته أهل بيته وذويه من الاحياء فلم يتذمر أحد منهم . فما بال أشخاصي أنا من دون بقية الخلق هم الذين

قد أساءوا الادب وثاروا وتمردوا ، كأني يوم كتبتهم غمست قلمي في مداد ممزوج بلعاب الجن الاخضر أو ماء الفلفل الاحمر

وبعد ، فما هي حقيقة الاتهام ؟ اني قد زورت ولفقت وقذفت اذ جعلت الملك والوزير على صورة لايرضيانها لنفسيهما ؟ اني أترك لعدالة المحكمة تقدير الجميل الذى أسديته الى هذين المخلوقين بذلك التزوير والتلفيق المزعومين . انهما قد مثلا الساعة ورأيناهما مجردين عن ذلك الثوب الذى ألبسهما اياه تلفيقى وتزويرى . ماذا رأت المحكمة منهما الآن غير ملك جاهل سفاك ووزير تافه صعلوك ! أين ذلك التفكير الذى وضعته فى رأس شهريار فارتفع قليلا عن الارض ، فلم يحفل « بعبد » شهريار الواقف خلف الاستار بقدر ماحفل بما اختفى وراء عقلها من أسرار ...!! وهذا الوزير ...

القاضي ـ (مقاطعا للدفاع) انهما قد رفضا هذه الصورة على كل حال . وهى فى نظرهما قبيحة !

الدفاع ـ (يمضى) أيها القاضى ! ليس من حق أحد أن يرفض صورة وضعها مبدع لأنها قبيحة أو مليحة ! ان للمبدع أن يظهر أشخاصه على أى وجه يريد مادام فيها حياة نابضة

القاضي ـ وهل من حق المؤلف أن يشوه الاشخاص ؟

الدفاع ـ وهل من حق الخالق أن يشوه بعض المخلوقات ؟ وهل من حقى أن أطالب خالقى بأن يغير الصورة التى وضعنى عليها ، وأن يبدل أنفى الذى لايعجبنى بأنف آخر ، وطبعى الذى يتعبنى بطبع آخر ؟

القاضي ـ ولكن رجل الفن مطالب بالكمال !

الدفاع ــ ان الكمال في الفن وفي الطبيعة هو خلق الحياة النابضة · ولا شيء غير ذلك

القاضي ــ أو يستوى عندك في الجمال : حياة نابضة كحياة المشلولين والمشوهين في أجسامهم وعقولهم ، وحياة أخرى كحياة « السبياد » الجميل الجسم ، السليم العقل ، و « هيلين» البديعة الحسن الذكية الفؤاد ؟!

الدفاع ــ سيدى القاضي ! انك تضيق على الخناق وتحاسبني حسابا عسيرا

القاضي ــ (باسما) ألست تريد قضاء « الزمن » ؟!

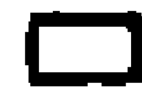
الدفاع ــ (يفكر مليا) نعم ، صدقت ياسيدى · ان الجمال هو كمال الكمال · هو الحياة النابضة الصحيحة المتناسقة المصفاة من عيوب النقص والتشويه ، مرت عليها الطبيعة بيد التجربة والاستاذية على مدى أحقاب الاحقاب ! ولكن ·· منذا يزعم أن هذا « الجمال » في مقدورنا نحن الآدميين في كل حين! وهل هو في مقدور «الطبيعة» في كل حين ! كم مثلا من أمثلة الجمال الكامل في « الجسم والقلب والعقل معا » استطاعت الطبيعة أن تخرجه منذ آدم حتى اليوم ؟ وبأى ثمن صنعت تلك الآيات ؟ وبعد كم من التجاريب ؟ أليس الثمن ملايين الملايين من المخلوقات العادية والناقصة والمشوهة على مر الاحقاب والعصور ؟ أليس النقص والتشويه والتكرار تجاريب الطبيعة الفاشلة ؟ ان الطبيعة لتتكبد العناء هي أيضا في خلق الجمال! فهي لاتختلف كثيرا « فيدياس » ، انه كذلك قد أسقط من فتات الرخام الضائع والتماثيل الناقصة أكواما على أكوام قبل

أن يبرز من بينها آيته الفنية «بالاس» ! وما لى أفرق بين الطبيعة وفيدياس • كأن الانسان شيء مستقل عن الطبيعة ! انه جزء منها • خاضع للقانون الذى يسيرها • وذلك القانون وحده هو الكامل المنزه ، لانقص فيه ولا تقصير ، وهو الذى دبر لها وأراد هذا القصور • فاذا كان الكمال أو الجمال نادرا فى الطبيعة على قوتها وعظمتها ، فان العمل الفنى الكامل هو عند البشر أقل وأقدر

ولأتحدث الآن عن نفسى قليلا ، وأنا بين «يدى» الزمن ، فأقول انى ما زعمت يوما ولن أزعم أنى صنعت من هؤلاء الاشخاص «المدعين» شيئا يقرب كثيرا أو قليلا من الجمال الفنى • وان كنت صنعت ذلك لما عرفت ، فان صانع الجمال لا يراه . ومن دنا من فمه الكمال أصابه الدوار ففقد شيئا من ادراكه لما يصنع ولقيمة ما يصنع ، وأصبح شأنه شأن أولئك الصوفيين الذين يقفون بأعتاب «الله» بعد صعود طويل وجهد شاق ، فيغمرهم ضباب النشوة ، فاذا هم لايرون شيئا ولا يميزون بعقولهم شيئا

ولما كنت الآن على ثقة بأنى لا أشعر بدوار ولا بضباب ، فانى ولا جدال بعيد عن قمة «الكمال» • وكل ما أزعم لك يا سيدى القاضى فى شأن عملى هذا ، أنى كنت دائما حسن النية ، سليم الطوية لا أمل السير بوسائلى الضعيفة ، صاعدا فى ذلك الطريق الوعر الطويل المؤدى الى هيكل «الجمال» العظيم ، دون أن أطمع يوما فى رؤيته ، ولو عن كثب • انما أقضى حياتى أمشى وأتعثر فى أشواك هذا السبيل الى النهاية•

وعزائي الوحيد أني أعيش في طريق « الجمال » واقضي نحبي فيه • فاذا رفق رب « الهيكل » بي ، والفاني يوما خليقا أن يضع على قبري زهرة من حديقته ، فذاك كل جزائي ، وغاية ما اطمع فيه ••• وأخيرا ياسيدي القاضي • لست أملك الا أن أعهد اليك باسمي وشرفي وأمري فاحكم بما ترى • وأنت اذا حكمت فانك تحكم بالحق والعدل • ولست أخاف وجهيك • فان فيك أيها «الزمن» «سواد» الدهماء ، وفيك «نور» العلماء• وبهذا الحكم المزدوج على الاشياء لا يفلت حق من مصفاتك



جلس المتهم وقد خيم الصمت العميق في ذلك الليل الساجي على الجموع الساهمة • وأطرق القاضي مليا ، ثم رفع رأسه :

ـ النطق بالحكم عند الفجر•وليفرج فورا عن المتهم بالضمان الشخصي !

فقام « الحاجب » ونادى في قفصه :

ـ من يضمن المتهم ؟

فنهضت شهر زاد صائحة :

ـ أنا أضمنه وأحفظه في قصري حتى الفجر

فتحرك «القاضي» في جلال رهيب وقال ملتفتا الى شهر زاد:

ـ لاتقبل المحكمة ضمانك ، لأنها لاتأمنك عليه •

فبهتت شهر زاد ووجم الحاضرون ، ولكن القاضي لم يطل صمته بل قال مخاطبا شهر زاد :

ـ ولأنك متهمة مثله

غضب شهرزاد

قلت وقد اتجهت الى القاضى واثقا بأنه سيرضى بما أقول : فانا أكفله ان أذنت يا سيدى · قال القاضى فى لهجة حلوة مرة فيها الحنان والسخرية معا : لو أمنتك على نفسك لأمنتك عليه ، فسقط فى يدى ، واستحييت من أن أفجأ بما فجئت به شهر زاد ، وانتظرت فى الوقت نفسه أن أسمع من توجيه التهمة الى وأمرى بالتهيؤ للدفاع · ولكن صمت القاضى اتصل حتى قطعه صوت مخيف اضطربت له الارض وامتلأ به الجو ، وأوشك الجبل أن يتصوع منه فرقا ورعبا وتهالك له توفيق ففارقته قواه وسقطت من يده عصاه وخر كأنه مغشى عليه ، واذا هو الحاجب يقول فى قصف الرعد كله ، الى يامولاى فأنا زعيم به حتى يتصرم الليل · ثم ثاب الهدوء وثابت معه الى المتهم قوته وعاد اليه رشده فسأله القاضى :

أتقبل هذا الكفيل ؟ قال مضطربا متهالكا : على ألا يسمعنى صوته ، فانى أخشى الا أعود الى أهلى كما فارقتهم سميعا . قال الحاجب فى صوته القاصف : لابأس عليك · قال المتهم متهالكا متمالكا : أو بأس اشد من هذا البأس ؟ ·

وصعدت فى ذلك الوقت من أدنى الجبل سحابة تسعى فى هدوء ولين ، فجعلت تغمر المتهم قليلا قليلا وهو يضطرب اضطرابا عنيفا ويصيح صياحا شديدا يريد أن يخلص منها فلا يجد الى ذلك سبيلا ، وما هى الا لحظة قصيرة حتى أخذته من

جميع أقطاره فاذا شخصه يخفى وصوته ينقطع والسحابة تمضى مصعدة أمامها فى مثل ما أقبلت به من الهدوء والوقار

والتفت فلم أجد حولى الا شهر زاد وغلامها الاسود والا صاحبى وقد أطبق على المكان صمت ليس أقل عمقا ولا كثافة من هذا الليل الذى غمر كل شىء . على أن ألفاظ شهر زاد كانت تخترق هذا الصمت العميق كما كانت أشعة النجوم تنفذ من هذا الليل الكثيف ، وكانت شهر زاد مغضبة أشد الغضب مغيظة أحد الغيظ ، ساخطة على هذا القاضى الذى لم يكفه أن رد كفالتها فى غلظة وعنف حتى اجترأ عليها وتجاوز حقه فيها ، وزعم أنها متهمة كتوفيق يجب أن تدافع عن نفسها كما دافع هو عن نفسه ، وكانت تقول فى صوتها الفضى الجميل: من هذا الذى يجرؤ على أن يتهمنى أو من هذا الذى يملك أن يقفني أمام القضاء ؟ ومن هذا الذى يستطيع أن يكرهنى على ما لا أريد ، ثم ترسل فى الجو قهقهة عذبة متصلة وهى تقول : لم يبق الا أن تدافع شهرزاد عن نفسها وتقف من القضاة موقف المجرمة وهى التى اخذت الناس بالجد والعبث وعلمتهم الاتهام والدفاع . سيعلم هذا القاضى كيف أعصيه وكيف أزدريه وكيف أمتنع عليه ، ثم تلفتت الى وهى تقول فى شىء من الحنق تكظمه وتخفف من حدته :

ـ ارأيت الى مشورتك يا سيدى كيف تعرضنى لما لم اتعرض له قط ؟!

قلت فى أناة وهدوء :

ـ ان شخصك الخالد يا سيدتى قد يكون بمأمن من هذا

البرد المهلك الذى لا نقوى نحن على احتماله ، فان شئت ان ترديه عنا او تحمينا منه قبل ان نأخذ فى هذا الجدال الذى اظن انه سيكون شاقا طويلا

قالت خجلة متضاحكة :

ــ لقد اصبت . ما أدرى كيف ذهب عنى هذا ، ولم تكد تلتفت الى غلامها الاسود حتى تغير من حولنا كل شىء . واذا نحن فى غرفتها الهادئة الجميلة من قصرها المسحور ، واذا هى مستلقية بين وسائدها ، واذا الخدم يسعون بين ايدينا بما يرد الينا القوة والنشاط

قالت شهرزاد :

ــ والآن يا سيدى وقد أتيح لك الامن والدفء والهدوء تستطيع فيما أظن أن تتحدث الى برأيك فى هذه الجراءة التى ما كنت لاتعرض لها لولا انى لقيتك وقبلت رايك فى أمر صاحبنا المسكين

قلت : مهلا ، أزيلى قبل كل شىء من بيننا هذه الخصومة التى تخلقينها وتجنين بها على ، فانها خليقة ان تصرفنا عما يجب من تدبير امرك . وانت تعلمين ان الزمن لا يذعن لما نريد ، وانه كثير التقلب والجموح ، يطيل الليل ان أراد ويقصره ان أحب ، انما هى حركة منه يدفع بها النجوم دفعا فاذا الليل ينجلى ، أو سكون منه يمسك به النجوم فى الجو فاذا الليل ثابت مقيم . وما أدرى أراغب هو فى تعجيل القضاء فيقصر الليل أم راغب هو فى الابطاء به فيمسك أستاره أن تنكشف ويمنع ظلمته ان تزول

قالت وقد رفعت كتفيها الجميلتين واشاعت فى الغـرفة ضحكة ساحرة : ما أشد ما تخاف الزمان ، وما أعظم ما تكبره ، وما أكثر ما تحسب له الحساب . هون عليك ، ان أمره أيسر مما تظن ، وأن تقلبـه أدنى الى العبث منـه الى الجد ، وانه يستطيع أن يتهم ، ويستطيع أن يقضى فلا يغير اتهامه شيئا ولا يحدث قضاؤه جديدا . انما هو كائن مغرور، قيل له انه قوى فظن بنفسه القوة ، وخيل اليه انه عظيم فانتحل لنفسه العظمة ، بل خيـــل اليه انه موجود فأثبت لنفسه الوجود

قلت وقد نهضت يظهر على وجهى الغضب ويضطرب فى قلبى الخوف :

ــ سيدتى ، ان كنت مصرة على المضى فى هذا الحديث فدعينى أنصرف فانى لا احب مخاصمة الزمن ولا أقدر عليها. وانك لتخدعين نفسك وتكلفينها أكثر مما تطيق ، فقد قبلت الاحتكام الى هذا القاضى . اترين انك كنت لاعبة ؟ ثم ما يغضبك من اتهامه اياك وانت قد قبلت حكمه وسعيت الى مجلسه ، ومازلت تنتظرين قضاءه وتخافين فى أعماق نفسك أن يكون قاسيا على صديقنا البائس ؟

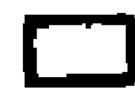
قالت فى رفق :

ــ عد الى مجلسك يا سيدى فما دفعنى الى ما تكره الا ما أجد فى نفسى من الحفيظة والموجدة . وما كنت اقدر ان أهان وأتهم جزاء على ما قبلت من الاحتكام الى الزمن والرضى بقضائه بين توفيق وتلك الاشباح

قلت : بل جزاء على عبثك به واستطالتك عليه فيما كتبت الى اسيرك الذى أخذ منك وأنت كارهة

قالت : ومهما يكن من شىء فأنت أصل الخصومة التى اخذت نفسى تضيق بها على قلة ما تضيق نفسى بالاشياء

قلت : فهذا هو التجنى الذى لا أطيقه ولا ارضاه وانك لتعلمين انى ما سعيت اليك الا بعد ان دعوتنى ، وما اهتديت الى قصرك هذا الا حين دللتنى عليه ، بل حملتنى اليه حملا واختطفتنى اليه اختطافا ، أفتعقدين الامر وتخلقين المشكلات، ثم تلقين تبعة ما تفعلين على الابرياء والآمنين الذين اقبلوا يصطافون ، فنصبت لهم من الشباك والاشراك ما ورطهم فى هذه القصة المعقدة التى لا يعرفون لانفسهم منها مخرجا ؟



سمعت شهرزاد هذا الحديث هادئة ثم فكرت فيه مغرقة فى التفكير ، ثم رفعت رأسها الى وهى تقول : ربما كان هذا كله حقا ، ولكن الامر مازال أيسر مما تظن ، فأنت واثق بأن القاضى سيعدل فى أمر صاحبك ، واذن فستذهب الى مجلس القضاء وستسمع الحكم ، فاذا برىء صاحبك عدت معه آمنين الى حيث تستأنفان اصطيافكما كأن لم تلقيا شهرزاد ولم تعرفا القصر المسحور

قلت ساخرا : ما ايسر ما تقولين ذلك ، كانك تجهلين ان لقاءك فتنة وأن قصرك سحر ، وأن من دنا منك لا يستطيع أن يطيل النأى عنك ، وأن من خرج من قصرك لا يستطيع أن يسلو عن الرجوع اليه ! هل لك أن تدعى هذا الدل وتعرضى

عن هذا التيه ، حتى نفرغ من هذه القصة التى طالت واشتد تعقدها ؟

قالت : صدقنى انى لابعد مما تظن عن الدل والتيه ، ولكن أكبر نفسي وانفسكم أيضا من أن أخضع لسلطان وان كان سلطان الدهر ، ومن أن أقبل اتهاما أو اتهيأ لدفاع

قلت : ومع ذلك فأنت متهمة ولابد من أن تدافعى عن نفسك

قالت : كلا ان لى عن ذلك مندوحة ، فأنت تعلم أن هناك استارا يكفى أن ترفع وأن تسدل بعد أن أجوزها واذا انا بمأمن من كل عادية لا يبلغنى شيء ولا يصل الى احد وان كان الزمان

قلت : نعم ومن وراء هذه الاستار كنت تريدين ان تلقى توفيقا

قالت : كنت أريد أن أحفظه

قلت : فانك لا تجهلين أن ما وراء هذه الاستار يسمى الموت بالقياس الينا ويسمي النسيان بالقياس اليك. أفترضين ان تسدلى أستار النسيان بينك وبين الاحياء ؟

قالت : لقد بلوت الاحياء حتى ضقت بهم ، وما أكره أن أستريح منهم دهرا ، فلينسونى ولانسهم ، وما اظن انى سأشقى بهذا كما يشقون

قلت : ما كنت أعرف فيك هذه القسوة ، انك لتعلمين أنك عزاء الاحياء وسلوتهم ، وانك رحمة البائسين ونجاة الهالكين منهم . ومع ذلك فلن يخلى الزمن بينك وبين ما تريدين للاحياء

من هـذه الحياة الخشنة الجافة التى يملؤها الجحيم والعـذاب المقيم

قالت وقد نهضت مغضبة : الزمن أيضا ؟ فأنا اذن مثلكم امة له مذعنة لسلطانه لا استطيع منه فرارا

قلت :

ولو طار جبريل بقيـــــة عمره

قالت وهى لا تكاد تملك نفسها :

من الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

سخف هذى به شاعر من شعرائكم ظنه وظننتموه فلسفة ولم تعرفوا انه الهراء الذى ليس وراءه شىء . ستـــرى يا سيدى استطيع الخروج من الدهر أم لا أستطيع . ثم دقت يدا بيد فأقبل غلام أسود فقالت له : سترعى هذا السيد حتى يفرغ صاحبه من قضيته ثم تبلغهما مأمنهما ثم تلحق بى وراء الاستار

قال الغلام : الاستار ياسيدتى ؟ انها مأخوذة علينا

قالت : من أخذها ؟

قال : جنود القاضى ، انهم يقومون دونها منذ وجه اليك ما وجه من حديث

قالت : فستنتظرنى اذن فى القصر حتى أعود

قال : تعودين من أين ياسيدتى ؟

قالت : من وراء الاستار . ألست قد زعمت أن الطريق مأخوذ عليكم ؟

قال : وعليك أيضا يا سيدتى !

هنالك ثار ثائرها فنهضت ولطمت خد العبد . واذا هو يجثو بين يديها مستغفرا ولكنها مضت أمامه لا تلوى على شيء . وتبعها العبد مستخذيا خجلا . ولبثت في هذه الغرفة مضطربا بين الحيرة والدهش والغضب ، لولا أن صاحبى أقبل يهمس في أذنى لقد انتصف الليل . ولم أكد أسمع هذه الجملة حتى انجلت عنى غمرة هذه القصة كلها وذكرت الفندق ومن خلفت فيه ، ونهضت عجلا قلقا أسأل صاحبى ، ومن لنا بالعودة وكيف الطريق الى الفندق ؟ وماذا عسى أن يظن بنا من الظنون

ولم يكد صاحبى يهم بالجواب حتى أقبلت شهرزاد شاحبة غاضبة لا تملك نفسها من الغضب والغيظ فتلقى على صاحبى نظرة يطير لها لبه ، فيرجع أدراجه مسرعا ، ثم تتحول الى قائلة وقد تجاوز السخط بها حده :

ــ انك تفكر في العودة الى أهلك . كلا ياسيدى ، يجب أن تعلم أنى أسيرة في هذا القصر ، أسيرة قاضيك الذى اخترته ووثقت به ، فلتكن انت أسيرى ولن يخلى بينك وبين الحرية حتى يخلى بينى وبين النسيان !

حكم الزمان

فلما تقضى الليـــل الا أقله
وكادت توالى نجمـه تتغور

يممنا مجلس القضاء ، فكنا السابقين اليه ، ولبثنا لحظات مأخوذين يبهرنا هذا الجلال الذى لا يرقى اليه الوصف ، جلال الصمت قد امتدت ارجاؤه حتى طبقت الجو كله من حولنا ، لا تشقه الا هذه الموسيقى الضئيلة المتهالكة التى كانت تضطرب فيه اضطرابا متصلا حلوا ، فيه أمن للقلوب ولذة للنفوس ، والتى كانت تصدر عن هذه الحشرات الضئيلة المنبثة المستخفية فى ثنايا ذلك العشب الكثيف . وجلال هذه الظلمة التى كانت تزرع لكثافتها وامتدادها من كل نحو وفى كل وجه ، لا تشقها الا أشعة ضئيلة متفانية ، ملائمة لتلك الموسيقى الضئيلة المتهالكة ، كانت تصدر من هذه النجوم البعيدة التى أخذت تجد فى الهرب ، كأنما كانت تريد أن تبلغ مأمنها قبل أن يدركها ضوء الصباح . وكانت نفوسنا تجد فى أعماقها شعورا قويا بجمال حزين مغرق فى الحزن ، كأنه صورة لهذا الكون الذى كان يحيط بنا وبغيرنا ، والذى كان يأتلف من مزاجين مختلفين أشد الاختلاف ، ظلمة كثيفة قد شاع فيها صمت عميق وأصوات نحيلة تصعد من الارض فتلقاها فى الجو أشعة ضئيلة تهبط من السماء . ومع انا كنا قد افترقنا مختصمين أو كالمختصمين منذ ساعات قصار ،

فقد أحسست نفسي تدنو من نفس شهرزاد. وما أرى الا أنها كانت تجد مثل ما أجد ، واذا يدانا تلتقيان ، واذا هى تسألنى فى صوت لم يكن أقل تحولا من بعض هذه الاصوات التى كانت تضطرب فى الجو ، ما رأيك فى هذه الموسيقى ؟ أليست باهرة للعقول ساحرة للقلوب ، منسية للخطوب والاحزان ؟

وأهم أن أجيبها ، ولكن يدها اللطيفة تضغط يدى الخشنة كأنها أنكرت صوتها فهى لا تريد أن تسمع صوتى ، وكأنها تؤثر الا يأخذ الحديث بيننا طريق الالسنة والاسماع ، بل طريقا أخرى هى أيسر وأقرب ، وهى طريق النفوس حين تتحدث الى النفوس فى غير صوت مسموع أو جرس محسوس



وما أدرى ألبثنا كذلك وقتا طويلا أو قصيرا ، ولكنا نشعر فجأة كأنا انتزعنا فى عنف من عالم الغيب ورددنا فى قوة الى عالم الشهادة . وهذه سحابة تسعى فى وقار وأناة كأنماتنزلق على الجبل حتى اذا جازت هذا المكان الذى كنا نقيم فيه لم تقف ولم تتمهل ، وانما مضت فى طريقها منحدرة ولكنها تنحسر فى لطف وظرف عن شخص نجده ماثلا أمامنا ، فاذا تبيناه عرفناه واذا هو المتهم ، عليه معطفه وفى يده عصاه . وأنت تستطيع أن تسأله عن ليلته تلك التى قضاها ضيفا على السحاب ، فقد حدثنا عنها حديثا ظريفا طريفا شائقا رائقا ما أريد أن أسوقه اليك ، لانى أقدر حقوق الادباء فى اذاعة ما يعرض لهم من الاحداث ، وما توحى اليهم به الخطوب ، ولا

سيما فى هذه الايام التى اشتدت فيها مطالبة الادباء وأهل الفن بحماية حقوق المؤلفين . وما أظن أن صديقنا يبخل عليك بهذا الحديث فقد سمعته يتحدث الى نفسه — وما أكثر ما يتحدث صديقنا الى نفسه فيسمع الناس — بأنه خليق أن يذيع هذه القصة فى كتاب . وأخذت أشخاص مختلفة متباينة تبلغ هذا المكان ، منها ما يصعد ومنها ما يهبط ، ومنها مايأتى عن يمين ومنها ما يأتى عن شمال ، وكل صامت لا يسمع له صوت ، وكل هادىء لا تحس له حركة . ثم يضطرب الجو ويهتز الجبل وتمتلىء النفوس مهابة ووقارا فقد قصف الحاجب العنيف بأن القاضي قد أخذ مكانه من مجلس القضاء

ثم يمتلىء الجو من حولنا بصوت رقيق رفيق يدعو شهرزاد ويتهمها بأنها أهانت القاضى باللفظ والكتابة ، ويسألها أن ترد عن نفسها هذه التهمة ان عرفت الى ذلك سبيلا

فتقف شهرزاد ولا تقول الا ألفاظا قليلة ، ولكنها قاسية بما كان يملؤها من سخرية ويترقرق فيها من مزاح ، ولله ذلك الصوت ما كان أعذبه وأجمل موقعه من القلوب حين كان يذيع فى ذلك الجو الرهيب نغماته الساحرة التى كانت تشيع فيه شيوع الكهرباء فتسحر لها النفوس ، وتسرى لها فى الاجسام رعدة لذيذة لا تعقب أذى ولا ألما

قالت شهرزاد :

— لا اقف هذا الموقف لادافع عن نفسى ، فلست اعرف لاحد الحق فى أن يتهمنى باثم مهما يكن . وأنا الحرية كلها ، الحرية التى تشيع النشاط فى العقول وتذيع الحياة فى القلوب وتبعث

الحرارة فى العواطف والمشاعر والاهواء . أنا الحرية الخالصة التى لا تعرف حدا ولا مدى ولا تنتهى الى غاية ولا أمد ، ولا ترجو لشىء ولا لاحد وقارا . انا الحرية الطاغية ، التى يظلم كل من يحاول أن يحد من طغيانها ، ويبغى كل من يحاول أن يكبح من جماحها ، لأن نظام الحياة ، بل نظام الكون يريدها على أنها تكون طاغية جامحة لاتذعن لقوة ولا تؤمن لسلطان ، لا أقف هذا الموقف لاتلقى اتهاما ، لانى فوق الاتهام ، ولا القى دفاعا لانى فوق الدفاع . وانما أقف لارد هذا القاضى الى رشاده وأعيد اليه فضلا من صوابه ، وانعى اليه نفسه ان مضى فى غروره أو أسرف فى غلوائه ، فظن انه يقدر على الحرية ويسيطر على شهرزاد . لقد أصاب المتنبى حين قال منذ ألف سنة ...

قال توفيق مقاطعا : وانت ايضا قد أدركتك عدوى المتنبى؟

ولكنه لم يمض فى حديثه ، فقد قصف الرعد قصفة ردته الى السكوت

ومضت شهرزاد فى حديثها عن اصابة المتنبى حين قال منذ الف عام :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته

فسرهم وأتيناه على الهرم

قالت :وكنا نحسب أن الف عام لا تعدل يوما بالقياس الى هذا القاضى . وانه يستطيع أن يهرم على مهل ويشيخ فى أناة، دون أن ينتهى الى خرف ويفارقه حلم أو يذهب عنه صواب، وكنا نظن أن آلافا وآلافا من السنين ستمضى قبل أن نحتاج

الى ان ننبهه بين حين وحين أنه أخطأ فى الحكم او جار عن قصد السبيل . وكنت أتهيأ لاكون منه مكان تلك الفتـــاة الاعرابية التى كانت تقرع لابيها العصى تنبهه أنه جار فى الحكم أو حاد عن القصد ، ولكن قاضينا أسرع الى الهرم وأسرع الهرم اليه حتى تجاوز كل حساب ، وما كان ينبغى لى أن اجهل ذلك او اجادل نفسى فيه وأنا أرى بوادره تشيع فى أقطار الارض وتفسد على الناس حياتهم فى غير بيئة ، فاذا الحرية تضطهد ، واذا آثارها تصادر ، واذا العقل ينفى من الارض . واذا الاقلام والالسنة تخضع بألوان القهر والمراقبة والتضييق . واذا رسلى يعودون الى يائسين بائسين ، يشكون زهد الناس فيهم وفيما يحملون اليهم من ثمرات الحرية التى تذيع الخصب فى العقل والشعور . كنت أظن انها أزمة تأتى الناس من اسرافهم فى الحضارة وتعرضهم لاخطارها وأمراضها التى تعرض وتزول ، فاذا هى أزمة تأتيهم من أبيهم الزمان الذى فارقه الشبـــاب وتصرمت عنه الكهولة القوية وأدركته الشيخوخة وما يتبعها من أعراض الفناء والانحلال ، الا أن أكون مخطئة وان يكون هذا الشيخ الوقور مريضا ألم به بعض العلة ، واذن فأنا كفيلة بعيادته والقيام على تمريضه والطب لما يلح عليه من الداء .

قال القاضى فى صوته الهادىء الشائع العريض :

ــ حسبك ياشهرزاد فقد استنار القاضى

ثم دعا المتهم وسأله :

ــ الا تريد أن تزيد على ما قلت شيئا ؟

قال توفيق وهو يرتعش ارتعاشا عنيفا :

ـ لا يا سيدى ، ولكنى أتوسل اليك ألا تحملنى من تبعات شهرزاد قليلا أو كثيرا فانى أراها أسرفت كثيرا ، فليكن أسرافها على نفسها لا على

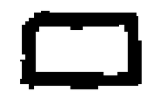
قالت شهرزاد وقد التفتت اليه ضاحكة :

ـ ويحك ! وكيف خنتنى قبل أن يصيح الديك ؟

ثم غمر المجلس صمت عميق لم يتصل الا لحظات قصار ، واذا نحن نسمع صوتا هادئا عذبا يتلو علينا الحكم ، ولكننا لا نتبين من أين يبلغنا هذا الصوت

قال الصوت : والآن وقد سمعنا ادعاء المدعين وسماع المتهم الاول ، ولاحظنا اعتزال من اعتزل وعدول من عدل عن الاتهام ، نقرر ان من حق الاديب ان ينشىء اشخاصه كما يريد هو لا كما يريدون هم ، بل أن من الحق على الاديب أن يتلقى أشخاصه كما يؤديهم اليه فنه ، لا يغير من صورهم التى تلقاهم عليها ولا يبدل ، ولو حاول ذلك لما استطاعه ولما وجد اليه سبيلا . ولمن شاء أن ينكر عليه أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه فنه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه . وما ينبغى لهذه الاشخاص نفسها أن تثور بمنشئها أو تمكر به أو تكيد له أو تتألب عليه ، أو تبغى له سوءا أو تستنزل عليه عقابا . فان فعلت فهى طاغية يجب أن ترد عن طغيانها ، وباغية يجب أن تصد عن بغيها وجامحة يجب أن يكبح جماحها ، ومنشؤها وحده هو القادر على ذلك ، وسبيله اليه ترقية فنه وتجديده واصطناع الاناة والدقة والاتقان فى التصوير والتعبير جميعا . ولما كان المتهم

قد أعلن تواضعه واعترف بقصوره وسلم بأنه فى حاجة الى أن يسعى ويطيل السعى ، والى أن يجد ويمعن فى الجد لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه ، ولما كنا نقدر للمتهم تواضعه وطموحه الى الكمال واعترافه ببعد الامد أمامه . ولما كنا نحرص على أن نمنحه المعونة على ما يريد من الرقى الفنى ، فقد قضينـا أولا باسقاط دعوى المدعين وتبرئة المتهم مما وجه اليه ، ثانيا بنفيه عن سالنش وعن الارض الفرنسية كلها شهرا وارساله الى سالزبورج حيث الفصل الموسيقى وحيث يستطيع أن يجد من جمال الفن ما يدنيه خطوة أو خطوتين من الكمال



ثم انقطع الصوت لحظة أتاحت لتوفيق أن يدفع من صدره آهة عميقة تصور ابتهاجه بما حط عنه من ثقل وما ازيل عنه من حرج ، وما مهد له من سبب لترك سالنش وسمكها الذى لم يصطده ، الى سالزبورج وموسيقاها الرائعة الحلوة معـا . ولكن الصوت يعود فيملأ علينا الجو من جميع نواحيه قائلا : أما المتهمة الثانية فبعد أن سمعنا دفاعها الذى تزعم انه نعى علينا وتأديب لنا ، نقرر أن من حقها أن تستمتع بطبيعتهـا التى هى الحرية الخالصة ، ولكن فى غير اسراف ولا جموح ، لان الاسراف فى الحرية قتل لها واعتداء عليها . ومن حيث أنها قد تجاوزت الحد وجارت عن القصد واستطالت على السلطان ، بعد أن اطمأنت اليه ، وثارت به بعد أن اعتمدت عليه فى اقرار العدل . ومن حيث أنها بهذه السيرة تؤذى نفسها ، وتؤذى الذين يتبعونها من رسلها الخالدين واشياعها الهالكين . ومن

حيث أنا نحرص على الحرية ونرفق بها من أن نخلى بينها وبين هذا الطغيان الخطر ، ومن حيث أنا مع ذلك نقدر حاجة الحرية الى أن تمد لها الاسباب ولا يشتد عليها التضييق . فقد قضينا بأن يلزمها الارق المضنى الذى تعانيه الى آخر الصيف

هنا نهضت مندفعا فى شىء من العنف غير قليل قائلا فى صوت لم أملك تهدئته ولا تنظيمه ، اذن فلن تأرق وحدها ما بقيت قريبا من القصر المسحور

قال توفيق فى صوت المنكر الدهش :

ـ ما رأيت مثلك رجلا يعترف بالسلطان ثم يتحداه ويخرج عليه !

والتفتنا فاذا كل شىء قد عاد الى هيئته قبل أن ينعقد مجلس القضاء ، ظلمة مطبقة تضطرب فيها أشعة النجوم المنهزمة وصمت عميق تتردد فيه أصوات الحشرات المتغنية. وتوفيق حائر الطرف يهز رأسه عجبا ودهشا واستغرابا ، ولسانه يتردد فى فمه :

ـ حقا لا أدرى أين أنا أو ماذا يراد بى

وشهرزاد تقول فى صوتها العذب :

ـ أنت على قمة الجبل الذى طالما تمنيت أن تصعد فيه ، وطالما غرك به الغرور ، فظننت أنك تستطيع أن تبلغ قمته ثم تنتهى الى حضيضه فى ساعات ، ولا يراد بك الا ما تحب لنفسك وما يحب لك الزمان من الاستماع للموسيقى فى سالزبورج

قال توفيق : ولكن كيف السبيل الى سالنش لاركب القطار؟

قالت شهرزاد : لا بأس عليك ، سنبلغك مأمنك ، وان خنتنا قبل أن يصيح الديك

وهنا أراد توفيق أن يعتذر ، ولـــكنها أخذت عليه طريق الاعتذار قائلة له : بل أناالمعتذرة اليكما ، فقد كلفتكما أهوالا وحملتكما أثقالا وضيعت عليكما شهرا من أشهر الصيف

قلت : لم تضيعى علينا شيئا ياسيدتى ، بل رفهت علينــا وأرحتنا من سخف الحياة بما فيها من جد الامر وهزله

قالت : من يدرى ، لعلك لم تخطىء ، ولعل ما فى هـــذه القصة من سخف لا يلائم ما ألف الناس من سخف الحيــاة الجادة والهازلة أن يسلى غيركما من الناس عن أثقال الدهر وهموم الحياة ، فما أظن أن الناس تعودوا عندكم أن يروا أديبين يعبثان بنفسهما وبالأدب .. أذيعا هذا اللهو ان شئتما فمن يدرى ، لعل اللغو خير ما فى الحياة

وأدرك شهر زاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح



فهرس

صفحة

صفحة



وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العراق : السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص.ب ٤٩٣

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

البرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio Nº 3,
3º Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

هـذا الكتاب الطريف الذى نقدمه بين يدى القراء فى أسلوب روائى شـائق هو الكتاب الوحيد الذى اشترك فيه الكاتبان الكبيران الدكتور طه حسين ، والاستاذ توفيق الحكيم . ولكن ليست هـذه الميزة الوحيـدة لهذا الكتاب ، بل هناك الطريقة الممتعة التى عرضـا بهـا فصوله ومواقفه ، والرواية العجيبة لاحداثه وأبطاله ، وفى مقدمتهم شهر زاد بطلته الأولى . فكل الذين قرأوا شهر زاد لتوفيق الحكيم ، وفى ألف ليـلة وليلة فى بغداد ، ومن قبل فى قصص الفرس لم يجدوها بارحت الشرق ، ولكنها فى هذا الكتاب سافرت الى فرنسا ، ونقلت اليها قصرها المسحور ـ نعم المسحور ـ ولولا ذلك لما وقع لطه حسين وتوفيق الحكيم فى هـذا القصر ما وقع وهما فى صيف أحد الاعوام فى فرنسا مما روياه فى هذا الكتاب العجيب من كل حدث ساحر غريب

انك لتقرأ فى هذا الكتاب حكمة وفلسفة من فلسفة الحياة والايام ، وتقرأ قصة طريفة اشتركت فيها براعة كاتبين كبيرين تدعك بين الجد والفكاهة ، وبين الحقيقة والخيال حتى تنتهى من قراءته فى لذة ومتعة وأسلوب روائى ممتاز

كتاب الهلال

قصة الثورة كاملة

بقلم

أنور

قروش ١٠ سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد ٧٥

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحى

العدد ٧٥ ـ ذو القعدة ١٣٧٦ ـ يونيه ١٩٥٧

No. 75 — June 1957

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

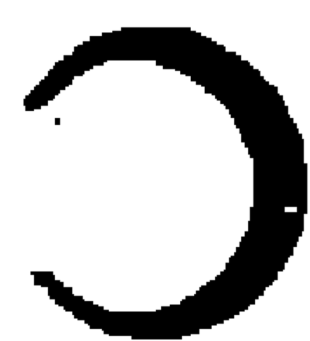
كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشـــتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ١٠٠ قرش صاغ ـ سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا ١٣٠ قرشا صـــاغا ـ الامريكتـين ٥ر٥ دولارات ـ ســـائر أنحاء العـــالم ١٧٠ قرشـــا صـــاغا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

قصة الثورة كاملة

بقلم

أنور السادات

طبعة جديدة مزدانة بالصور

تحتوى على زيادة فى بعض الفصول

دار الهلال



الرئيس جمال عبد الناصر

مقــدمة

بقلم القائمقام أنور السادات

كنت اكتب واروى للشــعب قصـــة ثورتنــا ، وفى كل مرة كنت اسرد للشعب ـ وليس لغيره ـ حقيقة واحدة ، وهى ان الثورة لم تقم الا من أجل شيء واحد .. من اجل ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق .. قلت ان الثــورة ألغت الاحزاب ، وأسقطت الدستور ، لانها ثورة وليست انقلابا . ثورة تستهدف اقامة نظام ديمقراطى صحيح ، لانظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته . نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت فى حلقات عديدة أروى للناس فى مصر وفى خارج مصر حكايتنا

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم ان قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية تلك الفكرة التى كان السيدسليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها فى كثير من الاحيان

كانت أهدافنا ــ اذن ــ واضحة .. ومحددة واصررنا عليهـا ولم نتراجع .. وتلك الاهداف كما تحدثت عنهـا تحت هذا العنوان ، هى اقامة نظام ديمقراطى سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه .. لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التى تريد ان تعيش عالة على الناس وجهدهم

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التى تراها فى الصفحات الآتية ، عن العقبات التى صادفناها ، وعن المؤامرات .. وعن الذين وقفوا فى الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف اننا كنا قد قررنا ان يكون الزحف ابيض ، وان يكون بلا دم .. حتى اذا اعترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما اذن ــ أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية . فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين فى الاغلال

وفى الطريق مضينا .. والتقينا بكثيرين من الاعداء .. الرجعية المتربصة بالبلاد .. الاحزاب التى قامت فى كنف النظام الملكى الاقطاعى وفى حماية قوات الاحتلال ...

والتقينا بالخونة والعملاء .. وبالانتهازيين وفلول النظام الذى سقط .. كنا نريد أن ينتهى الزحف الابيض على الاعداء فى ساعة واحدة لا فى ثلاث سنوات

لكن المسألة لم تكن فى يدنا .. فقررنا ان يستمر الزحف

مهما كانت العقبات .. فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطى .. لا العسكرى كما قال المزيفون

ولقد حددت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا ان يستعد ليحكم نفسه بنفسه

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الاكبر للثورة المصرية

لم يعد امام الشعب الا ان يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم على اعدائه ، بكل رغبته فى العدل والحق والحرية



ان آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه . فلا جوع ولا عرى ولا ضياع فى كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومى الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا فى ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته اسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحنى أمامه العبيد

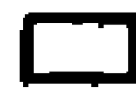
ان الحزبية كانت تصنع هذا كله ... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة فى نوادى الاحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة

أما اليوم .. فالبلاد بلادهم يملكون كل شىء فيها ، بعد ان مهدت أمامهم الثورة الطريق ... وأزالت منه الصخور والأشواك

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ،

فعنـــدما حددنا فترة الانتقال كنا نعني ما نقول ، وكنا قد حـــددناها ليس من أجل البطش بالشـــعب ، فتلك ليست صناعتنا ... بل أوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة العفنة التي خلفها لنا نظامهم الباطش ، القائم على أعمـــدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال والارستقراطية المتعالية

وكان حتما على الثورة ان تقوض اركان ذلك النظام ، قبل ان تفتح الابواب امام الشعب لينطلق نحو مستقبله . كان حتما على الثورة أن تحدد فترة للانتقال ... يتم خلالهـــا تطهير الارض من الادران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقهـــا آمنـــا لا تحوطه مؤامرة ، أو تتربص به الخديعة



ان التاريخ يطوى اليوم صـــفحاته المليئة بالذل والارهاق والضياع ، يطويها ليفتح صفحات أخرى ، يسجل فيها بدء حيـــاة جديدة لشعب منتصر ، متحرر كريم ، أراد أعداء الانسانية وقف زحفه فهزموا ... وتشتتوا ... واجتاحهم الطوفان الـــكبير !

لاحزبية ..

فالشعب هو الحزب الـــكبير ..

لا زعامات مصنوعة ..

لا زيف ولا باطل ..

بل مجتمع اشتراكي متحرر وحكم قومي لايشوبه طغيان . قلنا هذا الكلام مرات عديدة .. قلناه تحت هـــذا العنوان الجليل ... لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به

الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من اعماق الشعب

واليوم .. ماذا سيقول المزيفون ، بعد أن اصبحت البلاد ملكا خالصا لابنائها .. لكل الابناء ! ؟

ماذا سيقول المزيفون والشعب قادم.. والشعب منطلق.. والشعب منتصر ! ؟

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار .. صيحة تحمل الامل الكبير المضيء للشعب ، والنذير لاعدائه ..

فمن أراد أن يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة ..

من اراد هذه الحياة التى تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله وكفاحه

من أراد الحرية والعدل والحق ..

من أراد الشرف والعمل الكريم والامن والرخاء ..

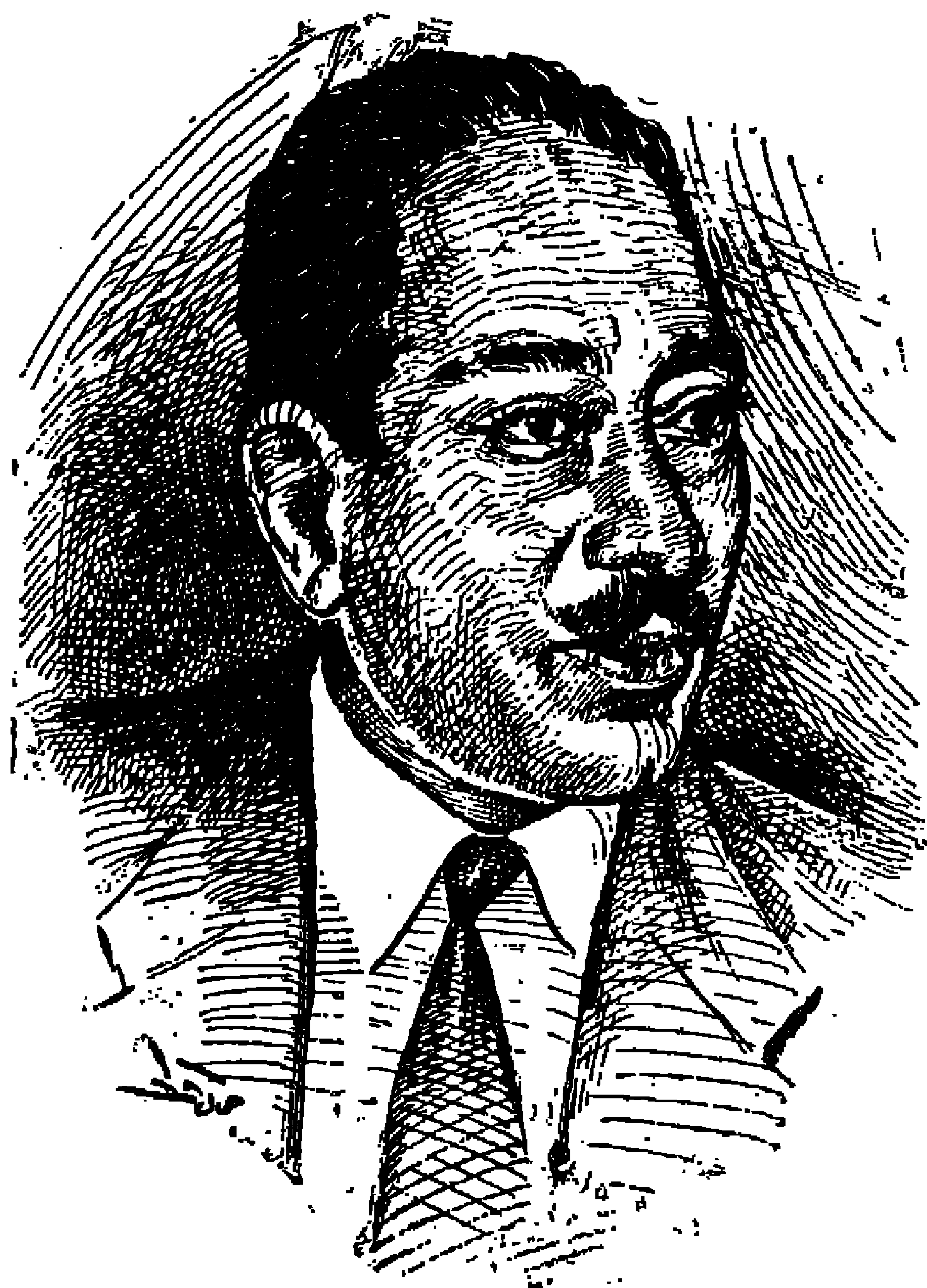
من أراد أن يمضى فى طريق لايعترضه فيه باطش أو مستغل أو مستبد ..

من اراد أن يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية ..

من اراد أن يرفع رأسه بين العباد ..

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلوا شاكرين للاله القادر العادل رعايته التى حمت الثورة المصرية حتى اتمت زحفها الكبير ..!

((أنور السادات))



القائمقام انور السادات

ماهي السياسة؟

وماهي الديمقراطية؟

ما هى السياسة ؟

ما هى السياسة ! ؟

هل هى علم يدرس ، مثــل الميكانيكا ، او مثــل الطب والكهرباء ، فينبغ فيها الاذكياء ويتبحر فيهــا ذوو المواهب ويمارسها اصحاب الكفاءات ويعرف اسرارها خريجو المعاهد التى تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والــكهرباء ؟..

ولكى نناقش المسألة ببساطة اكثر أقول : هل السياسة مهنة او حرفة يمارسها المرء ، مثلما يمارس اى عمل آخر ، تخصص فيه وفهم قواعده ؟

اذا قال لك احدهم ان فلانا هذا سياسى داهية ، والمعنى لا يشق له غبار ، فلا تستمع على الاطلاق لهذا الكلام ، لان السياسة ليست حرفة يجيدها انسان ويفشل فيها آخر ، او يصبح عالما بخباياها ! ؟

وصحيح انه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيهــا السياسة وعلوم السياسة ، لكن تلك المعاهد لايتخرج منهــا ساسة على الاطلاق .. بل يتخرج منها موظفون يحدد لهم العمل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتا لايتغير ، بينما العالم من حولهم يدير شئونه ويغير من نظمه

الساسة الحقيقيون

فمن هم الساسة الحقيقيون هؤلاء ! ؟

انهم الشعب ..!

فالسياسة هى الحاجة .. والشعور بالحاجة هو الذى يدفع المرء الى الكفاح من اجل تحقيق حاجاته .. هنا تصبح المسألة سياسة !

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنها ان تحدد حاجات الناس .. الذى يحدد هذه الحاجات هم اصحاب الحق فيها !

وعندما يقود احد ابناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية ـ مثلا ـ وينجح فى قيادته تلك ، ويحقق الانتصارات دواما ، فليس معنى هذا ان ذلك الزعيم سياسى لايشق له غبار ، وعالم متبحر ازرق الناب ، معنى هذا ان هذا القائد يعرف حاجات الشعب ، الذى يقوده ، ويعرف مصالحه ، ويعرف اعداء هذا الشعب الذين يقفون فى طريقه ..

ومعرفة الحاجات والمصالح والاعداء لا تحتاج الى دراسة فى معهد أو دبلوم من الجامعات .. بل تحتاج فقط الىالعيش وسط المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومى من اجل الرزق .. اى يجب ان يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل اغلبية هذا الشعب ، وتمثل حاجات ومصالح واهداف هذه الغالبية .. التى عاش بينها ومارس معها الكفاح اليومى ، فشعر بمشاعرهم ، وفهم اهدافهم ، وآمن بها لانها اهدافه هو ، وتجرع كل حقيقة سيطرت على حياة هذه المجموعة.. لانها هى نفسها حياته هو ..!

فاذا اراد تحقيق هذه الحاجات ، وسعى الى تلك الاهداف ومضى حتى النهاية فى هذه الطريق فهنا .. وهنا فقط يقال ان فلانا هذا .. سياسى ..!

اى انه يعمل من اجل الشعب ..

السياسة هى الشعور بالحاجة

السياسة ـ اذن ـ هى الشعور بالحاجة ، وممارستها ،

لاتكون بتلقى العلوم عنها فى المعاهد والجامعات ، بل تكون بالرغبة والاصرار والنضال من اجل تحقيق حاجات الناس.. اى الثورة ..!

فقبل ٢٣ يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم انهم زرق الانياب ، وساسة دهاة تلقوا علم السياسة فى جامعات اوربا ومعاهد لندن .. وبالرغم من هذا لم يستطع هؤلاء الا ان يصنعوا شيئا واحدا .. هو العمل جنبا الى جنب مع اعداء البلاد ..!

فهم – اذن – كانوا خونة زرق الانياب وليسوا سياسيين، هم لم يشعروا بحاجات الشعب ، ولم يؤمنوا بالشعب ..!

هل عرفت ما هى السياسة ..! ؟

انها الحاجة ..

فاذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى النهاية فانت سياسى .. ازرق الناب ، ولا يشق لك غبار !



ما هى الديمقراطية

ما هى الديمقراطية ! ؟

اغلق على نفسك الباب ، وانفرد بنفسك دقائق قليلة ، ثم وجه اليها هذا السؤال : ما هى الديمقراطية ! ؟

لكن قبل ان تفعل ذلك نود ان نعرف من انت ! ؟

فربما كنت من تلك الفئة التى لا تعنيها الديمقراطية على الاطلاق ، بل الذى يعنيها هو تغليب مصالحها على مصالح اغلبية الشعب ..

بصراحة يجب ان لاتكون اقطاعيا ، او من حملة الرتب.. باشا مثلا ..

ويجب ان لاتكون من حكام اسرة محمد على .. والانجليز

ويجب ان لاتكون من حاشية ذلك العهد وحوارييه ..

يجب ان لاتكون منتميا الى الفئة التى استفادت من وجود الاحتلال ، ومن وجود الباشوات ، ومن وجود الرجعية .. اعنى اعداء التطور !

واخيرا لكى تجيب على هذا السؤال اجابة صحيحة دون ان تخطىء او تتجنى ، عليك ان تكون احد افراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضى .. اى تمثل غالبية الشعب

بعد ذلك حاول ان تجيب على السؤال .. ما هى الديمقراطية ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لك ايها المواطن الذى لا تجد عملا

الديمقراطية بالنسبة لك ايها المواطن الذى لا تجد علاجا

الديمقراطية بالنسبة لك ايها الفلاح المريض الكادح المعروق

الديمقراطية بالنسبة لك ايها العامل المتطلع الى الضمانات والمكافأة المجزية ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لك ايها الموظف صاحب الاسرة ، وصاحب الآمال العديدة فى التعليم والصحة والامن ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التى استغلت ، لمصلحة افراد قلائل ، عاشوا فوق ارضنا خونة ومترفين وخاملين ومخادعين ..!

اجل .. ما هى الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب..

هل اجيب انا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة ايها العامل وانت يافلاح ، وياطالب الحق المسلوب ! ؟

الديمقراطية بالنسبة لكم هى تحقيق مصالحكم ، لا مصالح الاقلية ..

الديمقراطية هى انتزاع الحقوق المسلوبة ، واسترداد الارض من غاصبيها ..!

الديمقراطية هى التخلص من القيود ، تلك التى كانت فى رقابنا ، وحول اذرعنا ، وعقولنا ايضا ..!

الديمقراطية هى استقلال الوطن ، وسيادة الامة ، والمساواة والعدل ، هى تقرير المصير ..!

وفى اللحظة التى قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو ، كانت الديمقراطية هى الطريق ، طريق هذه الثورة الذى اتجهت اليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وايمان ..

لانها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة ، بل هى نفس الثورة المصرية التى قامت من قديم ، وهدفها التخلص من اعداء الشعب ، واقرار الحق والعدل والمساواة ، وسيادة الامة

نحو الديمقراطية

من اجل هذا مضت الثورة المصرية بعد انتصارها فى ٢٣ يوليو بخروج الجيش الى المعركة .. جنبا الى جنب مع الشعب

اقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد

وكان عليها لكى تحقق هذه الديمقراطية ، ولكى تعلن الدستور المتضمن نصوصها واسسها جميعا ، ان تتخلص اولا من اعداء الديمقراطية اى اعداء الدستور ، وهم اعداء الشعب ..

وكان العدو الاول هو الملك .. بل هى الاسرة التى كانت تحكم ..

وانتصرت الثورة على العدو الاول .. وبهذا ارست الثورة اولى قواعد الديمقراطية ..

ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثانى للثورة .. بل للديمقراطية ، اما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الاصلاح الزراعى ..

وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى سيسود البلاد ، بعد فترة الانتقال، وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته وازدهاره ..

ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى الا ايمانا بالديمقراطية ، والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر ..

ذلك لان الحلف العسكرى كان سيجعل الشعب وارض الشعب وموارد الشعب فى خدمة مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها ..!

وفى ظل الحلف العسكرى المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة ، والديمقراطية من المحال ارساء قواعدها وتحقيق

مضمونها ، الا فى الدولة التى لا تخضع لسيطرة اجنبية ، او لتوجيه من خارج حدودها ..!

اصرار الثورة اذن على موقفها من الحلف العسكرى ، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال ، وبالتالى حماية مصالح الشعب ..

ويوم ان اعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن صفقة الاسلحة المشهورة ، لم يكن ذلك يعنى ان جيش مصر قد زاد عتاده ، او ان جيش مصر قد اصبح اقوى الجيوش ، بل كان معنى ذلك ، ان جمال عبد الناصر يعد البلاد للحكم الديمقراطى ، على اسس متينة قوية ..

لقد واجهت الثورة مشكلة تسليح جيش الشعب بعزم مستمد من ارادة هذا الشعب ومن وحى اهدافه ..

طلبت الثورة السلاح لجيشها من امريكا ومن انجلترا ومن فرنسا ومن كل مكان ، ورفضت امريكا وساومت ، وترددت انجلترا ، ثم اعطت وعودا لا حصر لها ..

وفى نفس الوقت اعطوا اسرائيل ماتريده من سلاح ..!

كان السلاح هو « الكرت » الاخير فى يد الدول الكبرى ، للضغط على مصر ، ومحاولة السيطرة عليها ، والتمكين لنفوذهم فيها ..

ومعنى ذلك ان مصر كانت ستخضع للسيطرة الاجنبية ، ثم التدخل والتوجيه من الخارج .. وبهذا يصبح من المحال ان تحقق الثورة المصرية هدفها .. وهو الديمقراطية الصحيحة ..

ويوم قرر جمال عبد الناصر ان يحرق هذا « الكرت » الذى تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا .. ويوم ان قرر شراء السلاح بدون قيد ولا شرط ، من الدول التى قبلت بيع كل ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط .. بلا

بعثات عسكرية ووثيقة امن متبادل ، وخضوع لما تمليه مصالح الاجانب ، فى هذا اليوم سجل التاريخ لجمال عبد الناصر خطوة أخرى كبيرة فى الطريق الذى يسلكه لارساء قواعد الديمقراطية فى بلاده ..!

لقد كان معنى عدم تسليح الجيش ، والوقوف ازاء مناورات الدول الكبرى موقفا سلبيا ، هو ان الثورة المصرية لن تجد السلاح الذى تحمى به اهدافها .. ثم حدودها التى تتاخم حدود اعداء ، اعتدنا منهم الغدر والضعة والاطماع !

صفقة الاسلحة اذن ، التى عقدتها مصر بلا قيد ولا شرط مع دول اخرى لم تناور ولم تحاور ، حطمت بها الثورة التدخل الاجنبى ، والسيطرة الاجنبية والمناورات كلها فى وقت واحد وبضربة واحدة .. ومعنى ذلك هو ان مصر تمضى فى طريق الديمقراطية .. والا فكيف كانت الديمقراطية ستجد ارضا تنبت فيها وتزدهر ، وهذه الارض لاتحميها قوة تفوق قوة الاعداء المتربصين بهذه الارض .. والطامعين فى السيطرة عليها ..!

وبعد هذا .. بعد القضاء على أسرة محمد على ، وبعد جلاء القوات المحتلة ، وبعد القضاء على الاقطاع ، وبعد ابعاد السيطرة الاجنبية برفض الحلف العسكرى ، وبعد حرق الكرت الاخير فى ايدى الدول الكبرى للضغط علينا ، بعد صفقة الاسلحة ، وبعد أن اصبح لمصر جيشها الوطنى القوى الذى سيحمى الحدود والاهداف .. وثورة الشعب ، اعلن جمال عبد الناصر الدستور الجديد للجمهورية المصرية ..

لاديكتاتورية

لا ديكتاتورية اذن ولا حكم فرد ، ولا سيطرة لطبقة على طبقات ، ولا مصلحة الا مصلحة الشعب ..!

ان الخطوات التى تمت خلال اعوام الانتقال ، لم تكن لتمهد على الاطلاق الا لشيء واحد .. هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء ! والا فما معنى ان تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحوالتقدم والتحرر! ؟

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والاجانب والخونة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب ! ؟

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق ! ؟

أم لكى تفسح الطريق للسيطرة الاجنبية والتدخل فى شئون الشعب ..

انها خطوات تمت للتخلص من كل هذا ، وللقضاء على كل هذا ..

لان الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب ..

هل عرفت اذن ما هى الديمقراطية ! ؟

انت ايها العامل ويا فلاح ، ويا صاحب الحاجة ، وياطالب الرزق والعلم والصحة والامن ! ؟

افتح اذن الباب واخرج الى الطريق ، فلن يقطع عليك الطريق عدو من هؤلاء الذين بطشوا بك فى الماضى ..

لاسبيل امام الاعداء للبطش بك او بحقوقك فى كنف النظام الجمهورى .. الديمقراطى !

الثورة والديمقراطية

الديمقراطية المظلومة

عاصرت كما عاصر ابناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففى الماضى كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطى ..

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف ان الملايين من ابناء هذا الشعب كانوا لايجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية ـ من جميع الاحزاب والرجالات والزعماء ـ على انفاق مليون ونصف مليون من الجنيهات على اصلاح وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الاغلبية حينا والاقلية حينا آخر ..

وبعد أيها القارىء .. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟..

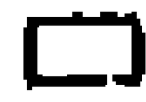


وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من اقصاها الى اقصاها بوساطة خادمه الامين .. ولذلك رأينا حكامنا الافاضل يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل ان واحدا من أولئك الرجال ـ وهو مصطفى النحاس ، الذى كانت

البلاد تأمل ان يكون على يديه الخلاص فى يوم من الايام ـ لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى ـ فى نظره ـ بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب ان يقبل يده وهو زعيم الاغلبيـة فى ذلك الوقت ، والذى أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم اتبعها بما لايخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان الى كابرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين أن يتوجهوا الى هـذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء ..

اليست هـذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذى كاد يودى بكل شيء فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة ..؟

وفى الماضى القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معى الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، اقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة فى محاكمات محكمة الشعب على لسان اقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..

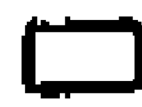


فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتـل والنسف والخطف ، وحين اراد احدهم أن يبرر هذا العمل قال أنه فى سـبيل اقامة الديمقراطية !.. ديمقراطيـة من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من ابناء البلاد ـ تماما كما يسيطر على افراد الحزب لصالح رجل واحد ـ هو المرشد العام المقدس ..

وكان ابرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين اراد أن يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينـادى بالديمقراطيـة ومجلس الثورة بأكمله لايريد الديمقراطية ! !

والعجيب ان هذا التفسير انطلى على كثيرين واصبح نجيب فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وانى لاذكر جيدا كيف انه بعد أن عاد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته فى ان يجلس بيننا فى مجلس الثورة فيقر ما نقر ثم يخرج فيشيع فى كل مكان انه لم يوافق على كذا وعارض فى كيت ، بحيث اخرج الاخوان وقتها اسطورة الاب الشفوق الرحيم . واظن قرائى يذكرون مقالتى التى نشرتها فى حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم ان صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب اليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا ان بكى معهم وقال : « ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من ابطال الوطنية » . ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت امضاؤه على التصديق اول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا ..



اقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقدها فى الماضى وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكى يجلس معنا الوزراء جميعا . فقد كانت الاحداث فى ذلك الوقت تمس السياسة العامة التى هى من اختصاص المؤتمر المشترك

واذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التى عقدناها فى دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولاها يوم انجاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب . وقد كانت تتلخص فيما يأتى :

١ ــ حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق فى حضور جلساته .

٢ ـ حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق فى حضور جلساته

٣ ـ حق تعيين قواد الوحدات فى الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقى الوحدات

٤ ـ جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته

٥ ـ على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وان يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم

٦ ـ ان لايرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا أمام الوزراء فى ان هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية فاروق الحاكم الديمقراطى ، واننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الامر بالبلاد الى دكتاتورية محمد نجيب أو أى شخص خلاف محمد نجيب

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر محمد نجيب لكى تناقش هذه الامور معه . فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وأبلغه رغبة المجلس فى ان يحضر وفعلا حضر

وبدأت المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب

وتكلم جمال عبد الناصر وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد نجيب فرضها واستحالة الموافقة عليها . وانهى كلامه بأن هناك احد حلين لاثالث لهما :

الاول : ان يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسير الامور كما كانت على شرط أن تنتفى الاسباب التى

من أجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها لسليمان حافظ

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل بتاتا هذه الديكتاتورية ويكون الاصوب بدلا من أن نختلف ان تجرى انتخابات فورا وان تسلم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب . ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد أن حطمناها

وهنا يجب ان اقف قليلا ..

فقد رفض محمد نجيب ان يعود اول الامر الى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة ان هذا المجلس مكروه . ورفض ايضا ان يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله سليمان حافظ ..



اما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب ان يناقشه قبل ان يبدى رايه فيه

ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر : ان هذا الحل يعنى اننا يجب ان نعلن اليوم انهاء الاحكام العرفية وإباحة تشكيل الاحزاب وترك كل شيء كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم

وهنا استفسر نجيب عن وضعه فى هذا الحل فقال له جمال : سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد ان يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر ..

وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من إبطال الديمقراطية

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل . وطلب مناقشة حل

فرعى آخر هو ان يحتفظ برئاسة الجمهورية وان يشكل وزارة مدنية برئاسته ايضا الىجانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة ولكن بشروطه التى طلبها وهو أن يكون له حق الفيتو على قراراته

كان نجيب يطلب هذا فى نفس الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه ان موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية .. وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان

وهذا تفسير جديد للديمقراطية ..

فكل ماكان يعنى نجيب هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هذا ان ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلا من أبطال الديمقراطية فى سبيل الوصول الى أغراضه ..



هذه الوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب ..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟ ..
وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية أم تريد الديكتاتورية ؟

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية ام هى حكومة ديكتاتورية ام هى نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟..

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية

حديث الديموقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف اثبات أمر معين ، وهو ان الديموقراطية لها أعداء فى مصر ، وان مجلس قيادة الثورة هو عدوها الاوحد ..!

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر وكل واحد من اعضاء المجلس ليس الا ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

وياله من موقف تاريخى عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديموقراطية قد ضاعت من شعب مصر .. اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر !

كان الشعب حرا فاستعبد ..

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العيش واستقرار الحال !

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديموقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاتها المقدسة ، ويجد الملايين من ابنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعا

ينعمون فى ديارهم بتلك الديموقراطية ثم جاء ٢٣ يوليو فكان مشئوما ، فقد فيه الشعب كل شىء !

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقـوق .. لان الديموقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية .. جاء الطغيان والاستبداد .. والحكم المطلق !

اليس هذا هو مايريده تجار الاشاعات من تصوير للموقف؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت ..

لـكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما ان الذين يحكمون البلاد الآن لايبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن أعداء للديموقراطية ، كما هو واضــح من كلام هؤلاء ، ومعنى هــذا ان الشعب فى مصر لن يحكم حكمـا ديموقراطيا فاذا رفض فهو يناصب الديموقراطيـة العداء ، ويريد أن يبطش بالشعب

وجميل جدا ان يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديموقراطيــة ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من أجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها

لكن ما رأيكم يا طلاب الديموقراطية فى مصر .. ويا ابطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، أقول ما رايكم دام فضلكم فى ان الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعـارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحـكومة بالحريات والانتخابات والدســتور وكل الحقوق معناه ان قيادة الثورة ليس لها وجود لانها ــ أى القيادة ــ من المحتم عليها ان تحقق ــ هى ــ للشعب ما يطلبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .. لانها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لانها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على امر من « ولى الامر » كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما !
بل تولت — هى — الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره ...
وقد فعلت !
ليس جمال عبد الناصر ورفاقه اعضاء حزب من الاحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا
ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما ... بل قادة لثورة ... والفرق كبير بين الثوار والحكام !
والثورة لها اهداف حققت بعضها ... وباقى الاهداف سيتحقق قطعا على مر الايام ... طالما ان الثوار يتولون زمام الامور ، ولا اقول الحكم .. بل انى اعلنها أكثر صراحة ان جمال عبد الناصر ورفاقه يمكن أن يقبلوا اى شيء ماعدا شيئا واحدا .. وذلك الشيء هو انهاء الثورة .. قبل ان تتحقق كل اهدافها !
ولا اريد ان اكرر واعيد فأتحدث عن اهداف الثورة ... فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا ... فلم تعد خافية على احد !
ومن بين تلك الاهداف .. بل هدف الثورة الاخير واملها الضخم هو ارساء اسس النظام الديموقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه
واذن ما هو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديموقراطية ؟
واقول : ان الثورة تفسر الديموقراطية بأعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن
الثورة تفسر الديموقراطية بالكفاح العملى من اجلها
فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديموقراطية كان الشعب حتما سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو ... وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ؛ ولكن جمال عبد الناصر ورفاقه حقنوا تلك الدماء ...

باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام ... سلميا ... أو بالقوة ان كان الامر استدعى قوة !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستعمار ... ففى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديموقراطية يخطوها الشعب وقد كان الشعب سيخطوها حتما ذات يوم ... وكان سيضحى بالآلاف من ابنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت .. لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب ارواح شبابه واطفاله ونسائه وشيوخه ... وتم جلاء القوات المحتلة ـ سلميا ـ تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة .

بنفس الاسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى اى مكان من العالم ان اتبعته فى نضالها ... اذ ان ثورة مصر ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة ... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها .. والشعب ايضا وقف معها !

والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاستغلال والظلم ... وقضت عليه ـ سلميا ـ بلا دم ، كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقر داره !

والثورة تفسر الديموقراطية بالوقوف فى وجه الارستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة .. وحالت الثورة ـ نهائيا ـ بين هؤلاء وبين الشعب ! والثورة تفسر الديموقراطية بالقضاء على التعصب وحكم السمع والطاعة .. أى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين .. لا باسم اى شىء آخر وقد حدث .. وتمت الخطوة الكبرى فى سبيل الديموقراطية

تلك خطوات الثورة التى فسرت بها الديموقراطية

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديموقراطية ؟ !

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديموقراطية ، واوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الاحزاب التى تولت ـ أخيرا ـ الحكم ، ثم أصبح لزاما عليهم ان يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ما قبل ٢٣ يوليو

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما

اى ان جمال عبد الناصر ورفاقه ـ ما دام هذا وضعهم ـ يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالاوضاع التى يجب ان تسود البلاد

ولا أعنى انه ليس من حق احد ان يطالبهم بشىء معين ـ لا ـ بل اعنى ان مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد ان قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه أمام أمر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيادة « الثورة » التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم ان سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من ارض البلاد ، مسألة اصبحت ضرورة تاريخية لايمكن الخلاص منها .. لابمنشور يحوى سبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين

وسأناقش هنا بهدوء تام ، وبصراحة تامة ايضا مسألة عودة الحياة النيابية والدستور والحريات .. الخ

سأناقش موضوع الديموقراطية التى يزعم ابناء العهد

الماضى وخدامه ان جمال عبد الناصر ورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ..

ولعل هـذا التعريف يعجب بعض النـاس الذين يتهموننا بالفاشية ..

واعود من حيث بدأت ، فاقول اننا لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هى معتقدات اتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد .. وبالرغم من هذا فانى انقل هنا كلاما قاله أحد القادة الشيوعيين ، وذلك القائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة اوربا مجتمعة .. اعنى الصين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة .. فكيف نجحت ؟ !

هل لان الذين قادوها من اتباع ماركس ولينين وستالين ، ام لانهم كانوا صينيين أولا وآخرا ؟

الرأى الاخير هو الصحيح .. بدليـل أن ماوتسى تونج نفسه عندما أراد أن ينادى بمبادىء معينة لم يجد سـوى مبادىء الزعيم الوطنى الصينى الـكبير صن يات صن ... ولم يحدث ابدا فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هناك ، وطالبوهم ببرلمـان أو بدستور أو بحريات

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتـلاع جذور النظام القديم الذى حكمت به الصين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظـام الذى يتفق ومصالح الجمـاهير الشعبية

قال ماوتسى تونج ، وهو يوضـح موقفه امام الشـعب الصينى :

« ان المجتمع الصينى الحالى ما زال مستعمرا وشـبه مستعمر وشـبه اقطاعى ، وان الاعداء الاساسـيين للثورة

الصينية هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعية .. وبما ان واجبات الثورة الصينية هي ان تحقق الثورة الوطنية والثورة الديموقراطية للقضاء على هـذين العدوين ، وبما ان القوى اللازمة لهذا العمل تلقى احيانا مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة ... ومع ان البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة واصبحت عدوتها ، الا ان الثورة يجب الا توجه ضد الرأسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، ونتيجة لهذا نجد ان طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية ، وانما الديموقراطية البورجوازية ... وهـذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ، ويجب على الصين أولا ان تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الافكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار ... واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر ..

ان وحشية القوى المظلمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل ايضا اجرامهم الاخير ، ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق ... تلك هى الحالة فى العالم »

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

وأود ان يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة ومات مئات الألوف من شبابه وشيوخه ونسائه واطفاله

كانت الدماء فى الصين تجرى كالانهار فى السهول وفى القرى وحول المدن ..

وكان لابد ان يحدث هذا لكى تمضى الثورة الصينية فى طريقها المعلوم ... لان القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة ... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت قيادتها مجموعة من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت



ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم ... وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين او باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر كما حدث فى الصين ... ومن اجل هذا يخطىء الذين يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شىء ... فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية ... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ..

ولكن الخلاف هنا فى اسلوب الثورة .. وفى قيادتها .. ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة « سلمية » بيضاء .. لانها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من اهدافها حددته فى الحال ، وعملت من اجله .. فاذا لم يتحقق الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب !

وهكذا مضت الثورة المصرية فى طريقها المحتوم .. فاذا وقف فى طريقها فرد أوجماعة وطالبوها ـ باعتبارها حكومة ـ

بشيء ما ... كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو التسليم به ... لان قيادة الثورة هي التي تحدد ماتراه متفقا مع مصالح الشعب لا مصالح اعدائه !

ولنتصور ـ مثلا ـ تشانج كاى شيك يقف اثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ ..

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟ !

هل يفسر بأنه موقف وطنى من تشانج كان شيك ضد قوى الفاشية والديكتاتورية .. ام يفسر بأنه محاولة من تشانج كاى شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟ !

وبالرغم من اننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد فى الحالتين ، موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسية والسماسرة والرجعيين فى البلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء انتخابات فى الحال ، وبدستور فى الحال ، وبحريات فى الحال .. لكى يعودوا الى اماكنهم

وتلك الاماكن ابعدتهم « الثورة » عنها .. فكيف اذن تعيدهم مرة ثانية ! ؟

كيف تعيد الثورة الاوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت الا من اجل القضاء على تلك الاوضاع !؟

وقد اوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديموقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديموقراطية بأعمالها .. تفسرها بالقضاء على الحكام الاغراب عن هذا الشعب والارستقراطية المصرية الممثلة فى الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة وتفسرها باقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم ، وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لانهم اغلبية الشعب !

ثم اخيرا تفسرها باعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها «العملية» للديموقراطية ستقرر فى الحال ان يحكم الشعب نفسه بنفسه.. لابالهضيبى ولا بالبدراوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد او جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !

هذا هو تفسير الثورة للديموقراطية ..

اما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديموقراطية فهو فى جملة واحدة : العودة الى الحكم !

تلك هى الديموقراطية فى رأيهم .. العودة الى الحكم او يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلامذة للفاشيين !

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه امام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمال ورفاقه على تحطيم اسس الحكم المطلق ! ؟

حكم القصر والبدراوى وسراج الدين والمشموذين حفظة سورة آل عمران ! ؟

كيف اصبح الثوار طغاة .. والطغاة ابطالا للحرية والديموقراطية ! ؟

كيف اصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشيا يستمد افكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة واصبح محمود ابو الفتح تاجر الرأى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما اصبح حسن الهضيبى ! ؟

هذا هو موضوع الفصل التالى

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة وأصبح تجـــار الرأى والدين والوطنيـــة أبطـــالا للديمقراطية ؟!

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الاوضاع هكذا ؟!

وأين كان هؤلاء الابطال قبل ٢٣ يوليو ؟!

لماذا لم يقـودوا الجمـاهير فى ثورة تهـــدم صرح الظلم والطغيان ؟!

أين كان محمود أبو الفتح وحسن الهضيبى وسراج الدين والنحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا للديمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟!

لماذا لم يفعل محمود أبو الفتح مثلما يفعل الآن فى ربوع أوربا .. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والاقطاع والباشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد حسن الهضيبى جهازا سريا مسلحا ينســف به قصر عابدين ورياسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه ؟!

لماذا لم يترك سراج الدين سـيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ

فى الناس ان قوموا لتحرروا مصر من هذا الاخطبوط الرهيب الذى يبطش بمصائركم ؟!

ولماذا .. ولماذا ؟!

لا توجد الا اجابة واحدة على كل هذه الاسئلة .. وهى ان حكم اسرة محمد على والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هؤلاء الساسة وأذنابهم واعوانهم وخدامهم ..

أما اليوم فهم فى محنة .. ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وابعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !

واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن اعداء لها !

فكيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى اقول انى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابى وانا أسجل الحقائق .. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات ، اقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين ، لا حكومة الثورة ، ونترك اذناب العهد الماضى يصفوننا باننا حكام جدد .. ونحن ابعد ما نكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام .. بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل أبطال الديمقراطية وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم !

سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود أبو الفتح البطل الشعبى الباسل

وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد الحرية وللديمقراطية وللدستور .!!

أى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة .. وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ماسلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسي الديمقراطى واصغينا الى هذيان افراده.!!

اقول : كيف حدث هذا ؟ .. كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق .!!

اذن اسمعوا ...

مرة أخرى أعود الى الصين ...

الى حيث قامت ثورة وتغير نظام .. وأقيم حكم جديد

واحب أن أقول انني اخترت الصين بالذات ، لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا .. مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار .. وذل وحفاة وعراة وجياع ..

وعلى الرغم من أن الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا أنهم ـ اى ثوار الصين ـ لم يصنعوا أكثر مما صنعنا .. حتى الآن .. فزعيمهم يقول :

« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسي للثورة الديمقراطية الجديدة للصين »

والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر ..

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم انتم طغاة .. انتم تريدون ديكتاتورية !

كانت ثورة الصين تبطش بأعدائها دواما .. وكانت تمضى فى طريقها المليء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها .. فالشعب معها ، والشعب شعر انها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة

ضد القصر والاقطاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعه ... لكن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة أن نتجاهل ما يقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا .. كنا نعتمد على الوقت .. فالايام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا .. لا المعارك



واعود الى الصين فأقول انه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا أن قادتها وجدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية .. وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لاعداء الثورة :

« يقال لنا : تقيمون ديكتاتورية .. نعم يا حضرات السادة، انتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت للشعب الصينى خلال عشرات السنين ، تبين لنا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير ، عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت ، فمن هو هذا الشعب ؟!

فى المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والبرجوازية الصغيرة ، والبورجوازية الوطنية ، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من اجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار ، ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال، فلابد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، ولا يعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين ... فالديمقراطية للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين .

واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب ، وتفنى الدولة »

هذا ما حدث فى الصين ...

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمي الشعب من الرجعيين .. وكان أول اجراء قام بهمجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو عزل الحاكم فاروق .. فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن .. ونحن نفخر بها

ثم كان أن قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما أعظمه وما أتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام

واذا كان القضاءعلى الاقطاع ديكتاتورية فماهى الديمقراطية اذن ؟ قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر وياحكماء الزمان !

ان الثورة كان لابد أن تمضى فى طريقها .. كان لابد أن تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها — وهى بيضاء وليست دموية — الا اذا اخلى الطريق أمامها من كل الاعداء ..

فكيف يمكن ابعاد هؤلاء الاعداء من طريق الثورة ؟!

هل ببرلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع أمبحرية الصحافة ... صحافة « أبو الفتح » والاحرار الدستوريين وبقية الاذناب ؟!

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الاعداء ... كما حدث فى الصين ؟!

أعداء الثورة

تساءلت فى الفصل السابق عن الطريقة التى كان يمكن بها ابعاد الاعداء عن طريق الثورة !؟

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين ؟!

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الاسئلة عرفنا أن جمال عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الذين يمثلون الارستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها .. وكان علينا أن نترك الاحزاب كلها بما فيها حزب عبد الهادى وحسن الهضيبى ، وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الاصل العريق جدا .. الاحرار الدستوريين ..

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ماتشاء وتدعو الى ما تشاء .. ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟!

بقى أن نعود الى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الاشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو

أى أن ثورة الشعب المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة الى النحاس وسراج الدين والهضيبى وابراهيم عبد الهادى وكل أفاق دعى يريد ان يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

اى أن جمال عبدالناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندى من الاحرار هؤلاء جميعـــا ماقاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الا من أجل النحاس والهضيبى وعبد الهادى وهيكل وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة ، ولم يرفعوا عن الشعب ظلما اجتماعيا ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء ؟!

اى منطق هذا ؟

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الاحرار فى الجيش طوال أعوام قاسية مليئة بالاحداث والمفاجآت ؟.. هل كانوا يعدون كل هذه الاعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكل وعبد الهادى ... وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم ؟!

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شىء كما هو بعد طرد فاروق

يبقى البدراوى فى درين يشرب دم الالوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع اذنابه .. ويبقى الامراء والاميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر ، ويبقى ويبقى ..

يبقى كل شىء ماعدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية ؟ وهل هذا ما كان يريده الشعب ؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستـوى الطبقات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود ؟!

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوربا ، وفى اصــلاح اليخوت والقصور واعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصـــابة من الافاقين العاطلين ؟!

ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهادى وهيكل وباقى القطيع السياسي بدستوره وببرلمانه ، والذى كناسنتركه يحكم بعد طرد فاروق .. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديدالملكية ، واعلانالجمهوريةوالغاء الالقاب ، ورفعمستوى الفلاح والعامل ، واعداد العدة لكفاح الاستعمار ، ثم عدم الدخول فى احلاف عسكرية ؟

وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب «سيد» لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة ؟!

وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا انه سيكون معهم باعتباره ديمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدنية ؟

وماذا أيضا ؟!

هل كان يمكن — لو فرضنا أننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو — أن تتم الانتخاباتفى البلاد وليس هناك سوى نفسالنواب بدوائرهم التىتكاد تكون ملكا لهم بأرضها ، وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها ؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا اسطر هذا الكلام،ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها ..

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم ، اذا لم تكن دوائر انتخابية مسجلة بأسمائهم ؟ !

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن عيشا رغدا وأشهرا ناعمة فى أوربا وثيابا من باريس وقصرا فى الخلاء .. وكلابا تأكل أطيب أرزاق البشر ؟!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة ، ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيدها ، ومن العامل والفلاح .. وحتى من أبناء السبيل ؟!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين ، وسيطرة الافاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين ؟!

ثم ماهى حرية الصحافة فى رأيهم اذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر .. والتحدث باسم الاقطاع والمشعوذين ؟!

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون الخدود ويشقون الجيوب كمدا عليها ؟!

وأعود الى السؤال السابق ، فأقول انه كان لا يمكن للثورة المصرية أن تمضى فى طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق .. ثم تركت الامور كما هى بعد ذلك

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الامور بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية .. الا اذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أن العدالة الاجتماعية يمكن ان تتحقق على أيدى الباشوات والهضيبى وعبد العزيز البدراوى ؟!

وفى هذه الحالة .. أكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال عبد الناصر ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حدودها من تلقاء أنفسهم .. أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الاهداف الشعبية لتتحقق أهداف سراج الدين والهضيبى وعبد الهادى وباقى القطيع ؟!

وقد بقى جمال ورفاقه فى أماكنهم .. واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا .. ومضوا يعملون أثناء الليل وأطراف النهار .. فى الصيف وفى الشتاء .. فى البرد وفى القيظ .. ويواجهون الاحداث ويعدون المستقبل للشعب ولكى لا يعطلهم الاعداء وقطيع عهد أسرة محمد على ، اتخذوا موقفا حازما حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة واذنابهم

.. وكان لابد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الافاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر ، وعندهم حق، فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا ساسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالاعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ، يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الابد .. يعيش هو ولتمت الالوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟!

هل اذا وقف أبو الفتح ، ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع ، واتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية؟

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة ، وصدر الحكم باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا القينا بالمدعو « كريم ثابت » فى الليمان .. نصبح ضد الديمقراطية؟

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية !؟

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ، ومئات غيره ، وتركنا الهضيبى ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين .. هل اذا كنا سمحنا بهذا ، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور ؟!

ان طريق الثورة كان مليئا بالاعداء .. وكان لابد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه .. ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الاعداء عن الطريق بقانون الثورة . بالحزم والصمود وبالاصرار على اهدافنا ..

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لاننا نريد حقن الدماء .. نعمل ضد الديمقراطية ؟!

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك بفاروق وبأسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة ... وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رءوسهم ويأخذ الارض التى هى من حقه .. لو كنا تركنا الشعب يحطم رءوس الباشوات والبكوات وابناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء القابهم ووقف نشاطهم ..

هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصبح ديمقراطيين ومن احباب الدستور ؟!



الثورة وطريق الدم

انتهى حديثى فى الفصل الماضى عند نقطة هامة للغاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة ..

ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصبح أيضا مع الدستور !؟

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضد كل الذين أراد الشعب الخلاص منهم ، الملك والاستعمار والباشوات والبكوات وملاك أرض الشعب ؟!

وهل كنا حقا قادرين على ابادة كل هؤلاء الاعداء فى معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعيا فعلا ان تبيد الثورة كل أعداء الشعب والا كانت مهزلة لا ثورة

ان التاريخ يقول لنا ان كل ثورة فى أى بلد من بلاد هذا العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان ــ الشعب وأعداء الشعب ــ مئات والوفا بل وملايين من الضحايا

ولكن ــ كما سبق أن قلت فى مقالاتى السابقة ــ الفرق بين الثورة التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الاخرى هو ان قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة .. اى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب

فالجيش كانت قيادته خاضعة للقصر والاقطاع والاستعمار .. لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على الاطلاق ، لكنها

أصبحت فعلا خاضعة للشعب فى صباح ٢٣ يوليو ، ووجد أعداء الشعب أن القوة التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى ابعادهم عن طريق الشعب !..

وفوجىء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا فى القضاء على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم .. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن امكانياته

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، وأعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا .. كان عليهم — جميعا — أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للامر الواقع ، لارادة الثورة .. وقد كان ! لكن لانهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة ، ولانهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس ، خيل اليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات ، مادامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام القوات المسلحة !

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها ، عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ، يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !

كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب ، وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات وترك الهضيبى يلقن السذج سورة آل عمران وأحدث وسائل النسف والذبح

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود أبو الفتح فى مكتبه فى احدى عواصم اوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبد الناصر عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات

مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

وعندما تضرب الثورة على أيدى الشيوعيين لانهم تآمروا أيضا على الثورة مع الاقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل الاعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين !

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية ؟!

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟!

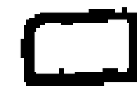
هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب ، وهل كريم ثابت هو الشعب ، ومحمود أبو الفتح وعدلى للوم وحافظ عفيفى وعبد الهادى وعملاء اسرائيل وعملاء كل الجهات الاجنبية .. هل كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب ؟!

وهل من أجل موقف الثورة هذا الذى تحمى به نفسها ــ وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم ــ يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟



وأعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع والاستعمار وعملاء الدول الاجنبية والباشوات والسماسرة ثم انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث هذا لاصبحت فى هذه الحالة فقط ..

وفى هذه الحالة فقط ، قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للاسف الشديد ــ واقولها بمرارة ــ لم يحدث ان قامت تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو

لم تفرش دماء أعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد ابادتهم بالسلاح أن يطمئن قادة الثورة على مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال ، وتعاد كل الحريات فى الحال ، بعد أن خلت مصر من الاعداء !

لكن .. ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طريق آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مستعد للاتجاه فى هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة

لا ــ واقولها بملء فمى ــ فنحن كنا على استعداد لكل احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية وفى قصور الباشوات والساسة الخونة والرجعيين ، وفى قرى الاقطاع وفى القنال

كنا سنفعل ذلك سواء من تلقاء انفسنا أو بحكم الامر الواقع ، وكان النصر سيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منذ انطلق ذلك الصوت من محطة الاذاعة اللاسلكية فى صباح ٢٣ يوليو

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضد جميع الاعداء ، الا أننا كنا نضع فى حسابنا دائما مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسره لو خاض هو والجيش معركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقى الاعداء؟

الم يكن محتملا ان تدمر قرى بأكملها ومدن أيضا ؟

الم يكن محتملا أن يموت الالوف بل ربما الملايين من أبناء الشعب ؟

ألم يكن محتملا ان تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى ساحة

حرب يحترق فيها الاخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصاد بل والحياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن أو قصر .. لكن بعد النصر هل كان من الممكن اعادة بناء هذه البلاد بعد أن دمرتها الحرب ؟

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشعب فى ثورته غير الدمار والموت والفناء .. واذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب وقرى الشعب ...

اذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هذه المعجزة ونجح فى اسقاط النظام الملكى بلا دم واعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى على الباشوات وحكمهم بلا دم

وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من على ظهر الارض مدينة مصرية واحدة بما فيها من ناس ومال وحياة ..

أقول اذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصارات فى ثورة الشعب ، أيعد هذا العمل التاريخى المجيد ضد الديمقراطية .. واية ديمقراطية ؟!

ان الشعب لم يصب بسوء حتى يمكن ان يجد الذين يتهموننا بالفاشية دليلا واحدا على اتهامهم لنا ، وعلى تجنيهم علينا .. بل الذين أصيبوا بالسوء هم أعداء الشعب .. هم كنج صبرى وكريم ثابت والبدراوى وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى والهضيبى وعصابته الناسفة ، وعملاء اسرائيل وعملاء الدول الاجنبية على اختلافها

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالديكتاتورية

وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لاعداء ثورة الصين :

« نعم ياحضرات السادة ، اننا نقيم ديكتاتورية .. لكن على أعوان الاستعمار والاقطاع »

الضُباط الأُحرار

بعد المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنـــة الـكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد من فلسـطين ومعه المأساة الكبرى .. المأساة التى صنعها الخونة والسماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته .. فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف السياسى فى البلاد .. فبعد انتهاء معركة فلسطين بعـد تلك المأسـاة التاريخيـة كان على أعداء الشعب أن يبحثوا من مخرج لهم فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار وغضب الجيش بعد أن طعن من الخلف يجب أن يزول ..

وكان تنظيم الضباط الاحرار فى ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة اثناء المعركة فى فلسطين ..

وكان حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها ـ أي الخسائر ـ كانت قـــد بلغت الى حد ان الضباط الاحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ..

وقد بدأ الضباط الاحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الاحرار ثم السـيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن ان يبعد شبح المـآسى عن الجيش وعن الشعب

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم فى البـداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد

محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف ..

ثم تضاعف نشاط الضباط الاحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة اعضاء الهيئة التاسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبداللطيف البغدادى وكاتب هذه السطور

وفى يناير عام ١٩٥٠ اجريت انتخابات رئاسة الهيئة التاسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لها بالاجماع

وعلى اثر هذا مضينا نستعد لخوض اضخم معركة فى تاريخ الشعب . بدأنا نعد أنفسنا للاشتباك مع الأعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد ..

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبير يشهد العالم فوق خشبته أعنف ماساة انسانية تعرض لها شعب من شعوب الارض

لا عدالة ولا حرية ولا حق فى أرضنا ، بل فساد واستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شىء ، بالسياسة وبالارزاق وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقد كانوا على ثقة من أنه لا توجد قوة فى الوجود يمكنها زحزحتهم عن اماكنهم ..

فالاستعمار حليفهم والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذى يسير الامور ، كل هذا رهن مشيئتهم

لا يوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر ابطال على الاطلاق يمكنهم خوض المعركة ضد هؤلاء الاعداء الطغاة سوى الشعب نفسه ، فكيف كان يمكن للشعب أن يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها ..

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها ان تعد الملايين لهذه

المعركة .. فحزب الاغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة ـ فعلا ـ لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل أركب على ظهرى .. وأعوان الزعيم يعملون من أجل شيء واحد فقط ولا شيء غيره .. من أجل أن يبقوا كما هم باشوات وأصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان .. فمن اذن يمكنه ان يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه ؟! .. الاخوان .. ان مرشدهم يدخل القصر ويخرج منه ليسبح بحمد الحاكم .. ويعلن على الملأ أنه ملك كريم

السعديون .. انهم لا يمثلون سوى أنفسهم .. ومصالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو .. بقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. ببقاء الشعب فى القمقم حبيسا لايجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟ ..

بقى الاحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين ..

من يتولى المعركة ؟ ..

كان لابد من معركة مهما كانت الظروف فمن المحال أن تبقى البلاد فريسة للحاكم واعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال ان يبقى الجياع والعراة والمستعبدون الى الابد تدوسهم اقدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون فكيف يمكن للمعركة ان تبدأ ؟ ..

كما قلت كان لابد من قيادة يتولاها وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم أن ضمت قيادته الاقطاع

ومن خارج صفوف الاخوان الذين لا يؤمنون سوى

بالهضيبى وبالسمع وبالطاعة .. وبولى الامر الملك الكريم .. كان لابد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركةالحياة والحرية غير مرتبطة بقصر او بحزب من الاحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى الوطنية ، وفى كل شىء .. كان لابد أنتكون قيادة تربط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن أن تصمد حتى النهاية لأن فى عدم صمودها الفناء لها .. وللشعب أيضا ..

فأين يمكن أن توجد تلك القيادة..وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق أن أكدت فى مقالاتى السابقة عن الثورة والديمقراطية ، ان ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة ..

وكان لا يمكن ان تظهر تلك القيادة خارج تلك القوات والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الاعداء فمن غير القوات المسلحة كان لا يمكن للشعب خوض معركته ضد اعدائه ، لان القوات المسلحة كانت ــ فى هذه الحالة ــ ستنضم الى الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاستعمار والرجعية ، ليس لان وحداتها خارجةعلىالشعب، بل لان قيادتها كانت خاضعة لاعداء الشعب وكانت تعملعلى حماية هؤلاء الاعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتى تحمى النظام فى البلاد، وبعد ذلك يمكن ان تبدأ المعركة على الفور .. يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التى يؤيدها وتحميها القوات المسلحة ..

الثورة فى عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش .. وكان تنظيم الضباط الاحرار كما قلت قد كبر وأصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠

وبدات الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الاحرار تعد العدة للضربة الكبرى

كان كل فرد فىتنظيم الضباط الاحرار يؤمن بأنه اما النصر أو الموت ..

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة فى التحرر

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام ، وكانت المنشورات ثورية حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة ..

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ..

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد .. فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنابه ونحن نسجل ارادته ، والشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لنؤيد وجهة نظر الشعب . ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ..

اما متى تبدأ المعركة فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف بلغة العسكريين

وقدر الموقف فعلا على أساس قلب نظام الحكم القائم واحلال نظام جديد مكانه ، وحددت المدة لتنفيذ الخطة كاملة فى عام ١٩٥٠ بخمس سنوات .. أى ان الثورة كانت ستبدأ عام ١٩٥٥ ... وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ ..!!

وفى يناير عام ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار واعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على اساس تقديرنا للموقف فى البلاد فى ذلك الوقت ، فوجئنا بالبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه. كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ،لابهيئة ما مهما كانت أهدافها

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضاع الضباط الاحرار لجماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره أن جميع اعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن أن يقبض عليهم قبل أن يتمكنوا من عمل شيء .. من يرعى اطفالهم وزوجاتهم وأهلهم ؟

وقال ان انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة ما اذا أصابنا مكروه فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا واولادنا

وقلنا له جميعا أننا مثله لنا زوجات واولاد ، ويهمنا أن نطمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية

فنحن نعد ثورة لا مؤامرة !!
ومصير أولادنا وزوجاتنا لا يعنينا لان الذى نعمل من أجله هو مصير الشعب لا أطفال الضباط الاحرار ..
وقلنا له أن ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى ، فالجيش يجب أن يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ اغراضها هى وأهدافها هى .. وخططها هى !!
وقلنا له نحن لا نستطيع أن نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل اطفالنا ..
وأصر الضباط جميعا على رأيهم ، فالجيش يجب ان يصان من نفوذ الهيئات والاحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى أو الوفد او جماعة معينة

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش اكثر مما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش اصبح لتنظيم الضباط الاحرار أفراد فيها ..
لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة أن تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..
فقد ظهر مدى ايمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية
ثم بدأ القصر يتآمر ، وبدأ الوفد يتراجع ، لكن الرأى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه
وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها فالضباط الاحرار كانوا قد بدأوا يساهمون فى معركة القنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا أننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لمن يخضع الجيش !؟

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الاحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعد تنفيذ الخطة .. أما العامل الثانى فهو الاحداث السياسية التى طرات على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة

وكان لابد من اختيار قائد للثورة .. لكى تبدأ الثورة معاركها مع اعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله ..

هنا اود أن أقف قليلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا تتحكم الصدفة ولا شيء غيرها فى الموقف

لقد كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا، والذى كان عليه ان يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليو .. أقول كان من رأى جمال أن يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك راى واحد فقط فى الهيئة يعارض ان يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية .. لكننا اتفقنا — جميعا — فى النهاية على أن يتولى احد الضباط الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى وفؤاد صادق ومحمد نجيب

حقيقة فؤاد صادق

وبدات الاتصالات بعزيز المصرى ، ولكن الرجل أصر على ان يظل أبا روحيا للثورة واقنعنا برأيه

وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق واللواء محمد نجيب ..

وذهب صلاح سالم لمقابلة اللواء فؤاد صـادق ، ليعرف نواياه ..

وكان عثمان المهدى ــ رئيس هيئة اركان حرب الجيش قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت ولم يكن معقـولا أن يفاتح صلاح فؤاد صادق فى أمر قيادته للثورة .. فهو كان مثل محمد نجيب لا يدرى أن هناك تنظيما للضباط الاحرار

وأيضا لايدرى ان هؤلاء الضباط الاحرار قد أعدوا انفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ما كان يعرفه فؤاد صادق هو أن بعض ضبـــاط الجيش الصـــغار لهم رأى معين فى الحالة وأن هؤلاء الضباط الصغار لا يتعدى نشاطهم اعلان السخط والغضب والاسى ..

وأعود الى مقابلة صلاح سالم بفؤاد صادق ..

ذهب صلاح اليه فى بيته ، وقال له ان الرأى العـام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضبـــاط يمكنهم مساعدته لــكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح يحدثه عن هـــذا الرأى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صـــادق وآمن بأنه سيعين رئيســا لهيئة أركان حرب الجيش ..

وأثناء الحديث دق جرس التليفون ، ورفع فؤاد صادق السماعة ، وكان المتكلم هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت ، وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى . ثم قال وهو لا يزال يمسك بسماعة التليفون : بتقول ايه يا مصطفى ؟ . زعق شـــوية

واشار فؤاد صادق لصلاح سالم أن يقترب منه ، واقترب صلاح وقرب اذنه من التليفون كما طلب منه اللواء صادق وسمع صلاح مصطفى صدقى يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى .. ثم وضع فؤاد صادق سماعة التليفون

عرف شخصيته

.. فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق

فالرجل شعر بعد أن أبلغه مصطفى صدقى بأمر تعيينه ان ـ الرأى العام ـ للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه ..

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة، فبعد ان كان قد ابدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلب فجأة وبلا مقدمات وبعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه فقد عين والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال لصلاح بعد مكالمة مصطفى صدقى بالحرف الواحد :

ـ اذا كنت بقيت رئيس اركان حرب الجيش فده بمجهودى انا .. وبدراعى أنا!

ثم قال لصلاح انه سـيعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده .. لانى سأنفذ القانون .. وانصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم احسن ! !

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف :

ـ دى آخر مرة أخش فيها بيتك ... السلام عليكم !!

وهم صلاح بالانصراف وسمع فؤاد صادق يقول له وهو فى طريقه الى خارج البيت :

ـ بيتى مفتوح .. اللى يحب ييجى ييجى.. واللى مايجيش هوه حر ..

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثورة ، وكانت مفاجأة للجميع !!

أما لماذا لم يعين فؤاد صادق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الاخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباط الاحرار دورا حاسما ..

اين كان محمد نجيب !؟

كيف تم الاتصال بنجيب !؟

كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة أو اى شىء !!

لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلاح الحدود .. ولم تكن له صلة ما بالحركة . ولم يكن يدرى مثل فؤادصادق ان هناك فى الجيش تنظيما ضخما يعمل تحت الارض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ..

لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ..

واعود مرة أخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى جعلت اسم نجيب .. يتردد على السنتنا وجعلت جمال يرشحه مع عزيز المصرى وفؤاد صادق لقيادة الثورة

فقد صدر الامر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سرى عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر

وتردد فى صفوف الجيش ان محمد نجيب قد يستقبل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضد حسين سرى عامر .. لا لشىء الا لانه ذنب للسراى !!

ومن هنا كان العطف على نجيب

شعر الجميع انه ضحية لحسين سرى عامر ، ولوكان نجيب نقل او احيل الى المعاش وعين بدلا منه اى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الرأى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لان الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب ان يقف الضباط الاحرار الى جواره . وفعلا حدث عقب ان سرى نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته ان اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـ ان الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك

وقال له جمال ايضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة باشد منها ! !

هكذا بدأ اتصال الضباط الاحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى ..

ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح امامه ابواب التاريخ !

خطة الثورة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البـداية .. بداية اتصال تشكيل الضباط الاحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته فى موضوع قيادة الثورة ، بل لاقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود الى المشاة ، ليحل حسين سرى عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر

وشرحت فى المقال السابق كيف حظى اللواء نجيب بتأييد الرأى العام فى الجيش أو بعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الاحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد اى ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدى عميل السراى حسين سرى عامر !

وفى ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجرى فى الجيش ! ؟

لم يكن يعلم أن فى الجيش تنظيما سريا ضخما يباشر نشاطه تحت الارض استعدادا لقلب نظام الحكم . !

ولم يكن يعرف أنه كان ــ فى ذلك الوقت ــ المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما اذا لم يتول قيادتها عزيز المصرى أو فؤاد صادق . !

وفى المقال السابق عرف القارىء كيف صمم عزيز المصرى على أن يبقى أبا روحيا لنا . وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثانى اللواء فؤاد صادق ، ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء وجوده فى بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنانيته ، عرف من أى طينة عجن ذلك الرجل !

وبعد ان ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق أسقطناه من حسابنا ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله الى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيده له أن الجيش يعتبر اللطمة التى اصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها ... للقصر ! !

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب استعد تنظيم الضباط الاحرار لرد اللطمة فعلا . واجتمعنا وقررنا ان تكون اللطمة عن طريق نادى الضباط !

اختبار قوة الاحرار

قررنا ان نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله في المجلس ، لأن مديره حسين سرى عامر خصم لنا .. ولانه عين القصر المفتوحة فى الجيش . !!

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا ان هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد انتصارنا فى معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار

وقدرنا أيضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النادى لو انتصرنا فيها فالملك سوف يشعر بهزيمة عملائه فى تلك

الانتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن اثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين سيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النادى ...

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بيننا وبين القصر ، وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريبا ، وان فى الافق سحبا تنذر بالشر ، فأصدر أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط . !

التنظيم يتحدى أمر التاجيل !

وقد كان علينا ان نمضى حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة ، ولم نبال بقرار التأجيل . فصدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التاريخ المحدد للانتخابات وكان محددا لها ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضباط عدد كبير من الضباط الاحرار . واعلنوا على الفور احتجاجهم على أمر تأجيل الانتخابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة ايام بوساطة رياسة الجيش لتقرر ما تشاء !!

ولم نكن نتوقع أن تستجيب رياسة الجيش لهذا التحدى ، لكن يبدو انها ــ أى الرئاسة ــ خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الاحرار كشفا بمن يرشحونهم للانتخاب . ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا اسماءهم اللواء محمد نجيب . . وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار . وماذا نعده له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته . !

ونجحت خطة التنظيم . . فكل الذين سجلنا اسماءهم فى

قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة . !

وليس هذا فقط ، بل لقد مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ، فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى . !

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث ما توقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة ، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا . . !

وجاءت الاحداث . . !

واقبلت الاحداث لتدفع عجلة التاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة ــ يناير سنة ١٩٥٢ ــ واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها . وكان الاجتماع فى منزل حسن ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى ، عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا . . وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا أن نكون على استعداد خلال شهر واحد . . . وبذلك تغيرت الخطة . !

وأثناء حريق القاهرة صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار الذين فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار واعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة . ولا سبيل الى مقاومة هؤلاء الاعداء الا بثورة ، لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد وضوحا تاما بعد حريق القاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف انه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار . .

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهى مع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الاحيان . !

وكانت وزارة على ماهر التى تكونت عقب حريق القاهرة عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البلاد بالحديد والنار ثم تصفيــة الحركة الوطنية نهائيا على ايدى الخونة والاذناب وأصحاب المصالح المتناقضـــة مع مصالح الشعب !!

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر أن طارت فى فبراير .. اى بعد أيام من تأليفها !

حقيقة رشاد مهنا ..

وقبل ان أمضى فى سرد أحداث ما بعد حريق القاهرة ، أود أن أقف قليلا لاتحدث عن رشاد مهنا .. لازيح الستار عن سر آخر غير سر محمد نجيب !!

ان رشاد مهنا لم يكن فى تنظيم الضباط الاحرار ، لم يكن واحدا منا .. وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام .. فقد حدث بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرءوف من الجمعيـــة التأسيسية للضباط الاحرار أن اقترح جمال عبد الناصر ضم رشاد مهنا بدلا منه ، وعارضت راى جمال لانى كنت اعرف شخصية ذلك الرجل .. من تاريخه ومن واقع تصرفاته !!

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنا ان رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد . كل ما كان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما ضد القصر فقط ، وقال لنا جمال أيضا ان رشاد مهنا رفض أن ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !!

وهكذا تراجع رشاد مهنا فى عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٢ .. ولذلك قصة سأرويها فيما بعد ! !

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعــد أن طارت وزارة على ماهر فى فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبــد الناصر مرة

ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه فى موضوع تنفيذ الخطة . . أى قلب نظام الحكم ! !

وهنا شعر رشاد مهنا أن المسألة جد ، وان الجيش فعلا يمكن أن يفعلها - اليوم - ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر ان معه ناسا ، أى وراءه رأى عام فى الجيش . . ! وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس ان رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الاوامر للضباط الاحرار بالاستعداد . . وكان ذلك فى مارس عام ١٩٥٢

رشـــاد مهنا يتراجع . .

وفجأة بعد أن اعددنا كل شيء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشـــاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش . .

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاسـة الجيش للخدمة خارج القاهرة . . ويبدو أنه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك فى قلب نظام الحكم . . أقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش وكان لابد من تعديلها بحيث لا تعتمد على رشاد مهنا ، والغيت الاوامر وأجلت العملية الى أجل غير مسمى

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الاحرار وأخرجنا رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبـد المنعم عبد الرءوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحى أنا شخصيا لأنى كنت أعرف حقيقة رشاد مهنا أكثر من جميع الزملاء . . وكان رأيى دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضان ، طلب محمد نجيب عقد الجمعية العمومية لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ورفض الطلب بالاجماع ..

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لا يدرى ما يدور حوله . . لا يعرف شيئا ولا يرى شيئا ..

ان آخر شىء كان يتوقعه محمد نجيب هو ان يقلب الجيش نظام الحكم ؟

أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين ـ مايو عام ١٩٥٢ ـ ان فى الجيش تنظيما سريا ولم يعرف اى شىء عن الضباط الاحرار ، وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم

ولم يكن يعرفهم على اساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على أساس ان لهم رأيا عاما فى الجيش فقط !

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البلاد ، وطرد الملك واعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياسة والفساد

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ أى فى عام الثورة ، رجلا مسالما يرى ان الرغبة السامية لها احترامها ويرى ان المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمال وصلاح وعبد الحكيم !

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العالم كله وأشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة ، وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضد الاستعمار والاقطاع .. ضد جلاديه

كان مثل أى رجل فى مصر وفى مثل سنه ، مثل أبى وأبيك ..

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه أى شىء عن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار ، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشىء الذى كان يشغل بال اى موظف كبير فى مثل سنه .. ربما علاوة او ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله أن التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على رأس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا لسلاح الحدود !!

ولم يكن يخطر على باله ان جمال وعبد الحكيم وصلاح الذين يراهم احيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم يعدون العدة لكى يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له .. تفضل .. انت زعيم !!

هذا هو وضع محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ ... فى عام الثورة !! ..

موظف كبير من موظفى الدولة .. اساءت اليه السراى عندما نقلته من وظيفته ، فقرر القدر ان يعوضه عن هذه الاساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة !!

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

وأعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم أمر تنفيذ الخطة من جديد .. وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من نفس السنة .. سنة ١٩٥٢

وكان هناك أربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم جمال وعبد الحكيم وصلاح وكاتب هذه السطور .. كنا فى العريش ورفح

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى أجازة مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى أجازة أيضا ، ثم

قطع جمال اجازته وعاد الى القاهرة بعد ان سمع اشاعات عديدة عن الاجراءات التي سيتخذها الملك ضد الضباط الاحرار .. وبعد ان سمع ان هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين أفراد القوات المسلحة للبطش بهم ! .

١٥ يوليو .. ونجيب لا يعرف !

وفى ذلك الوقت اى فى يوليو .. اى فى شهر الثورة ، كان محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شيء عن أية ثورة . !

ربما كان أمله الوحيد فى شهر يولبو ان يغادر فراشه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان أملنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ . ؟ !

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لا يعلم !؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله .. قائد الثورة فى فراشه ، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأسها ، أم سيكشف احد حقيقته فى اللحظة الاخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق . !؟

لم يكن هناك وقت على الاطلاق امام جمال ورفاق جمال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب .. فنحن فى ١٥ يوليو .. ونجيب لا يعلم شيئا بالمرة .. ثم يصدر الامر بحل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش.

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الاوامر بحل مجلس ادارة نادى الضباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ .. كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف ان القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد ان لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود

ولم تصـــدر الاوامر فقط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضبـــاط الاحرار عليــه سلطان او نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الاحرار ، وكان علينا أن نبـــدأ فى العمل فورا لنضيع على القصر فرصة البطش بنا

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمـــال وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وبغدادي وكان ذلك الاجتماع هو اخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التي كان بعض افرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا أن نأخذ بمبدأ المباداة حتى لانؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس القصر الى معرفة اشـــخاص الضباط الاحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة

الوقت سيد الموقف ..

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشـــعر

التنظيم أن هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الاحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم .. وفعلا حدث ما كانت تهدف اليه رئاسة الجيش .. فقد بدات التحركات بين وحدات الجيش على اثر صدور حركة التنقلات السريعة وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة تلك التحركات .. فهناك ضباط احرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الاحرار ، وكان الوقت هو سيد الموقف .. ولابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب على الاعداء قبل أن تحدث كارثة

كانت هناك خطتان .. نواجه بهما الموقف :

الاولى هى البدء فى تنفيذ الخطة الاساسية ، أى القيام بقلب نظام الحكم ، واقامة نظام جديد ، فاذا لم يكن هذا ممكنا . اى اذا ما جاءتنا احداث جديدة ، أو ظروف طارئة تؤجل الخطة الاولى وتنفذ الخطة الثانية وهى كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة .. وعندما استعرضت الخطة الثانية اعترض عليها جمال عبد الناصر

قال ان الاغتيالات لن تحقق اهدافنا ، لان النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات

وقال جمال ايضا أن هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الاحرار . وبهذا نكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم

١٩ يوليو ونجيب لا يعلم . !

كانت الهيئة التاسيسية للضباط الاحرار توالى اجتماعاتها

فى تلك الايام التاريخية الرهيبة المليئة بالاحداث

وابلغ جمال الهيئـة انه يمكن تنفيذ الخطة الاساسية بالقـوات الموجـودة ، وقال ان ذلك يمكن ان يتم ليلة ٢١ و ٢٢ يوليو

كل هذا كان يحدث وكل تلك الاحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لا يعلم شيئا ولا يرى شيئا .. بل لم يكن قد عرف ان فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم .. وكنا فى ١٩ يوليو

وقد صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بالانتظار يوميا فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف الليل .. وابلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شىء يعد له لـكى يدخل من أبواب التاريخ، لـكى يحرر الشعب ، ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية ..

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحو الخلود .. كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته ـ وهو لا يعلم ـ ويقال له .. أنت زعيم

رقابنا .. ومصائر أطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لا يعلم

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، أى قبل الثورة بأربعة أيام

لنتأمل ـ اذن ـ فى هذا الوضع التاريخى العجيب ،وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ـ اى رجل ـ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين

أليس هذا شيئا اشبه بالسحر ؟ الا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم

ليقول : شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل ما تطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان

العمالقة على باب نجيب ..

قلت اننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الاوامر قد صدرت الى مجموعات الضباط الاحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا فى الخطة

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامةوعاونه عبد الحكيم عامر وكمال حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الايام كما قلت — فى الفصل السابق — فى أجازة مرضية

وتم وضع الخطة العامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بزكريا محيى الدين

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام توجه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم

وطرق العملاق باب البيت وكان عند نجيب البكباشي جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل .. وكانت الانظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادى الضباط

واقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الالف أن نجيب لم يكن يعلم لماذا جاء جمال وعبد الحكيم .. وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة .. وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء .. وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة .. فلا أحد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا أحد فى الحجرة — حتى نجيب — كان يتخيل

انهما جاءا ليقولا لنجيب : أيها القائد .. انت زعيم الشعب

والحديث الذي دار كان حول موضوع نادي الضباط فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين ، ودار الحديث ـ كما قلت ـ حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى .. وقال جمال عبد الناصر :

ـ احنـــــا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة ... ومحتارين مين اللى يرفعها

وقال جلال انه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطـا على المعاش وعضوا فى النادى

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهـــات وأعطاها لجلال ندا كمصاريف للقضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب ، وكان عليهما أن يتظاهـرا أمام ندا وهيكل بأنهما ما جاءا الا للاستفسار عن صــــحة نجيب

وظلا جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا امام مجلس الدولة .. وأخيرا لم يجد جمال وعبد الحكيم بدا من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. وهو كان لا يدرى ماذا فى راسيهما

وبعد تلك الزيارة ـ فى ٢٠ يوليو ـ لمس جمال انه ربمـا يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية . اذ ربما انه كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة

وامام هذا الخاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الخطة .. اى بعد القيام بالثورة

ازمة النادى وازمة الحكم

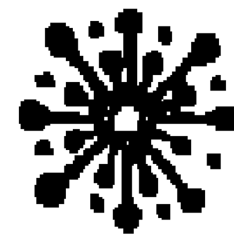
وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد

وأجلت العملية من ليلة ٢١ ــ ٢٢ الى ٢٢ ــ ٢٣ حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين لازالوا فى الاجازة ، وكان كمال الدين حسين هو حلقة الاتصال معهم .. يبلغهم تطورات الموقف أولا بأول

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟!

اى قبل الثورة بيومين اثنين ؟!

ان نجيب لم يعرف . كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادى الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم



أحداث الليلة الأولى

احداث الليلة الاولى

تأجلت عمليــة قلب نظام الحكم من ليلة ٢١ ــ ٢٢ الى ٢٢ ــ ٢٣ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى الاجازة

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم، ليبلغهم تطورات الموقف اولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التاسيسية للضباط الاحرار قرارا ببدء الثورة

وكنت قد قلت فى مقال سابق أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه ــ ولاول مرة ــ أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة

ثم ليبلغاه ايضا ان هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وانه ــ اى التنظيم ــ قد اختاره ليكون قائدا للثورة وان العملية ستبدا بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط ، وكان نجيب يجهل تماما الغرض الذى جاء من أجله جمال وعبد الحكيم ، كان يعتقد انهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه ــ كالعادة ــ بعد أن حل مجلس ادارة نادى الضباط

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقــان يتحدثان عن كل شىء ما عدا ــ الثورة ــ وقلب نظام الحكم

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب ايضا ان كل

ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له

وفى ذلك اليوم ــ ٢٠ يوليو ــ قرر جمال عدم الاتصال باللواء نجيب ، لابلاغه بأن الثورة ستقوم وانه قائدها الا بعد انتهاء العملية ونجاحها

لقد قال جمال أن بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة: بعد ان ظهر أمام السراى كخصم لحسين سرى عامر ، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة

الوزارة الخامسة والاخيرة !..

وبعد هذا اى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة ٢٢ ــ ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من اعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم أكن موجودا يومها فى القاهرة وايضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفح

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد استقال مع وزارته ، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت ــ باشا ــ وزيرا فيها

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضة السماسرة والخدم، وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة ، لا يكاد افرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك اصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى ...

كيف يحكم الشعب ؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟!

ان الشعب كان لا يحكم على الاطلاق فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد اخرى غير مصر

فكيف ـ اذن ـ كان يمكن أن يحكم الشعب والقـــوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه ؟!

كان حتما ـ اذن ـ كما قلت فى مقالاتى كلها أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب ..

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا الى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم

كيف ظهرت القيادة الجديدة ؟

وكما قلت وسأقول دائما أن الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها ..

قيادة غير وفدية ، لان الوفد انسلخ من الشـــعب عندما ضمت قيادته الاقطاعيين

وغير قيادة السعديين والاحرار الدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعيـة المصرية ..

وغير قيادة الاخوان ، لان الاخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين ..

هو الدين الذى تقف آياته فى صف الشعوب لاحكامها ..

أين ـ اذن ـ كان يمكن أن تظهر قيادة شعبيـــة للثورة المصرية ؟...

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن ان يخرج زعماء يولون وجوههم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر !

ليس هناك سوى القوات المسلحة كما قلت ، فهى الصفوف التى تضم الوف المصريين المسلحين ..

والضباط والجنود الذين تضمهم تلك القوات ليســـوا مرتبطين ـ بأية مصالح ـ مع القصر والاقطاع وحاميهمــا الاستعمار !..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب ، ويمكن ان تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح

وكانت منشورات الضباط الاحرار تعلن اهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى ـ أى المنشورات ـ كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما ، فى السياسة وفى الاجتماع ، كانت المنشورات صدى لما يعتمل فى صـــدور الملايين المصرية !..

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة .. الى الشعب والجنود والضباط

والضباط الاحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى أن ادارة المخابرات وهى من اخطر اجهزة الجيش وامنعها كان للضباط الاحرار أفراد فيها !

وأمام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة .. وتحددت ـ كما قلت ـ ليلة ٢٢ ـ ٢٣ ، للبدء فى العملية .. لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش

وفى يوم ٢١ يوليو .. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش .. وهى نفسهـــا

الطائرة التي تسافر الى العريش عادة كل يوم ـ اثنين ـ لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، أرسله جمال عبد الناصر الينا .. صلاح سالم وجمال سالم وأنا

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا واخطرنا بأن « حسن » فى طريقه الينا .. وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة

جاء حسن ابراهيم ليبلغنا أن الخطة الاساسية ستنفذ مابين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس !

وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر

وقال جمال سالم انه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة ، فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الاعمال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس

وتركت حسن ابراهيم لاعود الى رفح سريعا ، واعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر، بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا .. وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح !

وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة

من السينما الى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا .. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لاقابل جمال عبدالناصر واتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة

وكانت دار السينما تعرض ـ كالعادة ـ ثلاثة أفلام مرة واحدة ... وجلست مع الاولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث

وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته

الاوستن المشهورةولم يجدنى، ولم يعرف البواب دارالسينما التى ذهبنا اليها وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد ساعة فلما لم يجدنى ، ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها :

« المشروع ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبد الحكيم الساعة ١١ ... »

وجمال فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع انحاء القاهرة كالنحلة تماما .. ليوزع الاوامر على الزملاء ..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم الى شقتى ، تاركا اولادى مذهولين مع البواب !..

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابى العسكرية ، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها

انني لم أجد أحدا فى بيت عبد الحكيم عامر ، فأين اذهب؟ كنت حائرا ..!

اللازم الذى قبض على !

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رياسة الجيش ، لابد أن قواتنا قد اتجهت اليها مادامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة ، وعندقشلاق العباسيةأوقف أحد الضباط سيارتى ولما رأى رتبتى خاطبنى بلهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من انه كان يوزباشيا لكنه كان من الضباط الاحرار ..

قال لى أن لا أذهب الى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة !

وعلمت ان تلك كانت صيغة الامر الذى يبلغه الضباط الاحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق !

وتابعت مسيرى فوصلت الى قشلاق السوارى ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت أن العملية بدأت فعلا وخاصة بعد أن

سمعت أصوات مئات الطلقات وهي صادرة من ناحية مبنى القيادة ..

وأردت أن أمر من «الكردون» الذى صنعته قواتنا ، ولكن الضابط منعنى ، وكان صارما جدا معى .. لانى لا اعرف كلمة السر

كان موقفى رهيبا .. فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير ان أمر من « الكردون » الا على جثته ! فكيف أتصرف معه ؟!

كيف أقنعه انى من الاحرار .. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا ..

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد .. انها قواتنا تقلب نظام الحكم ، وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ..

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر .. ترى هل أصيب أحد من الزملاء .. ترى ماذا يصنع جمال الآن .. وأين عبد الحكيم .. أين الجميع وماذا صنعوا ؟!

وعدت بسيارتى ثم اضطررت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لامر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط «الكردون» كان يعرفنى .. لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح ، وهو يعرفنى شخصيا قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد

واقتربت من « الكردون » وقد استراحت أعصابى قليلا .. اضاء الامل فى صدرى .. سوف أمر اذن واشترك فى العملية !

وما كدت اقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعنى من الاقتراب .. ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى .. لكن لا تظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من انه

عرفني الا انه كان لا يعلم انى من الضباط الاحـــرار فالقى القبض علي فى الحال ..

وهنا شعرت بصدرى يمتلىء بالضيق وبراسى تكاد تنفجر، حاولت افهامه دون جدوى ، أن الصداقة التى تربط بيننـا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة او الموت .. فلم يصدقنى لانى لا اعرف كلمة السر ولم أعرف ماذا يمكننى أن افعـل وزاد من هلعى أن أصوات الطلقـــات النـــارية من قريب ازدادت حدتها .!

يا عبد الحكيم .. أنا أنور .!!

وفجأة اضاء الامل مرة ثانية صدرى . وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد يشبه صوت عبد الحكيم عامر .. واجتاحنى شـعور بالخلاص ، كان الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد لها اماكنها .. وفى هذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنود والضباط تمر من امامى ، انها قواتنا بدات تقلب نظام الحـكم !

ووجدت نفسى انادى بملء صوتى :

يا عبد الحـكيم .. يا عبد الحـكيم .. انا انور .!

ورأيت شبح عبدالحكيم يقترب منا .. وهنا فقط افرج عنى صديقى الضابط !

البطل الصـامت .!!

ومضيت مع عبد الحكيم .. لم يكن معى سلاح ، وناولنى عبد الحكيم طبنجة .. وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل انواع الأسلحة الصغيرة ..

وبدات اســـأل عبد الحـكيم فى لهفـــة عن الموقف .. وكان صوت الطلقات لا يزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحـكيم :

ـ رئاسة الجيش سقطت ..
وصمت ثم عاد يرد على اسئلتى فى هدوء عجيب ..
قال لى :
ـ الطلقـــات اللى انت سامعها دى عمليـــة تطهير لمبنى الرئاســـه !

ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش ، وانه هو الذى احتلها بجنوده !

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته .. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين .. عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عســاكره واقتحم مستعمرة نيتساليم ... وكان تصرفه ذاك أشبه بالاساطير التى ترويها لنا جداتنا ...

ولولا انه رقى الى رتبة صاغ استثنائيا لما عرف أحد ماذا صنعه يوم نيتساليم .. انه صامت على الدوام ، لا يتكلم ابدا عن نفســه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !!

لقد كان عبد الحكيم عامر دائما باسلا حاســـما يخوض معاركه بايمان راسخ متين وأعصاب تبـــدو ســاعة المعارك كأنها الفولاذ !

انه فى يوم نيتساليم بمسدسه وعساكره من خلفه .. وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..

وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام١٩٥٤ حين تدخل ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيـــام حرب أهلية كانت على وشك ان تقع بعد دقائق ..

اقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحـكيم بطلا اسطوريا يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعهرصاص أو ديناميت!

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا .. الى قصة سقوط رئاسة الجيش .. بمن فيها من قواد !!

في الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه أحد ضباط المخابرات ، اليوزباشي ســـعد توفيق وهو كان من الضباط الاحرار وابلغ جمال عبد الناصر أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وأن حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، قد دعا قواد الوحـدات الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاســـة ..

جمال كقائد ..

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم .. بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الاحرار ..

ولـكن جمال عبد الناصر لم يتراجع .. ان العملية قـد بدأت ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ســاعة واحدة وتصل جميع قواتنا الى مراكز تجمعها .. وتبدأ المعركة !!

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاء القواد الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !!

وفى ذلك الوقت ، وبعـــد كل التطورات كان اللواء محمد نجيب لا يزال فى منزله .. لايرى شيئا ولا يسمع شيئا !



كيف نجحت الثورة ؟

شخصية جمال

بدأت الثورة اذن ـ واللواء نجيب لايعلم ..

وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان .. وبقوادها

لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورة فى لحظاتها الاولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه .!

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا ، كما وفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت فبعد أن علم جمال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضا ان تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الاحرار يوم ٢٢ يوليو .. اى تقف الثورة ويبقى النظام ..!

وهنا تتضح شخصية جمال كقائد .. انه لا يتراجع .. انه يصمد .. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة واخمادها .. وبعد أن عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم ، وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم .. كل على حدة !

لقد اصطاد جمال عصافير عديدة بحجر واحد .. اما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم ـ اليوزباشى محمد شديد ـ نحو مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار .. وظن جمال ان تلك القوة أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة

للقوات التى ستحشدها لاخماد الثورة .!!

وتتضح الحقيقة .. ويعرف جمال ان اليوزباشي « شديد » جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر ان يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة .!!

وكانت تلك المفاجأة مكملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة ، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى الرئاسة .!

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل .!

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى ، وهى كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة .!

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح اربعة من الفريقين .!

مفيش حاجة

كان كل واحد من الضباط الاحرار يحتل مكانا معينا فى أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة .. ولعل جمال عبد الناصر كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه .. كان يطوف بأرض العملية كلها .!

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة اركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه ، واطمأن على نتائج الضربة الاولى فتوجه الى مبنى رئاسة الجيش وجلس فى المكتب .. ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى ..

وسمع جمال النجومى يسأل عن حسين فريد رئيس هيئة أركان الحرب .. ورد عليه جمال بأن الباشـــا يقوم بجولة تفتيشية !

وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحـــدث من الاسكندرية ليطمئن على الموقف .. وسمع جمال النجومى يقول له :

ـ حسين فريد وهوه بيكلمنى من شـوية سمعت ضرب نار والسكة انقطعت

ورد عليه جمال فى هدوء :

ـ لا .. مفيش حاجة ابدا !

رشاد مهنا مرة اخرى

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القاهرة اشارة ـ النجاح ـ المتفق عليها الى جميع وحـدات الجيش خارج القاهرة .. فلم تمض ساعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الاحرار ..

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشـــارة النجاح يسيطر الضباط الاحرار على القوات فى الحال

وفى العريش ورفح كان صلاح سالم وجمـــال سالم قد سيطرا على جميع القوات هناك سيطرة كاملة .. بمن معهما من ضباط احرار

وفى تلك اللحظة وبعد أن سيطر جمال سالم وصلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا .. وكان وقتذاك فى العريش كما سبق ان قلت ، وطلب جمـال سالم من رشاد مهنا أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن رشادا كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على

الجيش ، الا انه تردد أيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا أن يتولى القيادة فى العريش ، طلب جمال سالم من صلاح حتاته ـ رئيس الدائرة الاولى لمحكمة الشعب فيما بعد ـ أن يتولاها وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لاول مرة .!

أين كان نجيب أثناء هذا كله .. وماذا كان يفعل .. والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو .. وكل شىء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شىء لان قيادة الضباط الاحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الاساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو .. وسيطر الضباط الاحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة !

فأين كان اللواء محمد نجيب ... قائد الثورة ؟!

أين كان فى تلك الساعة ..بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن اصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه .. ويذود عنه !

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديد أعنى الضباط الاحرار وبين محمد نجيب .. وهذه حقيقة تعلن على العالم لاوة مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية ، ورفع جمال عبد الناصر السماعة . وظن أن المتحدث هو

اللواء عبد الله النجومى أيضـا .. يريد أن يطمئنـه حسين فريد على الحالة !

ولكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمدنجيب ..وكان يتكلم من منزله .. وقال محمد نجيب بالحرف الواحد :

ــ المراغى اتصل بى من اسكندرية .. وقال لى روح هدى الحالة فى رئاسة الجيش .. هيه ايه الحالة يا جمال !؟

وانى أنقل هنا ما كتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد الاهرام الصـادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ما كتبه نجيب فى صـفحتها الاولى تحت عنوان .. قائـد الثورة يسجل ..

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

ــ دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالاستاذ مرتضى المراغى يكلمنى من الاسكنـدرية ويقول لي : الاولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة .. قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ماعنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة ..!

قلت له : أعرف منين الـكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم ..

فقال لى المراغى : أنا حا أجيب لك دولة الرئيس الهلالى باشا علشان يكلمك بنفسـه ويعطيـك عهد ان ما حـدش يمسكك ..

قلت له : وازاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون ؟!

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى الاستاذ نجيب الهلالى من الاسكندرية وقال لى :

ــ أنا أستاذك يانجيب .. ومستقبل الوطن متوقف عليك ، فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة لان الانجليز سيحتلون مصر ،

وتبقى مسألة خطيرة .. فطمأنتــه وقلت له : « انى ذاهب لارى الحالة بنفسى »

انتهى ماكتبه نجيب بنفسه فى الاهرام عام ١٩٥٤

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة مافعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٢ يوليو .. انه كان فى منزله .. لايرى شيئا ولا يعلم شــيئا ... ثم فى الساعة الثالثة اتصل بجمال فى مبنى القيادة ــ كما قلت ــ وبعد ان كان كل شىء قد تم واصبح الجيش تحت سيطرة الضــباط الاحرار !.

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن وضح له الموقف كله .. وابلغه ــ لاول مرة ــ ان فى الجيش تنظيما اسمه تنظيم الضباط الاحرار ، وأن قيادة ذلك التنظيم قد ســيطرت ــ الآن ــ على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحـــد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية :

ــ الضباط الاحرار قاموا بالثورة الليلة ..والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة .. واحنـــا عايزينك تيجى ، حانبعتلك عربية تجيبك ..

وهكذا عرف نجيب ــ لاول مرة ــحكاية الضباطالاحرار !

وفى الساعة الخامسة صباحا .. أى بعد ســاعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد ان عرف ان جمال يجلس ــ الآن ــ مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش أقول فى الساعة الخامسة وصل نجيب الى مبنى رئاســة الجيش .. وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس .. وكل شىء قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصورة السريعة الخاطفة !

القاهرة تستيقظ

واشرقت الشمس على القاهرة ، ثم خرج النـــاس من منازلهم ، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ثم بدأ الصحفيون يفدون الى مبنى القيــادة .. ان الشعب يؤيد ما حدث .. ان الشعب يعلن عن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون . كل الناس . فقد كانت فرصة العمر !!

صحيح ان الشعب فوجىء بما حدث ، لكن المفاجأة ايقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحــة لايمانه بأنها ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !!

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالامل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذلك عن ايمان الشعب بما حدث ، وايضــا كان يعبر عن حاجــة الشعب الملحة الى قيام ثورة ..

وغير بائع الخروب .. مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة.. بثورة القوات المسلحة من اجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة احداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الاساسـية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الاولى : السيطرة على القوات المسلحة

والثانية : السيطرة على البلد ..

والثالثة : طرد الملك ..

وفى الاسكندرية كانت حكومةالبلاد والملك يترقبانماسوف يجرى بعد ذلك فى حيرة .. وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب .. كانوا لايتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هذا .. لقد ظنوا أنالمسألة لاتعدو طلباتيريد هؤلاء الضباط اجابتها ، ثم ينتهى الاشكال ..!

فى أقل من ٢٤ ساعة ..

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطةالاساسية، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية ..

لكن ما ان انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة على الجيش قد أصبحتمطلقة ، بل ان الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم .. كان يقطع بأن الجيش قد سيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة .. اى سيطرة قيادة الثورة على البلد .. يبدو من فرحةالناس بما حدث ..وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق !

تمت ــ اذن ــ مرحلتان من الخطة الاساسية فى اقل من ٢٤ ساعة .. لقد كانت ــ فعلا ــ معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جدا !.. ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة .. طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ...

طرد الملك فاروق

ثورة بلا ضحايا

انهارت القـــلاع واحدة وراء الاخرى فى ساعات ، وكانت الخطة الاســــاسية لقيادة الضباط الاحرار تتضمن ثـلاث مراحل ..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات ..

وسيطر الضباط الاحرار على الجيش تماما فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفسها فى اليوم نفســه ، فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصة ، وهى كانت فرصـة العمر كما قلت أمس ، وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الاحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيداً ومنفذا لتوجيهات قيادتها الجديدة ، فلم يقع حادث تخريب واحد ، ولم تحدث فتنة ..

لم يجد أعداء الشعب فرصة لاحداث شغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحال بالرغم من انه فوجىء بما حدث فى ذلك اليوم ، وكان ذلك الوعى هو المظهر الحقيقى القوى لسيطرة قيادة الضـباط الاحرار على البلد . وكان معنى وقوف الشعب وراء احداث ٢٣ يوليو هو أن الشعب بريد ثورة ... يريد الخلاص .. !

وكل شىء كان هادئا فى البــلاد .. لا دم ولا بارود ..

لا قتلى ولا جرحى .. لم تنسف مدينة ولم تتزلزل الارض تحت أقدام الناس ..!

انها كانت ثورة عجيبة لم تشهد بلد من بلاد العــالم التى تحررت مثيلا لها ..

كل ثورة كان لها ضحايا يعدون بالالوف وبالملايين الا ثورة مصر ..!!

كل ثورة كان لايمكن ان تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقــة بأخرى فتمضى فى طريقها فوق الاشلاء والدم والانقاض .. الا ثورة مصر

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتل وتشيع الموت حيث تكون الا ثورة مصر ..!

ان كل شىء كان هادئا فى مصر يوم الثورة ..

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقهــــا بنجاح وسرعة مذهلة ، لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الـكبرى لان الثورة المصرية ليس لها اعداء ..!؟

لا أحد يمكنه ان يزعم هــذا ، فلم توجـــد الثورة التى لا أعداء لها ..

فــكيف اذن لم تحدث مجزرة ..؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر .. !؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته وفى عمله أو فى المقهى .. كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد اخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة ..!

فما هو السر ؟.. لمــاذا تــكون الثورة المصرية هى وحدها

التى تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟
لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل السلمى العجيب ؟!
انني هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو ان اعداء الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة، ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الاعداء بعد ان أصبح لتلك القوات قيادة جديدة ..

فكان على هؤلاء الاعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم .. لم يعد معهم جيش ولا شعب !
هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم ، وهكذا مضت فى طريقها بعد ٢٣ يوليو !

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة واحدة ، ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد الملك ...

وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب قد عرف ان الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها له ، وأخبره ان الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب منه أن يحضر فورا الى مبنى الرئاسة وأرسل له سيارة لتعود به ..

وفى اللحظة الاولى التى وطئت اقدامه فيها مبنى رئاسة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه .. كان قد اصبح زعيما ، وهو الذى كان لايعلم ..

كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحكاية ، لان المراغى طلب منه تهدئة ـ الاولاد ـ الذين عملوا « دوشة » عند كوبرى القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة معالملك ، حتىنطمئن الى انه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد وبعد أن نطمئن ننقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسة الحكومة ، او بعبارة ادق حول الرجل الذى نريد فرضه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لايزال فى منزله.. لم يحضر الينا بعد . فهو قد حضر كما قلت فى الساعة الخامسة صباحا ..

واستعرضنا اسماء رجال السياسة الذين يمكن ان نفرضهم على الملك رغما عنه !

ولم نكن نريد على الاطلاق واحدا من رجال الاحزاب ، مهما كان موقفه من القصر ، لاننا أردنا الا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض معمصالح الشعب .. فالمسألة كما قلت كانت عملية تغيير كامل لنظام الحكم ، ولم تكنمسألة حكومة من الحكومات !..

ورأينا ان على ماهر هو الرجلالوحيد الذى لاينتمى لحزب من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الامور بعد ٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك ..

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهلالى الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينا وجاء بعلى ماهر يمكن بعد ذلك ان نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا ـ كما تقضى المناورة ـ فاذا رفض الملك طلباتنا كان ذلك ايذانا ببدء المعركة معه !

وبعد أن انتهينا من هذه المسألة فتح باب الحجرة ودخل اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصل نجيب الهلالى بنا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليه محمد نجيب وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهلالى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهلالى فى اقناعنا بشىء ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم أكن أعرف عنوان منزل على ماهر ولا احد فى الحجرة كان يعرف العنوان ايضا .. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة .. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل على ماهر دخل علينا الاستاذ احسان عبد القدوس ، وسألته على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسان بتوصيلى الى المنزل .. وقمت معه على الفور ..

هل هذه طائراتكم ؟

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر . وجاء على ماهر ، وقبل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت ــ الآن ــ الاستاذ ادجار جلاد فهل يأتى به ليحضر المقابلة ، فقلت له :

ــ لا . مايجيش .. عايزين نقعد وحدنا ..

وبدأت أتحدث اليه عن مهمتى ... قلت له اننى موفد من القيادة لكى يؤلف الوزارة

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة .. وانتظرت رد على ماهر .. ولكنى شعرت انه يريد أن يسمع كلاما اكثر ، وفى هذه اللحظة بالذات مرت أربع طائرات من ذوات الاربع محركات فوق رؤوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها

غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :
ـ الطيارات دى بتاعتكم ؟
وأجبته مبتسما لاطمئنه :
ـ نعم ، والقوات المسلحة كلهـــا لا تخضع الا لقيادتنـا اليوم ...
ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحة .. تـكلمت عن الفساد وعن الاوضاع الغريبة التى تمر بها البلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة.. (وهنا شعرت بقدم احسان عبدالقدوس تدوس على قدمى .. وبدأ احسان يزغدنى خلســة حتى لا استمر فى الحديث بهذه الصراحة)
لـكنى لم أتوقف . ومضيت أتكلم بصراحة اكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة .. ثم عدت اقول لعلى ماهر ان القيادة تـكلفه بتأليف الوزارة ..
وقال على ماهر :
ـ انا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفنى الملك بتـــأليف الوزارة !
وقلت له :
ـ تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن ..
ثم قلت له وانا أهم بالانصراف :
ـ فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا ..
وقبل أن أنصرف قال على ماهر :
ـ الزيارة دى ستبلغ للملك .. واظن من الاحسن ابلغها انا دلوقت لادجار جلاد وهوه موجود عندى !
وقلت له :
ـ تقدر تقول اللى تحب تقوله .. احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف . وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهارده

وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة .. ولابد انه بلغ رأينا للملك ..

.. ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة

لقد بدأت المناورة مع الملك ...

وجاء عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل ما دار بينى وبين على ماهر للزملاء .. ثم جاء من يخبرنا ان مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية

وقال لنا مصطفى صادق أيضا انه ما علينا بعد تعيين نجيب وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجىء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمله اياه فاروق .. وقلنا له انه لابد ان يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات أو اخذ ورد

ثم قلنا له ونحن نشيعه الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات أخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لايتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى أن الحركة مقصورة على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لابد لنا أن نأخذ حذرنا ..

ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية ، وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد اننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها .. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الاولى

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنا فى تلك اللحظة أن المناورة بدأت تنجح

وقد اتصل بنا على ماهر بعد خروج مصطفى صادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الامر بتشكيل الوزارة ..

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه أن يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وانه - أى على ماهر - يريد مقابلتنا قبل أن يسافر ، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ..

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك .. بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم هى اننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والاذناب .. كانوا يعتقدون انها ازمة لاتلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها .. يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم .. والشعب أيضا ..

لقد كانت المناورة فى بدايتها ..

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعد أن تحل الازمة باجابتنا الى طلباتنا ..

قد حددنا لعلى ماهر الساعة الخامسة والنصف من مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش .. ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ..

وفى الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة .. جمال عبد

الناصر ومحمد نجيب وانا ، وتوجهنـا الى منزل على ماهر واكمالا للمناورة سلمنا على ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش ..

انني أذكر اننا وقعنا فى ورطة عندما قال لنـا على ماهر قبل أن نقابله ان الملك فى انتظار طلباتنـا .. فلم تـكن فى رؤوسنا طلبات معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم .. اما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ..

ان الاحوال فى ٢٣ يوليو كانت تترى بسرعة فائقة .. لم نـكن قد أعددنا أنفسنا لهـذه الظاهرة العجيبة .. للسرعة الفـائقة ..

وأذكر اننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق .. كان لابد أن نمضي فى مناورتنـا مع الملك الى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه

واتفقنا ـ بعد جهد ـ على أن تكون الطلبات التى سيتقدم بها على ماهر الى صاحب الجلالة اساسها طرد الحاشـية ، فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب ، وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله ، فتبدأ بعد ذلك عملية طرده

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان اساسها كما قلت طرد الحاشية ..

وبعد أن قابلنا على ماهر فى الساعة الخامسة سلمه جمال عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد على ماهر للسـفر على الفور ، فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجة ، وقال له جمال ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعد أن تمنينا له سـفرا سعيدا .. خرجنا ليبدأ جمال عبدالناصر وزكريا محيى الدين فى وضع تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الاسكندرية وتأمينها ..

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا ـ فى المناورة ـ مع الملك شوطا بعيدا .. سافر على ماهر الى الاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة ، وبعد أن أكد له جمال ان المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشه وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الاساسية

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو) الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الاحداث ..

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رؤوسنا

كنا لا نشك فيه ، ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد ان فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها لفاروق ..

وصحيح انه لم يكن بيننا احد قد اكتشف حقيقته بعد ، فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع افهامه بأنه القائد والزعيم وصانع كل هذه الاحداث التاريخية .. كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه ..

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه القادمة ضد جميع اعدائه .. اما نحن فقد اعتبرنا انفسنا جنودا فى ثورة نجيب ..!

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثانى ، وكنا لا نزال على مقاعدنا فى مقر القيادة لم ننم ولم نسترح ،

والعرق يغرق ثيابنا فالحر كان شديدا .. لكننا لم نشعر بالارهاق على الاطلاق . كنا نعرف أن أمامنا ليالى أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ، وربما فى الشوارع وفى الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من اجل مصائر الملايين

لم نكن نعرف ـ بالتحديد ـ ماذا سوف يحدث لنا فى اليوم الثانى للثورة ، لان الاحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها ..

كل الذى كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد ..

وبعد ذلك لتأت الاحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر .. حتى لو ظهرت فى الافق بوادر تدخل جهات اجنبية فقد كان كل واحد منا قد اعد نفسه قبل أن يغادر بيته واولاده لمعركة سيخوضها .. وربما مات وربما فقد ذراعا .. المهم اننا جميعا كنا على استعداد للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الاعداء لو فكروا فى الوقوف امام الثورة

جمال يأمر بتحرك القوات

ووصل على ماهر الى الاسكندرية وقابل صاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا ، وفى صباح اليوم التالى للثورة ـ يوم الخميس ٢٤ يوليو ـ اتصل بنا على ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا !

وطلب على ماهر أن نوفد اليه أحد اعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار على لاقوم بهذه المهمة ...

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لا يعرف ماذا نهدف اليه بالتحديد . كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو ان

الازمة انتهت بعد أن قبل الملك طلباتنا .. والمياه ستعودالى مجاريها قطعا ، وخاصة وان الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له .. وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلى ماهر انهم – اى أفراد الحاشية – كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى !؟

على ماهر – اذن – ظن أن الازمة انتهتبعد أن تحدثالينا بالتليفون ، وابلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا

ولم يكن يعرف – مثلا – انه بعد ان غادر القاهرة فى اليوم السابق .. اى فى مساء ٢٣ يوليو لم يضع جمال عبد الناصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعه زكريا محيى الدين – وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات – وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عملية طرد الملك ..!

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاسكندرية وتامين مرافقها

وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو)

وأصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر .. وكانت القوة التى امر جمال بتحريكها لاسقاط الملك وطرده عبارة عن لواء مشاة وآلاى دبابات لتأمين المدينة واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاسكندرية ضمن القوة التىستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الخطة .. طرد الملك

على ماهر يسال .. ما الداعى لهذا ؟!!

وبالرغم من أن اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فىحجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، الا انه كان لايشترك مع أحد فى اعداد أى شيء ، فكل الخطط كانت معدة قبل أن يأتى الينا وقبل أن يعرف انه زعيم الشعب !

وحتى التفاصيل كان يعدها جمال والزملاء وهم من

حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الاحداث !

وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو .. اى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !!

وقد فوجيء على ماهر والملك بهذا الذى حدث .. فوجئا بالطابور المسلح يدخل الاسكندرية . وكانا قد اعتقدا ان المياه ستعود الى مجاريها بعد ان قبلت الطلبات !!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاسكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء ..

وكما حدث فى القاهرة صباح ٢٣ يوليو حدث فى الاسكندرية ..

التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضن افرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعد ان غمرته الفرحة ..

وبعد ان اخذت قواتنا فى الثغر اماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة اخرى بالتليفون ليسألنا :

ــ ما هو الغرض من وصول تلك القوت .. الم يوافق الملك على جميع طلباتكم !؟

واردف على ماهر يقول فى التليفون :

ــ ان الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات .. ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد ان اجابكم الى ماتريدون ؟!

وقلنا لعلى ماهر :

ــ لا شيء .. لا شيء بالمرة .. طمئن مولانا وقل له ان هذه القوات ارسلناها لتامين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث !!..

نجيب يطلب السفر معى ...

وبقى التنفيذ ..

متى تبدأ العملية ؟!

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت اماكنها والشعب من حولنا يؤيدها ويهتف لافرادها من الاعماق ، لا اضطرابات ولا حوادث ..

كل شيء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو ..

وكان جمال قد كلفني ـ كما قلت ـ بالسفر الى الاسكندرية بعد ان تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب ان يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ..

وطلب جمال منى أن أؤجل سفرى الى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت اماكنها وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو ..

وفى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ طلب محمد نجيب ان يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنا مع على ماهر على اننى انا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه الح علينا بشدة لكى يسافر معى !

فوافقنا بعد أن لمسنا مدى تمسكه بتلك الرغبة ، وبشرط الا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانما يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر ، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور * الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه ان يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ..

جمال قال لى ..

وكان على ان اغادر القيادة الى المطار .. وقبل ان اغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة وكان وجهه قد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا .. الصلابة والعزم القوى والاصرار التام .. وكانت

فى يده سيجارة وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته وراسه يتحرك قليلا الى الامام كعادته :

ـ شوف يا انور .. لازم نخلص من فاروق النهارده او بكره بالكثير .. لان الموقف ماعدش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمنى ، وعرفت انه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق باية صورة اليوم ـ الجمعة ـ او غدا .. ان جمال لا يلقى الكلام جزافا .. فهو لايقرر امرا الا اذا عرف ان لا مناص منه حتى لا تحدث كارثة !

اليوم او غدا .. لابد ان يطرد فاروق .. فقد كانت المشاكل قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضيين .. والموقف لا يحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا .. ونحن لم نخلقها .. بل خلقها واحد لم تكن نتوقع على الاطلاق انيظهر بيننا فى اليومين المذكورين .. انه رشاد منها !!

زوبعة على ابواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق ان ذكرت ذلك فى حينه.. وكان قد رفض ان يتولى قيادة لواء العريش عندما طلب منه ذلك جمال سالم .. وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد ان عرف الحقيقة كلها .. بعد ان عرف ان الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش تماما .. فى ليلة الثورة الاولى ، وبعد ان وصلت الى العريش اشارة النجاح !

وعندما عرف أن الضباط الاحرار نجحوا تماما وانهسوف لا يكون له مكان على الاطلاق بينهم ، وخاصة وان جمالسالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش .. اقول بعد ان عرف رشاد ان الثورة نجحت بدونه ، جاء الى القاهرة بلا اذن وتوجه من فوره الى سلاح المدفعية ، وهو كان يتبع له ، وكان ضباط السلاح لايعرفون شيئا عنموقفه ليلةالثورة كانوا لا يعلمون انه رفض التعاون ورفض ان يشترك فى

العملية .. وظن ضباط السلاح ان رشاد مهنا هو احـــد اقطاب الثورة .. وربما ظنوا انه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الاعنـاق .. ثم أركبوه سيارة وتقدموا السيارة بالموتوسيكلات ، وجاءوا الى القيادة بالبطل !!

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من باب القيادة .. وامامه راكبو الموتوسيكلات .. وكانت مفاجأة .. شعرنا على الفور ان زوبعة على الابواب !

وكنا لانستطيع أن نقول لضباط المدفعية ان هذا الرجل ليس واحدا منكم .. لم يشترك معكم فى عمل .. انه رفض أن يعاونكم ..

كان الموقف ـ اذن ـ حرجا للغاية ولا يحتمل اية خلافات .. فالملك لايزال فى البلاد ..

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينـــا فى اليومين الماضيين . وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لان الموقف كما قلت كان لا يحتمل اية خلافات ، ومعركة فاروق على وشك أن تقع ..

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود رشاد مهنا

أعنى مشكلة الخلافات

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البـلد دفعهم الحرص الشديد ، وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الاول وفى يومها الثانى الى أن يجيئوا الينا ليقولوا :

ــ فاروق اتصـــل بفـــايد .. انجليز فى طريقهم الى القـــاهرة ..

وأقوال اخرى كان مصـــدرها الرعب والفـزع ممـــا سوف يقع ..

وكنا نعرف أن هؤلاء النـــاس جبناء تفزعهم المعـارك ... كنا نعرف ان ما يقولونه ليس صحيحا .. الا اننا كنا قـد قررنا أن نعد أنفسنا لـكل الاحتمالات .. واسوأها

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المنـــاطق التى يحتمل أن يزحف منها الانجليز على القـاهرة .. اذا فـكروا فى التدخل ..

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيـادة ساعة بساعة ..

تلك كانت المشاكل التى رأينـــا أن وجود فاروق يوما أو يومين آخرين سيضاعفها

يا باشا .. قررنا عزل الملك !!

وأعود الى الموضوع .. فبعد أن كلمنى جمال قبل مغادرتى القيادة الى الاسكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية .. الى الاسكندرية ، وفى مطار النزهة وجدنا مندوب على ماهر فى انتظارنا

وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيادة فى مصطفى باشا ، وتوجهت أنا مع مندوب على ماهر الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولـكلى ..

وقضيت ساعة ونصفا مع على ماهر .. سألنى عن القوات التى وصلت الاسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه ومضى يقول لى :

ـ الملك وافق على الطلبات كلها .. واســـتقالات إفراد الحاشية فى جيبى أهه

وأخرجها من جيبـــه ليرينى اياها ، وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لاقرأها ، ولفت نظرى توقيع الياس

اندراوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليهــا هكذا : « اليس اندراوس » ، وبخط رديء للغاية ..

وهززت رأسى فى دهشة .. ان الياس اندراوس كان احد الذين يحكموننا .. نحــن الشعب .. كان محسوبا علينـــا كمصرى ، ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لايعرف كيف يكتب اسمه .. لا يعرف لغة البلاد التى ينتمى اليها

وتنبهت على صـــوت على ماهر مرة اخرى وكان لايزال حائرا .. وســـألنى مرة ثالثة عن حكاية القوات التى جاءت الى الاسكندرية

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث اليــه فى الموضوع لاول مرة .. قلت له وكان ساعتها يبدو مذهولا للغاية :

ــ بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم »

لا خيــار لك فالشعب مع الجيش !!

وقبل أن يفيق على ماهر من ذهوله اردفت قائلا له :

ــ اللواء نجيب سيجيء اليك فى الساعة السابعة وهو يحمل انذارا موجهـــا الى الملك من القيادة ، بتنــازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضـــه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعلى ماهر :

ــ انصحك ــ وانت الذى ستتوجه بهذا الانذار ــ أن تؤكد للملك ان لا فائدة من المقاومة اطلاقا ، لان الجيش والشعب سيسحقان اية مقاومة مهما كانت ، والاوامر التى صــدرت قاطعة فى هذا الشأن ..

وكان على ماهر لا يزال فى ذهوله الشـــديد .. فاقتربت منه قائلا :

ــ انت لا خيار لك فى هذا .. بل اننى اعتقد انك مسئول عما أصاب البلاد الى حد ما لانك أنت الذى نصبته ملــكا على البلاد فى دقائق عام ١٩٣٦.

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا .. فقال :

ــ أنا نصبته فعلا ملـكا على البـلاد .. لـكننى لم أكن أتصـــور أبدا أن يصل على يد مربيه أحمد حسـنين الى ما وصل اليه اليوم..انه هو الذى كتب بيديه أفعاله ومصيره

ومضى على ماهر يقول لى :

لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن « فاروق » أبعدنى منذ احدى عشرة سنة بتأثير من مربية أحمد حسنين والحاشية

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى .. ربما ليتأكد من ان ما قلته له منذ لحظات هو الامر الواقع .. وقمت لأؤكد له مرة ثانيــة ان لا خيــار له فى الامر .. فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة .. وعدت من بولـكلى الى مصطفى باشا .. حيث كان نجيب هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين ــ مدير العمليات ــ وجمال سالم وحسين الشافعى

وأخبرتهم ان على ماهر جاهز لتلقى الانذار فى الســـاعة السابعة من هذا المساء

زكريا محيى الدين يفاجئنا ..!

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكنــدرية ، ثبت فوقهـــا دبابيس عديدة ، وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم يخرج .. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة.. لا يتحدث الينا ولايلتفت الى أحد .. كان منهمكا فى «البحلقة» فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فهو كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد النــاصر فى القاهرة واخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعلى ماهر .. ثم قرأنا له صيغة الانذار الذى سيوجه الى الملك فأقرها ..

ثم بعد ذلك اتجهنـا الى زكريا محيى الدين فى الركن الذى

انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحــددة لها حسب الخطة ، لــكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

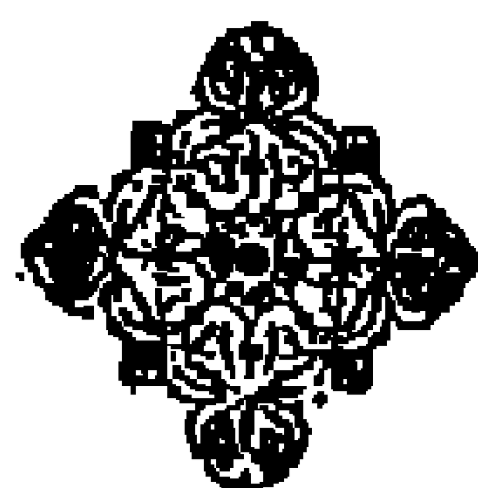
وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

ـ العملية لا يمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

ـ لمـــاذا ؟!..

ثم بدأنا نتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران



رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها .. فزكريا محيى الدين أصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئا للغاية ، ونحن من حوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الانذار الذى سيوجه باسم القيادة الى الملك ، آتجهنا الى زكريا نسأله متى تكون قواته جاهزة ؟..

وبهدوء تام اجاب :

ـ العملية لا يمكن أن تتم الليلة !..

تلك كانت مفاجأة زكريا محيى الدين لنا فى ذلك اليوم .. ٢٥ يوليو

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيامها بعمليةطرد فاروق

وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد ان تستريح وتنال وجبة ساخنة ، يمكن أن تبدأ المعركة على الفور !..

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لا يصح ان نسلم بها ، لاننا جميعا لم ننل أى قسط من الراحة طوال ثلاث ليال ، ولا نزال نقف على اقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها !..

وبهدوء أيضا أجاب زكريا :

ـ ماليش دعوة بيكم .. لـكن قواتى لابد ان تستريح ، وكل شىء حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا

ولم يفلح أحد منا فى اقناع زكريا ، لـكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (٢٥ يوليو) .

وسلمنا الامر لله ... ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولـكلى لـكى أخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى

وذلك الموعد كنا قد حددناه لعلى ماهر لـكى نقابله فيـه ونسلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة

ان جمال سالم يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد ، انه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشعب وهى جرائم يستحق من أجلها الاعدام

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ونحن نريد التخلص منه فى اقرب وقت ، اليوم أو غدا ، ويكفى أن يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة الى أن نبقيه فى البلاد الى أن يعدم ، فالاحـــداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة !

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنا قررنا عرض موضوع ـ مصير فاروق ـ على الزملاء بقية أعضـــاء القيادة فى القاهرة

فالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار يمكنهـا أن تجرى عملية اقتراع حول المسألة .. وسواء صوت اعضاؤها ضد

اقتراح جمال سالم أو ايدوه فالمسـألة حينئذ تصبح أمرا واقعا ..

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بها الى القاهرة ، ليأخذ الاصوات حول مصير فاروق .. ثم عاد الينا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه راى لبقية الزملاء

وكانت الاصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى : تسعة أصوات فقط .. وهم أعضاء الهيئة التأسيسية واللواء محمد نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع

وقد رجح الزملاء كفة الراى القائل باخراج فاروق من البلاد دون محاكمة .. لان المسألة : كما قلت ــ كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت !

وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال عبد الناصر اتصل بعزيز المصرى فجر ذلك اليوم ــ ٢٦ يوليو ــ واخذ رايه فى الموضوع

مستشار السفارة الامريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح ــ ٢٦ يوليو ــ كان زكريا محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم اصدر اليهم الاوامر النهائية

وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحا

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك .. وقبل ان نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الامريكية فى الردهة ، وكان المستشار الامريكى فى حالة يرثى لها .. كان يرتعش ، وكان قد فقد

السيطرة على أعصابه تماما .. وقال موجها حديثه الينا :
ـ انا قادم الان من راس التين ، انهناك معركة.. واردف المستشار الامريكي قائلا وهو يرتعش :
ـ ما سبب هذا ؟.. ان الملك فيما نعلم قـــد أجاب كل طلبات الجيش ، واريد تفسيرا لهذا الذي يحدث الآن عند راس التين ، ويهمني أن أطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية
وصمت المستشار الامريكي ثم نظر الينا في حيرة
وقال له اللواء نجيب :
ـ اننا قادمون الآن للتفاهم معرئيس الوزراءفيهذا الموضوع
وتركنا مستشار السفارة الامريكيةلندخل مكتب عليماهر

على ماهر ظن ان الجيش تراجع

وبعد ان صافحنا رئيس الوزراء ، مددت يدي في جيبي وبحركة مسرحية اخرجت « الانذار » من حافظتي وقـــدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعـــلى ماهر .. وكان الانذار من صورتين وقع على ماهر على احداهمـــا بتسلم الصورة الاصلية
ورايت على ماهر يلتفت الى وفي عينيه تساؤل واضح ، ولم يكن قد بدا يقرا الانذار ، وفهمت في الحال انه يريد أن يعرف ان كانهذا هو « الانذار » الذي حدد مصير فاروق !؟
ويبدو ان على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مسالة طرد فاروق ، وخاصة بعد ان تأجل ميعاد مقـــابلتنا له من السابعة مساء الى اليوم التالي !
وقد اومات براسي لعلى ماهر وكاني أقول له : نعم .. هذا هو الانذار بعينه !
وبدا على ماهر يقرا الانذار ، ثم التفت الينا قائلا بعد ان انتهى من قراءته :

ـ هذا هو مايستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع ابدا الى نصحى

وغادرنا مكتب على ماهر .. وخرج هو معنـــا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار

وكان الملك قد استدعاه فى صـباح ذلك اليوم ، قبل ان نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى راس التين

وقبل أن يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى راس التين قلت له وانا اهمس فى أذنه :

ـ ان كنت ترى انك فى حاجةالى حضورى معك فانامستعد

ولكنه قال : « لا داعى لذلك فى هذه الخطوة »

ومضت به السيارة الى الملك .. ليسلمه انذارا من القيادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانيـة عشرة ظهرا ، ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم ، والا ! ...

الدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد اقامت حصارا على سراى رأس التين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة

وحول سراى راس التين حيث كان الملك هناك كانت القوات المحـاصرة تتكون من مشــاة وعربات مصفحة ومدفعية وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعـا يتحكم فى سراى راس التين ، بحيث يمكن هـدمها اذا ما اسـتدعى الامر ذلك ..

المعركة التى حطمت الملك

وكان على قوات المشاة أن تتقدم لحصار السراى ، غير أن

الاوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعــدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بأمر من القيادة

وأثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الاســوار حدث أن صعدت قوات الحرس الى الابراج فوق تلك الاسوار ، وراحت تنصب عليها مدافع « الماكينة » لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها ... فهم كانوا لايعلمون شيئا

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » .. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الابراج ، فنادى جنود الحرس وهو يأمرهم بالانســحاب .. وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة ، كانوا ينصبون المدافع فوق الابراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الاســوار وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع المــاكينة على اخوانهم هؤلاء ... وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لانه لا توجد اوامر جديدة قد وصلتهم ، حتى كان يمكنهم ان يتخذوا موقفا مختلفا

وفى هذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة ـ طائشة ـ من مدفع كان احد الجنود ينصبه فوق البرج .. ويبدو ان الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجـد قواتنا بدا من اسكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ، ولا احد كان يعلم ساعتها أن تلك الرصاصــة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت منه الرصاصــة ، وفعلا سكت المدفع بعد أن اصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التى حول الاسوار

تلك كانت المعركة التى افزعت مستشار السفارة الامريكية

ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت فاروق يفقد اعصابه ويتهاوى كالحطام ..

فاروق يستنجد بالسفير الامريكى !

ويقول على ماهر ان تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والحاشية فما كادت الطلقات تتتابع حول السراى حتى اعتقد فاروق انه ميت لا محالة .. ولم يتمالك نفسه فاصيب بحالة - هيستيريا - واسرع يطلب على ماهر فى فندق سان ستفانو .. فلما وجده لم يستيقظ بعد ظل يصرخ فى التليفون طالبا من ادارة الفندق ايقاظه فى الحال .. وفعلا استيقظ على ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره

وفى نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الامريكى ، وارسل له السفير سكرتيره الخاص ، ثم بعد ذلك ارسل لنا مستشار السفارة

كانت معركة فاصلة ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها وهى ان دلت نتائجها على شىء فانما تدل على انه لا توجد قوة مهما كانت يمكنها الصمود امام تكتل الجيش والشعب

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء عبد الله النجومى ومعه اربعة ضباط من الحرس ، وقالوا لقائد القوة المحاصرة انهم يريدون الذهاب الى القيادة فى مصطفى باشا للتفاهم .. وجاءوا الى القيادة فعلا .. وكانوا فى حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك .. لتستريح اعصابهم .. فهم كانوا لا يعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الافق !

فاروق طلب استثمار ثروته !

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار

وطلب منا على ماهر ان نوافيه فى بولكلى ـ لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وايضا لكى يعرض علينا طلبات الملك الاخيرة بشأن سفره

وتوجهنا الى بولكلى مرة أخرى ، محمد نجيب وجمال سالم وانا .. ووجدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر ثم ارسل يستدعى السنهورى لاعداد صيغة التنازل ، وفى هذه الاثناء عرض علينا على ماهر طلبات الملك بشأن رحيله وهى :

- ان يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها جلال علوبة
- ان يجرد كل شىء فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات الى ثروته وان تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم
- ان يسمح له باصطحاب بوللى وحلمى حسين ، وان لم يكن هذا ممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب الاول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة

ولم يكن لفاروق خيار فى الامر ، فقد كان ينفذ كل مايطلب منه بلا تردد ، بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو ان يخرج حيا من هذه البلاد

كان قد اقتنع انه لاتوجد قوة ـ مهما كانت ـ يمكنها ان تحميه من الجيش والشعب .. فتهاوى من تلقاء نفسه وبلا مقاومة .

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صيغة التنازل ـ الاولى ـ وعرضت تلك الصيغة علينا ولكن جمال سالم اعترض بشدة .. فلم تكن الصيغة تتضمن السبب الاساسى الذى

حتم على فاروق ان يتنازل عن عرشه .. لم يكتب فيهـــا نزولا على رغبة الشعب

وكتب جمال سالم الصيغة النهائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب

وأخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى راس التين ليوقع الملك المخلوع عليها

وخرجت أنا لاتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كى اتفق هناك على خروج « المحروســـــة » لتحمل فاروق الى حيث يشاء ، وأيضا لــكى أخلى سبيل امير البحر جلال علوبة الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه

وفى طريقى رايت سليمان حافظ واقفا مع الضابط الذى كان يراس قوة حصار راس التين ، وكان الضابط قد منعه من دخول السراى ، وطلبت من الضابط ان يتركه وان يرافقه الى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له البـــاب ..

وتوجهت أنا بعد ذلك الى رئاسة البحرية .. وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان !!



المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد ان فتحوا له باب سراى راس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد

ثو توجهت الى رئاســـة البحرية لاعطى تعليمـــات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروق الى منفاه ، وايضا لكى اخلى سـبيل أمير البحر جـــلال علوبة الذى أراد فاروق أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها

وكان امير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت ـ كما سبق أن قلت ـ بما لم يكن فى الحسبان !

فما كدت اصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، واخبرتهم بقرار القيـادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى ... وما أن ســـمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نســـف المحروسة اثناء خروجها الى عرض البحر !

وقبل ان افيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الاسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء ـ الآن ـ وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لا يستبعدون ان تطلق احدى قطع الاسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا الســلاح البحرى

المصرى ، فتنظيم الضباط الاحرار بالرغم من نجاحه فى تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة بأسبوعين ، قد سافر الى الاسكندرية فى اجازة ، وهى لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكى يتصل بضباط البحرية ، ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيدا للقيام بالثورة

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير ... فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع اسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران أو فى باقى الوحدات ، لاننا ــ جميعا ــ كنا زملاء فى كلية واحدة .. هى الكلية الحربية

واما بالنسبة لضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد أن انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم تكن نعرف احدا من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الامور !

وكنت قد قلت من قبل ان ثورتنا هذه كان الاساس فى قيامها قائما على الصداقات وصلات الاخوة بين اعضاء التنظيم ... وقبل ان توجد الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كانت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والاول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد ... ثم تحديد اهداف واحدة

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الاهداف بين الافراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما

ومن اجل هذا كنا نحن ــ الاصدقاء ــ نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الاهداف دون ان نخشى افتضاح امرنا ، ومن اجل هذا ايضا ظل الضباط الاحرار يعدون

خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف احد سرهم !

واعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل فى الاسكندرية اياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها ... وبينما هو فى محاولته اذ طلب اليه اعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة ... لانه ـ كما قلت من قبل ـ قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الاحرار بعد ان عرف اشخاصهم !

وترك جمال الاسكندرية قبل ان يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وانا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى ان مراكب الاسطول الراسية فى الميناء ربما اطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع الى منفاه وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم ان القيادة ارتبطت بوعد ، ولا بد من ان ينفذ وعد القيادة ، لا بد ان تخرج المحروسة سليمة الى عرض البحر بمن عليها

واستقر رأينا ـ كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع ـ ان نوزع انفسنا على مراكب الاسطول.. انا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب اسطولنا فى الميناء ، على أن يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة !

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الاسطول الراسية فى الميناء .. وبينما كنت متأهبا للنزول الى اللنش اذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية ، وقالوا لى ان القيادة تطلبنى .

كان زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ هو الذى

يتكلم .. قال لى انه نمى الى علمه ان ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة اثناء سفرها بالملك المخلوع ، وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !

وطلب منى زكريا محيى الدين ان اتصل بهم وأعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم

فضباط الأسطول قد استطعنا أن نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة .. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟ !

ولم اجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الاحرار فى مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ثم طلبت منه ان يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم ان القيادة ارتبطت بكلمتها .. ولابد ان يخرج الملك المخلوع سليما من البلاد

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الاحرار ان اتصل بى ليخبرنى ان كل شىء على مايرام .. فقد استطاع اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !

وبقى اقناع جلال علوبة بالسفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عندما اخبرته بأمر القيادة اثناء وجودى فى رئاسة البحرية ، لانه خاف ان لايسمح له بالعودة الى مصر بعد توصيل فاروق لكنى اخذته الى القيادة وهناك اقنعناه بأن عقليتنا لايمكن ان تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لايمكن ان نمنعه من العودة الى بلده !

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكب الاسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو اكبر قطعة من اسطولنا

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !

ووقفت على ظهر الطراد وبدأت انظر الى راس التين بالمنظار البحرى المكبر

واقتربت الساعة من السادسة .. وكنت لا ازال اتجه ببصرى نحو راس التين .. وكنت ارى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجىء اليها مرة ثانية ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار المكبر فرأيت علم فاروق فوق السارية امام رأس التين وقد انزل ... ثم رأيتهم ... رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نساء ورجال ، ولم اميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الامريكى وشقيقته فوزية

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت فى مكانى فوق الطراد « فاروق » أحملق فى المنظار المكبر واشهد أمامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يستقل اللنش الى المحروسة ، وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش .. وخيل الى انه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الاخيرة ، وهو يغادر أرض الثورة

وكانت اللنشات تروح وتجيء فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل ، وتقترب تلك اللنشات من رأس التين ثم تدور حول المحروسة .. فكل النـاس يريدون مشاهدة الفصـل الاخير من رواية « فاروق الاول » .. بعـد أن شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل الساعة السادسة

وقبل ان يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع امام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقـات رصـاص .. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع .. خيل الى أن احدا اطلق الرصاص على فاروق . . وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها

ثم عرفت ـ فى الحـال ـ ان احد اللنشات اقترب من « لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر ...وما كاد فاروق يراهم وهم يقتربون منه حتى « تهيـج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشـتائم مقذعة ، فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى « لنش » يسير بهم محاذيا للنش فاروق الا ان اطلقوا النار للارهاب ... وانطلق لنش الصحفيين بعيدا

ووصل فاروق الى المحروسـة ، ورأيتـه يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر وصول أحد

وبعد فترة قصـيرة جـدا جاء لنش آخر يحمل نجيب وجمال سالم وحسين الشـافعى .. وكان من المفروض ان يودعوا فاروقا من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيـله لكنهم تأخروا .. واقتربت الساعة من السادسة ، فاستقل فاروق اللنش على الفوز كما ينص الانذار الذى تلقاه .

وجاء محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشـافعى الى

المحروسة لتوديعه ، ورأيتهم يقفون مع فاروق ، وظللت ابحلق فيهم بمنظارى لكنى لم اكن اسمع حديثهم ... ثم ما لبثوا ان غادروا المحروسة

كان أمر القيادة يقضي بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها الى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد ان يؤدى تلك التحية .. فبدأت المدافع تنطلق .. واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب الى الخلف لكى تغادر « البوغاز » ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن ارض الثورة

نمت على باب القيادة

وظللت اتابع « المحروسة » بالمنظار الى ان غابت عن عينى وهنا تلفت حولى لاجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط وبعد ان انتهت « العملية » شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى ... وترنحت وكدت اسقط فوق ظهر الطراد ... فمنذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم انم ولم استرح .. ولم اطمئن

وكنت قبل رحيل المحروسة لا اشعر بتعب ولا بارهاق.. وفجاة اصبحت لا استطيع جر قدمى ، حتى عندما اردت مغادرة الطراد لاعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم استطع النزول من فوق السلم .. فأمسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللنش

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنت لا ازال اترنح ... ثم دخلت من باب القيادة اجر قدمى جرا كانى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورأيت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى ... ولم يكن فيها احد ... وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الارض لاستغرق فى نوم لم أذق أعمق منه ابدا

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى .. ووجدت نفسى اغادر القيادة فى مصطفى باشا واتوجه الى محل البان كنت أتردد عليه فى وقت ما اثناء هربى من البوليس ... وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيادة ... وعلمت ان جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا ان نعود اليوم الى القاهرة

وقد توجهت مع اللواء محمد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين اصيبوا فى معركة راس التين. وصرفنا لهم مكافآت

واثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء عبد الله النجومى وكان معينا من قبل القيادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة

وخيل الى ان النجومى فى ورطة .. وفعلا بدا يتحدث عن ورطته .. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى ان الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام ؟..

وطلب النجومى منا ان نحل المشكلتين ، وحللنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد.. فترحل كل واحدة الى بلدها

اما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى انها – اى الحيوانات – يمكن ان تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى ان تتسلمها الحكومة

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجاة اخرى ..

أول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل فاروق !

وكنا ـ أو كنت أنا بالذات ـ لا اتوقع تلك المفاجـأة اطلاقا ..

ماذا يريد هـذا الرجـل ؟.. وما الذى جاء به ايضـا فى الاسكندرية ؟

لا احد كان يدرى .. فذلك الرجل لم يفهمه أحد تماما ، ولم يعرف أصدقاؤه ، او اعداؤه اهدافه الحقيقية ..

هل يريد ان يثير زوبعة هنا .. مثل تلك التى اثارها فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ..! ؟ عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضباط المدفعية لايعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشتراك فى العمليـة عندما بدأت ، بل بعد أن نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجىء بأننا نجحنا نهائيا واصـبحنا فعلا نسـيطر على الجيش وعلى البـلد ... فأسرع الى القـاهرة وهو مذهول لايكاد يصدق أن الثورة نجحت بدونه !

ويومها ـ كما قلت ـ ظنه ضباط المدفعية أحـد اقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به فى موكب هائل الى القيادة فى كوبرى القبة ، ولم نستطع ان نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد مهنا . لم نقل لهم ان هذا الرجل ليس من

الثوار ، ليس واحدا منكم ، فالمسألة لم تكن تحتمل ، فقد كان من الحماقة اثارة خلافات فى يوم الثورة الاول ..

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق فى وجه رشاد مهنا عندما جاء الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، ووقف فى الحجرة تائها مضطربا

لقد شعرت عندما رأيته فى ذلك اليوم ان المتاعب فى طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم أتمالك مشاعرى ، كان لابد ان احـدد موقفى على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطـلاقا اهدافه او معتقداته ، ولا يستطيع انسان أن يعتمد عليه

وزاد فى احساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث الينا ...

لقد علم ان العرش قد سقط ، ولم يشترك هو فى عملية اسقاطه . وعرف انه قد اصبح فى مصر مئات الابطال وقادة فتح لهم التاريخ كل ابوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف تلك الابواب

وها هو الآن أمامى فى تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا ، انى اراه جيدا فى تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ، وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعا ، وبأى ثمن !

وظللت اتأمل فى رشـاد مهنا وهو فى جلسـته المضطربة امامى فى مصطفى باشا ..

وكما قلت لم اتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم اخـذته من ذراعه الى ركن فى الحجرة .. وسألته :

ــ ايه يا رشاد ... مالك ! ؟

ونظر الى فى اضطراب اكثر .. فسألته فى هذه المرة بلهجة جافة الى حد ما ... قلت له :

ـ عايز ايه يا رشاد ... قول ، ايه اللى انت عايزه ... مالك كده ... مضطرب ليه ! ؟

وفوجئت به يبكى ..

ثم قال لى وهو لايزال يبكى :

ـ انا مش عايز حاجة .. انا جاى ابارك على الخطوات الموفقة دى ..

رشاد يطلب اخراجى مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا .. وتركناه فى الحجرة تائها كما هو ومن حوله اربعة جدران ..

ولم أكن أدرى يومها ان حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس انى عدو له حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيه جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد اقيل من منصبه كوصى للعرش وأراد جمال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما .. صداقة كانت أم زمالة أو حتى مجرد تعارف عابر .. اقول اراد جمال ان يمد يده لرجل يعرفه ، لا لانه صاحب نفوذ فهو كان قد اصبح لاشىء ولا لانه فى حاجة اليه ، بل لانه قد عرفه فى فترة ما ..

اراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب اليه وقال له ان من الممكن الاستفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه ان يكون سفيرا لمصر فى اية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا فى تلك اللحظة أن جمال عبد الناصر قد جاء اليه تائبا .. وانه ـ أى جمال ـ فى حاجة شديدة

الى معونته ، وان الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه . . . فقال لجمال ان له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد . . وهو أن يخرج جمال سالم وانور السادات من القيادة . .

واضطر جمال عبد الناصر امام هـذه المفاجـأة ان يوضح لرشاد مهنا فى هدوء المسألة كلها . . فقال له انه لم يأت اليه لانه فى حاجة الى التعاون معه ، بل لكى يساعده

وتكلم جمال معه بصراحة . . فاستعرض أمامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد ان قامت ، ثم بعد ان أصبح وزيرا ثم وصيا على العرش . . وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة أعلنها فى هدوء امام رشاد مهنا . . وهو ان الوضـع بالنسبة له اى ــ رشاد ــ هو انه خرج على الثورة ، اما بالنسبة للاثنين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماما . .

ورفض رشاد بعد ان سمع رد جمال عبد الناصر . . اقول رفض الوظيفة

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق ، عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا

ولنترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيرا فى قصة ثورتنا . .

واعود الى الموضوع . .

كان علينا بعد ان رحل فاروق عن البلاد ان نعود فورا الى القاهرة ، بعد ان استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو

وفى اليوم التالى ــ ٢٧ يوليو ــ كنا فى القاهرة ، وانعقد فى نفس اليوم اول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يرأسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالاجماع كما سبق أن قلت . .

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لانه لم يكن عضوا في الهيئة

وعنــدما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب في مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه ..

استقالة جمال عبد الناصر

وفي هــذا الاجتماع الاول للهيئة التأسيســية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال انه يقدم اســتقالته من رئاسة الهيئة بعد ان انتهت اول مرحــلة من كفاح الضــباط الاحرار ، ثم توجت بالنصر ساعة أن طرد الملك .. ومضى جمال يقول : انه رأى حتما عليه ان يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكي يعطي فرصة لاعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الاحداث القادمة

وانتهى جمال من حديثه بأن اصر على تقديم الاستقالة ..

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الاعضاء ان يستمر في عمله كرئيس للهيئة ، لكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ..

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب في اقتراع سري ــ كالعادة ــ ففاز جمال بالاجماع

موقف خالد محيي الدين

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقي جمال رئيسا للهيئة ، وقف خالد محيي الدين وطلب الكلمة .. وتكلم فشرح موقفه قال خالد انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لأنه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقي في الهيئة التأسيسية ان يصطدم معنا من اجل المبدأ الذي يدين به ..

ومضى خالد يقول انه رأى منعا لاى خلاف ان يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد ، وكانت مناقشة عاطفية للغاية ، ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيى الدين من الهيئة .. اى استمرار التعاون معه ..

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية ، كنا نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من اخطر اجتماعاتنا.. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لامفر منها بعد أن اصبحنا نحن على المسرح ، بعد ان خرجنا من تحت الارض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الخفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب .. وبلا فاروق ..

والعالم كله كان لايدرى شيئا عن اهدافنا بالتحديد .. والشعب ايضا ..

لم يكن احد يعرف ماذا بعد فاروق ..

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة احمد فؤاد الثانى — الطفل — كان على عرش البلاد ! ؟

بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن ! ؟

وهذا الذى حدث قد تم على ايدى من ! ؟

عرف الناس — فقط — فى مصر وفى خارج مصر ان اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وأنه هو الذى سيصنع المستقبل ، لانه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لا نريد على الاطلاق ان يعرف احد فى مصر او فى خارج مصر شيئا عن جمال عبد النـاصر او عبد الحكيم او اى واحد منا .. لاننا قررنا ان نفنى جميعا فى شخص اللواء نجيب القائد والزعيم

واردنا ان يرسخ فى اذهان الشعب وفى اذهان كل العـالم ان نجيب هو صانع كل تلك الاحداث فى شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس .. ولماذا اتخذتم هذا القرار ؟ ! ما دمتم قد حققتم اخطر مرحلة فى كفاحكم ، وطرد صاحب العرش عدو الملايين ، فلمـاذا لم تخرجوا الى الشـعب باشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق راسه مثلما حمل اللواء نجيب ! ؟

واقول لهـذا البعض اننا لم نكن نريد حكما .. لم نكن نريد ان نكون اعضاء فى حكومة مصر ، أو سـاسـة ضمن ساسة البلاد .. بل كانت كل اهدافنا هى تغيير نظام الحكم ولا يعنينا أن يحملنـا الشعب على راسـه أم لا ، بل الذى يعنينا هو ان يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

اما الزعامة والمجد والنفوذ والسـلطان فانهـا لم تكن من أهدافنا ، ومنذ اللحظة الاولى حددنا لانفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم .. وهو كل شىء !

ونحن ـ كما سبق ان قلت ـ لسنا سوى جنود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصـل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ..

وكان علينا ان نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة ، وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الاهداف فالاهداف مقررة ولا سبيل الى تغييرها ، بل حول وسائل تحقيقها .. بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل اعظم هدف واخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين .. فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو — اى المستعمر — باق لم يطرد مع فاروق .. والمعركة القادمة ستكون حتما معه .. فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديموقراطية امام الشعب سواه ويجب ان يزول ..!

وكان الاستعمار فى تلك الايام التاريخية من شهر يوليو قد فوجىء باللطمة التى اصابته عندما طرد فاروق ..

وانى اذكر اول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر .. اذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا .. قبل ان نعود الى القاهرة

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت ؟

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة .. وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل احداث يوليو ..

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفة الذكر ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :
أولا : ان يعلن حظر التجول فى انحاء مصر خوفا على

ارواح الاجانب لانه يخشى ــ على حد قوله ــ ان يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى ــ أى الشعب على المحلات والمؤسسات !

ثانيا : ان لا تحدث اية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة ..

ثالثا : ان تحفظ حقوق أسرة محمد على ، وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد !

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجىء بجمال سالم وبى ــ ونحن نتحداه ونسخر من طلباته ..

قلنا له ما دخل بريطانيا فى مثل هذه الامور ، وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى ، وقلنا له انه ليس لبريطانيا أو لغيرها ان تتدخل فى مثل هذه المسائل لان هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات قد انتهى ساعة أن تحركت « المحروسة » حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ عن الموقف فى مصر بعد فاروق ..!

وبعد ان ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة :

ــ أرجو ان تعتبروا زيارتى هذه ودية وهى زيارة للصداقة وللنصح لاغير ..!

وطلب ــ رسميا ــ ان لا نعتبر ان هناك طلبات من بريطانيا ، وان حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعل ما فعل كصديق !

وقاطعناه قائلين :

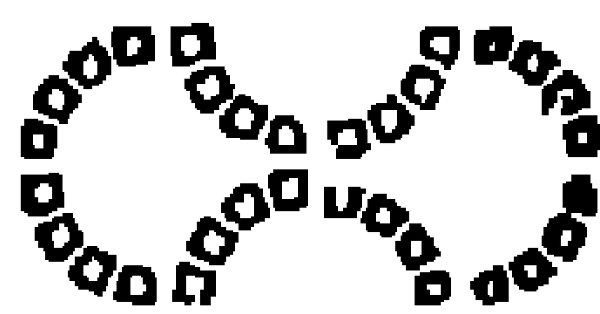
ــ ولـكنك كنت تقـرأ من مذكرة فى يدك .. فمـا هى الحكاية ! ؟

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات .. وقال وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لـكى يتذكر ما سوف ينصحنا به كصديق

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة انه ما جاء الا كصديق ، وان المسـألة ليست تبليغـا رسميا من بريطانيا .. وقال انه يسحب كل ما قاله لنـا وطلب منا ان ننسى ما حدث .. ثم خرج !

تلك كانت اول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد الملك ..

وكانت زيارة القائم بأعمال السفارة ــ فى ذلك اليوم ــ قد سبقتها زيارات اخرى ومواكب اخرى عجيبة وكانت كلهـا مواكب نفاق .. بعد ان عرف الساسة الباشوات ان فاروقآ قد رحل عن البلاد



الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسى بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق ! ؟ هذا هو السؤال ...

انها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى

فى اليوم الاول للثورة – ٢٣ يوليو – وبعد ان سرت الفرحة فوق هذه الارض ، ماذا فعل الساسة الباشوات ؟ !

هل فرحوا ... وايدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو ؟ !

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد .. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك ..! فهل وقفوا بجوار قيادة الجيش صانعة احداث يوليو التاريخية ! ؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام اوالموت الزؤام، وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية ، كلما ارادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل ايدت موقف الجيش من الملك فى ايام ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ، مثلما ايد الشعب ذلك الموقف ! ؟

ام انهم كانوا لايمثلون الشعب فموقفهم – اذن – يصبح مختلفا تماما عن موقفه ! ؟

لقد كانت احداث تلك الايام من يوليو تبشير بوضوح الى ان الضربات بدات توجه لاعداء الشعب ... لتصرعهم !

كان فرض ارادة الشعب على اسرة محمد على عملا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا .. فلماذا لم يقف زعماء البلاد الى جوار قيادة الجيش فى اللحظات الاولى للمعركة ، وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟

هل كانوا يتوقعون ان يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى هذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب كان يؤيدنا منذ الدقيقة الاولى .. اقول ماذا كان عليهم — وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب — لو وقفوا وايدوا الخطوة الاولى ، ولا اقول باقى الخطوات ! ؟

انى اقولها ويقولها التاريخ نفسه ان الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الايام مصالحهم فقط ومصالح احزابهم ..

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لان فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

اما نجاح الثورة فذلك شىء لم يتوقعوه .. اما عزل الملك فذلك شىء لم يؤمنوا بأنه سيحدث !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صوتا ، ولم نر وجها واحدا من وجوههم الكريمة !

كنا وحدنا فى المعركة ومعنا الشعب ... اما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون ان يفشل الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه ... فلا يحرمون من مقاعد الحكم ومغانم السلطان !

حتى ذلك الرجل حسن الهضيبى واتباعه ورثة كتاب الله فى هذا الزمان ، لم يؤيدوا قيادة الجيش فى ايام الثورة الاولى .. لم نر وجه الهضيبى وهو الداعية الذى يطالب بالحريات والديمقراطية !

فأين كان ؟ !

اين كان واتبـاعه وهم الذين زعموا فيما بعد انهم صانعو الثورة !

ثم فجأة وعندما عرفوا ان الثورة نجحت وان العرش قـد سقط من فوق رأس مولاهم جاءوا الينا مهنئين ... وهم الذين اختفوا عن انظارنا قبل رحيل الملك المخلوع ... بل ان رجال حزب الاغلبيـة ، الحزب الذى يدعى اصحابه تمثيل الشعب ، اقول ان هؤلاء الرجـال ذهب بعضـهم يوم ٢٤ يوليو ـ والشعب والجيش فى عنفوان معركتهما ضد صاحب الجلالة ـ وقيدوا اسماءهم فى سجل التشريفات ، فى سراى رأس التين ، رافعين الى الاعتـاب السـامية فروض الولاء والطاعة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك الملك !

ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجية الوفد لا يزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق ما نقول ! ؟

وجاءوا للسيد الجديد

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء .. كنا نتوقع ان يجيء الينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث ... لـكن يبدو اننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة ، فهم الذين صانعوا القصر والمستعمر طوال اعوام حكمهم ، وهم الذين فرضـوا طغيان فاروق فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادىء الى الجحيم !

وبعد ان زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينا فى مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة

وقد بدات طلائع تلك المواكب تظهـر على ابواب القيـادة

بعد ان عرفوا ان فاروقا قد انتهى !

ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطاعة للملك باسم الوفد يوم ــ ٢٣ يوليو ــ اى بعد الثورة ، جاء بعد رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على ايدينا

والهضيبى وصلاح الدين والزعماء الافاضل من الاغلبية والاقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على ابواب القيادة ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد !

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على ابواب القصر معلنين عن الولاء والخضوع والطاعة ، واليوم يجيئون الى ابواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا اننا مثل سيدهم الذى ذهب !

ظنوا اننا ستدور بنا الرؤوس امام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين ايديهم ببساطة ونحن راضون !

ذهب سيد وجاء سيد ، تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لا نستطيع اخفاء اسفنا ، كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم امامنا يبتسمون فى خضوع مباركين ومهنئين ومؤيدين !

وكلما جاء الينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا ، ولا نملك الا ان نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة كانت المسألة رياء فى رياء .. وليس لها اصل من الحقيقة !

نجيب يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديها .. فحديثهم سيجيء كثيرا فى قصتنا .. واعود الى الموضوع :

قلت فيما سبق أن الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق واستقال جمال عبد الناصر من رياسة الهيئة فى ذلك الاجتماع ، ثم اجريت انتخابات جديدة

ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة .. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار ، فقد كان علينا ان نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد ان اصبح كفاحنا فى العلن جنبا الى جنب مع الشعب

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات فهو لم يكن عضوا فى الهيئة التأسيسية فكان يظل جالسا فى مكتبه حتى ننتهى من اعمالنا ، فيجىء يجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ، فكان لايترك مناسبة دون ان يعبر لنا عن عجبه من موقفنا

كان يقول لنا ان كل شىء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شىء له وحده ، وهو لم يصنع شيئا على الاطلاق .. وكان يبدى لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا ننكر فى شدة اننا صنعنا شيئا ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد ان عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة ـ كما قلت من قبل ـ ان هذا الرجل ـ اى نجيب ـ اصبحت احبه مثل والدى .. وربما اكثر !

جمال يتنازل عن الرئاسة لنجيب !

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والاجانب .. ثم عندما يعلم اننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجىء ليجلس معنا

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف اغسطس

وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم ١٧ اغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر ـ رئيس الهيئة ـ يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رئاسة الهيئة للواء محمد نجيب !

وقبل ان نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

ـ ان الوضع اصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لايحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح ان نضمه كعضو فى الهيئة فحسب ، بل انى متنازل له عن الرئاسة ؟

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم اربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ، على ان يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لانه لا يعقل ان يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة .. وبعد ان فرضناه ايضا قائدا عاما للقوات المسلحة !

اقتراح من جمال سالم

وفى نفس الوقت تقدم جمال سالم باقتراح ثان وقال فيه انه يرى ان يكون اعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، او ثلاثة ، على ان يعود باقى الاعضاء الى وحداتهم فى الجيش ، ويبقى الثلاثة او الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب ـ لاول مرة ـ الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومعه اربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم امين ..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة ..

موقف حزب الوفد من الثورة

أصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ولم يكن عضوا من قبل ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها ..

فكنا كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق كان يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع ، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه ، لم نشك فى ايمانه بالثورة ، فأعطيناه كل ثقتنا واعتبرناه كأب لنا .. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يتحدث فى خجل عن انكارنا لاشخاصنا ، فيقول أن كل شىء قد تم بمجهودنا نحن وهو لم يصنع شيئا ، وبالرغم من هذا فهو يعجب لاننا ننسب كل شىء له ، ونقول للشعب وللعالم انه هو قائد الثورة ، وهو صانع كل شىء ..!

وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام ما بعد فاروق

وكما قلت سابقا فاجأنا جمال عبد الناصر فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى ١٧ اغسطس ١٩٥٢ بتنازله عن الرياسة للواء نجيب ، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : « أن الوضع أصبح حرجا للغاية ، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة ، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة .. وفى نفس الوقت هو لا يحضر اجتماعاتنا ، وهذا ما لا يصح أن يدوم »

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح جمال ، وأصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال

رئيسا لها منذ أنشئت ، وانتخب ثلاث مرات قبل الثـــورة وبعدها بالاجماع ليرأسها

ودخل أربعة آخرون مع نجيب اعضاء فى الهيئـــة هم : زكريا محيى الدين وحسين الشافعى ويوسف صديق وعبد المنعم أمين

ومضينا كمـــا قلت ، نستعد لمواجهة الاحداث القادمة .. نجيب رئيسا للهيئة وجمال وكيلا لها

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أود ان اذيع على الرأى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة

وهى سر اختيار رشاد مهنا وصيا للعرش .. فقـــــد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولا بأول من الثورة

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه الينـــا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يومها عن سر اضـــطرابه وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموفقـــة للثورة !..

وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة يوم ٢٧ يوليو ــ ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون أن يقرر جمال عبد الناصر حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات ، وبطريقة تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه

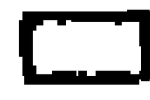
فقد كان ضباط المـــدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف رشاد من الثورة كما قلت من قبل ولم يعرفوا أنه رفض الاشتراك فى العملية ورفض أن يتعاون على الاطلاق واعتقدوا عندما جاء من العريش بدون اذن ، أقول اعتقـــدوا أن رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها ..!

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا .. فربما حـــــدثت بلبلة

ونبتت خلافات والثورة فى أيامها الاولى

فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا ايضا

وعلى هذا ظل الاعتقاد ــ بأن رشاد مهنا قطب من اقطاب الثورة ــ سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم



وامام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا يريد شيئا ما ..

وعرف جمال الشيء الذى يريده رشاد

واراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات أو انقسامات نتيجة للفهم الخاطيء لموقف رشاد مهنا ..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء على الاطلاق سوى عشقه للمظاهر

ودون ان نعلم ، توجه جمال عبدالناصر الى على ماهر وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت . وقال له ان القيادة تريد ان يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية وطلب جمال من على ماهر أن يكون رشاد مهنا هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية

وتبين بعد مراجعة الدستور انه لكى يعين احد وصيا لابد ان يكون وزيرا سابقا على الاقل

وزالت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش

وبعد أن انهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة واخبرنا بما تم . وبالرغم من انها كانت مفاجأة لنا ، الا اننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنا .. ولمشكلته التى كنا جميعا نشعر بخطورتها . وعندما وقعت المأساة واصبح رشاد وصيا

على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر أن ذلك الرجل هو قطب الاقطاب .. فى الثورة ، تماما كما كان شائعا من اللواء نجيب ..

والواقع ان رشاد مهنا كان يتصرف عندما اصبح وصيا العرش باعتباره ملك البلاد .. وسأروى فى حلقةاخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين !

انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر .. ونسى الثورة كالعادة

ويكفى اليوم أن أشير الى كلمة قالها ردا على طلب للقيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا ..

قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :

ـ انى أملك وأحكم أيضا

نصحونا بأن نحكم ..

واعود الى قصتنا ..

قلت اننا بدأنا نستعد بعد دخول نجيب الهيئة التأسيسية لمواجهة الاحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق ..

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشاتنا فى تلك الايام هو دعوة برلمان الوفد الذىكان قائما قبل حريقالقاهرة للانعقاد ، والنحاس وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت

واذكر انه بعد ٢٦ يوليو أى بعد خروج فاروق جاء الينا أناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا ..

اعتقدوا اننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم : لا .. لا ..

وكررناها فى حزم وقوة

واعود الي الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشعال نار الثورة

لقد فكرنا فى تلك الفترة ان نطلق شرارة الثورة الاولى بأن نفرض حزب الاغلبية وقتذاك ــ الوفد ــ على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعلا بفؤاد سراج الدين « باشا » واوفدنا اليه البكباشى احمد انور احد الضباط الاحرار ــ وقائد البوليس الحربى ــ وذهب احمد أنور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزب الوفد فى حالة ماذا فرضه الجيش على الملك ؟!

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد على ذلك السؤال .. حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لان قطب الوفد ، ووارث الزعامة راى أنه من المحال أن ينجح الجيش فى هذه العملية ..

عاد احمد انور الينا وهو يحمل رد الوفد .. ان حزب الاغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض أى شىء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين ــ للوفد ــ فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد أعداء الشعب « أى القصر » بل تترقب وتنتظر تحسن الاحوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد

أما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شىء لا يؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الاعداء ، بل قررت مهادنة هؤلاء الاعداء والتعاون معهم اذا ارادوا ــ أى الاعداء ــ تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء

وفهمنا يومها ايضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل .. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصالح القصر والاستعمار أيضا .. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض .. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الابد ..!

الوفد يتجه الى مصدر القوة

واستعرضنا يومها مواقف الوفد ــ أو بعبارة أكثر صدقا ــ مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف .. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر .. وعلينا أن نعرف أعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد ــ وهو حزب الاغلبية ــ هو الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان فى يد كليرن السفير الذى كان يحكم البلاد .. ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية ــ وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت ــ اتجه الوفد الى القصر وهادنه .. تماما مثلما هادن كيلرن وارتمى فى احضانه !

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا للعيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ، وأصبح على الملك أن يدعو الحزب الفائز ليتولى الحكم ..

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل أو بالحق فهو ـ اى الوفد ـ قد فاز على أى حال وتربع أقطابه على مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها .. فى انتظار الفرج !

أصبح الوفد ـ اذن ـ فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات ... فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات !

انتابه الفزع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب .. ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

ـ تعالى حوش عنى الوفد !

وكان مفروضا أن يخوض الوفد ـ باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون ـ المعركة فى الحال ضد استبداد القصر .. فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته .. فهم أصبحوا حكاما !

وفى يناير ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتأليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات .. وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين .. كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم أنف الملك واصبح حاكما رغم انفه أيضا .. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة

اعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى .. وعن النفوذ والصولجان !

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم .. سمعه يقول له :

ـ انا ليه طلب ..

وتوقع فاروق شرا .. ظن ان زعيم الامة قرر الاشتباك معه فى معركة وهو لم يزل فى أول الطريق .. وقبل ان تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال سمع النحاس يقول له :

ـ طلبى .. انى أبوس ايد مولانا !

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى ايدها الشعب وجاء بهـا الى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله .. ففوجىء بها تحمى مصالح القصر وتعمل من اجل سراج الدين ، وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية !

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد أنور مندوب الضباط الاحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا أن نفرض الوفد على الملك كخطوة اولى لاشعال نار الثورة

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك ـ اى بعد أن رفض فؤاد سراج الدين ان يخوض الوفد المعركة مع الضباط الاحرار ـ قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئـات والاحزاب فى مصر .. لان العقلية التى تسيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكمـا ونحن نريد ثورة .. نحن فى ناحية وهم فى ناحية أخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !

يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت وبوللى وخدم القصور

أما المعارك جنبا الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك شيء يرعبهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامي

كانت المسألة فى برنامجنا هي كفاح من أجل الشعب ، أما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والاحزاب من كل خططنا فى المستقبل

وقررنا فى نفس الوقت الاعتماد على أنفسنا .. علىتشكيل الضباط الاحرار ، فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح أفرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الىالتحرر. فكلالضباط الاحرار منعائلاتمتوسطة وليسوا ابناء باشوات وليسوا من صلب الارستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل أعداء الشعب

رايان يتصارعان

غير اننا بعد عزل الملك بدانا نناقش الوضع من جديد . وفى كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائما فى تلك الايام لم يقف احد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم .. وانما كان هناك رأيان يتصارعان

الرأى الاول يقول : بما اننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارةالاولى للثورة بفرض حزب الاغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الامور ونجلس نحن نراقب الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة

والرأى الثاني يقول : لا يصح أن يحدث هذا .. فالوفد وكل الاحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم ان المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه انهم ليسوا

ذوى نواياحسنة بالنسبة للشعب، ومعناه أيضا أنهم لايؤمنون بما ينادى بهالشعب، وكفاحهم من أجل مصالحهم هملامصالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصالحها متناقضة مع مصالح الشعب فهى ـ اى تلك القيادات ـ سوف تكون حربا على اهـداف الثورة لو مددنا أيدينا اليها

ومضى أنصار الرأى الثانى يفسرون أهداف الهيئـــات والاحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب . ثم قالوا ان الثـورة تحتم الغاء كل تلك الاحزاب والهيئات التى تآمرت عــلى الشعب طوال الربع قرن الاخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهممع مصالح هؤلاء الساسة القدامى . وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث !

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطرد صــاحب العرش ، وكأننا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البـلد لهذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلع الى لاظوغلى لا الى الشعب !

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرأيان المتصارعان هما محـــور كل المناقشات !

التطهير المزيف للاحزاب

.. كان رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ، ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد

وقال لنا الاخوان :

ـ نحن لها ... نحن الذين سننقذ الموقف ... اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم ... اجعلونا أوصياء على الثورة ، هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

... وكنا نؤمن بأن الثورة لا يمكن أن تمضى فى طريقهـا بديمقراطية الوفد والاخوان والسعديين .. ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية العبيد

... وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق ، تتيقظ وتعى موقفها تمـاما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل ، فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من افراد مساكين ، يقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ـ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه

وطالبنا الاحزاب بالتطهير

ومنهم زرق الانياب وقدامى السياســـة والحكم ، انهم ستطيعون أن يضحكوا علينا

وعقد الوفد اجتماعا واصدر قائمة
وعقد السعديون اجتماعا واصدروا قائمة
وعقد كل حزب اجتماعا واصدر قائمة
وكانت حكاية التطهير مهزلة

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين

ماذا كانت تريد ؟..

لقد وقفت بالقارىء فى آخر حلقة من القصة عند موقف الاحزاب من هذه الثورة ، وقلت اننا فتحنا امامهم الابواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا .. ساهموا معنا فى هذا العمل التاريخى الكبير .. تعالوا نصنع ـ جميعا ـ مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت

وترددوا ـ جميعا ـ ولم يمد احدهم الينا يده .. كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى ٢٣ يوليو ما هو الا أحدالانقلابات المعروفة العادية ، والتى قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الامور من جديد

لم يفهموا على الاطلاق انها ثورة والا فما معنى ترددهم ؟!

قرروا أن ينتظروا ليروا الى أين تتجه الاحداث بعد ذلك اليوم من يوليو . وفى نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون .. رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. انتم لن تتمكنوا من صنع شىء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن الوفديين ، فلابد من حزب سياسى يقف الى جواركم

ولا ينسى « القطب » أن يستعرض أمامنا قائمة الاحزاب المصرية الموجودة

وبعملية بسيطة نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لانه حزب الاغلبية .

ويخرج اقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هم الاخوان ، وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الانسانى

قال لنا الاخوان : نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم .. اجعلونا أوصياء على الثورة .. هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا

من يريد ان يثور معنا

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام «الاخوان» أنهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكنا نلوذ بالصمت ولا نشعرهم باننا نفهم كل ما يدور فى رؤوسهم .. الجميع كانوا ينظرون الينا باعتبارنا صغارا لا قدرة لهم على مواجهة الاحداث .. كأنهم كانوا بأعمارهم المديدة قادرين على مواجهة أحداث ماقبل يوليو .. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟!

الواقع اننا ــ في ذلك الوقت ــ كنا فى حيرة ، فقد كانت الخطة التى وضعناها فى اخلاص شديدتقضى ــ فعلا ــ بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا ، من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل والعمل .. وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنا من كل الاحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية ، وتخلوا عنمعتقداتكم التى كانت تتفق معالوضع قبل يوليو ، وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل و التعاون والاشتراك فى « الثورة » بهذه العقلية وبتلكالبرامج المعتقدات !

كنا نؤمن بأن « الثـورة » لا يمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفـد والسـعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطيـة النظام الملـكى الاقطاعي القـائم فى كنف القوات المحتلة ... أى ديمقراطية العبيد !

فالبرلمان والدستور وكل الاشكال الوهمية للحرية ..والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقـوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور

كان الاقطاعى يمثل تمثيلا ـ ديمقراطيا ـ مصالح الفلاحين .. عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن للثـورة ان تقضى على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الاحزاب هو الاساس الذى سيقوم عليـه النظام بعد يوليو !؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولا دستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للامة ، لاشىء من هذا على الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تتطهر الاحـزاب وتغير من برامجها ، من أشخاص القائمين عليها وهم الاعداء الحقيقيون للشعب

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتـوم للناس فى مصر بعد سقوط فاروق

النائب والشعب ..

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نغير بها من اساليب الكفاح السياسى الوفدى والسعدى والدستـورى والاخوانى .. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صـاحبة الحق المقدس فى كل شبر من ارض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ،

ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ــ حرامى .. حرامى . .لكن عايزينه

كيف يفهم الفلاح

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبا الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هو الحال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد !؟

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى « درين » أن الهتاف بحياة عبد العزيز البدراوى نائب مركز طلخا جريمة .. بعد يوليو ؟! وهو ــ أى فلاح درين ــ لم يهدم الاقطاع بفأسه حتى كان يمكن أن يعى معنى الثورة ؟! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم أن الثورة ما قامت الا من أجله هو ومن أجل تحديد مستقبله ، لا من اجل طبقة معينة

والدماء كان يمكن أن تسيل .. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى أقاصي الصعيد ... لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق ؟

حيرة التاريخ ..

وماذا لو استطعنا أن نحقق للشعب كل حاجاته واهدافه بلا دم ؟! هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة .. فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات !

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى القيادة بكوبرى القبة كنا نجلس لنعد خطة الزحف الابيض على أعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا أشلاء ولا رقاب طائرة

صحيح ان الثورة الدموية تخلق الوعي السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضي كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورةالدموية التىكان منالمفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة .. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لان الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا .. الظروف ، والاوضاع والوعي والتنظيم الثورى النابع من أعماقالشعب .. ثم هناك الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا ، وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هذه القوات .. وهذه الحقيقة ذكرتها فى الفصول السابقة مرارا عديدة .. فهى ـ اذن ـ حقيقة تاريخية ومعناها أنه لامجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه مادام الشعب قد اصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، ومادامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها

اين هم الاعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..

لا البدراوي ولا أىعدو آخر يمكنه أنيتمسك بالارض اذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى درين وينذره قائدها بتسليم الارض لاصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو ان الدبابة كانت تحمى البدراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من البدراوى !

ومضينا فى زحفنا الابيض

* وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الابيض على أعداء الشعب حتى النهاية .. ومن أجل أن نطمئن الجميع ـ حتى الاعداء ـ طلبنا من الاحزاب ـ كما

قلت ـ أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو

لكن ـ كما قلت ـ اعتقد أقطاب تلك الاحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا ، نحن الضباط الشبان الصغار ، فهم زرق الانيـــاب وقدامى فى السياسة والحكم .. أما نحن .. فمن نكون ؟

وانتظرنا من زرق الانيـــاب هؤلاء أن يطهـروا أنفسهم ويغيروا من برامجهم فى صدق وليس كما فعلوا بعد ذلك كما سيجىء فيما بعد .. لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار فى الصحف واذيع ، وقد جاء فى نهايته تلك العبارة : « وقد أعذر من أنذر .. »

التطهير المزيف ..

وهنا شعروا أن « الثورة » جادة فى المسألة ، وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدار الاجتماع الاعداء الذين ما قامت الثورة فى مصر الا لتقضى عليهم ، بل ما قامت اية ثورة فى اى قطر من الاقطار الا للقضاء على امثالهم ..

المهم أن الوفد عقد الاجتماع والسلام ، وأصدر الوفد قائمة باسماء بعض أعضائه الذى قرر اخراجهم من الحزب لتطهيره. وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لاخراجهم ، ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد أنهم ضحكوا علينا بعمليـــات التطهير والتغيير المزيفة تلك ... وكانت حـكاية التطهـــير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامـج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبـل عشرات السنين !

تحديد الملكية

تحديد الملكية والأحزاب

كان هناك رأيان يتصارعان فى اجتماعات الهيئة التأسيسية ، وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرايين ..

وكان أصحاب الراى الاول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت اليها الاقطاعيين ، الا انه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما قبل احداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الامور ، على أن نراقب نحن الاحوال والخطوات وتنفيذ اهداف الثورة .. ذلك هو الرأى الاول

أما الراى الثانى فيقول أصحابه ان حزب الوفد والاخوان وكل الاحزاب فى البلد ، يكافحون ـ جميعا ـ من أجل مصالحهم فقط ، وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجود تلك الهيئات والاحزاب ـ اذن ـ معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى اى الرايين اتجه الاعضاء فى النهاية !؟

.. فى النهاية اقتنع الاعضاء بالرأى الثانى ...

اقتنعنا ان كل الاحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هى الا نتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الاخير .. اى انها ما وجدت الا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقية فى رؤوس قادة تلك الاحزاب والهيئات لان مصالحهم ارتبطت به وبوجوده

والنظام القائم فى البلاد .. فالتعاون بين تلك الهيئات والاحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو ان الثورة ستهادن ايضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شيء.. أى أنها لا تكون ثورة .. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها مادامت اهدافها هى جعل الاحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القرن الاخير تتولى زمام الامور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والاخوان وباقى القطيع !

وعلى هذا الاساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار قرارا يقضى بحل الاحزاب كلها والاخوان ايضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتى بدونها لا يصبح للحزب أو الهيئة مهما كانت صفتها دور فى تطور الشعب او تحريره من المظالم كلها .. أو فى خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من اجل ارساء قواعدها الصحيحة

وفى نفس الوقت يفسح المجال امام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الامة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول .. هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :

ـ يا جماعة ..: انى أخشى ان يفهم البعض من هذا القرار اننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

ـ ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة حقوق الشعب بعد انتزاعها من اعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع ان نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد ، لان الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الاخرى ... وليس فى مصر طبقة يمكن ان تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية !؟

لمصلحة الراسماليين !؟

اننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين فالديكتاتورية اذن تصبح ضد اهداف الثورة !؟

وبدانا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الاحزاب والهيئات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاولة اى نشاط سياسى

وعاد جمال يقول :

ـ احب أن تفهموا أن الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الاخرى فى الامة ، وهى ، أى تلك الطبقة ، لا تستطيع ان تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأى طبقة تلك التى نريد نحن أن نستغل الشعب لحسابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من اجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين فنحن جميعا ابناء فلاحين ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع ابناء العائلات المتوسطة والفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لا تتحقق الا فى ظل نظام

ديمقراطى سليم يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم . فيظل ملتزما حدودها . .

والديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسألة ثانية وهى ان الديكتاتورية تقام أيضا من أجل استعمار بلاد أخرى

بمعنى ان تقرر دولة ما فتح اسواق عالمية امام انتاجها وتكون تلك الاسواق تسيطر عليها دول أخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى ارضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شىء من هذا على الاطلاق له وجود فى رؤوسنا أو فى حياتنا . . فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال ـ ماديا ـ اقامة مثل هذا النظام فى مصر ! لان الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى . .

ومضى جمال يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

ـ انا بطبيعتى انفر من الديكتاتورية ولا أتصور انه من الممكن العمل فى ظلها واخشى أن يفهم بعض الناس هنا أو فى الخارج من هذا القرار الذى أعددتموه اننا نستهدف اقامة نظام ديكتاتورى . . ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة ، وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الاعداء، استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

صحيح ان كل الهيئات والاحزاب فى مصر ، كما وضح

لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد او للعمل الى جانب الشعب ، لكنى أرى أن نعطى الجميع فرصة ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما أودى بنا هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطيها للاحزاب والهيئات هى املنا الاخير فيها

لنعط الاحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد أهدافها فاذا ما حددت تلك الاهداف والبرامج ، وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها — اى الاحزاب — ان تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد .. فتتبلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السلمية امرا هينا فى الشهور القادمة

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

— اننا اذا اعطينا الاحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها واهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق .. نكون قد اشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الاحزاب والهيئات او عدم صلاحيتها !

وبعد ان انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للاعضاء :

اما اذا رأيتم الاخذ بذلك القرار فانى أدعو لكم بالتوفيق وارانى مضطرا الى الانسحاب ، وسأدعولكم بالتوفيق،وسأكون طوع امركم فى الجيش او خارج الجيش ، وفى هذه الحالة أرجو أن تعتبرونى مستقيلا من الهيئة ! وتوجه جمال على الفور الى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الاحزاب ..!

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد ان قرر أعضاء

الهيئة التأسيسية حل الاحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامي من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان اللواء نجيب يرى نفس الرأى .. اى حل الاحزاب والهيئات

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصر على موقفه ،وامام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لا يتكلم الا اذا كان حديثه قائما على أسس واقعية

انه دائما ينظر الى بعيد ، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف اين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دواما بأن نلتصق بالشعب ولا ننعزل عنه .. وهو كان دواما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لان المسألة مسالته وليست مسألة احد غير الشعب ..

دينامو الثورة .!

لقد عرفنا جمال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! ثم تنازل من تلقاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف أن جمال يؤمن ايمانا عميقا بالتنظيم ..

كان يقول دائما بأنه لا يمكن ان يتم اى عمل بدون خطة.. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله .. وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره هو الذى يحسم الموقف ·· ومن أجل هذا كله آمنا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة ·· وتلك هى العقلية التى يتحتم ان يتصف بها كل قائد ..

وامام هذا كله ، رفضنا استقالة جمال فلا يعقل ان يدور جهاز – أى جهاز – بدون الشىء الذى يحركه ! وجمال هو الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا أنه لا بد من ان نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى النهاية رأينا ان نعطى الاحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها واهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى ففى اعطاء هذه الفرصة للاحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل – بعد اعطائها تلك الفرصة – على تحقيق مصالحه واهدافه ام انها لا تزال كما هى تستهدف مصالح قادتها واقطابها !

صممنا على اجراء الانتخابات

وصدر القرار فعلا بهذا .. وتحدد – فى القرار – موعد أقصاه شهر فبرايرعام ١٩٥٣ أى ستةشهورلاجراءالانتخابات، بعد ان تنتهى الاحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد اهداف جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد .. وتتمشى مع التطور الذى لابد منه للشعب

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لا يزال فى الحكم، فأصدر بيانه المشهور الذى هاجم فيه الاحزاب كلها .. لكنه أغفل ذكر الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !!

وكنا قد أبلغناه بذلك القرار الذى يتضمن اعطاء فرصة للاحزاب لتهيئة نفسها للانتخابات .. بالتطهير وتحديد برامج واهداف جديدة !

وبعد ان صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ..

فماذا حدث ؟ ..

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ..

لماذا لم يقرروا مد ايديهم للشعب فى كفاحه الطويل المرير ؟ !

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة ؟ .. وكان الهدف الاكبر للثورة فى ذلك الحين ، او بعبارة أخرى كان الاساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية .. اى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد .. الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !!

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون اخذت به احدث الدول فى التقدم والتطور .. أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الاحزاب والهيئات المصرية .. ونوايا قادتها واقطابها !؟

أو ما هو الشىء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة ـ أى الشعب ـ فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا .. ان رئيس الوزراء

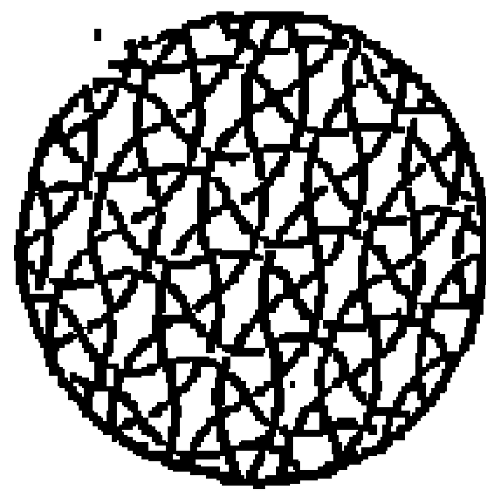
نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون .. كما عارضه كل الباشوات .. فهل أخطأنا نحن وأصحاب الباشوات ! ؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين أصررنا على ضرب الاقطاع والبطش به ! ؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين اردنا منع شخص واحد من أن يملك الارض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد ! ؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لاتزال ترن فى أذنى ، عنده قال :

ـ سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الاحزاب والهيئات لتشوه ثورتنا .. فتصمها بالديكتاتورية



أوصياء العرش والاقطاعيون

حددنا ـ اذن ـ موعد الانتخـــابات كما قلت ـ أمس ـ وأعطينا للاحزاب فرصة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هي تؤيد احداث يوليو مثل الشعب ، أم هي قد روعت بما حدث في ذلك الشهر الخالد

أعني اننا أردنا ان نكشف الطريق امام الثورة ..

فقد كان حتما علينا ان نعرف الاعداء الذين سيتربصون بالثورة وهي ماضـية في طريقها ، فاذا ما عرفنـاهم اصبح الطريق امام الثورة اكثر امنا ونورا ، فلا يطعن الشعب في ظهره وهو ماض في زحفه نحو المستقبل ..

وصـــدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قلت وحددنا فيــه شهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخــابات وكان امام الاحزاب التي ستخوض معركة الانتخابات ان توضــح نواياها تجاه اهداف الشعب بعد أن طرد فاروق .. فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها مهما كانت صفته في الحزب .. وخاصة الافراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذي طرد صاحبه ..

وبعد أن تكون تلك الاحزاب قد غيرت من برامجها واهدافها ايضا ، فلا يعقل ان تبقى البرامج والاهداف التي حددتهـــا الاحزاب لنفسها ايام فاروق ..

والزمن قد تغير .. وكل شيء كان لابد ان يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح في سبيل قيامها . !

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السياسي المصري

الذى فرضته الثورة على فاروق قبـل اخراجـــه من أرض الثورة

واذاع على ماهر بيانا ـ كما قلت ـ هاجم فيه الاحزاب ، واغفل فى البيان الاشارة الى قرار الهيئـــة التأســيسية للضباط الاحرار ، والذى حددت فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان على ماهر الى اصدار بيان فى الحال اكدنا فيه اصرارنا على تحديد شـهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد ٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنا نريد ثورة ، والوزارة لاتكاد تشعر بما يجرى وسيجرى تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة اننا فرضـــناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهوا الشـــعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة !

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد ان يحـــدث تغيير فى الوضع السياسى والاقتصادي والاجتماعى ..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة الى ضرب الاقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه ..

واكاد اعتقد ان الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسهـا فقد كان على ماهر يظن في اللحظات الاولى للثورة ان المسـألة لاتخرج عن أن الجيش له طلبات ، ويريدأن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شىء كما هو !

لكنه فوجىء بعد يومين من قيام الثورة برجال القيـــادة يكلفونه بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأن على بقاء النظام ، بعد أن حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت امام حكومة على ماهر ..

وعرف ان القيادة تريد انهاء مســـألة الاقطاع فى الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسفت فيه اغلبية الشعب ـ الفلاحون ـ طوال مئات السنين .. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق على الحاكم ... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها لهم ..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التى تحددت فى منشــورات الضبــاط الاحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المرير فى سبيل الشعب

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضاء على سيطرة راس المــال ...

حالتان كانتا لابد ان تزولا لتحقيق أهــداف الشعب .. لكن الوزارة ـ كمــا قلت ـ كانت فى واد والثـــورة فى واد آخر ..

وأعود الى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات ! ؟

طلبنــا ـ كمــا قلت ـ من الاحزاب أن تحدد موقفها من الثورة .. أى من أهداف الشعب .. كشرط أساسى للتعاون بين الثــورة وبينهــا .. لانه كان لا يعقل أبدا أن تجـــرى الانتخابات بعد طرد فاروق والباشوات وأذنابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما فى كل الانتخابات التى جرت فى هذه البلاد

فالاقطاعى يملك القرى والارض بمن فيها ومن عليها من بشر .. ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى . والاقطاعى فى يده ان يجيعه ويشرده مع أبنــائه .. فكيف

السبيل الى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى يمكنه ان يختار الذى يمثله فى برلمان بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ..

لترفع الثورة القيد الذى يرسف فيه الناخب ، وبعد ذلك ستكون للناخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيار ممثليه فى البرلمان .. لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة .. والعدو هم هؤلاء الافراد القلائل الذين يملكون الارض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر اغلبية الشعب .. الفلاحين ..

لقد تقرر هذا فعلا كاجراء حتمى اتخذته الثورة لتمهد للديمقراطية الصحيحة التى ما قامت الا من أجل تحقيقها للشعب

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضحة .. اردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه واراد جمال أن يشرك كل الهيئات والاحزاب فى تحقيق اهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين .. قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الاولى فى اتجاهات الحزب المذكور ..

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة !

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت واحمد ابو الفتح

وتكلم جمال عن حزب الاغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن

جدا للحزب الكبير ان يصلح من الاوضاع السائدة فيه وفي قيادته ، ويغير من اهدافه وبرامجه بما يتفق والوضع السياسي الجديد بعد فاروق

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميليه ان حزب الوفد لو فعل هذا لاصبح من السهل ان يسير دفة الامور ، فالثورة لا تريد ديكتاتورية ..

واشترط لكي يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا واحدا وهو أن يصدر الحزب بيانا يعلن فيه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية ، لان الديمقراطية كما يفهمها هو ، بل كما يفهمها كل الديمقراطيين في جميع انحاء العالم ليست برلمانا فقط .. بل هي تحرير الفرد من كل القيود .. هي تحرير عبيد الارض حتى يمكن ان يعبروا عن ارادتهم وبالتالي يمكنهم اختيار ممثليهم في البرلمان بلا ضغط من أصحاب الارض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة اربع ساعات ... جمال ورفاقه يتحدثون عن حقوق الشعب والاسلوب العملي لاعطائه تلك الحقوق .. لكن فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه لا يمانع في رفع الضريبة على الارض أما تحديد الملكية فلا .. ولا !

ورد عليه جمال بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من ايرادات خزينة الدولة ، ولكنه لا يحقق الهدف السياسي الذي تؤمن به الثورة .. اي تحطيم قيود عبيد الارض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين في البرلمان بلا قهر أو ارهاب . وهذا هو اساس الديمقراطية الحقة ..

ثم انتهى الاجتماع عندما قال فؤاد سراج الدين انه سيعرض الامر على حزب الوفد في الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بيانا في أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلا ، وعقد الوفد اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية .. أى زوال الاقطاع .. ثم رفض الحزب الموافقـــة على هـــذا الاجراء الثورى ! ..

لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين .. فماذا كانوا يتوقعون ؟! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟! ..

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من ايديهم ، وانهم هم الذين سيحكمون البلاد رغم كل شيء .. وبلا ثورة ! ؟

ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم .. ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون .. والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى .. ولا يحتم اعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن ارادته وحكم نفسه بنفسه ..

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بانه لا أمل له على الاطلاق فى تعاون هؤلاء الساسة والاقطاب مع الثورة ..

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والاحزاب والهيئات كلها فى واد آخر

وأين الثورة ؟

ورئيس الوزراء ــ كما قلت ــ قد عارض فى تحديد الملكية مثلما عارض حزب الوفد ، وقال لنا ان الضريبة التصاعدية تكفى .. اى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الاشخاص الذين مثلوا الفلاح رغم انفه فى البرلمان .. وفى هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سيطرة راس المال ســـيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان ! ؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟

بل أين هى الديمقراطيـــة لو كنـــا تخلينـــا عن مبادئنا واهدافنا !

اى لم تحدد الملـكية وجرت الانتخابات فى فبراير .. والاحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والارسـتقراطيون أعداء الشعب ! ؟

ان الاحزاب لم تستجب لنداء الثورة .. وبقى نفس الاقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطية يقودونها ، ويتحفزون لمعركة فبراير الانتخـــابية ليوقفوا زحف الثـورة بعد فوزهم ، كما كان الامر يجرى فى الماضى !

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فى تحطيم الاقطاع وحده .. بل ان عضوين فى مجلس الوصاية عارضـا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة .. فأى موقف اعجب من هذا ! ؟

وكيف كنا نستطيع تحقيق الديمقراطية الصحيحة واهداف الشعب لو انسقنـا مع التيـار ، وتركنا كل شىء كما هو بلا تغيير ! ؟

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون ، وهما الوصيان على العرش اللذان وضعتهما الثـــورة فى هذين المكانين ..

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الاساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والاحزاب والهيئات . !

وهكذا اختلفنا .. وكان خلافا جوهريا خطيرا .. فنحن نريد ثورة .. وهم يريدون حكما . !

قلنا للحكومة ..

وقد دارت مناقشة تاريخية حول هذا الخلاف الخطير فى

جلسة فى دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم كممثلين للقيادة .. كما حضر الجلسة رشاد مهنا وبهى الدين بركات وعلى ماهر وعبد الجليل العمرى ..

فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجال الحكومة وللوصيين على العرش انه لابد من انهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة ليست اقتصادية فقط ، بل هى فى صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وارغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لان الملك كان فاسدا فقط .. بل لانه كان عقبة فى طريق الديمقراطية الصحيحة، ويجب ان تزال كل العقبات امام الثورة لتحقيق هذه الديمقراطية ، وبقاء الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣ سوف لا يحقق هذه الديمقراطية، وسيظل الوضع كما كان أيام فاروق : برلمانات يتثاءب اعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا ليقولوا نعم ... موافقون ! !

والثورة تريد برلمانا يمثل اعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجال الحكومة أياما عديدة ..

الاحزاب ترفض نداء الثورة ..

وشعرنا فى تلك الايام أن الاقطاعيين بداوا يتكتلون مع الحكومة وأوصياء العرش ، ليسدوا الطريق أمام الثورة .. ولم تتحرك الاحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا

فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم فلم تمكنهم تلك الاحزاب التى لا تمثل الا اصحابها من تحقيق واحد من هذه الاهداف ..

واني اذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام حكومة الوفد ..حين وقف الدكتور طه حسين وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد .. ويومها وقف البدراوى وصرخ فى برلمان الامة قائلا : طيب علموا الشعب ، وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه ! !

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام

فهل كانت الثورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من ميدان السياسة ليتعلم الشعب وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه !؟

ما أروعها من ديكتاتورية ، لو كانت كذلك .. لو كانت تستهدف ان يسكت البدراوى الى الابد ، فلا يتكلم باسم الشعب .. واذا كانت تستهدف ان يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد او أسرة

تلك هى ديكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ..

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش ان يسقط ، كما اراد الشعب .. ديكتاتوريتنا التى حتمت ان يتحرر ملايين الفلاحين من السخرة .. من طغيان مالك الارض ، ليبدأوا مرحلة جديدة فى تاريخ تطورهم ، وليختاروا بلا ضغط من البدراى أو سراج الدين او امير مخمور ممثليهم فى البرلمان !!

انها ديكتاتورية الشعب كما اعلنها جمال عبد الناصر منذ شهور على الملأ .. وهى الديمقراطية الحقيقية ، لا ديمقراطية العائلات والامراء والمخمورين ! !

ومن أجل هذا .. من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الاحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها واهدافها .. لم تقبل الوضع الجديد .. لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ..

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارستقراطيون والسماسرة .. بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كان شيئا لم يحدث بعد فاروق ! !



محمد نجيب والثورة

اشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة ! ؟

والواقع ان كل اصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعا ان اتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى واحزاب الماضى ثم اغفل قصة نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتنى فى حيرة

كيف ابدأ القصة ! ؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه ! ؟

وعدت اتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان اصحابها ينتظرون الآن ماسوف اقوله لهم عن اللواء نجيب ، ولا بد انهم وكل الشعب يريد أن يعرف القصة ... وهذا ما زاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام ـ نحن رجال الثورة ـ حيال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم واشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، او اختلفنا نحن معه لانه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. اما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية والدستور !

وطارت الاشاعات والاقاويل هنا وهناك وكل اشاعة كانت تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة واعضاء المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الاقوال

تترى والاشاعات تطير الى حيث تشـاء ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصـة كلها .. ليعرف الشـعب الحقيقـة الصارخة ..!

كنا وحـدنا الذين نعرف الحقيقة ، اما الشـعب فكان لايعرف سوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله ! ؟

ومرة ثانيـة ـ او ثالثـة لا ادرى ـ عدت الى كومة الخطابات انقل بصرى بين سـطور بعضها .. ان اصـحاب الخطـابات يريدون الحقيقـة .. يريدون ان يعرفوا .. هل نجيب اختلف معنا لانه ديمقراطى ويريد الدستور أم لسـبب آخر ! ؟

ان المسألة لم تعد تحتمل السكوت.. فهى مسالة الشعب وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب ـ فالشعب سـوف يعرف الحقيقـة اليوم أو فى الغد ، وان كان قد اخطـأ فالشعب سيعرف ايضا كيف اخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد

وبين الرسائل التى امامى واحدة يصرخ صاحبها ، وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة ... انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن حقى ومن حق كل مواطن ان يعرفها .. لماذا قلتم لنا ان محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا حملتموه على اكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ، ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد ذلك تبين انه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لايلقى جزاءه .. نريد أن نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت على لحظات بعد ان قرأت تلك الرسالة ، وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت ان اروى قصة محمد نجيب كلها .. قررت ان ارويها لـكى نسدل الستار نهائيا على هذا الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وامسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من اين ابدأ ؟

هل ابدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ ازمة ٢٦ فبراير ١٩٥٤ التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث ان اعاده ! ؟

ام ابدأ بيوم ٢٥ مارس وقرارته المشهورة .. ! ؟

ان عشرات من المواقف تتبلور امامى الآن .. وكل موقف منها يصلح ليكون بداية لقصة رهيبة .. لاضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس ١٩٥٤ .. وكنا يومها قد ذهبنا الى مطار الماظة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت فى الصباح الباكر ، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتناول طعام الافطار على مائدتهم ، وما كدنا نمسك بأقداح الشاى حتى اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران على وجوههم الحنق الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

ــ تعالوا ... الحقوا نجيب .. ! ؟

وبداية اخرى لقصة نجيب .. يوم ان عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين اوراق حافظ عفيفى ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الكريمة قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى ارسله الى القصر .. الى السدة العلية الكريمة ؟ !

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى .. ها هو الخيط الاول ..

هاهو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لاول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على راس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب ! ؟

الأيام الأولى

انني ارى الآن امامى وجه نجيب وهو جالس معنا فى الايام الاولى للثورة . . . انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الايام الاولى، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، نـنـام هناك ونأكل ونشرب هناك ايضا

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا:

ـ انا اشعر بالخجل من نفسى ، لانى اراكم تنسون أنفسكم تماما ، وانا لم افعل شيئا ، لكنكم تنسبون الى كل شىء ، وكل شىء قد تم بمجهودكم انتم . .

وكانت تلك الـكلمات التى سـمعنـاها من اللواء نجيب بمناسبة وبغير مناسبة كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به ، مما دفعنى الى ان اخرج الى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن نجيب وزعامة نجيب !

بل ان عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى قال فيه لنا :

« اننى أحب هـذا الرجل كأبى تماما ، وأخشى ان يكون حبى له اكثر . . »

فماذا حدث بعد كل هذا . . وبعد ان وقف عبد الحكيم عامر فى قريته « اسطال » يبايع نجيب امام اهله ، وبخطاب حماسى رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل ، لانه كان فى الايام الاولى لايترك مناسبة دون ان يبدى فيها خجله منا ، ويعبر فيها عن دهشته لاننا ننسى أنفسنا ، وننسب كل شىء له ، وهو الذى لم يفعل شيئا ! ؟

ان قصة اللواء نجيب مليئة بالاحداث والغرائب ..

انها اعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت ايضا فجأة كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لايؤمنون الا بأنفسهم حتى اذا كانت وسيلة ذلك هى تضليل الجماهير !

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..

وهى ايضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة « ثورة » ويحاولون وقفها باكذوبة الدستور والانتخابات والاحزاب

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع واصبح لايعنيه ان يتطور الشعب أو يتحرر أو تنشق الارض فتبتلع أفراده جميعا

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل ، وخاضت اعنف المعارك ، وصمدت ثم اثبتت انالشعب سينتصر على الدوام ..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرا الشعب القصة كاملة ، فأنا اعدها منذ اليوم

اعدها من اجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على اكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى . ورأونا ونحن ننكر انفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا .. !

نجيب يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من ابواب التاريخ ! ؟

من فتح تلك الابواب امامه وقال له تفضـــل ... انت زعيم ! ؟

وعلى اى اساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب ! ؟

لقد هتف الشعب والجيش له من الاعماق ، وتردد اسمه على افواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لانه القائد الذى انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة اسطورية بهرت العـــالم كله

وفى كل بيت فى مصر علقت صورته ، صورة البطل الذى ظهر فجأة فى ارض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجيـــاع ويبرىء المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميـــع قالوا له انت زعيم ، انت بطـــل ، انت منقـــذ الشعب .. انت محرر الوادى

لم يختلف احد من افراد الجيش او الشـــعب على زعامة نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه ان يتقـــدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصـــه شىء أو يعطـــله شىء .. فكل مقومات الزعامة والبطولة والمجد والولاء قد وضـــعت تحت اقدامه ، فماذا حدث ! ؟ لماذا لم يتقـــدم فى الطريق الى النهـــاية .. وماذا كان يعطله ! ؟

لقد اخلينا امامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ، ثم انكرنا ان هناك ابطالا غيره .. كان مجرد الاشارة الى بطل آخر غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب ان ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال اعوام نضالنا قبل ٢٣ يوليو هو من اجل هذا الشعب .. من اجل ثورته على اعدائه ، وكل ثورة يجب ان يقودها زعيم

ونجيب اصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعا كضباب الضحى ؟

هل لان مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ونجيب يريد الديمقراطية ؟.. ومن اجل هذا عزلناه وابعدناه من الطريق؟..

انني هنا انشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا فى مصر من كان يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور ... وليعرف الشعب من هم الثوار ، ومن هم الحكام ؟..

وقبل ان ابدأ القصة اود ان اسجل هنا خاطرا مر بذهنى وانا امسك بالقلم لابدأ القصة ... تخيلت جمال وعبد الحكيم وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الاحرار وقد بطش بهم نجيب فى ازمة مارس الماضى ، واصبح هو الحاكم على البلاد ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا نجيب ؟..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق ..

وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية ... وعلى يد من ؟..

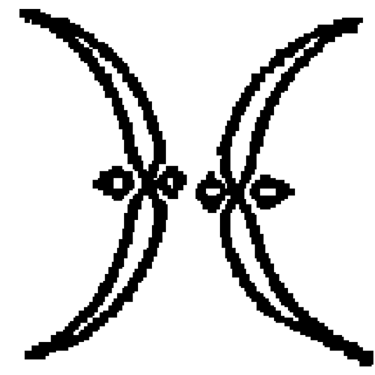
هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق اهداف الثورة المصرية ؟

على يديه وحده .. ام كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجىء بابراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل اقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد ؟..

على اى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع نجيب بالبلاد بعد ان يبطش بنا ؟ !

والذى كان معروفا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الاخوان والسعديين والوفد والاحرار الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة



الثورة والدستور

الأحزاب وخط الثورة

قلت ان الاحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها ، وكان مفروضا ان تسرع تلك الاحزاب فتغير من برامجها ، ومن اشخاص قادتها ومن معتقدات افرادها — اذا استطاعت — لكن تبين بالرغم من حسن نوايا الثورة ان هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة ، وان الشيء الذى يعنيهم سواء اكانت فى مصر ثورة ام اسرة مالكة هو ان يحكموا البلاد

والواقع ان موقف الثورة من الاحزاب كان خاطئا من البداية .. فهى — اى الثورة — كان حتما عليها ، ان تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والاحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة .. وماحدث فى البلاد من مآس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الاحزاب لا تقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما ، بقدر ما تقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الامور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب

اقول انه كان مفروضا بعد ان مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، ان تفهم تلك القيادات ان ماحدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم يفرض على كل القيادات السياسية اذا كانت حقا

ـ ديمقراطيــة ـ ان تؤمن به وتعمل على تحقيقــه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور، بل كان مفروضا ان تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البــلاد الى ابعــد مدى ، لا الى تعطيــله ووقفه كما ارادت بعض تلك القيادات

ويبــدو ان رفض الاحزاب الوقوف الى جــانب التطــور الاجتماعى كان من صالح البلاد .. فلو كانوا قد فعلوا لظهر بعد توليهم الحكم مدى ايمانهم ذلك بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الاخير كان كل افرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحهــا على الاطــلاق مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة اهدافها الحقيقية من مصالحها

وبالرغم من تراجع الاحزاب عن خــط الثــورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الاحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننا ظللنا نؤمن بامكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأردنا أن تكون فى البــلاد أحزاب ، وأن تجرى انتخابات ، واعددنا قانون الاحزاب فعلا ، وكان الهدف الاساسى لذلك القانون هو ان تسجل الاحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط اســتبعاد الاشــخاص الذين ثبت انهم افســدوا فى الحيــاة السياسية ، وهم اكثر من ان نحصيهم هنا ...

النحاس وسليمان حافظ

وبدأ الوفد يناور ويحاور ، ثم وقع حــادث صــلاح الدين وسليمان حافظ وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الاطلاق

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية .. وفى مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحدث مع الوزير .. وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

ــ مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع

وطلب سليمان حافظ ان لا يشترك النحاس بصفة فعلية فى ادارة حزب الوفد الجديد

وهرول صلاح الدين الى سراج الدين وابلغه الحكاية ، وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ما قاله سليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ

وكما قلت لم يكن للثورة دخل فى الموضوع ، لكن الحملة التى شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها .. فكتب احمد ابو الفتح سلسلة مقالات تحت عنوان « الى اين ... » واظهر فيها بطولة خارقة ، فبدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الاقليات السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد

واذكر انني كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون :

ــ هل من المصلحة ان يقال مثل هذا الكلام ؟.. اننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشعب كله ، فمالنا نحن وسليمان حافظ واحمد ابو الفتح وباقى الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة ، والذين ان جد الجد واحسوا برقابهم تتأرجح فوق اجسادهم ــ كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو ــ لفزعوا وولوا الادبار ..

تجاهل الوضع الثورى ..

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضهم قال ان

هذا الـكلام فيه تضليل للشعب ، لان احمد ابو الفتح اعتبر اننا حكاما وتجاهل الوضع الثورى

وقلت يومها لزملائى : دعوه يكتب كيف يشاء .. ودعوه يفرغ كل ما فى رأسه من كلام ولنر صدى كلامه عند الرأى العام ..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين لانها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الاحزاب .. مدح فى هذا وقدح فى ذاك ولا شىء غير ذلك .. لا موضـوع ولا راى ولا توجيـه ثورى ، أو على الاقـل يستهدف الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفد فقط ...

كانت مقالات « الى اين ... » كلها مدحا فى مصطفى النحاس ، كأن مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف النحاس اثناء توليه الحكم آخر مرة ، من القصر ... وكيف تحالف حزبه معه الى ابعد مدى ، وتنازل عن شكله الشعبى من اجل أن يبقى فى الحكم ... لهذا كان مدح النحاس آخر حليف سـياسى لفاروق والاقطاع شيئا غير مستسـاغ بالمرة فى وقت رأى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة « الى اين ... » وبدات اخطارات الاحزاب الجديدة تترى ، وخيل الينا ان مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه الف حزب سياسى من اجل كراسى الحكم ...

واحصينـا الرقم الاخير فوجدنا ان هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر ، تقدم كل واحـد منهم باخطـار عن حزب جديد ، وبينهم زعماء لم نسمع بهم احد ... وكأن الارض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب

مبادىء من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها

متشابهة بل تكاد تكون نسخة طبق الاصل من بعضها

وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية ؟..
وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية الى نهايتها ؟

ومن هم ؟ !

ما هو ماضيهم ؟ !

ما هو كفاحهم ؟ !

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى راس رشاد مهنا بالتحديد ، وراىناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا » ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر « حاضرا » مرة واحدة من قبل !

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع ان يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد مهنا الى حد ما ... لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يأمر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ، وكانت الاوامر التى اصدرها رشاد تطابق تماما الاوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الاحوال ... سيارات من جميع الماركات والاشكال وحاشية وخدم ومصاريف ... وعندما بلغنا النبأ نظرنا الى بعضنا وقلنا :

ــ الله ... ايه الحكاية ! ؟

كنا نعرف ان رشاد مهنا لايؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها ، لكننا لم نكن نتوقع ابدا ان يعين رشاد مهنا نفسه ملكا هكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق ...

ويبدو ان سراى عابدين ومناظرها والابهة الشائعة فى

حجراتها وكلّ مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح ، كل هذا قد ذهب بلب رشاد مهنا فطار عقله ونسى انه ليس من اسرة محمد على

ويبدو ايضا ان سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد ... واذكر ان جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال للواء نجيب :

ـ انا حاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رايك ... تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر ، ونخلى القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلا بالنص :

ـ ياسيدى ... ماشؤم الا الشؤم

وسكت جمال

انا املك واحكم

واعود الى الموضوع ... الى « الهيصة » فأقول ان الامور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فىعابدين، وفى حضور سليمان حافظ اخذ رشاد مهنا يعنفه ، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب :

ـ انا لا اسمح بهذا ، ولاارضى بذلك ، ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا :

ـ انا مش زى فاروق ... انا هنا املك واحكم !

وكانت مفاجأة اخرى لنا .. فنحن نعمل ليلا ونهارا من اجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصر عابدين يصرخ ويريد ان يملك ويحكم ..

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا

حدث ان الملك المخلوع كان قد اغتصب كالعادة سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات... وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وان البلاد توشك ان ترى ملكا جديدا من اسرة اخرى غير اسرة محمد على ..

يد الثورة تنقذ الموقف

وامام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار اجتماعا سريعا ، اصدرت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالامير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى ان يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد اجلنا هذه العملية الى ان تأتى الفرصة المناسبة

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد ان يختار لنفسه اى منصب فى السلك الديبلوماسى ... لكن رشاد رفض ... كان يريد ان يظل ملكا على البلاد

وبدا رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه ... فبدأ يتصل بالاحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، ورأى الوفد فى خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ..

وظنوا — جميعا — ان وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ، لهذا كبر الامل فى صدورهم واعتقدوا — جميعاً — ان رشاد هو منقذهم من الثورة ...

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ما كان لابد ان يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا

عندما تقوم ثورة يتكتل اعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها ... وقد حدث فعلا ان لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الاحزاب والاقطاع ورشاد ـ جميعا ـ بداوا يتحفزون للقضاء على الثورة ... وتتابعت الاحداث ورأينا ان حسن نية الثورة قد يقضي عليها ، كما رأينا ان عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وايماننا بكل مصرى مخلص يريد ان يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته كل هذا قد يطيح ... لا بالثورة ، فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها ... بل قد يطيح بكل ما صنعناه نحن من احداث تاريخية كان حتما على الثورة ان تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب

احسسنا ان تكتل تجار السياسة مع رشاد مهنا مع الاخوان مع الاقطاع قد يعطل من سير الثورة ، وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه ... فى مثل هذه الحالات يبدو الامر مضحكا اذا لم نضرب بيد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة ستة شهور ، فوجدنا انفسنا امام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء وتظهر لنا الود فى العلن ... وجدنا أنفسنا امام احزاب تريد طعننا من الخلف ، وافراد ينشطون فى الظلام لحساب الاقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة ... وكنا فى واد وجميع الاحزاب والهيئات فى واد آخر ... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على اكفنا من اجل هذه الثورة المصرية التى بدات زحفها منذ يوليو ... وهم ماذا كانوا يريدون! ؟

من يحتاج الى العدل ؟

هل كانوا يريدون الحرية ! ؟

هل كانوا يريدون العدالة ... فى الريف والحضر ! ؟

ام تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام ! ؟
واين كانوا اذن قبل ان نصنع ما صنعنا ! ؟
ومن هم ... هذا هو السؤال ...

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين وتدفعهم الحاجة اليها دفعا الى العمل على تحقيقها .. اما ان يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام .. فهذا امر يبدو مضحكا .. بل ويدعو الى السخط الشديد

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام .. هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر ... اذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك اشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب جميعا ـ ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة .. بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها فانتهى الامر بمحاكمة رشاد مهنا ، والغاء الاحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير ١٩٥٦ ...

أسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة ـ كما قلت ـ بقبضتها الحديدية فألغت الاحزاب وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما اطل عليها خطر التكتل الذى تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والاحزاب ... وكان حتما على الثورة ان تضرب هؤلاء الاعداء منذ اللحظة الاولى التى خرج فيها كبيرهم ـ فاروق ـ من البلاد ... فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد ـ ثورة ـ كما ذكرت ، بل كان هدفها دواما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر والنظام الذى كان قائما . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ـ فالثورة ـ أى ثورة ـ لا يعقل أبدا ان يتولى توجيهها نحو اهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا ـ على الاطلاق ـ فى قيامها أو فى التمهيد لها ... بل على العكس ، كانت الثورة المصرية التى تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى ، وتصنيع المجتمع الاقطاعى المهلهل ، لا تجد فى واحد من رجال الاحزاب عونا لها قبل ان تقوم ، فكيف يمكن لهذه الثورة ان تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد ان قامت فعلا وبعد ان بدات تزحف على اعداء الشعب ؟

هل كانت الثورة الامريكية أو الروسية او الصينية تنجح لو ان رجالها لجأوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه الثورة ، وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها ؟ ! يترهبنون ويطلقون لحاهم ، أو ماذا يصنعون ؟

كنا ــ اذن ــ على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبــل ان تتم على ايدى رجــال الاحزاب ، ورشاد مهنا وباشوات البلاد ... ومشعوذيها !

ان الغاء الاحزاب المصرية بعد يوليو عام ١٩٥٢ كان عملا ثوريا ينبع من اصول الثورة المصرية .. ومن اتجاهها الانسانى الشعبى

فلم يحدث فى تاريخ الثورات ان قام جماعة من النــاس بثورة على الطغيان والاســتبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا ــ الثورة ــ وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والاقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت الغاء الاحزاب ، وتحديد فترة انتقال واسقاط الدستور ..

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر الملك السابق فاروق اننا نحمي الدستور .. وكنا فعلا نعنى ما نقول ، لكن الاحزاب المصرية وليدة النظام الملكى الاقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحكم وباجراء انتخابات ... اى بدفن الثورة المصرية فى اعماق الارض ، ليبقوا هم ســادة للعبــاد والشعب حيث هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويموت ... هذا شىء لايعنيهم ، فسراج الدين وغيره من قادة « الشعب » فى عهد فاروق يريد ان يحكم ويحكم ويحكم ، اما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة الى شىء منها ، فالعدالة والحرية والنور اشياء موجودة فى حيــاته هو .. فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شىء وليس فى حاجة الى شىء .. فقط هو يريد ان يحكم العبــاد ، فاذا لم يســتطع فالامر اذن ديكتاتورية وفاشــية وحكومة

ضباط وعساكر .. وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الابيض على اعداء الشعب ، ان نتردد الف مرة قبل ان نضرب بيد الثورة الحديدية ، فكما قلت من قبل كنا لا نريد ان نخوض معارك دموية ، ما دامت الثورة تستطيع استرداد الارض من الاقطاعى بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنا فى حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة ... وكل ثورة ، سواء اكانت فى مصر أم فى آخر الدنيا ...

واعود الى الدستور .. كنا نعنى كما قلت ان الثورة تحمى الدستور ، والدستور الذى وضع للبلاد فى ابريل عام ١٩٢٣ يتكون من ١٧٠ مادة وتنص المادة الاولى منه على ان « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شىء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى »

ذلك هو نص المادة الاولى من ذلك الدستور ، وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد أن يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للاحزاب ثم طالبت تلك الاحزاب بأن تثور ايضا مثلما ثار تنظيم الضباط الاحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا .. لولا ان ضربت ـ كما قلت ـ بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة .. وانتهى الامر بحل الاحزاب ومحاكمة رشاد مهنا ... وكذلك باسقاط الدستور

كنا نريد ان نتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود ، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات .. وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده ... وعندما تراجع رجال الاحزاب ورفضوا ان يثوروا مثلنا ، راينا ان نعيد النظر فى خططنا ... رأينا ان نعتمد على انفسنا ،

وعرفنا فى الحال ان الثورة لايمكن على الاطـلاق ان تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين واعداء التطور ..

لا ثورة بلا ثوار .. كان ذلك هو شعارنا بعد ان اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا ايدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا ، فأرادوا ان يحكموا

ثم رأينا ان الدستور الذى يأخذ علينا اعداء الثورة اسقاطه .. يحمى النظام الملكى كما ذكرت ، ويحمى مالك الارض وسيد العباد .. وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الاولى .. القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف ..

اللواء نجيب يعارض

لكن بعد ان درسنا المسألة برمتها وجدنا ـ وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام ـ ان بقاء دستور ١٩٢٣ ليس فى مضمون الثورة على الاطلاق ... فهى ثورة اجتماعية قبل كل شىء ... ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا امر يتنافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسقاط النظام القائم امر لا يجيزه الدستور ايضا ، فكيف اذن نبقى عليه ؟ ومواده الباقية تحمى الاحزاب ورجالها ، الذين هم اعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمرون عليها ! ؟

وكان لابد للثورة المصرية بعد يوليو ان تسقط الدستور ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام او الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شىء .. فقد كان من اسس ثورتنا القضاء على سيطرة راس المال وعلى جهاز الحكم ، واعلن عن هذا المبدأ فى منشورات

الضباط الاحــرار قبــل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنـه مرة ثانية الرئيس جمـال عبد الناصر ضـمن مبادىء الثورة الستة .. فكيف كان اذن يمكننا الابقاء على الدستور وكثير جدا من مواده يتعارض مع اهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة ! ؟

وقد كان اللواء نجيب يعارض فى اسقاط الدستور مثل باقى الاحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا اية ثورة ، ثم ما لبث نجيب ان وافق على رأينا .. تماما مثلما حدث عندما قررنا الغاء النظام الملـكى ، فقد عارض اللواء نجيب فى هذا ايضـا ثم ما لبث ان عـدل عن رأيه ، واذكر اننى ذهبت اليـه يومها فى منـزله ... ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا فى خيمة الحرس امام المنزل واذعت من هناك البيان

تلك كانت قصة اسقاط الدستور ... ففى مصر ثورة ولها اهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدسـتور كجدار عال امامها .. وهنـا ـ ايضـا ـ تمتد يد الثورة لتهدم الجدار ... ولتعد دسـتورا ينبع من فلسفتها ... دستورا يحمى الشـعب فى عصر ما بعد الثـورة ، ويحفظ للشـعب كل كسب حصـل عليه من اعدائه ... وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب اعداء الشعب فقط !

مقاييس الثورة

مقاييس اليوم ومقاييس الامس

أعتقد أن المصلحة العامة ، تقضى بوضع النقط على الحروف ، ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل ، وتختلط عليهم بعض الامور ، ان المقاييس التى اعتادها الناس فى العهود الماضية ، لم تعد تصلح لهذا العهد ، ولم تعد متفقة مع السرعة التى دارت بها عجلة الزمان

ان مصر اليوم ، ومنذ أكثر من أربع سنوات تعيش فى ثورة ، والثورة التى انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن ارادته ، لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر ، ولم تكن ثورة على فرد دون سواه ، وانما هى ثورة شاملة كل عنصر من عناصر الفساد أيا كان وأينما كان

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها مجتمعين تحت راية المبادىء السامية التى أعلنوا عنها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وما زالوا يلتفون حولها ، ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وايمان ، وقد تبينت متانة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح والفشل ، أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادىء وأعواد المشانق ، فكانت وقفتهم

المجيدة صفا واحدا ، وكتلة متراصـــة هى حجر الزاوية فيما حققوا لبلادهم من عزة ومجد

لقد اجتمعوا اذن على مبادىء لا علاقة لها بالاشخاص ، ولا صلة لها بالرابطة التى كانت تجمع الاحزاب المنحلة البائدة، رابطة الغنائم والاسلاب

ومثـــل هـــذه الرابطة ، رابطة المبادىء المجردة من المطامع والاســـلاب ، لايسهل ولا يمكن أن تنفصم وليس من الميسور ولا من الممـــكن أن تنقطع أواصر العــــلائق الشخصيـــة التى تقوم على هـــــذه الرابطة النبيلة مهمـــا يحـــدث من خـــــلاف أو تعـــارض بين وجهات النـــظر ، وذلك لأن مراد الخـــــلاف لايتعلق بنزاع على مغنم ، أو تهافت على منصب

قد يحـــدث ، بل لابد أن يحـــدث بين أفراد أية جماعة من الناس ، تباين فى زوايا النظر الى مســـألة معينـــة أو أكثر ، ولكن هذا التباين بين أفراد وحـــدت بينهم المبادىء السامية لايمكن أن يفض مابينهم من رباط مقدس ، فهـــذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهـــر الذى لاتنفصم عروته ، وأما الخـــــلاف، وتباين وجهات النظر فهـــو عرض لايمكن أن ينال من روعـــة الجوهر

على ضوء هذا التحليل الواقعى الواضـــح ، يجب أن يطبق الناس مقاييس جديدة فى الحكم على تطور الحوادث فى عهـــد الثورة ، وقد انتهى الزمن الذى كانت فيه الاعتبارات الشخصية، والمنافسات الحزبية هى المقياس أو المفتاح الذى يفسر مظاهر الوحدة والخلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد

ان كل فرد فى هذا العهد الثائر لايشغل نفسه ولا يشغل

الرأى العام بالمكان الذى يحتله ، والمغنم الذى يكسبه والصف الذى يوضع فيه ، وانما يقف وقفة الجندى الذى يؤدى واجبه أيا كان مكانه بين الجنود العاملين

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهـود الحكم ، ولكنه أحد المقاييس التى لايصلح سـواها للحكم على الاشياء والاحداث فى هذه الايام



فهرس

الكتاب القادم

أسرار الثورة المصرية

بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية

تقديم الرئيس جمال عبد الناصر

بقلم أنور السادات

وهو الكتاب النفيس الثانى الذى أعدته سلسلة كتاب الهلال بمناسبة مرور خمس سنوات على ثورتنا المصرية .. يصدر فى ٥ يولية القادم



الرئيس جمال عبد الناصر فى مكتبه برياسة الجمهورية



احدى دبابات الثورة فى احد شوارع القاهرة فى فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢



وزارة نجيب الهلالى آخر وزارة من وزارات العهد البائد حين قامت الثورة



القائمقام انورالسادات بعد ان ابلغ علي ماهرمطالبه فاروق بالتنازل عن العرش

أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة

ونزولاً على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب

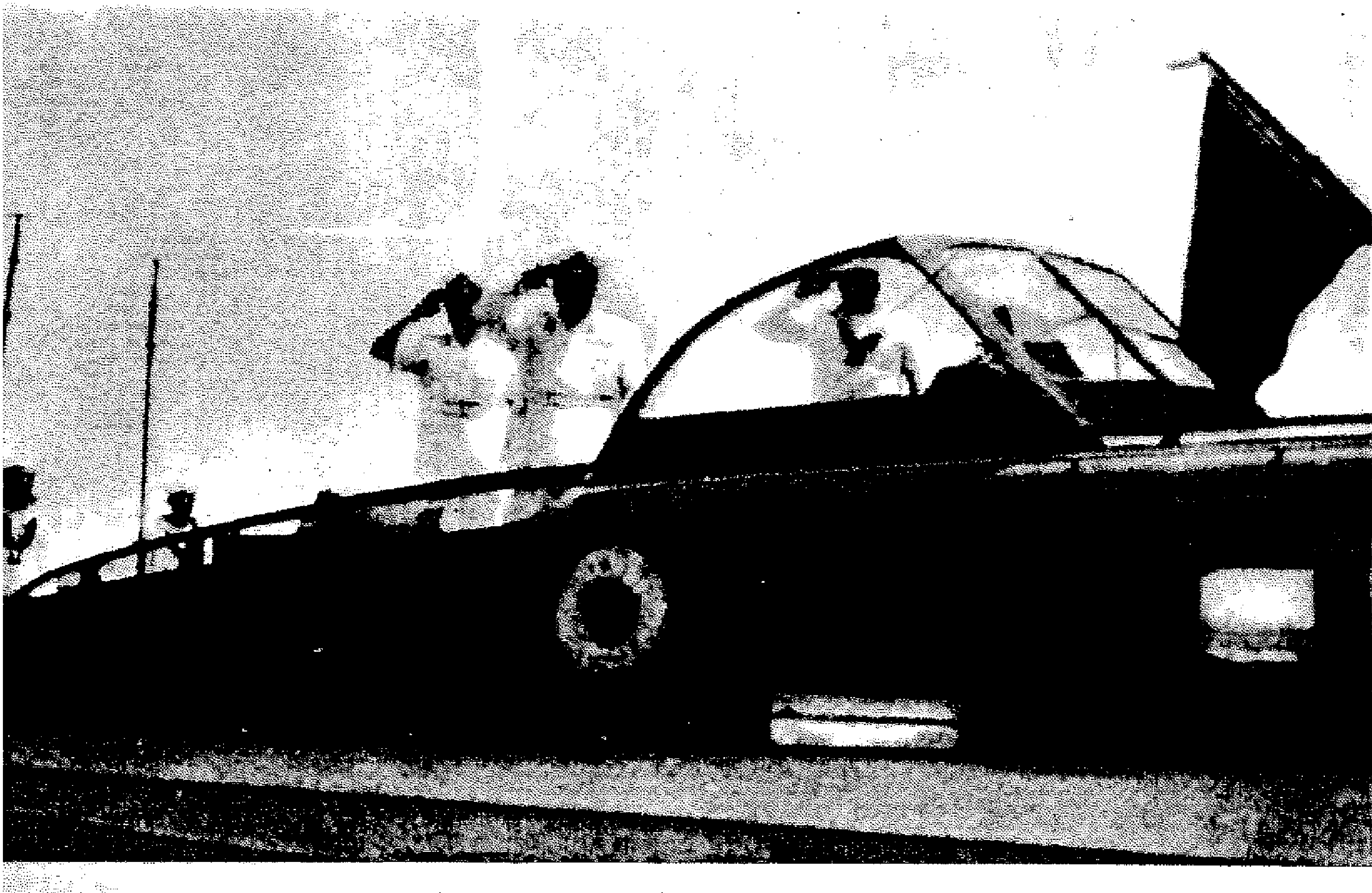
المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٧١ (٢٦ يوليه ١٩٥٢) .

وثيقة تنازل الملك السابق عن العرش صباح يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢



البكباشي حسين الشافعي قائد سلاح الفرسان يرسم خطة حصار رأس التين والمنتزه بالاسكندرية



فاروق يرحل عن ارض مصر فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢



فرحة الشعب وهتافاته المتصاعدة يوم تنازل فاروق عن العرش



على ماهر يودع اعضاء مجلس قيادة الثورة يوم استقالته من الوزارة التى تولاها بعد قيام الثورة.



بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد انتهائهم من أحد اجتماعاتهم السياسية



اعضاء محكمة الثورة التي شكلت لمحاكمة الخارجين على الوطن



عبد اللطيف البغدادى وأنور السادات بعد انتهائهم من جلسه المحكمه



زكريا محيى الدين الذى وضع الخطة العسكرية لطرد فاروق عن العرش



الرئيس جمال عبد الناصر يغرس شجرة فى اراضى نجع حمادى



القائمقام أنور السادات حين اشترك فى الوزارة الجديدة فى مايو سنة ١٩٥٤



مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة يطل على النيل الخالد

وكلاء مجلات دار الهلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت صندوق بريد ١٠١٢ (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهى تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)

العـــــراق : السيد محمود حلمى ـ صاحب المكتبة العصرية ـ ببغداد

اللاذقيـــــة : السيد نخلة سكاف

جـــــدة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص. ب ٢٩٤

البحـــرين : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

البـــرازيل : Dr. Michel H. Thomé,
Pateo Do Colegio N° 3,
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL.

هذا الكتاب

تعتز سلسلة كتاب الهلال بأن تقدم اليوم قصة الثورة كاملة بقلم أحد قادة الثورة بعد أن قام سيادته بتنقيحها وزيادة بعض أبوابها الخاصة بهذه الثورة التاريخية الرائعة التى رفعت سمعة مصر كما رفعت مكانتها الدولية

وقد مهد واضع الكتاب القائمقام أنور السادات لهذه القصة التاريخية بفصول ممتعة عن معنى السياسة والديمقراطية والثورة ، ثم روى أحداث الثورة منذ بدأت حتى تم لها النصر ، وحتى قضت على الفساد والطغيان وحققت لمصر عزتها وكرامتها

ان صفحات هذا الكتاب تكشف عن أهم حادث فى تاريخ مصر الحديث ، حادث هذه الثورة المجيدة التى أخرجت مصر من ظلمات الاستبداد والاستعمار الى نور الحرية الاجتماعية والاستقلال السياسى . وأتاحت لها عهدا جديدا حققت فيه جلاء المستعمر والحياة النيابية السليمة والاصلاحات المتباينة والقومية العربية وثبتت أقدامها فى خضم هذا العالم المضطرب

وتمتاز هذه الطبعة الجديدة بما ازدانت به من صور تاريخية رائعة

